يوليو (تموز) ـ اغسطس (آب) ١٩٨٢
رمضان ـ شوال ١٤٠٢

المختار



من ريدرز دايجست

العجز الجنسي نفسي ام جسدي؟
(ص ١٧)

اطفال الحرب: من لبنان الى فلسطين
(ص ٩)

اعترافات امرأة سعيدة
(ص ٧٧)

لبنان ٥٠٠ق ـ سورية ٦٠٠ق ـ الاردن ٥٠٠ف ـ الكويت ٥٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٧د ـ قطر ٦ر ـ البحرين ٦٠٠ف ـ السعودية ٧ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ٧٠٠م ـ ليبيا ٧٠٠د ـ اليمن ٧ر ـ مسقط ٦٠٠ب ـ العراق ٦٠٠ف ـ تونس ٥٠٠م ـ المغرب ٥د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ٧ف ـ انكلترا ٧٥ب ـ اليونان ١٠٠د ـ كندا وامريكا الشمالية ٢٠٥د

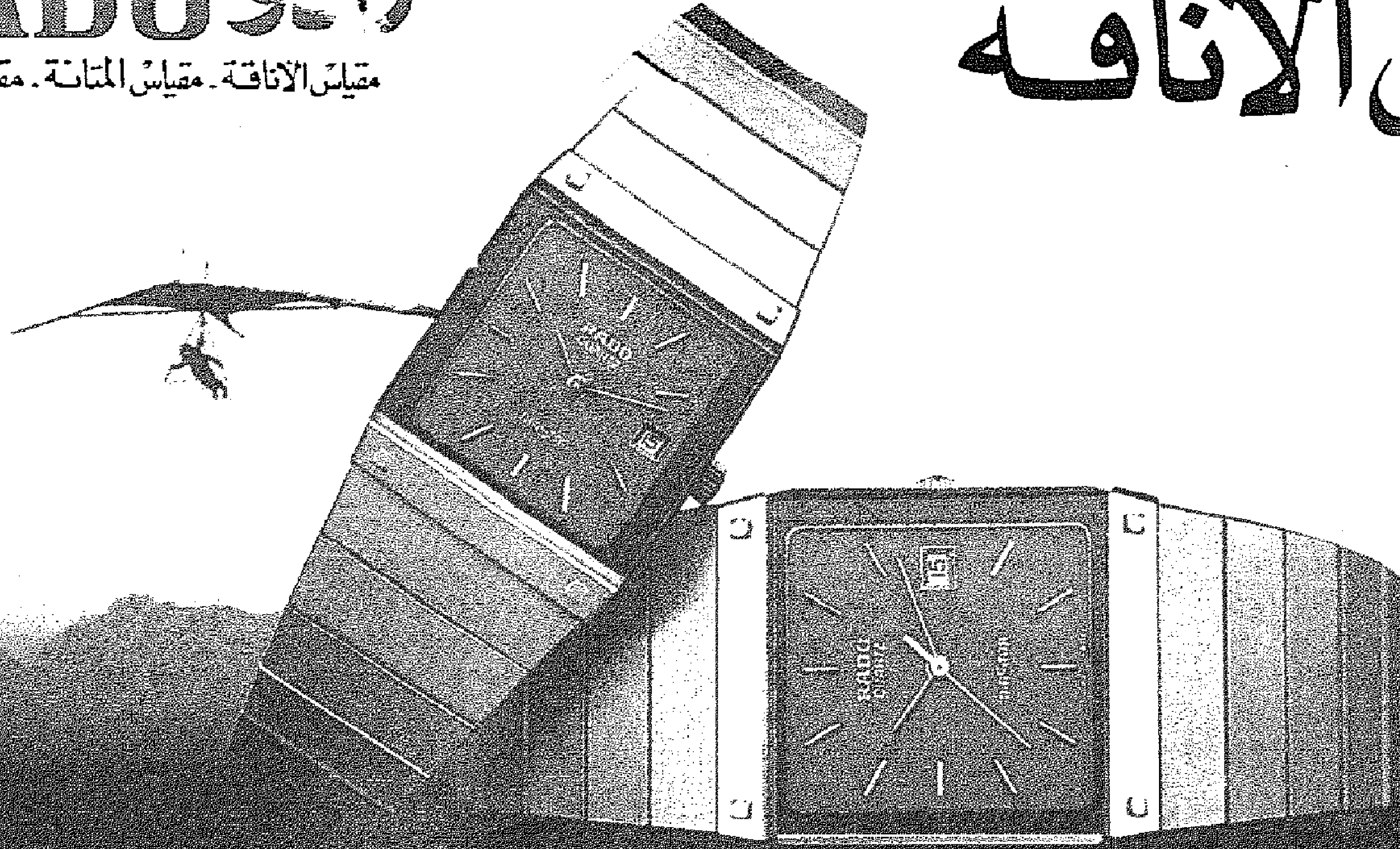
AL MUKHTAR min Reader's Digest July — August 1982 No 44-45

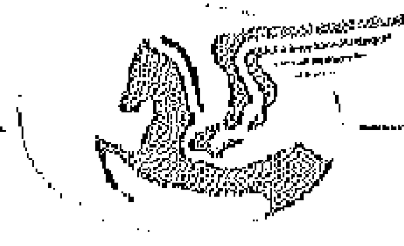
هذا العدد

عندما اخترنا، قبل اشهر، "اطفال الحرب" موضوعاً رئيسياً لعدد يوليو (تموز)، لم نكن نحسب ان الحرب ستكون قريبة جداً، في المكان والزمان! ذلك باننا اعتقدنا على الدوام ان بيروت منذورة للسلام وان اقصى ما يخطر في بال اهلها زلزال في صيف حار يهز مدينتهم من غير ان يوقعها. غير ان "الزلزال" دهمهم وغزا الاسرائيليون لبنان في غُرّة الصيف ووصلوا الى العاصمة حيث نحن و"المختار" وهذا العدد. فانقطع التيار الكهربائي واعلنت الناحية التي تقع فيها المطبعة منطقة عمليات عسكرية. الا اننا استطعنا، بعد جهد كبير، انقاذ اصول العدد ونقلناها الى حيث سنحت لنا فرصة طباعة العدد مؤرخاً يوليو ـ اغسطس (تموز آب).

اننا نعتذر للقارىء الكريم عن هذا التأخر القسري عن موعدنا معه آملين تعويض ما فاته في اعداد مقبلة ان شاء الله.

رئيس التحرير


مقياسُ الأناقــة
RADO رادو
مقياس الاناقة ـ مقياس المتانة ـ مقياس الزمن
RADO
Mod. dép.



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير: ادمون صعب ·

امانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: لولو بعاصيري ·

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست":

رئيس التحرير: ادوار ت· طومسون، مدير التحرير: الان دوليرو، المدير العام: جون ا· اوهارا ·

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس· الناشر: شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية - بيروت· الخدمات الصحافية: شركة النهار ش·ت·م·ل· بيروت· التحرير: شارع روما، بناية هاشم، الطبقة الثانية، ص·ب ٢٢٦ ـ ١١ التلكس (الموقت) ANAHAR 22322 LE بيروت· التلفون ٣٤٠٠٥٦ ـ ٣٤٠٠٤٤ ـ ٣٤٠٠٤٢· الادارة والاعلانات والاشتراكات: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، الطبقة السادسة، ص·ب ١١-٨٧٠٧، التلكس 22288 LE التلفون ٣٤١٥٩٧ ـ ٣٤٥٧٣١

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest, 37 Avenue George V. 75008 Paris, FRANCE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت·

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت·

تنشر "ريدرزدايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية اضافة الى العربية·



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

الغلاف: الصيف على الشاطىء (كوكا روملي)

AL MUKHTAR min Reader's Digest

July — August 1982 № 44-45 (New Series) Vol 4.



اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة·

املأوا شاشتكم بالألوان الحية

"افيلين" ، الفيديو كاسيت الاكثر شعبية في العالم ، يعطيكم فيضاً غنياً من الالوان الطبيعية على شاشتكم التلفزيونية ،

وضوح أكثر في الالوان ، أمانة اكبر في نقل الصورة ، وصور ثابتة نقاوتها مدهشة ...

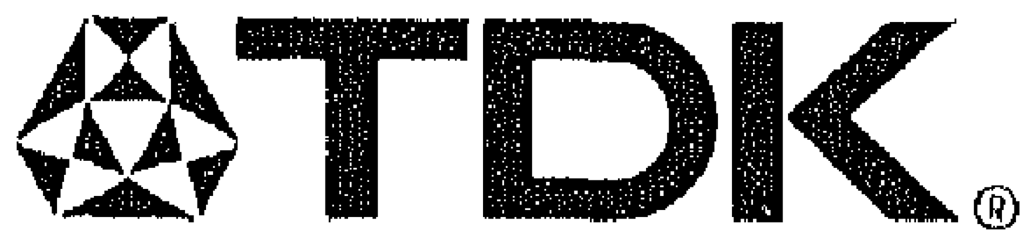
هذه هي ميزات "افيلين" شرائط التسجيل الفريدة التي اخترعتها TDK ، والشريط الاحسن يعطيكم صورة اجود ، لذلك اختاروا الاحسن لجهازكم الفيديو في TDK سوبر "افيلين" ،

TDK سوبر "افيلين" المقياس العالمي في الآلات السمعية البصرية ،

The Future in Sound and Pictures.

TDK®

TDK ELECTRONICS CO., LTD.





اكتب واربح

هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة تتحدث عن تجربة شخصية.

الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.
تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين. على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

المقالات

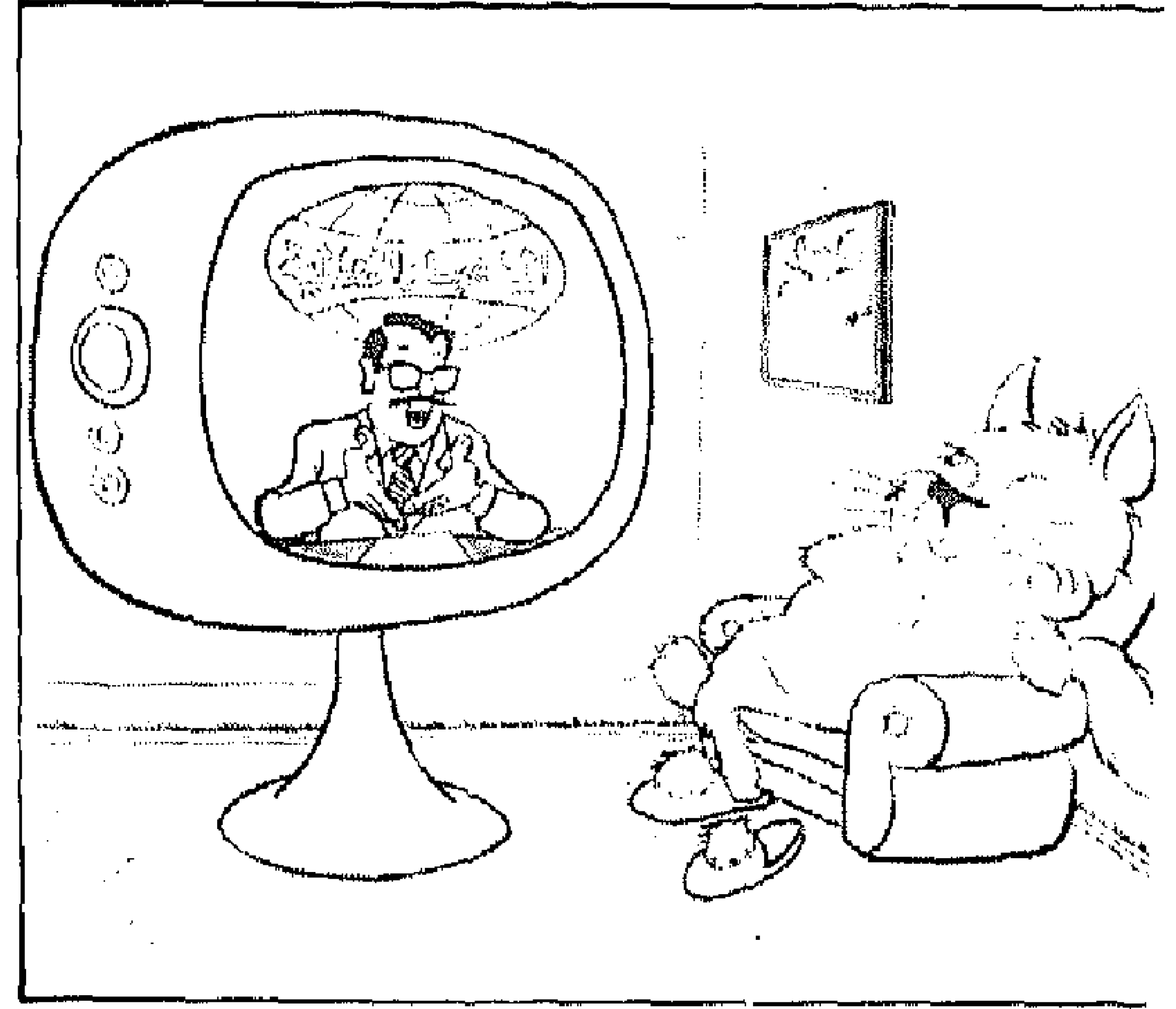
يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.
يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط الشروط الشروط الشروط

● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة، ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية، ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة المختار من ريدرز دايجست ـ شارع المقدسي بناية الشرتوني ـ ص ب: ٨٧٠٧ ـ بيروت ـ لبنان.

حكايات من العالم



تلوث السنديان

توصل باحثان من جامعة العلوم الزراعية في اوبسالا (أسوج) الى اكتشاف مقادير مرتفعة من معدن الرصاص السام في أشجار السنديان الدهرية التي تحتل مساحة كبيرة من حديقة ديورغارتن في استوكهولم، عاصمة أسوج. وتبين ان محتوى الرّصاص في أشجار السنديان ارتفع مع ازدياد حركة السّيْر.

وقد استخرج العالمان عينات من العقَد السنوية لعَشْر أشجار وقاسا كمية الرّصاص بواسطة "سبكترو فوتومتر"، وهو آلة خاصة لقياس نسبة تسرب الضوء. وتبين ان كمية الرصاص، التي بقيت ثابتة خلال القرن الماضي على جزء أو اثنين في المليون وتضاعفت في الخمسينات من القرن الحالي، ارتفعت اليوم الى ما يراوح بين عشرة أجزاء وعشرين جزءاً في المليون، مما يدل على تلوث رهيب. كما تبين ان الاشجار الواقعة على جانبي الطريق أشد تلوّثاً من سواها.

الوكالة الاسوجية العالمية

الرمال المغنية

هل سمعت بالرمال المغنية؟ انها موجودة بين كثبان سيناء في مصر والربع الخالي في شبه الجزيرة العربية، كذلك في صحراء غوبي المنغولية وصحراء اتاكاما في التشيلي. وكلما حركت الريح هذه الكثبان، أحدثت الرمال أصواتاً كالآلات الوترية أو الارغن أو الطبول أو الأجراس. وعلى رغم أن تقلبات الحرارة وحركة الريح تسبب أصواتاً مختلفة في الصحراء، إلا أن العلماء لم يكتشفوا بعد سر الرمال المغنية.

م.غ.

كراهية متبادلة

في مدينة بادن - بادن (المانيا الغربية) رجل يكره السائقين وهم يكرهونه أيضاً. فهو يجلس وراء نافذة غرفته ويحمل منظاراً يكشف به السيارات الموقوفة في أمكنة ممنوعة. وخلال ثماني سنوات، جمعت الشرطة آلاف الماركات الالمانية، التي حصلتها كغرامة من السائقين المخالفين، بفضله.

م.غ.

اسماء برازيلية ممنوعة

منع القانون البرازيلي اطلاق أسماء على المواليد الجدد من شأنها اثارة خجلهم في المستقبل. ومن الاسماء البرازيلية الممنوعة ما معناه: "شمندر الحقول"، و"الخط المتعرج"، و"تزوج يوسف وهو يرتدي سروالا قصيراً".

صحيفة "اسكواير"

السياحة في المجر

ابتكرت السلطات السياحية في بودابست، عاصمة المجر (هنغاريا)، طريقة جديدة لخدمة زوار المدينة الذين لم يتسنّ لهم حجز غرف في فندق: فقد زودت سيارات المطار العمومية وجميع الحافلات التي تنطلق من المطار الى وسط العاصمة بأجهزة راديو تعمل على موجة قصيرة وتمكن السائقين من حجز غرفة في الفنادق بناء على رغبات السياح.

صحيفة "نوفيل اوبسرفاتور"، فرنسا

القضاء على البلاستيك

ابتكر فريق من الكيميائيين في برمنغهام طريقة تؤدي الى تفكك المواد البلاستيكية تلقائياً بعد مرور وقت معين على رميها، بدلا من تراكمها على شواطىء البحر وأماكن التنزه الجميلة.

وسواء أكانت هذه المواد قناني او اكياساً او ورقاً للتغليف فهي ستتحول اولا الى حبيبات تأكلها البكتيريا لاحقاً ثم تختفي نهائياً.

وصرح الاستاذ جيرالد سكوت، رئيس فريق جامعة آستون الكيميائي الذي ابتكر هذه الطريقة، بأن العامل الرئيسي الذي يؤدي الى انحلال المادة البلاستيكية هو مجموعة من الاصباغ المضافة اليها عند صنعها والتي تجعلها تتحلل بفعل الاشعة فوق البنفسجية تحت نور الشمس.

وهناك مجموعات اخرى من الكيميائيين الذين قاموا، في الوقت نفسه، بتجارب في هذا الحقل، ايضاً، وخصوصاً في كندا واسوج.

ويقول علماء برمنغهام ان الاصباغ التي استعملوها تقاوم الاشعة فوق البنفسجية التي تتسرب عبر زجاج النوافذ، يبعد الخطر عن المواد البلاستيكية في البيوت والحوانيت. ولا يحصل التفكك التلقائي الا بعد تعرض هذه المواد وقتاً طويلا طويلا لاشعة الشمس المباشرة.

ويبغي العلماء الان التوصل الى طريقة اكيدة للقضاء على المواد البلاستيكية خلال اشهر الصيف المشمسة الثلاثة. وربما، نجحوا في خفض المدة الى اربعة اسابيع.

ومن اجل حماية اصحاب المحلات وربات البيوت من خطر تفكك الاوعية التي تحوي مواد تنظيف مصنوعة من الاسيد المحرق ونحوه، تقضي طريقة علماء برمنغهام بوضع تحذير على غلاف القنينة، ينبه المعنيين بالامر الى ان زوال لون الصباغ ايذان بالتآكل.

ج.ل.، صحيفة "الاوبزيرفر"، لندن

بلاد الجمعيات

اذا لم يكن المواطن النيوزيلندي في العمل أو المدرسة، فالراجح أنه يكون في أحد النوادي الرياضية أو الجمعيات. وفي مدينة بالمرستون نورث، البالغ عدد سكانها ٦٥ ألفاً، هناك ٨٠ نادياً رياضياً و٥٥٠ جمعية اخرى. ومن هذه جمعية النباتيين وجمعية التوائم واتحاد العقلانيين ونادي تجار الملاعق.

ويقول الكاتب النيوزيلندي غوردون ماكلوكلان: "الاجتماعات المنظمة من مقدسات مجتمعنا. وحضور هذه الاجتماعات يشرف المواطن النيوزيلندي".

ب.ن.

على دين ملوكهم

خلال القرون الثلاثة الاخيرة، كانت نصف الاسماء الانكليزية هي الاتية: اليزابيت، ماري آن، جون، وليم، توماس.

ب.س.

العملة التي يحملها كل رحالة خبير

المسافرون الخبيرون الذين يجوبون العالم هم أدرى من ان يحملوا عملة عادية. انهم يفضلون عملة عالمية: شيكات بنك اميريكا السياحية. فهذه الشيكات قابلة للصرف في اكثر من ١٦٠ بلدا وللاسترداد في اكثر من ٤٠,٠٠٠ مكان حول العالم. وهي الآن متوفرة بعملات العالم الرئيسية: الدولار الامريكي، المارك الالماني، الجنيه الاسترليني. وشيكات بنك اميريكا السياحية تدعمها مؤسسة بنك اميريكا كوربوريشين التي تبلغ اصولها اكثر من ١٠٠ بليون دولار امريكي. فلاعجب اذن أن المسافرين الذين يعرفون طريقهم يحملون شيكات بنك اميريكا السياحية حيثما ذهبوا.

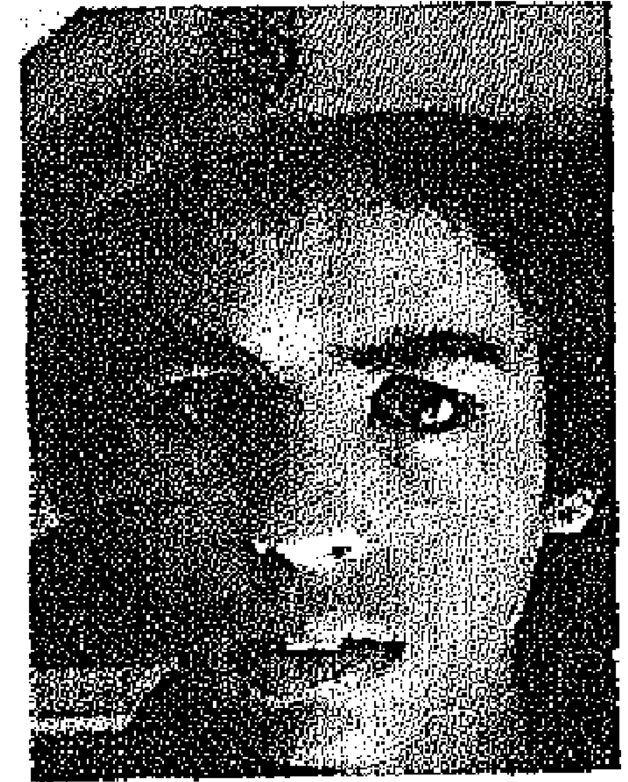
BankAmerica Travelers Cheques. World Money.*

BA CHEQUE CORPORATION 
A BANKAMERICA COMPANY


يوليو ـ اغسطس ١٩٨٢
المختار
السنة الرابعة (سلسلة جديدة)
اطفال الحرب

اطفال لبنان وفلسطين وايرلندا الشمالية وكمبوديا وفيتنام تعرضوا للجوع والتعذيب واليتم. لكن قليلين منهم يحملون الحقد في قلوبهم، كأنما عذابهم ولد فيهم رأفة ونبلا وعزماً على تحقيق السلام العادل في العالم

اطفال الحرب


Eddie Adams / (c) Time Magazine

أحمد (لبنان): لا يموت المرء إلا مرة واحدة

احمد هو قائد مجموعة من الاشبال في المقاومة الفلسطينية وعضو في الحركة الكشفية. انه في الخامسة عشرة من العمر وقد مثل منظمة التحرير في لقاءات نظمت في قبرص ومصر وألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا وكوبا والاتحاد السوفييتي. والمجموعة التي ينتمي اليها احمد تدرب الاولاد من السن الثامنة الى السادسة عشرة على حرب العصابات، فيتخرجون مقاتلين فدائيين مؤهلين.

كان احمد جالساً على طرف مقعد في مكتب الاعلام التابع لمنظمة التحرير في شارع وفيق الطيبي في بيروت. في اليوم السابق كاد ذلك الشارع ان يزول بانفجار عبوة ناسفة زنتها نحو مئة كيلوغرام من الـ"ت.ن.ت." ادت الى مقتل ٨٣ شخصاً وجرح مئتين.

قال احمد: "عام ١٩٧٠، حين كنت طفلا، بدأت الحرب وشردت عائلتنا. أقمنا اياماً في مدرسة ثم انتقلنا الى مسكن آخر. كل مكان اقمنا فيه كان عرضة للخطر، وبدا ان ليس ثمة مكان آمن".

ومع ذلك فاحمد ليس خائفاً لأنه يدرك "ان المرء لا يموت الا مرة واحدة".

يطمح احمد الى دراسة الطب في يوم من الايام، "لأن ابناء شعبي يحتاجون الى اطباء".

- ولكن هل سيمكنك ان تلتزم اتجاهاتك السياسية وتدرس الطب في الوقت نفسه؟

"اولى واجبات الطبيب الا يكون سياسياً".

- هب انك طبيب تقاتل في فلسطين، وجاءك جريح اسرائيلي يطلب المساعدة. فهل ان الفدائي فيك سيغلب أم الطبيب؟"

لم يتردد احمد في الجواب: "الطبيب".

- ما أجمل ما رأيته في حياتك؟"

"المقاتلون الفلسطينيون، لانهم يدافعون عن شعبنا".

اما اوجع ما رآه احمد فهم الاولاد اليتامى. بعد غارة جوية اسرائيلية في صيف ١٩٨١ عثر على ثلاثة اطفال هائمين في الشوارع وهم في ذهول ورعب. اخذهم احمد الى بيته حيث ابقاهم الى ان وجد لهم مأوى. احمد يشعر كأن سنه تزيد على الخامسة عشرة، "لأني اقوم بمهمة اكبر مني".

سألته اذا كان يؤمن بالله. فاجاب بـ"نعم" مفعمة بالرهبة.

- هل يتزعزع ايمانك حين تشاهد مناظر التدمير؟

"كلا، فلا صلة بين الله ومن يقوم بهذه الاعمال".

- وكيف ترى المستقبل؟

"لا أظن الحرب ستستمر الى الابد. انها ستنتهي ذات يوم، وانا اعمل لذلك".

درورو (اسرائيل): ما الفائدة من الانتقام؟



Eddie Adams / Time Magazine

درور ونمرود صديقان في العاشرة من العمر يقطنان في مستوطنة المنارة شمال اسرائيل. في العام ١٩٧٨ قتل ابواهما بقذيفة "كاتيوشا" اذ تجاوزا حائطاً داخل المستوطنة. شعر درور ونمرود بالارتجاجات داخل الملجأ، وكلاهما يقلد اليوم صوت الكاتيوشا الهابطة.

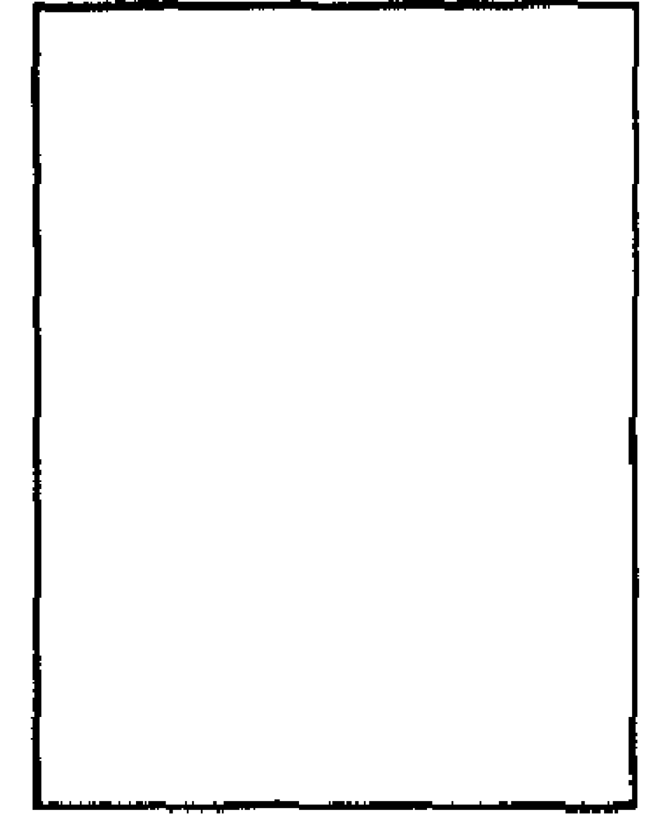
يضع درور نظارات طبية وتبدو عليه سيماء الاستاذ البحاثة، بينما لنمرود وجه حالم. غرفتهما واسعة تغمرها أشعة الشمس، وهي مضحكة ككل غرف الاولاد. على الجدار صور هرين صغيرين وغزال و"بوباي" و"اوليف اويل" بطلي الرسوم المتحركة وطائرة نفاثة

اسرائيلية. رسم الولدان بعض الصور. نمرود رسم خيمة للهنود الحمر. لماذا؟ "لاني بعد اليهود أحب هؤلاء القوم اكثر من جميع الناس. اولا، لأن الرجال البيض جاؤوا واضطهدوهم وهم لا يستحقون ذلك. ثانيا، لأنهم شجعان".

سألت نمرود اذا كان تعاطفه يشمل جميع المضطهدين في الارض، فاجاب: "نعم، اذا كانوا ابرياء ولم يكونوا ضدنا". وسألته عن الفلسطينيين، فأجاب انه لا يمكنه ان يجزم اي الجانبين على حق، لكن القتال يشغل باله.

قال: "في الصيف الماضي عرض التلفزيون الدمار الذي أحدثناه عندما قصفت طائراتنا لبنان. جميع الاولاد، وانا بينهم، قفزوا عالياً وهتفوا ابتهاجاً. لكني بعد ذلك تساءلت: ما جدوى هذا الانتقام؟"

قبل وقت قريب بدأ درور يكتب قصائد معظمها عن الموت، ونمرود يكتب قصائد عن الوحشة ويحفظها في درج سري. مرة كتب قصيدة متخيلا ان الجميع تخلوا عنه. فهل كان الصبيان يكتبان مثل هذه القصائد لو لم تكن بلادهما في حال حرب؟ ربما. ولكن يبدو ان شعورهما بالخطر المحدق هو الذي ولد هذه القصائد. وعلى رغم الجو البهيج في المستوطنة وأشعة الشمس التي تغمرها، فان اشباح حقيقة مخيفة ما زالت تراود الصبيين. وما فتئا يتساءلان متى ستسقط قذيفة كاتيوشا اخرى.



هانية ونبيل (الضفة): نشعر بالحرية في صميمنا

الاولاد الفلسطينيون في الاراضي المحتلة أقل تعرضاً للقصف من اترابهم الاسرائيليين في الشمال. لكنهم يتعرضون لقصف من الداخل. تصادر كتبهم وتقيد حريتهم في التنقل. تسأل هانية: "كيف ساقك؟" فتجيب: "جيدة". ثم تريك ندوباً تحت الركبة من اثر جراحتين. والساق تتماثل للشفاء لكن الفتاة ستحتاج الى جراحة ثالثة لتقويم الساق. انها الآن تعرج قليلا.

هانية في الخامسة عشرة، سوداء الشعر، تتقلب مشاعرها بين المحبة والنقمة. انها أصيبت برصاص جندي اسرائيلي خلال تظاهرة في رام الله حيث تتعلم في مدرسة خاصة. تقول: "خفت كثيراً في

البداية وخشيت أن يضطر الاطباء الى بتر ساقي. لكنهم جزموا بان لا ضرورة لذلك. حينئذ تملكني الغضب وصممت على الانتقام. ومع ذلك فلن اطلق النار على احد. لا يمكنني ان افعل ذلك. ولو كان معي سلاح ساعة اصابتي لما امكنني ذلك ايضاً".

زميلها نبيل متمدد على الارض تحت نافذة مكتب مدير المدرسة. انه لاعب بارع في كرة المضرب، ووجهه ينم عن البراءة واليقظة في سيماء من يتعشق المنافسة. سألته اذا كان يشعر بأن حياته سُلبت بعض حرياتها الاساسية، فرد على الفور بالايجاب. وسألته كيف تسنى له ان يقدر ذلك ما دام لم يتح له ان يمارس اي حرية، فقال: "انك تشعر بالحرية في صميمك".

هو لا يشعر ان كل اليهود اعداؤه، بل الصهيونيون منهم. وتثور مشاعره غير أنه يبقى ملتزماً التهذيب. "يعلموننا ان نمقت الاحتلال، لكن هذا العلم لا يأتينا فقط من آبائنا فنحن نشاهده بعيوننا. وعندما تقع الاحداث عليك انت فلن تحتاج الى من يلقنك أياها".

ـ وماذا ستلقن اولادك عندما يصبح لك اولاد؟

وعندما طرحت على هانية السؤال نفسه اجابت: "لا اريد ان يكون لي اولاد. أنا اخشى ان اجلب اولاداً الى هذا العالم".

الفلسطينيون البالغون الذين يلقنون اولادهم المحبة تحت وطأة هذه الظروف يجدون صعوبة في موازنة عظاتهم. فابن احد اساتذة العلوم السياسية، وعمره ٣ سنوات، شاهد التظاهرة التي اصيبت فيها هانية، وهو الآن لا يريد سوى ان يصبح مقاتلا ويمضي ساعات كل يوم مؤدياً التحية للعلم الفلسطيني. وتقول سميحة خليل، مديرة مدرسة في البيرة: "من العسير أن نعلمهم كيف يدافعون عن حقوقهم من غير ان نزرع الضغينة في قلوبهم".


Bill Pierce, (c) Time Magazine

بول روي (ايرلندا):
لا شيء يستحق الموت من أجله

اذا كنت تسعى الى معرفة ظروف مقتل فرانك روي، فان ابنه بول (١٣ سنة) لن يفيدك. كان الصبي في السابعة من عمره آنذاك، ومع ذلك فما ان يصل في روايته الى حيث يقول: "وركض ابي الى البيت

القريب" حتى يجهش بالبكاء ويتوقف عن الكلام. ان له عينين زرقاوين صافيتين كمعظم اولاد بلفاست وشعراً كستنائياً مفروقاً في الوسط.

سألته: "ما هو شعورك الآن بعد مقتل ابيك؟"

فاجاب عنه صديقه جوزف ذو الثلاث عشرة سنة: "الانتقام، ذلك ما تريده. أليس كذلك يا بول؟" وصمت بول برهة ثم هز رأسه وقال بصوت خفيض: "نعم، الانتقام". ولكن في ما بعد، عندما ابتعد جوزف، عاد بول الى اصالته. وسألته: "الانتقام؟ هل ذاك ما تريده حقاً؟" فبدت عليه الحيرة ثم قال: "كلا، ليس مهماً ان نعرف من ارتكب الجريمة، فليس ثمة شيء يستحق ان يقتل انسان من اجله".

في ضوء الاخبار، يبدو ان بول حال شاذة في مدينة اصبحت تشتهر بنزوع اولادها الى العنف. غير ان الواقع هو نقيض ذلك. فمن المؤكد ان ثمة اولاداً ينزعون الى العنف في بلفاست، لكنهم أقلية لا يعتد بها.

معظم اولاد بلفاست، من كاثوليك وبروتستانت على السواء، هم على غرار بول لا يحملون حقداً في قلوبهم، بل انهم على جانب كبير من الرقة والدماثة.

فتاة كاثوليكية عبرت عن اعمق الاسى ازاء الارملة الحامل التي قتل زوجها الشرطي البروتستانتي: "هذا الجنين لن يعرف أباه قط". ويعبر الاطفال البروتستانت عن مشاعر مماثلة.


Matthew Naythons · Gamma · Liaison

كيم سنغ (كمبوديا): يجب أن أفيد من حياتي

كان كيم سنغ محظوظاً لبقائه حياً حين لجأ الى تايلاند قبل سنتين. كان جنود الخمير الحمر قتلوا والده الطبيب. وهو شاهد اباه ينقل في طائرة مروحية، وظل مدة طويلة في مخيم اللاجئين في خاو آي دانغ لا يرسم سوى الطائرات المروحية. وبعد ذلك رأى امه تموت جوعاً.

كان في الثامنة من عمره حينئذ وهو في احدى فرق العمل التي نظمها الخمير الحمر للاولاد من اجل "تثقيفهم وتأمين راحتهم". في الليلة السابقة لوفاة أمه التقاها في قرية مجاورة. امكست بيده وقالت له: "تذكر يا بني دم امك وابيك. انه يدعوك الى الانتقام".

في الصباح دفنت امه في جوار قبر ابيه. وركع كيم سنغ واخذ حفنة تراب من كل قبر وخلطهما ثم تضرع الى روح والديه لكي ترعاه.

ـ هل تشعر بروح والديك في داخلك الآن.

"نعم، انها تخاطبني. انها تهيب بي ان اسعى الى المعرفة واحصل على عمل. أريد ان اصبح طياراً".

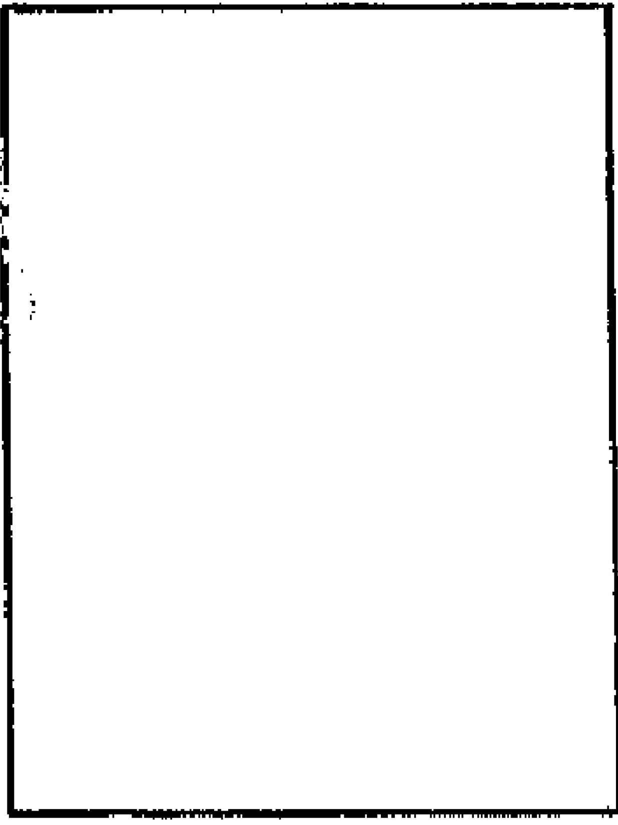
ـ اما زالت الروح تدعوك الى الانتقام؟

"نعم".

ـ اذاً، هل ستعود الى كمبوديا يوماً لتقاتل الخمير الحمر؟

"كلا، ليس هذا ما أعنيه بالانتقام. بالنسبة الي الانتقام هو ان أفيد من الحياة الى اقصى الحدود".

علم كيم حديثاً ان شقيقه الاكبر في فرنسا. لذلك فهو يدرس بجد على امل ان يلتحق به. انه يؤمن بان المعرفة تكسب الناس الفضيلة.



فام (فيتنام): أنا لا أقتل حتى أعيش

شعر فام القصير الخشن يبدو كفراء هر. وجهه خال من اي تعبير، وعيناه في عمقهما وعاءان لما شاهدتاه من مآس. وما شاهدتاه يجعل فام شخصاً مميزاً في مخيم اللاجئين في هونغ كونغ.

كان وحده يصطاد السمك ذات صباح عندما رأى قارباً يقلع من هايفونغ فقفز اليه. لم يودع شقيقاته واصهاره الذين لم يبقَ له اقرباء سواهم. ماتت امه عام ١٩٧٦ ولحقها ابوه بعد سنتين.والداه كانا صيادين، وهو يألف القوارب جيداً. القارب الذي ركبه طوله ١٢ متراً، وقد بقي ركابه ٥٢ يوماً في عرض البحر. كان معهم ٢٠ كيلوغراماً من الرز و٤٠ ليتر ماء. وعندما نفدت لجأوا الى شباك الصيد، وهنا بدأت المتاعب. يقول فام: "استغفل بعض الرجال رفاقهم واخذوا يأكلون الصيد. فتشاجروا مع ربان القارب و"سقط" اربعة منهم في البحر وبقينا سبعة".

ـ ولماذا ضربت على رأسك؟

"أراد الربان ان يأكلني".

ـ كيف عرفت ذلك؟

"أمر الربان شاباً اعرفه بأن يأخذ مطرقة ويضربني على رأسي لكي يأكلا لحمي. الشاب هو الذي اخبرني بذلك".

ـ كيف حاولا قتلك؟

"وضعا قميصاً على رأسي وضرباني بشيء صلب. لكني بقيت صاحياً وسمعت الربان يأمر رجلا آخر بذبحي. عندئذ نزعوا القميص عن رأسي فوجدوني صاحياً والدموع تنهمر من عيني. لم اعرف بماذا كانوا يفكرون، لكن احدهم سألني: فام، هل تريد ان تحيا؟ فقلت: نعم. وهكذا فكوا وثاقي وادخلوني الى القمرة في القارب".

ـ بماذا شعرت عندما تحققت من انهم سيدعونك تعيش؟

"فكرت في أني سأموت على اي حال لأن الشاب الذي ضربني بالمطرقة مات في اليوم التالي. وعندما اكتشفت الجثة سحبها الربان الى الخارج ثم قطعها..."

قيل للصبي ان يأكل لكي يستمد قوة، ففعل. لكنه كان يفكر في ما سيحدث له حين ينفد اللحم من القارب، وصمم على القفز الى الماء.

استناداً الى افادة فام في التحقيق، دين ربان القارب وحكمت عليه سلطات هونغ كونغ بالسجن. لكن فام لا يحمل له اي ضغينة باستثناء استنكار عمله. وهو يلاحظ ان الجوع ربما دفع ذلك الرجل الى التصرف على نحو غير طبيعي.

ـ وهل تقتل انساناً لتؤمن بقاءك حياً؟

"كلا، اننا نذهب معاً في قارب واحد. قد نموت جميعاً، لكني لا اقتل لكي اعيش".

ما هو مستقبل فام؟

انه لا يعرف. عندما كان في موطنه بين شقيقاته واصهاره كان يراقبهم وهم يصلحون محركات القوارب، ولذا فهو يحسب انه يستحسن امتهان ذلك العمل يوماً. لكنه يفكر لحظة ثم يضيف ان محركات السيارات ستكون افضل: "نعم، قد اعمل كمتدرب في كاراج صغير".

يقول فام انه اذا قدر له ان ينجب اولاداً فسوف يعلمهم ان يكونوا مجتهدين ويحبوا بعضهم بعضاً ويكونوا لطفاء ومتفهمين.

■ روجر روزنبلات

اطفال الحرب

العجز الجنسي نفسي أم جسدي؟

حتى وقت قريب اعتقد الاطباء ان العجز الجنسي يعود الى اسباب نفسية. لكن الدلائل الطبية الحديثة تشير الى ان نسبة كبيرة من حالات العجز تعود الى اسباب جسدية

قليلة هي الاشياء التي تقلق الرجل اكثر من العجز الجنسي. رجال كثيرون يعانون هذه المشكلة باستمرار، والحقيقة ان عدد الذين لم يقاسوها بين وقت وآخر قليل جداً. انها المشكلة التي لا يفصح عنها الرجل.

حتى وقت قريب ظل الاعتقاد السائد طبياً ان ٩٠ الى ٩٥ في المئة من حالات العجز الجنسي تعود الى اسباب نفسية. والرجل الذي يعترف لطبيبه بانه عاجز جنسياً(١) كان دائماً يجبه بالجواب الآتي: "انها حال وهمية. عد الى بيتك وانسَ الأمر".

لكن امراً اكيداً لا يقدر عليه الرجل العاجز جنسياً هو تناسي العجز. وهناك حكمة تقول: "يحدث القلق عندما تشعر للمرة الاولى انك عاجز عن تكرار عمل قمت به سابقاً. اما الهلع فيصيبك عندما تعجز ثانية عما عجزت عنه في المرة الاولى".

ان اطباء عديدين ما زالوا يعتقدون ان العجز الجنسي نفسي الاصل في ٩٠ في المئة من الحالات. لكن اولئك هم الذين لم يتابعوا الدراسات والابحاث. فالدلائل الحديثة تشير الى ان ٣٠ الى ٥٠ في المئة من حالات العجز الجنسي ناتجة من اختلال جسدي، وان هذه الحالات لن تشفى بالعلاج النفسي.

ينتصب العضو الجنسي لدى الذكر عندما يحتقن بالدم الفائض. فعند الاثارة يتدفق الدم الى القضيب عبر شرايين الحوض ويخف خروجه عبر الاوردة.

واذا نحن ادركنا العوامل الكثيرة

(١) يحدد العجز الجنسي عموماً على انه تعذر بلوغ حال الانتصاب المطلوبة للمجامعة.

التي تعمل مجتمعة لتحقيق الانتصاب، لعجبنا من عدم اصابة الرجال بالعجز الجنسي وليس من اصابتهم به.

اسباب جسدية ـ يضبط تدفق الدم الى القضيب ومنه بواسطة جهاز عصبي فعال يشمل الدماغ والحبل الشوكي والاعصاب اللاارادية. كما ان الهايبوتلاموس(٢) والغدة النخامية في الدماغ والخصيتين والغدة الدرقية والغدتين الكظريتين، كلها تعمل بالتنسيق مع الجهاز العصبي بحيث يؤثر افراز اي منها في البقية. فاذا عجزت الخصيتان عن افراز هرمون التستوستيرون، مثلا، تعطلت سلسلة التفاعلات بين الدماغ والقضيب مما يؤدي غالباً الى العجز عن الانتصاب.

ومن السهل فهم سبب العجز الجنسي في بعض الحالات. فالكساحة(٣) والجراحة المطولة في الحوض قد تعطل الاعصاب. وغالباً ما يصاب الرجال الذين يعانون السكري بمرض عصبي يؤثر في الاعصاب الخاصة بالاوعية الدموية في العضو الجنسي. والمعلوم ان نصف الرجال الذين يعانون السكري يصابون بعجز جنسي عضوي في احدى مراحل حياتهم.

كذلك فان العقاقير قد تسبب العجز. فمعظم الادوية المستعملة لمعالجة ارتفاع ضغط الدم تسبب العجز لدى بعض الرجال، كما ان من الصعب معالجة ارتفاع الضغط بواسطة العقاقير من دون التسبب في عجز جنسي. اما في حال الامراض الاخرى فيمكن استخدام عقاقير اخرى لا تسبب العجز.

الخطوة الاولى التي يجب ان يخطوها من يعاني عجزاً جنسياً هي زيارة الطبيب. وينصح هنا بزيارة طبيب العائلة او اي طبيب ماهر للامراض الداخلية. ابتعد ـ في بادىء الامر على الاقل ـ عن المختصين بالمشاكل الجنسية او الجهاز البولي او الغدد، فهؤلاء ينزعون الى تشخيص المشكلة حسبما توحي اختصاصاتهم.

يراجع الطبيب سجل المصاب ويجري له فحصاً دقيقاً. وهو يركز على التاريخ الجنسي للمريض محاولا تقرير ما اذا كان يعاني حقاً عجزاً جنسياً، جزئياً او كلياً. ومن ثم يطلب منه اجراء فحوص دم عدة للتأكد من ان الغدتين النخامية والدرقية والخصيتين تعمل على نحو طبيعي.

متى عرف السبب... ـ في اشراف الدكتور ريتشارد سبارك، تولت مجموعة من الاطباء في مستشفى بوسطن وكلية هارفرد الطبية في كامبردج (ولايةمساتشوستس) فحص مستوى التستوستيرون لدى ١٠٥ رجال يشكون من العجز الجنسي. فكانت نتيجة التشخيص ان ٣٧ منهم يعانون خللا في محور الهايبوتلاموس ـ الغدة النخامية ـ الاعضاء التناسلية. وبعد تحديد السبب بوشرت المعالجة الطبية. وخلال مدة قصيرة شفي ٣٣ من اصل الـ٣٧.

كان معظم هؤلاء أخبروا سابقاً ان سبب عجزهم هو التقدم في السن او القلق او الكآبة. وقد خضع العديد منهم للمعالجة النفسية طوال سنوات

(٢) ما تحت السرير البصري.
(٣) شلل يصيب النصف السفلي من الجسم.

من دون جدوى فما كانوا يحتاجون اليه حقاً هو الدواء المناسب.

يتضمن فحص طبي آخر كشف دورة الدم في عضو الذكر. فاذا كان ثمة خلل في تدفق الدم، اخذ في الاعتبار امكان اخذ صورة ملونة لعروق الحوض. تحقن شرايين القضيب بمادة ملونة ثم تصور تحت الاشعة السينية التي تبين اي انسداد.

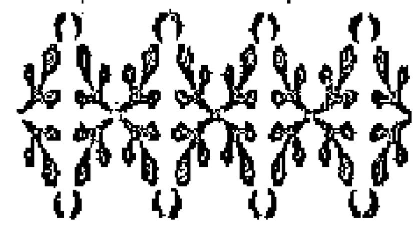
ويمكن اجراء جراحة لتحسين جريان الدم. وتتضمن هذه الجراحة وصل احد شرايين غلاف البطن بعضو الذكر. لكن معظم الجراحين الذين يجرون هذه الجراحة يبلغون عن نسبة نجاح قليلة لا تتعدى الـ٥٠ في المئة.

الفحوص الاخيرة التي تساعد في التمييز بين مسببات العجز الجنسي (نفسية ام عضوية) تكون عادةاختبار الانتفاخ الليلي للقضيب للتأكد من امكان الانتصاب خلال النوم. ويحدث الانتصاب لدى الصبيان البالغين ست مرات ليلياً ولدى الشبان اربع مرات، وما بين ثلاث مرات او اربع في ما تبقى من العمر. وفي السن الخامسة والستين تبلغ مدة الانتصاب الليلية نحو ساعة ونصف ساعة لدى الرجل الذي يتمتع بصحة جيدة.

واذا جاءت نتيجة جميع هذه الفحوص طبيعية، بما فيها اختبار الانتفاخ، فذلك يعني ان العجز الجنسي نفسي الجذور وفي هذه الحال يكون الرجل في حاجة الى الارشاد الجنسي. بيد ان مجرد معرفة الرجل انه قادر على الوصول الى انتصاب طبيعي قد تكون خطوة كبيرة على طريق الشفاء.

قد يقصر الرجل عن تحقيق الانتصاب بين حين وآخر، وعليه ان يتقبل ذلك برباطة جأش. فهذا التقصير هو اكثر شيوعاً من الزكام ولكن اذا استمر العجز توجبت مراجعة الطبيب. وفي امكان الطبيب الماهر تشخيص الحال لدى كل مرضاه تقريباً وتأمين معالجتهم بالطرق النفسانية او بواسطة العقاقير او الجراحة.

■ وليم نولن



تنبل تحت شجرة

كان رجل يستريح تحت شجرة عندما ناداه صديق: "لماذا أنت متبطل هكذا؟ ألا يمكنك أن تقطع الحطب؟"

ـ ولأي غاية أفعل هذا؟

"لغاية بيعها! فهذا يدر عليك المال لتشتري حماراً تحمل عليه الحطب وتبيعه من بيت الى بيت. وبعد أن يصبح لك مال أكثر، تبتاع لنفسك شاحنة. وسرعان ما تمتلك قافلة من الشاحنات وتصير ملكاً عليها".

ـ ولأي غاية أفعل هذا؟

"لكي تغدو صاحب ملايين، وبعد ذلك تستريح بهدوء".

ـ وما تظنني أفعل الآن؟

ن.ل.

مأساة واقعية



بعد انقضاء اشهر على عمله البطولي انفك الناس يتساءلون: "ما الذي جعل كلباً يفعل ما فعله كينغ ؟"

ان منطقة "غرانيت فولز" في ولاية واشنطن الامريكية هي مجموعة من المزارع المتصلة التي تحدها غابات التنوب والشوكران غرباً عند منحدرات جبال الكاسكاد. وهي ظلت، لسنوات، الارض التي يلقي فيها سكان المنطقة المجاورة

حيواناتهم الاليفة التي أصابها المرض أو الهرم. وتقول فيرن كارلسون: "يظن أهالي المدينة أننا، نحن المزارعين، يمكننا في أي وقت اضافة هر أو كلب آخر الى الحيوانات التي نقتنيها". وتعيش فيرن مع زوجها هوارد وابنتهما بيرل ذات السبعة عشر عاماً في احدى المزارع في طرف المدينة الشرقي. وتضيف أن سكان المدينة على صواب أحياناً في ما يذهبون اليه.

والقصة التي يرويها آل كارلسون تبدأ ليلة عيد الميلاد للعام ١٩٧٥. وقد كانت العائلة كبيرة لدى استيطانها غرانيت فولز عام ١٩٧٢، وتتألف من الام والاب وستة أولاد يعيشون كلهم داخل المنزل. فهم اعتادوا قضاء ليلة الميلاد عند شقيقة هوارد التي كانت تقطن منزلا مجاوراً. وعلى غير عادة رجع آل كارلسون في تلك الليلة الى بيتهم قبيل منتصف الليل. وكانت الريح تعصف والمطر ينهال على ناحية الجبل. وهرع هوارد الى منزله المؤلف من طبقة واحدة ليرى كلباً كبيراً أمام الباب. وكان الكلب مبللا حتى جلده، وخاصرتاه الضامرتان تعلوان وتهبطان وهو يئن ألماً. وتفحص هوارد طوقه فوجد أنه تلقى لقاحاً ضد داء الكلب. لكن اللوحة المعدنية التي تحمل اسم المالك وعنوانه انتزعت من مكانها.

وبمساعدة فيرن اكتشف هوارد أن رصاصة قشرت الفروة عن رأس ذلك الكلب المسكين حيث كان الدم يسيل مدراراً. ونظر الزوجان أحدهما الى الآخر وهما لا يصدقان أن أحداً تسول له نفسه رمي كلب في الخلاء ليلة عيد الميلاد ثم اطلاق رصاصة عليه وتركه.

في العام السابق مات كلب لدى آل كارلسون، وهو كلب حراسة الماني كان له من العمر ١٥ عاماً. وحزن عليه الاولاد كثيراً. وتقديراً منها أن الكلب الذي لاذ بالمزرعة الآن لا نصيب له في الحياة، همست فيرن في اذن زوجها: "اني لا اريد أن يعاني أولادنا هذا العذاب مرة اخرى". الا أن هوارد المنحني فوق الكلب نظر الى زوجته، فقالت: "حسناً سنبقيه لدينا ما دمنا نطببه. وبعد ذلك نجد له مأوى". وحملا ذلك الكلب المنبوذ الى الداخل ونظفا جرحه.

ملك المزرعة – أخذ الكلب يبل ويستعيد مرحه. ونما صدره وكتفاه، وانطوت عيناه البنيتان على بريق من الفطنة والفضول. وبدا أنه خليط من كلب حراسة الماني وكلب اسكيمو، مع بنية الأول ولون الآخر الذي يجمع بين الرمادي والاسود. واعتاد حياة الريف، وراح يعدو في أرجاء المزرعة مبقيا أنظاره على رؤوس البقر وفراخ الدجاج والبط كما لو كان مولجاً حراستها.

وبعد اسبوعين سأل هوارد زوجته: "متى تريدين أن أتخلص من الكلب؟" ومرت دقيقة صمت انفجر الاثنان بعدها بالضحك. ثم قالت فيرن: "نتخلص منه؟ لقد أطلقت عليه اسم "كينغ" لأنه أقام نفسه ملكاً على المزرعة".

وقادت فيرن السيارة ذات عصر في المزرعة، فسمعت كينغ يعوي. وبعد ذلك شاهدته يثب على غريب ويطوقه عند الجدار. ولما شاهد الغريب المرأة صاح بها راجياً: "أبعدي كلبك عني". وأمسكت فيرن طوق الكلب ووقفت

تستجوب الرجل. وانتابها الشك في أمره حين ادعى أنه ينتمي الى وكالة حكومية. وكان منزل مجاور تعرض لسرقة قبل أيام. وما أن غادر الغريب حتى اتصلت فيرن بالوكالة المذكورة التي أكدت لها أنها لم ترسل أحداً الى المزرعة. وتقول فيرن: "منذ البداية أحس كينغ أنه يملك المكان".

وعلى مر الفصول ترك الاولاد البيت واحداً بعد آخر، اما للالتحاق بالجامعة واما للزواج. ولم يبقَ مع هوارد وفيرن سوى بيرل. وازدهرت المزرعة في رعاية كينغ. وكان في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠ أن أصيب هوارد بمرض رئوي أدخل على أثره المستشفى ليغادره قبل ثلاثة أيام من عيد الميلاد. وأصر، مع الضعف الذي ما زال يعانيه، على أن يتحلق الاولاد والاحفاد حوله في المزرعة لتناول غداء الميلاد التقليدي، وهو الدجاج الرومي. وانضم كينغ الى المحتفلين مبتهجاً بما أصابه من طعام شهي. وفي تلك الليلة، بعد مرور خمس سنوات و٢٤ ساعة على وصوله الى المزرعة شبه ميت، قدر لذلك الهجين الشارد أن يرد الدين الى آل كارلسون.

ألسنة اللهب ـ لا أحد يدري كيف اندلعت النار. وكانت فيرن ذلك المساء لقيت صعوبة في اشعال الفرن الكهربائي، وانقطع التيار الكهربائي في المنزل غير مرة يومذاك، وربما بدأ الحريق هناك. وفي الثالثة والنصف فجراً امتدت ألسنة اللهيب في المطبخ وماجت في سقفه تحت السطح.

وكانت بيرل نائمة عندما ركض كينغ الى غرفتها وانتزع الغطاء عنها وعضها من قميص النوم. وهي حاولت مقاومته أولا، لكنه ما لبث أن أمسك بذراعها وجرها برفق من السرير. وما أن نهضت الفتاة على قدميها حتى كاد الدخان الكثيف أن يخنقها. وركضت في الرواق نحو غرفة نوم والديها وهي تصيح: "النار! النار". واستيقظت فيرن على الفور. وأدركت أن كينغ يحاول أن يطلق صرخة انذار من غير أن يقوى على ذلك. فأكتفى بصرخة طويلة تدل على ألم وانتحاب.

إلا أن هوارد، بوضعه الصحي الدقيق، كان اهتمام فيرن الأول. وبعد انهاضه من السرير قادته الى النافذة وقالت له أن يقفز خارجاً. ثم هرعت الى بيرل التي قادها الذعر الى غرفة الجلوس وهي لا تدري. وخاضت فيرن سحب الدخان حتى عثرت على ابنتها. وأخذتها الى غرفة نومها حيث قفزت من النافذة. ولم تتبين فيرن شيئاً في الدخان. لكنها توقعت أن يكون هوارد اصبح في الخارج، كذلك كينغ. غير أنها سمعت نباح كينغ من نافذة بيرل. وأمرته أن يقفز، لكنه ركض الى المخدع الزوجي عوضاً عن ذلك. وللحال أدركت فيرن الحقيقة، وهي أن زوجها ما برح في الداخل.

ولحقت بالكلب والدخان يعميها. وسارت في الرواق تتلمس أنين كينغ حتى وصلت الى هوارد وهو مستلق أرضاً. وأعانته على النهوض. وهو كان محتفظاً بوعيه، لكنه من الضعف بحيث لم يقوَ على الحراك. وقادته الى غرفة بيرل حيث الدخان أقل كثافة.

وهناك واجهت فيرن مشكلة جديدة، ذلك أن النافذة السحابة في غرفة بيرل علقت تحت الوسط قليلاً، ولم تكن الفتحة كافية لكي يعبر هوارد منها. ورفعت عينيها الى السقف الذي كان على وشك الانهيار، وعرفت أن نجاتهما وقف على ثوان معدودة.

وبحركة يائسة تناولت فيرن منفضة كانت قرب آلة التسجيل في غرفة بيرل وضربت بها النافذة. وتحطم الزجاج لكن الاطار بقي في مكانه. عندئذ مشى هوارد متعثراً حول الغرفة، فوقع نظره على آلة خياطة، وحمل الآلة ورماها بقوة عبر النافذة، فتحطم ما بقي من زجاج وخشب.

وتلقته فيرن قبل أن يهوي بفعل الجهد الذي بذله، وقادته الى النافذة وساعدته في الخروج. وخرجت هي بعده وتبعها كينغ. وهي تتذكر ذلك بقولها: "كان كينغ آخر من غادر المنزل. فهو أبى الخروج قبل أن يتأكد من خروجنا جميعاً".

وأتت النار على معظم المنزل، لكن الخسارة بدت صغيرة في أعين آل كارلسون الذين عرفوا جيداً ان نجاتهم أثمن من الحجار والخشب.

اللغز - مع انبلاج النهار، راح آل كارلسون وجيرانهم يحصون ما فعله كينغ لانقاذ ثلاثة أشخاص من الحريق. وكان في امكانهم جميعاً أن يروا الفرو المسفوع الذي غطى جسمه ورأسه والحروق المنتفخة في أسفل قوائمه. ولا بد من أنه شق طريقه فوق بعض الاثاث المحترق للوصول الى غرفتي النوم. ودهش الجميع للحرق الذي في رقبته اذ تبين لهم أن النار كانت من القوة بحيث امتدت من طوقه المعدني الى لحمه.

وبقي سؤال كبير من دون اجابة: كيف دخل كينغ المنزل؟

ذلك أن غرفة التسلية كانت مكاناً لنومه. وللغرفة باب يؤدي الى الفناء الخارجي. وكان يترك مفتوحاً ليتمكن كينغ من الخروج اذا احتاج الى ذلك. وهناك باب آخر متصل بالمطبخ كان يقفل على الدوام.

وانكشف اللغز حين رفض الكلب ما قدم اليه من طعام. وتولى شقيق فيرن فحصه، فوجد الشظايا الخشبية تملأ فمه. عندئذ عرف الجميع أن كينغ قضم خشب باب المطبخ الرقيق لانقاذ أفراد العائلة.

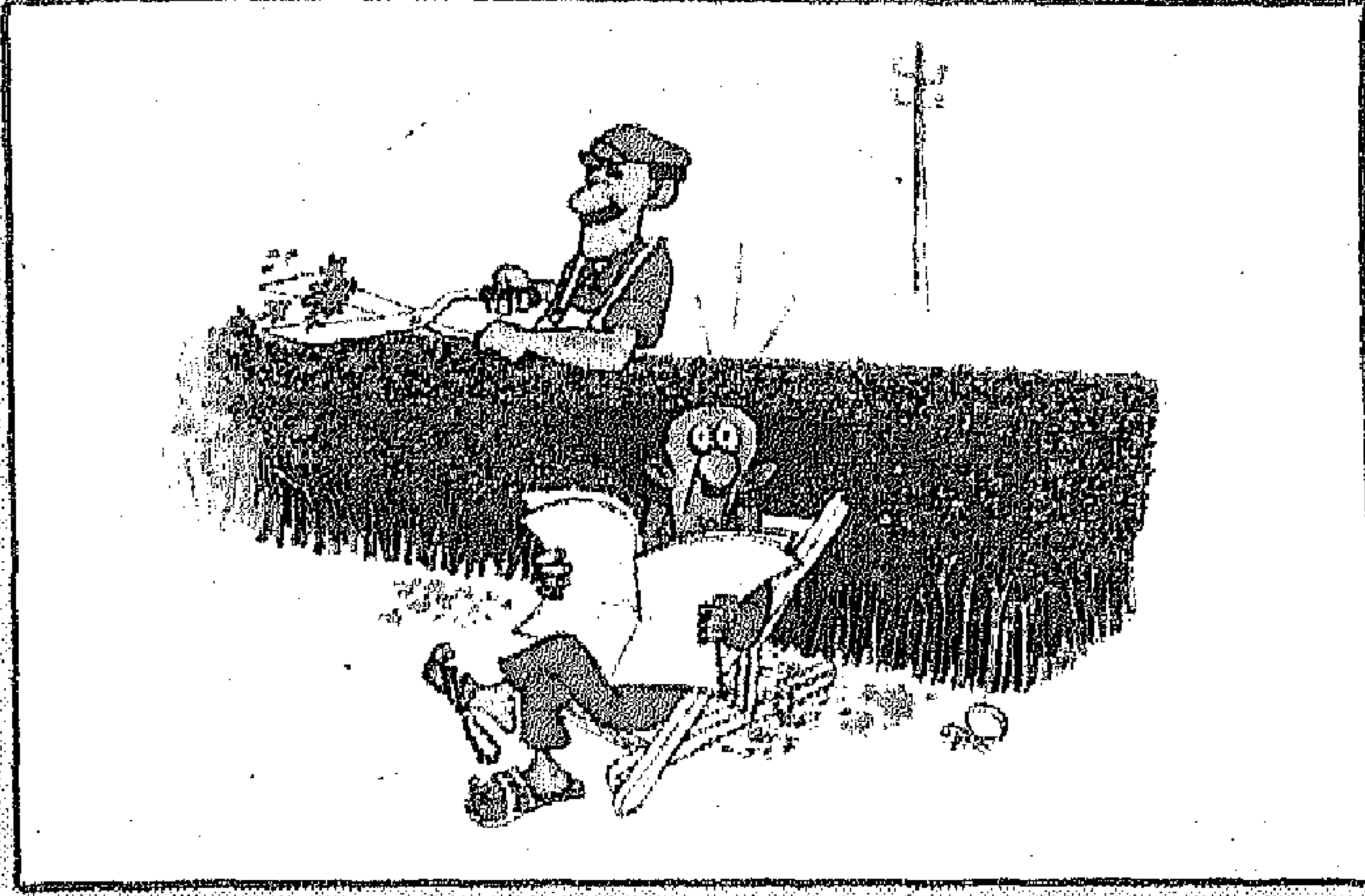
وما أن ظهرت قصة كينغ البطولية في الصحف حتى توافد المواطنون من أنحاء الولاية لرؤية الكلب الذي اخترق النار. وفي اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨١ حاز كينغ الجائزة السنوية التي تمنح لأجرأ كلب. وطار مع آل كارلسون الى ولاية فلوريدا لتسلم جائزته، وهي طوق ذهبي والف دولار.

أما اليوم، وقد أعيد بناء المنزل وعادت المزرعة الى نشاطها المعتاد، فان الزوار ما زالوا يتساءلون: "ما الذي يجعل كلباً يفعل ما فعله كينغ؟".

وتتمسك فيرن باقتناعها الاصلي: "ان كينغ يملك المكان ويشعر بمسؤوليته عن كل ما يحويه. ولو كانت له سرعة البديهة، لهرب خارجاً فور تنشقه الدخان. لكنه يتمتع بما هو أفضل من حسن البديهة".

وحين تسأل فيرن: "ما هو ذلك الافضل؟" تكتفي بالابتسام.

■ اندرو جونز



الضحك خيرُ دَوَاء

... والآباء يضرسون

قال الطبيب لزميله: "صادفني امس اعجب حادث في حياتي. فقد دعيت الى بيت بسيدة توشك على الوضع، وكانت حالها تدعو الى الاطمئنان. وتمت عملية الوضع بسهولة وكان المولود طبيعياً، لكنه كان غارقاً في نوبة ضحك وقد اطبق احدى يديه. وقضيت نحو ساعتين في محاولة فتح يده، والطفل يضحك. واخيراً افلحت في فتحها، فهل تعرف ماذا وجدت؟ حبة لمنع الحمل!"

راجي الجندي،
الاسكندرية — جمهورية مصر العربية

اقبض روحه يا رب!

وقف رجل بباب ثري لديه خدم كثيرون وطلب منه احساناً. وكان الثري جالساً في شرفة منزله الكبير فقال: "يا امرجان، قل لفيروز ان يقول لياقوت ان يقول لهذا الشحاذ: "الله يرزقك من غيرنا".
فاغتاظ الرجل ورفع يديه قائلاً: "يا رب قل لرافائيل ان يقول لميخائيل ان يقول لعزرائيل: "اقبض روح هذا البخيل".

عمراوي التهامي، وزان — المغرب

صغيرة بعقل كبير

بقيت الطفلة تلح على والدتها بان توصلها الى المدرسة بالسيارة وكانت الام تتحجج بالآتي: "لماذا جعل لنا الله تعالى قدمين؟" وذات يوم جاءت الطفلة بهذا الجواب: "جعل لنا الله تعالى قدمين، واحدة لدواسة الوقود واخرى للكابح".

صحيفة "ديلي تلغراف" لندن

ليالي الشتاء الباردة

جاء في اعلان لجمعية خيرية: "لقد تولى عدد من سيدات الجمعية صنع حرامات الصوف للمحتاجين. ولا تزال لدينا حاجة الى عدد اكبر من الحرامات والسيدات لتأمين الدفء في ليالي الشتاء الباردة".

ب.ن.

سذاجة ام

أخذت امرأة ابنها الى محل تصوير وسألت المصور عن الكلفة، فقال: "خمسة دولارات للستة". لكنها أجابت: "ان لدي أربعة اولاد فقط".

ن.ا.م.

يوم السعد

ذهب رجل الى مقهى وطلب فنجان شاي، ولما هم بالانصراف سأله المحاسب: "أين ثمن ما أخذت؟" فأجاب: "لقد دفعت لك الثمن سلفاً". وانصرف،
وبعد قليل دخل آخر وطلب فنجان قهوة، وانصرف كذلك زاعماً أنه دفع الثمن. وما هي إلا دقائق حتى جاء ثالث وقال: "أعطني كوباً من العصير". لكن الموظف أجابه: "لقد سبقك اثنان الى هنا، واخذ كل منهما ما طلب ثم انصرف زاعماً أنه دفع، فما رأيك؟" فقال الزبون: "كف عن الهذر واعطني فكة القطعة التي نقدتك اياها".

ب.ب.

برنامج اقتصادي

تلقى أحد نجوم التلفزيون الرسالة الآتية من معجب: "اني احب برنامجك الذي تقدمه بعد الظهر، فلولاه لغادرت زوجتي المنزل للتبضع".

ا.و.

زائر من المريخ

حط صحن طائر من المريخ قرب حديقة منزل في انكلترا كان صاحبه يتناول الشاي عند الساعة الخامسة عصراً. وترجل من المركبة كائن غريب الملامح وراح يتقدم نحو الانكليزي. وكان للكائن المريخي وجهان، لكل منهما عين واحدة في الوسط، وذراع موصولة بصدره وقائمتان طويلتان مكان الرجلين. وبادره قائلا: "أيها الارضي، أرني قائدك".
فأجاب الانكليزي: "هذا هراء يا صديقي، فأنت تحتاج الى رؤية طبيب تجميل بارع".

ب.س.

المودع الكبير

ما أن انقضت أيام على توظيف شاب مستقيم في مصرف حتى وجد أن زميلا له يحصل على مبالغ طائلة. ففاتح مدير المصرف بالأمر: لكن رب العمل أجابه: "انك لا تخبرني جديداً إذ تقول هذا".
- وكيف تتركه لديك؟
"انه أكبر مودعينا، ولو طردناه لخسرنا الكثير".

ا.م.

طعام الخاسر

سأل آمر فصيلة عسكرية متطوعاً جديداً: "كيف تجد الطعام، أنت وزملاؤك، في هذه الثكنة؟"
- انا نتقاتل عليه يا سيدي.
"يسعدني أن أسمع هذا الكلام! أتعني أن الطعام جيد جداً؟"
- ليس هذا بالضبط يا سيدي! فالخاسر هو الذي يأكله.

ت.هـ.

مدير يفضل الرجال

تقدمت فتاة لشغل مركز حساس في شركة، وكان طلبها مشفوعاً بتوصيات تشهد على كفايتها. وعندما قابلها مدير الشركة أقر بأهليتها لملء الوظيفة، لكنه أضاف: "إني افضل الرجال". فأجابته على الفور: "وأنا كذلك! ولكن ما هو العذر في حالك أنت؟"

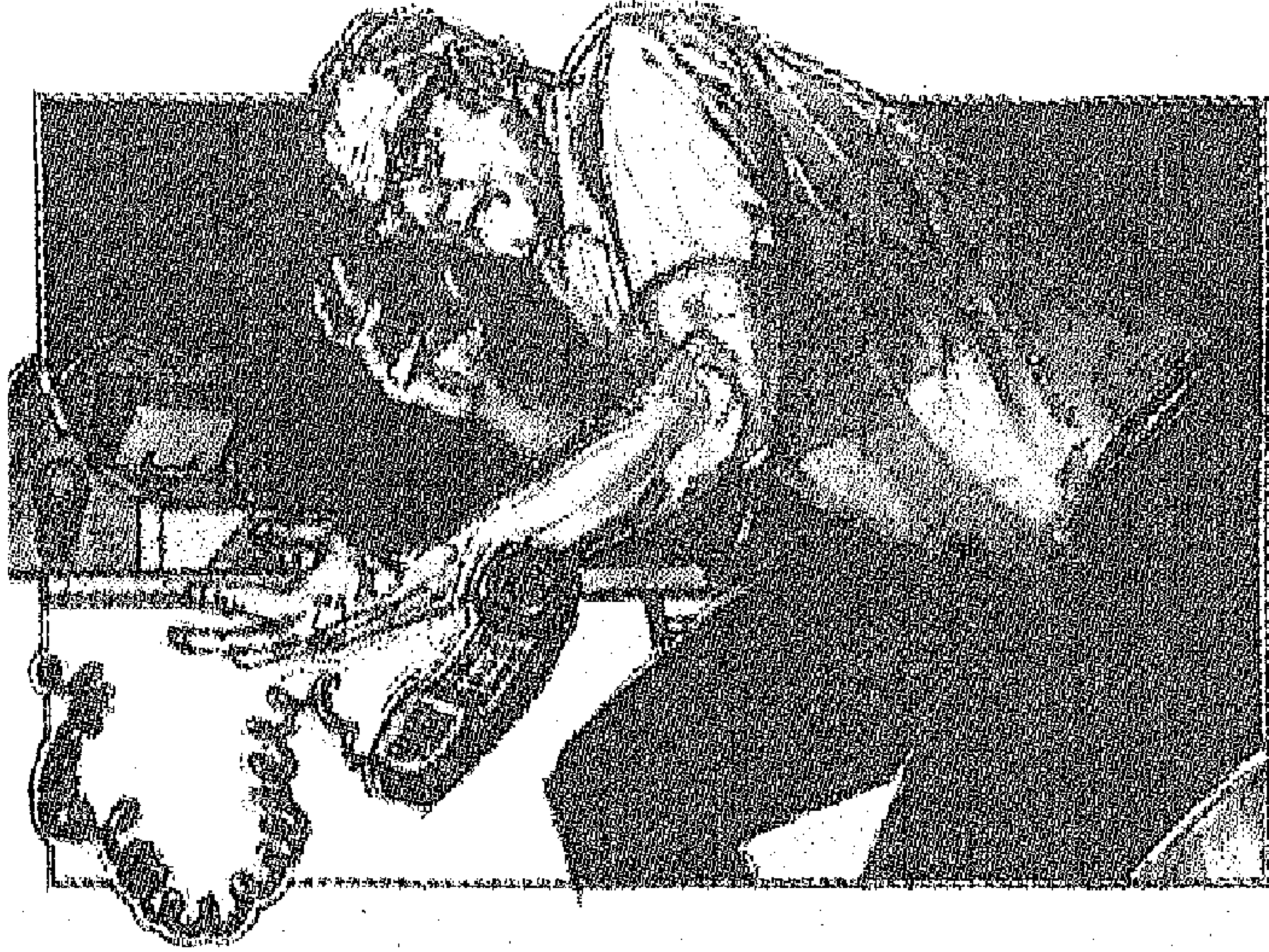
و.ف.

لا يعجبها العجب

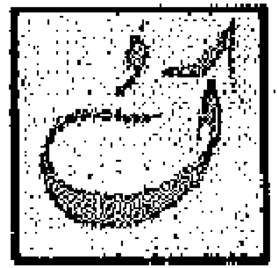
في أحد المحلات الكبرى نشب خلاف بين زبونة صعبة الارضاء وبائعة متحلية بالصبر. فالزبونة لم يعجبها شيء مما أرتها الموظفة. وبعدأخذ ورد قالت: "أليس في هذا المحل بائعة أفضل منك تأتي لخدمتي؟" فأجابتها الموظفة: "لقد ابتعدن جميعاً إذ رأينك تدخلين".

د.ل.

الهاتف المنقذ



لم يسمع الشرطي على الهاتف سوى فحيح يائس.
ترى ما مشكلة ذلك المستغيث؟



كاس فريدريك (٥٧ سنة) عضو في المجلس البلدي في سانت كلير، ولاية ميشيغان الامريكيـة. كـان يجلـس وحيداً الى طاولة الطعـام فـي بيته ظهر ٥ فبراير (شباط) ويتناول شطيرة وكوباً من الحليب، فشعر بخدر غريب في ذراعه اليسرى. وقبل سنة كان اصيب بنوبة قلبية الزمته المستشفى بضعة اسابيع، فاستبدت به فكرة راعبة: هل هذه نوبة اخرى؟

شعر باختناق في حنجرته. وعندما مد يده الى جهاز الهاتف المثبت على الجدار قرب مقعده، اخذت ذراعه اليسرى تنتفض فوق الطاولة وهو عاجز عن التحكم بها. وحاول ان يثبت ذراعه المتراقصة بيده اليمنى، لكنه ما ان رفع يده حتى عاد التشنج كما كان.

امسك فريدريك الهاتف ذا الازرار الرقمية بيده اليمنى ووضعه على الطاولة محاولا مخابرة زوجته في

عملها. وكانت أفلين سكرتيرة في شركة محاسبة، وهو اعتاد الاتصال بها في فترة الغداء. وانحنى على الهاتف فسمع رنين الجهاز في الطرف الآخر وشعر بالطمأنينة. ولكن حين فتح فمه تعذر عليه النطق، ولم يصدر عنه سوى فحيح اختناق آثار الرعب في نفسه. وفكر في أمره: "اذا كانت أفلين على الهاتف فسوف تفهم الموقف وتستدعي سيارة أسعاف". لكن يده اليسرى المتراقصة صدمت جهاز الهاتف وقذفته عن الطاولة الى الارض.

كانت أفلين على وشك مغادرة مكتبها عندما رن جرس الهاتف. ورفعت السماعة لكنها لم تسمع سوى ازيز الخط الهاتفي المقطوع.

في تلك اللحظة كانت ذراع فريدريك خدرت تماماً وتفاقم الانقباض في حنجرته، غير انه ظل قادراً على التحرك. وبجهد شاق وصل الى جهاز الهاتف واعاده الى الطاولة. ثم قلب صفحات دليل الهاتف ليعثر على رقم شرطة المدينة. هذه المرة ثبت الجهاز بين بطنه وحافة الطاولة فسهل عليه الترقيم.

في غرفة الهاتف ذلك الصباح رفع الشرطي جيم زيريلي سماعة الهاتف فلم يسمع سوى صريف مشوش. وقرب السماعة من أذنه وانتظر. فتناهى اليه صوت مخيف كزئير نمر غاضب.

. استرخى زيريلي في كرسيه وابتسم. انه في الرابعة والثلاثين وقد امضى ١٣ سنة في الشرطة واختبر حوادث كثيرة مماثلة. وهو قدر انها مكالمة من معتوه او مزحة مقيتة من رجل ثمل أو من ناقم يودان يصب في أذنيه بعض الاهانات.

جاءه الصوت الغريب ثانية. واراد ان يقفل الخط، لكنه تردد كأن شيئاً ما أهاب به ان ينتظر. استمر الصوت وتبعه لهاث مجهد وثقيل. والتفت زيريلي الى الرقيب جيمس بيل الجالس الى جانبه واعطاه سماعة الهاتف قائلا: "ما رأيك في هذا يا رقيب؟ لا يبدو صوت معتوه، أليس كذلك؟".

أصغى بيل ثم قال: "انه شخص في ضيق". وتناول هاتفه هو واتصل بمركز توزيع المخابرات قائلا: "هل لك ان تتحقق من المخابرة على خطنا الآخر؟ يبدو لي ان هناك حالا طارئة".

تأكد لزيريلي ان المخاطب شخص في ضيق شديد وغير قادر على الكلام. ولكن من هو؟ وأين هو؟ وما نوع ضيقه؟

في هذا الوقت استحوذ على فريدريك شعورمرير بالخيبةوالهلع. وكلما صوت في الهاتف ازداد تقلص حنجرته. كذلك استمر تشنج ذراعه اليسرى فأخذ يصلي متضرعاً لكي لا يقفل رجال الشرطة الخط. عندئذ وقع نظره على دليل الهاتف وخطر له ان يرفع الغلاف المعدني ويصفقه بقوة، فذلك قد يفهم رجال الشرطة الازمة التي يعانيها.

أخذ دليل الهاتف بيده اليمنى ورفع الغلاف المعدني ثم صفقه بقوة. وفعل ذلك مرة اخرى وتحقق له أنه يستطيع ان يصفق الغلاف تكراراً على نحو سريع. وجاءه صوت الضابط سائلا: "هل تدق لتفهمني شيئاً؟"

رداً على ذلك السؤال صفق فريدريك الفلاف باقصى جهده، واخيراً بدا ان الرجلين يتفاهمان. وفجأة صدمت يده اليسرى المنتفضة جهاز الهاتف واوقعته ثانية. واستبد به الخوف... هل انقطع الاتصال؟

في مركز الشرطة سمع زيريلي دقات فريدريك عالية وواضحة، ثم تناهى اليه صوت الجهاز يصطدم بالارض فتأكد له أن المخاطب مصاب بنوبة قلبية. واخفقت محاولات تعقب مصدر المخابرة، وتعين عليه تحديد عنوان مخاطبه لكي يرسل اليه الاسعاف.

ضربة حظ ـ بعد سقوط الهاتف للمرة الثانية مد فريدريك يده المرتجفة ليعيده الى الطاولة. وبدا له ان استرجاع الهاتف سيستغرق دهراً. ولكن عندما نجح اخيراً سمع اصواتاً من خلال السماعة، فحمد ربه على ان الاتصال مازال قائماً. واعطاه زيريلي تعليماته: "حسناً، دق مرة لتقول نعم ومرتين لتقول لا. هل يمكنك ان تفعل ذلك؟"

ساد الصمت لثوان ثم سمع الضابط اشارة واضحة وقوية: دقة واحدة. سر زيريلي بذلك وقال: "عظيم! هل انت مريض؟"

دقة واحدة.

"حسناً، اني احاول ان اعرف مكانك، هل تفهم؟"

دقة واحدة.

لكن عدد سكان المدينة ٧٥ الف نسمة، وعلى اساس ان كل ثلاثة اشخاص يقطنون بيتاً، يكون عدد بيوت المدينة ٢٥ الفاً، وبالتالي يكون حظه في تحديد مكان مخاطبه لا يتعدى نسبة ١ الى ٢٥،٠٠٠. لكنه سيحاول في اي حال.

قال زيريلي: "اسمع، اني احاول تضييق مجال الاحتمالات". ثم قرر ان يبدأ بالجهة الجنوبية من المدينة ويتجه شمالا، فسأل: "هل تقطن بين الشارع الثامن والشارع التاسع؟"

دقة واحدة.

لم يصدق زيريلي انه اصاب بهذه السهولة. فقال: "حسناً، سأبدأ بتعداد الشوارع الفرعية، أتفهم؟"

دقة واحدة.

وأخذ ينتقي اسماء الشوارع اعتباطاً: "هل تقطن في شارع كولوني؟".

دقتان.

كان زيريلي يتوقع الجواب بالنفي، وأيقن ان امامه عملا طويلا. لكن الصوت اللاهث المختنق على الطرف الآخر أهاب به ان يسرع. ورفع نظره الى خريطة المدينة على الحائط ورأى بين الشارعين الكبيرين سبعة شوارع عمودية واكثر من ٥٠ شارعاً افقياً. وغمره شعور بالقنوط عندما فكر في ان المحاولات قد تستغرق ساعة او اكثر. وقال للمريض: "اني اتحرى اسماء الشوارع على الخريطة هنا. ما قولك في شارع كاليفورنيا؟"

كانت رمية عشوائية وجاءه الجواب: دقة واحدة.

خشي الضابط ان يكون ثمة خطأ، فكرر السؤال: "هل تقطن حقاً في شارع كاليفورنيا؟" لم يصدق انه اصاب ثانية وجاءه الجواب: دقة واحدة.

"اذاً انت في شارع كاليفورنيا. هل تقطن قرب شارع هيلين؟"

دقتان.

بين شارعي هاربر واكسبرس؟"
دقتان.
بين هاربر وغريتر ماك؟"
دقتان.
شعر الضابط انه يقترب من غايته ولم يعد امامه سوى شارع عمودي واحد، فسأل: "بين غريتر ماك وجفرسون؟" وانتظر بقلق. ولم يلبث ان سمع سلسلة من الدقات المتشنجة فأشكل الامر عليه.

محاولة عقيمة — شعر فريدريك للحال انه ارتكب خطأ فادحاً وربما قاتلا. فعندما سأله الشرطي اذا كان يقطن بين شارعي هاربر وغريتر ماك دق مرتين في فورة من الاضطراب بينما كان يقصد ان يقول نعم. وعندما اخذ الشرطي يعدد اسماء الشوارع الاخرى اخذ يدق تكراراً وبقوة آملا ان يعيد سؤاله عن هاربر وغريتر ماك.

على رغم حيرته ادرك زيريلي ان لا سبيل لديه سوى العودة الى حيث بدأ، فهو استنفد الشوارع التي تتقاطع مع شارع كاليفورنيا. وعاد بطول أناة يراجع للتأكيد.

"انت تقطن في شارع كاليفورنيا، هل هذا صحيح؟"
دقة واحدة.
كاليفورنيا، قرب شارع هيلين؟
دقتان.
بدت محاولته عقيمة، فعزم على اللجوء الى اسلوب آخر: "حسناً، هل تقطن في منطقة الـ٢١٠٠٠؟
دقتان.
"٢٢٠٠٠؟ ٢٣٠٠٠؟ ٢٤٠٠٠؟"
كان الجواب دائماً النفي.
"هل الرقم الاول في منطقتك ٢؟"
دقتان.

عندئذ خطرت له فكرة. كيف اغفل ارقام القسم الغربي من شارع كاليفورنيا؟ المنطقة ١٩٠٠٠. وسأل: "هل الرقم الاول في منطقتك ١؟
دقة واحدة.
أخذ اللغز ينجلي. وبدأ زيريلي يتناول الارقام واحدا واحداً من ١ الى ١٠. وأخذت الارقام الحاسمة تظهر، فزعق زيريلي في الهاتف: "واحد تسعة واحد ستة، شارع كاليفورنيا؟".
دقة واحدة.
ما ان تحقق من الرقم الاخير حتى سارع ضابط آخر الى الدليل ثم اعلن: "انه عنوان كاس فريدريك".
سأل زيريلي: "هل انت كاس فريدريك عضو البلدية؟"
دقة واحدة.
هدأ زيريلي روع المريض واخبره ان الاسعاف في طريقه اليه. وسأله اذا كان الباب مفتوحاً فأتاه الجواب دقة واحدة. وساد الصمت.
سمع الشرطي جيم بانكارد في السيارة ٦٧ النداء الطارىء. وأسرع الى بيت فريدريك فوجده يكاد يختنق وهو منكفىء على نفسه وساقاه ملتويتان تحته. وخلال دقائق وصلت وحدة اطفاء مع قارورة اوكسيجين، ثم وصلت سيارة الاسعاف ونقلت المريض الى المستشفى.
وبعد ستة اسابيع عاد فريدريك الى بيته للنقاهة.
عندما جاء زيريلي يعوده نهض فريدريك عن كرسيه وطوقه بذراعيه. لقد حقق الاثنان معجزة صغيرة باشارة بسيطة وطول اناة ولفتة حظ.

■ جون فولر



تاتشر: قبطان شجاع في بحر هائج

حلمها السياسي انقلب كابوساً مرعباً. فهل تصمد رئيسة وزراء بريطانيا في وجه الازمات التي تعصف ببلادها داخلياً وخارجياً؟

كان ذلك زمن الأمل المشرق. ففي مايو (ايار) ١٩٧٩ اصبحت مرغريت تاتشر اول رئيسة وزراء في بريطانيا، وتسلمت مهماتها بعزيمة صلبة من أجل "اعادة بناء الاقتصاد وتوحيد شعب منقسم تحرر من الاوهام" على حد ما جاء في بيان حزبها. كانت مصممة على الحد من التضخم المالي وخفض الضرائب واحياء الحوافز الاقتصادية وضبط الحكومة واعادة بلادها الى مركزها الصحيح في العالم.

لكننا الآن نقرأ ان بريطانيا في غمرة من الجمود الاقتصادي مع معدل تضخم بلغ ١٢ في المئة ونسبة بطالة بلغت ١٢،٧ في المئة. وقد اقيل بعض الوزراء المحافظين لانهم لم يوافقوا على مخططات تاتشر الاقتصادية. وحدث ما لم تشهده بريطانيا من قبل حين ندد آخر رئيس وزراء محافظ، هو ادوارد هيث، بالمنجزات الاقتصادية التي حققتها رئيسة الوزراء المحافظة.

وكانت اعمال العنف التي اندلعت في المدن البريطانية خلال صيف ١٩٨١ ظاهرة اكثر اثارة للقلق. مشاهد القتال والنهب في الشوارع اعادت الى الاذهان ذكريات اعمال الشغب خلال الستينات في الاحياء الفقيرة التي سكنها الزنوج في امريكا. هذه

الاحداث التي لم يسبق لها مثيل في بريطانيا اعطيت التعليلات نفسها: التمييز العنصري والنقمة على رجال الشرطة والبطالة المتفشية بين الشباب٠

ماذا طرأ على ذلك الأمل المشرق الذي بشرت به مرغريت تاتشر؟ ما الذي دهى بريطانيا؟

معظم ما حدث منذ ربيع ١٩٧٩ كان صدمة عنيفة للمحافظين في بريطانيا٠ صحيح انهم لم يعدوا بتحقيق ازدهار اقتصادي خارق بين ليلة وضحاها، لكنهم لم يتوقعوا ابداً بروز أسوأ الارقام الاقتصادية خلال عهد ما بعد الحرب٠ يقول انصار تاتشر ان المعضلات الاقتصادية التي ورثوها كانت أعسر مما توقعوا٠ وهذا صحيح٠ لكن الحكومة ايضاً ارتكبت بعض الاخطاء وزادتها تفاقماً برفضها تبديل نهجها٠

فالحكومة لم تؤخر كثيراً ازدياد الانفاق الحكومي وارتفاع الضرائب مما أدى الى تفاقم التضخم٠ وكانت تاتشر قادت حملتها الانتخابية النشطة تحت شعار خفض الضرائب، فأقدمت حكومتها على خفض ضريبة الدخل العادية من ٣٣ الى ٣٠ في المئة، ومن ٨٣ الى ٦٠ في المئة لذوي الدخل العالي٠ لكنها بعد ذلك رفعت الضريبة على "القيمة الاضافية" من ٨ الى ١٥ في المئة٠ ولما كانت هذه الضريبة تخص المبيعات، فقد أدت الزيادة للحال الى ارتفاع الاسعار٠ وهكذا فان التضخم الذي كان في الربع الثاني من ١٩٧٩ يزيد ١٠،٦ في المئة على معدله في السنة السابقة، قفز خلال الربع الاخير الى ١٧،٣ في المئة٠ وأدى ارتفاع مؤشر أسعار البيع بالمفرق الى تسويات سخية في الاجور مع نقابات العمال مما زاد التضخم سوءاً٠

طوفان اجنبي – وعد انتخابي آخر اسفر عن معضلات لا تقل خطورة٠ فبعد سلسلة من الاضرابات المريرة في القطاع العام، كانت الحكومة السابقة عينت لجنة لدرس امكان ملاءمة اجور المستخدمين الحكوميين مع اجور عمال القطاع الخاص٠ ولكي تكسب مؤازرة المستخدمين الحكوميين في الانتخابات وعدت تاتشر بقبول اي توصيات تتقدم بها هذه اللجنة٠

في اول اغسطس (آب) ١٩٧٩ اقترحت اللجنة زيادات في رواتب مليون و٤٠٠ الف مستخدم حكومي تراوح بين ٢،٧ و٢٥،٨ في المئة، اضافة الى زيادة ٩ في المئة كانوا حصلوا عليها في مطلع تلك السنة٠ ووافقت الحكومة على هذا التبذير الذي ساهم في رفع معدل التضخم الى ٢١،٩ في المئة في مايو (ايار) ١٩٨٠٠ وقد رأى كثيرون ان على تاتشر ان تتملص من التزامها٠

في مطلع ١٩٨٠ دخلت بريطانيا منزلق الجمود الاقتصادي٠ والغريب ان هذا جاء نتيجة اعظم نعمة اقتصادية هبطت على البلاد: نفط بحر الشمال٠ فمن سوء حظ تاتشر ان دول منظمة "اوبيك" رفعت اسعار نفطها على نحو حاد في ١٩٧٩٠ وكانت بريطانيا تعتمد سياسة "اوبيك" في تسعير النفط٠ وبصفتها مصدرة لهذه المادة فانها حصلت على مبالغ عظيمة من العملات الاجنبية مما أدى الى ارتفاع قيمة الجنيه الاسترليني٠

لكن هذا الارتفاع لم يكن نعمة على الاطلاق، اذ غدت الصادرات البريطانية باهظة الثمن واخذت تتراجع امام المنافسة الاجنبية. وتدفق على البلاد طوفان من السلع الاجنبية الرخيصة. كثيرون من الصناعيين المحليين عجزوا عن المنافسة، فاضطروا الى اختصار اليد العاملة لديهم وفي بعض الحالات اقفلوا مصانعهم كلياً. وفي الوقت نفسه جاءت معدلات الفائدة العالية لتزيد الطين بلة.

وزارة المال لم تتوقع ارتفاع سعر الجنيه الاسترليني وما يعقبه من جمود اقتصادي. ولما حدث هذا، يقول المدافعون عن تاتشر، تعذر انزال قيمة الجنيه من دون تضخيم الكتلة النقدية في البلاد. ومع ذلك يصر المنتقدون على ان الواجب كان يقضي بالمجازفة في اتخاذ هذا التدبير.

وبدا الجمود الاقتصادي مدمراً. فهبطت المنتجات الصناعية بنسبة ١٥،٥ في المئة بين ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٩ ومايو (ايار) ١٩٨١، ثم تحسنت قليلا. اما الارباح فكانت تترجح، وارتفعت نسبة الافلاسات.

بعد هذا جاءت البطالة التي صعدت ارقامها من مليون و٣٠٠ الف عاطل عن العمل عندما تسلمت تاتشر السلطة الى اكثر من ثلاثة ملايين في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٢. وفي اوساط الشباب دون العشرين كان معدل البطالة أعلى كثيراً - ١٨ في المئة على نطاق البلاد كلها وحتى ٤٠ في المئة في بعض المدن. تعويضات البطالة خيبت جهود الحكومة للحد من الانفاق الحكومي وخفض العجز في الموازنة. ذلك انه في حال الجمود الاقتصادي تتدنى عوائد ضريبة الدخل كلما ارتفعت نفقات تعويضات البطالة.

لا تنازلات — ليس مستغرباًبعد هذا إن تواجه تاتشر مطالبات بتبديل سياستها. وانقسمت حكومتها بقيام فريق يطالب باتجاه مغاير لتخفيف أخطار الجمود الاقتصادي والبطالة. لكن تاتشر قالت: "لست من الذين ينكصون على اعقابهم". وبدلا من ذلك اقالت الوزراء المخالفين.

والآن يلوح في الافق خطر انتخابي، وهو ليس من انصار حزب العمال الخصوم التقليديين للمحافظين. فالجناح اليساري في حزب العمال أقنع الحزب بانتهاج سياسات غير مقبولة لدى الناخبين البريطانيين المنتهجين خط الوسط، مثل نزع السلاح النووي من طرف واحد والانسحاب من السوق الاوروبية المشتركة وتنفيذ تأميمات اضافية في الصناعة.

هذا المنحى اليساري في حزب العمال أدى الى خروج أربعة من اشهر زعمائه هم روي جنكنز وديفيد اوين ووليم روجرز وشيرلي وليمس. في مارس (آذار) ١٩٨١ اسس هؤلاء الحزب الاشتراكي الديموقراطي الذي يلتزم خطاً وسطاً ويضم الآن اكثر من ٢٠ نائباً عمالياً في البرلمان وأحد النواب المحافظين.

وسرعان ما حظي الحزب الاشتراكي الديموقراطي بدعم كثيف وعقد تحالفاً مع حزب الاحرار المعارض تقليدياً. نال هذا التحالف بين ٣٧ و٥٠ في المئة من التأييد في الاستطلاعات السياسية، ومن بين ثلاثة انتخابات

فرعية اجريت عام ١٩٨١ ربح اثنين وخسر واحداً بفارق بسيط وحصل على ٤٣ في المئة من اصوات المقترعين، ومن اصل ٢١٤ انتخاباً فرعياً ربح نحو النصف.

الانتخابات الفرعية كانت دائماً منبراً للاصوات المعترضة يعود المقترعون بعدها الى مناهجهم التقليدية في الانتخابات العامة. لكن كثيرين يعتقدون ان الانتخابات العامة المقبلة، التي يجب ان تجرى في مايو (ايار) ١٩٨٤، قد تختلف عن سابقاتها. واذا حصل التحالف على ما يقارب ٤٠ في المئة من الاصوات في التنافس الثلاثي الجوانب في الانتخابات العامة، فانه قد يسيطر على مجلس العموم. غير ان الاحتمال الاقرب الى الواقع هو ان يمسك بزمام ميزان القوى في البرلمان.

أما في ما خص البديل من استراتيجية تاتشر الاقتصادية، فيتفق المنتقدون - سواء بين المحافظين المنشقين او انصار التحالف او رجال الاقتصاد في غالبيتهم او اعضاء اتحاد الصناعة البريطانية - على الدعوة الى "التحكم" بالتضخم عن طريق تعزيز القدرة الشرائية للصناعة والمستهلكين بخفض الضرائب أو زيادة الانفاق العام او بالاثنين معاً.

يقول دعاة هذا النهج ان مقداراً معتدلا من "التحكم" لن ينعكس تضخمياً، لأن الاقتصاد يملك طاقات كبيرة غير مستغلة في اليد العاملة والمعدات. ويقولون ان الانتاج سيسبق بوقت طويل اي زيادة تطرأ على الاسعار. وفي اي حال لا مفر من المجازفة بازدياد التضخم من اجل خفض البطالة.

لكن تاتشر، في ردها على المنتقدين في مؤتمر حزب المحافظين الذي عقد في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨١، لم تقدم اي تنازلات او سياسات جديدة. وقالت: "ان التدابير القاسية التي اضطرت هذه الحكومة الى اتخاذها هي الحد الادنى المطلوب للنجاح. ولن أبدل سياستي من اجل استدرار تأييد شعبي."

ان الجمود الاقتصادي لا بد من ان يبلغ نقطة يقف عندها. والدورة التجارية ستعود الى الصعود، فتلك طبيعة الدورات. وقد حققت تاتشر انجازاً واحداً هو جعلها الشركات البريطانية اكثر فاعلية وأصلب عوداً وأغزر انتاجاً.

لكن الانتعاش التجاري لن يكافىء تاتشر. فهل يشعر الناس الذين تحملوا وطأة الخضة الاقتصادية العنيفة بأي منة تجاه زعمائهم؟ وهل يمكن اعتبار اي سياسة اقتصادية ناجحة اذا سببت مثل هذا التقلقل؟ لقد اظهرت مرغريت تاتشر شجاعة واصراراً يندر توافرهما لدى السياسيين، لكن بريطانيا ما زالت تقاسي مصاعب اقتصادية خطيرة. ولا بد للمرء من ان يتساءل عما اذا كان هناك منحى اكثر ليونة وواقعية يجنب تلك البلاد الآلام القاسية التي تحملتها.

■ اروين روس

وضع أحدهم الملاحظة الآتية على سيارته: "اللهم امنحني الصبر، ولكن سريعاً".
صحيفة "ديلي تلغراف"، لندن

هـــل أنت محبوب ؟

ما هو في رأيك الجوهر الحقيقي الذي يجعل المرء محبوبا من الناس؟ هل هو مجرد انصهاره في حياة الجماعة وانسجامه مع روحها؟ ام هل يصبح بالاحرى محبوبا اذا تحلى بالاستقامة وراعى مشاعر الآخرين؟

فثمة طائفة من الآراء المختلفة حول تحديد المحبة الشعبية التي يتمتع بها المرء، وحول لزومها، وهناك كثيرون ممن يتحسسون الحاجة القصوى الى هذه المحبة لا يدرون كيف يكتسبونها بالفعل، بينما تتوالى العروض الاجتماعية احيانا على اولئك الذين يفضلون الانزواء الى انفسهم.

وحبذا لو توافرت مجموعة من القواعد يسترشد بها المرء في مساعيه للحصول على المقدار الذي يبتغيه من محبة الآخرين، لكن،ويا للاسف ليس هناك اي نوع بعينه من انواع السلوك يضمن اجتذاب هذا الحب.

ومع هذا، فقد رأينا ان ننشر مجموعة الاسئلة الآتية التي وضعها علماء النفس، لعلها تساعد القارىء اذا اجاب عنها باكبر مقدار من الدقة والامانة،على تحديد النوع الذي يبتغيه هو من حب الآخرين له او اقبالهم عليه، كما انها قد تساعده على معرفة مدى نجاحه في تحقيق هذه الغاية.

١ - آخر مرة دعوت فيها بعض الاصدقاء الى منزلك، هل كان سبب ذلك:

أ - انك تجدهم مسلين وممتعين؟

ب - ام لانهم يحبونك؟

ج - ام لانك اعتبرت هذه الدعوة بمثابة واجب عليك؟

٢ - عندما تكون في عطلة،

أ - هل تتخذ لك صداقات جديدة بسهولة؟

ب - هل تفضل قضاء الوقت منفردا بنفسك؟

ج - هل ترغب في تكوين صداقات جديدة ولكنك تجد صعوبة في ذلك؟

٣ - لقد رتبت مقابلة مع صديق لك ثم احسست بالتعب الشديد، وحاولت الاتصال به فلم تستطع، عندئذ:

أ - هل تتخلف وانت تأمل في ان هذا الصديق او الصديقة سيقدر موقفك؟

ب - هل تذهب في الموعد المضروب وتحاول التمتع بهذا اللقاء على رغم تعبك؟

ج - هل تذهب في الموعد المضروب وتلتمس من الصديق او الصديقة ان ينصرف مبكرا؟

٤ - كم تطول فترة احتفاظك باصدقائك؟

أ - عدة سنوات في الاغلب؟

ب - ليس للامر قاعدة ثابتة. اذا كان بيننا ميول مشتركة، فقد تستمر الصداقة سنوات عدة.

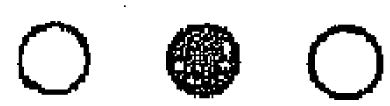
ج - لا تستمر الصداقة عادة مدة طويلة، وانما اغير صداقاتي باستمرار.

٥ - اسر لك صديق بمشكلة شخصية بالغة الاهتمام:

أ - هل تحاول الامتناع عن افشائها لشخص آخر؟

ب - ألا يخطر في بالك اطلاقا ان تحدث في شأنها شخصا آخر؟

ج - هل تتصل بشخص آخر لتناقش معه المشكلة حالما ينصرف الصديق الاول؟
٦ - عندما تواجه مشكلة:
أ - هل تشعر عادة انك تستطيع معالجتها وحدك؟
ب - هل تلجأ في شأنها الى اصدقاء يمكنك الاعتماد عليهم؟
ج - هل تمتنع عن مراجعة الاصدقاء في شأنها الا اذا استعصت المشكلة عليك؟
٧ - عندما يصطدم اصدقاؤك بالمشاكل، هل تجد انهم:
أ - يلجأون اليك لمدهم بالمعونة؟
ب - لا يطلب معونتك منهم الا المقربون اليك؟
ج - يميلون الى عدم ازعاجك بطلب المعونة؟
٨ - هل تتخذ صداقاتك:
أ - من اناس تعرفهم من قبل؟
ب - ممن تصادفهم في شتى اللقاءات؟
ج - هل أنك لا تصادق الا بعدفترة طويلة وبشيء من الصعوبة؟
٩ - اي من الصفات الآتية ترى انها اهم ما يجب ان يتحلى به الصديق:
أ - حملك على الشعور بالغبطة؟
ب - احتمال الاعتماد عليه؟
ج - اهتمامه بك؟
١٠ - اي من العبارات الآتية تنطبق عليك اكثر من غيرها:
أ - عادة اثير المسرة بين الناس واجعلهم يضحكون؟
ب - عادة احمل الناس على التفكير؟
ج - يشعر الناس معي بالراحة.
١١ - اذا طلب منك في حفلة ان تشارك في لعبة او ان تغني:
أ - هل تبدي اعذارا للتخلص من ذلك؟
ب - هل تشارك بطيبة خاطر؟
ج - هل ترفض على الفور؟
١٢ - اي عبارة مما يأتي تنطبق عليك:
أ - احب ان اثني على اصدقائي.
ب - أؤمن بالامانة والاخلاص ولذلك اضطر احيانا الى ابداء تعليقات سلبية.
ج - لا اتملق اصدقائي ولا انتقدهم.
١٣ - هل تجد:
أ - ان علاقاتك لا تنمو الا مع الذين يشاركونك في اهتماماتك؟
ب - انك تستطيع الارتباط بعلاقات طيبة مع اي شخص تقريبا؟
ج - انك تود احيانا انتنشىء علاقات طيبة مع شخص لا يستجيب لك؟
١٤ - اذا دبر لك اصدقاؤك مقلبا:
أ - هل تشارك في الضحك؟
ب - هل تشعر بالغضب ولا تخفي ذلك؟
ج - هل تجيء استجابتك وفقا لـ"أ" او "ب"، تبعا لمزاجك وحسب الظروف؟
١٥ - ما هو شعورك ازاء اعتماد الآخرين عليك؟
أ - اتقبل ذلك الى حدمعين، ولكنني اود لاصدقائي ان تتوافر فيهم درجة معينة من الاستقلال.
ب - يسعدني ان اكون شخصا يعتمد عليه.
ج - اعالج الامر بشيء من الحذر، لانني افضل الا اتورط في بعض المسؤوليات.



والآن راجع اجاباتك فتعرف النتيجة:

محبوب جداً بين ٣٦ و ٤٥ درجة

اعطِ نفسك عدد النقاط المبين امام كل اجابة ثم اجمع النقاط التي حصلت عليها وراجع التحليل الوارد بعد ذلك.

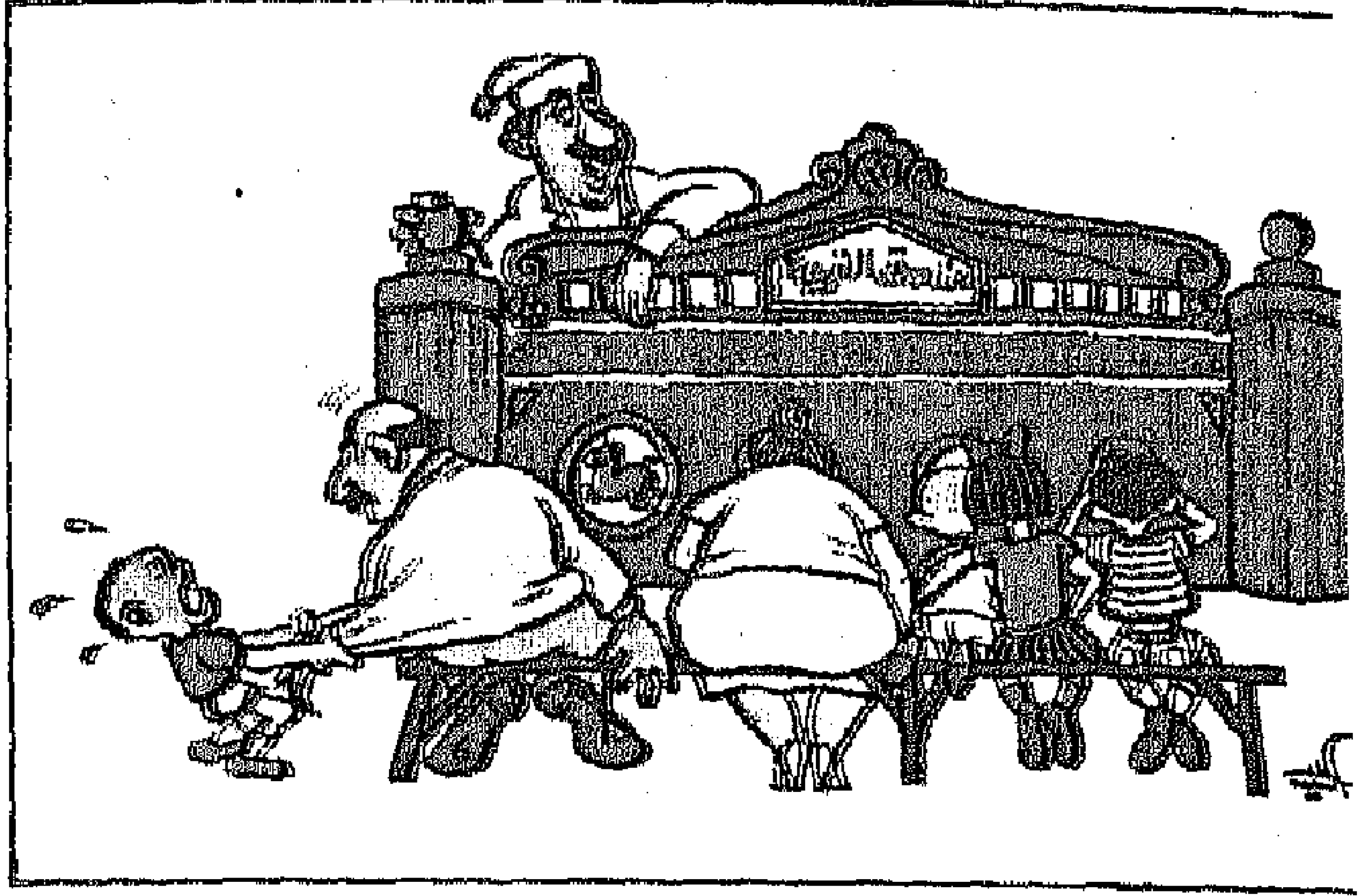
رقم السؤال	درجات كل من الاجابات الثلاثة		
	أ	ب	جـ
١	٣	٢	١
٢	٣	٢	١
٣	١	٣	٢
٤	٣	٢	١
٥	٢	٣	١
٦	١	٢	٣
٧	٣	٢	١
٨	٢	٣	١
٩	٣	٢	١
١٠	٢	١	٣
١١	٢	٣	١
١٢	٣	١	٢
١٣	١	٣	٢
١٤	٣	١	٢
١٥	٢	٣	١

● اذا راوح مجموع درجاتك بين ٣٦ و٤٥ فانت تستمع بصحبة الناس وتنال من الحياة نصيبا وافرا من المتعة والبهجة، ويحتمل ان تكون محبوبا لدى دائرة واسعة من الاصدقاء على رغم انك تميل الى تجنب العلاقات الحميمة.

● اذا رواحت درجاتك بين ٢٦ و٣٥، فقد يتقلب مستوى تمتعك بمحبة الآخرين وقد يكون ذلك مثلا عندما تود الحصول على محبة الآخرين فتبذل جهدا اكبر من اللازم في هذا السبيل بينما لا يكون الآخرون مسترخين على سجيتهم في صحبتك.

● اذا راوحت درجاتك بين ١٥ و٢٥ فأنك بالاحرى تميل الى الوحدة. وهذا لا يعني بالضرورة انك غير محبوب، بل يشير الى انك لا تبالي بمحبة الآخرين في حد ذاتها. اما اذا كنت تهتم لمحبة الآخرين لك، فعليك ان تعيد النظر في علاقاتك مع اولئك الذين ليسوا في دائرة اتصالاتك المباشرة.

صور من الحياة



تواضع الملوك

بينما كان جندي امريكي يركب حافلة في أسوج (السويد) قال للرجل الذي بجانبه: "الولايات المتحدة أكثر بلدان العالم ديموقراطية. ففي امكان المواطن العادي ان يذهب الى البيت الأبيض ويقابل الرئيس ويبحث الامور معه".

فأجابه الاسوجي: "هذا ليس شيئاً بالنسبة الى ما يحصل هنا. ففي أسوج يستقل الملك والمواطنون حافلة واحدة".

ولما نزل الرجل الأسوجي من الحافلة قال أحد الركاب للجندي الامريكي: "هل عرفت ان الشخص الذي كان بجانبك هو الملك غوستاف السادس أدولف؟"

س.ت.

مرارة النجاح

حضر الرسام الفرنسي هيلير ديغا بيع احدى لوحاته بالمزاد العلني. وقد بيعت اللوحة بمئة ألف دولار. ولما سئل الرسام عن شعوره أجاب: "اني أشعر كحصان السباق وهو يرى الخيال يتسلم الجائزة".

ا.ا.

سعادة لا تشترى

كنتُ في رحلة ريفية عندما نفد الوقود من سيارتي. وقصدتُ منزلا قريباً لمخابرة محطة البنزين، فما كان من المزارع الا أن حملني في سيارته الى المحطة حيث عدنا بالوقود. وعرضت عليه مبلغا من المال في مقابل أتعابه، فرفضه بحدة قائلا: "اسمع يا سيدي! اني اشعر بالفخر لأني ساعدتُ انساناً في وقت الضيق. فلماذا تريد أن تسلبني هذا الشعور بشرائك إياه؟"

ج.ف.

مهنة عقوقة

بقي لدي بضعة أيام من عطلتي الصيفية بعد عودة زوجتي الى عملها. ومللت كثيراً المكوث في المنزل بلا عمل، فقررت ذات يوم أن أفاجىء زوجتي بترتيب المنزل. وهكذا أمضيت يوماً مليئاً أنجزت فيه كل ما تأخر من أعمال بيتية، ثم جلست أنتظر عودة زوجتي لسماع اطرائها. لكنها عادت ولم تقل شيئاً. أخيراً عيل صبري، فسألتها: "ألم تري أني قمت بخدمة البيت هذا اليوم؟" فأجابت: "أجل! انها مهنة عقوقة حقاً".

س.س.

اللهم اسعدهم وابعدهم

بعد وفاة والدها، حاولت صديقتي اقناع والدتها ذات الثمانين عاماً بالانتقال الى منزلها. لكنّ العجوز قالت بعناد: "هذا مستحيل. فقد رفضت دائماً العيش مع أي من أولادي بعدما رأيت المشكلات التي يعانيها آخرون في هذا الوضع".

فأجابت صديقتي: "حسناً يا امي. ولكنك مختلفة عن الآخرين".

ـ أعرف ذلك. لكنك انت لست مختلفة!

ب.ه.

النكتة معفاة من الضريبة!

يتمتع عازف البيانو والممثل الكوميدي فيكتور بورج بموهبة اصيلة للمرح والفكاهة. وقد احتج ذات مرة على ضريبة اضافية طلب منه اداؤها في الدانمرك، لان حفلته الموسيقية كانت مرحة. وكانت حجته: "لماذا ادفع ضريبة اعلى؟ الانني أضحك الناس؟ الاحرى ان يكون ذلك امراً يستحق الاعفاء التام من الضرائب". وكان له ما اراد.

س.ر.

ضوء في نافذة

كلما فكرت في البيت، ارتسمت في ذهني صورة ضوء في نافذة. فهذا الضوء يعني أن هناك من ينتظر عودة أحد. ولقد تعودنا أن نترك ضوءاً في المنزل عندما نخرج ليلاً. فالعودة الى بيت مضيء أجمل منها الى بيت مظلم. وهذا حملناه من طفولتنا، إذ كنا نترك الانوار حتى يؤوب الجميع. إن ضوء النافذة يلقي التحية على من يعود.

اني كنت، كلما استيقظت ليلاً، أنظر على نحو غير ارادي الى كوة ينفذ منها النور. وكان هذا يعني أن أحداً ما زال خارجاً. أما الآن وقد كبر أولادنا وصار لكل بيته، فلم يبقَ من حاجة الى ترك ضوء في النافذة. لكننا مازلنا نتركه تذكاراً للايام الخوالي.

ر.ج.

برقية عاجلة

للمرة الاولى ذهب والداي في عطلتهما السنوية من غير اصطحابي وشقيقي، اذ أصبحنا في سنّ المراهقة ولم نعد طفلين. وبعد توجيههما درساً عن المسؤولية، تركا المنزل ونحن على أحرّ من الجمر انتظاراً لهذه الساعة.

وفي اليوم التالي دعونا الأصدقاء الى سهرة راقصة أدرنا فيها آلات الموسيقى على أعلى مداها. وفي أثناء السهرة وردت برقية من أبي تقول: "لمَ هذا الصخب كله؟"

ر.ب.

شرطي متزوج

أهدى الي والدي سيارة صغيرة في عيد ميلادي الثامن عشر. وبلغ اعتزازي برخصة قيادة السيارات حداً لم أعد اطيق معه الانتظار كي يوقفني أحد شرطيي السير ويسألني عنها.

وكنت أقود سيارتي، بين وقت وآخر، الى مكان مزدحم في بلدتنا الصغيرة حيث يقف شرطي طوال النهار لتنظيم حركة السير. وكنت، كلما دنوت اليه، حاولت لفت انتباهه بطريقة أو اخرى أتجاوز بها النظام. وبعد محاولات كثيرة، أشار الي بالوقوف على جانب الطريق. وحملت رخصة القيادة بابتهاج وأنا أنتظر قدومه. لكنه لم يطلبها مني، بل انحنى نحوي وهو يبتسم، ثم قال: "اعذريني يا آنسة... فأنا متزوج".

ب.ه.

برنامج لاطالة العمر لا يقتضي
اجتياز المسافات ولا الانقطاع عن المآكل اللذيذة

اطلبوا العلم ولو في الكبر

□ بعدما أخفق سمير أسود في دروسه الجامعية، انضم الى الجيش، لكنه ما لبث أن سرح بعد أربع سنوات إذ تبين له ان الجندية لا تلائمه، وراح يحقق طموحه عن طريق التجارة العقارية، إلا أنه، في هذا الحقل أيضاً، واجه مشكلات سببت له انحطاطاً جسدياً وصداعاً وخفقان قلب، وهي ظواهر حار الطب حيالها.

واليوم تحرر سمير من هذه الاعراض، ويقول، وهو في الخامسة والاربعين، ان علاجه السحري كان الدراسة، فهو باشر دروساً جامعية مسائية لا تمت بصلة الى مهنته، بناء على نصيحة طبيب نفسي، وتبين ان ذلك هو العلاج الناجع.

□ زين صالح كان يعاني انهياراً عصبياً زاد من حدته فقده وظيفته وانهيار حياته الزوجية، ووجد عذراً لتلك التجارب المخفقة في وقف دروسه في الهندسة المعمارية على أثر ضائقة مالية مر بها، وكان في التاسعة والثلاثين عندما نصحه خبير في الشؤون العائلية بالآتي: "اذهب واستأنف دراستك، ومولها بأي وظيفة جزئية يمكنك الحصول عليها، ولكن احرص على الدراسة كما لو كانت حياتك كلها وقفاً عليها، وكما قد تكون فعلا".

وتقيد زين بهذه النصيحة، وهو اليوم يحمل درجة جامعية في الهندسة المعمارية ويشغل وظيفة جديدة، لكنه ما زال يتابع الدروس الجامعية لأنها، على حد قوله، "تقوي القدرة على التركيز وتمد المرء بالطاقة التي يحتاج اليها في عمله".

□ ليلى وجهاد عبود زوجان في منتصف العمر، عانيا الضجر "حتى الموت" من صف الجمباز، ويقول جهاد: "التمارين الرياضية تؤول الى اخفاق ذريع حين تتحول واجباً قسرياً رتيباً، لذلك تجنبنا الجنون الذي كنا نتجه اليه بانضمامنا الى صف في علم الآثار، وهكذا نمشي كل اسبوع ونتسلق في أعمال ميدانية تفوق ما

كنا نفعله في ذلك البناء المقفل الرديء الرائحة. وفي عملنا الحالي رياضة ذهنية أيضاً. وهكذا نحس بالانتعاش العقلي والجسدي".

إن تربية البالغين في تقدم مطرد. وهي تشهد كباراً من مختلف الاعمار يعودون الى المدرسة مساء أو في عطلة نهاية الاسبوع وحتى خلال فرص الاعياد والعطلة السنوية. وأخيراً اتضحت العلاقة بين التعلم المستمر من ناحية وصحة العقل والجسد، وحتى طول العمر، من ناحية اخرى.

العلم والشباب ـ الدكتور روبرت سامب، وهو طبيب واستاذ للصحة في جامعة ويسكونسن الامريكية، امضى سنوات يدرس أسباب "تعمير" بعض الناس. ووجد لدى المتقدمين في السن الذين يحافظون على سلامتهم العقلية والجسدية عنصراً سماه "الحدس الحارس". ويقول سامب بناء على دراسة شملت ألفي شخص متقدمين في السن: "ثمة شواهد قوية تشير الى أن في متابعة التعلم فائدة جلية من حيث الصحة السليمة".

ويقول الدكتور جون موسى، وهو طبيب نيويوركي ذو خبرة طويلة في دراسة الهرم (لدى الشباب والمتوسطي السن والكبار)، ان "النشاط يخفف من عملية الهرم وتصلب الاوعية الدموية. وربما لم يتبادر الى الذهن أن التعلم هو من ضروب النشاط. إلا أنه عملية تشغل الجسم كله، بما في ذلك النظر والسمع والحواس الاخرى والانعكاسات اللاارادية وذلك العنصر الغامض الذي ندعوه الاثارة. وعندي أن عملية التعلم ومتطلباتها تضفي الصحة على حياتنا، في أي سن كنا".

وقد اجرت أكاديمية الانماء التربوي، وهي مؤسسة ابحاث غير تجارية، مئات المقابلات مع اناس في الستين وما فوق استأنفوا الدراسة، وحصلت على أجوبة طريفة، منها ما يأتي:

"هذه أضمن طريق لابقاء ذهني فاعلا".

"المدرسة خير علاج لشخص متقدم في السن اختار أن يبقى سليماً ومستمتعاً بالحياة".

"هذه المواضيع خلقت امرأة جديدة مني".

ويقول عالم النفس جيمس بيرين مدير مركز دراسة الشيخوخة في جامعة كاليفورنيا الجنوبية: "التربية سبيل الافراد الى الانسجام مع واقع من التبدل السريع. من هنا يتجاوز التعلم المستمر كونه أمراً مرغوباً فيه ليغدو واجباً ضرورياً".

دافع شخصي ـ التعلم كالرياضة. وفي امكان المرء أن يحسن صحته بمباشرته برنامجاً رياضياً بعد تقاعده من الوظيفة، وإن لم يكن مارس الرياضة اطلاقاً. ولكن من الافضل أن يستمر في برنامج بدأه من قبل.

ويقول روبرت ادامسون، مدير برنامج "التربية في الستين" في جامعة فوردهام في نيويورك، ان الذين يفيدون كثيراً من هذا البرنامج هم اولئك الذين "تابعوا العلم دونما توقف. ذلك أن لهؤلاء نظرة ذهنية سليمة".

ويقول ألفن يوريك رئيس أكاديمية الانماء التربوي: "ان البرنامج التربوي، سواء أكان عادياً أم

للمتقدمين في السن، يحقق هدفه اذا تمكن من اثارة المشاركين فيه. والبرامج الأكثر فائدة هي التي تدوم على السنين وتولد في متابعيها رغبة دائمة".

وهناك برنامج يقدم دروساً تدوم اسبوعاً أو اثنين في عدد من الجامعات ويحضرها اناس تجاوزوا الستين. وقد أخبرني وليم باركلي، رئيس هذا البرنامج المسمى "الدرهوستل"، ما يأتي: "لا يمكن أن تتصور كم هو عجيب ذلك الدواء الذي يتيح للمتقدمين في السن أن يكتشفوا قدرتهم على التكيف ومقتضيات الدراسة، كذلك على مجاراة الطلاب الاصغر سناً في صفوفهم العادية. وهذا الانجاز يرفع معنوياتهم ويمنحهم بصراً أفضل وسمعاً أفضل ويقوي حواسهم كلها. والتعلم هو خير المنعشات التي يمكنهم الحصول عليها". الا ان هذا لا يعني أن على كل شخص أن ينضم الى برنامج دراسي للمتقدمين في السن. ولئن تكن البرامج المنظمة تحفز بعض الناس على النشاط إذ تجبههم بواجبات محددة وتخلق لهم جواً من المنافسة، إلا أن من الناس من تكفيه دوافعه الشخصية لمتابعة برنامج دراسي في بيته يدوم مدى العمر.

وربما كان من المستحيل اقامة البرهان العلمي القاطع على العلاقة بين التعلم والصحة. ذلك أن الصحة، الجسدية والنفسية، وقف على عوامل اخرى كثيرة. لكن أثر التعلم المستمر في الصحة يزداد يوماً بعد يوم. وكما يقول العالم النفسي بيران وولف: "ان شحذ المرونة الذهنية هو خير ضمان ضد الكآبة والقنوط والاحساس بالعقم واللاجدوى".

■ ويلبور كروس



احترام في مكانه

كان معلم الماني كلما دخل الصف خلع قبعته وانحنى أمام تلاميذه. وسأله أحد أصدقائه يوماً عن سبب تلك البادرة، فقال: "من يدري؟ ربما أصبح بعضهم مرموقاً ذات يوم".

وهو كان على حق. ذلك أن أحد تلاميذه كان اسمه مارتن لوثر.

و.ب.

جدة صبية

تخشى زوجتي أن تسلم بتقدمها في السن، وتفعل كل شيء لكي تبدو في ربيع العمر. لذلك، عندما ولدت لنا حفيدة، لم تشأ زوجتي أن تدعى جدة. وظلت تتجنب الأمر الى أن حان عيد ميلاد الطفلة الأول. وبعدما كتبت لها بطاقة معايدة، حارت كيف توقعها. وفي ما بعد، أراني ابني البطاقة وقد كتبت والدته عليها: "عيد سعيد يا سعاد! وأطيب التمنيات من جدك وزوجته".

د.ك.

قصة قصيرة

رَهينَة الحبّ الكَبير

ملخص لقصة قصيرة بقلم الكاتب البريطاني سيسيل سكوت فورتسر، ر احداثها في الحرب العالمية الثانية

في خريف ١٩٤٤، بينما كانت جيوش الحلفاء تزحف نحو المانيا، تلقى قائد المشاة الجنرال فردريك فون دكستر أوامر جديدة من قيادته العليا.

ووقفت زوجته آلويز بجانبه من غير حراك وهو يقرأ، محاولة أن تخفي انفعالها. ولما فرغ من قراءة الرسالة أعطاها اياها وقال: "لدينا عشر دقائق فقط، دعينا نخرج للتنزه خلالها".

وقبل بلوغهما زاوية الشارع الاولى سألت آلويز: "ما معنى هذه الرسالة يا عزيزي؟"

ـ أنها أمر مباشر من الفوهرر، يعينني بموجبه آمراً لقلعة مونتافريل على الحدود البلجيكية بالقرب من القناة الانكليزية (بحر المانش).

"وأي قلعة هي هذه؟"

ـ أشك في كونها قلعة على الاطلاق. والواقع أن الفوهرر اعتمد خطة جديدة، وهي اطلاق صفة القلعة على نقطة معينة ثم تعيين حامية وقائد لها. ويُفترض أن تدافع الحامية عن الموقع حتى الرجل الأخير.

"انه أمر ميؤوس منه اذاً".

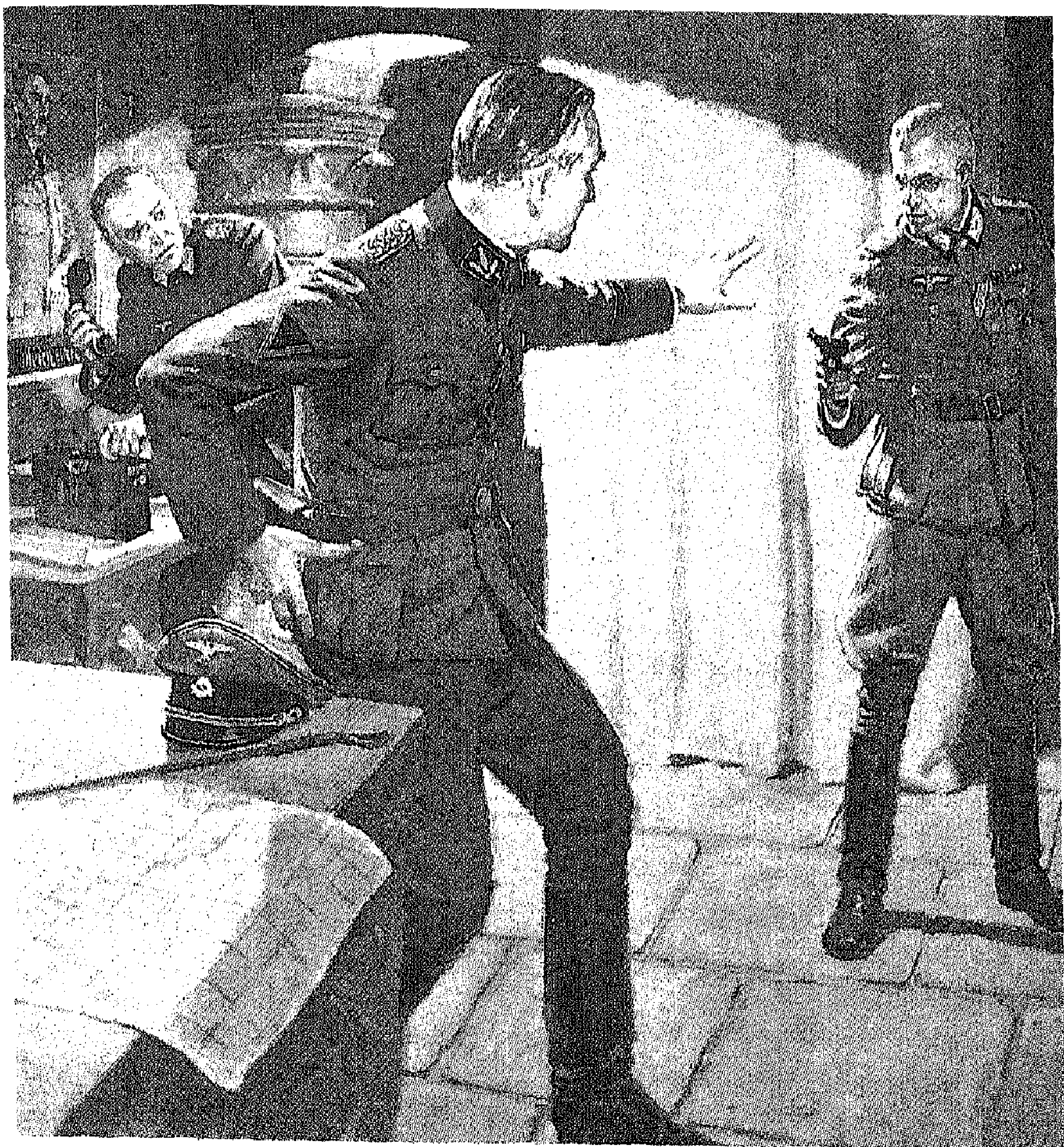
ـ واجبي أن اطيع الاوامر وأحارب من أجل بلادي، مهما يكن من أمر الغد. ولكن يحدث في بعض حالات الحصار أن يغدو الدفاع عقيماً. فاذا انهار الطوق الدفاعي، مثلا، أو كانت معدات العدو متفوقة على معداتنا، فالمقاومة تتحول مذبحة. لكني أظن أن المقاومة تجدي أحياناً، حتى في أقسى الظروف.

تعبير يائس ـ في أعماق ذاتها كانت آلويز على قناعة بأنه يستحيل وجود ظرف يستحق التضحية بآلاف الارواح. إلا أنها لم تصرح بذلك. وعوضاً عنه سألت: "وأنت يا عزيزي، هل فكرت في ما ستقدم عليه؟"

ـ لقد تسلمت أوامري، وكفى.

قال دكستر هذا بصوت جاف أمكن أن تتبينه آلويز وأن تبصر التعبير اليائس على وجه زوجها.

كان الجنرال فردريك فون دكستر عسكرياً قاسياً محدود الثقافة والنظرة



الى الوجود، بحيث لم يَخفَ على معارفه أن من العسير أن تحبه امرأة··

ترى كيف يمكن أن ينشأ الحب في ذلك الجو؟ هي في الستين وهو في الثالثة والستين، يسيران معاً في الشارع تحت شمس الخريف الكئيبة وهما يتحدثان في امور مرعبة تنطوي على هلاك الوف الرجال· إلا أن الحب كان نامياً في قلبيهما كما ينمو الزهر في شقوق الصخور·

وقال دكستر وهو لا يجرؤ على النظر الى عيني زوجته: "تعرفين، يا عزيزتي، أن هناك قانوناً للرهائن"·

ـ أجل·

لم يكن في المانيا شخص يمكنه تجاهل ذلك القانون الذي قوي تطبيقه خلال ذاك الصيف· ويقول هذا القانون ان تهـرب الضـابط مـن مسؤولياتـه يعرض امه أو أباه أو زوجته أو أولاده للقتل· وهذا يعني أن الرجل الذي

يتلكأ في اطاعة أوامره يحكم، في اللحظة نفسها، على أعز من لديه بالموت.

وقال دكستر لزوجته: "انك كل من بقي لي يا عزيزتي".

وكان أولادهما الثلاثة فقدوا جميعاً: فردريك الابن مات في العلمين وقضى لوثار في ستالينغراد. أما ارنست فأنه "فُقد في رستوف وهو يظن ميتاً". لم يبق سوى العجوزين، وقد حكم على الزوج بقيادة موقع مونتافريل وعلى الزوجة بملازمة المنزل كرهينة.

وسأل دكستر: "ألاحظت في الرسالة اسم معاوني العسكري؟"

ـ انه الضابط... لا أتذكر اسمه.

"اسمه الضابط فراي. وأنا أعرف لماذا اختير معاوناً لي".

ـ لكي يتجسس عليك.

"أجل، لكي يذكرني بواجباتي على الدوام".

وكانا بالقرب من البيت حين قالا كل شيء وبقي الوداع الذي يجب أن يتم سريعاً. وقبل دكستر زوجته وتوجه نحو السيارة المنتظرة وهو يفكر في قانون الرهائن.

وسام الفرسان ـ في اليوم السابع عشر من حصار مونتافريل شن الحلفاء هجومهم الثالث مخترقين خط الدفاع الأول. وحارب الجنرال ببسالة تحت المطر المنهمر وأنقذ الموقف بمن بقي له من الجنود. ثم شن هجوماً مضاداً كاد أن يخترق به صفوف الاعداء لولا حدوث انفجار أفقده الوعي. ولما وقف على قدميه من جديد كان الهجوم أخفق.

وعاد دكستر الى مقر القيادة في سرداب كنيسة مونتافريل التي انهال عليها وابل من القذائف خلال المعركة. وهناك وقف فراي وحياه قائلا: "أود أن اهنئك أيها الجنرال". ولما سمع دكستر ذلك الصوت الحاد، نظر اليه بذهول. وبحركة غريبة مد فراي شيئاً معدنياً نحو دكستر وهو يقول: "انه وسام صليب الفرسان الذي تستحقه أكثر من أي شخص آخر".

ـ كيف وصل الى هنا؟

"لقد وصل بالطائرة. ألم ترَها وهي تحلق هذا الصباح وتلقي علبة معدنية؟".

وكان دكستر منهمكاً في المعركة بحيث لم يلاحظ مرور طائرة.وسأل بحزم: "وهل كان هناك شيء آخر في العلبة؟"

ـ أوامر خاصة لي من القيادة العليا.

"وماذا لي أنا؟"

ـ رسالة واحدة يا جنرال.

وما أن رأى دكستر الرسالة حتى عرف ما هي. وللحال انتزعها من يد فراي الذي كان يحاول فتحها وهو الجاسوس المحنك. وكضابط سياسي، كانت له تلك الصلاحية. لكنه أدرك أن دكستر سيمنعه من رؤية رسالة آلويز بأي ثمن.

ولما كان شرفه العسكري يقضي عليه اداء واجباته قبل قراءة الرسالة فقد سأل دكستر: "هل ثمة أوامر وجهتها القيادة إلي؟"

وأجاب رئيس الاركان المساعد، واسمه بس: "هناك أوامر شفوية يا سيدي". وكان كبير أطباء الحامية أعلم القيادة بأن المخدرات والضمادات نفدت كلها وان كمية الدم

الباقية قليلة جداً. وأضاف بس: "كما ان معاون فرقة المدفعية ٥٠٧ يود أن يقول...".

وقاطعه دكستر: "لقد صادفته في طريقي، وأخبرني ما يريد قوله، وهو أن ما بقي من ذخيرة هو عشر طلقات لكل بندقية، وان البنادق الصالحة قليلة... هل هناك شيء آخر؟".

ـ أجل، هناك قرار المجلس العسكري يا سيدي.

وكان قبض على جنديين يحاولان الفرار وأمر باعدامهما. ولا يجوز العفو عنهما اذا أريد للحامية الصمود، بل ينبغي أن ينفذ دكستر الحكم سريعاً. إلا أنه راجع انجازاته ووجد أنه أبلى حسناً. وكان يمكن سقوط الحامية في اليوم الثالث لو انها كانت في عهدة قائد أخرق. أما هو فجعلها تصمد أطول كثيراً، وقد أوشك اليوم السابع عشر أن ينقضي. ولا محالة أنه يستأهل مكافأةأعلى من صليب الفرسان... أوليس في طاقته، اذاً، أن يعفو عن اثنين من رجاله؟ أوليس له أنينقذ جميع رجال الحامية وعددهم عشرة آلاف؟ وأدرك فجأة أن عيني فراي تحدقان الى وجهه.

وقال فراي وقد غدا صوته الثاقب أكثر حدة: "أتمنى أن تكون البارونة في حال جيدة... أتمنى أن تكون حالها جيدة".

وأدرك دكستر مغزى كلمات فراي، وهو التهديد باهلاك رجال الحامية جميعاً. فالرجل كان يعاني جنوناً من نوع جنون الفوهرر ورجال حزبه كلهم، وهو حب التدمير.

خبر سيىء ـ كان مسدس دكستر معلقاً حول خصره. وراودته نفسه بأن يسحبه ويقضي على ذلك المجنون. إلا أن ذلك لم يكن ليساعد آلويز أو ينجيها من ملاحقة السلطة، بل يفتح لها طريق العذاب والموت. ولجم الجنرال غضبه بقوة هائلة وقال: "سأدخل غرفتي وأرتاح... خمس عشرة دقيقة فقط".

وسار ببطء نحو زاوية حجب فيها سريره بستارة، ولم ينسَ أن يحمل معه شمعة. واتكأ على السرير والرسالة في يده. ولهنيهة قرر ألا يقرأها لفرط اجهاده وهمه. فالفكرة التي تدور في خلده من شأنها انهاء مشاكله: انه الآن يفكر في قتل نفسه، مما قد يهدىء اولئك المجانين في القيادة العليا. واذا لم يرضِهم ذلك، فهو في أي حال لن يتأثر وقد لفه سلام الموت. ولكن ماذا عن آلويز؟

ان فكرته تلك لن تنفع زوجته ولن تحل مشكلة الحامية. وبموته سيتسلم فراي القيادة ويجر عشرة آلاف رجل الى الهلاك.

وفتح دكستر الرسالة وأخذ يقرأ: "عزيزي الأعز! هذه الرسالة تحمل اليك أطيب تمنياتي وأعمق حبي الذي منحتك إياه طوال سني زواجنا. لكنني أخشىأن تزيد رسالتي هذه من تعاستك، إذ أن هناك خبراً سيئاً أقصه عليك.

"إني لن أكون حية لدىتسلمك هذه الرسالة. فأنا مصابة بسرطان اشتد علي في الايام الاخيرة الى حد لن تمكنني معه المقاومة. والحبوب التي أعطاني اياها الدكتور موهرنفيتز لتسكين الالم والنوم أبقيتها في حوزتي لمواجهة الايام العصيبة هذه.

وبعد ايداع رسالتي البريد هذا المساء، سأتناول الحبوب كلها جرعة واحدة. لقد اتخذت جميع الاجراءات لمواجهة هذا الموقف. وأعرف اني مائتة.

"لذلك أقول لك: وداعاً. لقد كنت على الدوام نعمَ الزوج. وأنا أحببتك من كل قلبي، واحمد الله لانعامه علي بزوج احبه.

"أفكاري الاخيرة هذه الليلة ستكون معك، أنت أعز الناس في كل وقت... وداعاً، يا حبيبي، وداعاً".

الاستسلام ــ قرأ دكستر الرسالة وفقد كل حس ما عدا حسه بخسارة زوجته. ان عالماً لا يحوي آلويز هو عالم يأبى العيش فيه. وعاودته الفكرة التي دخل الغرفة من أجلها. ووضع يده على المسدس، إلا أن برودة المعدن أعادته الى عالم الواقع. لقد ماتت آلويز الآن، وثمة واجب ينبغي تحقيقه.

وسحب دكستر مسدسه وخرج الى السرداب. هناك كان فراي وبس ينتظران أن يسمعا دوي المسدس خلف الحجاب. لكنهما نظرا بعجب الى دكستر وهو يخرج من خبائه.

وصرخ دكستر في وجه فراي: "لا تتحرك والا قتلتك".

وأطاع فراي الأمر. ولم يخرج من شفتيه أي صوت، على رغم اهتزازهما.

وصاح دكستر مرة اخرى: "بس، خذ الهاتف واتصل بالجنرال فاسل حالا".

وانبرى فراي قائلا بصوته الحاد المعهود وهو يرتجف انفعالا: "انك ستستسلم! أليس كذلك؟"

ــ اجل.

"ولكن زوجتك! تذكر..."

ــ زوجتيَ ماتت.

"وماذا عن زوجتي؟ أولادي؟"

واستحال صوت فراي صراخاً. ووضع يده على مسدسه. ولكن قبل أن يرفعه من مكانه عاجله دكستر بطلقتين.

ذلك المساء بثت الاذاعة البريطانية نبأ استسلام قلعة مونتافريل. وخرج عشرة آلاف رجل من ظل الموت الى مخيمات الأسر التي أقامها الحلفاء. وفي مخبأ في طرف بروسيا الشرقية، راح طاغية مسعور يهتز بجنون لأن عشرة آلاف رجل كان يبيت لهم الموت كتبت لهم الحياة.

وفي مساء اليوم نفسه طرق أربعة رجال باب منزل في شارع ولفن. وفتحت لهم الباب امرأة جليلة عرفتهم لتوها من بزاتهم.

وقالت لهم: "كنت أتوقع مجيئكم أيها النبلاء".

وكانت قبعة العجوز ومعطفها معلقين على جدار البهو. فألقتهما عليها بسرعة واتجهت نحو السيارة المنتظرة.

ولم تبدُ عليها أي علامة للسرطان. لكنها برت بوعدها لزوجها، فكانت أفكارها الاخيرة متجهة اليه.

■ تشارلز س. فورتستر

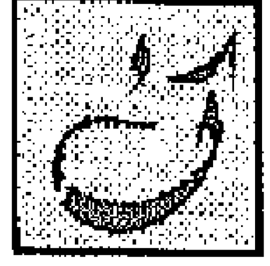


النفوذ كالكحول: اذا استهلك بسرعة كان أثره أسوأ على الدماغ.

ل.هـ.

قصدت والدي لهدف واحد...
لم اتراجع عنه

أبي... إني أحبّك



كنا على الدوام عائلة حسنة السمعة، خفرة، يتجنب أفرادها عرض عواطفهم على الملأ. ونادراً ماكان يعانق واحدنا الآخر. واكتفى ذكور العائلة بالمصافحة اليدوية. وقد علمنا أبي أن نصافح بقبضة قوية، وننظر الى الآخر في العينين ونحن نفعل هذا.



ومع تقدم والدي في السن لاحظت أنه بات أقل خفراً. فهو لم يعد يخجل اذا رآه الآخرون يبكي. وأخيراً بلغت جرأته الحد الذي يأخذ معه يد أمي ويقبلها علناً أمام الاولاد والاحفاد، الأمر الذي لم نشاهده قط في حداثتنا.

كما وجد أبي الجرأة لملاطفة امرأة غير زوجته التي أحب. وفي حين عزا

* Condensed from «Where Eagles Soar», copyright (c) 1980 by Jamie Buckingham, published by Chosen Books, Lincoln, Va. This story appeared also in Guidéposts (June '81).

كثيرون حريته هذه الى الخرف الذي يأتي أحياناً مع الهرم، عزوتها أنا الى النضج. فهو قال لي مرة ان تقدمه في السن جعله يدرك خطأ التوحيد بين العفوية والخطل في سنواته الماضيات. ومن الحيف أن نحاول ستر مشاعرنا في هذه الحياة القصيرة.

وفيما أخذ والدي ينمو في مناخ الحرية هذا وحبي له يزداد، أخذت أنا أيضاً أتوق الى التعبير عن عواطفي على نحو أفضل. لكني كل مرة كنت أزوره ويحين وقت الوداع، كنت أمد له يدي عوضاً عن الانحناء لتقبيل يده. حتى عبارة "أحبك" كانت تبقى عالقة في حلقي، احاول أن أتفوه بها ولا أقوى على ذلك.

وأخيراً نفدت طاقتي على احتمال هذا الوضع. لقد كان مفهومي للرجولة يخنق عفويتي. لكني، عصر يوم سبت، قطعت مسافة ٥٥ كيلومتراً الى بيتنا الوالدي لاكسر ذلك القناع المصطنع. ودخلت مكتب والدي لأجده في كرسيه النقال وهو يكتب.

وبادرته: "لقد جئت لغاية واحدة. أريد أن أقول شيئاً ثم أفعل شيئاً وأمضي".

وفجأة احسستني كالمغفل. لقد كنت في السادسة والاربعين وأبي في السادسة والثمانين. وأنا قطعت المسافة كلها من أجل هذا الغرض، ولن أغادر قبل تحقيقه.

وقلت وأنا أشرق بكلماتي: "اني أحبك".

"أهذا كل ماجئت تقوله؟"

قال أبي تلك الكلمات برفق، ثم وضع قلمه على الطاولة وراحتيه على ركبتيه وتابع: "أكان ضرورياً أن تقطع هذه المسافة لتقول ما قلته؟ ولكن ثق بأني مسرور كثيراً لأنك فعلت هذا".

– لقد أردت أن أقول هذا طوال سنوات.

ولم ينظر الي، بل بقي محدقاً أمامه وهو يهز رأسه برفق. وانحنيت وقبلته على خديه ثم على جبينه.

ونهض أبي وأخذني بيدين قويتين، وأدناني اليه وهو يطوق عنقي بذراعيه. وبقينا هكذا هنيهات طويلة الى أن أعتقني أخيراً. وكان الدمع يلتمع في عينيه وشفتاه ترتجفان وهو يخبرني الآتي:

"مات والدي وأنا حدث. وبعيد ذلك غادرت البيت الى الجامعة، ثم علمت في مدرسة قبل أن ألتحق بالخدمة العسكرية في فرنسا خلال الحرب العالمية الاولى. وعندما وضعت الحرب أوزارها ورجعت الى الوطن، لم أعد الى المنزل الا لزيارة امي.

"ولما تقدمت بها السن دعوتها الى العيش معنا. لكنها رفضت ذلك وقالت: "سأبقى في هذا البيت. غير أني احبك لأنك اقترحت علي الانتقال الى بيتك. ولكم أود أن تكرر علي هذا العرض حتى ساعة وفاتي، على رغم أني سأرفضه دائماً".

ثم رفع أبي عينيه إلي وقال: "أعرف أنك تحبني. غير أني أود أن أسمع هذه العبارة منك الى أن تحين وفاتي".

وشعرت كأن قيداً انكسر في داخلي عصر ذلك السبت، أو كأن عقدة مزمنة حلت. وقدت سيارتي نحو المنزل وقد حلقت نفسي في السموات العلى.

■ جامي باكنغهام



حديقة أفكار

- في كل عمل عبقري نقع على أفكارنا نحن المرفوضة وقد عادت الينا في رداء من العظمة بعدما طالت غربتها.

رالف والدو امرسون

- المنطق نستعمله للبرهان، لكننا بالحدس نكتشف.

هنري بوانكاريه

- إني أقدّر الصديق الذي يجد لي وقتاً على مفكرته. لكني أجل الصديق الذي يمنحني الوقت من غير استشارة مفكرته.

روبرت برولت

- السائح شخص يقلب صفحات البلدان من غير أن يقرأها.

غ.ب.

- قيمة الزواج ليست في أن ينجب الكبار صغاراً، بل في أن ينجب الصغار كباراً. فأطفالنا هم الذين يمنحوننا النضج.

بيتر ديفريس

- ترى، لماذا نخلق المناقشة الحامية جواً بارداً؟

ا.ن.

- إذا أخبرت الريح أسرارك، فلا تلومن الاشجار على فضحها.

ماريا سانتياغو

- الضحك هو أن تسري البهجة في جسدك كله وتخرج من مكان واحد.

ج.ب.

- لا تسخرن من فتى يافع إن هو تكلف في مسلكه. فهو يجرب وجهاً بعد آخر لكي يرى أي وجه يلائمه.

لوغان سميث

رويسدايل
الرسام الشاعر

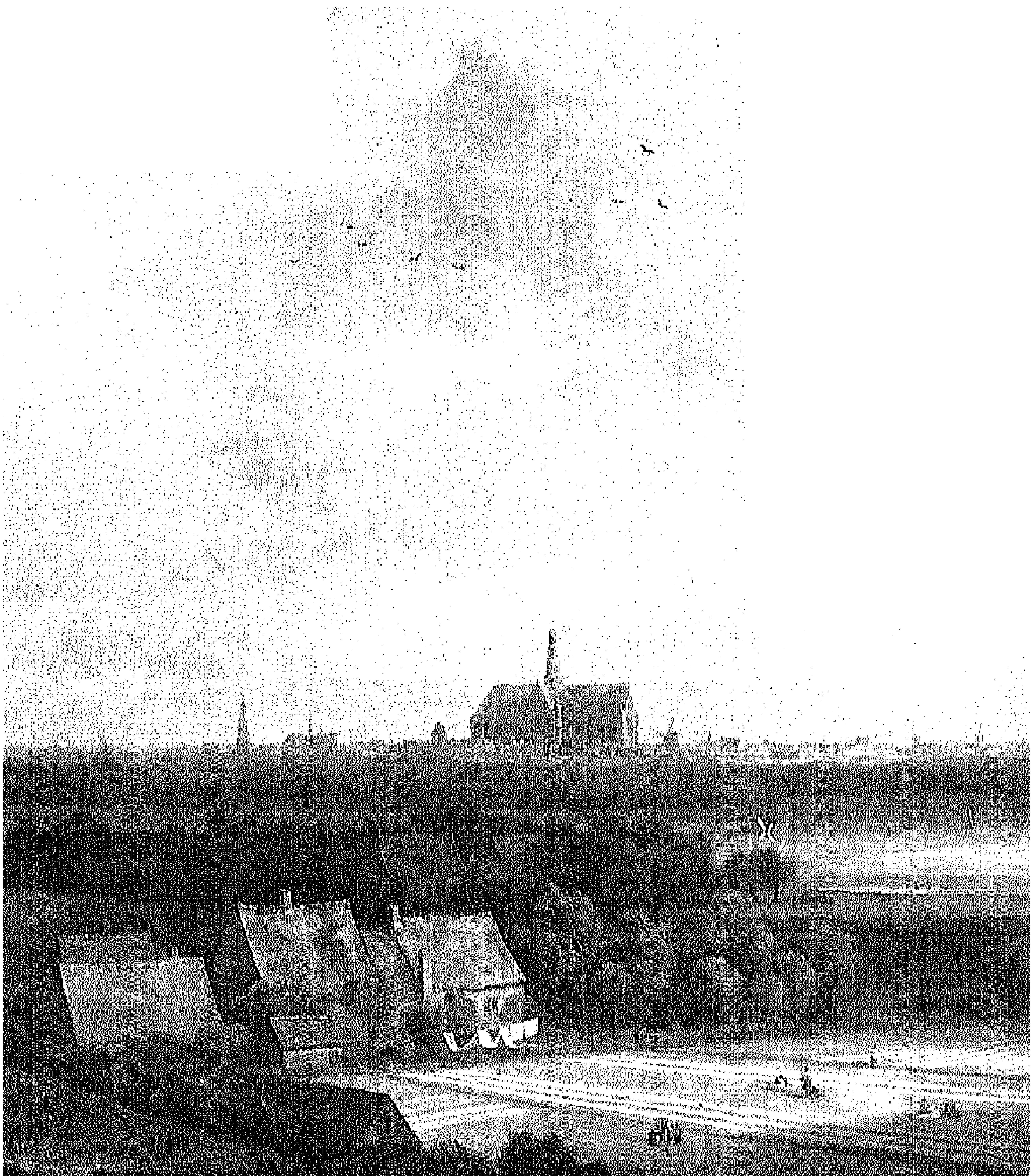
رسام من القرن
السابع عشر
صور الجمال الأزلي للطبيعة
في مزيج من الواقع
والخيال

قبل ٣٠٠ سنة توفي رسام المناظر الطبيعية يعقوب فان رويسدايل، لكنه ترك أرثاً لا يزال يسحرنا: ٨٠٠ عمل فني تصور ظواهر الطبيعة بأسلوب شخصي آسر. وكان بين المعجبين بهذا الرسام الهولندي فنانون افذاذ من امثال غينزبورو وتورنر وكونستابل. ويروى عن الرسام البريطاني جون كونستابل انه بعدما



Mauritshuis, The Hague

◄ في سنواته الاخيرة عاد رويسدايل الى المواضيع التي أحبها في مطلع حياته: المدينة التي ولد فيها وجوارها. ومن هذه "هارلم وباحات تبييض الكتان" (١٦٧٤).



عام ١٦٥٠ زار رويسدايل منطقة الحدود بين هولندا وألمانيا حيث الاكمات المنتثرة والجداول الجارية التي حركت في نفسه مشاعر عاطفية جسدها في لوحته "طاحونتا ماء".

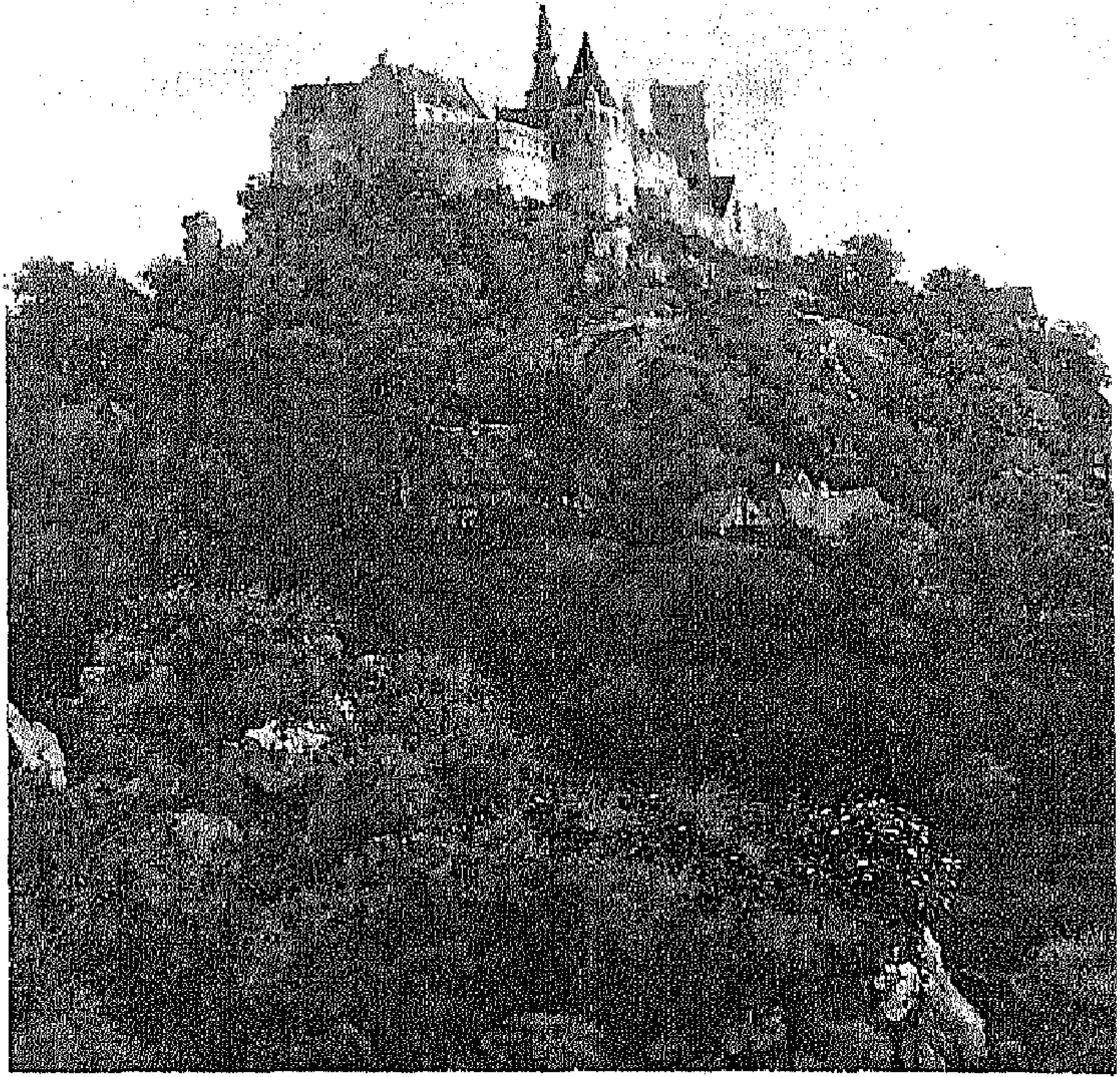

National Gallery, London

تمعن في احدى لوحات رويسدايل كتب الى صديق له يقول: "انها تراود فكري دائماً وتلتصق بقلبي".

لا ريب في ان زوار المتاحف في ارجاء العالم يشاطرون كونستابل هذا الرأي. وقد أقيم معرض تذكاري كبير للوحات رويسدايل ضم مختارات من الرسوم والمحفورات في متحف موريتشويس في لاهاي (هولندا) بين اكتوبر (تشرين الاول) وديسمبر (كانون الاول) ١٩٨١. وللمرة الاولى جمع معرض فني كل اعمال رويسدايل المهمة من المتاحف والهواة في هولندا وبريطانيا والولايات المتحدة والمانيا الغربية و١١ بلداً أخرى. ومن ١٩ يناير (كانون الثاني) الى ٢٠ أبريل (نيسان) ١٩٨٢ عرضت هذه الاعمال في متحف "فوغ" للفن في كامبردج، ولاية مساتشوستس الامريكية.

قدر لرويسدايل ان يولد في انسب عصر ومكان لأنسب عائلة. فعلى نقيض البلدان المجاورة حيث اقتصرت الاعمال الفنية على تلبية طلبات الكنيسة الكاثوليكية والقصور الملكية، كانت هولندا في القرن السابع عشر تنعم بغياب "الرسم الرسمي" مما وفر للفنانين الهولنديين حرية اكبر. ونتيجة ذلك قامت سوق ناشطة للوحات الفنية ونعم الرسامون بمراكز مرموقة في المجتمع.

امضى رويسدايل ايام صباه في مدينة هارلم شمال هولندا، في بيت



رحلة في المانيا اوحت الى الفنان بلوحة "قلعة بنتهايم" (١٦٥٣)٠ القلعة نفسها تعكس الواقعية، لكن رويسدايل وضعها على قمة جبل ضمن منظر طبيعي خيالي٠

ساده جو الرسم والرسامين٠ عمه سليمان يعتبر من رسامي الطبيعة البارزين في هولندا، وان تكن شهرة ابن اخيه حجبته الى حد ما٠ ووالده اسحق كان تاجر لوحات فنية وصانع أطر ورساماً٠ اما أمه فماتت وهو صبي٠ وان عزوف يعقوب عن الزواج والطابع الكئيب لكثير من اعماله يوحيان بأنه كان ينزع الى الوحدة٠

لم يطرأ اي تغير مهم على نهج رويسدايل طوال حياته، ومع ذلك فأن اعماله الاولى كانت اكثر واقعية اذ انه اطلق العنان لخياله العاطفي في ما بعد٠ لوحة "المقبرة" تمثل تركيباً قوياً للواقع والخيال وتفصح عن تفهم عميق للظواهر الانسانية العابرة وتبين في الوقت نفسه قدرة الطبيعة على التجدد٠ ومن العجيب ان ثمة نسختين لهذه اللوحة: احداهما يغلب عليها منظر سماء راعدة دكناء والاخرى توحي ببارق امل في شكل قوس قزح٠ وفي العام ١٨١٣، بعد وفاة رويسدايل بزمن طويل، اوحت النسخة الاولى الى الشاعر الالماني غوته بكتابة مقال بعنوان "رويسدايل الشاعر"٠

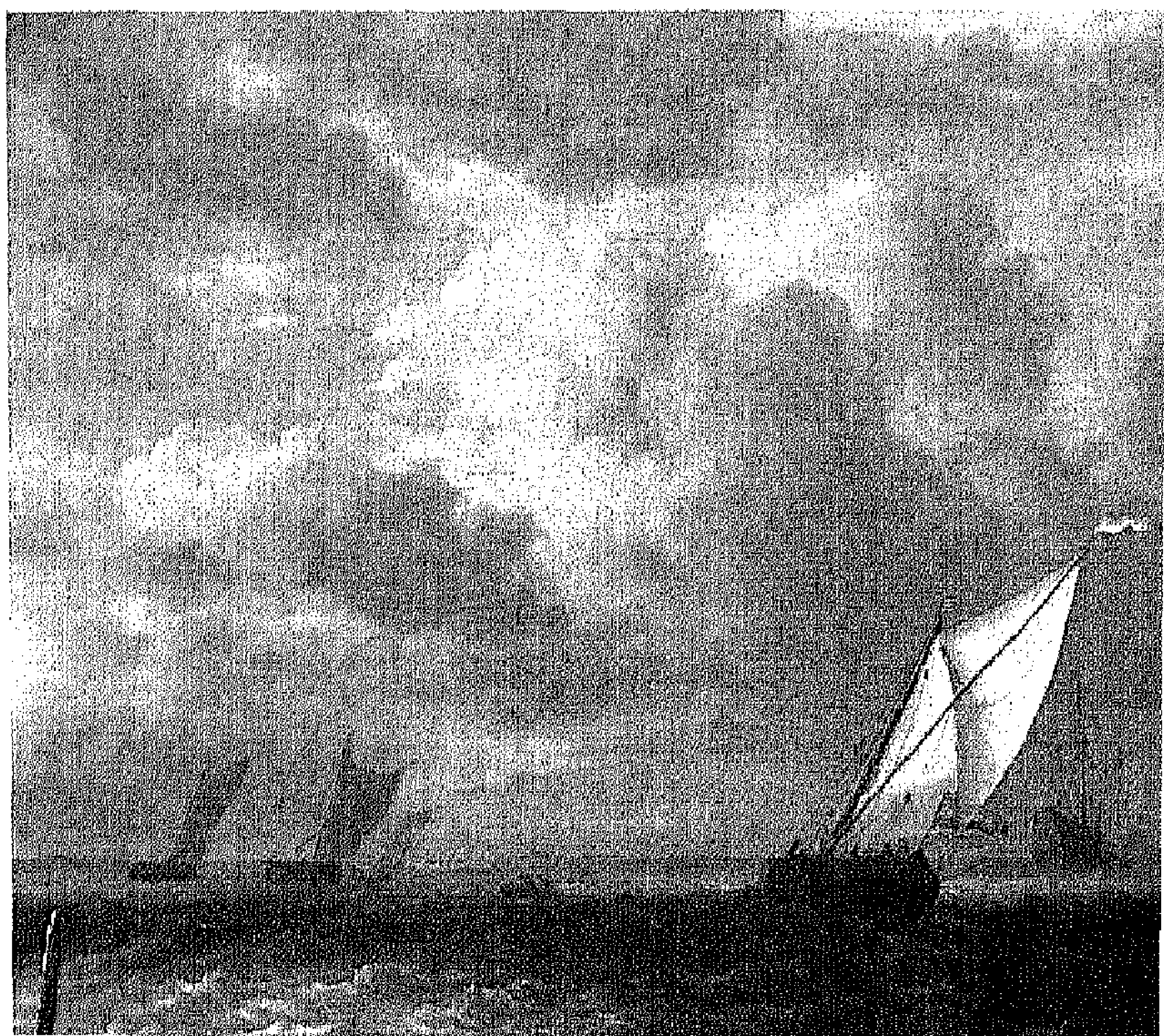
عام ١٦٥٦ انتقل رويسدايل الى امتسردام٠وفي محترفه في كالفرسترات أبدع أعظم تحفه الفنية٠ ولم تكن انابيب الاصباغ اخترعت بعد، فكان رسامو المناظر الطبيعية يعملون في محترفاتهم وينجزون نقلا عن رسوم ومن الذاكرة٠ وربما كان هذا سبباً في نزعة رويسدايل الى مزج



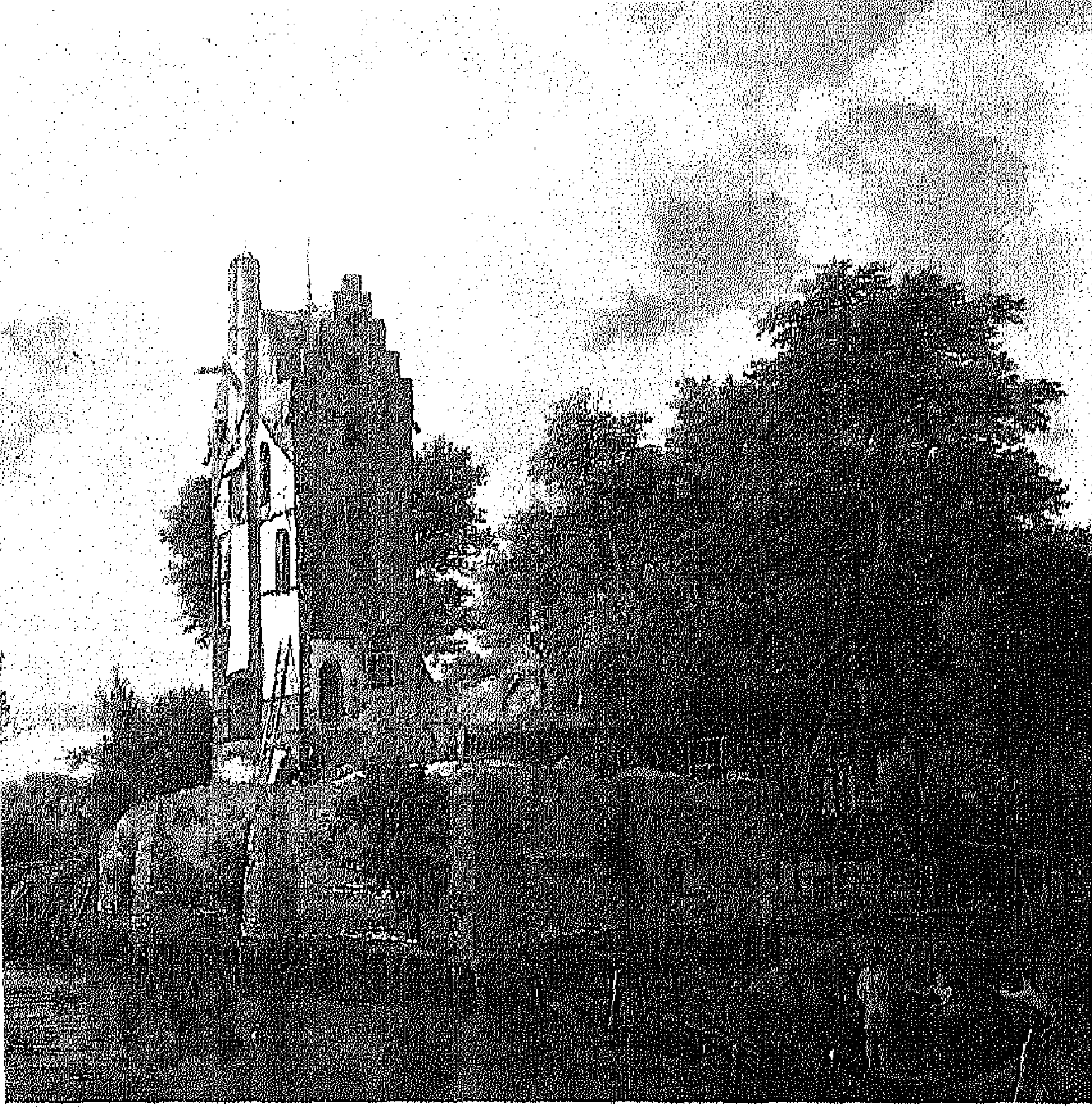
"الطاحونة عند النهر" تبدو اضخم مما هي في الواقع اذ رسمها الفنان من نقطة منخفضة. والمنظر البديع المظلل يسبغ على اللوحة رونقاً شاعرياً.

Privately Owned

Museum of Fine Arts, Boston, Mass.



الغيوم والامواج عميقة التعبير، لكن السفن ببيارقها الغنية بالالوان تضفي على لوحة "البحر المتحرك" طابعاً ريفياً شاعرياً.



"قلعة كوستفرلورين على نهر امتسل"(١٦٦٠) اشتراها حديثاً متحف امستردام للتاريخ بمبلغ ٥٣٥ الف غيلدر (٤١٤ الف دولار)٠

الحقيقة بالخيال العاطفي٠ وباتت الشلالات والغابات المظلمة مواضيعه المفضلة٠ واذا هو ادخل الناس على رسومه، فمن اجل اظهار الجلالة والعظمة اللتين تحيطان بهم٠ ومع ان معظم مواضيعه ظلت هادئة وريفية، فهو كان يضفي عليها مسحة من القلق فيبدل المنظر بأكمله٠ فالسماء المثقلة بالمعاني، والتي غالباً ما تسودها مسحة التشاؤم، تغطي نصف اللوحة او ثلاثة ارباعها٠

بعد ١٦٦٠ انتج رويسدايل بعضاً من أبرز اعماله المميزة مثل "طاحونة ويجك بيج دورستيد" (١٦٧٠)٠ وكما فعل في كثير من اعماله الاخرى، رسم رويسدايل هذه اللوحة من نقطة عالية لكي يضفي على المنظر طابعاً معبراً٠ هذه اللوحة تعتبر عالمياً احدى القمم في نهج رسام كان بين الابرز والاغزر انتاجاً في تاريخ الفن الهولندي٠

■ تيري جيمس ـ كستر



الكتاب الناجح هو ذاك الذي يدّعي قراءته من لم يقرأه قط٠

ك٠ك٠

أخبار العلم

بكاء الاطفال

بدأ العلماء يستدلون من بكاء الطفل على ما ستكون طباعه وشخصيته مستقبلا. ويقول مايكل لويس، استاذ أمراض الاطفال في كلية الطب التابعة لجامعة راتغرز في ولاية نيوجرزي الامريكية، ان "الطفل يواجه العالم الخارجي بالتفاؤل كلما استجيب لاصواته. وان وليداً ذا ثمانية أسابيع تعجبه كثيراً قدرته على تسيير عالمه بهذه الطريقة.

أما اذا بقي صراخ الطفل من غير اجابة، فهو يشعر بالارتباك والضعف. ولكن هل تجدر الاستجابة لجميع نوبات البكاء والصراخ التي يلجأ اليها الاطفال؟ عن هذا تجيب سوزان كروكنبرغ استاذة علم النمو البشري في جامعة كاليفورنيا (مدينة ديفيس): "كلما قويت استجابة الام لصراخ طفلها، خف هذا الصراخ فتلبية حاجات الطفل تمنحه الشعور بالامان والثقة".

صحيفة "نيويورك تايمس"

كائنات مجهرية

المواد الكيميائية المنبعثة بحرارة فائقة من جبل القديسة هيلانة في ولاية واشنطن الامريكية عام ١٩٨٠ ادت الى محو جميع الكائنات الحية في محيط "بحيرة الروح" المجاورة واعادت الوضع البيولوجي في ذلك المكان مليارات السنين الى الوراء. بحيث بات يشبه بدء الخليقة. واكتشف العلماء من جامعة اوريغون كائنات مجهرية في البحيرة، ربما كانت مشابهة للكائنات الاولى التي ظهرت على وجه الارض. ويقول جون باروس، استاذ البيولوجيا المجهرية في اوريغون، ان حرارة البركان من شأنها تحويل الغازات البدائية الى بروتيينات وجزيئات كبيرة نسبياً، وهي خطوة اولى نحو الحياة.

وقد أدى الانفجار البركاني الى ترسب المعادن والكبريت في البحيرة وعرض الصخور الكبريتية في فوهة البركان لحرارة بلغت ٩٠ درجة مئوية. وهذه ظروف ملائمة لنشوء أنواع غريبة من البكتيريا التي تمتص الغذاء عبر ثقوب جلدها وتعيش بالحديد والمغنيزيوم والامونيا (النشادر) وأول اوكسيد الكربون والكبريت. وبعض هذه الجراثيم يعيش بلا اوكسيجين، اسوة بأنواع البكتيريا الاولى التي ظهرت على الارض. وكائنات البحيرة المجهرية تشبه البكتيريا المغتذية بالكيميائيات التي اكتشفت في المياه الجوفية الساخنة في جزر غلاباغوس في.

وربما أشار هذا التشابه الى نشوء الحياة في الفجوات البركانية ذات المياه الحارة. وقد توصل العالم سيدني فوكس منجامعة ميامي الى نتائج مماثلة عن طريق توليد هذه الكائنات مخبرياً في أقل من ٢٤ ساعة بمساعدة الاحماض الامينية. ويؤمل أن تؤدي المقارنة بين هذه الكائنات المخبرية وكائنات "بحيرة الروح" الى تكوين فكرة أكثر وضوحاً عن أصل الحياة.

مجلة "نيوزويك".



كنت اظنه اخي الاكبر، وهو ملأ حياتي وكان المحور الذي يدور حوله عالم اولاد الجزيرة

وجه لا انسى

كنت جالساً في فناء البيت اصنع كرة بيسبول(★) بلف قطع قماش حول حجر، فخيل الي اني اسمع صرخات استغاثة من مكان بعيد، وظهر فرد بنسون من خلف مخزن الحبوب وقد بدت على وجهه امارات التعجب.

وحملت الينا الريح ذلك الصوت ثانية وتأكد لنا انه صراخ، وصاح فرد: "يبدو ان مركباً تحطم، فلنستطلع الامر".

وانطلقنا في الشاحنة، كنا نعرف ان غرق السفن امر مألوف في تلك المياه الغادرة في جزيرة بلوك (ولاية رود آيلند)، لكني لم اسمع صراخاً عصبياً كهذا من قبل، فالتصقت

(★) كرة القاعدة.

بفرد. كنت في الحادية عشرة وهو في الثالثة والعشرين، قوي البنية وعظيم الصدر والذراعين. وكان في نظري اعظم الرجال، غير ان هذا الحادث قد يعجز حتى فرد عن معالجته.

وصلنا الى منحدر فرأينا تحتنا مباشرة سفينة عالقة بين الصخور. وانزل قارب النجاة، لكن الركاب والبحارة المذعورين، عوضاً عن التوجه الى شاطىء الامان اخذوا يجذفون في حلقات مغلقة دونما هدف.

وصاح فرد: "لقد جنوا! انهم يدورون وسط فخاخ السمك".

وكانت عوامات الشباك الثقيلة براميل كبيرة طليت باللون الاسود وأحكم ربطها باطواق حديد. نحن في العام ١٩١٨ وامريكا ما زالت في حال حرب وقد زرعت الالغام في مياه نيوانغلند. وفجأة ادرك فرد المشكلة: "انهم يظنون هذه البراميل الغاماً".

وركض فرد الى اسفل المنحدر وهو يصيح ان المياه خالية من الالغام. وعلى رغم تأكيداته بقي الخوف مسيطراً على الركاب وبدا ان القارب يتوجه نحو منطقة الامواج العاتية مما سيؤدي حتماً الى انقلابه.

ونزل فرد الى المياه حتى غمرت صدره وأمسك المجذاف الامامي، وبجهد كبير جر القارب الى الشاطىء. ونزل الركاب وهم ينتحبون ويعانقون فرد. اما أنا فوقفت بجانبه وقد تملكني شعور بالفخر. ان احداً من اهل الجزيرة لا يمكنه ان يفعل ما فعله فرد.

وفي اليوم التالي مر بمزرعتنا ريمون كونلي واخوه ويلاند وطلبا من فرد مرافقتهما الى الشاطىء حيث تحطمت السفينة. ولحقت بهم كعادتي، فوجدنا جلود ماشية ملقاة هناك. وعرفنا ان طاقم السفينة كان ينقل معه بعض الماشية فيذبحها حين تدعو الحاجة ويبقي على الجلود. وجررنا الجلود الى اعلى المنحدر وبعناها بـ١٦ دولاراً.

ريمون الذي تولى عملية البيع قسم المال في ما بيننا. فأعطاني "انا الولد" دولاراً واحداً واعطى كلا من الباقين خمسة دولارات. واعترض فرد: "اننا اربعة، وهذا يعني ان نصيب الواحد منا اربعة دولارات. وولداً كان ام شاباً، فان جورجي قام بربع العمل مثلنا تماماً".

ولم يجادله الاخوان كونلي، اذ ان احداً لا يناقش فرد في اي موقف، لا لانه يعتبر اقوى رجال الجزيرة بل لان الجميع يعلمون انه يختار جانب الحق دائماً. نحن الاولاد! كم بدا لنا العالم أميناً في وجود فرد بنسون قربنا.

ابن الطبيعة - كنت اظن فرد اخي الاكبر. ولكن في السادسة من عمري اخبرني فتى أقام عندنا في اشهر الصيف ان ذلك مستحيل لان فرد اسود البشرة. واذكر اني حملت هذا النبأ المذهل الى ابي الذي أكده واخبرني كيف ان جدي أحضر فرد من ميتم في بوسطن ليعمل في المزرعة، وكان آنذاك في الثامنة من عمره. وسرعان ما اصبح فرد من العائلة.

وواجهت الجزيرة اياماً عصيبة بعد موت جدي، ولم يساهم احد منا في صون وضع العائلة كما فعل فرد. ففي ايام الحصاد كان يعمل اجيراً لدى المزارعين، وفي الشتاء يقطع الجليد ويحفظه، وفي الربيع والخريف

يجمع العشب البحري لاستعماله سماداً. وبين وظيفة واخرى كان يبيع السمك والمحار للفنادق الصيفية.

"التحضير والصبر هما عماد الصياد الناجح". هذا ما كان يقوله لي كلما رافقته الى خليج شفيلامكانه المفضل لمراقبة الامواج المتكسرة. وكان يقف لساعة احياناً، محدقاً الى الماء بلا حراك ومراقباً اي حركة خاصة على السطح توحي بوجود سمك. اذ ذاك كان ينزل الى الماء ويقف بثبات ثم يقذف قصبة الصيد بعيداً حتى يطرح الطعم في موقع السمك. كان يعرف تماماً درجة حرارة الماء وسرعة التيار واتجاه الريح ونوعية الضوء. وكان يقول: "ان الطبيعة ترسل اشاراتها باستمرار، وعليك ان تتآلف معها والا فاتك فهمها".

في السنوات الاولى من عقده الثالث امضى فرد فترة في ديترويت (ولاية ميشيغان) تعلم خلالها ميكانيك السيارات. وعندما عاد فتح حانوته الخاص الذي اصبح لسنوات محور عالم اولاد الجزيرة. وكان يسمح لنا باستعارة ادواته لاصلاح دراجاتنا. وكنا نتأمله وهو يعمل ونؤخره بألوف الاسئلة التي تخطر لنا، لكنه لم يتذمر ابداً ما دمنا جادين ونريد ان نتعلم فعلا. ولا شك في انه كان استاذاً بالفطرة.

ولاحظت ادارة المدرسة ذلك فدعته الى الالتحاق بها واعطاء دروس في اصلاح السيارات. لكن القانون كان يفرض ان يحمل المعلم شهادة ثانوية على الاقل، وفرد ترك المدرسة قبل ان يتخرج فما كان منه الا ان عاد الى الدراسة. وفي العام ١٩٥١ ضم الصف المتخرج اربعة مراهقين وفرد البالغ ٥٦ سنة.

"اولاد فرد" ــ في خريف ذلك العام واجه فرد طلابه للمرة الاولى: "لقد تعهدت بتعليمكم، وتعهدتم انتم بالتعلم. فنحن فريقان متكاملان كدولابين مسننين متداخلينفي جهاز تبديل السرعة. ولا اريد ان ينثر احدكم الرمل في ذلك الجهاز".

ولم تواجه فرد مشكلة شغب في صفوفه قط. فالطلاب كانوا يحترمونه لادراكهم انه يقف الى جانبهم. وقد حدث ذات ليلة ان اقتحم مجهول المدرسة ورمى البيض على احد السقوف. واشارت الادلة الى ان ويليس دودج هو الفاعل، لكن هذا انكر التهمة الى ان واجهه فرد: "ويليس، لم اعهدك الا صريحاً تقول الحقيقة دائماً. واني واثق انك ستقولها الآن هل اقتحمت المدرسة ورميت البيض؟"

واعترف ويليس بفعلته. فقال له فرد: "عليك ان تطلع القاضي ماكيب على الحقيقة وتتحمل العقاب المترتب على فعلتك". وامسك فرد بذراعه واردف، وقد رأى امارات الفزع مرتسمة على وجه الصبي: "سأكون معك".

وقف فرد الى جانب الصبي حين واجه القاضي. ولم يتفوه بكلمة واحدة خلال الجلسة، لكن وجوده كان موقفاً في ذاته وكأنه يقول: "لقد اخطأ هذا الفتى لكني واثق بطيبته. وفي رأيي انه سيصبح مواطناً صالحاً في المستقبل". وقد ادرك القاضي ذلك واطلق الفتى مع فترة مراقبة قصيرة.

ويقول ويليس اليوم: "لم انسَ يوماً اني عندما احتجت الى من يقف بجانبي وجدت فرد بنسون يمد الي يد المساعدة".

وقد نظم فرد فريق البيسبول المدرسي، ولم تكن المدرسة خصصت موازنة للنشاطات الرياضية، لكن فرد صرف مدخراته الخاصة وجمع تبرعات من اهالي الطلاّب وسكان البلدة لتجهيز الفريق وتأمين مصاريف النقل للمباريات الخارجية. وعرف الاولاد الذين لعبوا الكرة في تلك السنوات بـ"اولاد فرد". وكانوا يمشون بزهو وكبرياء وقد توطدت بينهم وبين مدربهم صداقة دائمة.

ضمير الجزيرة – عندما احيل فرد على التقاعد لدى بلوغه السبعين، اتخذ لنفسه مهنة جديدة فأصبح وسيطاً قانونياً لتجارة العقارات. واذ ازدهر عمله كان يتبرع بماله من دون ان يذكر ذلك لأحد. لكن العديد من سكان الجزيرة افادوا من سخائه، ومن بين هؤلاء عائلتي.

وبقي فرد ساكناً معنا. وهو اوصى ذات صيف بتركيب جهاز ماء جديد وباهظ الثمن لبيتنا بدلا من ذلك الخزان العتيق الوسخ الذي كانت مياهه تتجمد شتاء وتجف صيفاً. وغمغم فرد ليوقف سيل الشكر الذي تدفق من فمي: "لقد حدث اني جمعت مبلغاً لا احتاج اليه".

وفي ربيع ١٩٧٥ ربح فرد جائزة يانصيب ودعا جميع اصدقائه الى سهرة حافلة على شاطيء البحر شوّي فيها السمك والمحار. وقرر "اولاد فرد" الذين اصبحوا رجالا بين العشرين والاربعين ان يفاجئوه.

وبعدما انتهى الجميع من تناول الطعام وقف لويس غافت ليتكلم: "لقد بحثنا عن افضل طريقة نعبر بها لفرد عن مدى تقديرنا لكل ما فعله من اجلنا. وقررنا ان ما سوف يحبه ليس ساعة ذهبية بل الفرصة لمساعدة اجيال المستقبل في الجزيرة ولهذا انشأنا صندوق فرد بنسون للمنح الدراسية الذي يعود ريعه الى مساعدة الصبية والبنات المستحقين في دخول الجامعة. وبعد سنوات سيعود احد ابناء الجزيرة الى بيته راكضاً ليقول لوالديه: يمكنني الآن ان اذهب الى الجامعة، لان فرد بنسون سيعطيني المال اللازم".

عندما انهى غافت خطبته تعالى الهتاف والتصفيق كعاصفة فجائية. وبقي وجه فرد الاسمر هادئاً وهو يرقب البحر كأنه يفتش عن الاسماك. لكني عرفت انه لن يجدها هذه المرة، لان عينيه كانتا مغرورقتين بالدموع.

فرد الآن في السابعة والثمانين وانا في الخامسة والسبعين. وما زلنا نعيش في مزرعتنا. وقد انتخب فرد ثلاث مرات رئيساً لغرفة التجارة في الجزيرة وكان مدير الدفاع المدني فيها لسنوات عدة. وعلى رغم انه الآن يمشي ببطء مستنداً الى عكازه ليخفف ألم التهاب المفاصل في رجليه، فان القوة ما زالت تسري فيه. اما مظاهر الحفاوة والتكريم التي نالها فأعظمها كامن في القلوب لا يرى. انه اصبح ضمير ابناء الجزيرة لاجيال. فبفضله ارادوا ان يصبحوا افضل، ولانهم ارادوا ذلك فانهم اصبحوا افضل فعلا.

■ جورج ميليكين

دوبروفنيك مدينة الأحلام





طلاب الشمس وهواة السباحة يسترخون على شاطىء المدينة المسورة.

على مسرح
هذه المدينة الساحرة
ينتفض الماضي الذي راح
على خشبة الحاضر
الذي يضج بالحياة

على ساحل دلماسيا المشمس في يوغوسلافيا تقع مدينة قديمة نابضة بالحياة، كأنها خرجت لتوها من قاع البحر. المدينة محاطة بأسوار عظيمة تعود الى القرون الوسطى وتربض فوق قنة جبل داخلة في البحر الادرياتيكي كأنها قبضة صخرية ضخمة هي القطعة الناقصة في أحجية بحرية. تلك هي دوبروفنيك، امنع المدن



دوبروفنيك ٠ الميناء وضاحيه بلوسي الشرفيةورره الادرياتيك الملكية ٠

المحصنة في اوروبا وأحد اكثر موانىء العالم سحرا ٠

عندما تطل من فتحات برج "منسيتا" المستدير الذي يتوج الاسوار، تبدو لك المدينة كأنها سفينة مكشوفة تنحدر جوانبها بحدة من الاسوار الى البدن العميق الذي يشكله الشارع الرئيسي في المدينة٠

هناك تلقى شبكة من السلالم الحجرية التي تنثني بين البيوت الرمادية المتوجة بالقرميد٠ اما أبراج اجراس الاديرة، فكأنها صواري سفن تنتصب في الفضاء٠

ان الجمال الخام الذي يطبع دوبروفنيك صمد عبر سبعة قرون، شهدت المدينة خلالها هجمات الغزاة وعانت زلزالين هائلين، فضلا عن صمودها المذهل في عصر السياحة

طقم ٣ هدايا مولينكس..
يفهم...

Ref 520

... بأن هناك مناسبات يستحق فيها أحباؤك هديّة لا تنسى.



طقم ٣ هدايا مولينكس هي الهدية المثالية للأعراس والأعياد وعيد الأمهات. ثلاث آلات رائعة في علبة واحدة. البلندر مكسر، مفرمة اللحم جانيت ٣ وخفاقة البيض. مولينكس تعطيك أفضل ما يمكن شراؤه كل مرة، لأن مولينكس تفهمك أكثر.

Moulinex®

مولينكس®

مولينكس تفهمك أكثر

هذا. فالمدينة، بسكانها البالغ عددهم ٣٥ الفاً، تفتح بواباتها أمام غزو ودي للسياح (نحو ٧٠٠ ألف سائح عام ١٩٨٠) الذين يؤمونها من انحاء العالم لكي يتمشوا بين الذخائر الحجرية التي تحفل بها (السيارات ممنوعة داخل المدينة المسورة) ولكي يسبحوا في مياهها الصافية كالبلور. والمدينة يمكن بلوغها بالطائرة او بعابرات الادرياتيك أو بسلوك الطريق الساحلية الرئيسية عبر دلماسيا، الامر الذي يجعلها قطب السياحة في يوغوسلافيا حيث ما زالت تكاليف السفر معقولة.

دوبروفنيك ايضاً تقع في قلب الحياة الثقافية في يوغوسلافيا. فهي تشهد في منتصف موسم الصيف معرض الفنون الذي يدوم ستة اسابيع. ومع ان سكانها هم ربع سكان العاصمة بلغراد، الا ان دوبروفنيك تحظى باوركسترا سيمفونية خاصة بها، فضلا عن متحف مهم للفنون ومسرح محلي يمثل على خشبته لفيف من ابرع الممثلين في البلاد.

على ان قلب الحياة في دوبروفنيك هو بلاكا - او "سترادون" كما يسميه اهالي المدينة - ذلك الشارع العام الذي يمتد ٣٠٠ متر ويصل بين بوابتي المدينة الشرقية والغربية، ويحف به من الجانبين صفان توأمان من القصور الصغيرة التي تعود الى القرن السابع عشر. هذا الشارع يعج بالحياة من الصباح حتى آخر الليل، اذ يتمشى في جنباته أهل المدينة وزوارها فيعبرونه خطفاً او يتسكعون في انحائه، فتضفي خطاهم بريقا جديداً على حجاره اللامعة الملساء.

الذهب والحرية - مكان التجمع المفضل هو نافورة اونفريو المستديرة التي بنيت عام ١٤٣٨، تحيط بها اعمدة كالاصابع وتعلوها قبة من الآجر. الجدار المنخفض ودرجات السلالم التي تصلح مقاعد للجلوس تجعل المكان ملتقى للعشاق.

عند قاعدة النافورة موسيقي عجوز جوال يعتمر الطربوش الاحمر التقليدي ويرتدي سروالا اسود هو الزي الشائع لدى اهالي بوسنيا، وقد انحنى على الجيريكه، وهي الكمان الشعبية ذات الوتر الواحد.

وها أنذا ألتهم "بوريك" ساخنة، وهي الفطيرة المحشوة جبناً التي يتفنن في صنعها اليوغوسلاف، ثم احتسي فنجاناً من القهوة التركية اللذيذة.

نحن الآن نعبر البوابة الامامية. في النهار تتكاثف حركة السير البشري فتتدفق اعداد الناس عبر الجسر الخشبي أو تحت القوس القوطية في بوابة "بايل". وفوق القوس ينتصب تمثال حجري للقديس بليز حامي دوبروفنيك وراعيها وهو يحمل نموذجاً لمدينته الحصينة.

عندما أسست دوبروفنيك في القرن السابع، لفت موقعها العيون الطامعة للقوى الكبرى في حوض البحر الابيض المتوسط وأواسط اوروبا. هكذا بقيت المدينة تحت سيطرة الامبراطورية البيزنطية طوال العصور الوسطى وحتى مستهل عصر النهضة. ثم احتلتها جمهورية البندقية، الخصم اللدود لبيزنطة، واخيراً خضعت لمملكة هنغاريا. ولكن على رغم السيطرة الاجنبية، فقد ظل اهل

المدينة يناضلون من أجل استقلالها. كان تجارها يعبرون البلقان طولا وعرضاً في قوافل كبيرة تحمل الملح والحرير والتوابل والذهب والفضة والفراء. وتمتع ديبلوماسيوها بامتيازات من القوى الكبرى التي احدقت بها ووصلت سفنها الى امريكا والهند.

اصبح شعار دوبروفنيك: "الحرية ينبغي الا تباع بذهب العالم كله". على ان تلك المدينة ـ الدولة نجحت في الجمع بين الاثنين: الحرية والذهب. وتولت الارستقراطية التجارية من ابنائها تحويل الذهب حجاراً وابنية جميلة. ومع زوال سيطرة البندقية على المدينة عام ١٣٥٨، اصبحت دوبروفنيك جمهورية مستقلة، وبقيت كذلك الى ان اجتاحتها جيوش نابوليون بونابرت عام ١٨٠٦. ولكن على رغم كسوف شمس السياسة في المدينة، فقد ظل تراثها الحضاري متألقاً لا يخبو له بريق.

وليس من دوبروفنيكي معتز بذلك التراث اكثر من تومسلاف سولجاك مدير معهد المحافظة على الطبيعة والتراث. وقد صنفت منظمة "الاونيسكو"(١) المدينة القديمة على أنها اثر دولي، وذلك في السجل العالمي للتراث الفني. من هنا فان سولجاك يخفي وراء مظهره المتبسط ارادة من حديد، اذ يحرص على ان تحتفظ مدينته بهذه المكانة الدولية. وهو يقول: "لا يمكن مس أي حجر او أثر في أي من تلك المنازل الا بتصريح صادر عن مكتبي. وحتى ان سقطت قرميدتان عن سطح منزل، فان المالك سيحتاج الى توقيعي قبل ان يرممهما".

سجون للرقص ـ ان القوانين اليوغوسلافية في شأن حماية الآثار الحضارية صارمة ومتعددة، وعقوبات مخالفتها تراوح بين الغرامة الفادحة والمصادرة. واذا لم يتسنّ للشرطة اقتحام المنازل من دون مذكرة قضائية، فان الدائرة التي يشرف عليها سولجاك تتمتع بذلك الحق انى لاح خطر بان الماضي اضحى لعبة في يد العابثين.

يحتفظ سولجاك في مكتبه بنسخة بالية من قانون البناء الصادر عام ١٢٧٢ الذي اشترط فيه بناة المدينة مواصفات صارمة تغطي كل شيء، من عرض النوافذ الى طريقة التخلص من النفايات. وتسجل محفوظات المدينة حكاية احد نبلائها الذي اجبره مجلس البلدة على اعادة بناء بيت له تجاوز الحدود المرسومة بمقدار ثلاثة سنتيمترات. ان هذه الروح ما زالت سائدة حتى اليوم.

الملاط والمعاجين اللازمة لترميم الواجهات الحجرية لا بد من خلطها بحسب اصول الوصفة القديمة. ولا يسمح ببروز أية علامات أو لافتات تحجب صفحة الجدران، أما الحوانيت فلا تجوز كتابة اسمائها الا على زجاج فانوسها الخارجي. ولقد جرت العادة في أيام الجمهورية الاولى ان يطلب الى الشاب المقبل على الزواج زرع عدد من اشجار الزيتون. اما اليوم فلا يسمح باقتلاع شجرة واحدة داخل

---

(١) منظمة التربية والعلم والثقافة التابعة لهيئة الامم المتحدة.

جدران المدينة الا باذن صادر عن السيد سولجاك.

صحبته في جولة على السوق. فاذا به يلمح نافذة خشبية زرقاء وسط الخضرة العتيقة المرعية. فقال: "سيتعين عليهم ان يعيدوا طليها بحسب الاصول في موعد اقصاه يوم الجمعة، والا فسوف يتولى رجالي ذلك على حساب اصحاب العقار. وهرع ليحضر اجتماعاً حول انارة الآثار.

والصورة الظلية (٢) في دوبروفنيك تخلب الالباب. والاهالي يستثمرون مدينتهم الى اقصى الحدود: بهو الاعمدة العريق في دير القديسة كلير بات مطعماً مفتوحاً يقصده الجميع. ومقهى المدينة النابض بالحياة يطل على الميناء من خلال الترسانة العتيقة بقناطرها العريضة والعميقة. اما زنزانات سجون الميناء التي كانت رطبة يوماً وقابعة تحت جدران المدينة فقد أضحت اليوم أصخب مراقص المدينة.

مسرات الحياة - ربما كان ابلغ تعبير عن ذلك الغرام بين الدوبروفنكيين ومدينتهم يتمثل في مهرجان الصيف الذي يقام في شهري يوليو (تموز) واغسطس (آب)، اذ تتألق المدينة بكوكبة من نجوم الفن العالميين. في هذا المهرجان يقدم اكثر من مئة عرض في الهواء الطلق في نحو ٤٠ موقعاً هي الاجمل في المدينة: مسرحية "هاملت" لشكسبير تقدم في حصن لوفر يجناك المفتوح للريح، وسيريناد(٣) موزار يعزف في منتصف الليل بين اشجار النخيل واليوسفي في ساحة دير الدومينيكان، وعروض الباليه تشاهد على شرفات حصن ريفلين المطلة على بحر الادرياتيك. هنالك يختلط اشهر موسيقيي العالم بالشعراء الكرواتيين والراقصين الشعبيين المقدونيين وفناني العرائس(الدمى المتحركة)من زادار.

وفي دوبروفنيك ينتعش فن الرسم ويمثل تقليداً لم ينقطع منذ درس الرسامون السلاف في مدرسة دوبروفنيك الاولى على اساتذة النهضة الايطاليين. من هنا نجد معارض الرسم منتشرة في شوارع المدينة. وفي هذا المكان يعيش اشهر رسامي يوغوسلافيا المعاصرين امثال بوليتيكا وسكيرلج وبيكو. وفي هذا السياق يقول لازار اوبيكان وهو شاب يملك احدى صالات العرض: "كل امرىء يريد ان يعرض فنه هنا، فدوبروفنيك هي واجهة البلاد كلها".

وعلى رغم نشاطها الدائب، فما زالت دوبروفنيك مدينة متبسطة يرتدي فيها الناس الملابس الخفيفة وينتعلون الصنادل البسيطة. سكانها يعرفون كيف يسترخون ويتمشون في الشوارع بأذرع متشابكة. وهم اذ يجلسون في المقاهي المنتشرة في السوق، فانما ليحتفلوا مع مطلع كل يوم، وعلى طريقتهم الهادئة، بمسرات الحياة البسيطة. العمل مهم حتماً، ولكن ها هو شعار المدينة يقول ان الحرية أغلى من الذهب، في حين يضيف ايفو برسكوفيتش المحامي وعازف البوق، الذي يدير اوركسترا دوبروفنيك السيمفونية: "بهجتنا الاساسية هي وقت الفراغ".

---

(٢) ظلال المباني والجبال وسواها كما تبدو على خلفية السماء.

(٣) لحن يعزف ليلا في الهواء الطلق.



"بلاكا"، الشارع الرئيسي في دوبروفنيك الذي يربط بوابتي المدينة الشرقية والغربية.

السياحة اليوم هي الصناعة الرئيسية وعصب الحياة في دوبروفنيك. فكل سنة يقضي زوارها نحو ٥ ملايين ليلة في ٤٨ فندقاً و٧٠ مخيماً. وتلك ارقام تتجاوز ضعف سابقتها قبل عشر سنوات. من هنا تحولت السلطات اليوغوسلافية تدريجاً الى البيوت الخاصة لكي تفي بالطلب المتزايد. وبهذه الطريقة أمكن اضافة ١٥ الف سرير جديد، وهذا يضاهي ما توفره الفنادق. على هذا الاساس ازدهرت صناعة بناء الفنادق وباتت عاملا جديداً مهماً في اقتصاد دوبروفنيك الى جانب النشاطات التقليدية من زراعة وصيد وملاحة.

وتمتد الفنادق الجديدة في دوبروفنيك على طول الساحل، ولكن بعيداً عن المدينة القديمة بحيث لا تؤذي النظر.

ويحلو لي النوم على الوان من الضجيج، فاتمدد في الظلام مصغياً الى ايقاع الانغام المنبعثة من آلة شعبية في مسرح حصن ريفلين. والغريب اني اجد في هذه الموسيقى ما يهدىء الخاطر، اذ يختلط ايقاعها بالدوي الذي يتناهى الى اذني ساعة بعد ساعة منبعثاً من برج الاجراس المجاور. ثم اصحو عند الفجر على ايقاع عربات اليد فوق حجار الشوارع وهي تحمل المنتجات الى سوق الصباح.

وترسل الشمس أولى اشعاعاتها سهاما تخترق ستائر النوافذ. وتصدح اوركسترا باعة الفاكهة والخضر تحت نافذتي مباشرة. فأطل على شرائح البطيخ الحمراء وكوم الباذنجان البنفسجية واهرام الفلفل بألوانها الخضراء والبرتقالية والحمراء. وعندما يدق جرس الظهيرة، تطير الوف الحمائم من انحاء المدينة كي تحلق فوق السوق فتتناول غذاءها اليومي الذي يؤمنه موظف رسمي في بلدية المدينة.

في ساعات الغسق من آخر أمسياتي في المدينة طفقت اتمشي مسافة الكيلومترين الممتدين فوق اسوار دوبروفنيك. تحتي صياد وحيد يلقي بصنارته الى المياه. وبعيداً ثمة قارب ينساب على صفحة المياه التي خيمت عليها الظلال. ويستلقي صبي على السطح وهو يعزف الاكورديون، فيما ثلاثة اصوات تنشد بشجن متناغم "اديو ماري" وهي الانشودة الشعبية في دلماسيا. لحظة كهذه تسودها السكينة والرقة لا تمر الا في عالم الاحلام.

ربما كان هذا هو عالم دوبروفنيك.

■ جيف ديفيدسون



طريقة قديمة

فيما كان رجل ينتظر المصعد للتوجه الى مكتبه، وصلت شابة ذات جمال لا يقاوم ووقفت تنتظر هي الاخرى. ووقفا معاً خمس دقائق ينتظران المصعد. وبدا على ملامح الرجل انه كان يفكر في امر يقوله. واخيراً حضر لديه هذا الامر، فقال: "من الجميل أن تمر علينا السنون لنهرم هكذا معاً".

ف.ف.و.

العجوز والغوافة

وقفت امرأة عجوز أمام محل فاكهة تشكو غلاء الأسعار: "في أيامنا كنا نشتري صندوقاً كاملا من ثمر الغوافة بثمن بخس".

فأجابها البائع: "هذا صحيح يا سيدتي. لكن ثمر الغوافة، في تلك الأيام، كان يسبب التهاب الزائدة الدودية. أما اليوم فهو يحوي كمية كبيرة من الفيتامينج".

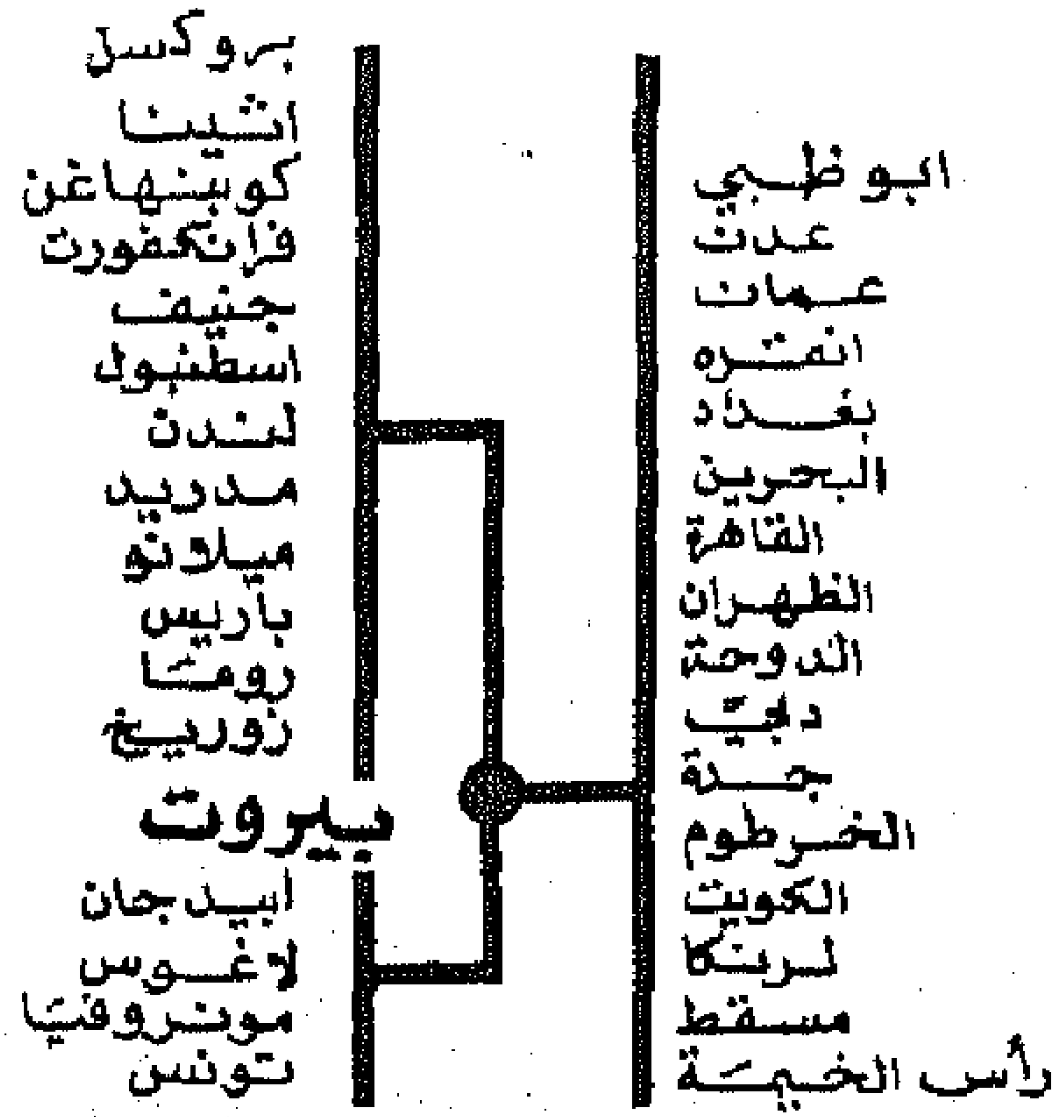
ا.س

سنة الخير

خلال اسبوعين من حضور صف اليوغا، كانت امرأة تدخل القاعة متأخرة والارهاق ظاهر على وجهها. وكانت تجلس بالقرب مني وتتمتم: "١٩٨٤، ١٩٨٤، ١٩٨٤"، فلا تلبث أن تنعم بالسكينة والسلام.

وكنت اسائل نفسي عما وجدت في كتاب جورج اورويل "١٩٨٤" الذي يتنبأ بأحداث رهيبة ستحصل في تلك السنة. وأخيراً طرحت عليها السؤال، فأجابت: "ومن ذا الذي يتكلم عن كتاب؟ ان السنة تلك ستشهد دفع القسط الأخير من ثمن منزلنا وتخرج ابني الأصغر في الجامعة وتقاعد حماتي وانتقالها الى مكان بعيد".

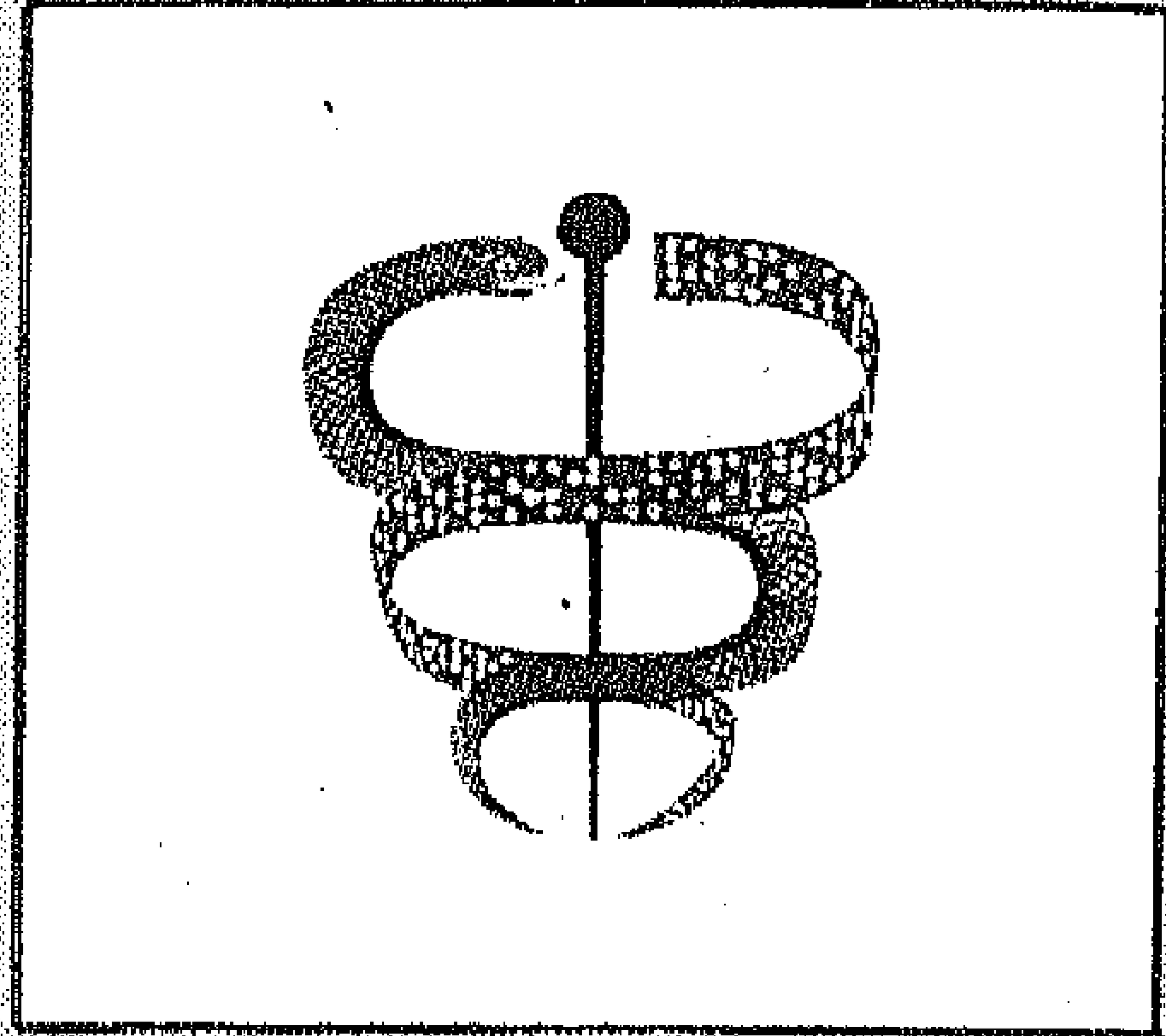
ر.ل.


بروكسل
اثينا
كوبنهاغن
فرانكفورت
جنيف
اسطنبول
لندن
مدريد
ميلانو
باريس
روما
زوريخ
بيروت
ابيدجان
لاغوس
مونروفيا
تونس
ابو ظبي
عدن
عمان
انقره
بغداد
البحرين
القاهرة
الظهران
الدوحة
دبي
جدة
الخرطوم
الكويت
لرنكا
مسقط
رأس الخيمة





أصداء من عالم الطب



طبّ الأجنّة

ان الطرائق الطبية المتطورة تمكن الاطباء، يوماً بعد يوم، من معالجة دقيقة لأصغر المرضى طراً، أي الأجنة في الارحام. ويصف الاطباء ميتشل غولبس ومايكل هاريسون وروي فيلي، من جامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو، جراحة أجروها على مجرى البول لدى جنين أدت الى انقاذه من علة فتاكة.

وكانت المرأة التي تحمل توأمين عرضت لاختبار صوتي، إذ وجهت موجات صوتية مرتفعة جداً الى رحمها، فوجد أن مجرى البول لدى الجنين الذكر مسدود مما قد يؤدي لاحقاً الى احتقان البول في المثانة والكليتين. وباستخدام الذبذبات الصوتية أيضاً، أدخل الاطباء انبوباً من بطن المرأة الى مثانة الجنين. وفي المحاولة الثانية استقر الانبوب في المكان الصحيح، وهذا جعل البول طوال فترة الحمل يتدفق الى غشاء السلى الى أن ولد التوأمان في حال صحية حسنة في ١٠ مايو (أيار) ١٩٨١. وقد قرر الاطباء معالجة الانسداد نهائياً قبل أن يكمل الطفل عامه الأول، متوقعين ألا تنشأ تعقيدات من هذا الوضع.

مجلة "أخبار العلم"

الرجال والترمّل

اذا كانت ظاهرة "الأرملة المرحة" تنتمي الى عالم الخيال أكثر منها الى عالم الواقع، فظاهرة "الأرمل المرح" أكثر خيالية. هذا جاء في دراسة أجرتها كلية الصحة العامة التابعة لجامعة جونز هوبكنز الامريكية في بالتيمور (ولاية ماريلاند)، كما جاء أن زواج الأرمل قد يضفي عنصراً ايجابياً على حياته.

والدراسة المذكورة أجريت على أكثر من أربعة آلاف أرمل وأرملة على مدى ١٢ سنة. وأعمار هؤلاء من الثامنة عشرة فما فوق. وقد تبين أن احتمال وفاة الرجال المترملين بعد سنوات من فقد زوجاتهم يفوق احتمال وفاة الرجال الذين تزوجوا ثانية بعد ترملهم. لكن هذا لا يصح على النساء اللواتي لا يؤثر الترمل في تقصير أجلهن.

ويقول أحد الاطباء الذين أشرفوا على الدراسة: "يبدو أن فقد الزوجة لا يعوضه الانضمام الى نواد وممارسة نشاطات اجتماعية اخرى. والترمل يحط كثيراً من نوعية حياة الرجل". لكن رئيس الفريق الذي أجرى الدراسة، الدكتور ناد هلسينغ، يعزو الفرق بين الجنسين الى كون النساء "أكثر قابلية للتكيف".

الرجال أنفسهم لم يتأثروا كثيراً خلال سنة ترملهم الاولى، لكن الذين بقوا من دون زواج فاقت نسبة وفياتهم، في السنوات اللاحقة، نسبة وفيات الذين تزوجوا مرة اخرى بمعدل ٢٨ في المئة، وبمعدل ٦٠ في المئة للرجال الذين تراوح أعمارهم بين ٥٥ سنة و٦٥ سنة.

صحيفة "نيويورك تايمس"

دستور ايمان

"في رأيي أن السرطان مرض واحد، واني لا أجد أي برهان على أن السرطان هو نحو مئة مرض، وأن العلاج سيأتي مع الوقت لكل من هذه الامراض بمفرده. ولا شك في أن الفيروس يسبب السرطان بطريقة مختلفة عما تفعل المواد الكيميائية. لكن اصابة الخلية تتم بالطريقة عينها. واذا كنت مصيباً في ما أقول، فهذا يعني أن علاج السرطان ليس أمراً ممكناً فحسب بل هو حتمي. واننا، لا محالة، واقعون عليه".

الدكتور لويس توماس

عميد مركز "سلون كيتيرينغ" التذكاري للسرطان

الجسم والعقاقير

أظهرت دراسة حديثة أجريت على ثلاثين مصاباً بالسرطان في كلية الطب التابعة لجامعة مينيسوتا الأمريكية أن هناك عقارين من عقاقير السرطان القوية، يخف مفعولهما السمي أو ينشط تبعاً للوقت الذي يتناولهما المريض فيه. فأحد العقارين، وهو الأدرياميسين، ينصح بأخذه صباحاً، إذ تبين أنه لا يؤذي خلايا الدم كثيراً في السادسة صباحاً. أما العقار الآخر، وهو السيسبلاتين، فلا يسبب غثياناً قوياً اذا أخذ في السادسة مساء. وفي اختبارات أجريت على الحيوانات، تبين أن مفعول العقارين المذكورين يزداد عندما يكونان أقل تسمماً للجسم.

الدكتور وليم هرشسكي من جامعة مينيسوتا يعزو الفرق الى التغيرات التي تطرأ على الجسم، كتقلبات الحرارة وعدد كريات الدم وانقسام خلايا الجسم. وبما أن عدداً كبيراً من أدوية السرطان يصيب الخلايا المنقسمة – فإن الباحثين يظنون أن أفضل وقت لتناول العقاقير هو الذي يحصل فيه تكاثر الخلايا السرطانية وكمون الخلايا الصحيحة. وفي اجتماع حديث لجمعية السرطان الامريكية، توقع الدكتور هرشسكي أن تساعد هذه الآلية الجسدية في معرفة فاعلية جميع العقاقير، من البنيسيلين الى حبوب منع الحمل.

مجلة "ديسكافر"

لا تكرهوا شراً

كان ادوين روبنسون (٦٢ عاماً) واقفاً في حديقة منزله الخلفية في بلدة فالموث، ولاية ماين الامريكية، في يونيو (حزيران) الماضي حين انطلقت عاصفة رعد قوية. وهو يقول: "سمعت صوتاً كالخفاقة الكهربائية يفرقع فوق رأسي. ولم أعرف ما جرى بعد ذلك حتى صحوت ووجهي ممرغ في الوحل".

ويصف روبنسون كيف عاد الى غرفة نومه حيث وجدته زوجته عصر ذلك اليوم، وأخبرها أن عاصفة برق نزلت عليه وأنه يريد شيئاً يشربه. وفجأة اخذ يصيح: اني أراك، اني أرى المنزل، اني أبصر!

وكان روبنسون فقد بصره ومعظم حاسة السمع لديه من جراء جروح في رأسه سببها حادث شاحنة. وحين علم اختصاصي العيون، الدكتور البرت مولتون، الذي يعاين روبنسون، باستعادة بصره، دهش للأمر وقال: "لا يمكنني تفسير ما حدث. ان العلة لم تكن في عينيه، بل في الخلل الذي حل بدماغه. ولكن لا ادري لماذا يبصر الآن. كل ما أعرفه أنه كان أعمى، وهو الآن مبصر".

ويقول روبنسون انه استعاد أيضاً جزءاً كبيراً من سمعه، وانه لم يعد يحتاج الى الآلة الخاصة بالسمع.

ب.م.، صحيفة "بوسطن غلوب"

هذه الرياضة المنشطة
تجتذب الوف الهواة· انها تجمل القوام
وتقوي القلب والرئتين وتحرر الجسد من الارهاق

الرقص يطيل العمر

تصدح الموسيقى وتهتز ارض قاعة الرياضة في احدى ضواحي شيكاغو اذ يقفز عشرات الراقصات والراقصين ويأخذون في التلوي والتمايل· وتصيح امرأة رشيقة القوام باسمة الثغر: "هيا، دعونا نرقص!" انها مدربة الصف على الرقصة الهوائية (١) التي اخذت تكتسح الولايات المتحدة·

تتطلب هذه الرقصة حركات قوية في القفز والركل والانحناء على وقع نغمات موسيقية، اما فوائدها الصحية فتوازي منافع الهرولة والسباحة· انها تمنح المرء عضلات أصلب وقلباً أقوى وطاقة اوفر· يقول بائع سندات تأمين يمارس هذه الرياضة: "انها أفضل من الهرولة"· كما يقول احد التلاميذ في الصف انها صمام الامان للتوتر العصبي والارهاق·

مع ازدياد الاهتمام باللياقة البدنية في السنين العشر المنصرمة، ظهرت واختفت عشرات التمارين الرياضية· غير ان الرقصة الهوائية اثبتت صمودها· ومن دون دعاية سوى ما يتناقله الناس شفوياً، توسعت هذه الرقصة التي بدأت قبل عقد من الزمن في احد الاقبية لتغدو اليوم احدى رياضات العصر الاكثر شيوعاً· وقبل فترة قصيرة كان معظم هواتها من النساء، لكن الحال تبدلت وبات الرجال يمارسونها ايضاً· حتى ان صفوفاً خاصة رتبت لرجال المجتمع البارزين·

وراء هذه الرقصة المنشطة قصة نجاح باهر حققته جاكي سورنسن (٣٩سنة) رئيسة الهيئة الادارية لمؤسسة الرقصة الهوائية. تقول جاكي: "احببت الرقص منذ ما كنت في السادسة من عمري"· وعند بلوغها الثامنة اخذت تمارس قفز الحبل على نغمات موسيقى سريعة، اضافة الى الرقص النقري (٢)· وكانت تواصل التمرين ساعات بلا انقطاع·

---
(١) Aerobic dancing

(٢) رقص يتميز بنقرات قوية بالاقدام·

رقصة القد" الجميل ـ بعد بلوغها السادسة والعشرين اكتشفت جاكي فائدة الرقص في تحقيق اللياقة البدنية. وهكذا في العام ١٩٦٩ خرجت الرقصة الهوائية الى الوجود حين طلب منها ان تقدم برنامجاً رياضياً على شبكة تلفزيونية خاصة (٣) لمصلحة زوجات رجال سلاح الجو الامريكي المتمركزين في بورتوريكو (البحر الكاريبي) وكان زوجها نيل هناك. وكانت جاكي آنذاك تعطي دروساً في الرقص لتملأ فراغ وقتها.

وفيما هي تستعد لتقديم العرض، انصرفت الى دراسة البرنامج الشهير في سلاح الجو المختص بالتمارين الهوائية والذي ابتكره الدكتور كينيث كوبر. وجربت جاكي اختبار الدكتور كوبر بالركض مدة ١٢ دقيقة، وهذا تقويم بسيط لصحة شرايين القلب لدى المرء على اساس المسافة التي يمكنه ركضها حثيثاً خلال ١٢ دقيقة. وجاءت نتيجتها جيدة على رغم انها لم تركض ابداً من قبل. فأيقنت ان السنوات التي قضتها في الرقص لم تقتصر على ابقاء قوامها أهيف بل انها أبقت قلبها ورئتيها في حال جيدة كذلك. وهذا اوحى اليها بفكرة دمج الرقص بالتمرين.

جربت جاكي فكرتها على عشر نساء من زوجات افراد سلاح الجو. وبعد ١٢ اسبوعاً من الرقص ظهرت على الجميع بوادر تحسن في سرعة تماثل النبض، اي عودته الى معدل منخفض يؤخذ بعد ٥ او ١٠ دقائق من التمرين، وهو دليل اساسي على اللياقة البدنية. وقد شعرت النساء بالتحسن وغدت قدودهن أجمل.

وعندما انتقلت جاكي وزوجها الى نيوجرزي عام ١٩٧٠ تابعة برنامجها مبتدئة بستنساء فقط. وخلال ثلاثة أشهر أصبح لديها صفان في كل منهما ٢٥ تلميذاً، وكانت تعد لثلاثة صفوف اخرى. ومنذ ذلك الحين نمت مؤسسة الرقصة الهوائية حتى تجاوز عدد تلاميذها الـ ١٦٠ الفاً يشرف عليهم ٥٠٠٠ مدرب في الولايات المتحدة وحدها، كما يوشر الاعداد لصفوف في اليابان واوستراليا. غير ان المؤسسة تلاقي مزاحمة شديدة، اذ تستحدث برامج محلية لهذه الرياضة في كل مكان. وتنظم صفوف رقص في المدارس العادية، وتلقى اقبالا كبيراً من الطلاب شباناً وبنات.

طاقات كامنة ـ يبدأ الصف العادي بفترة تهيئة من ١٠ دقائق الى ١٥ دقيقة، يؤدي التلاميذ خلالها تمارين على التمدد والجلوس (يتمددون على ظهورهم ثم ينهضون الى وضع الجلوس من دون الاستعانة باليدين ومع ابقاء الساقين مستقيمتين). وتلي ذلك رقصات هوائية تراوح بين ٦ و ١٠ رقصات. بعد كل رقصة ترقب سرعة نبضات القلب للتأكد من انها تبلغ المستويات المطلوبة ولا تتجاوز حدود السلامة. بعد نحو ٤٥ دقيقة ينتهي الصف برقصة بطيئة "للتبريد" وبعض تمارين التمدد لابطاء نبض القلب تدريجاً. وتقول جاكي أن سرعة تماثل نبض القلب تتحسن عموماً خلال اربعة اسابيع او خمسة، وتضيف: "هذا يتحول حافزاً لدى المتمرنين، فيقول الواحد منهم: انظروا، قلبي يستعيد

---

(٣) تبث عبر اسلاك الى المشتركين فقط.

إلى النساء: الرقص ينحّف الخصر

كثيراً ما تتساءل النساء اللواتي تعرفن حديثاً على الرقصة الهوائية: "اني أهوى هذه الرقصة، وهي لا تبدو لي تمريناً رياضياً، فكيف يمكن ان تعود علي بأي نفع؟".

خلال ستة اسابيع ستلاحظين على خصرك اختفاء بضعة سنتيمترات غير مرغوب فيها، كذلك تشعرين ان جسدك بات أقوى. وستبدو ساقاك اكثر جمالاً بعدما استطالت عضلاتهما ونحلت. ليست الغاية من الرقصة الهوائية خفض الوزن، ولكن مع ازدياد النشاط واتباع نظام غذائي سليم يحتمل ان ينخفض الوزن ايضاً.

يحرق الهاوي نحو ٣٠٠ وحدة حرارية في فترة تمرين معتدلة مدتها ٤٥ دقيقة، وهذا يوازي قيادة دراجة للمدة نفسها بسرعة ١١ كيلومتراً في الساعة. كذلك يحرق ٥٠٠ وحدة في فترة رقص نشطة مدتها ٤٥ دقيقة، وهذا يوازي ساعة سباحة بسرعة ٣٠ متراً في الدقيقة.

ولما كانت الرقصة الهوائية تدفع الجسم الى حرق مقدار اكبر من الاوكسيجين، فانك ستشعرين بنشاط اكبر بدلا من شعورك بالخمول وبأنك "متعبة ولا يمكنك ان تفعلي شيئاً". ان تحسن الدورة الدموية يمنح العضلات والجلد والاعضاء الحيوية تروية أوفى بالدم ويضفي على الوجه سيماء الصحة.

ولكن ثمة كلمة تحذير: الرقصة الهوائية مخصصة للاصحاء الذين يرغبون في الحصول على اللياقة البدنية والاحتفاظ بها. ولكن من المهم ان يتحقق هذا الهدف على نحو سليم. اذا كنت تجاوزت الثلاثين، فعليك استشارة الطبيب قبل بدء ممارستها. اما اذا كنت في الاربعين، فعليك اجراء "فحص الجهد" اضافة الى تخطيط القلب في اثناء التمرين.

الرقصة الهوائية هي افعل برامج اللياقة البدنية لأنها تمارس للمتعة فحسب. اذاً، انبشي طبيعة الطفلة اللاهية الكامنة في نفسك. فمن الممل ان تظلي بالغة طوال الوقت. في الرقصة الهوائية تحسسي الحرية وتمادي فيها قليلا. توهمي انك راقصة محترفة. نعم، توهمي. هذه الحرية تعطي جسدك فرصة للتمايل والرقص على نحو طبيعي، فيتحرك من دون اهتمام بالمهارة والفن. اذا اتبعت هذا المنحى فسوف تكتشفين ان في الرقصة الهوائية اكثر مما كنت تتصورين وان التمرين يمكن ان يكون حدثاً مفعماً بالمتعة.

جاكي سورنسن وبيل براتر

Aerobic Dancing (Rawson, Wade, 1979)

نبضه الطبيعي بسرعة اكثر، فهو اقوى، وانا الآن اتمرن على نحو أشد. وهم يلاحظون الفرق امام المرآة في العضلات الاقل ترهلا والاشد صلابة".

تقر جاكي بأن المنافع الصحية وحدها لا تغري الناس بمواصلة الرياضة، بل انهم يحتاجون ايضاً الى الترفيه عن انفسهم. وهنا يأتي دور الموسيقى. وفي هذا تقول: "يتحسس الناس الموسيقى ويذوبون فيها حين يرقصون، وهذا عامل منشط يرفعهم الى مستوى صحي أعلى".

تعنى جاكي بتوفير الجو الذي يسهل على المبتدئين تحقيق النجاح. وتقول: "ليس لدينا مرايا في الصف، ولا مدربون يقفون فوق رؤوس التلاميذ

ليصيحوا بهم: مهارة! فن! فالمطلوب بسيط: تحرّك وحقق اقصى ما في وسعك. وهذا يغري الناس بأن يجربوا".

من بين الرسائل التي ترد عليها من تلاميذها تقول جاكي انها تعتز بما يأتيها من اشخاص انقطعوا عن التمرين لسنوات ثم اكتشفوا في نفوسهم طاقات شخصية لم يستغلوها ابداً،وذلك بفضل الرقصة الهوائية. ويبدو ان تحقيق نتيجة ايجابية بالنسبة الى صحتهم يحفزهم على مواجهة النواحي الاخرى في حياتهم بتفاؤل اكبر وطاقة جديدة.

وتمكن ممارسة الرقصة الهوائية في المنزل. والى فترات التدريب الموصى بها، وهي حصتان كل اسبوع، ينصح التلاميذ بالتمرن لوحدهم مرة كل اسبوع. وهذا يشمل السير الحثيث او ركوب الدراجة او ممارسة رياضة مستحبة. وان برنامج جاكي الشخصي يشتمل على الرقص والهرولة والسباحة والتمرن على دراجة ثابتة. وهي تقول: "اذا كانت لديك نشاطات كثيرة متنوعة، فمن الارجح انك ستتمسك بأحد برامج اللياقة البدنية. يتعذر عليك ان تختزن هذه اللياقة، ولذا عليك ان تستثير نشاطك كل ايام حياتك".

■ كلفين شاين



كتبت امرأة في يومياتها: "ماذا تفعل عواطف شابة في التاسعة عشرة في جسد امرأة اربعينية؟"

.١٠١

الجمال في الصين

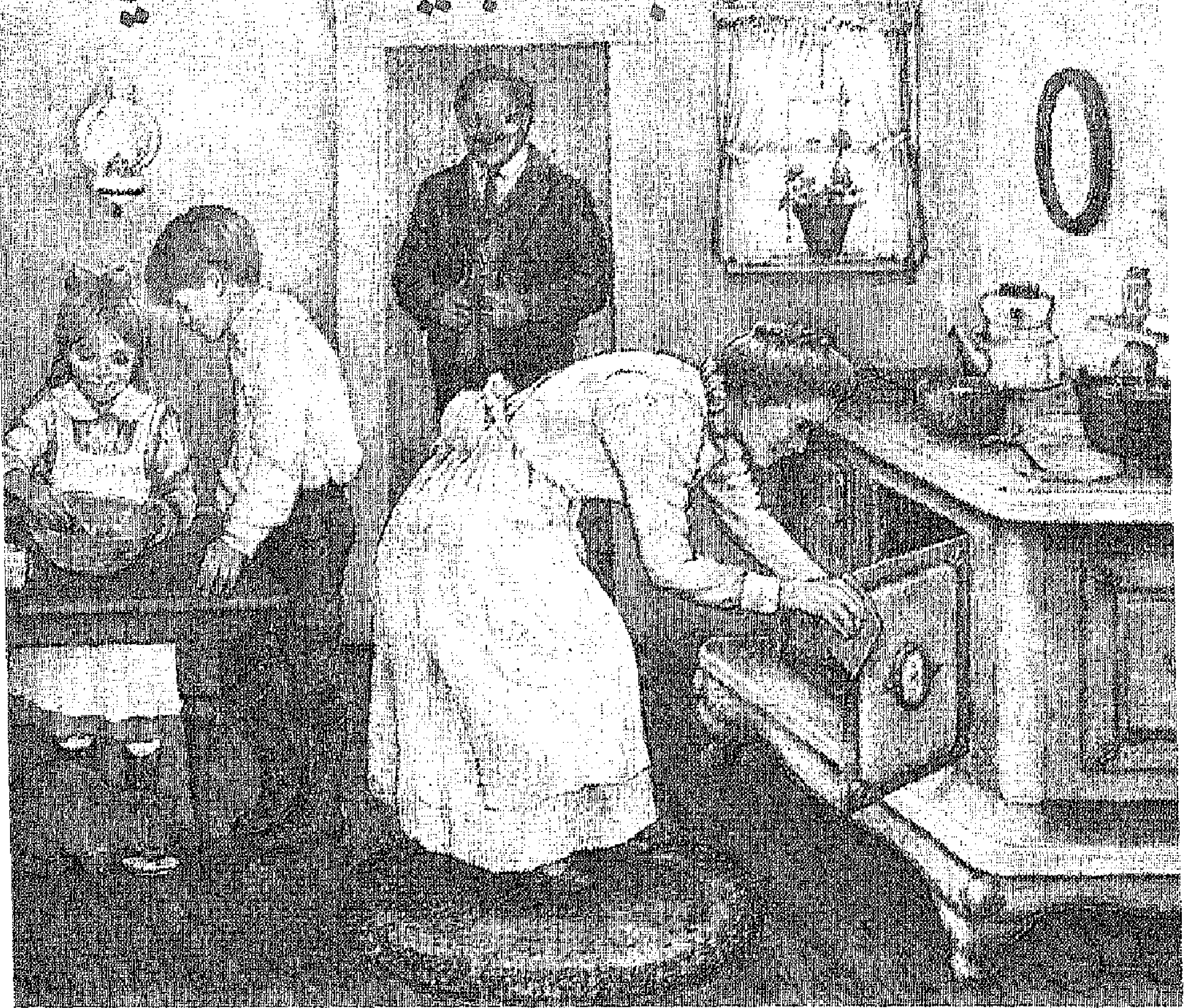
عندما أطلق الزعيم الصيني الراحل ماوتسي تونغ ثورته الثقافية عام ١٩٦٦، بات يُنظر الى الجمال كمفهوم بورجوازي لا ينسجم والمجتمع البروليتاري. وأضحى كل ما يُسمى جميلا هدفاً للنقد، بما في ذلك محلات بيع الازهار التي أُقفلت ومحلات بيع الاسماك الملوّنة. وأمر المواطنون الذين يقتنون السمك الحي" بالقائه في المجاري.

وعلى رغم الصفعة التي تلقاها الجمال الا أنه لم يشح بوجهه عن الصين، بل بات يعمل سراً طوال عشر سنين وأكثر. فكانت النسوة يجففن الازهار ويضعنها بين صفحات كتاب "تعاليم الزعيم ماو"، والاطفال يخبئون الاسماك الاستوائية تحت أسرتهم. والفتيات يذهبن الى الاحتفالات وهن يرتدين القمصان المزركشة والملونة تحت ستراتهن الصارمة التي فرضتها تعاليم ماو.

أما قادة الصين اليوم فيقرون بقيمة الجمال. وهكذا عادت الازهار والاسماك الملونة الى المحلات، وامتلأت الواجهات بالملابس واللوحات الجميلة.

صحيفة "نيويورك تايمس"

اعترافات ربة بيت سعيدة



جاراتها ينطلقن بالعشرات الى اعمالهن كل صباح، لكنهن لا يثرن لديها اي شعور بالحسد، فهي تسعد بتكريس وقتها كله لزوجها واولادها

يسود هدوء هذا الصباح، والحي خال الا من عصفور يغرد وكلب يخدش باباً مغلقاً، الاولاد في مدارسهم والآباء في اعمالهم، كذلك الامهات، الا أنا، وككل يوم أبقى وحيدة، ويتهيأ لي اني أنتمي الى فصيلة

منقرضة: ربات البيوت. ففي الوقت الذي ارى النساء حولي يخضن مجالات العمل المختلفة، اجدني اعيش كما فعلت امي وجدتي قبلي، تستنزفني الاعمال المنزلية طوال اليوم.

امور صغيرة تحدث في اوائل كل خريف وتذكرني بوضعي. تسألني الامهات عما اذا كان في امكانهن وضع اسمي على الاستمارات المدرسية الخاصة باولادهن كشخص تتصل به المدرسة اذا حدث طارىء. واوافق بطيبة خاطر، فهن جارات طيبات يسرهن ان يخدمنني انا كذلك لو كنت امرأة عاملة. واوافق ايضا على تسلم بريدهن وأبقي عيناً ساهرة على كل غريب يطأ الجوار.

احياناً اراقب جاراتي وهن ذاهبات الى حياة سمعن انها منطلقة ومتحررة. فيتملكني القلق لتركي في الصفوف الخلفية وعجزي عن المساهمة في خدمة العالم وتحقيق قدراتي الفعلية. وكم يعز علي اني لا اكسب شيكاً مصرفياً نتيجة جهدي وعملي.

وكثيراً ما تتوهم ربة البيت ان شيكاً كهذا يفتح امامها امكانات عدة ويعزز مطالبتها بعلاقات متكافئة في الزواج، وانه الشيء الوحيد الذي يرجح كفة الميزان لمصلحتها وبه تعيل نفسها دونما حاجة الى احد اذا ما اختارت هي ذلك.

واذ تنغمس في نشاط صاخب ويهدّها الارهاق نتيجة الضغوط التي تتعرض لها كامرأة عاملة، يراودها شك في انها ربما تخدع نفسها. وتتساءل: ما هو الشيء الذي امد امي بأسباب الحياة؟ هل يعقل ان كل الأجيال السابقة كانت على خطأ؟

من اجلنا ـ امي انا ولدت في اوائل هذا القرن، وهي استمدت القوة من كونها ربة منزل. هذا هو العمل الذي اختارته في الحياة، وليس السكريتاريا الادارية التي تدربت عليها واتقنتها. فهي رأت ان تهيئة اسباب الراحة لوالدي ورعايتنا وتعليمنا نحن الاولاد كان هدفاً مشرفاً ومنتجاً. وفي الوقت الذي مارست عملها هذا كان والدي يجني دخلا متواضعاً لكنه كاف. وهكذا عملا معاً على تحقيق حلمهما المشترك في التعليم والسفر والعمل المفيد لهما ولاولادهما.

وخلافاً لازواج اليوم الذين يحاول الواحد منهم نسخ دور الآخر في معظم الامور والذين يفضلون الاستقلالية على الاتحاد، كان والداي يشعران ان اعتماد احدهما على الآخر امر لذيذ ومستحب. وكانا يحققان فرديتهما باعتماد ادوار مختلفة في الزواج ومسؤوليات محددة وواضحة يحتاج فيها احدهما الى الآخر دونما تدخل مباشر منه. ولم يحدث يوماً ان التبس الامر علينا في من نطلب منه المال ومن نسأله عن الغداء.

واغلب الظن ان امي لم يداخلها اي شك في صحة اختيارها. فكونها زوجة وربة منزل كان امراً مقبولا حينذاك، بل ان الفتيات الذكيات كن يضعن ذلك نصب اعينهن ولا ينشدن هدفاً غيره في الحياة. وباختيارها البقاء في البيت، صبت امي براعتها في انتاج بدائل لتلك الاشياء التي يمكن المال الاضافي ان يشتريها: ثياب تخطيها هي بدلا من تلك التي تعرضها المخازن وكتب والعاب واغنيات بسيطة بدلا من الدراجات

وخبز منزلي الصنع بدلا من سهرة في المدينة تقضيها في مطعم او مسرح. والاهم من هذا كله انها فعلت كل ذلك من اجلنا نحن وليس من اجل رب عمل.

ولم يكن هناك ادنى تساؤل عن شخصيتها او عن الدور الذي تمثله، فهي كانت امنا. وكان يكفي ان نمرض او تحزن لكي نشعر بالضياع، لانها كانت محور الحق في عالمنا وكنا نحتاج اليها في كل دقيقة واعية. وهي عرفت ذلك وقبلته ليس كعبء بل ادراكاً منها لقيمتها.

اكثر من الحب - كانت امي تعطي الاعباء المنزلية الاولوية، فرئيسها لم يكن ادارياً بل كان ضميرها المنضبط والصارم. بعد ذلك كانت تسمح لنفسها بالجلوس في كرسيها الهزاز او في الارجوحة التي على الشرفة حيث كانت تخيط الثياب اوتكتب الرسائل. ولدى عودتنا من المدرسة او من اللعب كانت تساعدنا في دروسنا وتصحح اخطاءنا وتتحدانا.

وما ان تحين الساعة الرابعة والنصف حتى تنسحب لارتداء ثيابها قبل مجيء ابي. واعتقد انها كانت تدرك اهمية الترحيب الرسمي به الذي يؤكد له علناً ويومياً انها تسعد بعودته.

واذ كان الطعام حاجة اساسية ربما اكثر من الحب. وكان على احد ما ان يحضره، فقد قبلت امي المسؤولية بطيب خاطر. وكان اعداد وجبة لذيذة وبسيطة وغير مكلفة بمثابة تحد لها.

وندر ان يعود ابي الى البيت ويجدها مشغولة بعمل آخر غير وضع اللمسات الاخيرة على العشاء. وكأنه كان يتمتع بذاكرة عميقة لمختلف انواع الحساء واللحوم الموضوعة فوق الموقد، اذ كان يقفز على الشرفة الخلفية فاتحاً ذراعيه كأنه يرقص وقد اشرق وجهه، ويقول: "ما اجمل الحياة!" ثم يهدر كشيخ قبيلة منتصر: "اني اشم رائحة البصل من مسافة يوم!" ولم يحتج يوماً الى كشف الغطاء ليعرف نوع الطعام الذي يتم اعداده.

ولعل لذة ابي الواضحة كانت جزاء كافياً لأمي. فما ان يقترب من البيت حتى تتورد كجمرة مشتعلة تعرضت للهواء. ويزول كل احساس بالتعب والضجر عانته خلال النهار.

ولا ادعي اني اعمل في بيتي بالدقة والاخلاص اللذين ميزا مفهوم امي لمسؤولياتها.

ففي كل صباح عندما يتوجه سكان الحي جميعاً الى اعمالهم، ازيح الستائر لأرى مزاج النهار وما اذا كانت نوافذ جيراني تلمع بخيوط الشمس او تقطر بحبات المطر. واتذكر اذذاك وضعي المتحرر لاني، مهما تكن حال الطقس، لست ملزمة بالخروج الا اذا اخترت ذلك. ومع ان ذاك الدافع الخفي الذي وجه امي موجود داخلي انا ايضاً، فاني أخضعه واكيفه على الوجه الذي اراه مناسباً.

اذا تعين علي مسح ارض البيت وجدرانه المكسوة بالفلين او غسل كومة عملاقة من الثياب، ففي وسعي انجاز هذه الاعمال قبل تحضير العجين او خلاله او بعده كما في وسعي كتابة رسالة الى صديقة او قريبة.

واذا نبشت سترة احبها وانا انظف الخزانة الخشبية ولم يكن هناك ما يستوجب العجلة، فاني ارتديها

واخرج في نزهة فالاوز السابح في الخليج لن ينتظر، في حين ان الخزانة يمكنها الانتظار.

حيث يخفق القلب ـ ليس ثمة ريب لدي في اني انعم بافضل ما في العالم: ان اعمل حينما ارغب ومثلما اريد، الامر الذي يمنحني الرضا الذي يختبره المرء في اللعب الخلاق. واللعب في رأيي هو التحرر الحقيقي.

وفي بعض الاحيان يتاح لي ان اكيف برنامج عملي مع مزاجي. فأتدبر وقتاً لتنقيح قصيدة بدأتها في منتصف الليل. واتمرن بين الفينة والاخرى على عزف مقطوعات باخ. واذا ما تفتحت الورود، فاني اهرع الى قطف باقة اضعها على النافذة لكي تتغلغل في وريقاتها اشعة الشمس.

لو كنت اعمل خارج البيت لحرمت رؤية الشمس وهي تشرق عبر وريقات الورود، اللهم الا خلال عطلة نهاية الاسبوع. واذذاك تنتظرني اعمال كثيرة بحيث لا اجرؤ حتى على التفكير في الجلوس والتأمل ولا اجد الوقت لتحضير عشاء شهي يعلن للقادم من عتبة الباب ان العشاء جاهز.

هذه الحياة التي عشتها وتمتعت بكل ساعة منها هي تراث اخذته عن والدي واجدادي. المطبخ الجيد والثياب النظيفة والكتب والموسيقى والوحدة وسواها من الاشياء التي اعتقد كل منهم بأهميتها، كلها سلمت الي دونما جهد مني وكأنها جينات وراثية، فبدت جزءاً طبيعياً مني كلون عيني او شكل رأسي.

ان الشعور بالاحباط او اليأس او الضياع يقتحم حتى اكثر القلاع تحصيناً وقد يتغلغل الى نفسي، الا ان هذا العالم الذي أعطيته يمنحني شعوراً بالرضا العميق. ويمكنني القول بعد ٣١ سنة قضيتها ربة بيت اني ما زلت سعيدة بتركيبة عائلتي وبالجو الثقافي الذي سمح لهذه التركيبة بالاستمرار.

واذ اخط هذه الاسطر ادرك ان طريقتي في الحياة ستضمحل يوماً وتنتهي. وقد يتغير نمط تفكيري ويجاري التفكير العصري لجيراني. ولعلي اخرج الى العالم يوماً واشغل وظيفة ما لاقدم مساهمة مختلفة، فتتحقق قدراتي وامكاناتي واعود الى البيت بشيك مصرفي يراه الجميع.

لكني حتى هذه اللحظة ما زلت انظر الى ذاك الشيك على انه تجارة خاسرة وتعويض غير عادل لكل المناظر والاصوات والاذواق المتوافرة في المنزل. واذ كنت لا أنفي ما يحمله هذا الشيك من بعض استقلالية وشعور بانجاز ما، فاني اعي انه يتطلب التضحية بالوقت الذي احقق خلاله عملا خاصاً وفردياً لعائلتي، اضافة الى انه يحرمني حريتي.

في معظم الاحوال يشكل البيت الاطار الذي يخفق فيه القلب وينمو الزواج والاولاد وينتظر الفراش والطاولة والفناجين. انه المكان الذي يعود اليه الزوج بفرح ويقف في شرفته ويصرخ: "ما اجمل الحياة!" وكأنه عاد الى العالم بمجرد وطئه عتبة الباب.

وكم يسعدني ان اكون الشخص الذي ينتظر في الداخل.

■ جويس كولوني



حافظ شعلة الحرية

هذا الشاب لا عائلة له ولا مال، غير انه لا يحسد احداً، اذ يؤدي دوراً نابعاً من صميمه

شارل دوليو، كما يصفه أحد زملائه، رجل رفيق مخلص، يحب تمثال الحرية أكثر مما يحبه أي شخص آخر في العالم. ويقول تشارلي عن نفسه إنه أسعد أنسان على وجه الأرض.

ويهز كتفيه قائلا: "انظروا إلي! اني فتى صلب من أحياء نيويورك الفقيرة، لم يتسنّ له أن ينهي علومه. فمن تراني أكون؟ اني لا أحد. لكني لا أطمح الى أن أكون شخصاً آخر. اني حافظ الشعلة، أضيء تمثال الحرية لجميع الناس. وأنا أعرف كل زاوية صغيرة في ذلك التمثال كما كان يعرف كازيمودو الاحدب (في رواية فيكتور هيغو) زوايا كاتدرائية نوتردام في باريس. واني الشخص الوحيد الذي يسمح له بالاقتراب من الشعلة. وما أن أصل الى هناك حتى تسري في أوصالي غبطة لا توصف. والحق أني لا امل قط ذلك المكان".

ويفضل دوليو عندما يصبح المرء صديقاً له ـ

Condensed from Los Angeles Times (April 17, '79), (c) 1979 by Los Angeles Times Co., Los Angeles, Calif.

وهذه عملية لا تتطلب وقتا - أن يدعى تشارلي. وهو محارب قديم في فيتنام، لا يزال في الثالثة والثلاثين. ويعيش مع هره في شقة في بروكلين من ضواحي نيويورك، ويعمل مساعداً ميكانيكياً لصيانة تمثال الحرية الشهير في نيويورك.

إلا أن تشارلي لا يحسد أحداً، اذ انه يحصل معيشته من حراسة المكان الذي، منذ طفولته، فضله على أي مكان آخر. وعندما يقفز تشارلي عن السلم اللولبية داخل التمثال ويباشر تسلق السلم التي ترتفع ١٣ متراً داخل اليد اليمنى وتؤدي الى الشعلة الدائمة، يحس أنه اختير لهذه المهمة. وهو يتفقد الشعلة مرة في الاسبوع لصيانة مصابيح الصوديوم الاربعة التي تغذيها والتي تبلغ قوة كل منها ٤٠٠ واط.

ويقول: "لقد وضعني الله تعالى هنا من أجل غاية معينة، وهي تمجيده لما أعطاني أن أكون، فضلا عن نظم أشعاري وكتابة خواطري الحكمية القصيرة. وان حياتي الماضية لم تكن منتجة كالآن".

معنى ايجابي - ان تشارلي هو الولد الثالث من أربعة أولاد لأب ايطالي وام يونانية. وهو يقول: "نادراً ما كنت أرى أبي وأنا صغير. وكانت حياة أمي شاقة جداً. وفي حداثتي، طالما احتاجت عائلتنا الى المعونة. لكن أمي كانت شجاعة. ولم تنفك عن سؤالي، حتى وهي على فراش الموت، اذا كنت آكل جيداً وفي صحة حسنة".

ويضيف: "في السنة الثانية من المدرسة الثانوية امضيت معظم وقتي مع شلة من الاصحاب. وفي تلك الاثناء اغتيل الرئيس جون كينيدي، فحزنت لمصرعه وقررت أن أعطي حياتي معنى ايجابياً. وكنت في السابعة عشرة عندما التحقت بالخدمة العسكرية من أجل بلادي".

في ابريل (نيسان) ١٩٦٥ انضم تشارلي الى البحرية، ثم تطوع للمحاربة في فيتنام حيث نجا من الموت مراراً. ويقول: "بينما كنت أبل من المرض في مستشفى دا نانغ، عرض علينا فيلم بعنوان "الوصايا العشر". وخيل الي أن صوتاً يدعوني قائلا: ثمة شيء آخر أعددته لك. وأخذت أبكي".

وبعد انتهاء خدمته العسكرية عمل تشارلي في البناء ثم في دائرة البريد. وفي أحد أيام مارس (آذار) ١٩٧٢ أراد أن يقتل الوقت بعد انصرافه من العمل، فتوجه الى تمثال الحرية. وأحس دافعاً يحمله على طلب وظيفة هناك. ولشد ما كانت دهشته عندما استجيب طلبه.

وهو يقول: "منذ اللحظة الاولى اتجهت عيناي نحو الشعلة. لكني لم أجرؤ على التسلل اليها قبل مضي شهر. وبعد ذلك بدأت أصعد يومياً للصلاة والتأمل. وهناك عرفت أن الله أنقذني من حرب فيتنام لأنه شاء أن يصطفيني لهدف معين. وأدركت أنه كتب لي أن أساعد الناس، انطلاقا من ذلك المكان.

"وحتى ذلك الوقت، لم يكن هناك شخص واحد مولج ابقاء الشعلة ملتهبة. ولكن عندما لاحظوا مدى تعلقي بذلك المكان، أعطوني الوظيفة.

"هناك بدأت كتابة الشعر بعدما

اشتركوا في هذا اليانصيب و اربحوا
١٨٨ مليون مارك

ضخم يانصيب
من نوعه في اوروبا
يفتح أمامك
فرصة ذهبية للربح!

قبل اليوم لم يكن لديك حظ كبير لربح مليون . لكن هذا اليانصيب يفتح أمامك أبواب الحظ

- عدد البطاقات المبيعة ٥٠٠ الف فقط .
- من هذه البطاقات ; هناك ٣٤١٥٨٨ بطاقة رابحة حتما .
- تقريباً . نصف البطاقات المبيعة لها حظ في الفوز بجوائز .
- الربح الاجمالي هو ١٨٨،١٢ مليون مارك الماني .
- هناك اربع جوائز كبرى تبلغ قيمة كل منها مليون مارك .
- هناك جائزة "سوبر" تبلغ قيمتها مليونا ونصف مليون مارك .

اليانصيب الالماني "كلاس لوتيري" أسس قبل ٣٥٠ سنة .

ولاكثر من ثلاثين سنة ، جعل من امثالك أصحاب ملايين . ويزداد عدد الرابحين سنة بعد سنة .
هذا اليانصيب يختلف عن سواه من حيث أن ريعه يعود ليس الى المشاريع العامة والخيرية ، بل الى المشتركين انفسهم . وغني عن القول ان المارك الالماني هو من أقوى العملات العالمية وأكثرها استقراراً .

الضمـــان

يضمن دفع المبالغ المدونة ادناه
في الدورة الواحدة (نصف عام)

٢ × ١،٥ مليون	= ٣٠٠٠٠٠٠ مارك
٤ × ١ مليون	= ٤٠٠٠٠٠٠ مارك
١٢ × ١/٢ مليون	= ٦٠٠٠٠٠٠ مارك
٨ × ٢٥٠٠٠٠ مارك	= ٢٠٠٠٠٠٠ مارك
٢٤ × ١٠٠٠٠٠ م	= ٢٤٠٠٠٠٠ مارك
١٢ × ٨٠٠٠٠ م	= ٩٦٠٠٠٠ مارك
٢٠ × ٦٠٠٠٠ م	= ١٢٠٠٠٠٠ مارك
٢٤ × ٥٠٠٠٠ م	= ١٢٠٠٠٠٠ مارك
٢٨ × ٤٠٠٠٠ م	= ١١٢٠٠٠٠ مارك
٣٠ × ٢٥٠٠٠ م	= ٧٥٠٠٠٠ مارك
٢٦٤ × ١٠٠٠٠ م	= ٢٦٤٠٠٠٠ مارك
٥٦٠ × ٥٠٠٠ م	= ٢٨٠٠٠٠٠ مارك
١٩٠٠ × ٢٥٠٠ م	= ٤٧٥٠٠٠٠ مارك
٢٠٠ × ٢٠٠٠ م	= ٤٠٠٠٠٠ مارك
١٠٠٠٠٠ × ١٥٠ م	= ١٥٠٠٠٠٠٠ مارك
٢٠٠٠ × ١٢٥٠ م	= ٢٥٠٠٠٠٠ مارك
٢٢٢٤٠٠ × حتى ١٠٠٠ م	= ١٣٢٤٠٠٠٠٠
٣٤١٥٨٨ جائزة مجموعها	١٨٨،١٢٠،٠٠٠ مارك

الجوائز كلها تدفع نقداً ، وهي معفاة من الضرائب الالمانية ، لكن الشركة ; في الوقت نفسه ، تحظى بدعم الحكومة التام ، وهذا حافز قوي على شرائك بطاقة او اكثر .
"كلاس لوتيري" مؤسسة غير خاصة ، وهي تبيع بطاقاتها عن طريق مكاتب مرخص لها حكومياً ، ويجري السحب علناً وقانونياً .

غريغور — فرانكفورت

مكتب لبيع أوراق اليانصيب ذو رخصة حكومية

Rüsterstraße 24, Postfach 11 90 20
D-6000 Frankfurt/Main (W-Germany)
Telex 04 189 125 daw

كيف تشترك في هذا اليانصيب؟

هناك سحب واحد كل يوم سبت على مدار نصف سنة ، تدرج فيه السحوبات تكراراً على جميع البطاقات ، ويرسل النتائج بالبريد لكل حامل بطاقة ، مرفقة بمعلومات واضحة عن موارد السحوبات والجوائز المرفقة .
وفي امكان المشترك شراء بطاقة كاملة او نصف بطاقة او ربع بطاقة ، فيكون نصيبه من الجائزة معادلا لذلك ، ويتساوى جميع الارقام في الحظ .
بانصيب في متناول الجميع!
بسيط كلعب الاطفال!
– لكي تحصل على بطاقة ، املأ القسيمة في اسفل الصفحة او اكتب الينا من غير قسيمة محدداً طلبك .
– عليك ان ترفق طلبك بحوالة مصرفية او بريدية او شيك شخصي او شيك سياحي بالمبلغ المحدد .
وبمكنك ان ترسل المبلغ نقداً ، ولكن يستحسن ادراك ايداع الرسالة البريد المضمون (المسجل) .
– تستلم في المقابل بطاقتك مرفقة بمعلومات واضحة عن هذا اليانصيب .
– تستلم ايضا لائحة دورية بالارقام الرابحة .

في حال الربح!

- سيجري ابلاغك فورا برسالة شخصية .
- يتم دفع الجوائز بأسرع طريقة ممكنة وطبقا لتعليماتك .

الجوائز معفاة من الضرائب الالمانية ، وتلتزم الشركة الكتمان التام في شأن أسماء المشتركين والرابحين ، فهذا من حق صاحب العلاقة وحده .

خدمة حول العالم
اذا كنت تحمل بطاقة قبل قراءة هذا الاعلان ، فلا ترسل طلبا جديدا لاننا سنراسلك كالعادة ، والرجاء ; في هذه الحال ; أن تحيط أصدقاءك علما بشركتنا ; او أن تريهم هذا الاعلان وتقطع لهم القسيمة المرفقة .

لا تنتظر – اطلب بطاقتك الان!
عدد البطاقات الاجمالي محدود ، والافضل ان تحجز بطاقتك فوراً .

YES **I want to be with it and am ordering:**
for the next SÜDDEUTSCHE KLASSENLOTTERIE
Starting May and November every year

tickets ea	DM	or US$	or £	
☐ 1/1 tickets at	720.–	360.–	180.–	each
☐ 1/2 tickets at	360.–	180.–	90.–	each
☐ 1/4 tickets at	180.–	90.–	45.–	each
☐ Lucky Letter at (= 4 quarter-tickets, each with a different number)	720.–	360.–	180.–	each

One time additional fee for winning lists, postage, bank charges, and handling!
DM 24.–/ US $ 12.–/ £ 6.– (add to the above)

Payments received in currencies other than US$, DM or £ will be credited to yo account in accordance to the exchange rate of the day. The prices quoted are cov ing the ticket for one complete cycle comprising all six classes, and the additio fee is a one-time expenditure, too.

Make all checks and orders out to: W. GREGOR, Postfach 11 07 53, D-6000 Frankfurt/M.

☐ I enclose my check / for DM / US$ / £ ______________
☐ I will make payment immediately after receipt of ticket(s) and your invoice

Send information in ☐ German ☐ English ☐ French ☐ Spanis

Mr.
Mrs. ______________________________
Miss

Street address (or P O Box No) ______________________________

City (postal code No) ______________________________

Country ______________________________ Please print or type all entrie

RD. AB. 7/82

كنت في المدرسة امجه لظني أنه موضوع ثانوي لا ينطوي على رجولة. لكن الشعلة ألهمتني ومنحني الله موهبة نظم الكلمات. وفي تلك الكتابات دعوت نفسي للمرة الاولى "حافظ الشعلة". وأعتقد أن الله أنقذني لكي أحفظ الجذوة مشتعلة".

مشية الله - يقدم تشارلي الى زائره نسخة من احدى قصائده المحببة، خطها بيده. والقصيدة هي الآتية:

إلهي، اني لا أتوقع
أن يكون لي ايمان ابرهيم.
ولست، يا الهي، أنتظر
أن أعطى زعامة موسى،
ولا قوة شمشون
أو شجاعة داود،
ولا عطف يوسف
أو حكمة سليمان،
ولا حماسة بولس
أو محبة فرنسيس الأسيسي.
لكن ما أنتظره، يا الهي،
هو أن تدعوني يوماً،
واذ ذاك، سأفعل مشيئتك.
فاذا كان ما تبغيه مني بسيطاً،
أنجزته حسناً ومجدت اسمك.
واذا كان أمراً خطيراً،
فاني لن أخشى شيئاً يا الهي،
لأنك أنت ستكون عوني أبداً.
واني لن أخذلك البتة،
لأني لا أسعى الا الى وجهك.
يا الهي، يا الله المحبة،
مبارك هو اسمك!

وبعد ذلك يجلس تشارلي بهدوء وهو يفيض رضا كما يشع موقد بالدفء. ترى أليس ثمة ما يتوق اليه؟ أما لديه أحلام لم تتحقق بعد؟

"أجل"، يقول تشارلي، "في ودي أن أجد لنفسي زوجة. لقد أحببت فتاة ذات يوم، لكنها تزوجت رجلا سواي".

وللمرة الاولى خلال النهار، يتكلم تشارلي ببعض حزن وأسف. ويضيف: "لذلك أعيش اليوم مع هري. واني لا أختلط كثيراً بالناس وليست لدي ملابس أنيقة، لكنني أحب المرح. والواقع أن المال الذي أمتلكه لا يخولني أن أعيش حياة زوجية. فأنا لا أحتفظ بالمال. وبعد حصولي على الوظيفة، أخذت على عاتقي دفع رسوم ستة أيتام في مؤسسة خاصة.

"ومرة فتحت حساباً مصرفياً استعداداً للزواج. ولكن عندما انفرد مشروع زواجي أرسلت ما ادخرته الى الام تيريزا، "ام الفقراء"، في كلكوتا (الهند). وبلغ ما أرسلته اليها والى سواها من فاعلي الخير أكثر من ١٢ ألف دولار خلال السنوات الخمس الماضية. وبعدما نفد المال من حسابي المصرفي، قرأت عن مضطهدي الانظمة الديكتاتورية الذين يحتاجون الى المال، فاستدنت ١٥٠٠ دولار وأرسلتها اليهم. وهي المرة الاولى التي أقع تحت دين.

"وربما فتحت حساباً مصرفياً من جديد، اذ لا بد من أن أعثر يوماً على فتاة أحلامي".

وتبتسم دليلة احدى الرحلات السياحية وتقول: "كلنا يعرف أن تشارلي شخص فذ. وحين أعطى نفسه لقباً للمرة الاولى، ابتسم الناس غير مصدقين. لكننا كلنا بتنا نأخذ هذا اللقب على محمل الجد. ذلك أن تشارلي بالنسبة الينا هو "حافظ الشعلة"، كما يقول عن نفسه".

■ **ديف سميث**

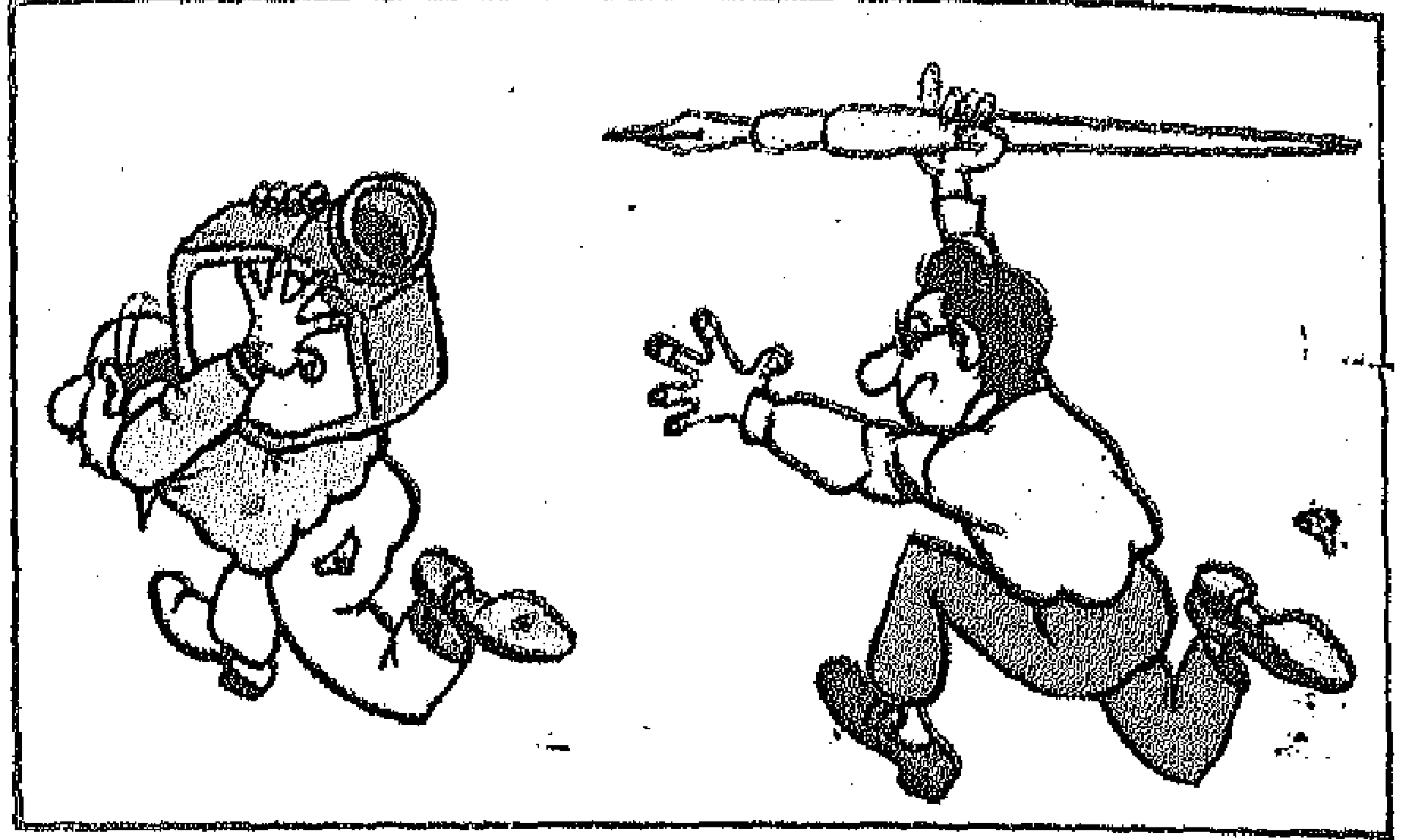
لانطلاقة متميّزة
وأداء فريد

شامبيون
هيَ الرّائدة

إنسيابية رائعة عند
الإنطلاقة وفعالية
قصوى أثناء الأداء
هذا ما توفره
بوجيات شامبيون
دائماً للمحرك.
إستعمل شامبيون اليوم
وألمس الفرق.



الأولى بالمبيعات في العالم



دائرة المعارف

دائرة المعارف لهذا العدد تحتوي على صفات، وقد وضع امام كل صفة اربعة معان، واحد منها صحيح، وعلى القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١٠ دهر اصم: خير ـ منصرم ـ لا ينتهي ـ يشكى اليه فلا يسمع.

٠٢ غنيمة باردة: هزيلة ـ بعيدة المنال ـ سهلة ـ قديمة.

٠٣ رجل خفيف الظهر: حلو المعشر ـ فقير ـ قليل الاولاد ـ سريع.

٠٤ ارض عوراء: لا ماء فيها ـ مخددة ـ مقفرة ـ سوداء التربة.

٠٥ عِزّ تالد: سريع الزوال ـ قديم ـ في غير اهله ـ خالد.

٠٦ مطر هزيم: مفاجىء ـ خفيف ومتقطع ـ صيفي ـ مندفع.

٠٧ كتاب غُفْل: ممل ـ معقد ـ لا يعرف واضعه ـ سهل.

٠٨ امر نفيذ: مجحف ـ مطاع ـ غير مُجد ـ متأخر.

٠٩ موت زؤام: سريع ـ في الشباب ـ محتم ـ بطيء.

١٠ حب لائع: يائس ـ قصير العمر ـ كاذب ـ مضن.

١١ كزّ اليدين: كريم ـ بخيل ـ سارق ـ فقير الحال.

١٢ رجل اجرد: اعزب ـ لا شعر عليه ـ ريفي ـ ابرص.

١٣ منصب شاغر: لاغ ـ مرموق ـ خال ـ مشغول.

١٤ شيخ نهبل: مسن ـ مقوس الظهر ـ خرف ـ اشيب.

١٥ سماء غبطى: رحوم ـ راعدة ـ صافية ـ دائمة المطر.

١٦ قصيدة حذّاء: منحولة ـ فارغة ـ منقحة ـ غامضة المعاني.

١٧ انف احجن: اعوج ـ افطس ـ ضخم ـ واسع الفتحتين.

١٨ ماء نجيع: لا يروي ـ مريء ـ ضارب الى الحمرة ـ بارد.

١٩ ناقة مسجام: حرون ـ ذات سنامين ـ سريعة ـ كثيرة الدر.

٢٠ حق ابلج: سائب ـ يفرض بالقوة ـ مغبون ـ واضح.

٢١ امرأة عبلة: ضخمة الجثة ـ حرة ـ بيضاء البشرة ـ قصيرة.

٢٢ محارب اشوس: متهور ـ اعزل ـ جريء ـ جبان.

٢٣ سنة غبراء: خصيبة ـ كثيرة الحروب ـ بعيدة ـ مجدبة.

٢٤ توبة نَصوح: صادقة ـ متزعزعة ـ قسرية ـ مقبولة.

٢٥ مال نَهير: حرام ـ كثير ـ مهدر ـ موروث.

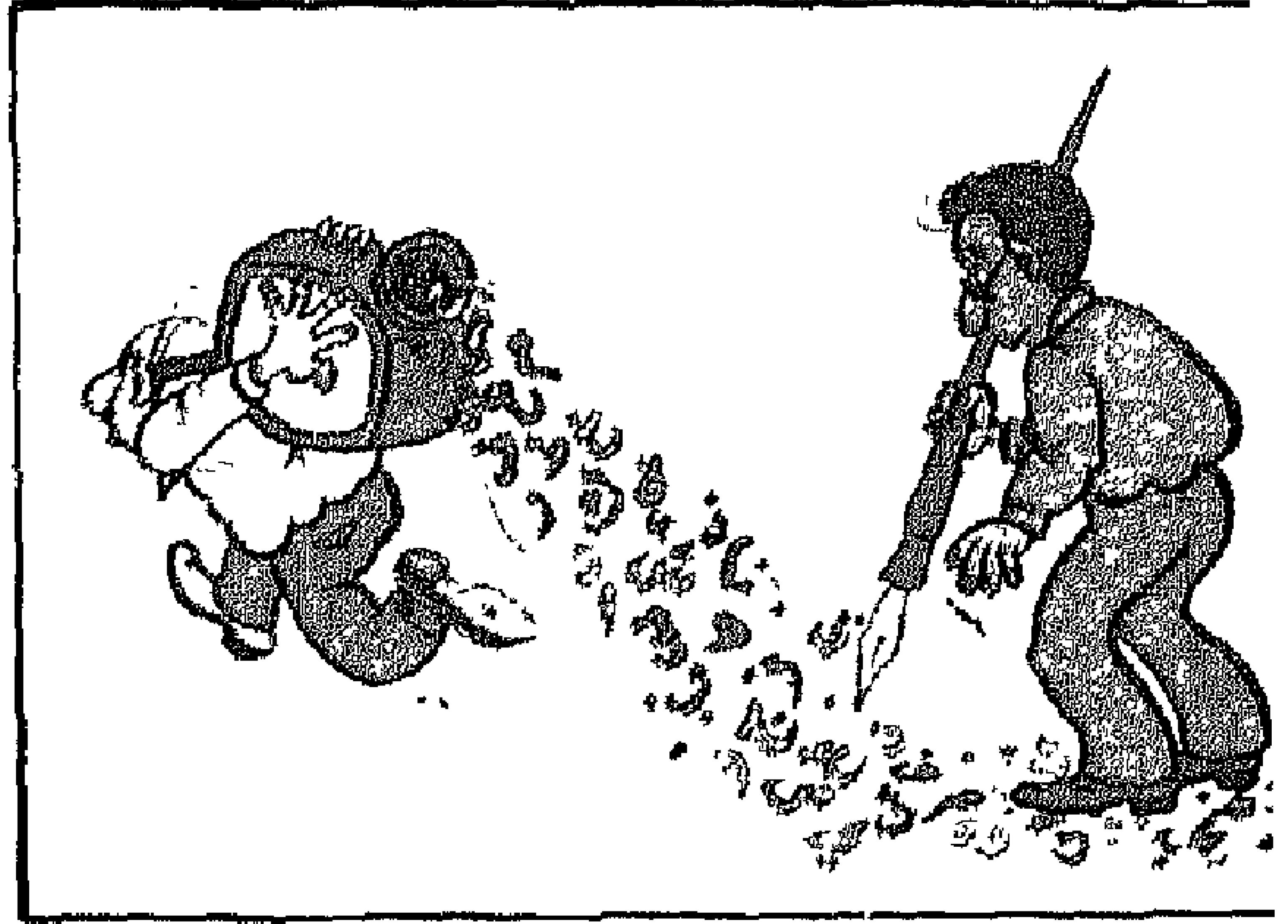
٢٦ مسحوت الجوف: طماع ـ حسود ـ نهم لا يشبع ـ مفلس.

٢٧ بئر ناكز: نفد ماؤها ـ موحلة ـ عميقة ـ ملأى.

٢٨ كلام نسيف: خفي ـ فارغ المضمون ـ لاذع ـ فصيح.

٢٩ دمع هاجل: ساخن ـ جاف ـ يملأ العين ولا يسقط ـ سائل.

٣٠ يمين غَموص: ناقصة ـ كاذبة ـ تتضمن حقيقة مؤلمة ـ صادقة.



الأجوبة الصحيحة

٠١ دهر اصم: يُشكى اليه فلا يسمع. الصماء: الداهية الشديدة.
٠٢ غنيمة باردة: تنال عفواً بلا تعب. حجة باردة: ضعيفة.
٠٣ رجل خفيف الظهر: قليل الاولاد. خفيف العقل: احمق.
٠٤ ارض عوراء: لا ماء فيها. المعاني العور: الغامضة الدقيقة.
٠٥ عز تالد: اصيل وقديم. عكسه طارف.
٠٦ مطر هزيم: مندفع لا يستمسك. الهزيم: صوت الرعد.
٠٧ كتاب غُفْل: لا يعرف واضعه. اغفل: اهمل وترك.
٠٨ امر نفيذ: مطاع.
٠٩ موت زؤام او زؤاف: كريه او سريع.
١٠ حب لائع: مضن. اللوعة: حرقة الحزن والهوى والوجد.
١١ كز اليدين: بخيل. كز: منقبض ويابس.
١٢ رجل اجرد: لا شعر على جسده. صخرة جرداء: ملساء.
١٣ منصب شاغر: خال. اشتغرت الحرب: اتسعت واشتدت.
١٤ شيخ نهبل: مسن. نهبل: مشى بعرج وثقل.
١٥ سماء غبطى: دائمة المطر. الغابط: الحاسد.
١٦ قصيدة حذاء: منقحة لا عيب فيها. قلب احذ: ذكي.
١٧ انف احجن: اعوج. محجن الطائر: منقاره.
١٨ ماء نجيع: مريء. منتجع: موضع يقصده الناس في طلب الكلأ.
١٩ ناقة مسجام: كثيرة الدر. عين سجوم: تسيل الدمع.
٢٠ حق ابلج: واضح. الابلج: الذي لم يقترن حاجباه.
٢١ امرأة عبلة: تامة الخلق. ايضاً: ضخمة.
٢٢ محارب اشوس: شديد وجريء في القتال. الاشوس: الرافع رأسه تكبراً.
٢٣ سنة غبراء: مجدبة، سميت كذلك لاغبرار آفاقها من قلة الامطار واراضيها من انعدام النبات والاخضرار.
٢٤ توبة نصوح: صادقة. ناصح الجيب: نقي القلب.
٢٥ مال نهير: كثير. انتهر العِرق: لم ينقطع دمه.
٢٦ مسحوت الجوف: لا يشبع. يقال: دمه او ماله سحت، اي مهدر.
٢٧ بئر ناكز: نفد ماؤها. يقال: فلان بمنكزة من العيش، اي ضيق.
٢٨ كلام نسيف: خفي.
٢٩ دمع هاجل: سائل. الهاجل: النائم او الكثير السفر.
٣٠ يمين غموص: كاذبة. غمص النعمة: لم يشكرها.

المستوى
٢٥ ــ ٣٠: ممتاز
١٩ ــ ٢٤: جيد
١٣ ــ ١٨: مقبول

حديقة بيتك كيف تضاعف محصولها ؟

قليل من البراعة والتخطيط الحكيم يضاعف محصول الخضر والبقول في حديقة عادية مرتين او حتى ثلاثاً

١٠ استفد من كل شبر من الارض. لدى اختيارك موقع الحديقة ابحث عن المكان الاكثر تعرضاً لاشعة الشمس والذي يسهل فيه تصريف الماء ويكون في منأى عن الريح .

ان مساحة صغيرة ذات اوضاع زراعية مثالية تعطيك محصولا اوفر مما تمنحك مساحة واسعة مظللة ومعرضة لعصف الريح . ان الزرع يحتاج الى ست ساعات مشمسة على الاقل. واذا كان عليك ان تقتصد في المساحة، فليس ضرورياً ان تبحث عن بقعة مستطيلة هندسية . اختر اي بقعة مشمسة تتاح لك، مثل اطراف مرجة خضراء او فسحة حول البيت او زوايا وبقع صغيرة . يمكنك ان تغرس مقداراً كبيراً من البقول بهذه الطريقة . وهذا يسهل عليك ايضاً اكتشاف اي ذبول او ضرر تلحقه بها الحشرات، كذلك اكتشاف البقول التي حان قطافها . واذا كان اكثر الاماكن تعرضاً للشمس هو فناء مرصوف، اغرس البقول في صناديق خشبية او في براميل . ولما كانت هذه الطريقة تحشر البقول، فيجدر بك ان تستخدم تربة جيدة والا تهمل ريها وتسميدها .

واذا لم يتوافر لك سوى بقعة ظليلة لا تصلح لزراعة البندورة (الطماطم) او البقول التي تؤكل جذورها كاللفت والشمندر، حاول ان تغرس البقول التى تؤكل اوراقها كالخس والكرنب (الملفوف) والهندباء .

٢٠ افحص عمق التربة. احفر عميقاً في الارض عندما تهيىء مساكب حديقتك(١)، فقد تصيب طبقة صخرية او صلصالية صلبة على عمق بضعة سنتيمترات . في هذه الحال انبش هذه الطبقة بالمعول والرفش او بالجرار حتى تصل الى عمق يزيد على ٣٠ سنتيمتراً، والا فلن تجني سوى محصول ضئيل لأن البقول ستنمو على سطح التربة بدلا من ان ترسل جذورها عميقاً .

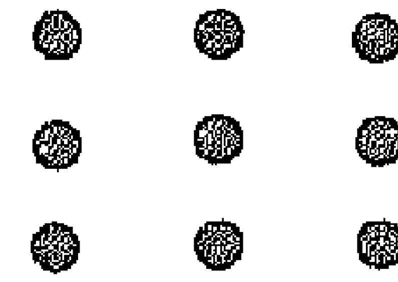
٣٠ خطط لطريقة الغرس. ارسم صورة حديقتك على الورق وحدد المساحات بحكمة . ولا تفرط في البذر والغرس، فمسكبتان من البصل او

(١) المسكبة هي موضع البذر والغرس .

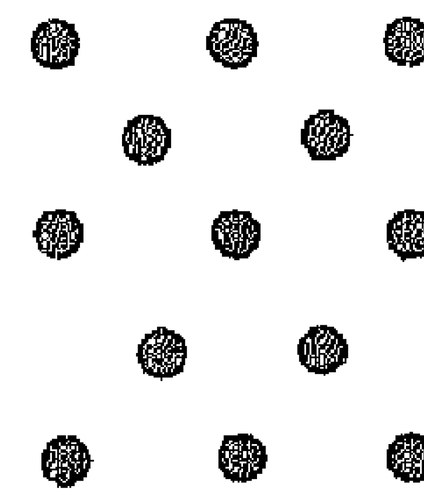
البقدونس، مثلا، تنتجان كل ما تستهلكه عائلة متوسطة. واذا كانت المساحة المتوافرة ضيقة، تجنب البقول والخضر "الجشعة" التي تحب الامتداد. يمكنك مثلا، غرس ستة صفوف من الجزر او الشمندر او البصل في المساحة التي يحتلها صف واحد من نبات الكوسا. قلل الممرات متهما امكن.

٤. اختر البقول التي تعطي انتاجاً دائماً. بعض البقول، كالسبانخ والحمص، يدوم موسم جنيها اسابيع قليلة. لكنك قد تفضل البقول التي تعطي جناها من دون انقطاع حتى يوقفها الصقيع، كالبندورة والقنبيط والكرنب والفاصوليا والكوسا والباذنجان والفلفل والخس.

٥. تنظيم صفوف الغراس: خذ درساً من النحلة العاملة التي لا تزرع قط بالاسلوب الذي نتبعه نحن عادة، اي في ما يشبه صفوف الجنود في عرض عسكري:



بل اتبع المبدأ الذي يوفر مساحة على غرار النحلة في بناء قرص العسل، ووضب الصفوف على هذا النحو:



هذه الطريقة تتيح لك ان تقرب الصفوف بعضها الى بعض مع المحافظة على الابعاد نفسها بين غرسة واخرى.

٦. راقب عمق الغراس. هناك نزعة عامة الى زرع البذور عميقاً في التربة، وهذا يسبب مشاكل. فكلما اوغلت في العمق اصبحت التربة أبرد، بينما البذور تحتاج الى الدفء لتنبت. وان هي نبتت، فلن تكون لها القدرة على التغلغل في الطبقة السميكة فوقها. تقيد بالتعليمات المطبوعة على غلاف البذور الذي تشتريه او اتبع القاعدة التقليدية: لا تزرع على عمق يزيد ثلاث مرات على سماكة البذرة نفسها.

٧. اختر السماد المناسب. عندما تشتري السماد لحديقتك ابحث عن النسبة "٥ - ١٠ - ٥" التي تكون مطبوعة على الغلاف. هذا المزيج يحتوي على ٥ في المئة من النيتروجين و١٠ في المئة من الفوسفور و٥ في المئة من البوتاسيوم. وهذه النسبة تؤمن تغذية وافرة لجميع البقول في حديقتك.

٨. ارو التربة لا الهواء. تحتاج حديقتك الى مقدار ٢،٥ سنتيمتر ارتفاعاً من الماء في الاسبوع. واكثر أساليب الري فاعلية وأقلها هدراً هو طريقة التقطر. وتنطوي هذه على انبوب من المطاط ذي مسام او انبوب معدني مثقب يؤمن للرطوبة جريانا بطيئاً ومتواصلا في الارض. هذه

الطريقة أجدي كثيراً من الرش، اذ لا يضيع من الماء سوى مقدار قليل جداً بالتبخر، كما تحصل حديقتك على ري أعمق كل مرة.

٩. المهاد(٤). ان تغطية المساحات بين الغراس تنشط النمو الصحي للبقول. انتظر حتى تبلغ الغراس الرخصة حوالي ١٠ سنتيمترات طولا، ثم افرش الارض العارية بطبقة من اي شيء قابل للاهتراء والتحلل ـ مثل اوراق الشجر والعشب المجزوز والطحلب والتبن وابر الصنوبر ونشارة الخشب. هذه الطبقة تتحلل تدريجاً بفعل الجراثيم وتغني التربة بما فيها من مواد. في الوقت نفسه تساعد هذه التغطية في خنق الاعشاب الضارة وتمنع التبخر وتثبت حرارة التربة. يمكن ايضاً استخدام رقائق البلاستيك الاسود للتغطية. بعض المزارعين يغطون كل المنطقة المغروسة هكذا ثم يفتحون ثقوباً في غطاء البلاستيك للبذور او الغراس، وهناك آخرون يمدون غطاء البلاستيك بين صفوف الغراس فقط.

١٠. نمِ البقول عمودياً. سيكون محصولك انظف وتتاح لك مساحة اوسع للزراعة اذا وفرت للنباتات المعترشة اوتاداً او أسيجة او دعائم تتسلقها. بالنسبة الى البندورة، اغرز في الارض وتداً قوياً بجانب كل نبتة، وليكن على عمق كاف ليثبت جيداً على ان يبقى منه فوق الارض نحو متر وربع متر. وكلما نمت النبتة اربطها الى الدعامة بشرائط عريضة من القماش (الخيوط لا تصلح لأنها تخد في ساق النبتة الطرية).

في امكانك ايضاً ان تجرب طريقة التقفيص. وهذه تتطلب صنع اسطوانة من شباك الاسلاك في شكل قفص يراوح قطره بين ٣٥ و٤٥ سنتيمتراً. اغرز القفص في التراب، فيشكل دعامة مستديرة قوية تتشبث بها نبتة البندورة من الداخل. ان نبتات البندورة المقفصة تكون أقل تعرضاً للاهتراء وفي منأى عن أذى الحيوانات.

الاعمدة الطويلة تسهل زرع كميات من الفاصوليا في مساحة صغيرة. ابذر حبتي فاصوليا حول كل عمود طول متران ونصف متر، وتأكد من ان الاعمدة ثابتة في الارض. احد الاساليب يقضي بغرز الاوتاد في شكل دائري ثم ضم رؤوسها وربطها معاً حتى تصبح كخيمة الهنود الحمر (اي في شكل مخروط).

١١. انزع الأعشاب البرية وفرق الغراس. اقتلع النباتات غير المنتجة كالاعشاب البرية والغراس المتقاربة والنوامي الضعيفة. عندما تتخلص من هذه فان الرطوبة والغذاء في التربة يتحولان الى النباتات النامية والبقول الفضلى.

١٢. راقب دلائل الخطر. يمكنك ان تمنع اصابة مزروعاتك بآفات خطرة او تلفها بفعل الحشرات اذا راقبتها بعين يقظة لاكتشاف اول بوادر الخطر. الاصابة بالآفات الزراعية يدل عليها تبقع العروق والاوراق وتشققها

(٤) طبقة من النشارة او التبن تفرش على الارض لوقاية الجذور من الحرارة او البرد او لابقاء الثمار المتساقطة نظيفة.

وتغير لونها. واذا كانت مزروعاتك مقتطعة عند مستوى الارض، فهذا يدل على غزو الدودة القارضة. اما ذبول الاوراق وتغير لونها فيدلان على المن. الاوراق المقروضة تخلفها الخنافس وديدان الورق، اما الثقوب في العروق والعرائش فتدل على الحشرات الناخرة التي تسمى حفارة الساق. كذلك فالنسج الشبيهة ببيوت العنكبوت ومجموعات البيظ (بيض الحشرات)تدل على وجود العث والسوس.

يمكنك غالباً ان تحد من عبث الحشرات بالتقاطها باليد واتلافها مع بيظها. اما الدودة القارضة فتحد من شرها باحاطة ساق النبتة، على مستوى الارض، بأطواق من الورق المقوى. احد افعل الاساليب هو الرش بالماء الذي يجرف المن والديدان والخنافس وسواها من الآفات.

اذا لاحظت ان آفة زراعية خطرة اصابت مزروعاتك، فاستشر للحال بائعي الادوية الزراعية للحصول على العلاج المناسب، وخذ معك نماذج من النباتات المصابة.

١٣. تابع قطاف مزروعاتك. بعض البقول والخضر تستمر في الانتاج حتى تبلغ مرحلة اخراج البذور. وبقطافها قبل ان تبلغ هذه المرحلة فانك تضمن استمرار انتاجها. وهذا ينطبق على القنبيط الافرنجي (البروكولي) والخيار والكوسا الصيفية والفاصوليا والخس الافرنجي.

١٤. نظم مواعيد القطاف. اكبر البقول حجماً ليس دائماً افضلها. اقطف الخضر عندما تبلغ أوج نكهتها. لا تدع الشمندر مثلا يكبر اكثر من اللازم، فعندما يزيد قطر الحبة على ١٠ سنتيمترات تتناقص نكهتها. الكوسا الصيفية أطيب ما تكون وهي صغيرة وتفقد نكهتها كلما كبرت، والفجل يصبح رخواً وفاقد الطعم اذا اخرت قطافه، والقنبيط الافرنجي (البروكولي) يزهر ولا يعود يصلح للطعام.

١٥. اغرس مزروعاتك في دورات متتابعة. حافظ على مساكبك دائمة الانتاج بزرع غراس جديدة باستمرار. فالحمص والخس والفجل والشمندر والجزر تبلغ حد النضج سريعاً. فازرع غراساً جديدة حالما تجني المحصول الاول.

١٦. مدد مهلة القطاف. غط مزروعاتك بخيمة من البلاستيك الرقيق (لا تدعها تلامس النباتات) قبل ان يدهمها الصقيع الاول. بادر الى قطاف ما تبقى من البندورة الخضراء وضعها في صندوق مغطى او افرشها على صحيفة في مكان معتم حيث الحرارة نحو ١٣ درجة مئوية، ودعها تنضج من تلقائها. ويمكنك استخدام البندورة الخضراء لاغراض عدة ـ مخللة او مقلية او في الفطائر.

اقتلع كمية من البقدونس والثوم مع ترابها وانقلها الى داخل بيتك في قدور، ثم ضعها في نافذة معرضة لنور الشمس. فانها تمدك بما قد تحتاج اليه لتطييب الطعام او زخرفته طوال فصل الشتاء.

■ أ. هـ. بريندل

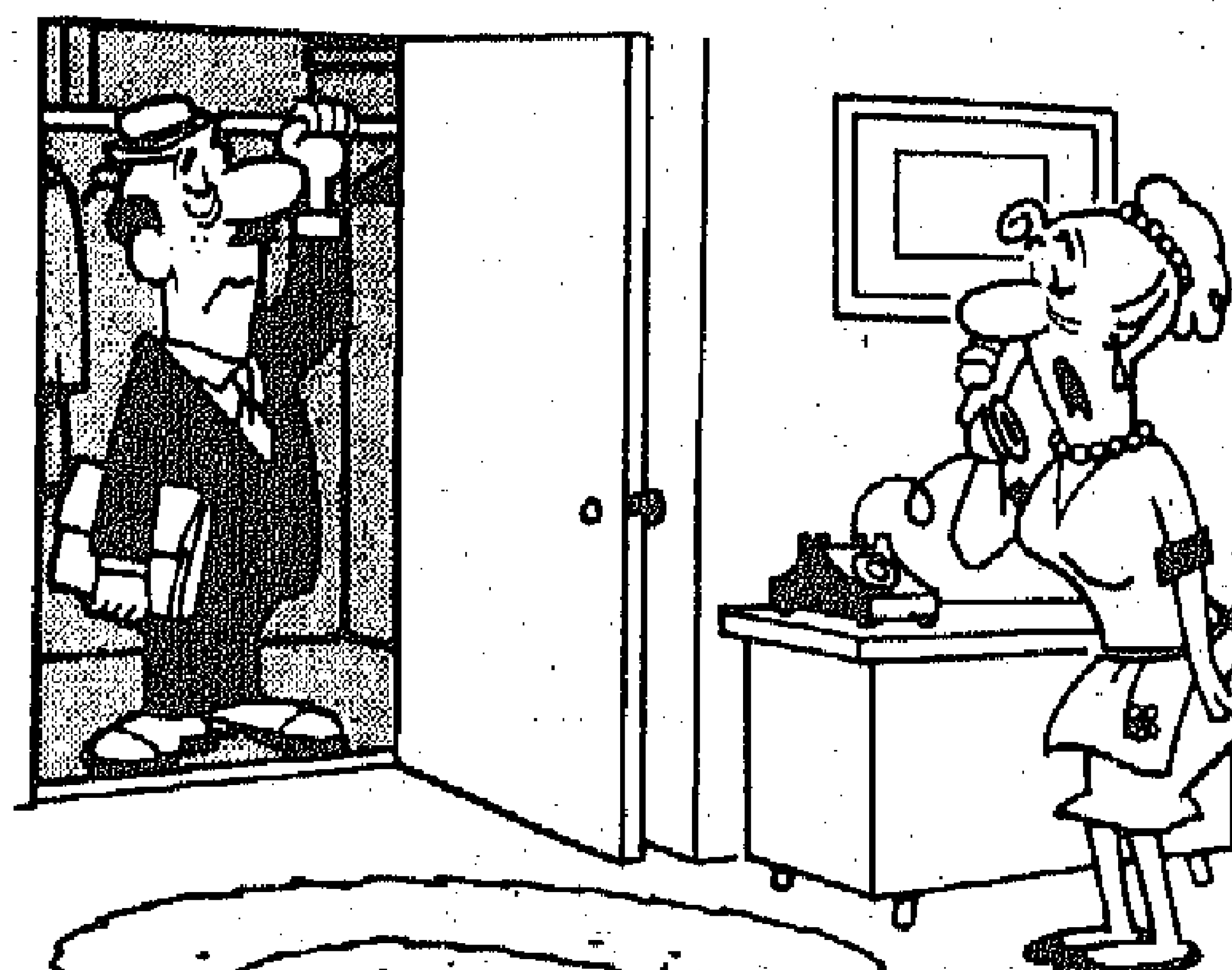
صباح الخير!



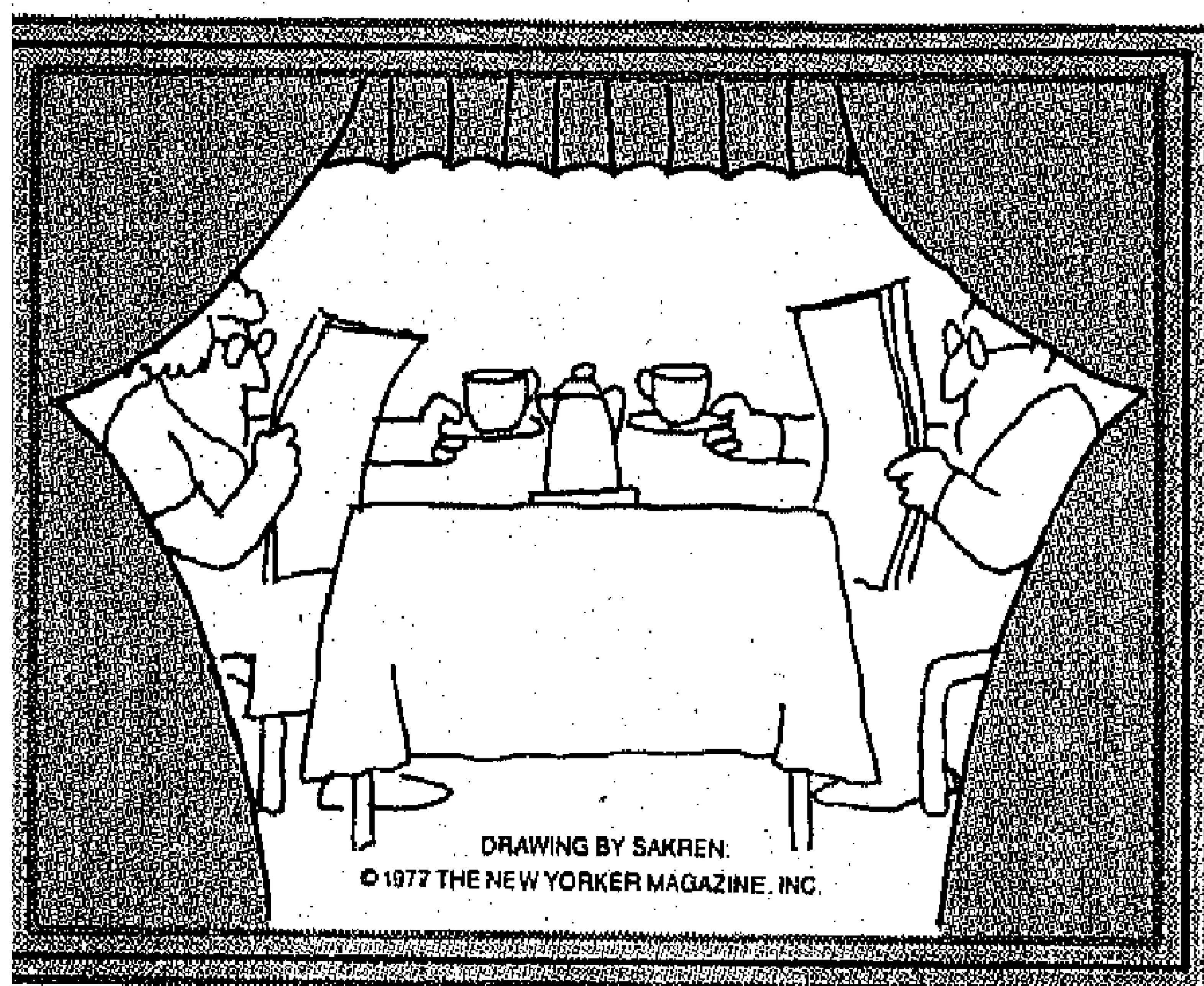
"طبعاً انها تغني، فهي ليست ذاهبة الى العمل"،
Dale McFeatters, Field Newspaper Syndicate

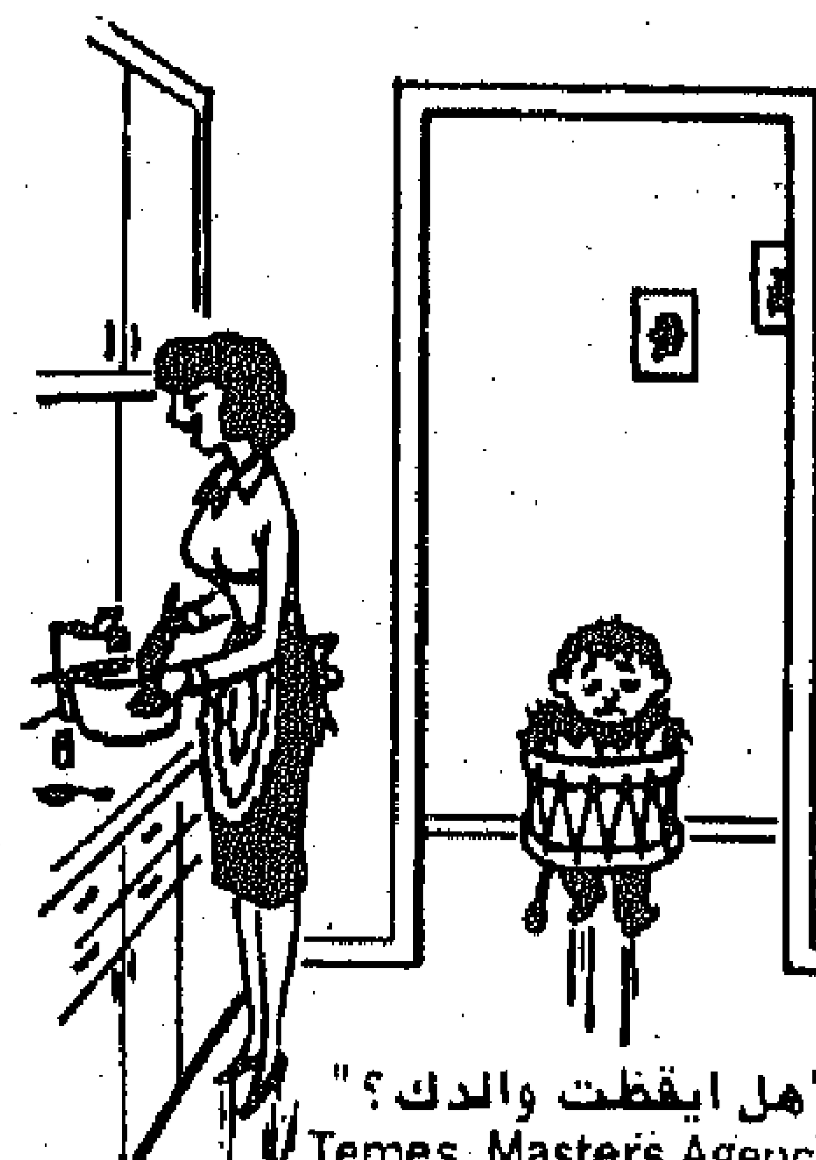


"صباح الخير..."
David Harbaugh in National Review



"لا بد انه وصل يا سيد منير،
فهو يركب الحافلة في الساعة الثامنة من كل صباح"،
Nat. Masters Agency

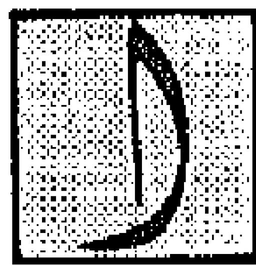




"هل ايقظت والدك؟"
Temes, Masters Agency

تجمع الركاب المذعورون فوق السفينة المحترقة وقد تسمرت انظارهم في طائرة الانقاذ

طائرة تنقذ باخرة



الاربعاء في ١ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٠ كان يوماً طويلا جداً بالنسبة الى الملازم الطيار مايك لاكي (٣٣ سنة). وكان هذا الشاب الاشقر الناحل ذهب الى لندن لحضور مؤتمر صحافي لمناسبة منحه هو وثلاثة من افراد

طاقمه جائزة الامير فيليب (زوج الملكة) للانقاذ بالطائرة المروحية، وذلك تقديراً لجهودهم مطلع تلك السنة في بحر الشمال حين رفعوا الناجين عن المنصة العائمة للتنقيب عن النفط "الكسندر كيلانـد" بعد انقلابها.

وعاد لاكي الى قاعدة سلاح الجو الملكي البريطاني في لوسيموث المشرفة على لسان موري الهائج في اسكوتلندا، وجلس في شقته يحدث زوجته عن وقائع ذلك اليوم. وفي الساعة العاشرة والثلث ليلا رن جرس الهاتف.

كان المتكلم الملازم الطيار بيل كامبل من غرفة العمليات، وهو دخل مباشرة في الموضوع: "على بعد ١٢٠ كيلومتراً في عرض المحيط الاطلسي الى الغرب من جزر اوركني تحترق سفينة شحن أسوجية حمولتها ١٤٥٠٠ طن وسط عاصفة هوجاء قوتها ١٠ درجات. لقد استجابت طائرتان مروحيتان لنداء الاستغاثة، وهما تتسعان لجميع ركاب السفينة وعددهم ٣٢. انما في مثل هذه الاحوال الجوية ستكون عملية الانقاذ دقيقة وخطرة، ومن الافضل ان نرسل طائرة مساندة تحسباً لما قد يطرأ".

اختار لاكي الرقيب ريك براغ (٢٦ سنة) ليدليه كامبل بالرافعة مع حبل الانقاذ. واستنفر كامبل الملازم الطيار ديف سمبسون ليكون الطيار المساعد، وهذا شاب في الخامسة والعشرين طويل القامة وهادىء الطباع. وفيما الجميع يرتدون ألبسة الانقاذ انضم اليهم الضابط الطبيب هاميش غرانت (٣٣ سنة) قائلا: "خذوني معكم. ان حريقاً في البحر لا بد وان يسفر عن اصابات. حتى وان لم يصب احد بحروق، فمن المحتمل ان يصاب البعض بالهلع وبصدمات نفسية".

في الساعة ١٠،٥٠ ليلا أدار لاكي محرك طائرته وانطلق بها في الظلام شمالا عبر لسان موري. ونظر الى المياه المضطربة تحته وفكر بقلق: "في حال غرق تلك السفينة سيكون حظ ركابها عظيماً اذا قدرت لهم النجاة".

وفجأة سمع عبر جهاز اللاسلكي صوت احد الطيارين يقول انه مضطر الى التخلي عن عملية الانقاذ بسبب نقص خطير في الوقود لديه.

كانت طائرة لاكي المروحية لا تزال على بعد ١٥ كيلومتراً من موقع السفينة المشتعلة "فينيغل" عندما لمح ديف سمبسون وهج النار في الظلام. في أول ذلك الليل كانت سفينة الشحن بلغت المرحلة الاخيرة من سفرتها بين نيواورلينز في الولايات المتحدة ومرفأ فالهامن في اسوج (السويد). ووسط العاصفة افلتت خمسة صهاريج بعد انفصام السلاسل التي تربطها واخذت تنزلق في كل اتجاه داخل العنبر. وانشق احدها واندلقت منه مادة ثالث اثيل الفوسفات. وما ان امتزجت هذه المادة الكيميائية بالحامض المتسرب من بطارية محطمة حتى انفجرت لهباً وأشعلت براميل اخرى من المواد الكيميائية. واهتزت السفينة من عنف الانفجار وانقطع التيار الكهربائي فيها ولفها ظلام دامس وتعطلت دفة التوجيه جزئياً.

السنة اللهب ـ قرابة الثانية عشرة والثلث حومت طائرة لاكي فوق

السفينة "فينيغل". ونظر الطيارون بهلع الى السفينة المشتعلة وهي تعلو وتهبط تحت الانوار الكاشفة للطائرة المروحية الاخرى التابعة للخطوط الجوية البريطانية. البضائع المنزلقة واطنان المياه التي رشتها اجهزة الاطفاء داخل العنابر امالت السفينة على جانبها بزاوية ٦٠ درجة. وغطى مؤخر السفينة ستار كثيف من الدخان وارسلت الانفجارات شهباً عالية من اللهب. الا ان المحركات ظلت تعمل.

وفي غرفة القيادة كان القبطان برتيل فاينرلوند، ومعه مساعده يان اريك غوستافسون، يقود السفينة في خط متعرج بسبب تعطل دفة التوجيه. لكنه ظل قادراً على تسييرها في مواجهة العاصفة مما جعل الريح تدفع الدخان والابخرة نحو مؤخر السفينة بعيداً عن غرفة القيادة وقمرات المنامة في المقدم. واحتشد الركاب هناك تكاد تخنقهم ابخرة الفوسجين وكلوريد الهيدروجين التي كانت تسحبها مجاري التهوئة من العنبر المحترق.

وعلى جهاز الاتصال الداخلي سمع لاكي احد افراد طاقمه يشهق: "انظروا!" كان الركاب مزدحمين فوق أعلى نقطة في السفينة وهي سطح غرفة القيادة، وذلك فراراً من الابخرة الخانقة. وكانوا يواجهون عنف العاصفة وخطر الامواج المتكسرة على جوانب السفينة.

حدق غرانت الى خزان أبيض كبير في طريق النار وصاح مرتعباً: "يا ألهي! يبدو هذا خزاناً لغاز البوتان. اذا انفجر سيقضي على كل شيء".

اضاء لاكي انواره الكاشفة لمعاونة الطائرة المروحية الاخرى التي كانت تحوم لتتخذ موقعاً تدلي منه عدة الانقاذ الى السفينة. لكن الربان كان يضطر الى الابتعاد مرة بعد اخرى اذ تضافرت على احباط جهوده الرياح التي عصفت بحبل الرافعة وألسنة اللهب المتعالية من السفينة وسارية الرادار القائمة وسط السطح الذي احتشد فوقه الركاب. كانت السارية تعلو حوالى ٢٠ متراً وتتراقص في الجو كالمسلة، فيما السفينة "فينيغل" تتمايل من جانب الى آخر.

عند الساعة ١٢،٣٥ لمح ريك براغ أسفل الطائرة المساعدة يلتمع فوق اللهب وهي ترتفع في دورة وتتوارى في الظلام. لقد اضطرت الى التخلي عن محاولاتها بسبب قرب نفاد الوقود.

لم تبقَ سوى طائرة لاكي أملا وحيداً للناجين. وهو راح يحلق في وجه عاصفة تبلغ سرعتها ١١٠ كيلومترات في الساعة ووسط اسوأ أحوال واجهها في عمليات الانقاذ الليلية. وهبط بطائرته الى أدنى مستوى تجرأ عليه فوق مقدم السفينة، فيما كان كامبل يدلي براغ بواسطة رافعة كهربائية. لكن الريح ظلت تدفع براغ نحو ذيل الطائرة ثم تتقاذفه في شكل دائري وهو معلق بطرف الحبل. كان واضحاً ان لا سبيل الى انزاله. فرفعه كامبل ثانية الى الطائرة في الوقت الذي ارغمت ألسنة اللهب لاكي على الابتعاد.

"انه يفلت مني!" — على متن السفينة كاد الناجون ان يفقدوا الأمل. مونيكا غوستافسون زوجة مساعد القبطان كانت ترتجف من البرد وهي تحاول حماية ابنها يوناس (٣ سنوات)

ويوهان (٦ سنوات) فيما العاصفة تسفعهم بالرذاذ. واستبد بها الرعب بعدما سمعت تحذير القبطان فاينرلوند من ان اخفاق الطائرة المروحية الثالثة يعني ان السبيل الوحيد للخلاص سيكون طوف النجاة. وكانت تدرك انه في مثل هذا النو لن يكون امام الصغار أمل كبير في النجاة. ولذا اخذت تنظر بقلق الى الطائرة المروحية وتتضرع الى الله أن تعود.

ادرك لاكي أن من المستحيل انزال براغ لتنظيم عملية الانقاذ، فأخذ يفكر في وسيلة أخرى. حلق فوق السفينة التي كانت تترجح فوق امواج ترتفع ١٥ متراً، وبالمقياس حدد المستوى الادنى الذي يمكنه بلوغه مع تحاشي سارية الرادار. ثم هبط بالطائرة فوق مقدم السفينة بينما انزل بيل كامبل من بابها المفتوح عدة انقاذ مزدوجة على حبل فولاذي طوله ٣٠ متراً، وقد ثبت الى عدة الانقاذ حبل من النايلون طوله ٤٥ متراً ويحمل أثقالاً.

غوستافسون كان في غرفة القيادة يساعد القبطان في السيطرة على السفينة. فأخذ ينظر بقلق وترقب الى الحبل المتدلي والرياح تتلاعب به وسمع وقع اقدام البحارة وهم يركضون على السطح وتمنى ان يمسكوا به لأن فيه خلاص زوجته ووالديه. لكن الحبل ظل يقترب منهم ثم لا يلبث ان يبتعد عندما تنزلق السفينة فوق موجة عارمة. وفجأة مد أحد البحارة ذراعه في حركة خاطفة وامسك به.

كانت مونيكا غوستافسون حائرة ومرتاعة وقد أصم أذنيها صفير الرياح وهدير الطائرة، فلم تشعر الا انها ترفع وتوضع في مركبة الانقاذ التي هي بمثابة حزام يطوق الجسم تحت الابطين. وضمت ابنها يوناس بينما كان الحزام يشد حولها فطوقهما معاً. ووضعت المضيفة لينا فوغانتين في المركبة الثانية مع يوهان وما ان رأى كامبل أشارة بالمصباح الكهربائي من السفينة حتى بدأ يرفع الحبل بكل حذر. في تلك اللحظة مالت السفينة ورأى كامبل سارية الرادار تنحرف نحو الطائرة فصاح بالطيار: "أصعد، أصعد".

جذب لاكي مفتاح القوة الى اقصى مداه، فارتفعت الطائرة في دورة سريعة وجذبت المرأتين بعنف حتى ان احذيتهما افلتت، وانزلق الولدان من حضنيهما داخل مركبة الانقاذ. ورأى غوستافسون المرتاع شيئاً يسقط، لكنه كان حراماً هبط متهادياً على متن السفينة. وسمعت مونيكا لينا فوغانتين تزعق: "يكاد يوهان يسقط مني". ثم شعرت أن يوناس ايضاً ينزلق بين يديها وهي متدلية فوق السفينة المشتعلة. وشدت مونيكا ذراعيها حول كتفي يوناس والعاصفة تسفعها والبرد والخوف يخدران حواسها، ثم اخذت تصلي سائلة الله ان يمنحها القوة لتحمي الطفل من السقوط. وفجأة أحست أنها ولينا اصبحتا على باب الطائرة. ومد براغ ذراعيه وجذب الاربعة الى الداخل فتكوموا كتلة واحدة على الارض. ثم صرخ في جهاز الاتصال الداخلي وفي صوته رنة ظفر: "وصلوا!"

اعصاب متوترة – عادت الطائرة تحوم فوق السفينة. وشعر غرانت

بالحرارة المنبعثة من الحريق. كانت الانفجارات تتوالى وهي ترسل السنة من اللهب ترتفع حتى رأس السارية. ورفع الناجون، اثنين اثنين، الى الطائرة بينما كان الباقون على متن السفينة يلتقطون مركبتي الانقاذ بواسطة حبل النايلون وهم يراقبون النار تتقدم نحو خزان البوتان القاتل. ثم انقطع الحبل. ولم يكن لدى لاكي اثقال يربطها بالحبل البديل، كذلك لم يكن في وسعه ان يدلي الحبل الجديد ويدع الريح تدفعه نحو الناجين. لذلك اضطر الى الهبوط بطائرته الى مسافة قريبة جداً من السفينة بحيث يتسنى لكامبل ان يلقي الحبل فوق سطح غرفة القيادة. ووقف غوستافسون متأهباً لالتقاطه وهو معجب ببراعة الطيار الذي حوم على ارتفاع متر واحد فوق سارية الرادار المتراقصة. وصاح وسط هدير العاصفة: "يا له من طيار!"

اما لاكي الذي ظل يحلق طوال الوقت ورأسه ملتو نحو الكتف، فانه اضطر الى تسليم المقود الى ديف سمبسون لكي يمسد عنقه. ثم عاد الى المقود وركز اهتمامه على ابقاء الطائرة في وضع مستقر بينما راح سمبسون يحدد له بصوت عال مدى ارتفاع الطائرة فوق سطح البحر.

بعد انقضاء ٩٠ دقيقة على مباشرة عملية الانقاذ لم يبقَ على متن السفينة سوى رجلين هما القبطان وكبير مهندسيه اللذان تعذر عليهما ايقاف المحركات لتعطل الاجهزة في غرفة القيادة. لكنهما كانا قبل ساعات حولا تلقيم الوقود الى خزان أصغر مما سيؤدي حتماً الى انقطاع الوقود عن المحركات. عندئذ صعدا الى سطح غرفة القيادة حيث رفعا بعد ثوان الى المكان الآمن.

في الثانية والدقيقة الخامسة من فجر الخميس ارسل لاكي الاشارة الآتية بالجهاز اللاسلكي: "أصبح الجميع في الطائرة".

لم يجد الضابط الطبيب هاميش غرانت اي مصاب بين الناجين سوى بحار كسرت معصمه. ثم حلقت الطائرة في اتجاه الريح في رحلة دامت ٢٠ دقيقة الى كيركوول في جزر اوركني، حيث انزلت اكبر عدد من الناجين ثم نقلهم دفعة واحدة في طائرة مروحية بريطانية.

وفي اليوم نفسه، بينما كان الناجون يستعدون للعودة جواً الى بلادهم، سمعوا الخبر المدهش: السفينة "فينيغل" كانت لا تزال عائمة. فقد حضرت قاطرة انقاذ ألمانية واخمدت النار وقطرت السفينة التي بقيت فيها جذى متوقدة الى ارخبيل شاتلاند شمال اسكوتلندا.

ما فعله مايك لاكي وطاقم طائرته في تلك الليلة لم يكن لينسى. فهم منحوا جميعاً جوائز تكريمية. كذلك اضيف جديد الى غرفة العمليات في لوسيموث هو نسخة جميلة لجرس السفينة "فينيغل" حفرت عليها الكلمات الآتية: "ان البحارة وعائلاتهم وأصحاب "فينيغل" يعبرون عن امتنانهم العميق للعملية البطولية التي انقذت جميع من كانوا على متن السفينة فيما هي تحترق وسط عاصفة هوجاء مما اوجب اخلاءها في ٢ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٠. ان البسالة والجلد اللذين ابداهما افراد طاقم الطائرة يقصر عنهما كل اطراء".

■ بيتر براون



هناك امور كثيرة يتعلمها الوالدون من أبنائهم

قالب الحلوى

ع عاد ولدنا مايك، ذو السنوات التسع، الى المنزل بعد اجتماع فرقة الجراميز التابعة للكشافة المدرسية، ليقول ان فرقته قررت احياء حفلة لبيع قوالب حلوى يصنعها الكشاف الصغير ووالده.

ولم يسبق أن صنعت قالب حلوى، غير أني، وقد راقبت زوجتي أحياناً وهي تعد الحلوى بمواد سريعة التحضير، بت أتحين تلك المناسبة.

ولما جاء ذلك اليوم، تخيرت وابني مسحوقاً أصفر اللون لصنع القالب. واتبعنا التعليمات على غلاف المسحوق فحصلنا على خليط سكبناه في قالبين مستديرين، وأدخلناهما الفرن ونحن واثقان من نجاح العملية. وأخرجناهما

 Condensed from Families (January '82), (c) 1981 by the Rader's Digest Association, Inc., Pleasantville, N.Y.

اقرأوا في المختار

لشهر سبتمبر

العدو على الابواب

معركة ستالينغراد كانت منعطفاً مهماً في تاريخ اوروبا، اذ هي حطمت الآمال الاخيرة لهتلر بالسيطرة على العالم.

التململ الالماني

الجيل الجديد في المانيا غاضب وخائف من الصواريخ النووية وقنابل النيوترون ويتساءل عن علاقة بلاده بالولايات المتحدة.

خوليو الاعجوبة

خوليو ايغليزياس لاعب كرة القدم الذي اصبح نجم غناء عالمياً، في حياته اعجوبة انقذته من الشلل.

متحف متروبوليتان

متروبوليتان نيويورك هو مجموعة متاحف في واحد. واهم ما فيه المجموعات الرومانية واليونانية والاسلامية.

الخيط السحري

خيط كربون اسود مذهل، يحل مكان الاربطة لاوتار الجسم ويعيد الحركة الى المفاصل المعطوبة.

بعد ثلاثين دقيقة بالضبط. ولكن أدهشني أن الخليط لم يرتفع ليأتي مطابقاً لرسمه في الاعلان، بل وقف عند منتصف القالب. ولم يلاحظ مايك خطأ في الأمر، وأخبرته أن من أفضل الحلويات التي أكلتها قوالب صغيرة كهذه.

وبعد وضع أحد القالبين فوق الآخر، أدركت أن هناك حاجة الى سكر ناعم يرش على السطح. ولم يكن لدينا في البيت سكر من هذا النوع، كما كان الوقت يمر بسرعة ولم يعد يفصلنا عن بدء الحفلة سوى ساعة.

ولم أكن أعرف ما هو السكر الناعم هذا. فالسكر، بالنسبة الي، نوع واحد. الا أن زوجتي أقنعتني بلطف ان السكر العادي الخشن لا يصلح غطاء لقوالب الحلوى. وهكذا كان لا بد من رحلة سريعة الى مخزن الاغذية، عدت منها بمستحضر جاهز لزخرفة القالب.

وكنا تأخرنا قليلا عن الحفلة ونحن نطلي القالب بالغطاء البني. وحاولنا أن نظهره كله بلون الشوكولاته، وان بقي رقيقاً في بعض أجزائه. ووضعت لمسات أخيرة عليه، ثم وقفت ومايك، ينظر أحدنا الى الآخر نظرة اعجاب ظناً أننا أنجزنا مهمتنا على خير وجه.

مباراة دولية – ضحكت زوجتي وقالت ان القالب يبدو جميلا. ولم ألاحظ أنه كان خاسفاً من أحد جوانبه. وفي طريقنا الى مكان الاحتفال ذكر مايك، على نحو عابر، أن المبيع سيتم بالمزاد. وإذذاك تمنيت لو اننا صرفنا وقتاً أطول للعناية بالقالب.

كانت القاعة تغص بالناس، وقد بدأ العشاء. لذلك حملنا قالبنا الى غرفة المزاد. وهناك ذهلت إذ رأيت طاولة كبيرة ملأى بقوالب الحلوى الفاخرة المتنوعة الاشكال والاحجام والزخارف. ولهنيهة ظننت أن مايك أساء فهم غاية الاحتفال الذي ربما كان مباراة دولية في صنع قوالب الحلوى، أو ربما كان ممكناً أن تتولى الامهات مساعدة الآباء والآبناء لاضفاء خبرتهن المهنية.

وكان على الطاولة قوالب تحمل اشكال خيام الهنود الحمر ومركبات الفضاء والشعارات الكشفية والقبعات، فضلا عن أشكال البشر والحيوانات. كما كانت تعلوها زخرفات شتى صقيلة او هلامية أو متبلرة. ووضعت القوالب على اطباق منمقة من الخزف وسواه. وحملت بعض القوالب أعلاماً صغيرة ورموزاً كشفية ومناظر طبيعية ومشاهد من الفيلم السينمائي الشهير "حرب النجوم".

وحمل مايك القالب بتؤدة، بالورقة نفسها التي لففناه بها، ووضعه على الطاولة. ووقف يزيح غطاء الالمنيوم عنه بكل عناية. وكان الطلاء الخارجي لصق على الورقة في غير مكان، مظهراً القالب الاصفر على حقيقته العارية. واحمر وجهي وأنا أنظر الى مايك الذي لم يبدُ أي أثر للحرج عليه.

وقررت أن أقترح على مايك الانسحاب من المزاد. لكن أفكاري قطعها التدفق المفاجيء للاولاد على القاعة. ولم يكن مسموحاً إلا للجراميز البقاء في صالة المزاد. وهكذا أعطيت ابني ثمانية دولارات ونبهته الى أن يراهن بثمن بخس وعلى أفضل قالب ممكن.

وبعد خمس دقائق من الجلبة بدأ العذاب· ورفع مدير المزاد القالب الأول وراح يسهب في وصف زخرفته وجودة صنعه وألوانه الزاهية وحبات الكرز الجميلة التي تتوجه، وأضاف أن ذلك كله يستحق ثمناً مرتفعاً· وجاءت الاصوات: "ثلاثة أرباع الدولار! ثمانون سنتا! دولار!" وبيع القالب بدولار واحد· وبعد وصف القالب الثاني،بيع بنصف دولار· وراح ألمي الداخلي يزداد وأنا أتوقع رد فعل الجمهور بالنسبة الى قالبنا· ترى هل سيتجاهله مايك حين يأتي دوره؟ وهل سيطلق الناس صيحات الاستهجان؟

ثمن مرتفع ـ حاولت مخاطبة مايك بالاشارات عبر الغرفة· وراودتني فكرة المرور من أمام القالب وأخذه بطريقي انقاذاً لابني من العار المحيق بنا· أأقول له: "اشتر يا بني قالباً، أي قالب، ودعنا نترك هذا المكان"؟ وأقلعت عن تلك الافكار عندما أيقنت أن المرأة الواقفة بجانبي تنظر الي بارتياب·

ترى أهو خيالي يزين لي ذلك، أم ان مدير المزاد يتجنب قالبنا عمداً؟ وتراءى لي كأني أسمع الناس في الغرفة يتهامسون عن ذلك القالب ذي "البقع الصفراء"· وسمعت بعض المراهقين ورائي يتكلمون عن "قالب الحلوى الابرص" ويضحكون· وتألم قلبي لابني·

وأخيراً رفع مدير المزاد قالبنا وقد انزلقت كتل منه على الورقة البراقة وأطل اللون الاصفر من ثقوبه الكثيرة· وقبل أن يتفوه بكلمة واحدة،اشرأب مايك وصاح: "ثمانية دولارات"·

وساد القاعة هدوء مطبق· وله

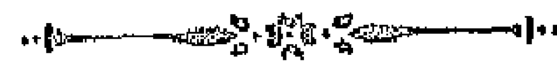
يضف أحد شيئاً الى ذلك المبلغ الكبير . وبعد تفحص الجمهور بعينين مذهولتين، أعلن المدير: "لقد بيع القالب بثمانية دولارات" . وهرع مايك ليتسلمه وقد علت وجهه ابتسامة عريضة . وسمعته يقول لزملائه بعد ذلك: "انه قالبي أنا . لقد صنعته مع والدي" .

ووضع المبلغ في يد المدير ورمق القالب بابتسام كأنما هو كنز ثمين . ولم يفارقه الابتسام وهو يشق طريقه بين الحضور ويتقي سقوط الزينة عنه برشاقة . ولما رآني صاح: "أبي ! لقد حصلت عليه" .

وعدنا الى المنزل فرحين وقد وضع مايك القالب في حضنه . وسألته عما حداه الى افتتاح الشراء بالمبلغ كله الذي في حوزته، فأجاب: "لم أشأ أن يحصل سوانا على قالبنا" .

"قالبنا" ! أجل، انه قالبنا . غير أني كنت أنظر اليه بعيني أنا، لا بتينك العينين الخاصتين اللتين هما عينا ولدي . وعندما بلغنا المنزل تناول كل منا قطعة من "قالبنا" قبل ذهاب مايك الى النوم . وكان طعمه لذيذاً . وشكله – يا حماك الله – كان جميلا أيضاً !

■ مايكل آندروز



سمعتُ ابني يقول لرفيقه مفتخراً: "ان سيارة والدي أصغر من سيارة والدك" .

ب . هـ .

متاعب ام

كانت ام لطفلين تحضر دروساً جامعية لتعوض ما فاتها قبل الزواج . وذات يوم وجدت صعوبة في اقناع ابنها الصغير بالذهاب الى المدرسة . فما كان من ابنتها، التي تكبر أخاها قليلا، إلا أن وجدت الصيغة المناسبة لاقناعه، إذ بادرته بقولها: "اسمع يا سمير ! أتريد الذهاب الى المدرسة وأنت في الثانية والثلاثين، كما هي حال الوالدة ؟"

د . س .

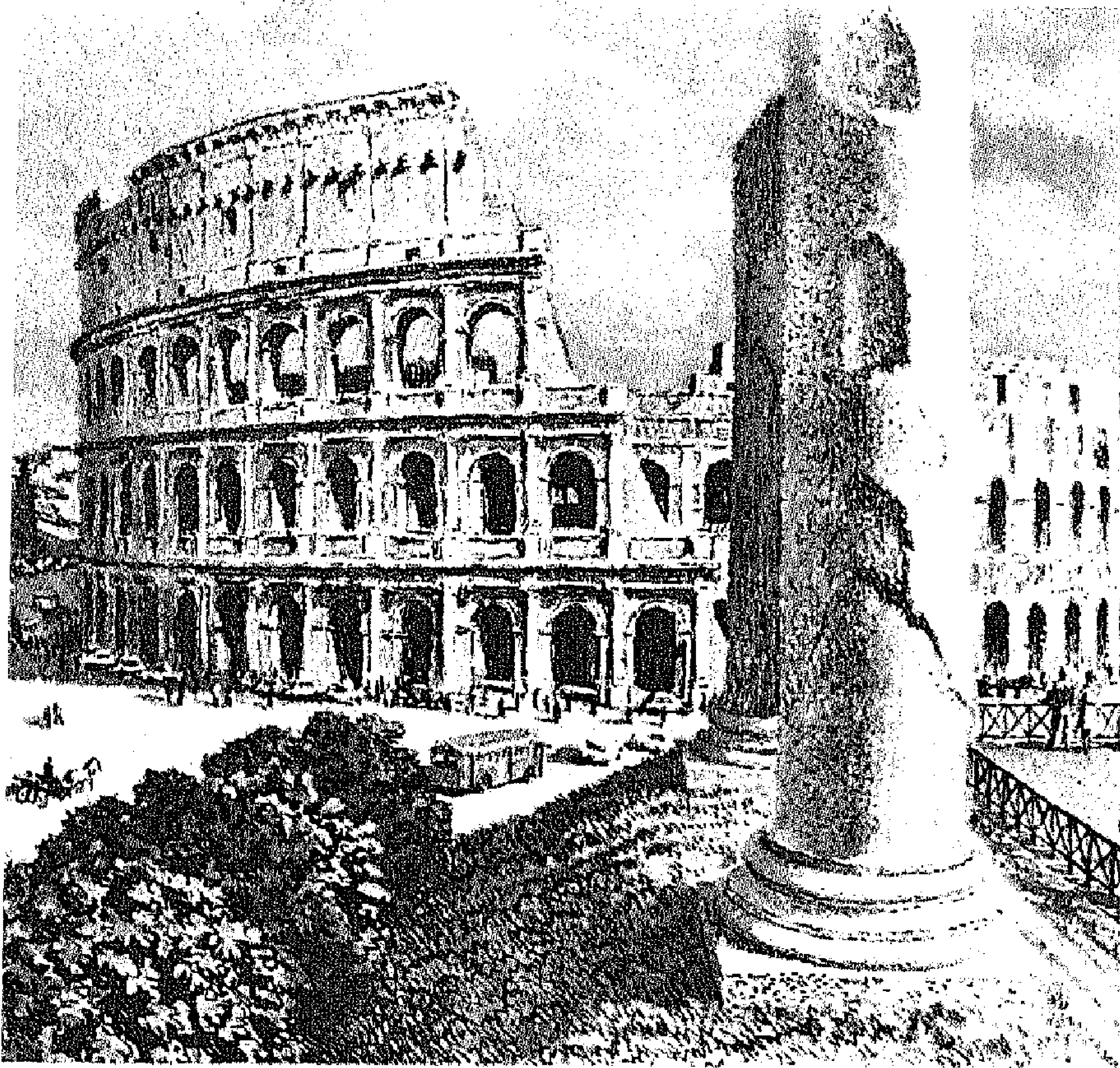
للظروف احكام

ذهب طالب الى صاحب مزرعة للعمل عنده خلال عطلة الصيف . وذات يوم طلب منه هذا أخذ السيارة لاحضار بعض الأجبان والبيض . وانحرفت السيارة عند منعطف حاد وانقلبت رأساً على عقب . ولم يصب الطالب بأي خدش، لكن كبرياءه جرحت كبعض أماكن في السيارة .

وبعد اصلاحها، أراد رب العمل أن يلقن موظفيه درساً في دقة الأداء . فركب السيارة وقادها بنفسه لاحضار الأجبان والمنتوجات الاخرى . ولكن ما أن بلغ المنعطف نفسه حتى انحرفت السيارة واستقرت فوق خندق من غير أن يصيبهما، هي وهو، اي أذى . ولما هب الموظفون الى المكان ليروا ما حصل، بادرهم قائلا: "أرأيتم؟ اذا كان أحدكم يقود سيارة لي وانحرفت به، فيجب أن يدعها تستقر على عجلاتها لا على سطحها" .

د . ا .

الكولوسيوم ملعب الموت



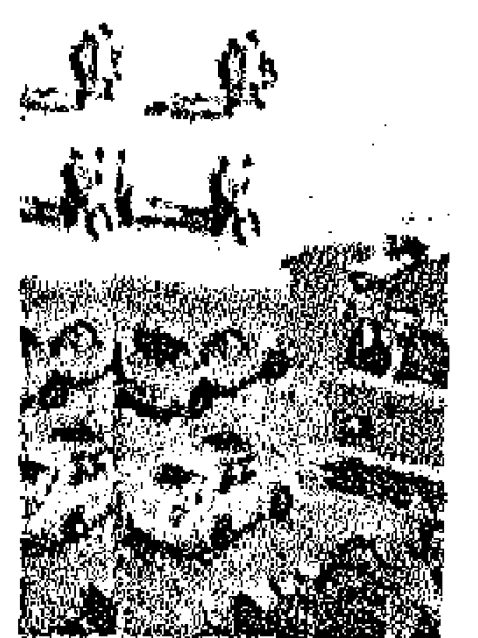
هذا البناء هو من اعظم الابنية
واعرقها تاريخاً .
لكن ترابه يعصر دماً
وفي ارجائه تتردد اصداء ماضيه الرهيب

Condensed from Holiday (December '69). (c) 1969 by Perfect Pub. Co., New York, N.Y.

الكولوسيوم "رؤيا من الجمال"، هكذا قال غوته. وكتب عنه الروائي البريطاني تشارلز ديكنز: "انه ابهى واعظم وافخم واحزن منظر يمكن تصوره". وروى الكاتب الفرنسي ستندال ان الرسام الايطالي مايكل انجلو في شيخوخته تجول بين اطلاله "ليرتفع بروحه الى مستوى يمكنه من تحسس اماكن الجمال ومواضع النقص في قبة القديس بطرس التي صممها بنفسه".



قبل ان يؤثر فيك هذا الثناء ويحملك على اقتفاء أثر قائليه الى روما، استمع الي انا الذي زرت المدينة وتسلقت الكولوسيوم لاقارن بين الحقيقة، والخيال.



الكولوسيوم هو من اجل الابنية في العالم واعرقها تاريخاً، وان يكن ذلك التاريخ تشد به اعتقادات خاطئة في اذهان الكثيرين.

بالنسبة الي كان اسم "الكولوسيوم" يعني مكاناً مغبراً وصاخباً تنقض فيه الاسود على المؤمنين الودعاء فيما الامبراطور نيرون متكىء على اوراق الورد ومشير بابهامه الى اسفل علامة الموت. كان هذا تصوري قبل تلك الزيارة، لكن الحقيقة غير ذلك. ان نيرون لم يسمع بالكولوسيوم اذ انه توفي قبل اربع سنوات من وضع حجر الاساس للمبنى. ثم ان قلة من المؤرخين تعتقد ان مؤمنين استشهدوا هناك. والى ذلك فان احداً من الاباطرة او المتصارعين او المؤمنين لم يذكر اسم الكولوسيوم، فبالنسبة اليهم كان المكان يدعى مدرج "فلافيوم"، وكلمة "كولوسيوم" لم تستعمل الا في القرن الثامن للميلاد.

سمي مدرج فلافيوم كذلك نسبة الى الامبراطور فسباسيان الذي أمر بانشائه، وهو من سلالة فلافيوس. والاسباب التي دعته الى بناء اعظم مدرج في الامبراطورية الرومانية كانت في اهمية البناء نفسه: استغلال اسرى الحرب لبنائه بابخس التكاليف فيكون مركزاً للتسلية في روما فضلا عن كونه يسمح بارجاع بعض الاملاك العامة التي صادرها الاباطرة السابقون.

وكانت هناك عقبة كأداء امام تشييد البناء. ففي الموقع المختار، على بعد بضع مئات الامتار من السوق الكبرى، كانت هناك بحيرة اقامها الامبراطور نيرون. وافلح مهندسو فسباسيان في تجفيفها، لكن قعرها بقي رطباً كالمستنقع. فكيف جعلوه قادراً على احتمال ثقل البناء العظيم؟ انه لانجاز رائع حقاً.

اليك ابعاد الكولوسيوم: محور طويل يبلغ ١٩٦ متراً. ومحور قصير طوله ١٥٥ متراً. ويرتفع البناء ٤٩ متراً ويضم اربع طبقات اضافة الى طبقات تحت الارض. كان ذلك بناء متماسكاً. اما الهيكل والممرات

الاساسية فشيدت بحجار جيرية ضخمة شدت بعضها الى بعض بقطع من الحديد. القسم الداخلي بني بالحجار والاسمنت وغطي بالقرميد. المقاعد الـ ٥٠ الفاً صنعت من الرخام والحجار، ولم يستخدم الخشب الا قليلا فكانت ارضية الحلبة خشبية لتستوعب ابواباً تفتح الى تحت وتؤدي الى غرف التخزين ولوازم المسرح ومستودعات الاسلحة وعرائن الوحوش والمجاري.

حلبة الموت ـ ان الاقواس الثمانين في الطبقة الارضية لم تكن الا المداخل. اثنتان منها تقعان في نهاية المحور القصير وتؤديان الى مجموعتين من المقاعد الخاصة، خصصت اولاهما للامبراطور وحاشيته والثانية للسفراء وعلية الضيوف. وكانت هذه المقاعد تعلو خمسة امتار فقط عن الحلبة. اما ما تبقى من جوار الحلبة فخصص للكهنة والشيوخ والشخصيات الرسمية الاخرى. والى الخلف منهم كانت طبقة ثانية تضم ٢٤ صفاً للفرسان والمحامين، وطبقة ثالثة تضم ١٦ صفاً للعامة، وطبقة اخرى فيها عشرة صفوف للجنود وأخيراً طبقة عليا للنساء.

ولم يتح لفسباسيان ان يستمتع ببنائه، فهو مات في نهاية السنة السابعة من العمل الذي بوشر عام ٧٢م، ولما يتعدّ البناء الطبقة الثالثة. واكتمل البناء بعد مرور سنة من عهد ابنه وخليفته تيتوس الدموي.

دعا تيتوس افراد الشعب الى حفلة الافتتاح. وابتدأت "الالعاب" بصراع بين وحشين: دب وجاموس بحر، جاموس وفيل، فيل وكركدن. وتبعه صراع بين رجل ووحش، ومن ثم بين رجلين. ودامت هذه الاحتفالات مئة يوم من الفجر حتى الغسق. وفي النهاية بكى تيتوس. ولم يعرف احد سر بكائه، أكان بسبب الارهاق؟ ام الاشمئزاز؟ ربما لانه شعر بدنو أجله، فهو مات بعد عام واحد.

تدل السجلات على ان خمسة آلاف حيوان ذبحت في تلك الفترة كما قتل مئات الرجال. ولم تأتِ ادانة هذه الاعمال الا بعدما ارتوت الارض بالدم اكثر من اي بقعة في العالم.

العاب نموذجية ـ كان في وسع اي شخص يملك مالا كافياً ان يشرف على تلك الالعاب ويتعهدها. هكذا اصاب الكثيرون شهرة واحتراماً حتى قبل بناء الكولوسيوم بزمن بعيد، اذ كانت هذه الالعاب تدوم ٩٣ يوماً سنوياً وتتضمن برامج مشابهة لتلك التي عرفها عهد تيتوس، مع قليل من الاعتدال.

قبل بدء الالعاب بايام كانت توزع الملصقات في المدينة معلنة اسم المشرف واسماء مشاهير المتصارعين وسجلات ماضيهم. وفجر يوم الافتتاح كان يؤتى بالحيوانات من اقفاصها القريبة لتوضع في العرائن تحت حلبة الصراع. ثم تمر قافلة من المركبات بقيادة المشرف يتبعه المتصارعون في معاطف ارجوانية قصيرة مرصعة بالذهب وخلفهم العبيد الذين يحملون الاسلحة.

ما ابهى هذا المنظر! الامبراطور بثيابه الرائعة والسفراء بحللهم الوطنية والشيوخ بثيابهم الفضفاضة وصنادلهم ذات السيور. جماهير الشعب الروماني في صفوف متراصة "تفيض رغبة وشهوة" كما يقول

ديكنز. يسود الصمت فجأة ويصعد المتصارعون شاهرين سيوفهم وهاتفين: "عاش الامبراطور! نحن الذين على وشك الموت نحييك". ويرفع الامبراطور وشاحاً ويسقطه من فوق الحاجز، فتقرع الطبول وتبدأ الالعاب.

غالباً ما كانت الالعاب التحضيرية صورية تعتمد اسلحة خشبية او مغطاة بالقماش اما القتال الرئيسي فكان سفك الدماء. تتسارع الخطى ويرتفع الضجيج فتضيع اصوات الابواق والمزامير والارغن وسط صراخ الجماهير وصليل الاسلحة.

"لقد اصيب!" صراخ يتردد كلما جرح احد المصارعين او سقط. واذا بقي لدى المصاب بعض قوة رفع يده اليسرى طلبا الرحمة. ويتبع ذلك حدث مصيري: توجيه ابهامات الايدي الى اعلى وتحريك المناديل يدل على تلبية الطلب مع اصدار الأمر "ارسلوه بعيداً"، اما توجيه الابهامات الى اسفل فدلالة على رفض طلب الرحمة، وتصحبه صيحات: "اقتل". ويدخل فريق من العبيد ليقلب الرمل الملطخ بالدم، فيما يرمي فريق آخر كلابات الحديد على الجثة لجرها عبر بوابة الموت. ويركض المنتصر لتسلم سعف النخل والاطباق الفضية المرصعة بالذهب واللآلىء. ثم تدق الطبول من جديد ويبدأ الصراع ثانية.

لا تشفق على هؤلاء المحترفين، فالمنتصرون يكافأون ويعظمون اكثر من كبار الممثلين والرياضيين في ايامنا. صورهم تزين الاواني ويتغنى بهم الشعراء وتتودد اليهم النبيلات. وقد يمتد بهم العمر وهم في هذه الحال السعيدة. كثيرون منهم خاضوا صراعاً بعد آخر الى ان نالوا "السيف الخشبي" واحتفظوا به في بيوتهم دلالة على تقاعدهم المشرف. اما الخاسرون فكثيراً ما كان يعفى عنهم.

انواع الرعب ـ اول المتصارعين حتى الموت في التاريخ الروماني كانوا ثلاثة ازواج استأجرهم الاخوة بروتوس عام ٢٦٤ق.م. للترفية اثناء جنازة والدهم. بعد وقت قصير استأجر تيتوس فلامينيوس ٣٧ زوجاً من المصارعين لتمجيد موت ابيه. واستأجر يوليوس قيصر ٣٠٠٠ منهم، اما الامبراطور تراجان فتعاقد مع خمسة آلاف زوج.

كان معظم هؤلاء المتصارعين من العبيد او اسرى الحرب او المجرمين الذين ثبتت ادانتهم. على ان بعضاً منهم كان من الاحرار الذين طمعوا بالثراء وبعضاً آخر من المفلسين الذين حاولوا استرداد اموالهم. وكان بينهم اغنياء ذوو اصل عريق صارعوا حباً بالاثارة.

في المبارزة بين رجلين كان "المهاجم" عاري الجذع يعتمر خوذة ويحمل درعاً كبيرة وسيفاً قصيراً، اما المصارع الآخر فلم يكن يحمل من السلاح الا شبكة من حديد لايقاع خصمه ورمحاً مثلث الشعاب وخنجراً. انواع اخرى من الصراع كانت بين المحاربين على المركبات او بالرماح المثبتة الى المعاصم بأحزمة طويلة او بسيف في كل يد، واحياناً كان الخصمان يعتمران خوذاً خالية من فتحات العيون.

قد يعتقد المرء ان الالعاب المفضلة

آنذاك كانت تلك التي تنطوي على تنوع في الصراع واعمال غير مألوفة، كفارس يجر قطيعاً من النمور او فيل يؤدي تحية الى الامبراطور · لكن ذلك اعتقاد خاطىء، فالجموع كانت تطلب مزيداً من الدماء البشرية،وكثيراً ما اضطر المشرف ان يقدم "اللعبة التي لا تنتهي"، فيؤتى بمجرمين ويجلدان وسط الحلبة ويعطى احدهما سلاحاً فيما يبقى الآخر اعزل· يقتل الاعزل فيجرد خصمه من سلاحه ليصارع رجلا آخر مسلحاً· وتتكرر العملية· فهل من مشهد اشد وحشية من هذا؟

عام ٤٠٤ قفز الى وسط الحلبة راهب مرتعب اسمه تلماخوس حاول ان يفصل بين متبارزين· لكن الحكم المسؤول اشار الى المتبارزين ان يقطعاه ارباً ففعلا· واذ ارتعب الامبراطور هونوريوس نفسه، فانه أمر بالغاء هذا النوع من المبارزة نهائياً·الا ان قتل الحيوانات استمر في الكولوسيوم طوال القرن التالي· وكان منظر الدم يسكر المشاهدين فيتركون مقاعدهم ويتدافعون للاشتراك في الالعاب·وانتهت المجزرة عام ٥٢٣ بعدما حل الخراب الذي لا سبيل الى اصلاحه اذ جردت الامبراطورية من وحوشها الاساسية ـ شمال افريقيا من الفيلة وارض النوبة من جواميس البحر وبلاد ما بين النهرين من الاسود·

لقد تعالت صراخات الوف الرجال والحيوانات التي ذبحت منذ عهد تيتوس مطالبة بالثأر· وفي العام ٤٤٢ استجيبت دعواتها اذ ضربت هزة ارضية جدران الكولوسيوم وصدعتها· ثم اتت هزة ثانية هدمت صفين من ممرات القناطر· وحدثت اهتزازات اخرى في ١٢٣١ و١٢٥٥ اسقطت الجدران· واصبحت الاطلال مقالع حجار· واحرق بعضها لصنع الكلس كما استخدم بعضها الآخر في البناء (ادخلت بعض حجار الكولوسيوم في بناء كاتدرائية القديس بطرس)· وغدا الكولوسيوم حلبة مصارعة ثيران ثم سوقاً ثم مخزناً للملح·

واليوم يؤم الوف السياح حلبة المصارعة علهم يسمعون في ارجائها اصداء ماضيها الرهيب·

■ ج· بريان



ما من شواذ للقاعدة القائلة بأن كل شخص يود أن يشذ عن القاعدة·

م·ف·

الآثار الجديدة

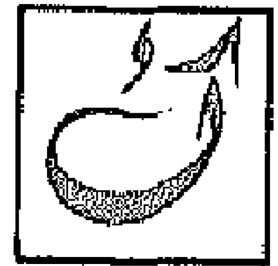
بينما كنت اساعد زبونا دخل المحل الذي أملكه لبيع التحف، سمعت صوت تحطم· وهرعت الى ركن منالمحل لأرى موظفاً أتاني قبل يومين فقط ينظر باضطراب الى القطعة الخزفية التي كسرها· فقلت له: "أتدري أن هذا الاناء يعود الى القرن الثامن عشر؟" وتنفس الصعداء ثم أجاب: "الحمدلله على هذا! فقد ظننت أن القطعة جديدة"·

خ·ك·



احد عدائي العصر
يروي قصة تغلبه
على الالم واليأس

لن أكون كسيحاً



كانت الريح تسوط وجهنا من غير شفقة ونحن نمشي مجهدين، انا واخوتي، عبر براري كنساس. وناداني أخي الاكبر فلويد قائلا: "أسرع يا غلين! أنت قوي وستغلب عوادي الطبيعة".

كان ذلك في شهر فبراير (شباط) ١٩١٦ ولي من العمر سبع سنوات. وكنا في طريقنا الى المدرسة الصغيرة المبنية بالخشب، وهي تقوم عند ملتقى طرق يبعد نحو ثلاثة كيلومترات عن مزرعتنا في قرية رولا (ولاية كنساس الامريكية) التي تعد ١٨٠ نسمة.

وصلنا ولم نجد المعلم هناك، كما لم نجد أياً من التلاميذ التسعة عشر الآخرين. وأرادت اختي ليثا أن تبقى خارجاً، فيما ارتأينا نحن الصبيان أن ندخل هرباً من الصقيع. وكان للمدخل الرئيسي مفتاح وحيد في حوزة المعلم، لذلك قررنا الدخول من الباب الجانبي الذي لا يمكن فتحه الا من

الخارج. وما أن دخلنا حتى أغلق الباب وراءنا.

واتجهت وأخي رايموند الى اللوح وباشرنا لعبة حسابية، بينما ذهب أخي فلويد الى الموقد ليشعل النار. وسألته بعد دقائق: "الم تشتعل النار بعد؟"

قال: "انتظر لحظة حتى أصب الكاز". وفتح علبة وسكب السائل في الموقد. وفجأة دفعتني قوة هائلة الى الحائط. ووسط سحب الدخان شاهدت فلويد وسمعته يصيح: "اني أشتعل". ووجدت أن النار اندلعت في ثيابي أنا أيضاً. وحاولت النهوض، فلم تقوَ رجلاي على حملي.

وأسرع رايموند الى الباب الجانبي ينادي ليثا. وفتحت اختي الباب وأعانتنا على الخروج. وقلدت أخي الاكبر في الانبطاح على الارض والدوران على نفسي لاطفاء النار. وصاح فلويد: "إرميا الرمل علينا". لكن الارض كانت مقززة بالجليد.

ووقف فلويد على قدميه والنار ما برحت مشتعلة في ثيابه. وصرخ: "ينبغي ان نعود الى المنزل". وباشرنا الركض.

ورحنا نحدق بهلع الى فلويد وقد أتت النار على معظم ثيابه ولم تبقِ سوى الجزء الأعلى من سترته. وبينَ ذلك الجزء وحذائه لم يظهر سوى جسد مسود كالفحم.

ونظرت الى رجلي للمرة الاولى، فوجدت سروالي محترقاً عند الساقين. وتباطأت قليلا فصاح بي رايموند: "تابع الركض!"

وتذكرت كلمات كلينت كاننغهام: "إياك واليأس. تقدم وحل مشكلتك". وقلت لنفسي إن نصيحة أبي يجب ان تكون قدوتي.

ولم نكد نبلغ المنزل حتى انتابني ألم عظيم وغبت عن الوعي.

دموع امي ـ أفقت على صوت حبيب يكاد يلامس وجهي. وكان ذلك صوت امي يقول: "الطبيب في طريقه الينا". وجلست تمسح العرق عن جبيني بخرقة مبللة.

وفتحت عيني لأرى والدي ينظر بكآبة الى فلويد، فيما وقف أفراد العائلة الآخرون على طرف السرير ينظرون بصمت وهلع. ورحت أنتحب ألماً.

ولما وصل الدكتور فيرغسون انصرف حالا الى فلويد. ثم حان دوري. واستلقيت على ذراعي أمي والطبيب ينظف حروقي العميقة بمحلول بزر الكتان. وكان الألم يفوق طاقتي على الاحتمال.

بعد ذلك أشار الطبيب الشاب الى والدي كي يتبعه خارجاً. وأغلقا الباب خلفهما، لكنني سمعت كلمات الطبيب: "في حال غلين، الخطر الكبير هو الالتهاب. واذا حصل أظن أنه لن يستطيع المشي بعد الآن. أما فلويد فلا يمكن أن نفعل له شيئاً".

وعلمنا لاحقاً أن اجتماعاً لاعضاء نادي البلدة عقد في بناء المدرسة الليلة الفائتة. ولم تكن النار التي أوقدوها انطفأت لدى وصولنا صباحاً. ولسبب ما ترك بعض البنزين في صفيحة الكاز. وهكذا حصل أسوأ ما يمكن حصوله في ذلك الظرف.

ومرت الايام وكل منا في سريره. وعلى رغم أن فلويد كان قليل الحراك، إلا أنه كان يتلو الصلوات مع أفراد العائلة.

وكانت رجلاي قبيحتي المظهر وحمراوين وقد سرى فيهما ألم مبرح. وكنت عاجزاً عن ثني ركبتي.

وفي صباح اليوم التاسع كان فلويد مضطجعاً في سريره بلا حراك وقد أطبق عينيه. وكانت امي تجلس معنا حين أخذتني سنة النوم قليلا. ونهضت مجفلا على حس غريب. ولم أكن شاهدت امي تبكي من قبل، لكنها جلست هناك والدمع ينهمر من عينيها. لقد مات فلويد ذلك الصباح.

وكانت حال رجلي تزداد سوءاً، وظهرت بثرة كبيرة فوق فخذي الايسر، أدركت أنها علامة الالتهاب الذي سرى في جسدي. وكان أن صديقة لأمي قصدتها من بلدة مجاورة ذات عصر. وفيما هي منصرفة سمعتها تقول: "أأنت مستعدة، يا عزيزتي، لمواجهة الاسوأ بالنسبة الى غلين الذي قد يبقى كسيحاً طوال حياته؟"

وعادت امي لتعرف من وجهي أني سمعت ما قالته زائرتها. غير أني صرخت: "لا، لن أكون كسيحاً. بل سأمشي، سأمشي، سأمشي".

وتقدمت امي وأزاحت الشعر الذي غطى جبيني، وهي تقول: "أجل، يا غلين، سوف تمشي من جديد".

هدية حزينة ـ انقضت أشهر ثلاثة على الحريق ورجلاي لم تبرأا. وكانت أمي، كل يوم، تدهنهما بمرهم طيب الرائحة وتدلك عضلاتهما متجنبة الحروق النازة.

وحاولت أن أجد شيئا، أي شيء، يبعد أفكاري عن الألم. وكان والدي يركض مثل غزال، ويروقه أن يحدثني عن الركض. وهو أخبرني قبل الحادث أني شخص "طبيعي"، أي أني احد اولئك الذين يجدون متعتهم في الطبيعة والرياضة. وعلمني كيف احرك ذراعي كي تقوى سرعتي في الركض، وما هي مسافة الخطوة المثلى في العدو الطويل. وهكذا بت أتصور نفسي في سباق للركض احقق الفوز. وقلت لنفسي: "رباه، لكم أتمنى أن أركض مرة اخرى".

وجاء الصيف. وذات عصر قائظ من شهر اغسطس (آب) حاول الدكتور فيرغسون عبثاً أن يثني رجلي المتصلبتين. ثم نظر الي بعطف وقال: "لم تنفك تخبرنا يا غلين، طوال ستة أشهر، أنك سوف تمشي من جديد. اما زلت عند رأيك؟"

ـ نعم يا سيدي!

"حسناً! لماذا لا تحاول الآن؟"

ونهضت ببطء محركاً رجلي اليمنى ثم اليسرى الى أن بلغت حافة السرير. ونضح العرق من كل مكان في جسمي وأحسست دواراً في رأسي وأنا القي قدمي على الارض.

وحاولت أن أتقدم خطوة، لكن رجلي لم تتحركا. وكدت ان اسقط أرضاً لو لم تمسكني أمي والطبيب. وبكيت بمرارة وهما يحملانني الى السرير.

ولما عاد أبي الى البيت ذلك المساء قلت له: "أود أن تضع لي الكرسي الكبير في الطبقة السفلى". فأجاب: "سأنزل لك الكرسي يا غلين كما تشاء".

وغدا ذلك الكرسي القوي آلة تمرين لي. وكنت أتمسك بذراعيه واسحب نفسي من السرير. ثم استند الى احدى الذراعين واقف واحرك جسدي

ببطء حول الكرسي وقد هدّني الألم·

وفي اليوم السابق لعيد الميلاد، إذ كانت امي تدلك رجلي كعادتها، قلت لها: "عندي هدية لك· ولكي تحصلي عليها يجب أن تقفي قرب الباب وتغمضي عينيك"· وفعلت كما قلت لها فيما نهضت أنا من السرير·

"الآن، افتحي عينيك بسرعة يا امي"· وخطوت خطوة نحوها، ثم اخرى· وغلب الدوار على رأسي· وهرعت امي تتلقاني وسقطنا على الارض معاً· وفي تلك اللحظة رأيت أمي تبكي للمرة الثانية·

"ثابر على الركض" ـ بدا الوقت دهراً قبل حلول الدفء والسماح لي بالجلوس خارجاً· وذات يوم أخذني أبي معه في رحلةصيد، ولم أكن أقوى إلا على بعض قفزات متعثرة·

أما المرة التالية التي ذهبت معه، فقد حل والدي رباط جواد آخر أسلمني قياده وقال: "هذا لك· فلنذهب الآن"·

وصررت أسناني والحصان يخب وبعد خطوات أوقفه أبي·ونظرت اليه بخوف فرأيت على وجهه الصارم علامة رضا· وقال: "انك تركض حقاً! والآن لا تتذمر، بل ثابر على الركض"·

وفي الربيع التالي انتقلنا من مزرعة رولا الى بلدة الكهارت التي تبعد ٢٨ كيلومتراً غرباً· وعَمِلَت مسافة الكيلومترين التي كنت أقطعها الى المدرسة ذهاباً واياباً كل يوم على تقوية رجلي، وان يكن الركض ظل يسبب لي ألماً· والى هذا كنت أعمل في المزرعة وأقوم بتمارين رياضية متواصلة· ومع الوقت تحولت قفزاتي المتعثرة ركضاً صحيحاً·

ولدى بلوغي الثانية عشرة دخلت الصف الرابع في المدرسة الابتدائية·وكنت صغير الجسم ولكن قويه· وعندما حان سباق الركض في المدرسة قررت الاشتراك فيه من غير أن اصرح بذلك أمام والديّ·

وسألني مدير المدرسة: "أتريد أن تركض هكذا؟" ونظر الى كنزة الصوف التي كنت أرتديها والى سروالي وحذائي السميك·

ولما قلت له: "نعم"، أشار علي بالتقدم الى حيث كان المتبارون يوزنون،وأضاف: "انك ضعيف الجسم وعليك ان تنضم الى مباراة الفئة الثانية"·

غير أني كنت مصراً على قطع مسافة الـ١٦٠٠ متر مع الفئة الاولى· لذلك وقفت مع المتبارين في تلك الفئة وما أن أصبحت أمام الميزان حتى قال لي المسؤول: "كم هو وزنك يا بني؟" وأوضح أن وزني يجب ألا يقل عن ٣٢ كيلوغراماً كي يتاح لي الركض في تلك الفئة·

ولا بد من أن يكون ذلك الشخص قرأ الهم في عيني وأنا أصعد الى الميزان· ومن غير انعام نظر في الرقم المسجل، قال: "انك تزن ٣٢ كيلوغراماً بالتمام"·

وكانمعظم المتبارين في تلك الفئة يكبرونني سناً وينتمون الى الصفوف الثانوية· وكنت الوحيد بينهم الذي لا يرتدي سروالا قصيراً للرياضة· وأدهشني أن أرى في أقدامهم أحذية في أعقابها مسامير، ولم أكن شاهدت مثلها قبلا·

في بدء السباق بذل جميع المتبارين غاية جهدهم للتقدم· أما

أنا فتقيدت بنصيحة أبي ولم احاول اللحاق بهم. وانهار أحد العدائين الكبار عند مسافة ٤٠٠ متر. وإذذاك بذلت جهداً أكبر. ولدى بلوغنا نصف المسافة كان أمامي اثنان فقط. ولم أعرف أن التجاوز يجب أن يتم من الخارج، فشققت طريقي بينهما.

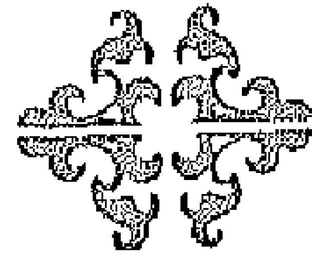
ثم واجهني حبل مشدود لم أكن أتوقعه. ولكي أتجنب الاصطدام به مررت من تحته متابعاً طريقي. وفي تلك اللحظة لوح لي الجمهور كي أعود من حيث أتيت.

وللحال عدت بضع خطوات وفعلت كما قال الرجل. وهكذا جئت الأول في المباراة.

وهرعت نحو المنزل وأنا أعرف أن والدي سيكون فخوراً بي. وكنت أمشي وأنا أسمع كلماته في اذني: "اركض، اركض، إياك واليأس".

تابر غلين كاننغهام على الركض حتى غدا عداء عصره وحاز جوائز اولمبية. وبين ١٩٣٣ و١٩٤٠ انتصر في ٢١ سباقاً من أصل ٣١ في مباريات "ماديسون سكوير غاردن" في مدينة نيويورك، وسجل أرقاماً قياسية عالمية في سباقي الـ٨٠٠ متر والميل. وبعد اعتزاله الرياضة أسس "مزرعة كاننغهام للاحداث" في بلدة سيدار بوينت في ولاية كنساس. وطوال ثلاثين سنة ساعد وزوجته روث ما يزيد على تسعة آلاف من الاحداث المعاقين.

■ غلين كاننغهام
وجورج صاند



ذكاء العصافير

وضع أبي فزّاعة على شجرة التفاح في حديقة منزلنا لأن العصافير كانت تأتي وتلتهم ثمارها. ولكي يجعل المنظر طبيعياً، حمّل الفزاعة مظلة. ولكم كانت دهشتنا كبيرة صباح اليوم التالي، إذ نظرنا خارجاً فرأينا العصافير تتقي المطر تحت المظلة وتستمتع بأكل التفاح.

ت.د.

جد بارد وجدة حامية

كانت جدتي شعلة من الحماسة، في حين كان جدي بارداً يفكر كثيراً قبل اتخاذه قراراً. وذات ليلة استيقظ الاثنان على صوت في خم الدجاج. وأسرعت جدتي الى هناك لتجد أفعى كبيرة سوداء بين الفراخ الهائجة. ولم تكن تحمل شيئاً في يدها تضرب الأفعى به، فداستها بقدميها العاريتين.

ووقفت هناك تنتظر وصول جدي ليخلصها من تلك الورطة. وبعد ربع ساعة من الانتظار، أتى جدي وقد ارتدى ثيابه الكاملة ووضع ساعته في جيب سترته. وبادر جدتي بقوله: "لو عرفت أنك أنجزت ما يجب انجازه، لما أسرعت هكذا".

م.ر.



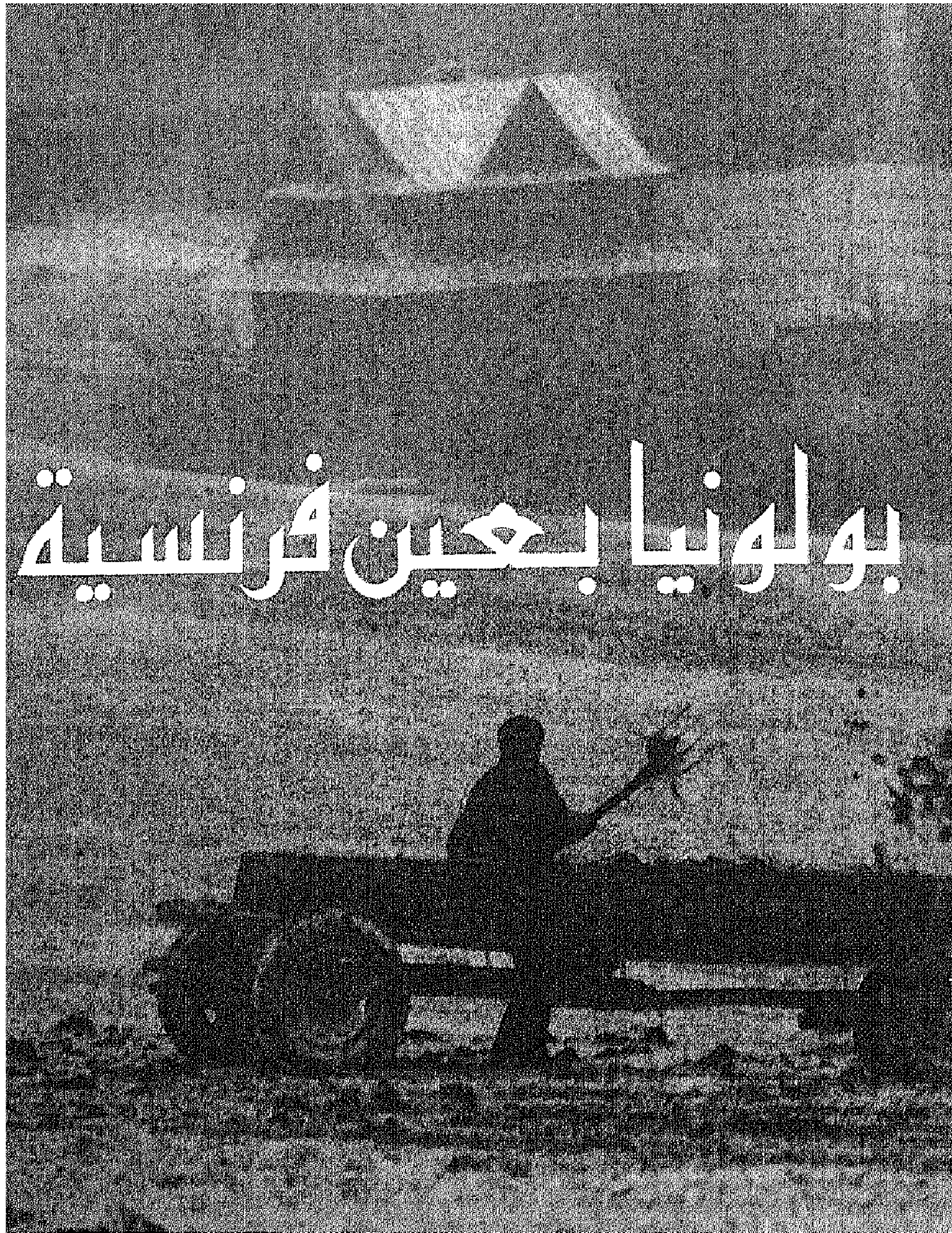
ساحة السوق القديمة في مدينة كراكوف، وبائع يقبع في انتظار آخر الزبائن.



المزارعون في جنوب شرق بولونيا يسمدون حقولهم في أعقاب الثلجة الاولى.

في اغسطس (آب) ١٩٨٠ قاد عامل كهرباء بولوني يدعى ليش فاليسا حركة نقابية لفتت العالم العربي والشرقي على السواء. ذلك ان ما طرحه هذا النقابي العاطل عن العمل يعتبر تحولا مهماً في العلاقة بين السلطة والعمال في الدول الاشتراكية. وفي سبيل تسجيل هذا التحول أمضى

بولونيا بعين فرنسية



المصور الفرنسي مارك ريبو شهرا في بولونيا. وهو قال عن مهمته: "ان ما اردت تسجيله بالصورة هو العزم الذي انعقدت عليه ارادة الناس والامل الذي يحدوهم على رغم الاخطار التي يعرفون انها تتهددهم.

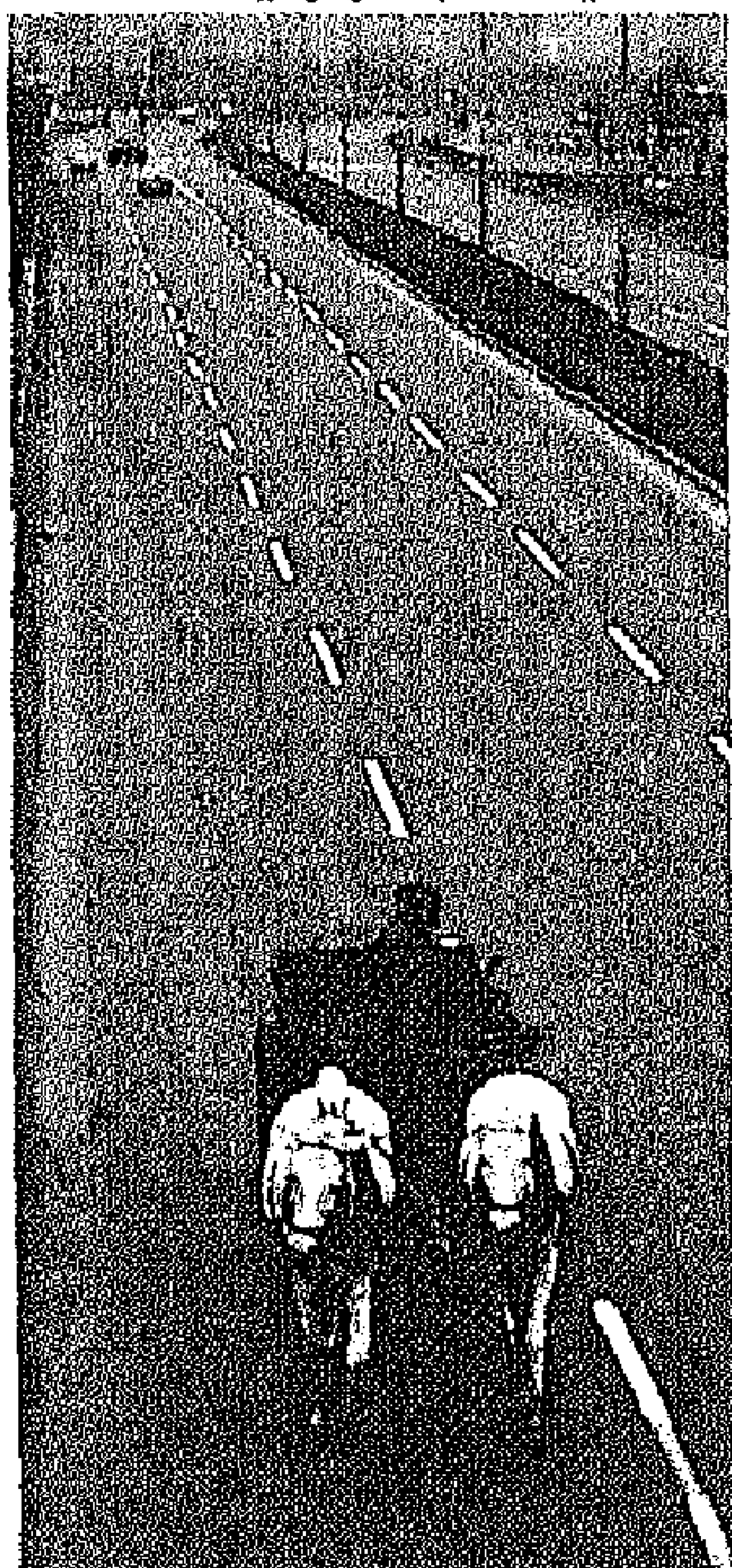
ومن خلال هذه الصور المختارة من مجموعة ريبو تظهر روح شعب عظيم.

Photos: Marc Riboud



يوريك الفلاح الشاب في منزله الخشبي جنوب بولونيا.







العصرنة فرضت على مدن بولونيا
في مقابل تكاليف باهظة.
ولكن لم تزل عربات الخيل
منظراً مألوفاً على الطريق
الرئيسية بين كراكوف وفرصوفيا.



ازة في قرية قرب زاكوبان
في جبال الكربات •
عربة نفسها تستخدم ايضاً
في مواكب الأعراس!



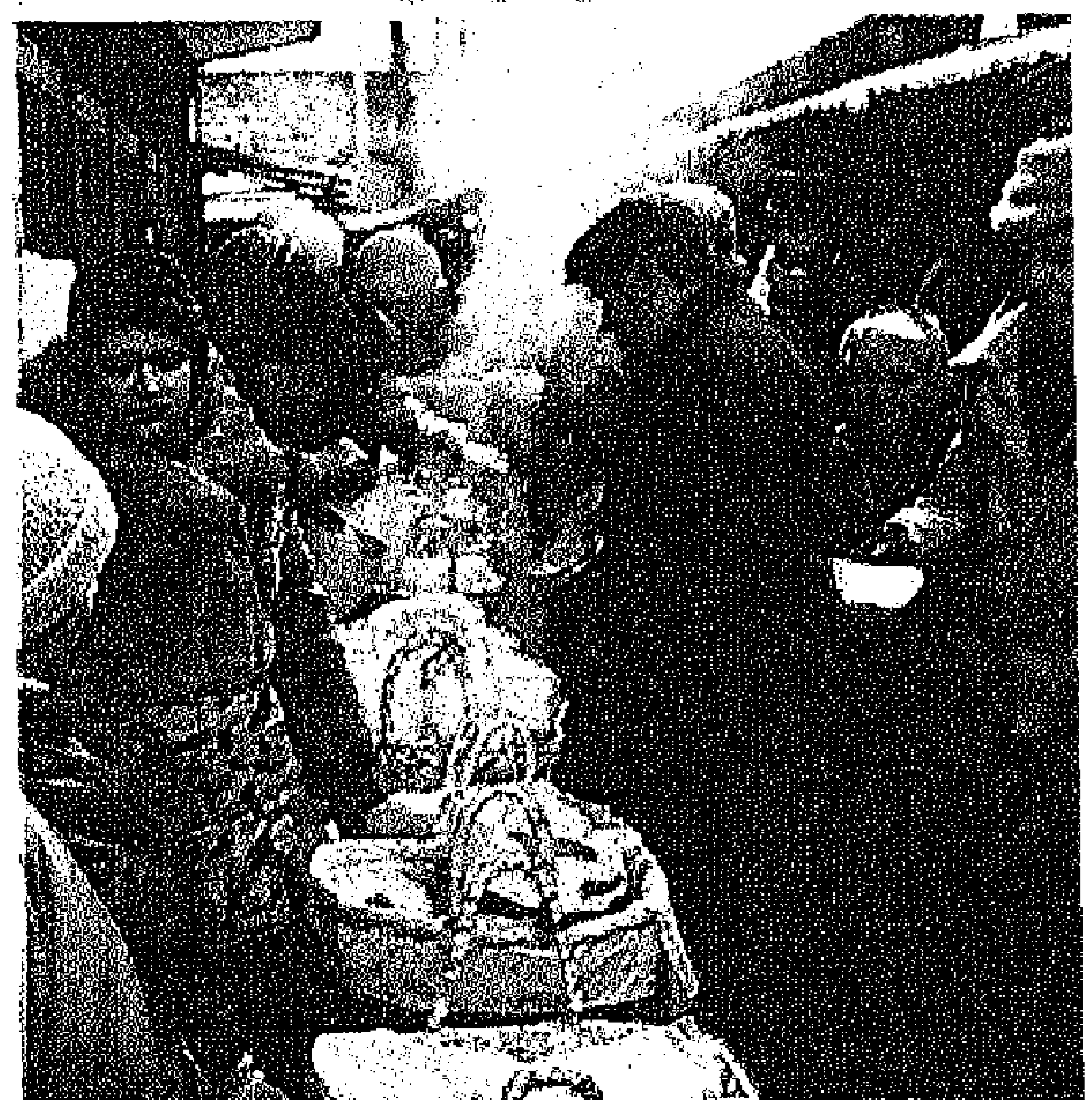
بيت ريفي على مسافة ٦٥ كيلومتراً من فرصوفيا •
امرأة مريضة ترقد على فراش من قش، وأمها ذات الوشاح الاحمر
تتخذ وضع التصوير مع احدى الصديقات •





تسليم الفحم
على عربات تجرها الخيول
في مركز كراكوف.





أحد مقاهي كراكوف التي تعود
الى بداية القرن الحالي.

فلاحون ينشدون أغنية وطنية
في دار بلدية اوسترزكي دولني.



سيدة عجوز تتمشى على الطريق القريبة
من نوفيتارك في جبال الكربات ٠



كاهن القرية في طريقه لزيارة واحد من رعيته ٠



كتاب الشهر

روبنسون كروزو

في بلاد التماسيح

ملخص من كتاب

بقلم رود آنسل وراشيل بيرسي

روبنسون كروزو في بلاد التماسيح

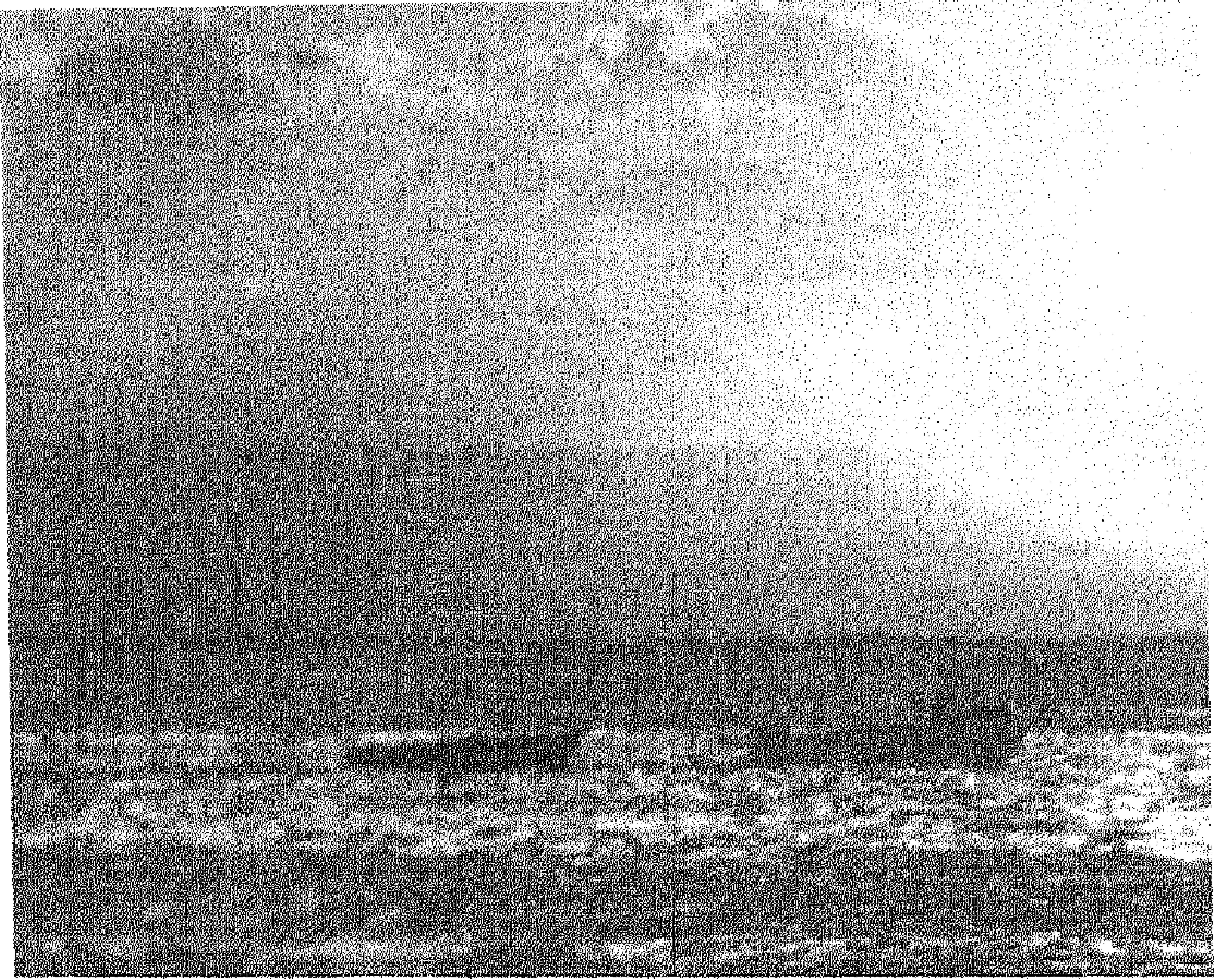
رود آنسل "كاوبوي" اوسترالي في الثامنة والعشرين، كان يصيد السمك بمفرده عندما انقلب أحد زورقيه في مياه شمال اوستراليا النائية، وجذف بالزورق الآخر حتى بلغ نهر فيتزموريس. وعلى تلك الضفاف غير الآهلة أقام مخيماً بقي فيه، هو وكلباه، نحو سبعة أسابيع.

وهنا قصة "روبنسون كروزو" معاصر انتصر بمثابرته على عناصر الطبيعة القاسية. وقد صورت أحداث مغامرته في شريط وثائقي بعد سنة من حصولها. وهو يعيش اليوم مع زوجته وابنهما الصغير في جوار بلدة كاترين، شمال اوستراليا.


حدث ذلك في مطلع مايو (أيار) ١٩٧٧، ولا أتذكر التاريخ بدقة، إذ أن التقاويم وساعات الحائط لا تعني كثيراً لساكني الغاب.

أنا كاوبوي من حيث المهنة، أقبض على الثيران البرية وشبه البرية بعد مطاردتها في الفلوات. وكان علي، ذلك الوقت، الذهاب من كونونورا غرب اوستراليا الى الشمال للنظر في شروط اتفاق للقبض على الجواميس. غير أني قررت ارجاء الرحلة اسبوعين نظراً الى عدم أهمية الزمن في ذلك الجزء من الارض.

وكنتُ سمعت أن صيد السمك رياضةمغرية بالقرب من ثغر نهر فيكتوريا. وراقتني تلك الفكرةلأن المكان بعيد ولم تطرقه أرجل كثيرة. وليس عسيراً أن أبلغ المكان بسيارتي، وهي من نوع "تويوتا"،



واحملها زورقيـن مـن الالمنيـوم، أحدهما طوله خمسة أمتار ونصف متر والآخر ثلاثة أمتار.

وقررت أن أحمل معي كذلك جروي كلاب مهجنين يبلغ عمر الواحد منهما ثمانية أسابيع، وهي السن التي يجدر فيها بدء تدريب كلاب الصيد. وتركت الكلبين الابوين في عهدة صديقة في كونونورا على أن تستغرق رحلتي كلها نحو شهرين.

والمسافة بين تلك البلدة وفيكتوريا ١٦٠ كيلومتراً. وغادرت قبل طلوع الضوء، في برودة الضحى ونضارته، وقد أطلت خيوط الشمس الاولى من وراء الـجـبـال. ولازمـت الطـريـق الرئيسية بادىء الامر ثم انعطفت وسط المزارع حتى وصلت الى النهر.

وتبعته الى أن بلغت مكاناً صالحاً لارساء الزورقيـن، وهو خليـج صغيـر منحدر الضفاف.

ووضعتُ معظم عدتي في الزورق الاكبر الذي يقوم محركه في مؤخره. وهو قارب صغير يعول عليه، لكن معظم أحواض العوم انتزعت منه عندمـا تـم اصلاحـه أخيـراً. وكـان يمكنني، في حال توقف المحرك، استخدام القارب الآخر الذي يسير بمجذافين.

وملأت بالماء وعاءين يتسع الواحد منهما لثمانية عشر ليتراً. ذلك أن نهر فيكتوريا الناشط بحركة المد والجزر لا تصلح مياهه للشرب بعد خليج تمبر الذي يبعد ١٤٠ كيلومتراً داخل الماء. وكان لدي مقدار كبيـر مـن الوقـود

وأدوات مختلفة وعدة صيد وذخيرة. ولم أحمل الكثير من الطعام لأني اردت الحصول على غذائي يومياً. واكتفيت ببعض الشاي والسكر والحليب المجفف والدقيق والملح، وقد حفظتها جميعاً في علب مع بعض الخضر والفاكهة المعلبة. كما حملت عيدان ثقاب وموقداً صغيراً على الغاز وعلبة كعك للكلبين، فضلا عن كيس نوم فيه ملابس داخلية وبندقية وخناجر وحجر للشحذ وقميصان وسروال وسترة قطنية. وكنت أرتدي سروالا قصيرا وقميصاً وقبعة، فيما تركت حذائي داخل السيارة التي اوقفتها بين الاشجار الخفيضة على ضفة النهر. وهي ستبقى في مأمن حتى أعود.

وفي وقت متقدم من العصر بلغت وسط النهر حيث عرض المياه نحو ثلاثة كيلومترات. ومن هناك يمكن الوصول الى قناة كوينز التي تقع ضفتاها في مرمى النظر. وكان يوماً جميلا استمتعت بالشمس والهدوء أنا والكلبان الصغيران في القارب. واصطدت بعض الاسماك ووقع نظري على عدد من التماسيح. وكانت المنطقة ما توقعت أن تكونه: أرضاً بكراً يخيم عليها الهدوء. ثم ظهرت الشمس الغاربة على هيئة كرة وردية ما لبثت أن أحالت لون الماء البني الى ما يشبه الصدأ.

وفجأة أحسست صوت اصطدام تحت القارب. وظننت أنه مر فوق تلة رمل أو خشبة كبيرة جرفها الماء. لكن القارب أخذ يترجح، ثم انقلبت العدة والكلبان في هذا الاتجاه وذاك. وبعد ذلك سقطت أنا وسط الرذاذ.

ولما عدت الى سطح الماء وجدتني محاطاً بكل الامتعة التي حملت، فيما الكلبان يسبحان طلباً للنجاة. ولم أشاهد من القارب سوى المحرك الذي نتأ بين الركام مع جزء من الزورق الصغير الموصول به وقد غمرته المياه حتى نصفه.

وبذلت غاية جهدي للوصول الى القارب. وفجأة وجدت نفسي متشبثاً به وقد عاد الى وضعه الطبيعي وأنا على سطحه من جديد. ترى أيعقل أن تكون سمكة قرش قلبتنا، وتلك المياه ملأى بها؟

وسبح باونسر، الجرو الرمادي الموشح بخطوط دكناء، الى أن حاذى القارب فرفعته اليه. أما الكلبة الصغيرة البيضاء، سيندي، فكانت تتخبط باضطراب. واضطررت الى القفز من القارب لانقاذها. ولما حملتها وخزتني عظمة نافرة من احدى قائمتيها الخلفيتين. ولم يكن في وسعي معالجة قائمتها المكسورة، واكتفيت بوضعها على أرضية القارب التي غمرها الماء.

ورفعت الحبل الذي يصل القاربين، لكن القارب الصغير أفلت ومعه العدة كلها. ومع اشتداد الريح لم يبقَ لي أمل في انقاذ ما ضاع. وأشكر الله على أن صرة الامتعة ظلت قريبة مني، فرفعتها الى القارب. والمؤسف أني فقدت ماء الشرب، لكني تمكنت من انتشال علبة بازيلا وعلبة حليب مجفف وعلبة ثالثة فارغة، مع علبة كبريت ابتلت عيدانها. ثم خيم الظلام فلم أعد ابصر شيئاً، وازداد عتو الريح.

ولم أدرِ كيف ولا أين فقد أحد المجذافين، وحملت المجذاف الباقي

وحاولت عبثاً عبور التيار الى أقرب ضفة، وانهال الموج على القارب، فأفرغت علبة الحليب واستخدمتها لنزح الماء باحدى يدي، فيما صارعت باليد الاخرى لتثبيت القارب أمام هياج الطبيعة. ترى أيجدي ذاك التعب كله؟ وسواء أفضت بي الريح والموج الى عرض النهر أو الى الشاطىء، فان حركة الماء هي سيدة الموقف.

غير أني ثابرت على تلك الوتيرة، أنزح الماء بيد وأجذف بالأخرى، مخترقاً أمواجاً ترتفع ثلاثة أمتار والرذاذ ينهمر كالمسامير... إنها أسوأ ليلة مرت في حياتي.

وأخيراً طلع ضوء النهار. وكان يحيطنا مجاز لا ينتهي من المياه الموحلة التي صفت قليلا ناحية الشمال الغربي حيث يتسع النهر. ولا بد من أن يكون انحسار المياه حملنا الى عرض النهر ثم أعادنا المد الى الشاطىء. لكنه لم يكن الشاطىء الذي انطلقنا منه، لأن هناك انحرافاً ظاهراً نحو الشمال. وكانت أقرب يابسة جزيرة طويلة منخفضة جذفت نحوها في اتجاه التيار.

النهر المجهول

قفز باونسر الى اليابسة وقد أسعده كثيراً أن يطأ الأرض مرة اخرى. وتبعته سيندي على ثلاث قوائم قبل أن أمد نحوها يداً، بينما غرزت عظمة قائمتها المكسورة في خاصرتها المدماة. ومعروف عن كلاب الصيد أنها، بطبيعتها، لا تكترث للألم. لكن سيندي تجبرت على آلامها الى حد لا يصدق. ولم يصدر منها أي تذمر أو أنين، بل وجدت حيزاً من الرمل الجاف اضطجعت فوقه.

أما أنا فقد نخر الارهاق عظامي. وأحسست كأن جسدي نُقع في محلول مالح. وجف الملح حول عيني وشفتي وبلغ مني الظمأ أيما مبلغ. وعز علي التفكير في ماء الشرب الذي ضاع مني، وواجهت الواقع المر، وهو أن علي كما على الجروين أن نقطع مسافة كبيرة بلا ماء.

وجلست للتفكير في ما حصل. ولم تكن لدي فكرة واضحة عن أسباب الحادث. واذا صح أن تمساحاً أو سمكة قرش هو الجاني، فلا يعقل أن يكون اكتفى بذلك بل لكان أهلكنا على الفور. أيعقل، اذاً، أنه حوت أصابه الذعر لدى بلوغه مياهاً ضحلة؟ ولكن ما جدوى التفكير في الاسباب؟ كل ما في الامر أن الواقعة حلت ونحن هنا لا ندري ما نفعل.

ولا بد من أني ابتعدت كثيراً عن نقطة انطلاقي. واذا امكنني الوصول الى قناة كوينز ونهر فيكتوريا، فسأبقى بعيداً ٥٠ كيلومتراً عن سيارتي وعن المياه الصالحة للشرب.

ولم يراودني أي وهم حول امكان انقاذي، إذ لا أحد كان يدري بمحنتي أو يتوقع وجودي في ذلك القفر. إلا أني في الوقت نفسه رفضت الاستسلام لليأس.

وأتاح لي ما رأيت من الساحل أن ادرك أن ثغر نهر فيتزموريس على مقربة منا. وهو نهر لا أحد يعرف عنه أكثر من أنه يعبر قفاراً مجهولة. فلا طرقات تدانيه ولا اناس يسكنون في جواره. لكني كنت أدري أنه أقصر من نهر فيكتوريا واضيق. ولم أجد بداً

من الابحار في تياره لبلوغ الماء. ولكن أيستغرق ذلك يومين أم أكثر؟

وتناولت خنجراً ضربت به علبة البازيلا. وشربت ماء العلبة وأكلت حبوبها. ولم يبقَ لدي من طعام سوى علبة سكر، لكن السكر لا يصلح مع الظمأ الذي أعانيه. وبعد ذلك تمددت تاركاً عيناً مفتوحة لمراقبة ارتفاع المد.

وفي ساعة مبكرة من العصر بلغت مصب نهر فيتزموريس والحرارة على أشدها. وكنت أضعت قبعتي. وهبت ريح أشبعت الجو بالملوحة وزادت حدة عطشي.

وبدت اليابسة بالقرب من مصب النهر لا تَعِدُ خيراً. فهي ملأى بأشجار المنغروف الاستوائية واجران الملح والتلال الحمر الجرد. وكانت الطيور قليلة في ذلك القفر الراكد. وبدت المياه أكثر حيوية من اليابسة، إذ كانت ترتفع فيها الدوامات عند صعود سمكة كبيرة الى السطح. ووقع نظري على خطمي تمساحين يجذفان وسط الماء بحثاً عن صيد.

وعدت الى القارب مجذفاً نحو الخليج. ورأيت فتحتين أو ثلاثاً في المياه أمامي، ولم أدرِ اياً منها هي الثغر الرئيسي. وكانت الشمس على وشك الغروب وقد أغرقت المدى بالخيوط الزهرية والارجوانية. وأسعفني الحظ في العثور على جزيرة صخرية صغيرة رسوت على شاطئها قبل انسدال الظلام.

وكانت تلك الجزيرة مكاناً تعساً، غير أنها أتاحت لي ارساء القارب الى صخرة وانزال صرة الامتعة. وكانت هذه مبتلة، لكن الاستراحة فوقها



كانت خيراً من التمدد على أرض عارية. ونام الكلبان الى جانبي. ولما غابت الشمس برد الهواء. وتمنيت أن اوقد ناراً وأتناول بعض طعام وشراب.

وكانت قائمة سيندي المسكينة تنزف بلا انقطاع والعظمة المكسورة تنتأ منها. والمؤسف أني لم أستطع مواساتها. وأخذتني سنة النوم قليلا، لكني خشيت الاستسلام للنوم العميق لئلا أسهو عن حركة المد صباحاً.

وما أن بزغت خيوط الضوء الاولى حتى نزلت الى الماء من جديد. وحملتني مياه المد بقوة الى ما بدا ثغراً لنهر. إلا أني كنت على يقين من أن النهر الحقيقي هو الى اليمين، وأن ما يبدو أمامي ثغراً ان هو الا شَبَه مضلل. وانعطفت الى اليمين وأنا أرجو أن أكون اتخذت القرار الصائب. وفجأة حملني تيار قوي الى فرجة كانت هي النهر الذي أقصد.



بعد عبور ثغره يغدو نهر فيتزموريس عميقاً وضيقاً ومحاطاً بالاجراف القاتمة. ولما بلغت ذلك المضيق أخذ القارب يهبط بشدة وسط التيارات. لكن كل مسافة جديدة يحملنا اليها التيار تقربنا من المياه الصافية.

ثم اتسع النهر وبدأت التماسيح تجري في أثر القارب بعد خروجها من مخابئها على الضفاف. وامتشقت بندقيتي وصوبتها نحو أحد تلك التماسيح وهو على بعد تسعة أمتار من مؤخر القارب. وأطلقت النار على التماسيح الاخرى علها تجفل وتتفرق. ونفق التمساح الذي صوبت عليه النار من غير أن تتفرق التماسيح الاخرى. فهي هناك في مياهها الاقليمية لا يعرف الخوف اليها سبيلا.

ومنحني اجتفاف جسدي شعوراً بالتحليق عالياً، لكني ثابرت على التجذيف وقد أغراني ذاك الشعور.

ولما تقدم العصر بدا أن النهر يضيق من جديد ليفضي الى سد على هيئة قمع. وسمعت صوتاً كالهدير يعلو كلما تقدمت. وكان أمامي في المسافة المعتمة ما يشبه جداراً تتدفق عليه مياه بيضاء. لكن علي انتظار الصباح قبل أن أتصدى له. وجذفت نحو الشاطىء فوقعت على جرف رملي. ونزلت هناك رابطاً القارب بجذع شجرة. وكنت من الارهاق بحيث تعذر علي البحث عن مكان القي عليه صرتي. فعدت الى القارب وقد جف جلدي بعد تعرضه يومين لحرارة الشمس.

وشرب الكلبان قليلا من الماء جعلهما يتقيآن. ونشلت بعض الماء بسترتي وصببته في علبة فارغة. وتذوقت منه قليلا كدت أن أشرَق بملوحته. وكنت على وشك فقدان صوابي وأستغرق في الهذيان، ناسياً المكان الذي أنا فيه ومستحضراً في خيالي اطيافاً من ماضي ومعارفي وبيتي وأهلي وعاجزاً عن التمييز بين الوهم والحقيقة.

وبدأت حركة المد وسط ظلام حالك. وكان علي انتظار الضوء قبل كشف طبيعة الجدار المنتصب أمامي. ومع تباشير الضحى شاهدت صخرين من رمل أحمر يتوسطان المياه كساعتين رمليتين.

وتقدمت بحذر. وكان الماء يتدفق من الفجوة بين الجلمودين مثل قطار سريع لا يتجاوز عرضه المتر. واستحال علي اختراق ذلك المجاز بالقارب. وبات لزاماً أن أنتظر حتى يأتي المد ويوسع الفتحة. ولم يسعني انتظار وقت الأمان، وهو تلك

المنيهات القليلة بين المد والجزر حين تهدأ المياه، لأن هذا يعني الانتظار ست ساعات طويلة، فيما كل ساعة باتت فاصلا بين الحياة والموت •

وهكذا أقحمت القارب وقد امتد أمامي نحو تسعين متراً من المياه البيضاء المزبدة التي تدل على وجود الصخور • لكنني اجتزت المسافة بحذر •

القوت الضروري

جاهدت لابقاء القارب في مجرى التيار وأنا أرفض الاستسلام • وبلغ مني الارهاق حداً انفصلت معه عن نفسي وبت أرى شخصاً آخر يجذف •

وصاحت فوق رأسي أسراب الببغاء التي تلازم ضفاف الانهار ذات المياه النقية • إذاً، أنا اقترب من غايتي • وكانت الشمس ترتفع وتزداد حراً • وقبع الكلبان وقد أغمضا أعينهما بتجلد ومن غير تذمر •

وتابعت التجذيف وأنا لا أعي تماماً ما أفعل ولا أدري اذا كان القارب يتحرك الى الامام أم الى الوراء • لكن النهر أخذ يتشعب في منبسطات من الارض •

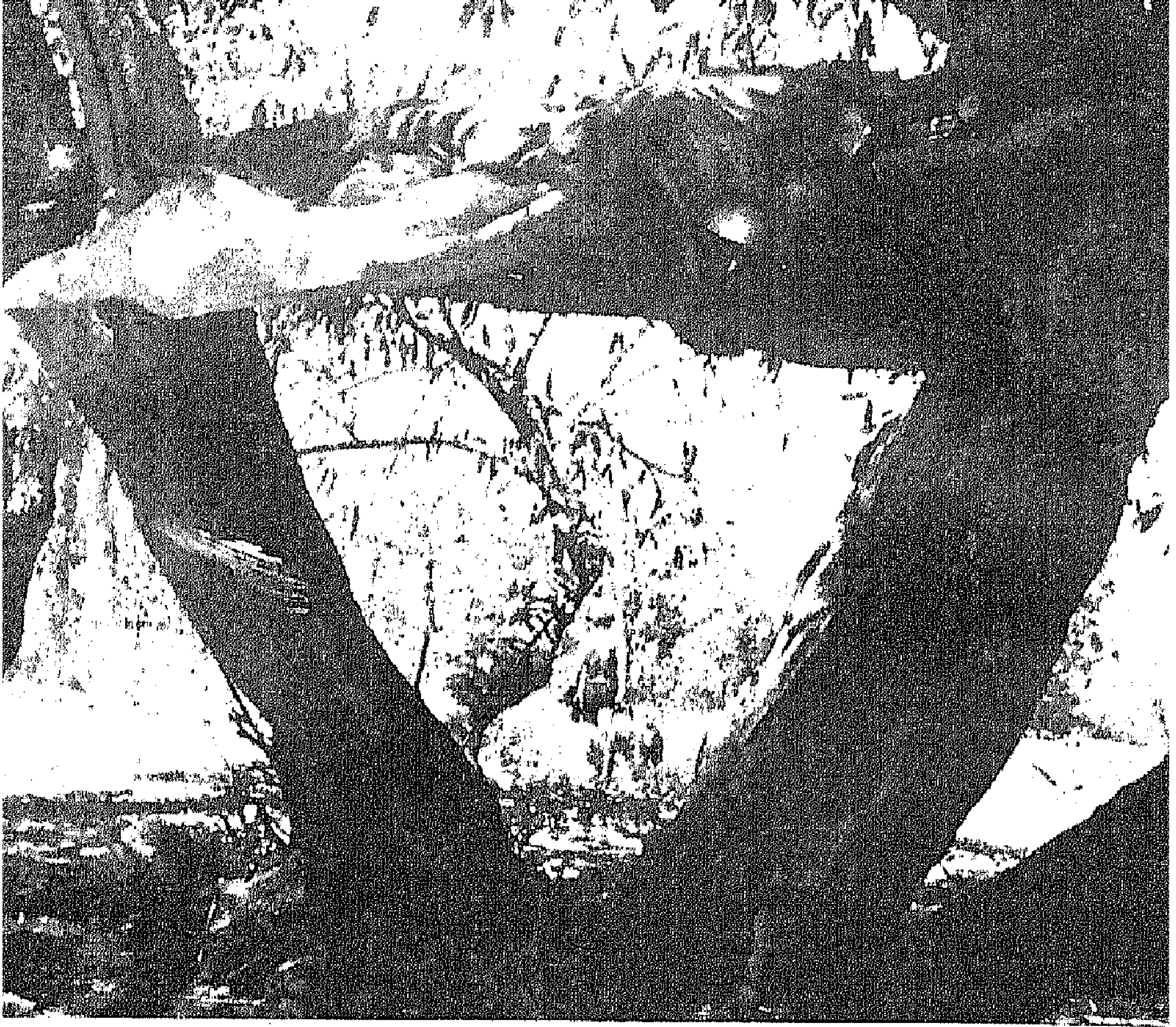
وبدأ الكلبان يئنان ويتنشقان الهواء • وانعطف القارب الى الشاطيء وتوقف من تلقائه • وقفز باونسر أولا وراح يغب الماء كالمجنون، فيما حاولت سيندي اللحاق به • وحذوت أنا حذوهما، وانحنيت فوق الماء أتجرعه بكل ما فيه من وحل • لكنه كان عذباً وصالحاً للشرب • وحاولت ألا أشرب كثيراً لئلا أتقيأ • ثم نزلت الى الماء وتركته يشبع مسام جسدي •

وعدت الى القارب وأنا أجذف بحثاً عن مكان صالح لنصب خيمة • ووقع نظري على ضفة معشبة ترتفع وراءها أشجار كبيرة • وبذلت ما بقي لي من قوة للوصول اليها •

وكانت تلك الضفة قليلة التضاريس، فأرسيت القارب في مكان آمن • ثم سحبت الصرة وجررتها نحواً من ١٨ متراً الى أن بلغت شجرة دراق برية ضخمة ذات أغصان ظليلة • ورجعت لاحمل بندقيتي والجروين اللذين عادا يغبان الماء، فشاهدت تمساحاً كبيراً يتهادى في محاذاة الضفة • وفتحت عليه نار البندقية، فأصبت خطمه وصرعته • وهكذا أدركت أن علي مراقبة الكلبين على الدوام ومنعهما من الذهاب وحدهما الى النهر •

ولما عدت الى شجرة الدراق اضطجعت على كيس النوم المبلل وغفوت والكلبين حتى الصباح • وأفقت وأنا لا أستطيع الحراك • فالجهد الذي بذلته طوال الايام الثلاثة الماضية هد جسدي • وكانت قدماي كالاسفنج، لبقائهما في الماء طويلا • وهكذا رحت أعرج محاولا المشي •

وفي طريقي الى النهر وقعت على معابر قطعان، وهذا طمأنني من ناحية القوت • وبعدما شربت تناولت بعض السكر، ثم ناديت سيندي لأتفحص جرحها • وكنت عثرت على أسلاك نحاسية في قعر القارب، فحملتها معي • وكان بعض الجلد واللحم "مات" على الجرح، فقطعته بسكين • ومن حسن الحظ أن الماء المالح منع الالتهاب • وعندما فرغت من تنظيف الجرح، أعدت العظمة



هده هي المنطقه التي تاه فيها رود آنسل ونصب خيمة (الى اليمين) على ضفة النهر المعشبة تحت شجرة دراق.

المكسورة الى مكانها وانتزعت قطعة من قميص شددت العظمة بها ثم لففت حولها أسلاك المعدن. وتقبلت سيندي ذلك كله ببأس رائع.

وما أن فرغت من تلك المهمة حتى سمعت شيئاً يجري نحو النهر. واذا بي أزى بقرة كبيرة على بعد ٤٥ متراً. وحين دنت مني ألقمتها رصاصة من البندقية. ثم تناولت خنجراً ونحرتها.

وللحال سلخت بعضاً من جلد البقرة وأخرجت قطعاً من لحمها. وهرع الكلبان إلي وأكلنا حتى شبعنا. ولئن بدا غريباً أن يتناول المرء لحماً نيئاً، فالواقع أن من يعاني الجوع الشديد لا يعير هذا الأمر اهتماماً. بعد ذلك قطعت شرائح من اللحم حملتها معي الى الخيمة وعلقتها على أغصان الشجرة. وأكلت بعضاً منها قبل أن أخلد الى النوم.

وفي اليوم التالي لم أفعل أكثر من الأكل والنوم. فاستعادة العافية أمر مهم جداً ويستغرق وقتاً.

وبعد يومين من بلوغي ذلك المكان، وجدت أني أحتاج الى نار أطهو عليها طعامي وأستدفىء في

الليالي الباردة، كذلك لأرد عني التماسيح المغيرة واعطي اشارة لطائرة صغيرة قد يصادف مرورها فوقي.

ووجدت أن عيدان الثقاب التي في حوزتي تالفة. وتذكرت أن بدائيي اوستراليا يقدحون النار في وقت قليل بحفرهم ثلماً في قضيب لين ثم حك قضيب آخر في الثلم على نحو سريع. لكني كنت أجهل تنفيذ تلك الطريقة.

وقررت استخدام فتيل خرطوشة لتحقيق غايتي. وهي ليست بالطريقة الآمنة، لكني فعلت ذلك بمنتهى الحرص. وبعد فصل الرصاص عن الخرطوشة أفرغت البارود فوق كومة من العشب والورق اليابسين. وقدحت الفتيل برأس سكين مرات عدة قبل أن تسري النار الى البارود. وبقيت أذكي النار بعد ذلك لتبقى مشتعلة يوماً بعد يوم.

ولكم راقني تلك الليلة منظر النار وفوقها شريحة لحم رحت اراقبها والدهن يسيل منها. انه تقدم ملحوظ حقاً.

انتظار فصل المطر

وجعلت من جلد البقرة حبلا ربطت به الكلبين لئلا يذهبا الى النهر ويتعرضا لخطر التماسيح. وظل الكلبان يقضمان الحبل حتى علمتهما، ببعض تأنيب، ألا يفعلا ذلك.

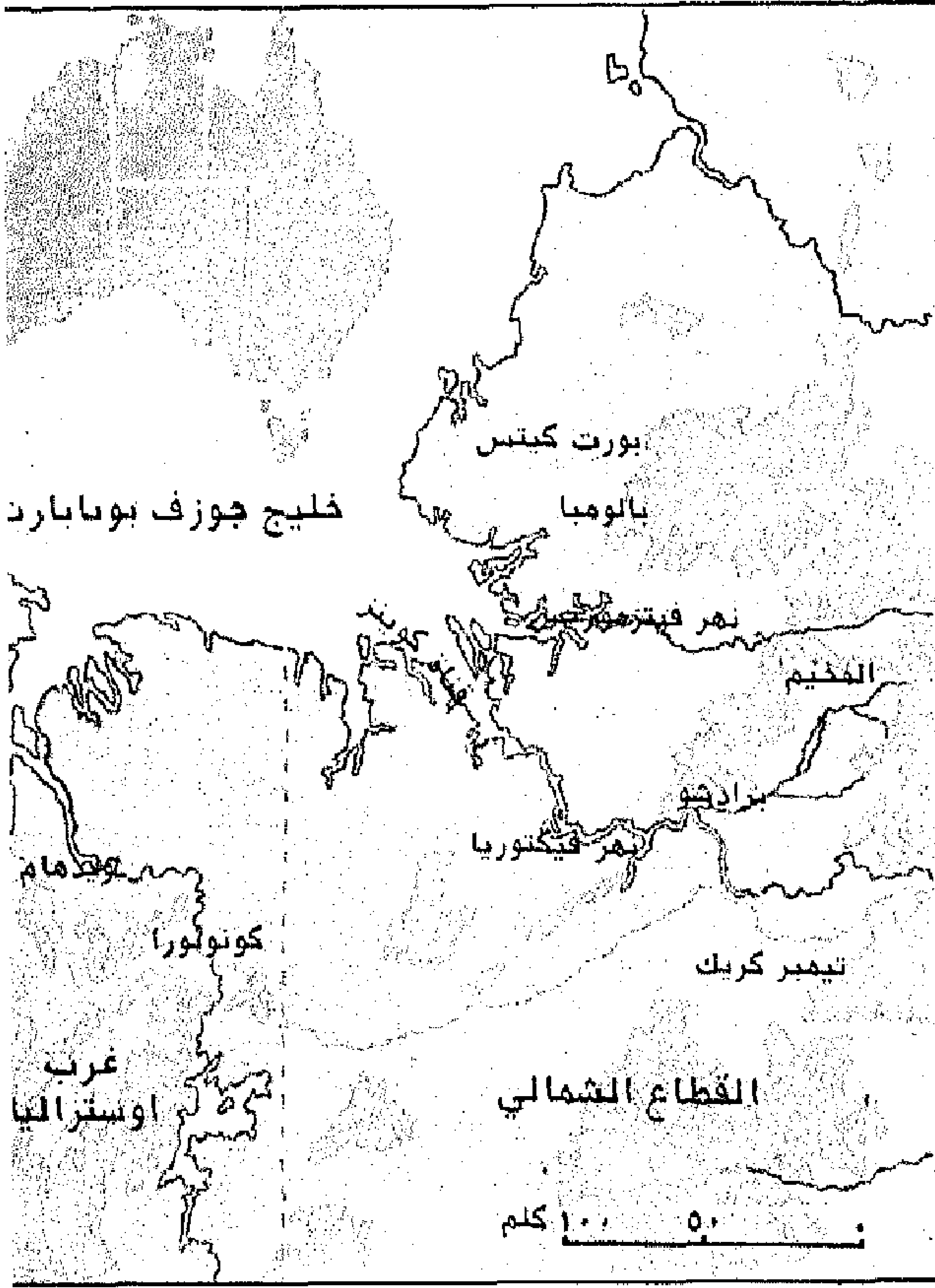
ومنعاً لمرور الايام من غير بداية او نهاية، رحت اثلم شجرة صغيرة بالقرب من شجرة الدراق. وكنت أجعل فيها ثلماً كل يوم. ولئلا أنسى ما فعلت، كنت أستعمل كل يوم أحد الخنجرين وأتركه في الشجرة حتى اليوم التالي قبل استبداله بالآخر.

في نهاية اليوم الثالث كاد اللحم أن ينفد. وما بقي منه سرت فيه العفونة وأجهزت عليه الصقور والغربان الموجودة بكثرة في البقاع الشمالية. وفي الصباح التالي خرجت للصيد تاركاً الكلبين في وثاقهما أمام نار كبيرة منعاً للحيوانات المعتدية.

ورأيت أمامي هضاباً صغيرة تملأها الاعشاب الجافة وتتناثر فيها الاشجار، وبينها شجر الباوباب الاستوائي العريض الجذع وشجر الفلين وشجر الصمغ. ومع تقدمي تشكلت امامي غابة كثيفة تملأها الاشجار الخفيضة ونخيل البندنوس. وكانت الطيور في كل مكان. والحق أن منظر الريف كان رائعاً، الا أن المشاهد الطبيعية لم تغرني وأنا في تلك الحال.

وأفضت بي طرق القطعان الى مستنقع جاف، هو المكان المثالي الذي تألفه المواشي. وكنت حافياً مما خولني التسلل بين الاشجار من غير ضجة. لكني عجبت للاصوات المرتفعة التي سببها احتكاك سروالي وسترتي بالأماليد... انها المرة الاخيرة التي أذهب الى الصيد بأكثر من سروال قصير.

وصرعت جاموساً وسط المستنقع، وكان واحداً من جواميس قليلة شاهدتها هناك. واستغرق نقل لحمه الى المخيم رحلات عدة كنت أشحذ خلالها السكين مراراً. وجعلت معظم ذلك اللحم في شرائح علقتها على الشجرة كي تجف في الهواء والشمس. واللحم يجف سريعاً اذا قطع شرائح رقيقة وقل الدهن فيه.



وما أن تختم مسامه حتى يغدو في مأمن من الذباب والحشرات الطائرة. واذ يجف، يصبح في الامكان كسره مثل قطعة بسكويت.

وأحصيت ما بقي لدي من متاع. وكانت هناك البندقية ومعها ٣٧ طلقة، والخنجران وكيس النوم، والعلبتان الفارغتان وعلبة السكر، فضلا عن بعض الثياب. وهذا حسن في تلك الظروف. وكان لدي أيضاً حبل يمكنني استخدامه للقبض على الطرائد اذا كسرت رجلي أو رسغي وتعذر علي حمل البندقية، أو اذا نفدت الذخيرة لدي.

بعد ذلك اصطدت بقرة صغيرة سلخت جلدها بعناية وأخذته كله معي الى المخيم. وكنت صنعت حبلا من قطعة جلد، وصلته بالبندقية لا علقها على كتفي. فالخوض في تلك البراري عمل شاق خصوصاً اني أحمل العدة التي ظلت تسقط مني. ثم شاهدت ثوراً صغيراً وكنت أشعر بالاضطراب. فرفعت البندقية وعاجلته بطلقة أصابت خصيتيه. وقد وضعت في جرابيهما، بعد سلخهما، السكين وحجر الشحذ. وحملت الثور الصريع حول خصري بعد ربطه بقطعة جلد.

ولما وصلت الى المخيم ملأت جرابي الخصيتين رملا لكي يجفا. وصنعت حبلا من الجلد الطري. وأنا أذكر والدي وعمي اللذين علماني تلك الطرق النافعة، والاثنان يعملان في مزارع منعزلة ويفخران بصنع السلع اليدوية، ومنها الحبال التي تقتضي نقع الجلد في الماء قبل قطعه.

والحبل المجدول من ثلاثة "خيوط" لا يضاهيه حبل آخر صلابة. لكني لم أكن أحتاج الى أكثر من حبل مزدوج. وبعد جدله علقته على الشجرة لكي يجف ووصلت به قطعة حديد.

وبعد يومين خرجت لاتفحص طبيعة الارض حولي. ولما عدت فكرت في وضعي ملياً، فتبين لي ان في امكاني الصمود طويلا هناك، ولكن علي العودة في نهاية المطاف.

وتبادر الى ذهني أن القطعان يجب أن تكون جاءت من مكان ما. ولكن

بدا أنها أمضت زمناً طويلا هناك، إذ ان جلودها كانت خالية من أي أثر للاختام أو للوَسْم الذي يدمغها به أصحاب المزارع. انها ماشية برية.

أين تكون الارض الآهلة إذاً؟ انها بعيدة بلا شك، والوصول اليها يعني أن أقطع الفيافي حافي القدمين. إلا أن المشكلة الكبيرة كانت جهلي منابع الماء في تلك الارض.

وفكرت عبثاً في طريقة أحمل بها ما يكفي من ماء. وبعضهم يصنع وعاء من معدة البقرة الداخلية، لكني أجهل مبادىء التمليح والتقديد الخاصة بذلك. واذا كان هذا الوعاء سيىء الصنع، فربما انشق وأنا وسط رحلة مرهقة لا سبيل فيها الى الماء.

كما أن قائمة سيندي لن تبرأ قبل أسابيع. ومن المستحيل أن أتركها وأمضي. إذاً علينا أن ننتظر فصل الامطار وننطلق، فلا يخيفنا الجفاف. والامطار الاولى تسقط في شهر اكتوبر (تشرين الاول)، أي بعد خمسة أشهر. وهذا يعني أنه كتب لنا أن نبقى في ذلك المكان الى أن يأتي المطر. ولم أخشَ ذلك لاني كنت على الدوام احب حياة القفار.

مطاردة الثيران

أظن أني رُبيت بالطريقة التي يدعوها معظم الناس تقليدية، وهي طريقة البراري الاوسترالية.

في أيام شبابه كان والدي يجمع الحيوانات البرية بالطراد، أي بركوب الخيل من حولها ومطاردتها الى جهة معينة. وبدأ عمي مطاردة الثيران وهو في السادسة عشرة. وعندما بلغ العشرين وضعت في عهدته محطة كبيرة اسمها "جو ـ جو"، وهي تقع غرب سبرينغشور في القطاع الجنوبي الاوسط من منطقة كوينزلاند. وكنت طفلا عندما انتقلت عائلتي الى هناك: والداي وأخي الاكبر واختاي.

والمنطقة برية وعرة المسالك. ولا سبيل الى القبض على حيواناتها الشاردة إلا بطرحها عن ظهور الخيل. ويبدأ الفارس بجولة سريعة، يتبعه فيها الثور الى أن يتعب ويخب على مهل. وإذ ذاك يترجل الفارس بسرعة عن حصانه بحيث لا يسمع الثور إلا وقع الحوافر التي تصم اذنيه، ولا يشعر الا وقد امسكه الفارس من ذيله. ويقطع هذا قرنيه عند رأسيهما المستدقين ويأخذه الى مزرعة ليضمه الى أمثاله من الثيران. بعد ذلك يوسم ويخصى اسوةبها. وتقوم كلاب خاصة على حراسة الثيران لمنعها من الفرار.

ولم أعرف من النساء من أتقن اصول هذه المهنة سوى عمتي نل. وهي ممتلئة الجسم وطولها ١٨٠ سنتيمتراً، لكنها بالغة الانوثة ويغطي رأسها شعر طويل أسود. وعمي أيضاً طويل وقوي. لكن أبي ـ وأنا مثله ـ قصير لا يزيد وزنه على ٦٠ كيلوغراماً. إلا أن طول القامة ليس شرطاً لمطاردة الثيران. ويكفي أن يكون الكاوبوي صحيحاً وقوياً. أما القبض على الثور فهو وقف على التوقيت المناسب.

وفي محطة "جو ـ جو" كان علينا، نحن الاحداث كذلك، أن نطارد الثيران ونقبض عليها. وقد بدأنا بالعِجّلات وانتقلنا الى الابقار ثم الى العجول. وكانت المطاردة تتم دائماً

على ظهور الخيل. ولدى بلوغي السابعة عشرة تركت البيت وذهبت شمالا حيث أصبحت مطارداً محترفاً.

وفي أقصى الشمال، حيث حرارة الشمس على أشدها، تتعذر المطاردة التقليدية على ظهور الجياد، وتضاف الى الجواد عربة ذات اربع عجلات، لا أبواب لها ولا نوافذ ولكن يعلوها سقف يقي الفارس حرارة الشمس. وبعد ارهاقه الثور يقفز الكاوبوي ويقبض عليه من ذيله أو يلطمه باحدى العجلات. واذا كانت الضربة قاتلة فأن الثور يرسل الى المسلخ.

عملت هناك بموجب عقد، وأحببت عملي كثيراً. فقد كان الراتب لائقاً كما كنت سيد عملي. وهي مهنة تلائم شاباً في سني، وان تكن تنطوي على بعض الاخطار. وقررت أن أصمد في ذلك العمل حتى بلوغي الثلاثين، فأتركه وقد نجوت من الموت مراراً. لكن الاحداث تحصل عندما لا يعود المرء يكترث لها.

بيت في البرية

لم تخفني الافاعي في مخيمي على ضفة نهر فيتزموريس، إذ انها تكون كسولة في موسم الجفاف. ومرة شاهدت أفعى بنية كبيرة، فحملت عصا وقتلتها لاني خفت على الكلبين اللذين لا يعرفان أخطار الافاعي.

وكان المكان يعج بالنمال التي تأكل اللحم الاحمر، كذلك بالعقارب. ومعروف ان لسعة العقرب لا تفتك الا بالاجسام الضعيفة، لكنها تؤذي كثيراً.

وعلى رغم توافر اللحم إلا أني كنت أحتاج الى عناصر غذائية اخرى. ولا بد من وجود البطاطا البرية الحلوة في تلك الارض. والبدائيون يعثرون عليها بسهولة، أما أنا فوقعت على ثمرة او أثنتين منها. وكانت هناك بعض اشجار الجوز واللوز البرية، لكن التين البري كان فجاً في ذلك الفصل. وثمار الدراق والخوخ والتوت كانت خضراء ولا تصلح للأكل. وشاهدت عليقة ترتفع نحو نصف متر وهي محملة بالثمر. وكنت أقصدها بين وقت وآخر لاتناول عناقيدها اللذيذة.



وكان الطقس حاراً في النهار، لكنه بات أشد برودة مع الليل. ولم يبقَ النوم مريحاً على فراش فوق الارض العارية. وقطعت اثلاماً في أغصان شجرة الدراق الصلبة وأدخلت فيها قضيبين متوازيين. ومددت قضباناً صغيرة بينهما وضعت عليها أعشاباً يابسة. وبعد ذلك القيت الفراش وقد أصبح لي سرير. وهناك كان يهب النسيم العليل نهاراً ويلفني الدفء ليلا. والحق أن ذلك السرير المعلق غدا بيتاً لي.

وبقي علي أن أصنع مجذافاً آخر للقارب، ليس لأن المجذاف الواحد يضايقني بل لأني أردت اكتشاف الجانب الآخر للنهر.

وقطعت شجرة صغيرة مستخدماً السكين كفأس. واذا كان لي أن اختار لحياتي في البرية سكيناً أو بندقية لاخترت السكين. واستغرق قطع الشجرة نحو ساعة. وبعد ذلك قشرت اللحاء الكثيف عنها وشذبتها.

وكنت كل يوم آخذ الكلبين الى النهر للنزول الى الماء واللعب على الشاطىء. ولم تكن البندقية تفارقني، منعاً لاعتداء الجواميس. وكان باونسر يركض بعيداً ثم يعود، فيما تبقى سيندي الى جانبي.

وحرصت على الذهاب الى النهر في وقت مختلف يوماً عن الآخر لئلا أعود التماسيح على وقت معين. فمن عادة التمساح أن يراقب حيواناً أو أنساناً ينزل الى الماء كل يوم في الوقت نفسه، من غير أن يحرك التمساح ساكناً طوال ثلاثة اسابيع. الا أنه، في اليوم الثاني والعشرين، ينقض على ضحيته ويلتهمها بعد اطباق فكيه عليها كطلقة بندقية.

وكنت أستمتع بالجلوس على ضفة النهر المعشبة بعد سباحة قصيرة، فأصغي الى صداح الطيور التي تملأ المكان. وكانت أسراب الببغاوات المختلفة الاشكال والالوان تطير فوق رأسي، فيمتلىء الفضاء بصوتها الاجش. ثم تتبعها العصافير الصغيرة من نوع الدوري والحسون والرفراف، كذلك اليمام الوديع.

وكان النهر يعج بصنوف الاسماك، ومنها البرمون والابراميس والسلور. وهناك أيضاً الراموح الذي يبرع أهل القبائل في اصطياده براعتهم في صيد بعض الطيور بالعصي. وهما أمران عجزت عن اتيانهما.

وقد خدمتني البندقية كثيراً، خصوصاً لدى بلوغي المكان والارهاق يهدني. ولكن علي الآن ضمان القوت، ولا بد من تدريب الكلبين على الصيد. وذات يوم اصطدت ولباً، والسهول المحيطة بالانهار ملأى بهذه الحيوانات الجرابية. ووجدت في ذلك مناسبة لتلقين باونسر درسه الأول في الصيد، فرميت الولب بعيداً لكي أثير لدى الكلب رغبة اللحاق به.

وأكلت الولَّب بعد شيه، وكان بمثابة تنويع في غذائي. أما الحيوانات الكبيرة التي اصطدتها فكان معظمها يذهب اهداراً.

وبعد مضي اسبوعين على وجودي في المخيم - وقد دلني على الوقت "التقويم" الذي كنت أحفره يومياً في جذع الشجرة - استعدت نشاطي. وبدأ العظم يلتحم في قائمة سيندي المكسورة، على رغم خطاها الثقيلة. وبينما كنت أغسل مكان الجرح، رحت أتكلم الى سيندي مطمئناً. أما هي فنظرت إلي برضا.

وذهبت مرة الى الصيد فرميت بقرة. وكانت الاصابة في كتفها قاتلة، لكنها لم تسقط فوراً. وأطلقت باونسر في اثرها، فبقي ممسكاً بخناقها حتى سقطت. وحين عاد إلي أطريته كثيراً وكان سروره لا يوصف.

استكشاف

ومن القفص الصدري لتلك البقرة جعلت سلة طوقتها بالجلد ووضعت فيها بعض شرائح اللحم وعلقتها بكتفي فيما حملت بيدي بعض اللحم.
ما أن فرغت من صنع المجذاف حتى انتظرت دخول المد وركبت

النهر. وكان في أحد انحائه سهل مغطى بالقصب الذي يرتفع مترين. وفي ضفاف اخرى شاهدت العشب والقصب على حافة الماء وقد تجمع بعضه على بعض وانحنى فوق الماء. وتداخلت قنوات صغيرة هنا وهناك كانت الحيوانات تؤمها للشرب. وهي مسالك قاتمة تبدو كالمجاهل. وظهرت قنوات أكبر كانت التماسيح تبرز على ضفافها مستريحة تحت الشمس قبل أن تعود الى النهر.

وكانت الضفاف عن جانبي عالية وعمودية وقد انعكست حمرة لونها على صفحة الماء. وبعد عشرة كيلومترات على هذا المنوال وجدت نفسي في مضيق ذي مياه عميقة خضراء تقوم عن جانبيها أجراف ملونة وبعض جيوب خضراء تكسوها نباتات معترشة تنحدر حتى تبلغ الماء.

وهدأت حركة الماء داخل المضيق. ونزلت في خلاء مقطوع الشجر كنت رأيته قبل قليل. واقتفيت آثار القطعان بين القصب حتى وصلت الى أرض تملأها أشجار تين برية ضخمة ويقوم وراءها سهل فسيح. وقررت اقامة مخيمي هناك لسهولة الصيد.

وكان القصب الكثيف يعج بقطعان الولب، كما ظهرت الطيور في كل مكان. وقد شاهدت جميع انواع العصافير وأسراباً من طائر القرلي المائي الذي يشبه صوته الضحك، كذلك الحمام البني واليمام وآكلات الاسماك والببغاوات على أنواعها وطيور الوروار الخضراء وآكلات العسل والهوازج وصقور البحر. وملأني الفرح لكل ما رأيته في تلك الارض.

وفي اليوم التالي قطعت النهر الى الضفة المقابلة وتسلقت الهضاب الحمر. وعن قمتها كُشفت لي مسافة ثلاثين كيلومتراً في جميع الاتجاهات، وكلها أرض برية. وتبين لي أن الارض التي أقمت عليها هي بمثابة راحة في القفز، تمتد نحو ١٥ كيلومتراً جنوباً وتحدها من الجهات كلها أراض وعرة.

وأزعجني ذلك المنظر لأنه أبعد عن ذهني امكان وجود رعاة بقر في ذلك المكان. وفيما أنا نازل عن التلال رأيت باونسر الذي قضم وثاقه وقطع النهر في اثري. وكنت قبل يومين لاحظت اضطراباً على الماء، فأسرعت والبندقية في يدي خوفاً على باونسر من تمساح مغير، لكني شاهدت ولباً روعه الكلب فقفز الى الماء وأخذ يقطع النهر نحو الضفة الاخرى.

وشارفت ذهيرتي النفاد، ففكرت في صنع رمح. ورأيت جذور أشجار نمت فوق الماء، فقطعت نحو ثلاثة أمتار من أحدها وجعلت منه رمحاً. وجاءت أوقات عانيت اليأس. غير أني كنت أؤمل بفكرة مشرقة، كفكرة الرمح، تعيد الي بعض قوة على الاستمرار وسط تلك الظروف العصيبة.

اني أعد نفسي شخصاً عادياً بالنسبة الى حياة الغاب والمقاييس القديمة. وأظن أني اكتسبت مواقفي من والدي ومن عمي اللذين حافظا على التقاليد الموروثة، وهي خير سبيل الى قياد القطعان في مزرعة "جو ـ جو"، تلك الأيام حين كانت المحطة معزولة. والاثنان أتقنا السيطرة على الجياد والقطعان، كما أتقنا صنع العدة التي يحتاج

اليها العمل. ولم يتهرب أي منهما من مسؤولية أخذها على عاتقه. وحاولت انا أن أحذو حذوهما. وقد أكملت شقيقتاي دراستهما. أما أنا وأخي فتركنا المدرسة في السادسة عشرة والخامسة عشرة. وبدا لي أن ما تعلمته في "جو ـ جو" وأنا أعاون والدي كان أكثر قيمة مما علمتني اياه المدرسة.

وأنا أفضل حياة الوحدة. صحيح أني أحب مقابلة الناس والحديث

يصدح بصوته العالي: "كير ـ لي... كير ـ لي".

والثيران أيضاً لها ما تقول. وكنت أسمعها تجمجم وهي في طريقها الى الماء، حتى اذا بلغت الضفة راحت تتناوش في ما بينها. وأحياناً كان يقف ثوران هرمان ساعات، الواحد منها يزعق في وجه الآخر مصدراً أصواتاً كما الصنوج. وكانت الاصداء تتردد من الهضاب عبر النهر. فتصحو



الحرارة الشديدة في الشمال تعوق استخدام الجياد، وهكذا يتم صيد المواشي في عربات ذات اربع عجلات.

اليهم، لكني أفضل أن أعمل بصمت وأنا وراء القطعان. وربما كان ذلك عائداً الى تعلقي بالآرض. وهذا كله قواني على احتمال الوضع على ضفاف فيتزموريس.

والليالي التي أمضيتها في المخيم لم تكن صامتة. أجل، كانت هادئة، لكن الهدوء امر والصمت امر آخر. والاصوات في القفاز ترتحل بعيداً. وكانت أصوات الطيور تتناهى إلي من كل جانب، ومنها الكروان الذي

عليها الببغاوات أحياناً وتكررها هي الاخرى بطريقتها. وفي ضوء القمر كانت الاصوات تدوم الليل كله.

ومن الحيوانات الاخرى هناك كلاب الدنغو الضارية. والتي كانت منها على الضفة الاخرى بدت عجفاء إذ لم يكن لها ما يكفي من القطعان للاغتذاء. وكانت تلك الكلاب، عندما تنبعث اليها رائحة اللحم من مخيمي، تنزل الى ضفة النهر المقابلة وتقف هناك وهي لا تجرؤ على العبور وكانت

أصوات جماعات الدنغو من أجمل ما سمعته في تلك القفار.

وذات صباح شاهدت مجموعة من تلك الكلاب تتعقب حيوانا ضخماً على الضفة المقابلة. ورأيت الاعشاب تنحني تحت وطأة الحيوان الهارب الذي اختفى هو وكلبان يتعقبانه. وبعد ثلاثة أرباع الساعة عاد الحيوان الى البقعة نفسها يطارده كلب آخر من مجموعة الدنغو. وانضمت أربعة كلاب اخرى أو خمسة تتناوب على مطاردة الحيوان الهارب حتى قضت عليه.

السكر والملح

مرت علي أيام لم أفعل أكثر من التنزه أو الجلوس والتأمل. وكنت اذا خرجت الى الصيد ولم أحصل على طريدة، عدت أدراجي خائباً. أما اذا جرت الامور حسناً من ناحية الصيد والغذاء فكنت أعاني الوحشة. لذلك كنت احدث الكلبين ولا أبالي اذا هما بقيا صامتين. ولو لم يكن باونسر وسيندي معي لكان علي أن أقتني طائراً أو عجلا أو حيواناً من الولب يسليني في وحدتي.

وكتبت أشعاراً كثيرة... أعني أني نظمتها وحفظتها في ذاكرتي، إذ لم يكن لدي ما أكتب عليه. في محطة "جو - جو" كان عمي يروي أشعار البادية وينشد أغانيها وهو ينفخ في مزمار. وجعلني أحفظ جزءاً كبيراً من ذلك التراث الشعبي.

ونظمت في عزلتي شعراً أكثر من أي وقت سابق. ووجدت في ذلك رياضة عقلية تحملني على التفكير. وكثير من ذلك الشعر كان رومنطيقياً، ولكن من غير أن يكون موجهاً الى شخص معين. وكان غياب الناس، ولاسيما النساء، موحشاً جداً. وجعلني ذلك ادرك أنه لا يمكنني أن أقضي حياتي أعزب.

وكنت أفتقد السكر كثيراً. في الحالات العادية كنت اغافل الآخرين لأضع ست ملاعق سكر في فنجان شاي. أما في ذلك القفر على ضفة فيتزموريس، فكنت أحتاج الى السكر كمصدر للطاقة الجسدية. ومن دونه كنت أشعر بالضعف وأتعب حين اطارد القطيع.

وعرفت أن هناك قفير نحل في مكان ما حولي، لكني لم أتمكن من تعيينه. والنحلة هناك صغيرة وسوداء لا تتجاوز حجم ذبابة. لذلك كان المدخل الى قفيرها صغيراً. والقبائل المحلية تعرف كيف تبلغ القفير. فالبدوي ينتظر عند الشجرة ليرى نحلة، حتى اذا أضاعها بقي منتظراً سواها. والنحل دائماً يقطع أقصر طريق بين قفيره والماء.

إلا أن نظري ليس بقوة نظر أهل البادية. لكن مخيمي كان يقوم بين قفير النحل والنهر. وما لبث النحل أن ارتاد الحفرة التي يشرب منها الكلبان. وتذكرت طريقة كنت الجأ اليها في حداثتي لاعاقة طيران النحلة، وهي لصق قطنة صغيرة عليها ملئت صمغاً من شجرة. وهكذا تبطىء النحلة في طيرانها ويغدو تعقبها أسهل.

ونسلت خيوط قطن من قميصي وجربت الطريقة المذكورة على نحو عشر نحلات. ولما استجابت احداها لحيلتي، لحقت بها الى أن سقطت

أرضاً بعد عشرة أمتار، وسحقتها بقدمي من غير أن أدري. وهكذا عدت الى مشرب الكلبين لاستأنف العملية.

واستغرق تحقيق خطتي يوماً كاملا، لكنني عثرت أخيراً على القفير الذي يبعد نحو أربعين متراً عن المخيم. وما أن وجدته حتى أجهزت عليه مرة واحدة. ولو كنت أكثر حكمة لثقبت قرص العسل وادخلت فيه قصبة امص منها قليلا كل يوم. ذلك كان القفير الوحيد الذي رأيته.

في أواخر الاسبوع الرابع كنت استكشفت المكان كله حتى التلال، وعرفت أين تذهب القطعان في الاحوال الجوية المختلفة، كما استمتعت بمناظر الطبيعة.

وسعيت الى بيض الطيور لتنويع غذائي. الا أن معظم الاعشاش كانت في الادغال الكثيفة أو في قمم الاشجار العالية. ولم آكل البيض إلا حين وقعت على عش للدجاج الرومي. واقتنصت دجاجة لأحيد قليلا عن اللحم الأحمر. وكانت حوصلتها ملأى بالحبوب، فطهوتها هي والحبوب، وبعدما أكلت لحمها صنعت بعظامها حساء.

وسبب نقص الملح والسكر تشنجاً لدي. ولم أجد حكمة في التجذيف الى الجزء المالح من النهر، إذ ان الملح الذي سأفقده عبر العرق يفوق ما سأحصل عليه. وكانت في النهر أسماك قرش صغيرة لا يتجاوز طول الواحدة منها المتر. وبما أن تلك الاسماك تعيش في المياه المالحة معظم الوقت، فاني قدرت أن لحمها يجب أن يكون مصدراً للملح. وهكذا ربطت قطعة لحم بحبل من الجلد ودفعت بها الى حافة النهر. ولما دنت احدى أسماك القرش من الضفة رميتها بالبندقية. وبعد شيها أكلت الجانب الطري من لحمها، لكنه لم يكن مالحاً كما تصورت.

وكانت قائمة سيندي بدأت تبرأ. وباشرت تدريبها ثم أخذتها معي للمرة الاولى الى الصيد. ولما ابتعدنا نحو كيلومترين عن المخيم ظهر قطيع أمامنا. وأطلقت باونسر الذي أسرع نحو بقرة على بعد مئة متر، وعضها من فكها الاسفل. وحاولت المقاومة بقرنيها، لكنه بقي متشبثاً بها وقوائمه ثابتة على الارض. وأسرعت اليه وأمسكت البقرة من ذيلها وأنا فخور بما أنجزه من غير مساعدة. ووجدت البقرة عجوزاً عجفاء، فتركتها تمضي.

ووقفت انادي سيندي التي غابت عن نظري. وعدت الى المخيم ونمت حتى الصباح، لكنها لم تأتِ. عندئذ قلت لنفسي: "لقد افترستها كلاب الدنغو". وأثارت تلك الفكرة أشجاني. إلا أن باونسر قفز فجأة من ضفة النهر الى مكان معشب، راح يلعب فوقه. وكانت سيندي هناك وقد تدلى فكها الاسفل علامة الخجل لأنها أمضت الليل بعيدة عنا. لكنني طمأنتها لكي تشعر بالعطف. وهكذا رجعت الى المخيم معيدة إلي معنوياتي. لقد كان الكلبان مهمين جداً لي في ذلك المكان.

ومنذ ذلك الوقت صرت آخذ باونسر وسيندي معي الى الصيد. ولم أعد أخشى انقطاع الذخيرة. وكلما قبض أحدهما على طريدة كنت أنحرها فوراً.

وبعد نحو خمسة أسابيع من وجودي على ضفة فيتزموريس مرت طائرة صغيرة من فوقي· وهرعت كالمجنون الى النار لاذكيها بالاغصان الخضراء اشارة الى الاستغاثة· غير أن الطائرة عبرت قبل أن أتمكن من ايصال ندائي اليها·

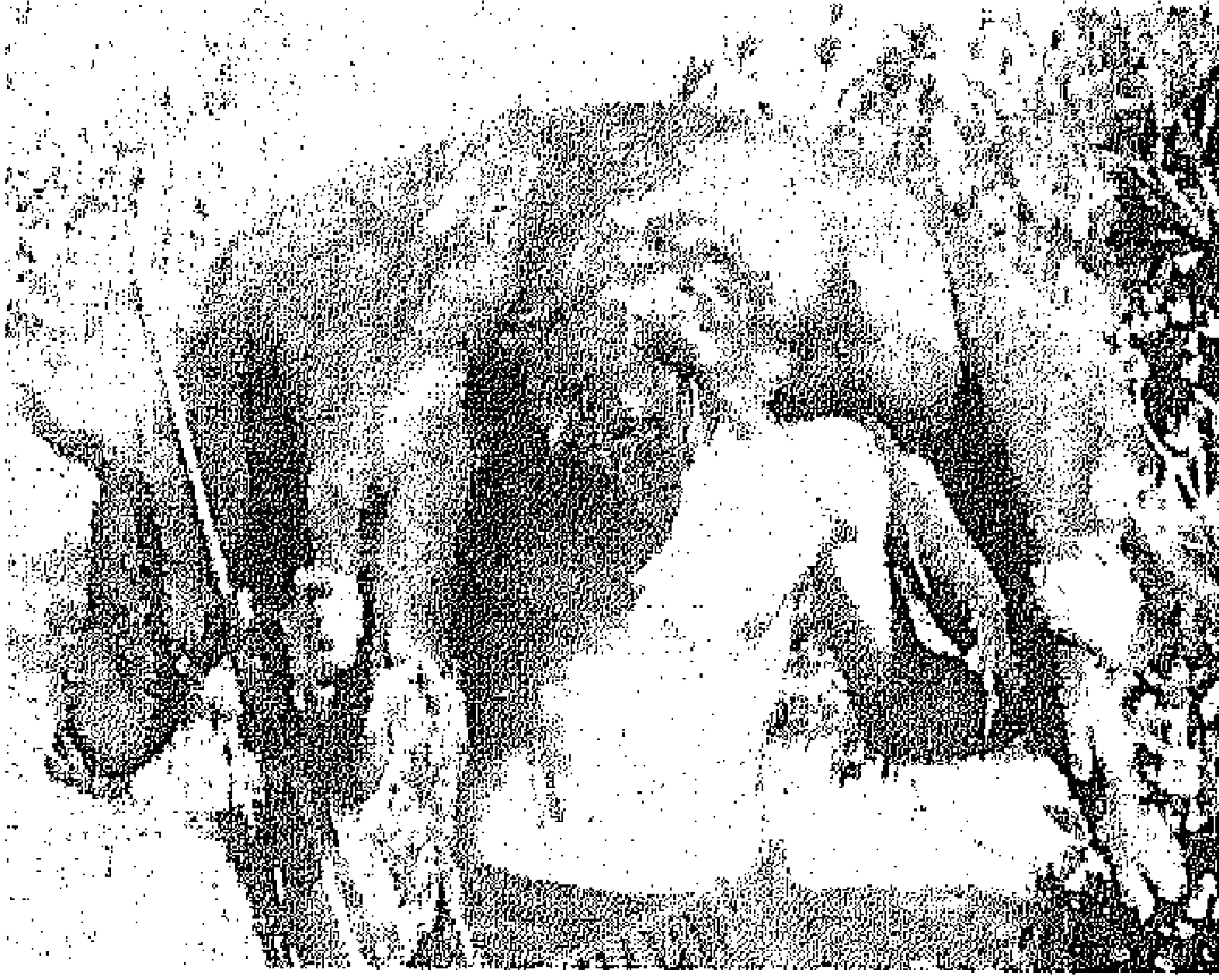
وازداد تشنج عضلاتي ومعه تضاءلت طاقتي· ولم أكن مريضاً حقاً، لكن قوتي لم تكن كما يرام· وغدت القطعان حذرة وصيدها يقتضي الذهاب أبعد يوماً بعد يوم· ثم ان جر الطريدة الى المخيم كان يستدر مني العرق، وهذا يعني نقص الملح من جسمي·

أيام جيدة، أيام رديئة

أكسبتني خبرتي تقديراً كبيراً للقفار الاوسترالية· وليست تلك القفار بالمكان الذي يسهل الحصول فيه على الطعام· وفي الامكان الحصول على الجوز واللوز وضروب الفاكهة البرية اذا سعى المرء اليها· لكنها لا تأتيه على طبق ضيافة· والحيوانات الجرابية المحلية لم تكن كثيرة، بل مبعثرة وتتمتع بحواس قوية للنظر والسمع والشم· ولو لم توجد بعض الابقار والثيران في تلك الارض لما أمكنني الصمود· ولكن لا يمكن القول ان القفار تعادي الانسان· انها لا تكترث له والحياة هناك تنطوي على عنصر من عدم الاستقرار·

وأظن أن هذه الحياة القاسية كانت ذات أثر في عقل الاوسترالي الابيض وحضارته وطرائق حياته· لكن هذا الاثر الذي لازمنا طويلا آخذ في الانحسار· وباستثناء الخطوط الساحلية الصغيرة، فان البلاد كلها قفار متواصلة· غير أن سكان اليوم كلهم مدينيون· وأهل المدن يجهلون البراري والقفار· انهم يجهلون اوستراليا الحقيقية التي تقوم شمالا·

والقفار تعطي سكانها نظرة مختلفة الى الحياة· فالبدو يعرفون أن الظروف سوف تبقى ضدهم· لكنهم لا يستسلمون لليأس، بل يقبلون هذا الواقع وينصرفون الى تحقيق ما هو



الوحوش البرية تدب في صحة جيدة·

في نطاق قدرتهم· وهذا النوع من العيش هو التزام الواقع، حيث يحصل المرء قوام حياته من الارض مباشرة· وهو في ذلك لا يتكل على احد· وهكذا تكون العلاقة صادقة بينه وبين نفسه·

وعلى ضفاف فيتزموريس يكتفي المرء بما هو أولي· ومع ازدياد حذر القطعان، كان علي التخلي حتى عن سروالي القصير الذي يحدث حفيفه على العشب أصواتاً ضئيلة·

وكانت الايام تحمل إلي القوة والضعف والأمل واليأس وارتفاع المعنويات وانقباض الصدر· وذات

يوم طاشت طلقتي بعدما طاردت القطيع طويلا. وكان ذلك رديئاً للغاية. فأنا أحتاج الى اللحم ولا يمكنني التخلي عن طلقة بندقية بهذه السهولة. لكنني عدت ورميت ثوراً هرماً بالقرب من المخيم. ولحمه ليس بالفاخر، لكنه يسد الرمق ويغذي. وفي الليل سمعت عواء كلاب الدنغو وهي تجهز على الهيكل العظمي الذي رميته في الجوار.

ورحت افكر في الكائنات البرية، قويها وضعيفها، مثل كلاب الدنغو والجوارح والغربان والنمال والذباب. واستغرقت في التفكير وأنا أحفظ تلك الاشياء كلها في ذهني، علني أستطيع السيطرة عليها.

وبدأت أفقد حس الانتماء الى ذاتي بعد مكوثي طويلا ولا أحد أتكلم اليه. ولم أكن في حياتي العادية اقتني مرآة. إلا أني، على ضفة فيتزموريس، تمنيت كثيراً أن تكون لي مرآة. وأخذت علبة حليب فارغة ولمعتها حتى باتت تعكس الاشياء الخارجية. وشاهدت وجهي عليها وقد تبدلت سيماؤه، لكنه ظل وجهاً انسانياً. ولكن لم أبلغ المرحلة التي أخاطبه فيها. أما الكلبان فلم يبلغا المرحلة التي يستجيبان فيها لكلامي بأصوات منهما.

وهكذا لفتني الوحشة وألح علي الضعف. وكنت أتوق الى الجلوس مع أهلي لأروي أخباري وأقص على أبي ما حدث لي ونضحك معاً. وكنا في ما مضى، بعد جلسة صباحية رائقة، ننطلق الى مطاردة الثيران في المسالك الوعرة. وكنت إذا قبضت على عجل استعملت جميع الاربطة التي معي، بما فيها حزامي، وانتظرت أبي عله يحمل شيئاً نوثق به العجل. وبعد أن يطول انتظاري، كنت أنهض عن العجل وامسكه بذيله وأركض، فينزل سروالي الى الارض وتتعثر خطاي. وعندما أبلغ أجمة وقد هدني التعب، ارخي ذيل العجل واصارعه بين الاشجار، فأتلقى بعض كدمات من قرنه أو رقبته بينما تنال الشجرة نصيبها.

وكنت أتشدد بالفكرة الآتية: "لا بد من أن يأتي والدي قريباً". ثم أسمع صوتاً ورائي، ضحكة متطاولة تقارب الزعيق. وانظر لأرى أبي على حصانه الهرم. وأصيح به: "كف عن هزتك وتعال ساعدني". فيزداد ضحكه ولا يكترث لتوسلاتي.

وإذذاك يخور الثور الصغير ويهوي، فيما يتابع والدي ضحكه حتى يكاد يسقط عن الحصان.

أجراس في البعيد

كان مد النهر في ازدياد، وبدا أنه يحمل شيئاً معه. فقد سمعت رنيناً كما من شيء معدني. أيعقل أن يكون ذلك قارباً؟ وهرعت الى الشاطىء محاولا ألا أمنّي نفسي بمكسب عظيم. وأخذ الصوت يقترب.

وبعد قليل لفظ الموج صهريجاً فارغاً سعته ٢٠٠ ليتر وحوله أخشاب طافية. انه برميل فارغ، لا غير! والله وحده يعلم من أين أتى.

ولا ريب في أن ذلك كان خيبة أمل. انه نهار سيىء، خفف من ردائته أني اصطدت بقرة كبيرة هي من أسمن الابقار التي رأيتها.

وبعد أيام نهضت وقد ارتفعت

الشمس. ويبدو أني استغرقت في النوم لعلة أصابتني وأعطتني الحمى والعرق. ولكن كان علي أن أذهب مرة اخرى للصيد، لأن ما بقي من البقرة شارف النفاد.

ونهضت بمشقة من الفراش وأذكيت النار، ثم جلست أشحذ الخنجرين قبل انطلاقي. وفيما أنا أحف سكيناً على حجر الشحذ، تراءى لي أني أسمع أجراس جياد. ونسيت ذلك الأمر بعدما خطر لي ان أصوات البراري شبيهة أحياناً برنين الاجراس.

وفجأة رنت الاجراس من جديد، فقلت لنفسي: "انها أجراس حقيقية! انها أجراس جياد".

وأسرعت الى حافة النهر. وتبين لي أن الاصوات آتية من الضفة الاخرى. ورأيت ولباً يقفز ليحتمي بالعشب. ولا بد من أن شيئاً أخافه.

ولم أعرف كيف بلغت زورقي ورحت اجذف كمجنون الى الضفة المقابلة. وربطت القارب بشجرة وتسلقت الضفة العالية وأنا أسير نحو مصدر الصوت. وكانت الاعشاب تلفني حتى العنق. وشققت طريقي محاولا الركض، لكني عجزت عن ذلك. وعدت أسير بطيئاً الى أن شاهدت قبعة سوداء طويلة فوق العشب. وأطلقت نداء حاداً، فجاءني جواب لا يقل حدة.

واذا بي أمام رجل يركب بغلا. كان ابيض يرتدي ملابس سوداء وقد ارتفعت قبعته فوق شعر أبيض وكست وجهه لحية بيضاء. ولما رآني فغر فاه.

وبادرته: "نهارك سعيد".

فأجاب: "من أين جئت؟ ما الذي أوصلك الى هنا؟"



قال لي: "من اين جئت؟ ما الذي اوصلك الى هنا؟"

وأخبرته كيف انقلب قاربي وكيف بلغت ذلك المكان قبل نحو سبعة أسابيع. وعرفني على نفسه، واسمه لوك ماكول. وتصافحنا.

وكان يرافقه ثلاثة رجال سود هم روبرت ورافاييل وكريستوفر، من عشيرة بالومبا التي تقطن على بعد ٤٢٥ كيلومتراً الى الشمال الغربي. وروبرت هو رئيس مجلس العشيرة، أما لوك ماكول فيدير قطيعها، وقد انتقلت العشيرة من ضفاف فيتزموريس الى بورت كيتس عام ١٩٣٩. وأخبروني أن أحداً لم يطأ تلك البقاع طوال السنوات السبع الفائتة.

وجذفت عائداً الى المخيم حاملا البشرى الى باونسر وسيندي وأنا أربتهما وأقول: "اننا عائدون الى البيت! ما رأيكما في ذلك؟" لكن المغفلين اكتفيا بهز ذنبيهما.

ولما رجعت الى الضفة الاخرى كان لوك وصحبه أقاموا مخيماً وأضرموا النار. ودعاني لوك الى الجلوس قرب النار وتناول فنجان من الشاي.

وسكبت الشاي من غلاية كبيرة في كوب معدني. واذ رفعت الكوب لأشرب، لاحظت أن لوك ينظر الي شزراً. فقلت لنفسي: "ترى أي خطأ اقترفت؟ اني لم أضع الملعقة المبللة في وعاء السكر. فما الخطأ؟" ثم تبين لي أن لوك ـ وهو رجل يتقن أعماله وتهمه التفاصيل الدقيقة ـ وضع الاكواب المعدنية في خط مستقيم، واني بدلت مكان أحدها قليلا وأنا أتناول كوبي. فأعدت الكوب الى مكانه والملعقة فوقه.

وابتسم لوك. وابتسمت أنا وقد سرني أني عدت الى مجتمع الناس.

روبنسون كروزو

وأمضينا ستة أيام على ظهور الجياد، نقطع الفيافي الوعرة والاجراف العالية تحت حر الشمس. إلا أن الرجال الثلاثة السود كانوا يعرفون المنطقة ومنابع الماء فيها. وانتابني الضعف والدوار والغثيان، ربما لأني عدت الى تناول الدقيق والسكر والملح بعد انقطاع. وارتأوا أن يتركوني في عهدة أحدهم ثم يرسلون طائرة مروحية في اثرنا. إلا أني شددت عزيمتي وبقيت معهم حتى بلغنا بالومبا.

وسرني أن أكون هناك وأكتشف منجديد الكهرباء والماء الساخن والنوم في سرير. لكني كنت متلهفاً للعودة الى كونونورا، وهكذا اعرجت طائرة من داروين على مطار البلدة لتحملني. وحين أزمعت الطائرة على الهبوط فوق كونونورا، رحت أنظر الى التلال الحمر ومياه السد الخضراء. ونبض قلبي بالدفء والحب. إلا أن أحداً لم يكن ينتظرني على أرض المطار، إذ لم أعلم أحد بعودتي. ولم آبه للمسافة التي قطعتها من ذلك المطار الصغير الى المدينة، وان تكن طويلة. فهي المسافة الأخيرة التي تفصلني عن البيت. وحملت كيس النوم فوق كتفي.

ولما رأتني صديقتي قالت: "كنت أعرف أنك عائد في مثل هذا الوقت. كيف كانت رحلتك؟ أين ذهبت؟".

وتذكرت اغنية لأحد مطربي البادية، وهي شائعة في الشمال: "لقد تجولت قليلا ... قال الرجل القادم من همبتي دو".

■ راشيل بيرسي
نقلا عن رود آنسل

سائح في الاسكا

كنت اسيح في الاسكا عندما ضيعت طريقي. وأوقفت مواطناً سألته أن يرشدني. وبعدما أنهى شرحه، قلت: "هذا المنعطف الذي تتكلم عنه، هل هو على بعد نصف كيلومتر تقريباً؟" فأجاب: "في الاسكا، ليس لدينا أنصاف كيلومترات".

ر.س.

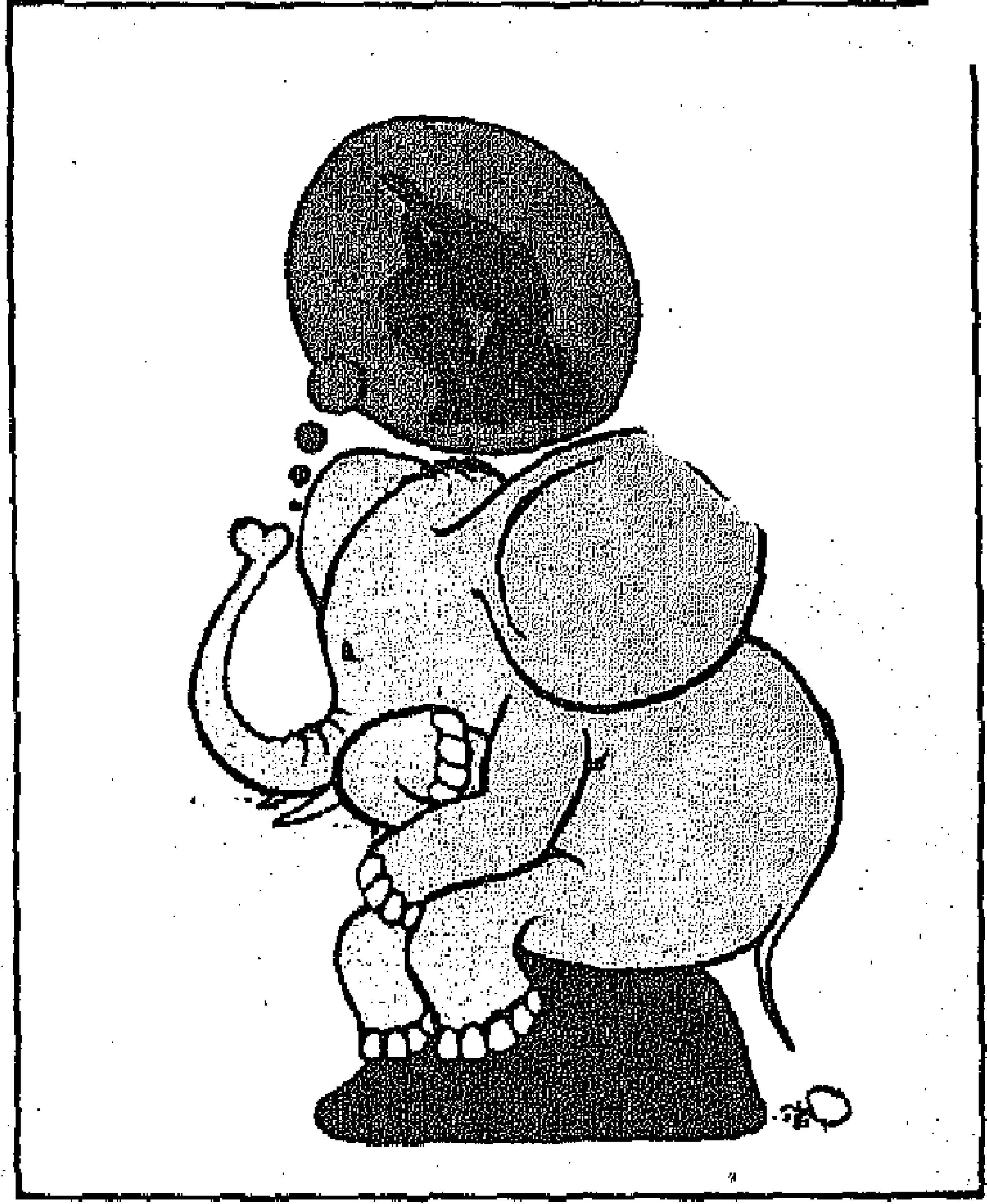
ايطالية بالانكليزية

ذهبت امرأة انكليزية في العقد التاسع من عمرها الى ايطاليا حيث تقيم ابنتها المتزوجة. وظنا منها أنها ربما أمضت بقية أيامها هناك، التحقت بمدرسة لتعلم اللغة الايطالية. لكنها قررت ألا تبدأ التكلم بلغتها الجديدة قبل اتقانها.

وبعد سنة، اكتسبت ثقة بالنفس جعلتها تفتح حديثاً مع البستاني حول طريقة الاعتناء بالحديقة، لكنه ما لبث أن قاطعها بتهذيب قائلا: "سيدتي! لقد تعلمت قليلا من الانكليزية إبان الحرب. غير أني نسيت كل شيء الآن، ويؤسفني الا افهم انكليزيتك".

م.هـ.

تأملات معاصرة



رضا الاخيار

من كلام ابن المقفع:
انك إن تلتمس رضا جميع الناس تلتمس ما لا يدرك، وكيف يتفق لك رضا المتخالفين، ام ما حاجتك الى رضا من رضاه الجور، والى موافقة من موافقته الضلالة والجهالة، فعليك بالتماس رضا الاخيار وذوي العقول، فأنك متى تصب ذلك تضع عنك مؤونة ما سواه.

محمد كرد علي، "امراء البيان"

الفنان الحقيقي

ليس رساماً من لا يحب الرسم أكثر من أي شيء آخر في العالم. ولا يكفي الفنان أن يعرف مهنته، بل يجب أن تهزه من الأعماق.

الرسام ادوار مانيه

الانجاز والنجاح

كانت امي تميز بين الانجاز والنجاح، فتقول ان الانجاز هو اقتناع المرء بأنه بذل غاية جهده لكي يحقق أمراً ذا بال. أما النجاح فهو الاطراء الذي يغدقه الآخرون علينا لعمل ما، وهذا جميل لكنه لا يمنحنا ذلك الرضا. وعلينا دائماً أن نسعى الى تحقيق انجازات مهمة، بغض النظر عن النجاح.

الممثلة هلن هايس

مرآة الآخرين

اننا نسكب أنفسنا في قوالب شاءها لنا الآخرون، مهما حاولنا تجنب ذلك. ونحن، إذ نقلد الآخرين، فانما نحاكي انعكاس ذواتنا في اعينهم وصدى انفسنا في كلماتهم.

عالم الحب

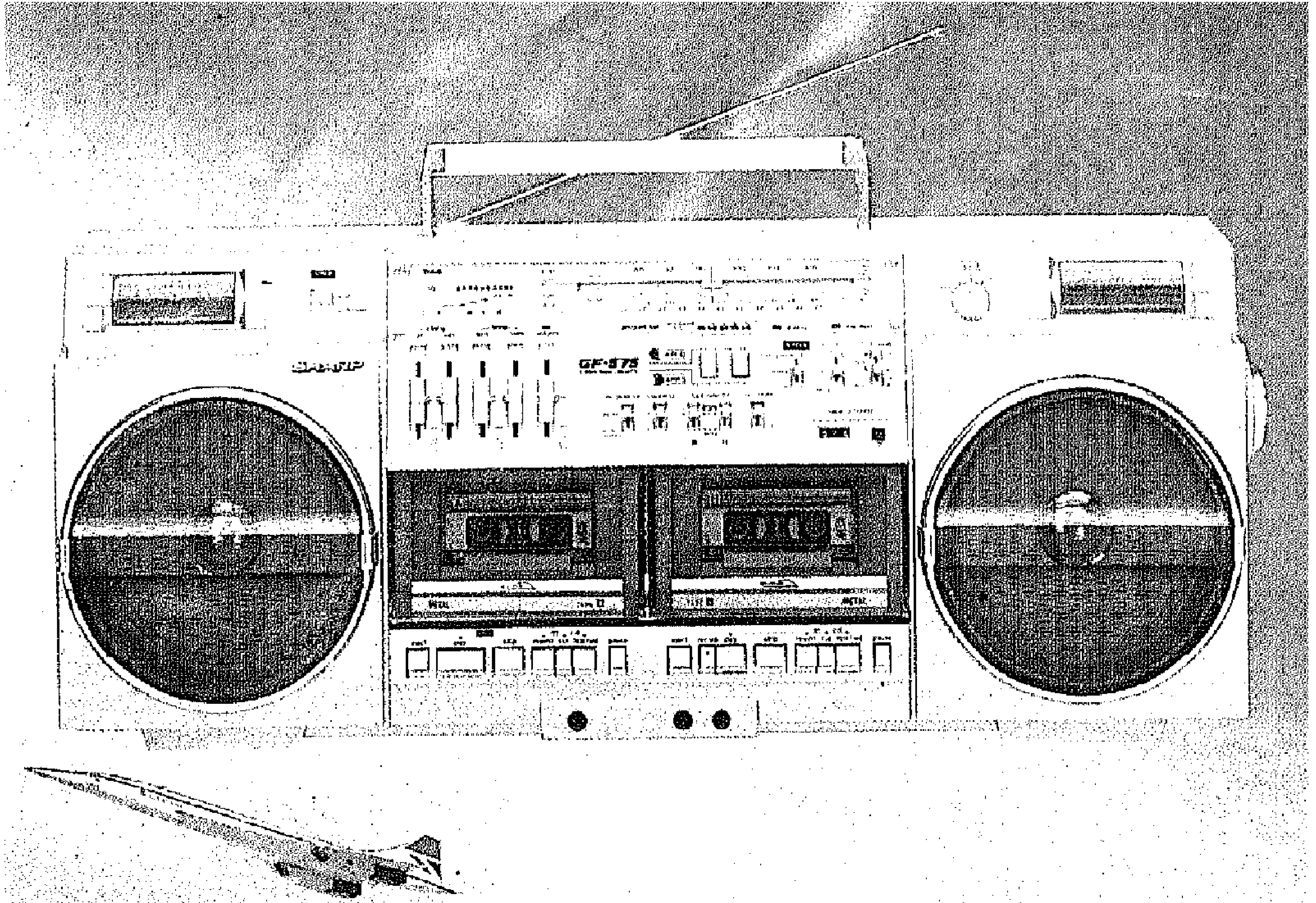
عندما "يقع" الرجل والمرأة في الحب، يتوهمان أنهما يعيشان في عالم واحد. ولكن عندما "يحب" أحدهما الآخر فعلا، فانهما يعترفان بأنهما يعيشان في عالمين مختلفين، لكنهما يقيمان جسوراً بينهما.

توماس ساس

الحماسة

الحماسة هي كهرباء الحياة. ولكن كيف نولدها؟ انها تأتي عن طريق العادة. فنحن نتصرف بحماسة مرة بعد اخرى حتى تغدو الحماسة طريقة حياة لدينا. وهي طريقة حسنة حقاً، إذ أنها تعني أن نقوم بالمبادرات وندرك أهمية ما نفعل ونرفعه في أعيننا وأعين الآخرين.

المخرج غوردن باركس



إقتسم وقت دبلجتك إلى النصف.
ضاعف متعتك الموسيقية.

دبلجة شارب فائقة السرعة تجعلك مهندس التسجيل بنفسك.

لاعطائك متعة اكبر من موسيقاك ووقتا اكثر للاستمتاع بها انتجت شارب اول راديوكاسيت اوحد بدبلجة فائقة السرعة.

يمكنك الآن الدبلجة من شريط واحد لآخر واضافة او قطع موسيقاك المفضلة او الصوت من شريط مسجل سلفا. فان GF-575Z من شارب لا يقوم بجميع هذه العمليات فحسب بل يفعل ذلك في نصف الوقت !

مزيدا من الوقت للاستماع، والتحرير والاستمتاع ـــ «شيء اضافي» من شارب يعمل لاجلك.

• طاقة ذروة موسيقية ٣٢ وات • تشغيل الشريط ناعم اللمس • نظام ٤ مكبرات للصوت باتجاهين ١٦ سم • ضابطة منفصلة للنغم العميق/عالي الطبقة

ملحوظة :

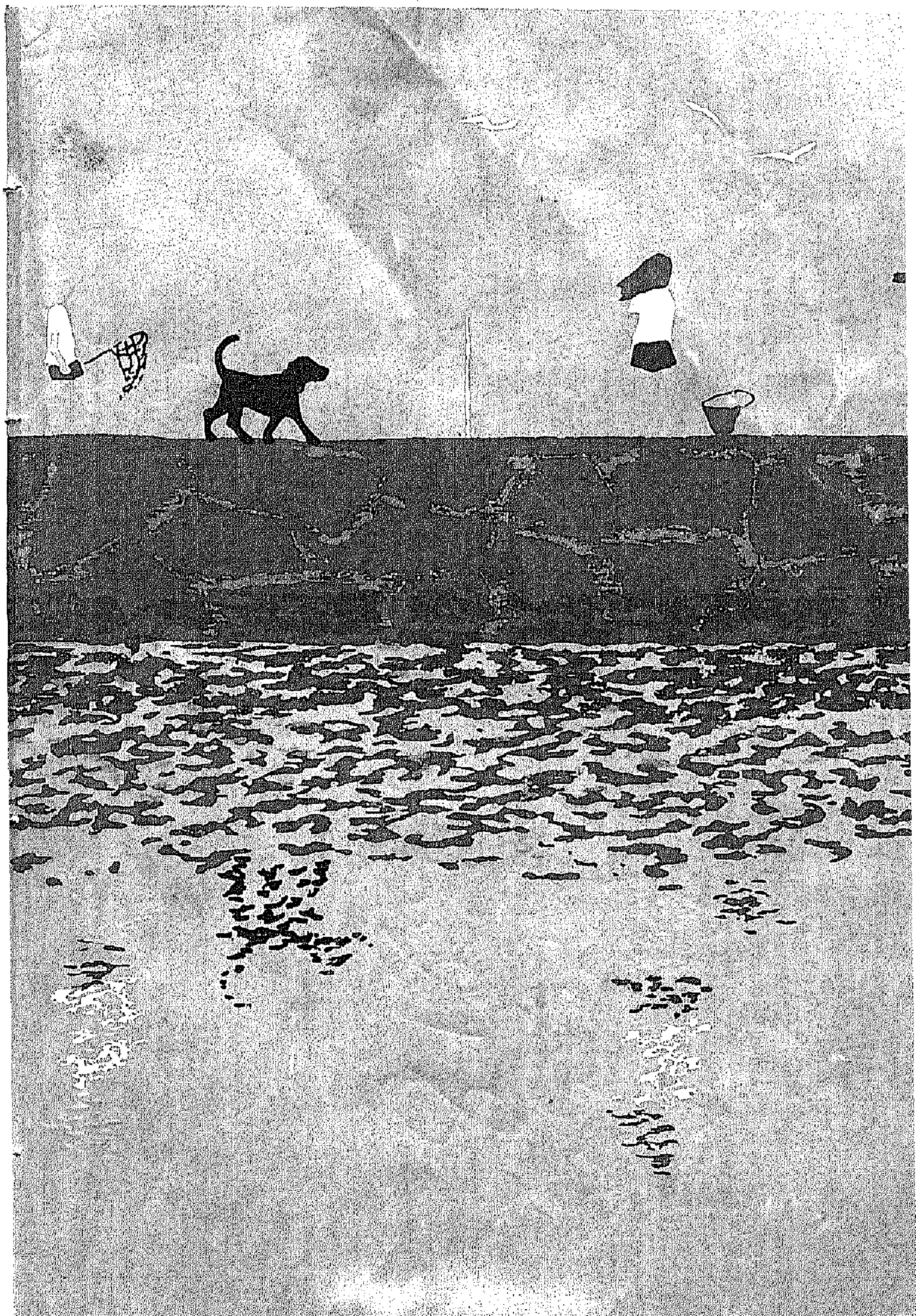
قد تتالف المادة السمعية ـ البصرية من انتاج محفوظة حقوقة لا يجوز ان تسجل بدون تفويض من مالك الحقوق. يرجى الرجوع الى القانون المتصل في بلادك.

GF-575Z

32W (PMPO) · Double Cassette · APLD Auto Program Locate Device · Soft-Touch Soft-Touch Operation · High-Speed Dubbing · METAL · APPS Auto Program Pause System

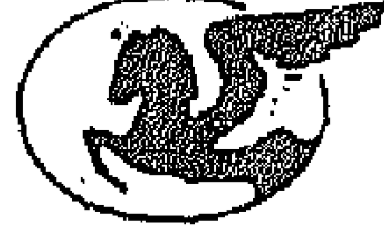
SHARP شارب

SHARP CORPORATION Osaka, Japan



سبتمبر (ايلول) ١٩٨٢ - ذو القعدة ١٤٠٢

المختار



من ريدرز دايجست

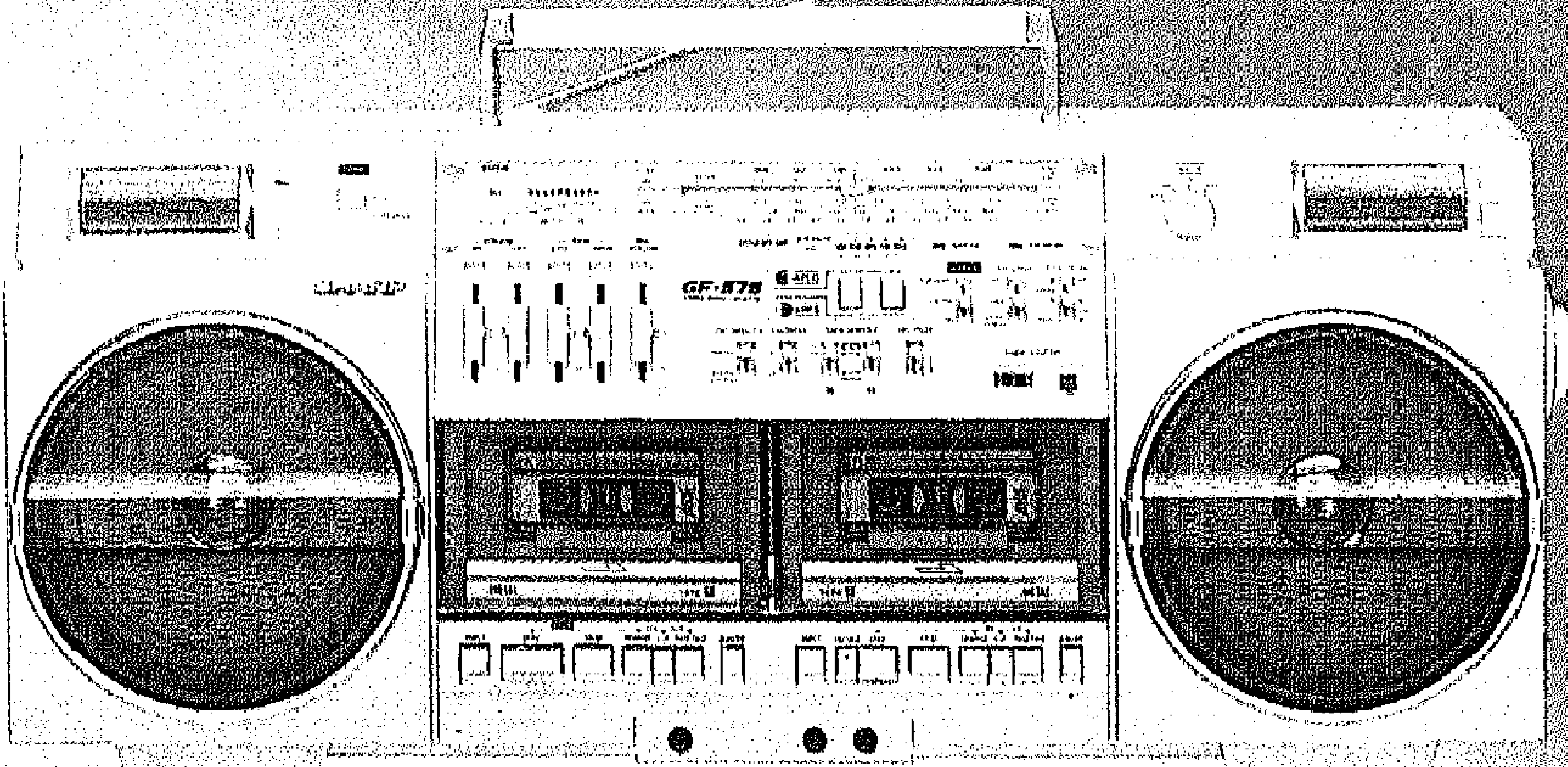
٥ براهين على الحب الحقيقي
(ص ٢١)

معركة ستالينغراد غيّرت مجرى التاريخ
(ص ١١٣)

خوليو: في حياته معجزة؟
(ص ٨٩)

نان ٥٠٠ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٧د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعودية ٧ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٧٠٠م - ليبيا ٧٠٠د - اليمن ٧ر - مسقط ٦٠٠ب - العراق ٦٠٠ف - نس ٥٠٠م - المغرب ٥د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - أنكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا وأمريكا الشمالية ٢٫٥د٠

AL MUKHTAR min Reader's Digest September 1982 N°46



إقتسم وقت دبلجتك إلى النصف.
ضاعف متعتك الموسيقية.

دبلجة شارب فائقة السرعة تجعلك مهندس التسجيل بنفسك.

لاعطائك متعة اكبر من موسيقاك ووقتا اكثر للاستمتاع بها انتجت شارب اول راديوكاسيت اوحد بدبلجة فائقة السرعة.

يمكنك الآن الدبلجة من شريط واحد لآخر واضافة او قطع موسيقاك المفضلة او الصوت من شريط مسجل سلفا. فان GF-575Z من شارب لا يقوم بجميع هذه العمليات فحسب بل يفعل ذلك في نصف الوقت !

مزيدا من الوقت للاستماع، والتحرير والاستمتاع ـــ «شيء اضافي» من شارب يعمل لاجلك.

• طاقة ذروة موسيقية ٣٢ وات • تشغيل الشريط ناعم اللمس • نظام ٤ مكبرات للصوت باتجاهين ١٦ سم • ضابطة منفصلة للنغم العميق/عالي الطبقة

ملحوظة :

قد تتالف المادة السمعية ـ البصرية من التاج محفوظة حقوقة لا يجوز ان تسجل بدون تفويض من مالك الحقوق. يرجى الرجوع الى القانون المتصل في بلادك.

GF-575Z

32W (PMPO) · Double Cassette · APLD Auto Program Locate Device · Soft-Touch Soft-Touch Operation · High-Speed Dubbing · METAL · APPS Auto Program Pause System

شارب SHARP

SHARP CORPORATION Osaka, Japan



اكتب واربح

هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية.

الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين. على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

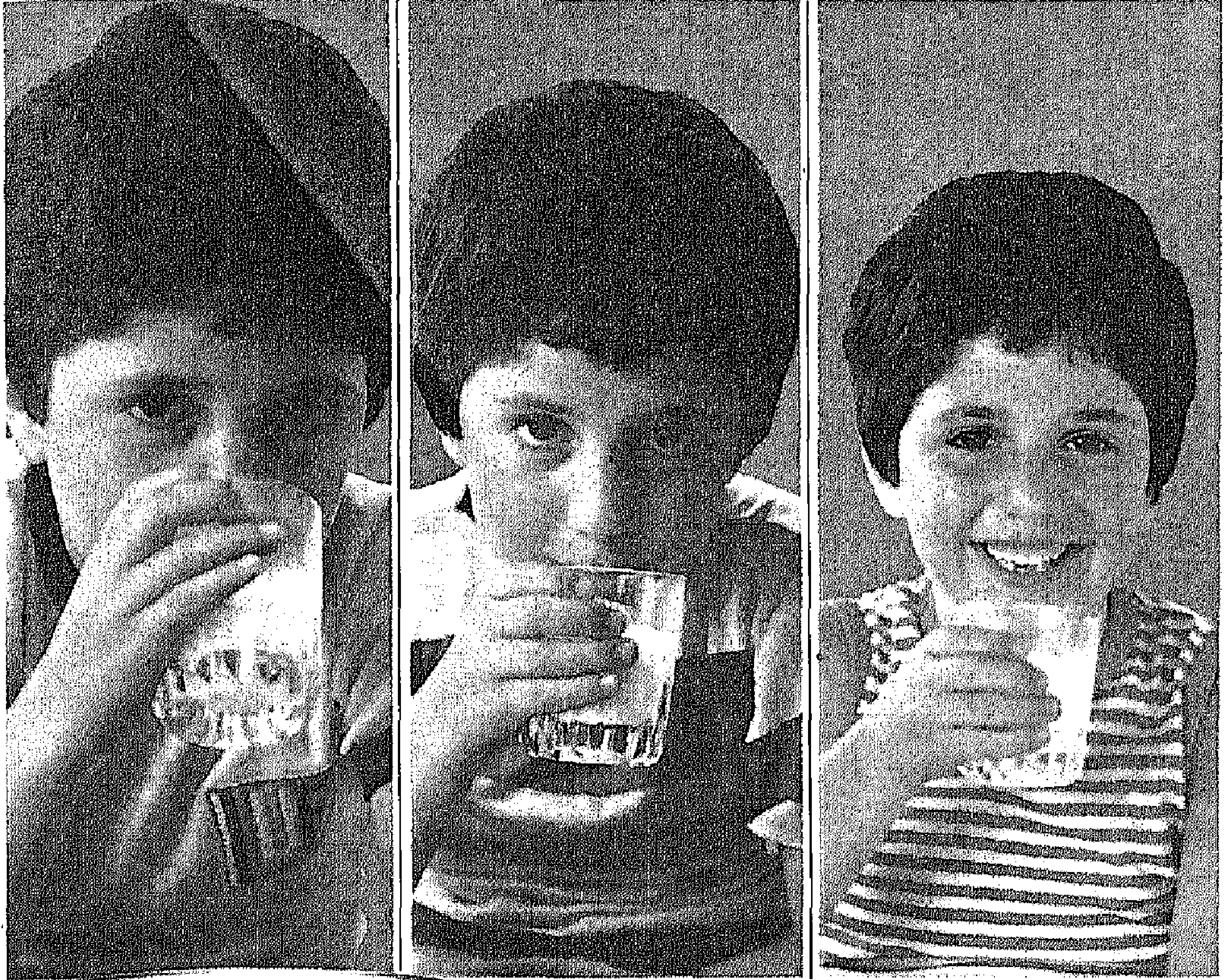
يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

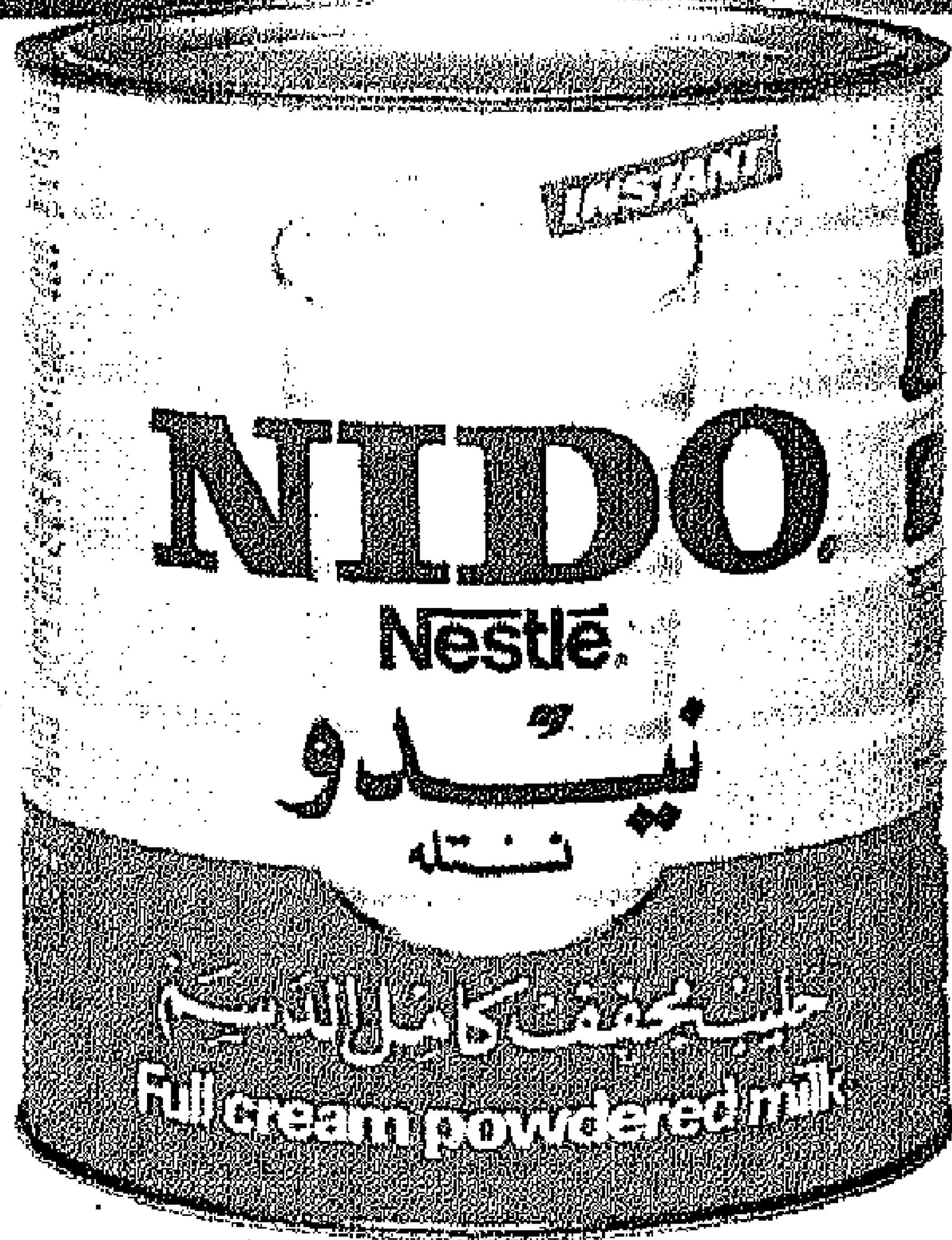
الشروط الشروط الشروط الشروط

● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة، ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: **مجلة المختار من ريدرز دايجست ـ شارع المقدسي بناية الشرتوني ـ ص ب: ٨٧٠٧ ـ بيروت ـ لبنان.**

أمّنوا لأولادِكُم نُموّاً صَحيحاً





نيدو السريع الذوبان هو حليب كامل الدسم يحتوي على كافّة العناصر الغذائية التي توفّر لأولادكم نموّاً متكاملاً. فالبروتين والكالسيوم وفيتامينات "أ" و"د" وغيرها من العناصر الضروريّة المتوفّرة في نيدو السريع الذوبان تجعل عظامهم صلبة وأسنانهم متينة وأبدانهم صحيحة قويّة.

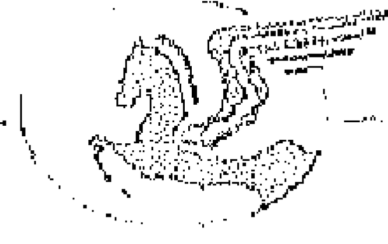
نيدو السريع الذوبان هو حليب بقري صافٍ ونقي من الجراثيم، يخضع قبل تجفيفه وتعبئته الى عدّة تحليلات مخبريّة دقيقة ليصبح خالياً من كل شائبة.

نيدو السريع الذوبان طعمه لذيذ، يحضر بسرعة، ويحبّه أولادكم بارداً أو ساخناً في الصباح وفي المساء وفي أيّ وقتٍ من النهار.

نيدو السريع الذوبان

لينموَ اولادكم وينعموا بالعافية

Nestlé. تصميم نستله



المختـــار

من ريـــدرز دايجســت

مجـلة شهريـة

رئيس التحرير: ادمون صعب.

امانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: لولو بعاصيري.

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ« ريدرز دايجست »:

رئيس التحرير: ادوار ت. طومسون، مدير التحرير: آلان دوليرو، المدير العام: جون ا. اوهارا.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس. الناشر: شركة راس الخيمة للمنشورات الدولية ـ بيروت. الخدمات الصحافية: شركة النهار ش.ت.م.ل. بيروت. التحرير: شارع روما، بناية هاشم، ص.ب ٢٢٦ ـ ١١ التلكس (الموقت) ANAHAR 22322 LE بيروت. التلفون ٣٤٠٥٥٦ ـ ٣٤٠٠٤٤. الادارة والاعلانات والاشتراكات: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، الطبقة السادسة، ص.ب ٨٧٠٧ ـ ١١، التلكس LE 22288 التلفون ٣٤١٥٩٧ ـ ٣٤٥٧٣١

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest. 37 Avenue George V. 75008 Paris, FRANCE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت. الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية، بيروت. التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

تنشر « ريدرز دايجست » في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانيـة، الاوستراليـة، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية(وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية اضافة الى العربية.

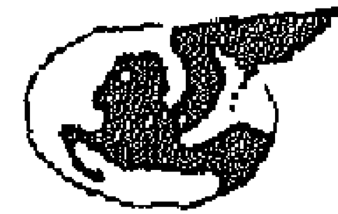


MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

الغلاف: بنولا خريفية (ادوين ماثيوس ـ كندا)

AL MUKHTAR min Reader's Digest

September 1982 N°46 (New Series) Vol 4.



اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون « ريدرز دايجست » في ١٨٠ بلداً بـ ١٧ لغة.

صَبَاح الخيْر!





نسكافه



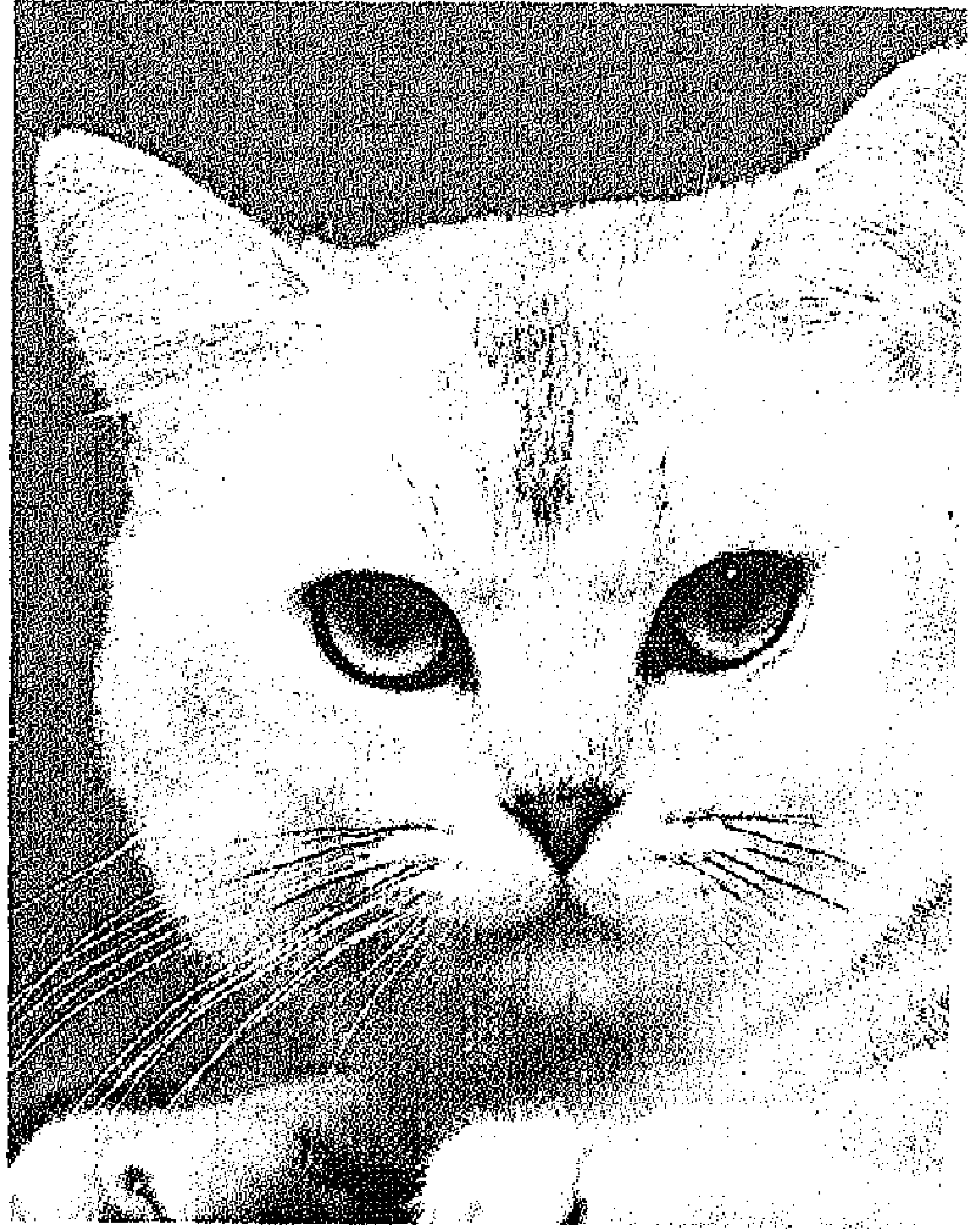
كوبٌ من نسكافه مع الحليب ، في الصباح
وفي أي وقت ، يجعل نهارك أكثر بهجة وإشراقاً.
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة ، تملأك حيوية ونشاطاً.
نسكافه ، فقهوة ١٠٠ بالمئة صافية ، سريعة التحضير.

PI 2959

نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.

نسبت اليها الخرافات ونسجت حولها الاساطير·
هذه الحيوانات الصغيرة تغزو اليوم بيوت العالم

عشق القطط



قيل ان النبي محمدا (صلعم) قطع مرة كم عباءته كي لا يوقظ هرا نام عليه· وكان صموئيل جونسون يدلل قططه باطعامها المحار الفاخر· وروي ان نابوليون تفصد عرقا ذات مرة حين رأى قطة، وان آلبرت شفايتزر كان يلوذ بطريقتين هربا من البؤس البشري، اولاهما العزف على الارغن والثانية ملاعبة قططه ومراقبة حركاتها·

وكانت اقوام وثنية تؤله القطط واخرى تعتبرها فصيلة شيطانية· غير ان نظرة الناس الى هذه الحيوانات ظلت دائما مشوشة ومتناقضة· لقد خصص لها الفن المصري القديم كثيرا من نقوشه، وقدرها المزارعون لمطاردتها الجرذان، ودللها الكبار والصغار· هذه المخلوقات حظيت بافضل معاملة واسوأها طوال ٣٥٠٠ سنة منذ ما تدجنت والفت بني البشر·



لتحضير الحساء بالخضار، تختار مَاجي أجوَد أصناف الخضار الطازجة المزروعة في حقول سويسرة الخصبة ثم تجففها وتستخلص منها العناصرَ الغذائيّة وتغلّفها على أحدث الطرُق الحديثة، في عبوات لا تمسّها الأيدي ولا ينفذ إليها التلوّث.

طبق كلّه عافية مَاجي

PI 3159 A

ولكن سواء اكنت تحبها ام تكرهها، فتربية القطط باتت ولعا جنونيا يجتاح العالم اليوم. وتقتني العائلات الامريكية وحدها ٣٤ مليون قط، اي بزيادة ٥٥ في المئة عما اقتنته في العقد الماضي. اصحاب هذه القطط سينفقون هذه السنة مليارا و٦٠٠ مليون دولار لشراء الطعام المخصص لها، و٢٠٠ مليون دولار اخرى لشراء الرمل للصناديق التي تطمر فيها برازها والتي لا غنى عنها في البيوت. وتعرض الان في الاسواق سلع مميزة من ملاءات ومناشف واحواض زهر وتقاويم وآنية وساعات ومظلات وقمصان وقرطاسية طبعت عليها صور قطط، وتباع هذه في محلات اطلقت عليها اسماء مثل "القطة السحرية" في لوس انجلس. وهناك فندق خاص بالقطط في "براري فيو" في ولاية ايلينوي تتلى فيه على القطط رسائل من اصحابها المسافرين. وتتباهى ولاية كاليفورنيا اليوم بمنتجع ودار نقاهة للقطط ووكالة لتأجيرها واخرى لتنظيم لقاءات بين محبيها، وفيها اطباء نفسانيون للقطط وتعقد مباراة سنوية خاصة لاختيار صاحب اجمل مواء بين القطط المتبارية.

وتتوافر للقطط المحظوظة خدمات كمالية كمدرب متخصص يعنى بتعليمها استخدام المرحاض وسرير يطوى وحصان هزاز تلهو به حين تكون مضطربة الاعصاب وفراش معبأ بالماء. وتعرض دور النشر في المكتبات اكثر من ٢٥٠ كتابا عن القطط، وصانعو الرسوم المتحركة (الكارتون) والكاريكاتورية يجنون ملايين الدولارات من اشرطة وكتيبات تتناول هذا الولع الجنوني بالقطط. ويقول جيم ديفيس مبدع القط "غارفيلد" الشهير: "ان في اعماق نفوسنا جميعا الرغبات عينها، لكن القطط تمتلك الشجاعة لتحيا وفق هذه الرغبات."

حاسة سادسة - هذا الاهتمام يغدقه الناس على حيوان غير عادي حقا. فالقطة العادية تزن نحو ٤،٥ كيلوغرامات ولها عمود فقري مرن الى حد بعيد. فاذا امسكت قطة مقلوبة على ظهرها واسقطتها من ارتفاع ٦٠ سنتيمترا فقط، فانها تستقيم عائدة الى وضعها الصحيح خلال برهة لا تصدق، هي ثمن (١/٨) الثانية فقط، ثم تصل الى الارض واقفة على قوائمها. شعرات شاربيها تنقل الى مجمعات للاعصاب تحت الجلد معلومات معقدة عن طرائدها والظروف المحيطة بها. ويقول عالم نفساني ان القطة تنعم بنوع من الحدس او بحاسة سادسة تتجاوز نطاق الحس العادي. ويروي ان قطا يدعى "بوه" تركه اصحابه وانتقلوا الى منزل جديد في مدينة اخرى تبعد ٣٠٠ كيلومتر. فلحق بهم وجاء يطرق باب بيتهم الجديد بعد مضي سنة كاملة.

اذنا القطة مرهفتا الحساسية. وهي

من اكثر الحيوانات المفترسة تطورا، وفي وسعها القضاء على اكثر من عشرة فئران في معركة قصيرة. والمثير انها تنزع الى تعذيب طريدتها بالتلاعب بها قبل قتلها. وربما كان ذلك من اجل تدريب صغارها على الصيد او لاظهار ضراوتها.

والقطط بحكم غريزتها تعتبر ظواهر الخوف او الكراهية اشارة عداء من الزوار الغرباء. حتى اشد المولعين بالقطط تدهشهم - واحيانا تريعهم - تصرفات غريبة لحيواناتهم المحببة. فقد تقفز قطة فجأة الى كتف صاحبها من فوق الثلاجة تعبيرا له عن حبها، او ترفض تناول اي طعام الا اذا طها لها مزيجا من اللحم والجبن قدمه اليها قبل اسبوع.

وما زال المعجبون بالقطط، منذ عهد كليوباترا، يمجدون القطط لجمالها وذكائها وجلدها واعتمادها على نفسها اضافة الى طباعها المتعنتة. فعلى نقيض الكلاب والبشر لا تشكل القطط جماعات ذات مصالح مشتركة وليست لها بنى هرمية يقودها فرد لتحقيق اهداف وغايات معينة. وهي قد تنتقي قائدا، لكنها لا تشعر بحاجة الى التزام رتبي عندما تعيش معا.

ويعتقد كثيرون ان القطط لا يمكن تدريبها. لكن الخبراء يؤكدون خلاف ذلك. فباستخدام الطعام والعاطفة - مع التشديد على العاطفة - يمكن تعليم معظم القطط المنزلية ان تقعد حين تؤمر او ان تنبطح ارضا او تتدحرج.

المصريون القدماء كانوا يرفضون اعتبار القطط مجرد حيوانات من هذا العالم، ولذا كانوا يدفنونها في احتفال مهيب ويدفنون معها فئرانا محنطة لتأكلها في "العالم الاخر". وبحلول القرن العاشر استقر الرأي على اعتبار القطط مطاردة للفئران فحسب. ولكن في بداية القرن الثالث عشر اخذ الناس يطاردون القطط ويعذبونها باعتبارها تجسيدا للشيطان الرجيم. وتروي المؤلفة موريبيل بيدل في كتابها "القطة" انه في العام ١٦٩٩ اتهم ٣٠٠ طفل في مدينة مورا في اسوج (السويد) باستخدام القطط الشيطانية لسرقة الزبدة والجبن واللحوم. واعدم ١٥ طفلا منهم وظل ٣٦ آخرون طوال سنة كاملة يجلدون بالسياط كل يوم احد. وفي اواسط القرن الثامن عشر عادت القطط لتحظى بالرعاية، وجعلها فريدريك الاكبر حارسة لمخازن جيشه. وادت الثورة الصناعية الى التعجيل في القبول الاجتماعي بالقطط فعهد اليها في مهمات مفيدة مثل مطاردة القوارض في المدن.

الفروع التسعة لتسجيل القطط في أمريكا الشمالية تتضمن معلومات عن ٥٠٠ الف قطة اصيلة، معظمها متحدر من سلالات غريبة. وقد يبلغ ثمن الجرو من النوع الحبشي الممتاز او من

٣٤ فصيلة اخرى نحو ٣٠٠٠ دولار. وقد نظم نحو ٤٠٠ عرض للقطط في الولايات المتحدة وكندا عام ١٩٨١. وفي فبراير (شباط) ١٩٨٤ حضر "المعرض الامبراطوري للقطط" الذي اجري في حديقة ماديسون سكوير في نيويورك ١١،٢٠٥ مشاهدين.

دمى كبيرة - قبل عقد كان معظم الاطباء البيطريين يخصصون للقطط ٢٠ في المئة فقط من وقتهم. لكن هذه النسبة ارتفعت الان الى نحو ٥٠ في المئة. كما تحسنت العناية بالقطط على نحو ملحوظ خلال السنوات الثلاثين المنصرمة، حتى ان متوسط عمر القطة المنزلية قفز الى ما بين ١٦ و١٨ سنة، اي بزيادة تراوح بين ٦ و ٨ سنوات.

وهناك اطباء مختصون بمعالجة القطط المنحرفة المزاج. وينصح مايكل فوكس، وهو طبيب بيطري مقيم في واشنطن، باجراء تدليك للقط على الطريقتين الشرقية والسويدية.

جنجر هاملتون هي احدى ستة اطباء نفسانيين للقطط في الولايات المتحدة، وهي تقول ان اكثر المشاكل العاطفية التي تصيب القطط ناشئة عن الغيرة. ولدى هاملتون بضع زبائن من نساء تزوجن حديثا ويتذمرن من ان القطة المدللة لا تطيق ان يقاسمها الزوج الجديد عاطفة صاحبتها. وقد عمدت قطة ناقمة الى التبويل يوميا على جانب الفراش المخصص للزوج،



ـندما تطيرون على متن الخطوط الجوية
ـية تجدون استقبالاً عائليًا بانتظاركم في
، مضيفات ومضيفو الارض من جنسياتكم
ـن بكم بلغتكم الأم ويزوّدونكم بكل المعلومات
ـتاجون اليها ليتأكدوا من أن بقاءكم

أو مروركم هو غاية في المتعة وقلة المشاكل.
ماذا بعد، ستحلّون في إحدى المحطات
الجوية الأكثر عصرية في العالم، كل شيء في
شارل ديغول ٢، محطة الاكسبريس، مصمّم
ليوصلكم الى وجهتكم بطريقة أسرع وأكثر

راحة من أيّ وقت سابق.
الاستقبال العائلي ومحطة الإكسبريس الجديدة
يجعلان من سفركم مع الخطوط الجوية الفرنسية
سفرًا ممتعًا على الأرض كما في الجو.
في سفركم المقبل - إذن - طيروا عبر باريس.

AIR FRANCE

الخطوط الجوية الفرنسية - الاستقبال الحسَن.

بينمالجأت أخرى الى التبرز على كرسي فطور العريس. ولذا تحاول هاملتون - فرويد القطط - المعالجة بطريقة المعلم الرائد ذاته في مقابل ٥٠ دولارا للساعة. وتقول : "احاول اولا ان اكتشف اذا كانت القطة نشأت في منزل تبقى فيه صحاف طعام الجراء نظيفة، واذا كانت الام اتقنت تدريب جرائها، وما هي الطباع الشخصية للقطين الابوين."

ويرى بعض الخبراء في ولع الامريكيين الطاغي بالقطط تحولا فيالنفسية الوطنية. ويقول روبرت بربر وهو طبيب بيطري يعمل فيالمركز الصحي للفصيلة السنورية في نيويورك : "قبل ثلاث سنوات كان ٥ في المئة من زبائني من الرجال، واليوم اصبحت النسبة ٢٥ في المئة. فهم تعلموا ان الرجل يمكن ان يقتني قطا ويبقى رجلا."

وتضيف دونا دانلاب وهي صاحبة محل لبيع الحيوانات الاليفة : "لم يعد اقتناء القطط وقفا على الاولاد والكهول، بل اصبح الشبان المثقفون يقتنونها ايضا."

ان صعوبة اقتناء كلاب في المدن، حيث حجم الشقق يضيق والانظمة البلدية تلزم صاحب الكلب تنظيف اقذار كلبه، ربما كانت السبب في تحول الناس الى القطط التي لا تتطلب سوى صندوق لطمر برازها.

كما يحتمل ان تكون القطة، بطباعها الرصينة ونزعتها الى الوحدة وعدم الاختلاط، تمثل حال ٤٣ فيالمئة من البيوت الامريكية حيث يعيش بالغون منفردين. حتى في السجون يبدو ان وجود القطط يخفف عذاب الحياة وراء القضبان. فبعض السجناء في اصلاحية "لورتون" في فرجينيا يقتنون خمسة قطط معا. ويقول تشارلز ريتشاردسون الذي يقضي عقوبة بالسجن من ١٠ سنين الى ٤٠ سنة لارتكابه جريمة سطو : تعلمك القطط ما لا يمكن رفاقك هنا ان يفهموه. انها تمحضك الحب ولا تصرخ في وجهك ولا تسرقك."

وسواء اكانت القطط تمثل انقلابا نفسانيا ام تجتذب اهتمامنا لانها مفيدة وتجمل المنزل، فانها بلا ريب محببة. ووحشية القطة، اي طبعها الغريزي العملي حتى في مظهرها المحور، يستحوذ على الاعجاب. ففي حين ينسب اليها عدد من الحوافز الطبيعية المتطورة، فهي يسحرها الانسان فقط لانه يستثير فيها طبعا طفوليا مكبوتا. فنحن نبقى بالنسبة اليها دمى كبيرة تلاعبها او مربية ترعاها وتملك بعض الالات المدهشة كمفتاح العلب والورق المخشخش والحرامات الدافئة.

ترى هل يمكنها ان تغري هؤلاء الناس بأن يفتحوا لها بيوتهم وقلوبهم وثلاجاتهم؟ يبدو انه امتحان ستفوز القطة فيه.

■ ج. ريد



العملة التي يحملها كل رحالة خبير

المسافرون الخبيرون الذين يجوبون العالم هم أدرى من ان يحملوا عملة عادية. انهم يفضلون عملة عالمية: شيكات بنك اميريكا السياحية. فهذه الشيكات قابلة للصرف في اكثر من ١٦٠ بلدا وللاسترداد في اكثر من ٤٠٠٠٠ مكان حول العالم. وهي الآن متوفرة بعملات العالم الرئيسية: الدولار الاميركي، المارك الالماني، الجنيه الاسترليني. وشيكات بنك اميريكا السياحية تدعمها مؤسسة بنك اميريكا كوربوريشن التي تبلغ اصولها اكثر من ١٠٠ بليون دولار امريكي. فلا عجب اذن أن المسافرين الذين يعرفون طريقهم يحملون شيكات بنك اميريكا السياحية حيثما ذهبوا.

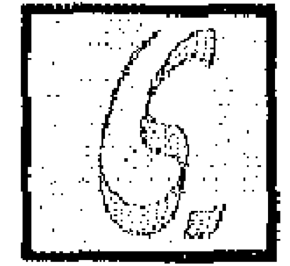
BankAmerica Travelers Cheques. World Money.*

BA CHEQUE CORPORATION
A BANKAMERICA COMPANY

الغذاء:

السلاح السري في الحرب الباردة

تسلط اضواء منذ سنوات على الغذاء، خصوصاً الحبوب، كمادة استراتيجية في عمليات التبادل الاقتصادي والتأثير السياسي في العالم. وعلى غرار النفط الذي يعتبر مادة معرضة للنفاد والنضوب، اذا ما ابقت الدول المنتجة على وتيرة انتاجها والدول المستهلكة على مستوى استخدامها لهذه المادة، فان انتاج الغذاء معرض للتناقص. وهناك من يطرح فكرة منظمة تعرف باسم "فوبيك" تضم الدول الرئيسية المنتجة للغذاء في العالم ويكون هدفها النهائي خلق توازن في انتاج الاغذية واستهلاكها من جهة، والمحافظة على خصوبة الاراضي الزراعية من جهة اخرى.



يوم ٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٠ استخدمت الولايات المتحدة، للمرة الاولى، الغذاء سلاحاً ضد الاتحاد السوفييتي. وقبل ذلك بأسبوعين كانت القوات السوفييتية دخلت افغانستان. وأعلن الرئيس الامريكي السابق جيمي كارتر ان ذلك لن يمر "من دون عقاب."

"العقاب" كان حظر بيع الحبوب للاتحاد السوفييتي.

في البداية أيد المزارعون الامريكيون ومواطنوهم سياسة الرئيس الحازمة، على رغم ان الحظر أوجد فائضاً مفاجئاً من الحبوب جعل اسعارها تتدهور بسرعة. ولكن اتضح للحال ان هناك دولا اخرى كانت متشوقة لبيع الحبوب، فتضررت

الولايات المتحدة ومزارعوها من الحظر بمقدار ما تضرر الاتحاد السوفييتي. وفي ٢٤ ابريل (نيسان) ١٩٨١ رفع الرئيس الجديد رونالد ريغان الحظر.

قال وزير الزراعة الامريكي جون بلوك: "من وجهة نظر المزارعين كان الحظر على الاتحاد السوفييتي كارثة شاملة." وعلى رغم ذلك فما زال بلوك يعتقد ان على الولايات المتحدة ان تكون مستعدة وراغبة في استخدام الغذاء سلاحاً.

هل ان بلوك على حق؟ وهل في امكان الولايات المتحدة استخدام صادرات الغذاء كسيف ديبلوماسي؟

الولايات المتحدة تتحكم بما يزيد على ٥٧ في المئة من صادرات الحبوب العالمية. ومن بين دول العالم الـ١٧٣ هناك ٨ فقط تنتج من الغذاء اكثر مما تستهلك، وهي: الولايات المتحدة وكندا واوستراليا ونيوزيلنده والارجنتين وجنوب افريقيا وفرنسا وتايلاند. وبين هذه الدول الثماني، وحدها الولايات المتحدة تتمتع بالقدرة على احتكار صادرات المواد الغذائية الى مدى يفوق قدرة منظمة الدول المصدرة للنفط "اوبيك" على التحكم بصادرات النفط.

اذاً، ماذا كان وجه الخطأ في حظر بيع الحبوب الذي فرضه الرئيس كارتر؟ الاجوبة عن هذا السؤال معقدة. لكن العبر التي يمكن استخلاصها حيوية جداً. فلكي يكون اي حظر فاعلا يجب الا يُخرق، والخروق كانت وافرة في الحظر الذي فرضه كارتر. لننظر الى هذه الوقائع:

● التزم كارتر الاتفاقات السابقة لتسليم الحبوب الى الاتحاد السوفييتي. ونتيجة لذلك تلقى الاتحاد السوفييتي من الولايات المتحدة مباشرة، خلال سنة التسويق ١٩٧٩/ ١٩٨٠، خمسة عشر مليون طن من اصل ثلاثين مليوناً كان اشتراها من دول مختلفة (معظم هذه الكمية وردت قبل تطبيق الحظر).

● كانت دول اوروبا الشرقية قبل الحظر طلبت ١٦ مليون طن من الحبوب الامريكية. وعندما طبق الحظر رفعت طلباتها فجأة الى اكثر من ١٨ مليون طن، وبيعت الحبوب من دون ابطاء. قال رئيس مجمع ساسكاتشوان للقمح في كندا ربيع ١٩٨٠: "يجب ان يكون المرء على جانب كبير من السذاجة ليصدق ان الصادرات الاضافية الى تلك المنطقة لم تجد طريقها الى الاتحاد السوفييتي."

● على رغم ان الدول المنتجة للغذاء والصديقة للولايات المتحدة وافقت على ابقاء صادراتها الى الاتحاد السوفييتي على المستويات "العادية التاريخية"، فأن هذه الدول في الواقع باعت الاتحاد السوفييتي من الحبوب ضعف ما كانت باعته في السنة السابقة.

بعض الحقائق — عدد سكان العالم ارتفع بسرعة خلال العقود الاخيرة، لكن انتاج الاغذية ارتفع كذلك. والحقيقة ان مقدار المواد الغذائية المتوافرة للفرد ازداد فعلياً خلال العقدين المنصرمين. وتقدر منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة انه، حتى خلال السنوات الاخيرة حين بدا ان المجاعة اوشكت

ان تدهم العالم، كان اكثر من ثلاثة بين كل اربعة اشخاص "يقطنون في بلدان مكتفية ذاتياً من حيث تأمين الطاقة الغذائية بنسبة ٩٥ في المئة او اكثر." وفي حالات كثيرة انتجت أشد الامم فقراً محاصيل (على اساس الهكتار) لا تتجاوز نصف معدل الانتاج الامريكي. هذه الحقيقة، اضافة الى وجود مساحات واسعة من الارض الصالحة للزراعة غير مستغلة في الدول النامية، تبشر بأن هذه الامكنة نفسها قد توفر اعظم الفرص لزيادة انتاج الطعام في السنوات المقبلة.

اولئك الذين يزعمون ان في وسع الولايات المتحدة بمفردها ان تستخدم "سلاح الغذاء" كما تستخدم دول منظمة اوبيك "سلاح النفط" يتناسون بعض الحقائق. ففي العالم دول قليلة يمكنها ان تقيم منصة حفر وتظفر ببئر نفط. لكن دول العالم كلها تستطيع ان تزرع وتنتج طعاماً أوفر. اما القول ان الولايات المتحدة تتحكم بـ٥٧ في المئة من صادرات الحبوب في العالم فيبدو امراً خطيراً الى ان يدرك المرء ان مجموع ما يتم استيراده وتصديره لا يتجاوز ثُمْن (١/٨) ما في العالم من حبوب. وهذا يعني ان الولايات المتحدة تتحكم بـ٨ في المئة فحسب من مجموع المحصول العالمي من الحبوب.

بالمقارنة مع هذا الوضع تتحكم منظمة اوبيك بأكثر من نصف مقادير النفط المتوافرة للاستهلاك العالمي. ومع ذلك فان المنظمة، في مواجهة تدابير الاحتراز والتحول الى مصادر بديلة للطاقة في الدول المتطورة، تجد من العسير استخدام سلاح نفطها. فالاسعار الحقيقية للنفط في اسواق العالم، بعد تعديلها لمقاومة التضخم، اخذت الآن تتدنى. ولا يتوقع ان تعود الى الارتفاع في المستقبل القريب الا في حال انقطاع الامدادات من الخليج العربي على نحو خطير.

المبادرة الحرة — ولكن اذا تسنى لدول عدة ان تتجه نحو الاكتفاء الذاتي في انتاج الغذاء فان هناك دولة كبرى واحدة ما زالت تعاني عجزاً مزمناً في هذا المضمار على رغم كل محاولاتها الجادة، وهي الاتحاد السوفييتي.

احدى المعضلات التي يواجهها الاتحاد السوفييتي هي الطبيعة. وبما ان ثلثي الاراضي الزراعية الممتازة في تلك البلاد تقع ضمن المنطقة الباردة الى شمال خط العرض ٤٩، فأن المحاصيل السوفييتية مبتلية بأحد اسوأ مناخات العالم. لكن المناخ هو واحد من المشاكل التي يعانيها السوفييت. فالمشكلة الاخرى هي السياسة الاقتصادية. وقد عمد الرئيس ليونيد بريجنيف، اخيراً، وببعض تردد، الى ارخاء الزمام قليلا والسماح للمواطنين الريفيين بزرع حدائقهم الخاصة وبيع محصولها. غير ان هذه "المبادرة الحرة" لا تستغل سوى واحد في المئة من الارض المزروعة. ولكن حسبما جاء في الصحيفة الاقتصادية الروسية "ايكونوميشسكايا غازيتا" ساهم هؤلاء المنتجون الفرديون عام ١٩٨٠ في ٣١ في المئة من منتجات اللحوم و٣٠ في المئة من الالبان و٣٢ في المئة من البيض و٣٥ في المئة من

البقول و٦٤ في المئة من البطاطا و٥٨ في المئة من الفاكهة.

اما في الولايات المتحدة فان نحو ستة ملايين مزارع ينتجون من الغذاء ما يكفي حاجة البلاد كلها وحاجة جزء غير يسير من العالم. غير ان هذه الوفرة خلقت مشاكل جديدة. فقد ظلت المزارع الامريكية تنتج اكثر من الحاجة، وأدى فائض المحصول من الحبوب، عبر السنين، الى ابقاء الاسعار متدنية الى درجة مهلكة بالنسبة الى ملايين المزارعين. وفي اثناء الحرب العالمية الثانية اكتشفت الولايات المتحدة طريقة لمعالجة هذه الازمة المزمنة. فبدلا من اتلاف المواد الغذائية غير المرغوب فيها، اخذت تهبها دولا اخرى او تبيعها بأرخص الاسعار. وهذه السياسة أدت عام ١٩٥٤ الى سن القانون العام الرقم ٤٨٠ الذي يعرف ايضاً بقانون "الغذاء من اجل السلام."

وهذا القانون الذي انطلق بأكثر الدوافع واقعية وانسانية، أخذ الآن يتعرض للانتقاد اللاذع من الاحرار والمحافظين على السواء. فهذا البرنامج الخيري الشامل وفر الغذاء للجائعين، لكنه أدى الى ازدياد السكان في البلدان الفقيرة بسرعة كبيرة. ثم ان توافر الطعام المجاني او الرخيص كان يعني ان الفلاحين في هذه البلدان سيتعذر عليهم ان ينتجوا من أرضهم ما يكفي لتحسين أساليب حياتهم. وهذا حدا الملايين منهم على هجر الزراعة مما جعل بلدانهم أعجز من ان تقوم بأود سكانها من دون مساعدة خارجية.

وفي السنوات الاخيرة ادركت هذه البلدان ان الاسعار المرتفعة للغذاء تعني انتاج مقادير اكبر منه. وهذا الادراك ساعد الهند في التقدم نحو الاكتفاء الذاتي في المواد الغذائية. كما انه في السنة المنصرمة ادى ارتفاع الاسعار الى انتاج محصول قياسي في زيمبابوي الدولة الافريقية الحديثة العهد بالاستقلال. حتى جمهورية الصين الشعبية وجدت ان حوافز الانتاج الحر المتوافرة الآن في ٤٠ في المئة من مزارعها الجماعية شجعت على انتاج الاطعمة. واذا عم هذا التصور الجديد، فأن العالم يكون في الطريق الى حل مشاكل التغذية.

لكن الاتحاد السوفييتي، الذي يقاسي غالباً اخفاقات حادة في المحاصيل، سار في اتجاه آخر للحصول على الغذاء، وهو الاتجاه نفسه الذي خلخل اقتصاد الحبوب في العالم.

المجاعة المفاجئة – عام ١٩٧٢ دخل السوفييت السوق الامريكية واشتروا، عن طريق طلبات مع شركات مختلفة، نحو ربع محصول الحبوب في الولايات المتحدة. تصرف السوفييت سراً لأن انتشار اخبار مشترياتهم الضخمة كان سيوحي بأن الطلب على الحبوب يفوق العرض المتوافر، وبالتالي ترتفع الاسعار فجأة على نحو مثير. كما ان الوكلاء السوفييت في أماكن اخرى اشتروا حصة كبيرة من محاصيل بلدان اخرى بلغت نحو ٣٠ مليون طن من الامدادات المتوافرة في العالم تلك السنة.

بالنسبة الى المستهلكين الامريكيين كانت لهذه العملية السوفييتية عواقب مؤلمة. فضآلة

المحاصيل الامريكية خلال سنوات التضخم التي أعقبت المشتريات السوفييتية ادت الى ارتفاع الاسعار بحدة. كذلك ارتفعت اسعار اللحوم والبيض والالبان وسواها من منتجات المواشي والدواجن التي تقتات بالحبوب.

غير ان ما كان مؤلماً في امريكا كان مهلكاً في اماكن اخرى من العالم. فمع تناقص امدادات الحبوب دهمت المجاعة الناس. وقد كتب لستر براون رئيس معهد "وورلد ووتش" في واشنطن انه خلال العامين ١٩٧٢ و١٩٧٣ "اكتشفت الحكومة الهندية ان الاتحاد السوفييتي حجز معظم امدادات القمح المعدة للتصدير في العالم." ويضيف براون انه، في ثلاث مناطق هي الافقر في الهند، سجلت زيادة ٨٢٩ الف وفاة على ما شهدته السنوات السابقة. وبين ١٩٧١ و١٩٧٥ قضى جوعاً نحو ٧٦٠ الف نسمة في بنغلادش، الدولة الثامنة في العالم من حيث كثرة السكان. واسفر الجوع عن ٢٠٠ الف وفاة في اثيوبيا، كما قضى عدد مماثل من جراء المجاعة التي عمت البلدان الفقيرة على الحدود الجنوبية للصحراء الكبرى في افريقيا.

الحبوب في مقابل النفط؟ — ان الهزة التي احدثتها المشتريات السوفييتية عام ١٩٧٢ لم تقتصر على المجاعة. فالمشتريات التي زاد حدتها ضعف المواسم في انحاء العالم، تسببت في ارتفاع مذهل في اسعار الحبوب حين أخذت الدول تتسابق للحصول بأي ثمن على اي نوع متيسر من الغذاء. وأدركت الدول المنتجة للنفط ان قيمة نفطها آخذة في التدني بالنسبة الى اسعار الاغذية التي تحتاج الى استيرادها. وقال شاه ايران السابق ان هذا كان الدافع الحقيقي الى فرض الحظر النفطي عام ١٩٧٣ الذي ما زالت اصداء التضخم والفوضى الناشئة عنه تتردد بعد مضي تسع سنوات.

عندما تضاعفت اسعار النفط اربع مرات في اسواق العالم، بعدما اثبت سلاح اوبيك النفطي فاعليته، نشأت في الولايات المتحدة حاجة الى العثور على طريق ما لتوفير المبلغ الهائل المطلوب لشراء النفط الاجنبي. ووجدت البلاد جزءاً كبيراً من هذا المال في الغذاء. وفي ١٩٧٣، حين بلغت اسعار الحبوب أعلى مستوى عرفته في اي وقت، باعت الولايات المتحدة دول العالم ما قيمته ٩ مليارات دولار من الاغذية. وفي ١٩٧٤، في اعقاب الحظر النفطي، باعت الولايات المتحدة ما قيمته ٢١ مليار دولار من المواد الغذائية وبحلول ١٩٨١ كانت الولايات المتحدة تبيع العالم ما قيمته ٤٦ مليار دولار، وبعوائد هذه المبيعات سددت نصف قيمة فواتير النفط المستورد.

وهكذا أصبح فائض الحبوب في امريكا اكثر الصادرات نفعاً وعاملا جوهرياً في ابطاء عملية النزف النقدي الامريكي في اتجاه الدول الاجنبية المنتجة للنفط. وبالتالي اصبحت الحبوب الذهبية السلعة الوحيدة التي تؤمن لامريكا حاجتها من الذهب الاسود.

المخزونات المتناقصة — ولدى

التفكير في أمر استخدام امريكا سلاح الغذاء كما تستخدم دول اوبيك سلاح النفط، بدأ المحللون يكتشفون أوجه شبه مهمة بين الغذاء والنفط.

ذات مرة كان النفط رخيص الثمن. وكانت بحيرات طبيعية ضخمة من هذا السائل الثمين ترقد على عمق امتار قليلة تحت رمال المملكة العربية السعودية. وكان ضخ برميل نفط من جوف الارض يكلف أقل من عشرة سنتات. وبدا للسعوديين ان دولاراً واحداً ثمناً للبرميل هو سعر مربح. ولكن سرعان ما اتضح لهم انه مهما بلغت ضخامة المخزونات النفطية الطبيعية في ارضهم فأنها ستنضب يوماً. وعندما يحين ذلك اليوم سيغدو النفط سلعة ثمينة جداً. لهذا بدا لهم انه ليس من الحكمة بيع مخزونهم المحدود بهذا السعر الزهيد.

معظم الامريكيين لا يرون وجه الشبه بين سهول القمح الذهبية التي تمتد فوق اراضيهم والنفط المتدفق من آبار السعودية. انهم يعتبرون الغذاء مورداً يتجدّد ابداً سنة بعد سنة. لكنهم مخطئون. فالطعام في امريكا، كالنفط في السعودية، سينفد يوماً. النفط والقمح كلاهما نتاج مخزونات طبيعية ثمينة ومحدودة، وحين تستنفد فانها لا تعود.

ماذا يحدث عندما تنمو سنبلة القمح او عرناس الذرة؟ مِمَّ تتركب هذه الحبوب الثمينة التي ترسل الى ما وراء البحار؟ الجواب هو ان هذه الحبوب تتركب من التراب والماء. وهذان مصدران يتناقصان باستمرار.

تحتاج الطبيعة الى مدة تراوح بين ١٠٠ و١٠٠٠ سنة لتهييء سماكة ٢٥ مليمتراً من الطبقة العليا الخصبة في التربة، وهي التي تحوي المواد الحيوية التي تستمد منها النباتات غذاءها. ولكن في تزاحم الامريكيين على استدرار اقصى ما يمكن من طعام من ارضهم، فانهم يستهلكون ما معدله ٢٥ مليمتراً من الطبقة العليا الخصبة في ارضهم كل ٤٥ سنة.

أين تذهب هذه الطبقة الغنية؟

انها تصدر الى اماكن في الخارج اهمها الاتحاد السوفييتي. فعندما تبيع الولايات المتحدة كميات هائلة من الحبوب، فانما هي تصدر تربتها الخصبة، تماماً كما تفعل السعودية حين تصدر نفطها.

كان في وسع المزارعين الامريكيين سابقاً ان يحافظوا على خصب ارضهم ويمنعوا استنفادها على هذا النحو. فقد كانت محاصيلهم معتدلة، وبعد سنوات من ارهاق التربة بزراعة الحبوب كانوا يتركونها لترتاح او يزرعونها بالخضر وسواها من النباتات التي تعيد الى التربة النيتروجين والمغذيات الجوهرية. لكن الامريكيين ينزعون الآن الى استغلال حقولهم دونما انقطاع، فينتجون مواسم مربحة من الحبوب ويغذون أرضهم قسراً بالاسمدة بمعدل ٢٢٥ كيلوغراماً سنوياً لكل هكتار من الارض المنتجة.

ويقدر مسح اجرته وزارة الزراعة في الولايات المتحدة ان فقدان الطبقة العليا الخصبة بالمعدل الحالي، مع تضافر عوامل اخرى، سيخفض محصول المزارع الامريكية بمقدار ٨ في المئة خلال ٥٠ سنة اذا لم تتخذ اجراءات جذرية لحماية الطبقة

الخصبة في الارض. معظم المزارعين يدركون هذا الواقع. ولكن، يقول لستر براون، على اساس المدخول الحاضر سيكلف حفظ التربة ثلاثة اضعاف ما يمكن المزارع ان يسترده من تحسين محاصيله باتخاذ الاجراءات المطلوبة. ولذا فانه يواجه الخيار بين ان يفلس الآن، عن طريق انفاق مبالغ ضخمة لتنشيط ترتبه، او ان يفلس بعد سنوات عندما تستنفد طاقة أرضه وتصبح عاجزة عن انتاج الغذاء.

اذا كانت المواسم الامريكية الحاضرة تعتمد كثيراً على الوقود المتحجر في جوف الارض (النفط والفحم الحجري) لصنع الاسمدة التي تغذي التربة المستهلكة، فأنها تعتمد الى مدى مذهل ايضاً على المياه الكامنة في جوف الارض.

ان خزانات مائية ضخمة ترقد في جوف الارض، مثل خزان أوغالالا الذي يمتد من ولاية داكوتا الجنوبية الى ولايتي تكساس ونيو مكسيكو. ومن كل ٣٨٠ ليتراً من الماء تستعمل في الولايات المتحدة يذهب ٣٠٧ ليترات الى ري المحاصيل. و٤٠ في المئة من ماء الري هذا يستخرج من آبار تضخ من خزانات جوفية.

والمشكلة هنا هي انه من كل ١٥ ليتراً من الماء الذي يضخ من خزان اوغالالا، لا تعوض الطبيعة الا ١،٥ ليتراً. لذا فأن مستوى المياه في هذا الخزان الجوفي ينخفض بما يراوح بين ٣٠ و٩٠ سنتيمتراً كل سنة. ومن المحتمل انه بعد ٤٠ سنة سيقصر هذا الخزان عن توفير مياه الري. وعلى غرار نفط السعودية، فأن هذا المخزون الثمين من الماء وقد ينضب.

حافز قوي ـ هذه الحقائق تقودنا الى استنتاج مذهل، وهو ان الولايات المتحدة تبيع حبوبها بسعر أقل من كلفته الحقيقية على المدى الطويل. انها تهدر مخزوناتها المحدودة من اجل استخراج الحبوب من ارضها الزراعية بأسرع ما يمكن ومن دون الاخذ في الحسبان قيمة هذه المخزونات وتقدير الثمن الذي تتقاضاه عنها.

والولايات المتحدة ليست وحيدة في هذا الوضع العسير. فجميع الدول المنتجة للحبوب تستهلك الطبقات الخصبة في اراضيها للحصول على منافع قصيرة الاجل. والجميع يشعرون أنهم مضطرون الى استدرار أقصى ما تنتجه أرضهم بهدف تسديد كلفة مستورداتهم النفطية.

ولكن الا يمكن اقناع الدول الرئيسية المنتجة للحبوب بأن تحذو حذو دول منظمة اوبيك، فيجلس مندوبوها معاً ويؤلفون منظمة للدول المنتجة للغذاء يدعونها "فوبيك" (★)، ويتفقون على طلب مقدار اكبر من الدولارات في مقابل مقادير أقل من الحبوب، فتحافظ بلدانهم على خصب أراضيها.

وعلى غرار منظمة اوبيك، ستسدي منظمة فوبيك هذه خدمة طويلة الاجل الى العالم أجمع. ان منظمة اوبيك اسدت الى امريكا، مثلا، خدمة كبرى، اذ أرغمتها هي ودولا اخرى مستوردة للنفط على الاقتصاد في استهلاك الوقود كما لم يحدث من

(★) حرف "الفاء" هو اول كلمة food الانكليزية التي تعني "الغذاء".

قبل، وعلى اثبات استقلالها الاقتصادي باعتماد مصادر بديلة للطاقة.

وكما تضاءلت سلطة منظمة اوبيك تجاه العالم الذي اصبح أقل اعتماداً على النفط المستورد، فأن منظمة فوبيك ستوفر للدول الاخرى حافزاً قوياً على الاهتمام بأنتاج حاجتها من الغذاء وبالتالي تؤكد استقلالها في هذا المجال. وهكذا، وعلى رغم ان منظمة فوبيك سترفع اسعار الغذاء لفترة قصيرة، فأن أثر ذلك على المدى البعيد سيكون زيادة انتاج الغذاء في العالم مما يدرأ خطر المجاعة عن كل الامم.

وفي القمة الاقتصادية التي عقدت في كانكون (المكسيك) عام ١٩٨١، عرض الرئيس الامريكي رونالد ريغان ايفاد خبراء زراعيين امريكيين الى اي دولة ترغب في تحسين وسائل انتاج الغذاء لديها. لكنه في الوقت نفسه عبر عن اعتقاده أنه اذا لم تبادر الدول الى تحمل مسؤولياتها لتطوير مواردها بنفسها، فسيتعذر انجاز اي تقدم حقيقي لاجتناب خطر المجاعة. ويقول حديث مأثور يحب ريغان ترديده: اذا أعطيت رجلا سمكة، فأنك تقيته ليوم واحد. اما اذا علمته صيد السمك، فأنك تقيته طوال الحياة.

هل تلجأ الولايات المتحدة الى استخدام الغذاء سلاحاً؟

انه قوة وضعتها الطبيعة في يدها. وعلى المسؤولين فيها ان يفكروا في افضل الطرق واحكمها لحث امم العالم على التطور والتعاون وثنيها عن العدوان. وكما تصور توماس جفرسون، الرئيس الثالث للولايات المتحدة (١٨٠١ ـ ١٨٠٩)، فان امريكا باستخدام حكيم للقوة التي حبتها بها الطبيعة يمكنها ان تجد في الطعام بديلا من السيف ووسيلة للحفاظ على السلام العالمي.

■ لويل بونتي



خروف بالمزاد العلني

في سوق ريفية حيث تباع رؤوس الماشية بالمزاد العلني، تقدمت فتاة صغيرة لبيع خروفها. ولما وصل الرقم الى عشرة دولارات للكيلوغرام الواحد، وقفت الطفلة بجانب خروفها تبكي. واشتد بكاؤها عندما ارتفع الرقم الى عشرين دولاراً. وأخيراً شق رجل أعمال محلي طريقه بين الجمع، واشترى الخروف بألف دولار، قائلا انه يفعل ذلك تعزية للطفلة التي آلمها التخلي عن خروفها، ثم تركه لها. وحيا الناس بادرته الكريمة بالهتاف والتصفيق.

وبعد بضعة أشهر، كتبت الفتاة موضوع انشاء قالت فيه: "ما أن بلغ الرقم عشرة دولارات للكيلوغرام حتى رحت أبكي فرحاً. وكان فرحي يتضاعف مع تضاعف الارقام. وعندما دفع ذلك الرجل الطيب الألف دولار وأعاد الخروف الي، لم أعرف كيف وجدت طريقي الى البيت. وهناك نحر أبي الخروف وأكلناه ونحن نتهلل فرحاً".

ج.و.

كلّ متزوّج يهمه أن يقيس مقدار حبه لشريك حياته. وهنا خمس طرق لتحقيق هذا الامر، من خبير ومؤلف في مسائل الحبّ والزواج

٥ براهين على الحب

بصفتي خبيراً في شؤون الحياة الزوجية، أتلقى آلاف الرسائل من الذين قرأوا كتبي أو استمعوا الى محاضراتي. ومن أسئلتهم المتكررة ما يأتي: "كيف يعرف المرء أن حبه حقيقي؟" وهنا نماذج مما يكتبون: "انه عظيم في جوانب كثيرة، ولكن..." "كنتُ أظن أن هذا هو الحب الحقيقي. غير أني في ما بعد..." "هل هناك طريقة تجعلني أتأكد مئة في المئة من الامر؟" أما أنا فأشك في هذا المقدار من اليقين. ويكون رائعاً لو انطلق المرء من ٥١ في المئة من اليقين في مسائل الحب، وبنى على ذلك.

الحب يعني اموراً كثيرة: الصداقة، المرح والضحك معاً، الجنس، الاستمتاع برفقة الآخر... ولكن ليس من السهل أن يقرر المرء ما اذا كان يحب شريكه حقاً. ولقد ابتكرتُ اختباراً من خمسة أسئلة يعين على الاجابة عن هذا التساؤل. فأذا كان الشخص المعني مزمعاً على الزواج، ففي امكانه قياس قوة العلاقة وصلاح الواحد للآخر. واذا كان متزوجاً، فهذا الاختبار يفتح له طرقاً جديدة لتنمية الحب.

١. الحرية

أيشجع أحدكما الآخر على الانصراف الى بعض النشاطات

الشخصية أو اقامة صداقات خاصة أو تقوية فرديته؟ الزواج الصالح يفسح أمام كل زوج استقلالية خالية من الشوائب.

في بدء عهدهما بالزواج، كان سعيد ونادية يستأثر أحدهما بالآخر حتى استحال حبهما سجناً. أما اليوم وقد أسس كلٌ منهما صداقاته الشخصية، فقد تحسنت علاقتهما.

وهناك صلاح الذي بلغت حماسته أشدها لملاحقة أسواق الاسهم المالية، في حين أن زوجته هدى يُضجرها ذلك الامر كثيراً. لكنهما توصلا الى تدبير هو عين الحكمة. وبات صلاح يرتاد البورصة عندما تخرج هدى لممارسة الرياضة.

الازواج الحكماء هم الذين توصلوا الى القناعة الآتية: نحن لا نتزوج كي يُصلح أحدنا الآخر أو يقيم له سياجاً. ونعتقد أنه خير لنا، في حياتنا الخاصة والمشتركة، أن نقتدي بكلمات المفكر اللبناني الكبير جبران خليل جبران: "اتركا فسحات في حياتكما المشتركة".

٠٢ نكران الذات

ثمة عبارات وأفعال يقولها أو يقدمها الشخص لشريكه بحيث تضفي رقة وجمالا على العلاقة. هذه الامور التي يحسن بالمرء التنبه اليها، وان لم يكن مرغماً عليها، هل حققتها في حياتك؟ ان الروح التي تسود الزواج الناجح لا تقوم على: "ماذا ستفعل من أجلي؟" بل على: "ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك؟" الحب غير الاناني يرتكز على الآتي: "أحبك لانك هناك، لأنك موجود".

طوال السنوات الاثنتين والاربعين التي انقضت على حياتنا الزوجية، حرصتُ وزوجتي على أن يقول أحدنا للآخر مرة على الاقل في الاسبوع: "احبك لأنك..." الا أن الكلمات ليست السبيل الوحيد لتحقيق الحب غير الاناني. وقد أخبرني رجل ما يأتي: "خابرتني زوجتي في مكتبي وسألتني اذا كنتُ مرتبطاً في الغداء. ولما قلتُ لها أني حر، أجابت: سأُعد غداء سريعاً وأوافيك الى الحديقة العمومية، لقد اشتقتُ اليك واريد أن أكون معك. أليسَ هذا رائعاً؟"

وكتبت امرأة اليّ: "لا يمكنني أن أصف غبطتي عندما يأتي زوجي باكراً ويقول: "ادخلي الحمام وخذي وقتك، وأنا سآخذ الاولاد الى الحديقة للعب".

ان تعابير الحب الصغيرة التي تصدر عن روح غير أنانية هي كبيرة فعلا ولا نهاية لها. فلا تدع هذه التعابير تفوتك.

٠٣ الاعتذار

هل تتجنب الانتقاد المفرط وتحاول الاعتراف بأخطائك؟ الحب الباقي لا يستغني عن عبارات من النوع الآتي: "سامحني"، "سامحيني"، "متأسف"، "لقد أخطأت".

وما الاعتذار سوى استعداد المرء للاعتراف بخطأه. واذا كانت هذه الميزة جزءاً من الحب فلا يبقى لدى المرء ما يخشاه أو يخبئه عن شريكه. والحب الحقيقي يقتضي كثيراً من الصفح والرحمة.

٤٠ الجنس

هل تعي حاجات شريكك الجنسية؟ لا شيء يضاهي الجنس من حيث اللذة والبهجة والمعنى، هذا اذا كان الجنس سليماً٠ أما اذا لم يكن، وفي حال قيام صعوبات، فالحب يقتضي التفهّم والمساومة٠

أن الروح التي تسود أفضل العلاقات الزوجية هي الآتية: "لنبحث في كل ما تحتاج الى الكلام عنه من أجل سلامك الداخلي"٠ هذه الحال من الود، وان تكن نادرة، يجب أن تغدو هدفاً٠

الرسائل التي تأتيني تدلّ على أنّ السعي الى الجماع وعدد المرات التي يحصل فيها جماع هما من الاسباب الرئيسية المؤدية الى الخلافات الزوجية٠ وتقول احداهن: "إنني أستمتع بالجنس معظم الاحيان، لكنه يريده أكثر مني٠ فهل هذا طبيعي؟" أجل، انه طبيعي٠ ومن الفوارق الكبرى بين الازواج أن الرجال، بما يخص الجنس، يسعون الى الكمية، فيما تسعى النساء الى النوعية٠ والحب الناضج يبدأ عندما يتحرّك هذان المسعيان كل في اتجاه الآخر٠

٥٠ المال

هل توصّلتُما الى مفهوم مشترك حول تحصيل المال وادخاره واعطائه وصرفه؟ المال يمكن أن يقرّب شخصين أو يباعد بينهما٠ وعلى الطرفين المعنيّين ان يعالجا المسائل التي يمكن الاختلاف حولها، وأن يطرحا أسئلة كالآتية: "هل نريد الاشياء نفسها؟ هل نحن متفقان حول معنى النجاح؟ ما هي أهدافك؟ ما هي أهدافي؟" والمؤسف أن هذه الاسئلة، والكثير مثلها، لا تُطرح٠

ويشكو أحد الازواج قائلا: "ان مصاريف زوجتي لا تنقطع، وأحياناً لا أعرف مغزى فواتيرها ومعنى ما تشتريه٠ أني أعدّ زواجنا جيداً٠ لكني أتساءل أحياناً عما اذا كان في امكاني أن أُسدد حساباتها على الدوام"٠

أني أعرف امرأة اخرى كهذه، لكنها اتفقت وزوجها على أن يضع لها حدوداً لا يمكن أن تتخطاها٠ كما أعرف زوجاً مبذراً سلم زوجته دفتر الشيكات، طالباً اليها أن تمده بالمال كلما وجدت ذلك مناسباً٠

والآن، ماذا؟

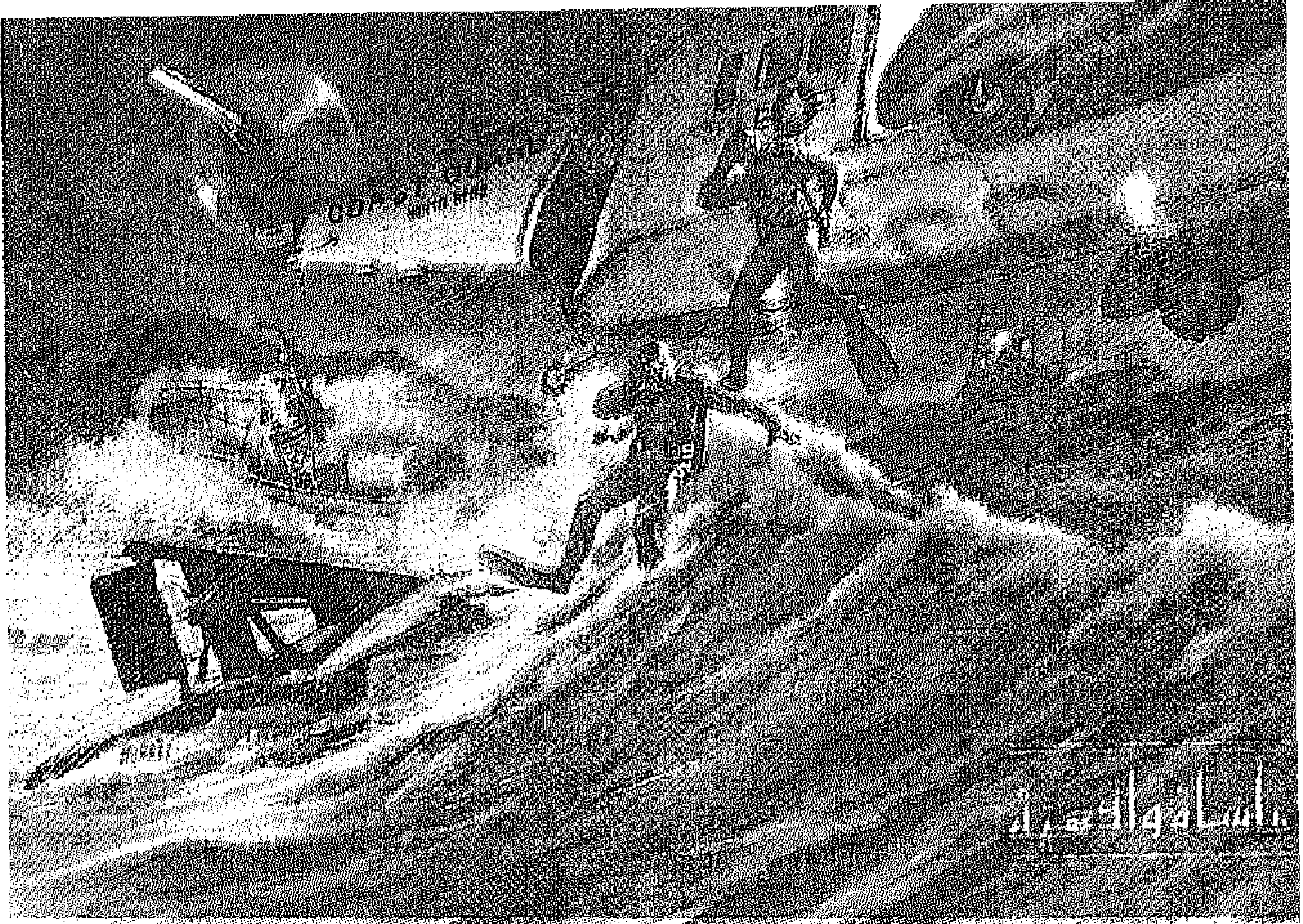
اذا كان جوابك "نعم" عن الاسئلة الخمسة كلها، فأنت على طريق العلاقة الناضجة٠ واذا لم تستطع أن تقول "نعم" لبعض الاسئلة، فهذا يعني أنها متعلقة بمجالات تلزمها عناية خاصة٠ ولكن ثق بأن عملك على تحقيق هذه الاهداف يقوي علاقتك٠ وتذكر أن سرّ الزواج الناجح ليس أن تجد الشخص الملائم، بل أن تكون انت الشخص الملائم٠

■ تشارلي شد

الوتر الحساس

قال رجل لزوجته التي كانت تقيس معاطف الفرو، بعدما لبست معطفاً ثميناً جداً: "كدت الا أعرفك يا عزيزتي! فإنك تبدين سمينة جداً في هذا المعطف"٠

ك٠و٠



فجأة انقلب مركب الصيد في الامواج العاتية، وعلق البحاران في غرفة المحرك يتهددهما الموت من الصقيع أو الغرق أو نفاد الهواء

الجحيم البارد

حاول غاري كاتينغ، بكل ما اوتي من خبرة، أن يسيطر على مركب الصيد الذي يقوده والذي يبلغ طوله نحو ١٥ متراً عبر مياه المحيط الهادىء السوداء. كانت الساعة الثانية عصر السابع من يونيو (حزيران) ١٩٨١، و"الاوديسة" ـ وهذا اسم المركب ـ على بعد ثلاثين كيلومتراً جنوب غرب قاعدتها في بلدة نيوبورت من أعمال ولاية اوريغون الامريكية. وارتفعت قوة الريح الى ٣٥ عقدة ولاح على الافق نذير عاصفة. وأدرك الربان المحنك ذو السنوات الست والثلاثين أن تلك العاصفة التي تهب من الجنوب الغربي قد تكون مهلكة.

"لنرفع الشباك ونعد من حيث أتينا،" قال كاتينغ لزميليه تود

ماسون (٣١ سنة) وأخيه تيري ماسون (٣٥ سنة)٠

وشقت الاوديسة طريقها وسط امواج ترتفع مترين ونصف متر، والريح تسوطها بسرعة ٣٠ عقدة وترشش نافذة حجرة القيادة بالرذاذ٠ وقال تود ماسون لنفسه وهو على عجلة القيادة: "ليس هناك سبب للخوف٠" وكان تود عانى أهوالا بحرية عدة في مراكب أقل جدارة من الاوديسة٠

ولكن ما هو الا قليل حتى أتت موجة عاتية على مؤخر المركب وأمالته الى جانب واحد، ثم رفعته فوق جبل من الزبد٠ وتمتم تود غير مصدق: "يا إلهي!" ومن النافذة الجانبية أمكنه أن يرى الامتار الثمانية التي تفصله عن المياه الجامحة تحته٠ وبذعر قبض على عجلة القيادة والخانق في آن٠

وانقلب غاري وتيري ناحية تود قبل أن ترتفع موجة أخرى وتضرب جانب المركب البارز فوق الماء٠ وانقلبت الاوديسة وأخذ الماء يتدفق عند الباب المؤدي الى سطحها الخلفي٠ وصرخ غاري: "اننا نقف على السقف! يجب أن نخرج من هنا بسرعة٠" وألقى الرجال الثلاثة ثقلهم على الباب، لكن ضغط الماء في الخارج منعه من الانفتاح٠

تحت الماء ـ ظل الماء يرتفع باطراد بعدما غمر النصف الاسفل من البحارة الثلاثة٠ وشق غاري طريقه نحو الباب وقال: "هذا أملنا الوحيد٠ لنحاول مرة اخرى٠"

وفي خمس دقائق كان تيري، وهو أقصر الثلاثة (١٦٨ سنتيمتراً)، يحاول جاهداً ان يُبقي ذقنه فوق الماء٠ وراح تود يفكر بسرعة في ما ينبغي فعله٠ واستقرت أفكاره على الفتحة المؤدية الى المحرك٠ انها الآن فوق رأس تيري مباشرة٠ وما أن أشار تود اليها حتى سحب تيري المقبض وجر نفسه الى غرفة المحرك٠ وصرخ تود: "تعالَ يا غاري! دعنا نذهب نحن أيضاً٠"

إلا أن الربان لم ترقه فكرة تود، وصاح: "كلا٠ اذا دخلنا غرفة المحرك، ربما علقنا فيها٠ والافضل ان نثابر على فتح الباب٠" وأخذ غاري نفساً عميقاً واختفى تحت الماء٠

وفيما سحب تيري أخاه الى غرفة المحرك، سمع هدير الماء في الجزء الاسفل٠ وبقي الصوت قليلا ثم أخذ يتلاشى٠ ويبدو أن غاري كاتينغ فتح الباب وخرج من حجرة القيادة٠

ونظر تود حوله في غرفة المحرك التي يبلغ طولها خمسة أمتار وعرضها ثلاثة أمتار ونصف متر٠ وكان الماء عند مستوى الركب وقد علته طبقة من زيت الديزل٠ وسأل تود أخاه: "ماذا تقول عن امكان نجاتنا؟"

وأجاب تيري: "ان حظنا في النجاة يكون أفضل لو أمكننا بث رسالة عبر جهاز الارسال٠ فنحن لا ندري كم يصمد هذا الجيب الهوائي٠ ولا بد من هلاكنا في حال انقلاب المركب جانبياً٠"

فقال تود: "حسناً٠ واذا شئنا الصمود الى أن تأتي النجدة، فعلينا الخلاص من هذا الماء الجليدي٠"

وراح الاثنان يعملان سريعاً، قبل هبوط الظلام، على اقامة منصة فوق المحرك من خشب الارضية الرقيق، تفصلها عن سقف الغرفة مسافة متر٠

وبُعيد السادسة والنصف مساء

تلقت محطة خليج ياكينا لخفر الساحل، ومركزها نيوبورت، نداء استغاثة من قائد مركب صغير شاهد الاوديسة تحت رحمة الانواء على بعد عشرين كيلومتراً. وانطلقت طائرة الانقاذ المروحية ١٣٥٣ من قاعدة خليج كوس الجوية للتحقق من الامر.

"لقد وجدونا" — في غرفتهما الصغيرة كان تود وتيري يلتقطان أنفاسهما كلما تكسرت موجة على المركب. ومع كل موجة كانت المياه ترتفع في غرفة المحرك حتى مسافة متر واحد تحت مجثمهما قبل أن تنحسر. وقال تيري لنفسه: "وحده الرجاء يحفظنا، والاستسلام يقهرنا."

وبينما هما كذلك سمعا قعقعة طائرة مروحية. وشهق تيري: "هليكوبتر! لقد وجدونا."

ومع الغسق، في السابعة والربع مساء، شاهد الملازم آل سيدل، قائد الطائرة ١٣٥٣، الاوديسة وسط الامواج العارمة. وبث معاونه غلين غان رسالة بالراديو الى محطة خليج ياكينا يعلمها بالعثور على المركب. وبعد دقائق كان زورقا انقاذ آليان يبحران نحو المركب المنقلب.

وكان الظلام الحالك أطبق على المكان وازدادت حدة العاصفة عند وصول الزورقين بعد ساعة. وعبر جهاز الارسال، خاطب الملازم غان ربان أحد الزورقين قائلا: "ليس من علامة على نجاة أحد. وأظن أنه علينا انزال رجل على المركب للتأكد من ذلك."

وفي الثامنة والربع دُلّي حبل من الطائرة الى أحد الزورقين. وتمسك الضابط البحار كريغ وايت بالحبل، فرفعته الطائرة ثم أنزلته فوق الاوديسة. وراح يدب فوق بدن المركب الزلق ثم تشبث بعارضة ناتئة منه.

وسمع تيري وتود طرقاً على بدن المركب. وحمل كل منهما ماسورة طرق بها. وتنهد تيري قائلا: "الحمدلله! لقد وصلت النجدة."

وراح مسؤولو فريق الانقاذ يعملون بسرعة، علماً أن العاصفة كانت ستبلغ ذروتها بعد ثلاث ساعات. وتطوع غواصان مجليان للعمل، وحملتهما الطائرة نحو المركب. وفي تلك الاثناء اتصل مدير العمليات في قاعدة خليج كوس الجوية، وهو الضابط باتريك وندت، بصاحب شركة غوص تجارية في المنطقة اسمه بيل شايرز (٣٦ سنة)، وقال له: "هناك مركب صيد انقلب وداخله بعض الناجين الذين نحاول انقاذهم، لذلك نريد أن تأتي مع شريكك الى المكان، إذ ربما احتجنا اليكما."

وفي العاشرة والدقيقة الاربعين ليلا كان شايرز وشريكه بات ميلر (٤٩ سنة) يرتديان ثياب الغوص في غرفة الارسال التابعة للمحطة الجوية، عندما تبلغا رسالة ثانية من وندت تدعوهما الى التوجه حالا الى مكان الحادث بعد انسحاب الغواصين اللذين أنزلا أولا.

وقال وندت: "أما تزالان على استعداد للغوص؟"

فأجابه شايرز: "بكل تأكيد... أوَلسنا هنا لهذه الغاية؟".

"نكاد نقضي هنا" — مضى أكثر من ساعتين على سماع تود وتيري صوت

الهليكوبتر٠ وكان الصقيع ملأ غرفة المحرك وزاد ارتفاع الماء ١٥ سنتيمتراً٠ وقال تود لنفسه والقلق ينهشه: "لماذا تأخذ العملية هذا الوقت كله؟ ألا يعرفون أننا نكاد نقضي هنا؟"

وفي الدقيقة الثلاثين بعد منتصف الليل كانت الطائرة التي تحمل شايرز وميلر تحلق فوق الاوديسة، فيما بلغت سرعة الريح ٤٥ عقدة وحجبت الامطار الرؤية خلف مسافة ١٥ متراً٠ وهبط الطيار حتى أصبح على ارتفاع متر ونصف متر فوق الامواج العاتية٠وعند الاشارة نزل الغواصان وسط ذلك الاضطراب العظيم٠

وتحت الماء وجدا ان الجزء الخلفي من المركب علق كله داخل شبكة الصيد٠ ومدا حبل نجاة وسلطا الانوار٠وبقي ميلر وراء شايرز ممسكاً بالحبل، فيما شق زميله الشبكة ودخل حجرة القيادة٠ وهناك وجد أحد مصراعي الباب مفقوداً والمصراع الآخر ثابتاً مكانه٠ ففتحه ثم ربطه٠

وفي حجرة القيادة علقت قدما شايرز في الركام٠ وأشار الى ميلر بالانضمام اليه، فدخل الحجرة وحرره من الركام٠ وعلى رغم أن كل ثانية كانت حاسمة، إلا أن الاثنين صرفا وقتاً لرفع الحطام من الارض كي يتركا منفذاً يعودان منه٠ ورجع ميلر الى مؤخر الحبل بينما تابع شايرز طريقه عبر الممر الضيق الى قسم النوم، وهو المكان الطبيعي الذي يلوذ به الملاحون للنجاة على مركب مثل الاوديسة، لأنه المكان الأعلى٠

وفي طريق عودته الى حجرة القيادة نظر شايرز الى ساعة يده، فوجد أن ٤٥ دقيقة انقضت على نزوله وميلر الى الماء٠وكادت قارورة الهواء أن تفرغ، فعادا الى السطح لحمل قارورة اخرى٠ وقال شايرز: "لا علامة لوجود ناجين٠" فأجابه ميلر: "علينا أن نتوجه نحو بدن المركب للتأكد من الأمر٠"

وسبح الاثنان الى بدن المركب الدبق٠ وما أن طرق شايرز حتى جاءه طرق قوي من داخل٠ وصرخ ميلر: "غرفة المحرك٠"

وعاد الاثنان الى زورق النجاة، وهناك عرفا من الربان ان الطائرة المروحية لم تتمكن من القاء العدة اللازمة كلها، بما فيها قارورة هواء صغيرة، بسبب قوة العاصفة ونقص الوقود٠ وأضاف الربان: "ستعود الطائرة ومعها العدة خلال نصف ساعة أو أقل٠"

وصرخ شايرز قائلا: "لكن الناجين في المركب قد لا يمكنهم الانتظار نصف ساعة٠ وعلينا ارتجال طريقة لانقاذهم٠"

وراح شايرز يتفحص خارج الاوديسة، فيما وقف ميلر على سطحها وبقي على اتصال بزملائه في زورق النجاة٠ ثم وصل شايرز خرطوم الهواء بقارورة ميلر، مقدراً أنها تحوي ما يكفي من هواء، وغاص تحت الماء لينفذ الى حجرة القيادة٠ وإذ ذاك انحرفت الاوديسة ٤٥ درجة الى ناحية واحدة، وأخذ قلب شايرز يخفق بسرعة وهو يتساءل: "ما الذي حملني الى هنا؟ أأنا مجنون؟"

وسبح نحو الكوة التي تفتح على غرفة المحرك، باذلا كل ما اوتي من قوة لفتحها٠ وما أن تسلل حتى وجد

نور مصباحه اليدوي مسلطاً على وجهي تيري وتود ماسون.

وبادرهما شايرز بهدوء: "السلام عليكما! أأنتما سعيدان لرؤيتي؟"

وجاءه جواب تيري: "وهل من شك في هذا؟"

واكتشف شايرز، لهوله، أن الانبوب الذي يصله بقارورة الهواء انقطع. وهكذا أصبح الرهينة الثالثة في ذلك المكان المنعزل. إلا أنه لجم خوفه وقال لهما بما أمكنه من هدوء: "عليّ الصعود من جديد الى السطح لاحضار عدة جديدة."

وعلماً منه أن أقل خطأ من شأنه أن يؤدي الى هلاكه، مشى شايرز بحذر نحو حجرة القيادة، ثم سبح نحو الباب وهو يمسك بحبل النجاة الذي سبق أن وضعه هناك. وعاقه التيار قليلا، ولكن لم يلبث ان قذفه خارجاً. وصعد الى السطح وهو ممسك بحبل النجاة، وراح يلهث طالباً الهواء. وتلقاه ميلر وأعانه على الصعود الى زورق النجاة.

١٣ ساعة — في غرفة المحرك داخل الاوديسة كاد الهواء ان ينفد. وتشبث تيري وتود بمكانهما على المنصة وهما يخشيان غرق المركب في أي لحظة. وراح تود يصلي: "رباه، لا تمتنا الآن بعدما اقتربت نجاتنا."

أما شايرز فابتسم وهو يرى الطائرة تنزل قوارير الهواء والعدة اللازمة. وتجاهل ارهاقه وأصر على أن يعود هو نفسه لأنه بات يعرف جيداً داخل الاوديسة، على أن يبقى ميلر في الماء منتظراً خروج الثلاثة.

وهكذا سبح شايرز للمرة الثالثة الى حجرة القيادة، ومن هناك شق طريقه نحو غرفة المحرك. وبادر تود وتيري بأعصاب باردة: "حسناً أيها الصديقان لنخرج من هنا."

وقطع الثلاثة الطريق نفسها. وبعد وصل الخراطيم بالهواء قال لهما: "لا تنسيا أن الاقدام تحرر أولا. ولدى بلوغكما حجرة القيادة، سأصلكما بحبل النجاة الذي يجب أن تتبعاه حتى الباب، ومن هناك عبر الشبكة الى الخارج."

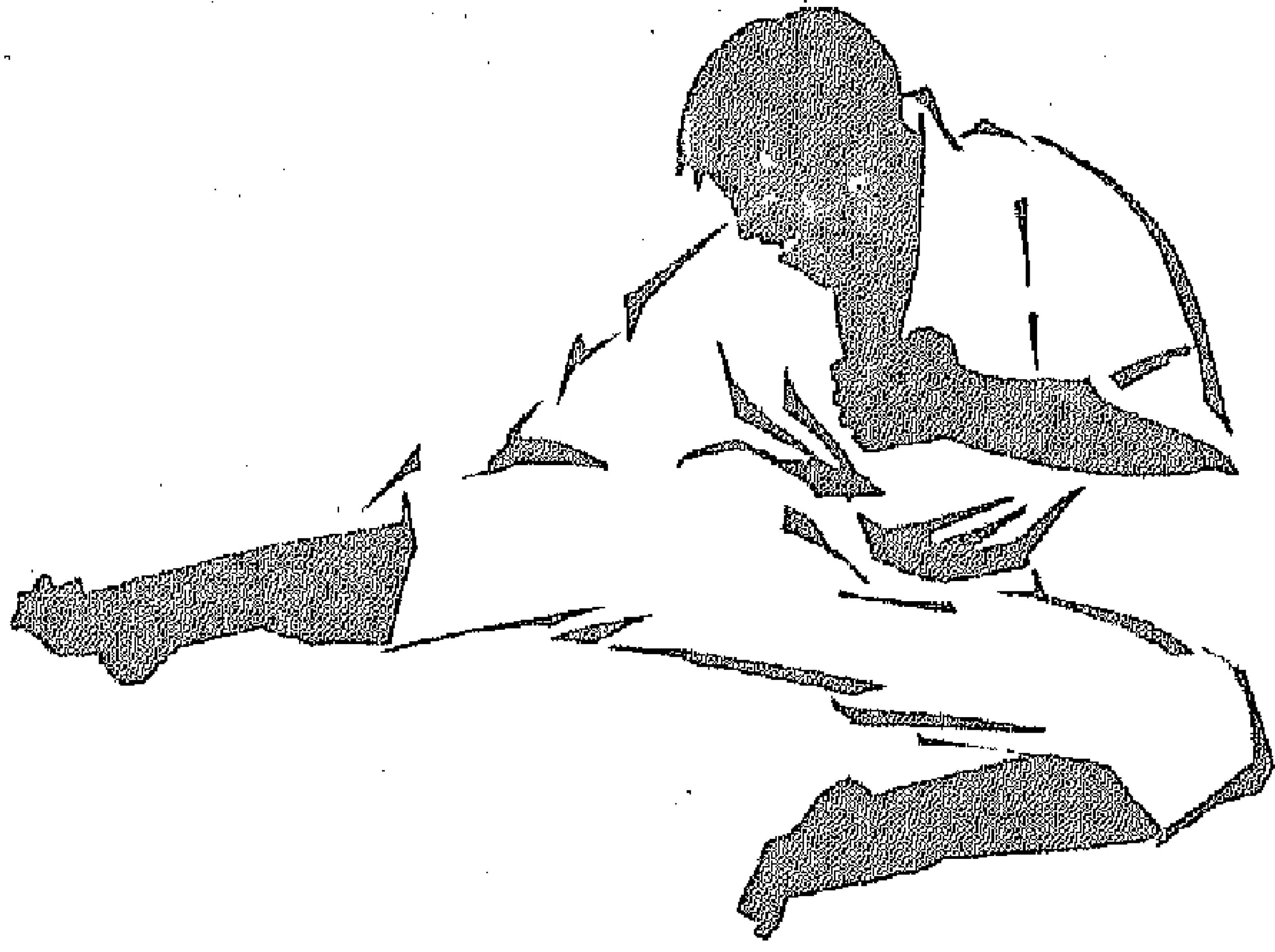
وهز تود رأسه والخوف في عينيه. وخاض في ماء الغرفة نحو الكوة، ثم عاد الى المنصة. وتبعه شايرز وهو يقول: "لا داعي الى الخوف إلا من امكان غرق هذا المركب في أي لحظة. لذلك أرجوكما أن تتبعا تعليماتي."

وشق تود طريقه على مضض. وبعد دقيقتين برز على سطح الماء، وأعانه ميلر في الصعود الى قارب النجاة. وعاد شايرز الى غرفة المحرك، والارهاق يهده، لاخراج تيري الذي ضل طريقه قليلا قبل وصوله الى سطح الماء. وكانت الساعة الثالثة والدقيقة الثانية والاربعين فجراً. وسُحب تيري الى قارب النجاة ثم تبعه شايرز. وهكذا انتهت محنة الاوديسة بعد ١٣ ساعة من بدئها.

إلا أن جثة غاري كاتينغ لم تظهر أبداً.

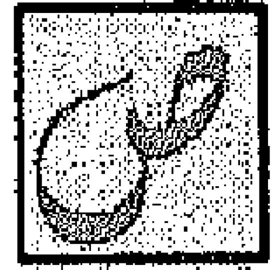
وفي الخامس من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨١ أقيم احتفال سُلم فيه بيل شايرز وبات ميلر ميداليتين ذهبيتين هما أرفع وسام تقدمه ادارة خفر السواحل تقديراً للشجاعة في انقاذ حياة الآخرين.

■ **غلين جوينر**



صرخة الروح في الكاراتيه والكونغ فو

صرخة غامضة مركزة تنعكس صاعقة من الطاقة الصرفة، وحركة هادئة وثابتة تتحول ضربة خارقة تكسر الصخور



صيف ١٩٦٧، كنت طالباً زائراً في جامعة لينينغراد في الاتحاد السوفييتي، وذات مساء اديت عرضاً لبعض ألعاب الكاراتيه امام جمهور من الطلاب والاساتذة. وكنت تعلمت هذه الرياضة في الولايات المتحدة طوال سنوات واكتسبت مقداراً وافياً من البراعة فيها.

في ذروة العرض كان علي ان اهشم قطعة آجر بيدي العارية. وأحضر اصدقائي السوفييت آجرة تزيد على ضعفي حجم القطع التي اعتدت تحطيمها. ومن دون وجل اخذت نفساً عميقاً ورفعت يدي اليمنى، ثم زعقت وهويت بقبضتي المشدودة على القطعة بكل ما في جسدي من قوة. لكن شيئاً لم يحدث. وضربت مرة بعد اخرى بيدي اليمنى حتى تمزق اللحم وسال الدم. عندئذ اخذت أضرب بيدي اليسرى بقوة بدت لي كافية لاختراق الفولاذ، لكن الآجرة لم تتهشم. فاستسلمت وتواريت في ظلام الليل.

رأيت عبر الشارع ورشة بناء تكومت فيها قطع من الآجر شبيهة بتلك التي أعجزتني. فرفعت واحدة ورميتها على الارض، واذا بها تتهشم لدى اصطدامها بحافة قطعة

اخرى. حملت بضع قطع وهرعت عائداً ادراجي الى القاعة واعتليت المسرح. اخذت نفساً عميقاً ورفعت قبضتي وهويت عليها بزعقة مفعمة بالثقة، لكن القطعة لم تتحطم.

ذهلت واعتراني شعور بالخزي، فأغمضت عيني وتنفست عميقاً واسترخيت. نسيت قطع الآجر والألم في يدي وتراءت لي غيوم بيضاء تعبر السماء الارجوانية التي ارتسمت في مخيلتي وأحسست الهواء يملأ صدري. فتحت عيني، وبلا جهد هويت بيمناي على القطعة فاخترقتها من غير أن أحس اطلاقاً بوقع الصدمة. وهب السوفييت واقفين يهتفون لي بصخب. ذلك ان شعباً يدرك مغزى المعاناة والتسامي الروحي فوق المادة، يقدر قيمة انتصار الروح على المادة الخامدة.

بدأت اتعلم اصول الفنون القتالية الآسيوية عام ١٩٦٠ في مانهاتن، نيويورك. وكنت يافعاً بديناً اضع نظارة طبية. وطالما كرهت عجزي عن الدفاع عن نفسي ازاء الفتيان الاشداء في المدرسة فعكفت بشغف على تعلم الجودو طوال ثلاث سنوات ثم انصرفت الى الكاراتيه بالحماسة نفسها.

وخلال عقدين واصلت تعلم الايكيدو(١) والملاكمة والمبارزة بالسيف والكونغ فو(٢) والمصارعة والتاي - تشي تشوان(٣). ولهذا فاني اذا نزعت الى التفلسف فلأن تلك فلسفة اكتسبتها بالكد وعرق الجبين. فالفنون القتالية بالنسبة الي كانت المدخل الذي عبرت من خلاله الى ميادين من الخبرة، حيث الافتراضات المألوفة عن الصراع والخوف والجهد والطاقة وحتى طبيعة الحقيقة الجسدية ذاتها يمكن ان تقلب ويعاد تقويمها.

في السنوات الاولى من التدرب كانت الفنون القتالية "الخارجية" مثل الجودو والكاراتيه تركز على المهارات الجسدية كالضرب والركل والعرقلة والقذف. والمؤسف ان معظم الطلاب يقصرون عن بلوغ المستويات العليا حيث تتضاءل أهمية الحركات البدنية ازاء التحولات النفسية كقهر الخوف.

التسامي الى الكمال - انا لم أعبر الى الجهة الاخرى من حاجز الخوف الا بعد سنة من نيلي "الحزام الاسود". وكنت ادرس الكاراتيه في كلية نيوهامشير، فسألني خبير كاراتيه ياباني زائر اذا كنت ارغب في التباري معه فقبلت التحدي. كان جلياً انه يبزني براعة، واستشعر هو خوفي من اي ضربة تصيب محيط عيني اذ كنت مصاباً بقصر النظر وأضع نظارة طبية، فاخذ يرهبني متظاهراً بأنه يهاجم عيني ثم يوجه الي ضربة في مكان آخر.

وفيما نحن نتبارى تحسن ادائي. قفزت مرة في الهواء وسددت ضربة قوية الى عنقه فاستدار حانقاً ورد بضربة على جانب رأسي رمتني أرضاً. انقضضت عليه ثانية، وهذه المرة دار على نفسه دورة كاملة وسدد ركلة بعقب قدمه اصابتني فوق عيني

---

(١) رياضة يابانية تعتمد حركات دائرية تجعل قوة الخصم ووزنه عاملين ضده.

(٢) رياضة صينية للدفاع عن النفس.

(٣) فن صيني يعتمد التأمل والحركة ويشكل في الوقت نفسه اسلوباً قتالياً بارزاً.

اليمنى فتحطمت نظارتي واخترق اطارها البلاستيكي حاجبي.

فجأة، بعدما أصبت في النقطة التي تثير خوفي، أحسست ان فقاعة وجلي انفقأت. فوقفت وقد تحولت رجلا آخر. الروح الجديدة التي انبعثت في ذاتي كانت اكثر من ند لخصمي، وادركت اني قادر على قهره. تراجعت الى وسط الحلبة، لكنه امتنع عن مواصلة المباراة. ودعوته الى العودة في الاسبوع التالي، غير انه لم يحضر ابداً.

التباينات الرئيسية بين الفنون القتالية الخارجية وتلك التي تسمى "الداخلية"، كالايكيدو والتاي - تشي تشوان، هي ان هذه تعتمد منذ البداية حالا فكرية واحدة. وقد واجهت هذا السحر للمرة الاولى في شخصية المعلم ت.ت. ليانغ وهو صيني في الثانية والثمانين من عمره. ألقى ليانغ في طلابي محاضرة عن مبادىء التاي - تشي القديمة، قال: "ركزوا الـ"تشي" (الطاقة الحيوية) في أسفل البطن ثم استرخوا. كل الحركات عندئذ يجب ان يسيرها العقل بدلا من العضلات. تأمل في العمل وعمل في التأمل".

دعاني ليانغ الى اعتلاء المسرح ليريني التطبيق العملي لهذه الفلسفة. رفع احدى ذراعيه. وأهاب بي ان ادفعه. وما ان لامست يدي معصمه حتى أغرق في الضحك فأخذت أضحك انا ايضاً من دون ان ادري السبب.

قال: "ادفع". فدفعته متوقعاً ان ألقى منه مقاومة، لكنه بدلا من ذلك انفتل جانباً بتناسق تام مع حركة يدي، فتعثرت وكدت ان اقع على وجهي. وضحكنا ثانية، فقد كان ليانغ يريني مبدأ "المحايدة" او الانصياع.

وذات مساء فيما نحن نتحدث بدأ ليانغ يتلاعب بسيفين، واذا به محاط بطوق من الفولاذ المتحرك. كان السيفان يدوران حوله في شكل حلقتين متلامستين (على صورة الرقم 8) بتعاقب وسرعة مذهلين. وعلى رغم ذلك لم تظهر على وجهه دلائل اي عناء. كان في مثل غيبوبة ويتحرك في اقصى حالات الصفاء النفسي. وفي برهة لا يحدها زمن كان قريباً من الكمال على نحو لم أره في حياتي.

يسمي الصينيون هذه الحال "واي وو - واي" اي "العمل من دون عمل" وتحقيق أمر ما من دون اي جهد. وهذا يأتي من التناغم مع "تاو" وهو المبدأ الاكبر في الطبيعة. اما نحن فيمكننا ان نسمي هذه الحالة "التسامي" او التجلي الروحي.

صرخة الروح - بين العامين ١٩٧٥ و١٩٧٧ تتلمذت للمعلم كوتشي توهاي في اليابان، وهو أعظم دعاة الفنون القتالية في العالم. انه في الثانية والستين من العمر لكنه يتحرك بقوة رياضي قدير وبخفة راقصة باليه. معظم تعليمه يتناول تطوير الـ"كاي" اي تنمية القوة الحياتية في كل فرد. وباستخدامه قوة الـ"كاي" يحقق توهاي اعمالا مذهلة. ان طوله ١٦٠ سنتيمتراً ووزنه ٧٥ كيلوغراماً، غير ان في وسعه ان يجعل نفسه ثقيلا الى حد يعجز معه أربعة رجال عن رفعه عن الارض.

طلب مني توهاي ذات مرة ان امسك بمعصميه وأمنعه من جمعهما. توترت عضلاته في مقاومة ذراعي، لكنه لم يستطع ان يحرك يديه. ابتسم وقال: "جرب ثانية من فضلك". هذه المرة استرخى عندما امكست بمعصميه، وفجأة شعرت كأني احاول صد شلالين من الماء المتدفق، وبسهولة تامة قرب يديه ببطء وجمعهما ثم قال: "هذا هو التنسيق بين العقل والجسد".

أحد أبدع مظاهر طريقة توهاي هو "كياي" او "صرخة الروح الموحدة". وعلى نقيض صيحات رافعي الاثقال وزعقات لاعبي الكاراتيه، فان صرخة توهاي التي يدعوها "كياي" هي صيحة موسيقية ثاقبة. انها ترتفع من نغمة غامضة منخفضة الى صوت حاد ومركز كبؤرة أشعة اللايزر، انها صاعقة من الطاقة الشخصية الصرفة.

ومع مضي السنوات تعلمت ان قدرة العقل البشري على تنسيق الطاقة الجسدية وتوحيدها هي اعظم كثيراً مما نتعلمه في دروس الفيزياء وعلم الحياة. واني مقتنع بان هناك قوة حيوية تظهر على نحو مميز في كل مخلوق حي ويمكن تنيمتها وتعزيزها.

عندما احاول الآن تهشيم جسم ما، فاني آخذ نفساً عميقاً واتصور ان خطاً من القوة يخرج من الارض ويمتد عبر ساقي الى جسدي ثم يهبط في احدى ذراعي لينتشر في راحة يدي ومن ثم يعبر الى اللوح الحجري الذي استهدفه واخيراً يتغلغل في الارض ثانية. ان حقيقة الموقف تتبدل، فأنا لم أعد ذلك الكاتب الامريكي ذا الـ٣٤ سنة الذي يمارس تمارين غريبة في فناء بيته. اني الآن رحالة روحي يتهيأ لرحلة الى عالم آخر مختلف.

آخذ نفساً عميقاً واطلقه فجأة انما برفق، مركزاً على خط الطاقة هذا وتاركاً ذراعي تعبران عنه. تمر راحة يدي عبر الموقع الذي كانت تملأه الالواح الحجرية، ولكن يبدو ان هذه انشقت من تلقائها قبل ان تصل يدي اليها. لا أحس بوقع الصدمة ولا بدفع القوة المدمرة. شعوري هو تناغم مع القوى الكونية وانتماء الى القوة الخفية في الحياة نفسها.

ان القيمة الحقيقية للفنون القتالية تكمن في ما تعلمنا اياه عن انفسنا: ان لا حاجة بنا الى الخوف، وان طاقتنا ووعينا وقدرتنا على الجرأة والعطف هي أعظم كثيراً مما كنا نعتقد انها تعلمنا ان حدودنا الشخصية يمكننا تجاوزها، بدءاً بالنفس التالي ...ليكن نفساً عميقاً.

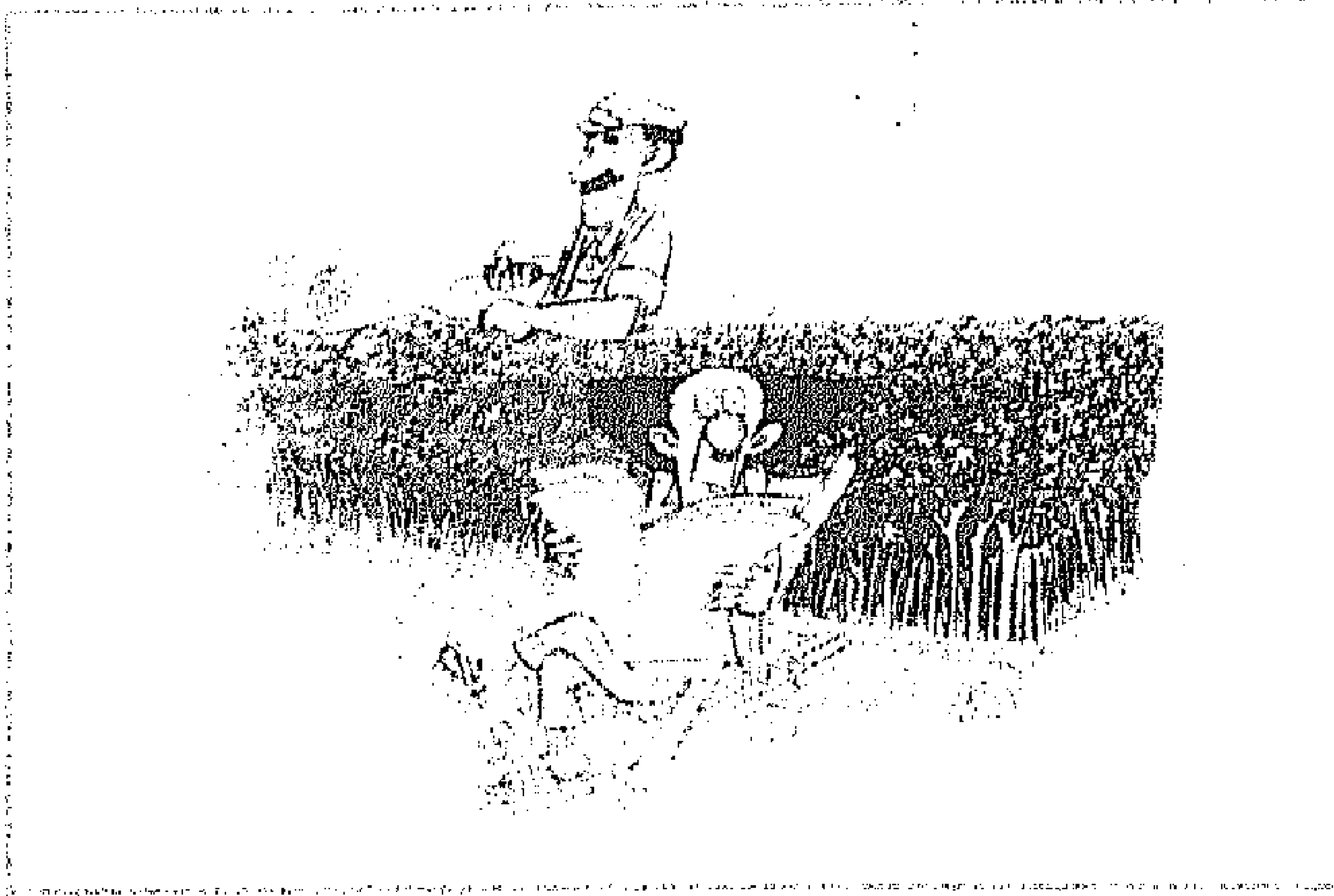
■ ايثان ميلر



البلوغ والحكمة

يوم يعرف الطفل أن البالغين جميعاً ليسوا كاملين يغدو مراهقاً، ويوم يغفر لهم سيئاتهم يغدو بالغاً. أما حين يغفر لنفسه فهو يغدو حكيماً.

ا. ن. و.



الضحك خير دواء

توأم لكل أسبوع

أبتهجت الصغيرة لدى عودة أمها من مستشفى التوليد ومعها صبيان توأمان، وبادرتها: "لقد أعطتني المعلمة عطلة نصف نهار للمناسبة."
وماذا قالت عن التوأمين؟
"لم أعترف الا بواحد، تاركة الآخر للاسبوع المقبل."

م.م.

وطنها في الاعالي

بعدما مكثت أمي زمناً قصيراً معنا في المهجر، حان الوقت لعودتها الى الوطن. وأوصلتها زوجتي الى المطار ومعنا أبنتنا ذات السنوات الخمس. ولما شاهدت الصغيرة الطائرة ترتفع وتضيع خلف الغيوم، سألتني والدمع يملأ عينيها: "لماذا لا تستطيع جدتي العيش على الارض كما يفعل الآخرون؟"

أ.ك.

البطون والعقول

سئل الفتى: "هل تصلي قبل كل وقعة طعام؟" فأجاب: "كلا! أن أمي طباخة ماهرة".

س.ل.

أسود وأرانب

كان أمير وخادمه يتصيدان في الغابة، فبرز لهما نمر. وكان الخادم سريع الحركة فتسلق شجرة وترك الامير لمصيره. وبعد عراك دام قضى الامير على النمر ونادى خادمه: "أنزل أيها الجبان لاقتلك بسيفي كما قتلت النمر"، فقال الخادم: "يا سيدي، أني رأيت النمر يصارع الاسد، ومتى تصارع الاثنان وقفت الارانب على الحياد".

مها برنية، دمشق ـ سوريا

لوحة بيكاسو

كان الرسام الراحل بابلو بيكاسو مستلقياً على رمال الشاطىء في أحدى مناطق الجنوب الفرنسي، وفجأة تقدم منه صبي صغير، يبدو أن والديه أرسلاه، وأعطاه ورقة طالباً اليه أن يرسم عليها. وفكر الرسام قليلا، ثم مزق الورقة وحمل بعض أقلامه الملونة ورسم بها أشكالا على صدر الفتى وظهره، موقعاً "اللوحة" بعد أنجازها. وقال الرسام وعلى وجهه أبتسامة ماكرة: "ترى هل يجرؤ ذوو الغلام على غسله بعد اليوم؟"

وكالة "جانيك" الصحافية

المأزق الألماني

تسود المانيا الغربية نقمة شعبية عارمة تتناول الهوية الوطنية والسياسية الداخلية والخارجية، ويتخوف الالمان من حرب عالمية ثالثة يكون فيها بلدهم كبش محرقة

تبدو المانيا الغربية اليوم في حال معاناة وقلق وتضعضع. واهم من ذلك انها تبدو ضعيفة هشة. ولا بد من ان تغيراً ما طرأ على تلك البلاد التي بقيت زمناً طويلا اصلب حلفاء الولايات المتحدة. وتعكس هذا التغير لهجة الخطباء في التجمعات الشعبية الذين يطالبون بوضع حد لعلاقة "السيد والعبد" مع الامريكيين، كما تعكسه تظاهرات الاحتجاج ضد انتشار صواريخ حلف شمال الاطلسي والقنبلة النيوترونية، والاستطلاعات التي تبين ان نسبة الشبان الذين يفضلون الحياد تزيد على انصار التحالف العسكري مع الولايات المتحدة، والاحصاءات التي تشير ليس فقط الى ان المانيا تمر بركود اقتصادي بل كذلك الى ان نسبة البطالة فيها سوف تتفاقم وان عهد الاستقرار الاقتصادي ولى.

هذه العناصر كلها خلقت نوعاً من الاعتلال وفراغاً من الخيبة والنقمة

Condensed from New York Times Magazine (November 15, 1981) (C) 1981 by the New York Times Co. New York.

يمكن ادراك مداهما من خلال نظرة الالمان اليوم الى واقع بلادهم· خلال السبعينات كان كثيرون منهم يفترضون ان الوفاق الدولي امر لا رجعة فيه وان قوة المانيا الغربية ستتنامى حتى تصبح قادرة على تخطي خلافات القوتين العظميين في العالم، وان المستقبل لا بد وان يأتي بما تنص عليه مقدمة الدستور الالماني : اعادة توحيد المانيا·

ولكن في ضوء ما جرى في بولونيا وافغانستان اخذ هذا الامل يتراءى كأنه اضغاث احلام· لكن رد الفعل لدى جانب كبير من الشعب الالماني كان ميلا اقل الى التكيف مع الحقائق الجديدة وتعلقا اقوى بالاوهام التي سادت في السنين العشر الاخيرة·

وليس سراً ان ما يبدو انحرافاً للبلاد عن خطها التقليدي والاصوات الداعية الى الحياد والمشاعر الوطنية اليسارية الجديدة، كلها اقلقت الولايات المتحدة والبلدان الاوروبية الصديقة، مثل فرنسا وايطاليا، التي اعتمدت على صلابة المانيا الغربية كعنصر اساسي في امنها القومي· انها لبادرة غير مألوفة ان يعلن المسؤولون في حكومة الرئيس فرنسوا ميتران الاشتراكية ان فرنسا هي الشريك الاوروبي الذي تعتمد عليه واشنطن اكثر من سواه في اي مواجهة بين الشرق والغرب·

وتبرز ظواهر التبدل والتدهور لدى مراقبة وسائل الاعلام الالمانية· وفي هذه تكوّن تياران خفيان، احدهما يلمح الى مؤامرة مخططة ضد الشعب الالماني والآخر يشدد على ان الالمان لم تعد لهم يد في اتخاذ القرارات· وقد ظهر اميرال امريكي متقاعد على شاشة التلفزيون الالماني في ليلتين متعاقبتين ليعلن ان الولايات المتحدة الامريكية تفضل ان تخوض الحرب العالمية الثالثة في اوروبا، ويفهم من هذا انه يعني المانيا· ونشرت احدى الصحف ان المواطنين عارضوا خطوة سلطات مطار فرنكفورت انشاء مدرج جديد عبر منطقة مكسوة بالغابات، لانهم رأوا في ذلك مؤامرة حاكتها الولايات المتحدة وحلف شمال الاطلسي· والمزاج الشعبي ظهر في تحذير ذي مغزى، كأنما كلماته استخرجت من كبسولة زمنية من عهد هتلر، وقد الصق على شجرة في الغابة التي كانت موضوع النزاع. يقول التحذير : "ارتعد امام هذه الشجرة· فهي كانت مقدسة لدى اجدادك، ان ايقاع اي اذى بها دلالة على شعب وضيع واخلاقية فردية سافلة·"

الاعتداد الالماني – ان المشاعر المتأججة حالت دون تحديد صريح وواضح لما هو مطلوب، باستثناء الرغبة في اعباء اخف واخطار اقل· وربما كانت هذه ازمة هوية وطنية لانها تعبر عن الخوف والغضب من تورط الامة في ازمتين : فقدان وحدتها وضياع استقلالها الكامل نتيجة الحرب العالمية الثانية·

اصبح الاستياء نهجاً في المانيا. وهناك عريضة سميت "دعوة كريفيلد" ترعاها منظمات يسارية بينها الحزب الشيوعي، وتعتبر ان الولايات المتحدة هي المسبب الوحيد لاختلال الامن في العالم كله. وتشير العريضة الى الحديث المتزايد عن "الترتيبات الامنية البديلة،" وهي العبارة الرائجة الداعية الى تبديل اساسي في وضع المانيا الغربية بالنسبة الى توازن القوى بين الشرق والغرب. وقد وقع هذه العريضة اكثر من مليون ونصف مليون شخص، وهؤلاء ليسوا اغرارا يافعين بل هم من قادة الرأي البارزين.

ويبرز بعض الاستطلاعات صورة ابعد مدى لعدم الاستقرار. ففي مايو (ايار) ١٩٨١ اجرت مؤسسة "النسباك"، وهي احدى كبرى مؤسسات استطلاعات الرأي العام، استفتاء واسعا اظهر ان اكثر من ٧٠ في المئة من الالمان ينظرون الى السنين العشر المقبلة بخوف وقلق. وفي مدى سنتين فقط تضاعف عدد المتخوفين. كما ان التشاؤم في شأن مستقبل الاقتصاد وصل اليوم الى اعلى مستوى خلال ١٧ سنة.

وتظهر الاستطلاعات عموماً ان معظم الالمان يعتقدون بضرورة تحالف بلادهم مع الولايات المتحدة وحلف شمال الاطلسي، الا ان ٥٦ في المئة ممن تراوح اعمارهم بين الـ١٦ والـ٢٩ سنة يريدون تجنب حرب جديدة بأي ثمن، وان يكن ذلك يعني العيش في ظل نظام شيوعي. وبين هؤلاء يرى ٢٥ في المئة فقط انهم اذا خيروا بين الحياة في ظل نظام شيوعي او نظام ديموقراطي، فان الديموقراطية تستحق ان يجازف المرء من اجلها بخوض حرب نووية.

هذا المزاج المتسم بالمرارة والنقمة يمكن ان يفسر عبر عدد من الطروحات التي التأمت في خليط غريب. فهناك الاقتصاد المنتكس والصدمات التي اصابت الوفاق الدولي وارتباط كل هذا بالاعتداد الالماني الذي نما خلال السبعينات والثقة بان المانيا تمسك بزمام الاحداث.

هذه التيارات انصهرت في نهج فكري لجيل نشأ في جو القضايا التي شهدتها السبعينات، كالحركات النسائية وتطور العالم الثالث ومشاكل البيئة وحملات مناهضة للاسلحة النووية وسواها من القضايا التي تعاقبت في المانيا الغربية كموئل للمثالية، واحيانا للراديكالية المشوشة. فالحركة المناهضة للاسلحة النووية افرزت فئة "دعاة السلام."

وبين كل هذه الطروحات اكتسبت الحقائق الاقتصادية اهمية خاصة. فالتخضم يزيد الان على ٦ في المئة، وهو رقم معتدل بالمقاييس الدولية لكنه يمثل زيادة نحو ٣٠ في المئة خلال سنتين في المانيا. ونسبة البطالة في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٢ كانت الاعلى في ٣٠ سنة. ولم يتحقق

اي نحو اقتصادي عام ١٩٨١، بل كان هناك تراجع بنسبة ٣، ٠ في المئة.

سوء تقدير - الاقتصاد المنتكس شل الوسائل الاساسية لتنفيذ مشاريع الائتلاف الحكومي الذي يقوده الحزب الاشتراكي الديموقراطي الموجود في السلطة منذ العام ١٩٧٩، وهذه السياسة استهدفت ارضاء اليسار عن طريق الاصلاحات الاجتماعية، بدءاً بتقديم المساعدات الى دول العالم الثالث وانتهاء بتعزيز حقوق المرأة. واذ لم يتوافر المال للحكومة من اجل اعادة تنظيم الحياة في المانيا الغربية، على نحو دائم فقد يتهيأ مخزون هائل من الطاقة الشعبية لتقبل الانفعالات الغاضبة.

وهذه الانفعالات ترتبط، الى مدى بعيد، بالقناعة القائلة بقدرة المانيا الغربية على الصمود خارج نطاق الصراعات بين القوتين العظميين. وقوي التعلق بهذه الفكرة وتعزز في اوائل ١٩٨٠ عندما قاوم المستشار الالماني هلموت شميت ضغط واشنطن لفرض عقوبات على الاتحاد السوفييتي بسبب دخوله افغانستان: وتردد الالمان الغربيون في الاقدام على اي عمل من شأنه الاضرار بالمكاسب التي جنوها من الوفاق الدولي.

ثم برزت ازمة بولونيا. وادرك شميت الواقعي جوهر المشكلة، وهو استحالة تحويل مشكلة نقابة "التضامن" قضية مجردة لا علاقة لاوروبا بها، كما حصل مع افغانستان. فالاتحاد السوفييتي يمكن ان يهدد بولونيا مما يبقي اسس الوفاق الدولي رهينة احتمال التدخل السوفييتي. وحدس شميت كذلك بان سياسة بلاده تجاه موسكو لم تعد عملية وبان على المانيا ان تنظر الى الاتحاد السوفييتي بعين صارمة.

لكن المستشار شميت اخطأ في ثلاثة امور، فهو لم يدرك كيف افلحت سياسات حكومته خلال السنوات الثماني السابقة في افراغ الخطر السوفييتي من اي معنى بالنسبة الى فئات واسعة من الشعب، خصوصا الشباب. هذا الاتجاه غدا رد فعل قويا الى حد انه في "ندوة السلام" التي عقدها الحزب الاشتراكي الديموقراطي في اغسطس (آب) ١٩٨١، وكانت تهدف اساسا الى تحويل الرأي العام عن الاعتقاد بأن الامريكيين هم وحدهم مثيرو المشاكل في العالم، اشاد وزير الدفاع هانس آبل بما اظهره الاتحاد السوفييتي من دراية وتعقل. اما المستشار السابق فيلي برانت الحائز جائزة نوبل للسلام فقال لاحد المراسلين الصحافيين في ١٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧١: "ان ما نحتاج اليه في مواجهة التهديدات السوفييتية هو مقدار اكبر من الوفاق وليس مقدارا اقل."

وسوء التقدير الثاني الذي وقع فيه شميت كان يتعلق بنفوذه في الحزب

الاشتراكي. فهو تعرض لانتقادات من شخصيات مثل برانت ادت الى اضعاف موقفه وجعل مناهضة سياسته عملا مشروعا ومدعاة للاعجاب، بل عملا وطنيا. وقد اضطر شميت في احد اجتماعات حزبه السنة الماضية الى رفع صوته في المجتمعين : "كفوا عن التصرف وكأن الامريكيين اعداؤكم والسوفييت اصدقاؤكم".

اما سوء التقدير الثالث فكان يتصل بخطة حلف شمال الاطلسي المتعلقة بنشر الصواريخ الامريكية النووية الجديدة المتوسطة المدى في اوروبا الغربية. وكان شميت الداعي الاساسي الى الخطة لانه كان قلقا في شأن احتمال لجوء الاتحاد السوفييتي الى صواريخه الجديدة للضغط على اوروبا الغربية، كما كان قلقا في شأن احتمال تخلي الولايات المتحدة عن التزاماتها في مجال الدفاع عن حلفائها في شمال الاطلسي.

عمق المشكلة - وفي الوقت الذي اخذ الوفاق يضعف والاقتصاد يتعثر، وجد المستشار نفسه في مواجهة تحديات الصواريخ وهو يفتقر الى وسائل الارضاء السياسي لتهدئة القلق الذي ثار حولها. كثيرون جزموا بأن رونالد ريغان وشبكة صواريخه سيدفعان العالم الى حرب باردة جديدة ويقضيان على تحكم المانيا الغربية بشؤونها الخاصة ويعيدانها الى وضعها السابق كقاعدة امريكية امامية في اي مواجهة عسكرية مع الاتحاد السوفييتي.

قال برانت : "اذا اخفق السلام فسنكون نحن الالمان اول من سيتعرض للابادة." وقال ارهارد ابلر احد الوزراء السابقين في حكومات برانت وشميت : "اذا شاء الامريكيون ان يفهموا المانيا الغربية، فلا بد من مقارنة النهج المطبق هنا بما هو قائم بين البولونيين والسوفييت." بالنسبة الى ابلر تبدو الشكاوى السوفييتية من الخطة القاضية بنشر الصواريخ الجديدة "مفهومة تماما كما كانت مفهومة مقاومة الامريكيين لنصب الصواريخ السوفييتية في كوبا عام ١٩٦٢."

وكتب بيتر بندر احد انصار برانت : "ما دام حلف شمال الاطلسي هو مقياس كل شيء بالنسبة الى اوروبا الغربية، فسوف تتمسك موسكو بما لديها بكل قوتها. ان اوروبا الشرقية لا يمكنها ان تتحرر من الاتحاد السوفييتي ما لم تتحرر اوروبا الغربية من الولايات المتحدة."

وفي كتاب "نهاية العصر العقائدي" الذي اثار صدوره نقاشا واسعا، يقول بندر ان الوجود العسكري الامريكي في اوروبا الغربية يجب ان يستمر حتى تؤمن اوروبا لنفسها مقدارا اعظم من الاستقلالية الذاتية وتقنع الاتحاد السوفييتي، عن طريق المداراة المتواصلة، بأن لا مبرر للخوف من قيام قوة اوروبية

ثالثة. والطرح الرئيسي في الكتاب هو: "هناك امل في ان يسمح الكرملين للديموقراطية بالدنو من حدود الاتحاد السوفييتي عندما لا تعود اوروبا الغربية، ظاهراً او فعلا، قاعدة اميركية ضد الاتحاد السوفييتي، وعندما لا يعود يسمح للصواريخ ومحطات الاذاعة بالوصول الى الاتحاد السوفييتي والدعوات الى حقوق الانسان او الحقوق المدنية بأن تستخدم كأسلحة سياسية."

الصحيفة السويسرية "نيو زورخر تسايتونغ" التي تعد اكثر صحف العالم استقلالية وجرأة، اعتبرت ان الكتاب يستحق افتتاحية. قالت الصحيفة ان الكتاب يتألف اساساً من تصورات واهمة بأن الاتحاد السوفييتي جار امين لا خطر منه، كما يتضمن جرأة متعالية في زعمه ان المصالح الالمانية الصرفة هي مصالح بقية بلدان اوروبا الغربية. واضافت الصحيفة، من دون ان تسمي المانيا صراحة، ان الكتاب يشير بوضوح الى البلد الذي "سوف يمسك بزمام القيادة اذا خلا الميدان من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة."

وفي الاشهر المقبلة سيحاول شميت ان يظهر قدرة بلاده على التحكم بمستقبلها وتخفيف التوتر في العالم. واجتماعاته عام ١٩٨١ مع الرئيس السوفييتي ليونيد بريجنيف وزعيم المانيا الشرقية اريك هونيكر كانت في هذا المنحى. ولكن يبدو ان الخطة تفتقر الى بعد نظر وانها تهمل عمق المشكلة، اي علاقة بلاده بالولايات المتحدة والحلف الاطلسي والتزاماتها تجاه الغرب ومواقفها ازاء اعادة توحيد الامة الالمانية.

ان هذه القضايا تنطوي على محرمات ضخمة. فعلى رغم كل ما حققته المانيا الغربية من نجاح في مجال الديموقراطية، لا يزال متعذرا على زعمائها الاقرار علنا بأن العالم كله راض عن انقسام الامة الالمانية. فالمشكلة لم تحل، وهي ما زالت مصدر القلق والاستياء لدى الشعب الالماني. وفي غياب البحث الجدي الحازم عن الموقع الحقيقي لالمانيا الغربية في العالم، ستتفاقم التوترات والمخاوف التي يصر الالمان على انهم يرغبون بصدق في تجنبها.

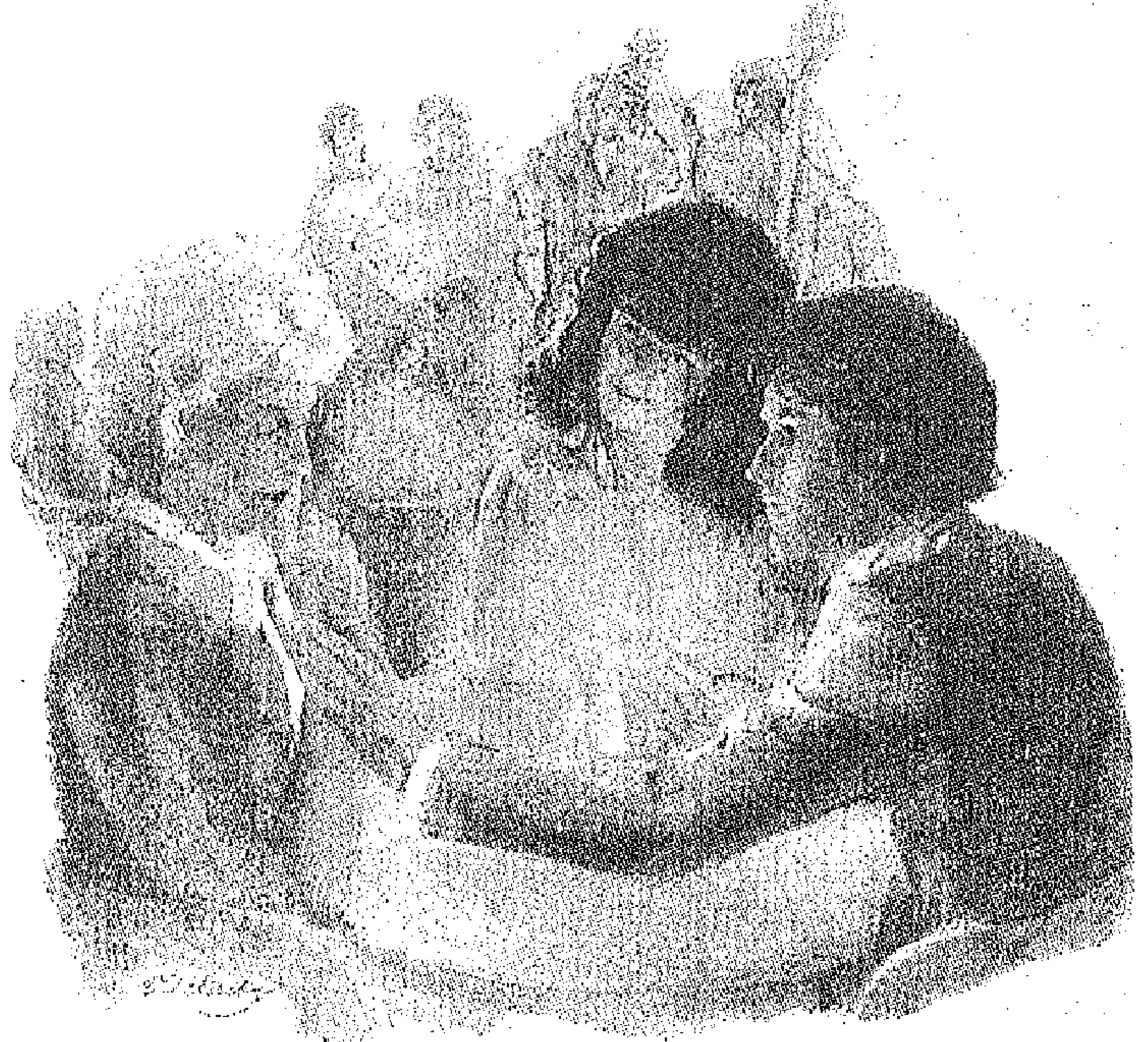
■ جون فينوكو.



منطق الرؤساء

وصل رئيس احدى الشركات متأخراً الى اجتماع لمجلس ادارة الشركة. وجلس على اقرب مقعد خال. فقال له أحد الاعضاء: "تفضل، يا سيدي، الى رأس الطاولة". فأجاب: "ألا تدري، يا عزيزي، أنه حيثما أجلس يكون رأس الطاولة؟"

ج.ل.



انبلاج فجر
وصوت موسيقى
ولمسة يد...
تلك وغيرها اعاجيب صغيرة
نمجد امامها عظمة الخالق

كانت امسية ربيعية هادئة في اثينا . وبعد تناول العشاء توجهت ورفاقي في السفر الى سطح الفندق ورحنا نتأمل الجمال حولنا . وصرخ احدهم : "انظروا !" واذ التفتنا الى حيث اشار ساد صمت جليل .

كان القمر يتصدر صفحة السماء فوق المدينة وقد حول ضوؤه الضباب سديما ذهبيا . وتمطت تحتنا العاصمة القديمة النرجسية البياض . ويبدو ان القمر التقط من بعيد غموض هيكل "البارتينون" المتربع فوق عرش تلة شامخة . وامتدت خيوط نوره لتعانق اغصان شجرة زيتون قريبة .

وللحظة بدت المدينة كأنها حجرة تفتح ابوابها على الابدية ، واصغينا كأننا نسمع موسيقى الهية تنبعث من

خلف الاشياء· وهمس صديق وقف قربي : "يا لها من ليلة قدسية !"

في كتابها "هدية من البحر" تحدثنا آن مورو ليندبرغ عن تجربة مماثلة عاشتها خلال عطلة قضتها في كوخ على شاطىء منعزل· وقد اقتصرت رفقتها على طيور البجع والنورس وزمار الرمل· وشعرت كأنها "تلاشت في الكون وضاعت فيه فلا تسمع سوى كلمات تقول : ليتمجد اسمك ايها الرب !"

ما ان تتبادر الى ذهني اعمال العبادة العفوية حتى اتذكر موسيقيا كان يعيش في مدينتي · ففي يوم صيف مشرق زار وزوجته البرج الذي شيد على اعلى قمم ولاية مساتشوستس· وامتدت امامهما ثلاث ولايات هي كونيتيكت ومساتشوستس ونيويورك، وتوهج نور الشمس في الاودية والغابات والبحيرات·

عظمة هذا المشهد حركت مشاعر الرجل، فاسرع الى السيارة وتناول بوقه ثم عاد الى البرج· وهناك عزف كل ما فاض به قلبه من احاسيس، تمجيدا للخالق وبعثا للفرح في نفسه·

ولا تحصر العبادة ضمن جدران معبد، لانها توجه وموقف في الحياة واستجابة للعالم حولنا· وجوهر كل عبادة هو الدهشة· وقد وصفها الفيلسوف جيرالد هيرد بانها "ذاك المزيج من رهبة عميقة وفرح غامر غير اناني· انها التطهر الحقيقي والخلاص الوحيد للروح·"

والعبادة العفوية قديمة.ولا شك في ان الانسان، قبل ظهور الاديان، توقف برهبة وتوق امام توهج شمس المغيب على اعالي الاشجار او تلألؤ النجوم في السماء· وقد كتب لورين ايسلي عالم الطبيعة : "عندما اخذ الانسان يرسم الحيوانات في الكهوف المظلمة، بدأ يعبر عن استجابته للقداسة والروحانية وسر الكينونة والصيرورة·"

الله قريب منا - ولا تقتصر تجربة العبادة العفوية على المؤمنين· فقد حدث ذات يوم ان كنت اقلب كتابا مصورا مع طالب طب عرفته لسنين· واسترسلنا في تأمل صورة زهرة شفافة في وسطها شموس ذهبية صغيرة· وتمتم صديقي ابياتا للشاعر وليم بلايك :

"تلمح سماء في زهرة برية
"وتقبض في باطن يدك على اللانهاية·"

ودهشت، فالسماء لم يكن لها مكان في تفكير صديقي· وهو لاحظ تعابير وجهي فقال : "لا تعجب·ان نظرتي الى الحياة تغيرت عندما وقفت يوما اراقب جراحة اجريت لشاب كان يعاني ورما في دماغه· وبدا لي الدماغ كونا حيا· وما ان غادرت غرفة العمليات حتى تملكتني رغبة في الصلاة لم اشعر بها يوما· عندما انظر الى شيء حي تحت المجهر، كخلية بشرية او كهذه الزهرة، فانني ارى فيها اعجوبة الخلق·"

وقد يأتي حافز العبادة من قدرتنا الذاتية على حب الاخرين. واذكر ليلة، بعد موت ابني باشهر، كيف ان ومضة حب انساني اشعرتني بان الله قريب مني. فقد دعتني حفيدتي الجامعية وصديقها الى مرافقتهما لمشاهدة حفلة غنائية، عل ذلك يبعث في نفسي بعض السلوى.

وكنت شاكرة لهما، وحاولت ان اتمتع بوقتي. ولكن خلال اغنية حنونة عابقة بالذكريات انتابتني نوبة بكاء. فامسكا بكلتا يدي في بادرة عفوية تضمنت معاني الاهتمام والحنان. وهذا اشعرني اني محاطة بدائرة من الامان والحب.

ليس مستغربا ان تنزل السماء لتلمسنا عندما نجد انفسنا آمنين في قلب شخص آخر. فالحب الانساني هو كبريق الذهب في كف المنقب، شديد الاختلاف عن كل ما يحيطه حتى ليبدو كأننا وجدناه في عالم افضل. وكتب الفيلسوف الهندي رابندرانات طاغور الى ضيف عزيز: "بعد ان ذهبت، وجدت آثار خطوات الله على الارض."

ولا شيء يحثنا على الاجلال اكثر من اعمال الانسان الخلاقة التي توقع الرهبة في النفس: فن العمارة والرسم والشعر والموسيقى. وكثيرا ما نلمح في هذه الفنون وجودا آخر اعظم.

العبادة العفوية - والفن العظيم هو لغة الرموز، ويقول العالم بول تيليك: "اهتمامات الانسان المطلقة لا يعبر عنها الا بالرمز. فاللغة الرمزية هي وحدها القادرة على التعبير عن المطلق."

لي صديقة نحاتة كانت تطوع قطعة حجر، فسألتها عما تظن انها تفعل، اجابت: "اني احول المادة روحا."

وفي حياتنا اليومية ندرك ان العبادة العفوية هي جزء من معنى الوجود وسر كوننا بشرا. نحن نحتاج الى الشعور بالرهبة من وجود تكتنفه الاسرار وبالعرفان الذي يضرم في داخلنا شعورا متجددا بالحياة ويعلمنا تقدير عجائب الكون.

وقد بورك الشاعر براد فورد سميث بلحظة فرح، وكان يدرك ان موته اضحى وشيكا بسبب داء السرطان، عندما راقب انبلاغ الفجر وانشد:

"يا الهي ما اجمل النور
"الذي تضيء به عالمك!
"واي لطافة سامية
تبعث النور في الفلك!"

وبعد وفاته رثاه الشاعر مارك فان دورين فقال انه كان يعيش يوما بعد يوم "كي لا يفوته سر مفرح من اسرار الوجود".

ذاك هو مفتاح العبادة.

■ ادريس ويتمان

من الاوقات التي يكون الصمت مزعجاً عندما يعجز محرك السيارة عن الدوران.
ج.غ.

خيط اسود مذهل يحل مكان الاربطة والاوتار ويعيد الحركة والراحة الى المفاصل المعطوبة

خَيْطُ الكَرْبُون

يَرتُقُ الجُسُوم ويُزيلُ الأوجاع

في شهر فبراير (شباط) ١٩٨٠ اجريت جراحة زرع لسيدة من كارديف (مقاطعة ويلز البريطانية) عمرها ٣٨ سنة وقد اقعدها شلل الاطفال. وكانت تلك الجراحة ثورة في عالم الطب، اذ ان اربطة(١) رسغها المشوهة ابدلت بخيوط من الكربون. ومع حلول شهر يونيو (حزيران) كانت السيدة تسير على قدميها من دون عون، وذلك للمرة الاولى منذ طفولتها. وهي اليوم تعمل سائقة حافلة بطبقتين.

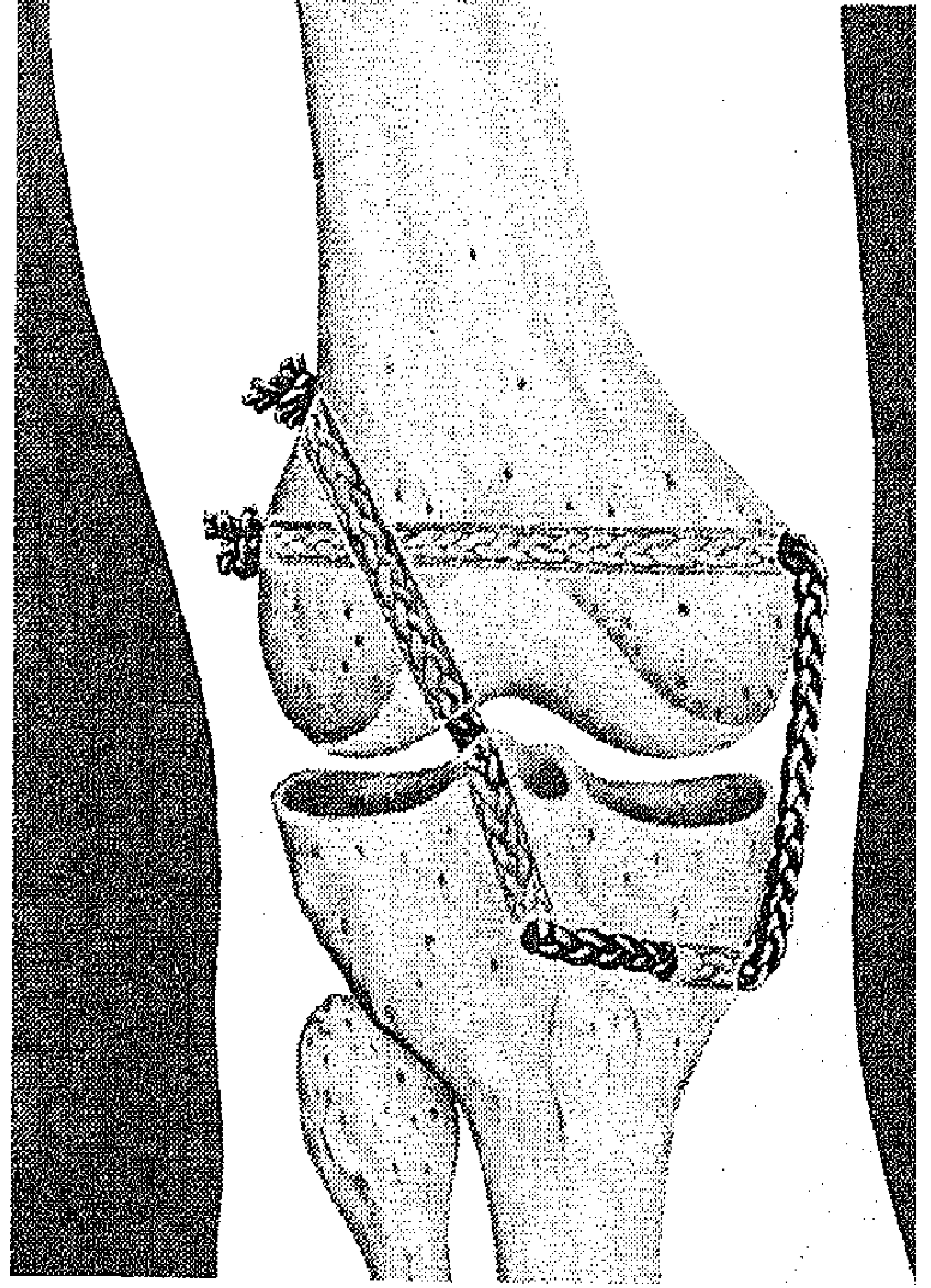
وفي يوليو (تموز) ١٩٨٠ كان النجم الايرلندي العالمي في لعبة الركبي، كولين باترسون، يلعب في جنوب افريقيا عندما التوى النصف الاسفل من احدى ساقيه الى حد ان تلك الساق انثنت الى الامام بزاوية مستقيمة عند الركبة. ويتذكر كولين: "كنت في الخامسة والعشرين، وخشيت ان يكون مستقبلي مع الركبي انتهى." على انه في اليوم التالي، في احد مستشفيات جوهانسبرغ، زرعت له خيوط الكربون عوضاً عن رباطي ركبته. وفي نهاية تلك السنة عاد باترسون الى الملعب.

وفي اغسطس (آب) ١٩٨٠ اجريت الجراحة نفسها لشابة من غلوستر (بريطانيا) عمرها ٢٢ سنة ومقعدة من اثر وقعة خطرة. وفي ابريل (نيسان) ١٩٨١ ارسلت تلك الشابة بطاقة بريدية الى بريطانيا من جبال حملايا حيث كانت تشترك في حملة تسلق. وكانت البطاقة موجهة الى طبيبها ديفيد جنكنز، وهو جراح عظم ومحاضر شرف في مستشفى جامعة ويلز في كارديف.

وجنكنز رجل في التاسعة والثلاثين، متحمس ورقيق الجانب، وهو رائد ما يعرف الآن بتقنية "رباط جنكنز". وتنطوي هذه التقنية على تبديل الاربطة والاوتار(٢) بخيوط الكربون، وهي خيوط مصنعة اقوى من الفولاذ وادق من شعر الانسان. وقد اجرى هذا الجراح - المعترف بأنه الابرع عالمياً في هذه الجراحة - اكثر من ٤٠٠ جراحة على الرجال والنساء بمن فيهم ضحايا التهاب المفاصل الروماتيزمي الذين التوت ايديهم وتشوهت من جراء شلل اوتارها. وقد

(١) الرباط عصبة من نسيج لين تشد العظام.

(٢) انسجة تصل العضل بالعظم.


خيط الكربون يشد مفاصل ركبة يمنى.

اجريت حتى الان ٤٠٠ جراحة بخيوط الكربون في فرنسا واكثر من ١٥٠ في جنوب افريقيا ومئات في المانيا واوستراليا وكندا والبرازيل.

هذه الزراعة ليست مأمونة فحسب ـ اذ يقول جنكنز ان الدراسات الدقيقة اثبتت انها لا تسفر عن اورام سرطانية ـ بل انها تتجاوز كونها عملية ترميم. فالعجيب ان الخيوط الكربونية تحفز تجدد الاربطة والاوتار، فلا تمر بضعة اشهر حتى يصبح اعتماد المريض على الانسجة الجديدة النامية اقوى من اعتماده على الخيوط المزروعة.

رباط اصطناعي ـ المثل النموذجي لهذه الزراعة هو ايمير بيرس، احد مرضى ديفيد جنكنز الاوائل الذي كان بمثابة حقل تجربة. وكان طالب حقوق في الحادية والعشرين، طوله ١٨٨ سنتيمتراً ووزنه ٧٦ كيلوغراماً. وكان رياضياً بارعاً. وفي اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٧ مزق بيرس رباطاً في ركبته اليمنى وهو يلعب كرة القدم. ويقول: "رحت اعرج لبضعة اشهر تعيسة. وكانت ساقي تنهار تحتي كلما خطوت". واخيراً اقترح عليه بعض اصدقائه من الاطباء ان يراجع جنكنز الذي عُرف عنه انه يجري تجارب على نوع جديد من المعالجة

قال له جنكنز بصراحة: "امامك ثلاثة خيارات. الاول الا تفعل شيئاً فتعيش كما انت. والثاني ان اخيط لك الرباط، لكن هذا سيكون كالجمع بين خيوط فرشاتي حلاقة اذ ان الرباط لن يرجع قوياً على الاطلاق. والثالث ان ازرع لك خيوط الكربون."

ومن دون تردد اختار بيرس الزرع.

شركة كورتولدز لصناعة النسيج تتولى صنع الخيوط في شكل حبال يضم الواحد منها ١٠ آلاف شعيرة. وعشية اجراء الجراحة في ٢٥ ابريل (نيسان) ١٩٧٨ جدل جنكنز، وهو يشاهد التلفزيون في بيته قرب كارديف، اربعة خيوط بطول متر تقريبا. وجعل في احد طرفيها عقدة وفي الطرف الآخر انشوطة.

واجريت الجراحة في اليوم التالي واستغرقت ٤٠ دقيقة كان بيرس خلالها تحت تأثير البنج العمومي. احدث جنكنز شقاً عمودياً طوله ١٣ سنتيمتراً في ركبة بيرس،

ثم جعل ثقباً قطره ثلث سنتيمتر في عظم الفخذ فوق الركبة تماماً· وادخل عبر الثقب ابرة معقودة بانشوطة الخيط وشدها حتى ثبتت عقدة الطرف الآخر في عظم الفخذ· بعد ذلك جعل ثقباً مماثلا في الظنبوب (عظم الساق) تحت الركبة تماماً· ومرر الخيط تحت الجلد عبر الثقب واداره الى فوق - تحت الجلد ايضا - وادخله ثقباً آخر فتحه في عظم الفخذ على علو خمسة سنتيمترات فوق الثقب الاول· وهكذا ارتبطت العظام العليا والسفلى لساق بيرس برباط اصطناعي·

وهنا وصل جنكنز الى الذروة الحساسة في عمليته· وهو يقول: "اذا كان خيط الكربون شديد الاحكام، فقد مرونته· واذا كان رخواً، فلن يوفر الدعم الضروري·" ولذا راح جنكنز يجرب تحريك الساق تكراراً، وعندما ارتاح الى النتيجة ربط الخيط وقصه قبل ان يخيط العضل والجلد·

وبعد ثلاثة ايام كان بيرس يسير على عكازتين وساقه في الجص من الفخذ الى الرسغ لتثبيت خيط الكربون ومنع تحركه حتى الشفاء· وبعد اسبوعين اجري له فحص اثبت نجاح الجراحة، وبعد ستة اسابيع ازيل الجص· ومع ان بعض المرضى يفقدون نحو عشرة في المئة من حركة المفصل لكثافة الرباط او الوتر الذي ينمو من جديد بعد الزرع، الا ان بيرس لم يشكُ من اي خسارة· وهو اليوم محام ناجح يلعب البدمنتون والاسكواش وكرة القدم·

خبر مثير - قبل اكتشاف جنكنز الرائع كانت المعالجة التقليدية للاربطة والاوتار المتضررة تقوم على وضع المفصل المصاب في الجص وانتظار الالتئام· لكن جنكنز يقول: "ان التمدد الزائد في احد الاربطة قد يكون اخطر من كسر في العظم· فاذا التأم على نحو خاطىء، فقد يصبح المفصل ضعيفاً على الدوام·" ولقد حاول جراحون عديدون اصلاح الاربطة والاوتار بخيوط مصنعة مثل النايلون والداكرون والتيفلون، واستعمل جنكنز مرة خيوط الزجاج، لكن الاجهاد كان يحل بهذه الخيوط بعد بضع سنوات مما يؤدي الى انهيار المفصل ثانية·

وفي العام ١٩٧٧ كان جنكنز في الشرق الاقصى يحاضر عن جراحة العظم في جامعة هونغ كونغ، فالتقى ممثل شركة كورتولدز الذي حدثه عن آخر مستحدثات شركته: خيط الكربون اللين· والكربون عنصر اساسي في تركيبة جسم الانسان، وهو كان لزمن طويل يجتذب الجراحين المتخصصين بعمليات التبديل· فهو خفيف الوزن وغير فاعل حيوياً ويتناسب تماما مع دم الانسان· كما انه ينزلق تلقائياً الى حد ما· ويجدر القول ان صمامات القلب الاصطناعية مغطاة بطبقة من الكربون المبخر·

وخيوط الكربون معروفة لاكثر من قرن منذ ما نجح جوزف سوان وتوماس اديسون في كربنة خيوط السلولوز والقطن بتسخينها الى درجة عالية، وذلك لصنع اسلاك المصباح الكهربائي· لكن هذه الخيوط الاولية كانت ضعيفة، وكان لا بد من الانتظار حتى الستينات عندما استحدثت خيوط قوية جداً استعملت في صناعة

الطائرات والمركبات الفضائية. ولم يمض وقت حتى ادخلت في صنع مضارب الكرة وصنانير الصيد وعصي الغولف وهياكل القوارب، غير ان صلابتها حدت من استخدامها في حقل الطب. وقنط منها الجراحون بمن فيهم جنكنز.

وذكر ممثل شركة كورتولدز لجنكنز ان تقدماً مهما تحقق وانه متفائل بامكان استخدامه طبياً. ذلك ان تسخين الخيوط المصنعة الى ٢٥٠٠ درجة مئوية قد انتج خيوطاً من الكربون يكون الواحد منها سريع القصف منفرداً لكنها تغدو لينة واقوى من الفولاذ اذا جدلت كل ١٠ آلاف منها في حبل واحد.

اثار هذا الخبر فضول جنكنز. وهو يتذكر ذلك: "اول ما تبادر الى ذهني كان الاربطة والاوتار. لكني في تلك المرحلة لم اتصور سوى ان خيوط الكربون في حال استعمالها للزرع ستدوم فترة اطول من المواد الاخرى."

انسجة جديدة ــ عام ١٩٧٤ تسلم جنكنز عينات من خيوط الكربون الجديدة ارسلها اليه ديفيد كارلتون احد مديري فرع كورتولدز لانسجة الكربون في كوفنتري (بريطانيا). فراح يجري تجاربه في زرع الاربطة والاوتار على الخراف والارانب بعدما تلقى مساعدات من مجلس الابحاث الطبي ودائرة الصحة وشركة جونسون وجونسون للعناية البيتية. والذي حدث ليس فقط ان هذه الحيوانات عادت الى المشي الطبيعي بعد ثلاثة اسابيع، بل ان جنكنز ومساعديه دهشوا عندما اكتشفوا فوارق اساسية بين خيوط الكربون ومواد الزرع الاخرى.

ويقول جنكنز: "ان خيوط الكربون تجتذب الانسجة اليها. فالخيط يشبه سياجاً من الاسلاك تتجمع حوله النباتات. فالانسجة تبدأ النمو متشعبة بين الخيوط فيما السياج نفسه ينحل ببطء حتى يضمحل. وخلال مدة تراوح بين ستة اشهر وثمانية تتكون اربطة او اوتار جديدة اقوى كثيراً من الاصلية". وهكذا لم يعد ثمة قلق حول مدة فاعلية الزرع.

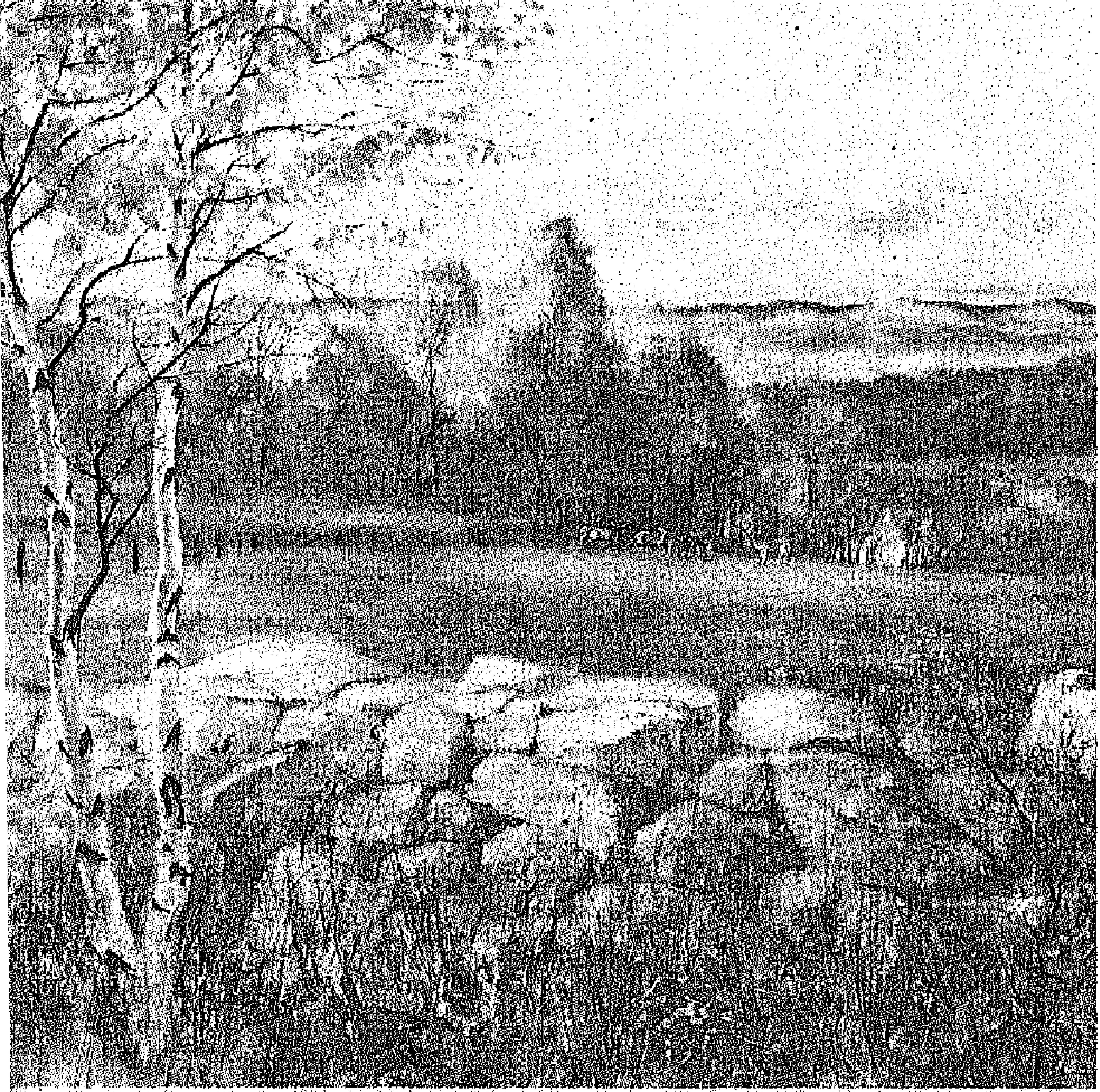
ويشعر جنكنز ان الجراحة التي حملت اسمه مهمة للرياضيين الشباب الذين لولاها لانتهت حياتهم العملية. وهو لا يجري جراحات للاطفال والمراهقين لان عظامهم لم يكتمل نموها بعد.

ونسبة نجاح الجراحات بخيوط الكربون عالية وتبلغ ٨٠ في المئة. ويقول جنكنز: "ان الاخفاق يرجع عادة الى خطأ تقني كأن يخفق الجراح في وضع الخيوط في المكان المناسب او ان يرجع المرضى الى مزاولة الرياضة قبل الاوان."

ونمو الانسجة من جديد بوجود خيوط الكربون يدفع الاطباء والعلماء الى التساؤل: هل يمكن ان يحدث مثل هذا في مواقع اخرى من الجسم؟

لقد استخدمت قطع صغيرة من خيوط الكربون في ترقيع الاوعية الدموية، وقطع اكبر في رتق عضلات البطن بعد جراحات الفتق. وفي الحالتين كان خيط الكربون يحفز نمو انسجة جديدة. ويقول ديفيد كارلتون: "ان الاستعمالات المستقبلية لخيط الكربون مثيرة جداً!"

■ اليز بيكيه



ذات صباح باكر

الطبيعة التي نجد فيها
التحوّل الدائم هي عينها
التي نجد فيها الثبات،
اذا اكتشفناه
في نفوسنا

ما أن رنّ المنبه عند السادسة صباحاً حتى مدّ ابني آندرو، ذو السنوات الثماني، يداً مترنحة اليّ وطوّق صدري بذراعه. وكان، وهو بين الصحو والنوم، تسلق سريري قبل ساعة ليخبرني عن حلم مزعج.

وأوقفتُ المنبه وبقيتُ هنيهة بلا

حراك. وراودتـنـي رغبة الاستسلام للنوم ثانية وغضّ النظر عن نزهتي الصباحية. ورحتُ أبحث عن جميع الاعذار التي تتيح لي البقاء في السرير بين ذراعي ولدي.

غير أنّ السماء بدت صافية. وبعد عشريـن دقيـقة ستشـرق الشمس. وكانت كلبتنا الذهبية بافي تستمتع كثيراً بتلك النزهة اليومية. وهكذا نهضتُ من تحت ذراع آندرو وارتديت ملابس الرياضة ونزلتُ الى البهو. وكانت بافي كعادتها تنتظرني عند أسفل الدرج.

وعلى الطريق في الخارج أردتُ أن أرى اذا كان البدر ظاهراً. وشاهدته في الافق الغربي أشدّ بياضاً من الليلة الفائتة وجباله أكثر وضوحاً.

وتجاوزتُ مـــــزرعة مجاورة وانعطفتُ يساراً عند قمة تلة. وبعدما قطعتُ ٣٠٠ متر وقفتُ ونظرتُ غرباً. كان القمر هناك وتحته غمامة صباح طرية تغطي الوادي. وأمكنني أن أرى في الجوار مزرعة جياد تحدها بعض أشجار ويقع خلفها مرعى. وفي المرعى رأيتُ ستة غزلان أدارت آذانها في اتجاهي وقد سمعت وقع خُطاي من بعيد.

في تلك اللحظة راحت بقرة بنية اللون تخور ورائي كأنها تدعو أحداً كي يحلبها. وفي الشمال صاح ديك.

وهكذا وجدتُ نفسي وسط لوحة من قمر وغمامة وغزلان وبقرة وصوت ديك، حاولتُ أن أبقيها في خيالي ما استطعتُ. وهي ذكرتني بأنّ ثمة أشياء لا تتغير البتة، وأنّ القمر والغمام والحيوانات والاشياء المادية كالحليب والبيض هي هناك منذ آلاف السنين، وانها سوف تبقى أُلوفاً من السنين أيضاً.

ولحست بافي يدي، فاستأنفتُ السير وقد انطبعت تلك اللوحة في حواسي. وآنستنـي كثيـراً بحيث قررتُ أن أبدل طريق العودة وأرجع على الطريق ذاتها لرؤية المشهد مرة اخرى.

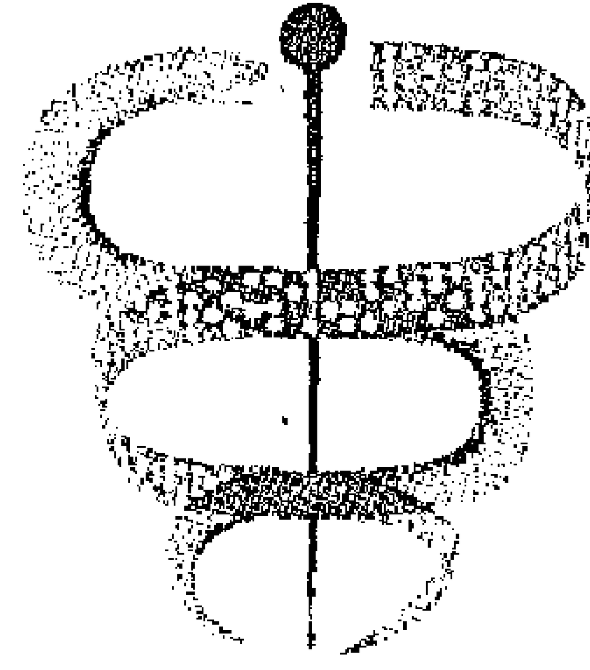
وانقضت خمس عشرة دقيقة قبل أن أجد نفسي من جديد على رأس التلة وأنا أنظر غرباً. لكنّ القمر غاب وانقشعت الغمامة عن الوادي ولم يبـقَ منهـا سـوى خيـوط شفـافة. وابتعدت الغزلان عن أرضها واختفت وغاب خوار البقرة بعد حلبها وتلاشى صياح الديك.

ووقفتُ هناك بلا حراك على رغم الحاح بافي، وقد ملأتني بهجتان. اولاهما أني بدأتُ يوماً جديداً. ولو لم أُرغم نفسي على النهوض من السرير الدافىء، لاضعتُ تلك اللحظة الـرائعة الـتـي أدركتُ جيـداً أن عناصرها لن تجتمع على هذا النحو في الساعات الباقية من اليوم.

والبهجة الثانية كانت ادراكي أنه، على رغم ما قاله الحكماء من أنّ الثبات الوحيد هو التحول، فثمة شيء دائم يقوى على كلّ صيرورة في خبرتنا. انه الـرجاء الـمـتجذر فـي أعماق نفوسنا والخاصّ بكل منا. هذا الرجاء هو دائماً هناك. لكنه بالنسبة اليّ، ذلك الصباح، ظهر كما لو كان جديداً، على لوحة قوامها قمر أبيض غارب وواد ناضر تكسوه غمامة وستة غزلان تنظر اليّ وبقرة تخور وديك يصيح، علامة على بدء نهار جديد.

■ جون آلن

أصداء من عالم الطب



علاج جديد لسرطان الدم

التقارير التي نشرت في "مجلة نيو أنغلند الطبية" تسجل تقدماً ملحوظاً في معالجة أحد أنواع أبيضاض الدم (اللوكيميا) الاكثر خطراً وتعد بطرق أجدى لمكافحة جميع أنواع سرطان الدم.

ويتكلم التقرير عن علاج جديد مركب لابيضاض الدم الحاد الناشىء من مخ العظم الذي يصيب البالغين والاحداث، وقد أدى هذا العلاج الى شفاء ٥٨ مريضاً من أصل ٨٣ مريضاً على نحو تام. والذي يدعو الى مزيد من التفاؤل أن نصف أولئك الذين تلقوا ذلك العلاج غاب عنهم المرض من سنتين الى أربع. أما ضحايا هذا المرض الذين يعالجون بالطرق التقليدية ويشفون بعد ذلك، فلا يعمرون أكثر من ١٨ شهراً حتى ٢٤ شهراً.

وفي الوقت نفسه، توصل فريق من مستشفى أندرسون ومعهد الاورام في هيوستن (ولاية تكساس) الى طريقة لتحري "اللوكيميا" قبل ثلاثة أشهر ونصف شهر من تحريها بالطرق المتبعة.

وقد حلل فريق هيوستن الجسيمات الخيطية (الكروموسوم) المستخرجة من خلايا النخاع العظمي لمرض اللوكيميا، فتوقعوا انتكاس ١١ مريضاً من أصل ١٤ عاودهم المرض.

والطريقة الجديدة تمكن من أكتشاف المرضى الذين تجدر معالجتهم بالمواد الكيميائية حين يكون عدد خلايا الدم السرطانية لا يزال قليلا، كما تمكن من وقاية المرضى الآخرين أخطار التسمم عبر العلاج بالادوية. والطريقة الجديدة مازالت تقتضي عمليات مخبرية معقدة. لكن فريق هيوستن يحاول تبسيطها لتعم فائدتها.

ر.ن.

طب الاطفال

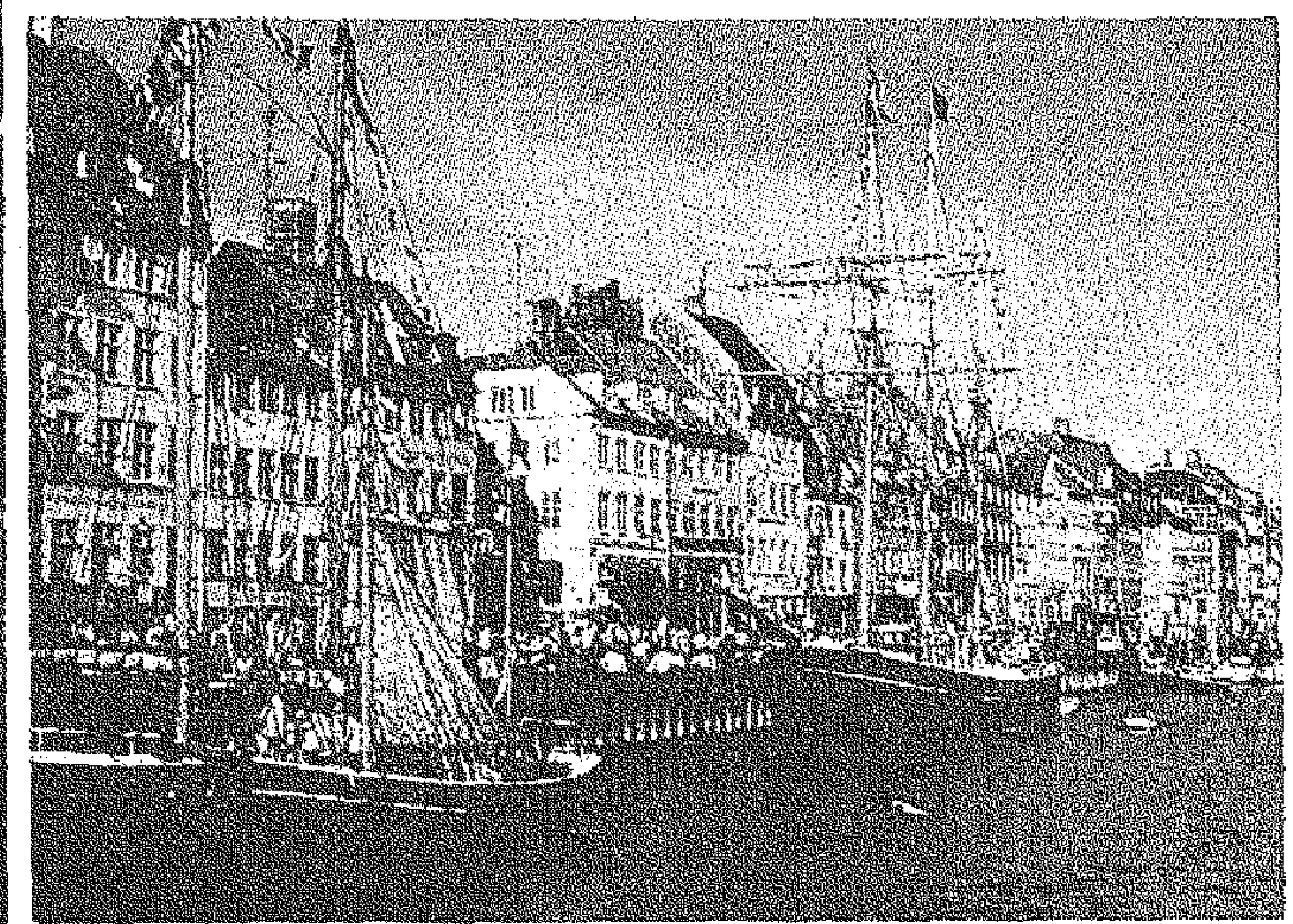
من الجديد في عالم الطب أختيار من شأنه في أقل من ٢٤ ساعة، كشف الاصابات التي تؤدي الى ذات الرئة وعطب الدماغ والتهاب القلب لدى الاطفال. والطرق المتبعة حالياً تستغرق بضعة أسابيع، وتقوم على زرع الفيروس (الجرثومة) في المختبر.

والاختبار الجديد أبتكره الدكتور روبرت يولكن من مستشفى جامعة جونز هوبكنز في بلتيمور (ولاية ماريلاند الامريكية). وهو يقوم على أخذ عينات من دم المريض وبرازه وحلقه ومزجها بخميرة ذات مفعول مضاد بالنسبة الى الفيروس ويضاف الى المزيج محلول يتبدل لونه في حال وجود الفيروس.

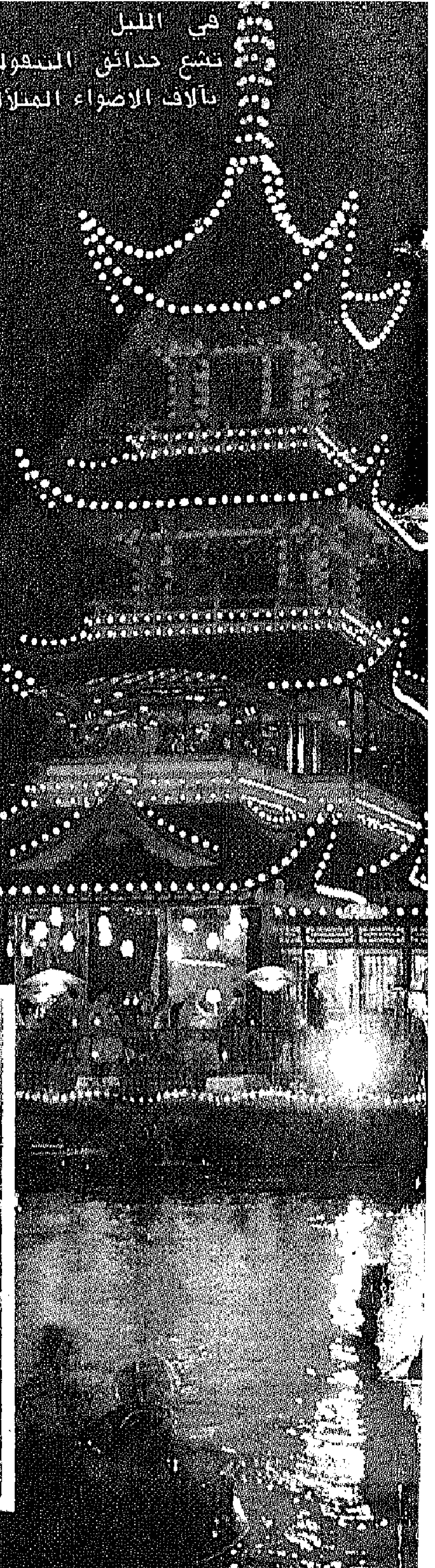
مجلة
"أخبار أمريكا والعالم"

اذا جمعت اناقة باريس وجلال لندن وسحر البندقية وانقصت مساوىء المدن المعروفة واضفت اليها نصف مليون من البشر الفرحين تكونت لديك جزيرة هي فردوس يدعى كوبنهاغن

كوبنهاغن
مدينة الدفء والحرية



قناة بمافن احد الشوارع المائية الكثيرة في المدينة البحرية .



في الليل
تشع حدائق التيفولي
بآلاف الأضواء المتلألئة.

هناك ملصق جميل في الدانمرك يظهر بطة كبيرة تحرس بكبرياء سبع بطات صغيرات عبر أكثر الشوارع ازدحاما في كوبنهاغن. إنه لمنظر حقيقي شاهدته شخصيا مرتين. فقد أوقف شرطي عابس حركة سير كثيفة ليفسح في المجال لقافلة البط. وقال أحد الأصدقاء الدانمركيين: "حسنا. إن لها حقوق الآخرين نفسها، أليس كذلك؟"

إن ترحال البط ينتهي عادة، في معظم المدن، فوق الأطباق المغطاة بصلصة البرتقال. لكنه، أي البط، يجسد في كوبنهاغن الحقوق الجديدة.



صورة جوية لكوبنهاغن، ويظهر قصر كريستيانبورغ

انا احب كوبنهاغن، لا بل اهيم بها. وللمدينة اوصاف كثيرة يصعب علي ترجمتها من لغة اهل تلك البلاد. على ان افضل هذه الاوصاف انها المدينة "الدافئة والمريحة".

وكوبنهاغن هي سعاة البريد في معاطفهم القرمزية فوق دراجاتهم الصفراء، ومنظفو المداخن السود الوجوه بقبعاتهم العالية وحرس الملكة الذين يشبهون الدمى الكبيرة. انها القصور الخيالية والينابيع المتلألئة والابراج والسقوف الخضراء من القرن السابع عشر وبيوت القرن الثامن عشر الجميلة بالوانها القرمزية والبيج والزرقاء.

تجثم كوبنهاغن على الشاطئ الشرقي لجزيرة زيلاند، كبرى جزر الدانمرك البالغ عددها ٤٠٦، وعلى الجزء الشمالي من جزيرة اماغر الصغيرة. وهكذا تبدو مشدودة باحكام الى البحر. وتنتهي شوارعها بالمياه في كل الاتجاهات، وتلوح عابرات المحيط فوق المداخن وتترنح صواريها فوق المراسي.

تعتبر عاصمة الدانمرك ثانية الموانئ نشاطا في البلاد الاسكندينافية. وهي نادرة المثيل في عصر انحلال المدن. حجمها معقول وتمكن ادارتها على نحو لائق. ويبلغ عدد سكان كوبنهاغن ٤٩٨ الفا، وهم ينزعون الى المرح اللاتيني أكثر منهم الى الجدية الاسكندينافية، السير فيها خفيف ومريح وهادئ والاحياء الفقيرة ليس لها وجود. المواصلات العامة سهلة ومتيسرة طوال النهار. وقد قضي على التلوث قبل زمن بعيد. وما زال للقلب متسع لكي يبتهج في شوارعها النظيفة وحدائقها الغناء.

قد يتبادر الى الذهن ان كوبنهاغن مدينة مملة لانعدام المشاكل فيها، لكنها ابعد ما تكون عن ذلك. انها تفخر بجامعة كبرى ودار للباليه والاوبرا واربع فرق سمفونية واكثر من ٢٠ مسرحا و٤٠ متحفا واعداد من النوادي المتلألئة. وفيها نحو ٢٠٠٠ مقصف اضافة الى المقاهي والمطاعم التي تقدم افخم المأكولات.

ان كوبنهاغن مدينة رائعة حقا. بل هي اكثر المدن التي عرفتها راحة وامانا وصداقة وحرية. انها البهجة والروعة معا. ففيها اناقة باريس وحيويتها وجلال لندن الملكي واحلام البندقية الشاعرية. هي نظيفة لكنها ليست معقمة، مزدهرة ولكن غير متخمة، مرحة ولكن من دون تطفل، متسامحة ولكن منضبطة، انها مدينة يسودها التعقل والمرح.

شعب لطيف – كانت كوبنهاغن في زمن الفايكنغ قرية صيد صغيرة تدعى هافن. وفي العام ١١٦٧ بنى فيها الاسقف ابسالون قلعة واحاطها باسوار عالية لحمايتها من القراصنة الغزاة. واصبحت القرية مدينة واسمها كوبنهاغن، اي مرفأ التجار.

وفي القرن الخامس عشر قرر سليل احدى الاسر الملكية الاوروبية العريقة نقل بلاطه الى كوبنهاغن، فاصبحت المدينة مركز امبراطورية الشمال القوية التي ضمت في اوقات مختلفة النروج والقسم الاكبر من اسوج (السويد) والمقاطعات الشمالية من المانيا وسيطرت على بحر البلطيق. على ان قوة الدانمرك كانت تُستنزف في الحروب التي لم تنته. وفي العام ١٨٠٧ قصف الاسطول البريطاني عاصمتها لثلاثة ايام متتالية لان الدانمركيين صادقوا نابوليون ولم يبقَ من كوبنهاغن القديمة سوى جزء صغير صمد بين الخرائب.

ان معظم المعالم التي بقيت كانت من اعمال "الملك الشمس" كريستيان الرابع (١٥٨٨ - ١٦٤٨). لقد ضاعف هذا الملك المثقف حجم المدينة، كما امر ببناء قصر روزنبورغ ذي القرميد الاحمر الذي اصبح الان خزنة لجواهر العرش، ودار البورصة ببرجها النحاسي الاخضر الذي تشابكت فيه ذيول اربعة تنانين، والبرج المستدير الذي يرتفع ٣٣،٥ مترا وكان مرصدا للنجوم. وتعتبر كل هذه الاعمال تحفا رائعة، كذلك واجهات قصر امالينبورغ الاربعة الرشيقة بزخرفاتها. ان هذا القصر باعمدته المنحوتة المتقنة يوفر للعائلة المالكة، الممثلة حاليا بالملكة مارغريت الثانية، اجمل قصر للسكن والضيافة في اوروبا كلها.

ومع ان هذه المعالم المثيرة بقيت على حالها، الا ان كوبنهاغن لا تعيش ابدا في الماضي، ففي ١٨٤٩ تبنت الدانمرك دستورا تحرريا يضمن حق الاقتراع لفئات واسعة من الشعب. وفي ١٨٩١ كانت سباقة الى تطبيق مشاريع الضمان الاجتماعي، وفي الثلاثينات من القرن الحالي بدأت تتهيأ لتصبح من اولى دول الرفاهة (١) في العالم.

ان كوبنهاغن هي الان عاصمة احدى اكثر البلدان تقدما اجتماعيا وديموقراطيا، حيث تعتمد الدولة نظاما رائعا يوفر رفاهة المواطن من المهد الى اللحد. ويفيد الدانمركيون من الطب المجاني والتعليم المجاني كذلك حتى المرحلة الجامعية. وتتحمل معهم الدولة جزءا من نفقات السكن وتربية الاطفال وتوفر لهم تعويضات سخية لدى التقاعد. ولتأمين كل ذلك تفرض الدانمرك احدى اعلى ضرائب الدخل في العالم (٢). الا ان اقتصادها لا يزال رأسماليا. ويبلغ معدل الدخل السنوي للفرد فيها ١٢ الف دولار، وهو رابع اعلى معدل في العالم.

كل هذا يمدح كوبنهاغن شعورا بالاستقرار والهدوء تحسد عليه.

---

(١) نظام اجتماعي تكون الدولة بموجبه مسؤولة عن رفاهة مواطنيها.

(٢) معدل الضرائب ٥٠ في المئة، وهي قد تصل الى ٧٥ في المئة من الدخل.



نافورة اللقلق وسط متنزه للمشاة • فوق: العلم الدانمركي يرفرف فوق ركاب احد المطاعم •

ان الرزانة ليست ميزة الدانمركيين • الا انهم متسامحون ومضيافون ومرحون، لا يجهدون انفسهم، ويتصفون بالامانة والاستقامة •

ارتال من راكبي الدراجات الهوائية تنطلق بين السيارات وسط المدينة من دون ان تسمع كلمة واحدة غاضبة • سائقو سيارات الاجرة يقولون لك "شكرا" والندل في المطاعم يجهدون لارضائك • هؤلاء الناس المؤمنون بالمتعة هم احرار، كذلك عاصمتهم • انها حرة لكنها ليست مبتذلة • فلا بأس على اي مواطن ان يتناول طعامه وهو جالس على الرصيف، ولا ان يرجع الى بيته وهو يغني بصوت مرتفع • "اننا احرار الى اقصى الحدود،" يقول احد الصحافيين الدانمركيين • ويضيف: "ان لنا مطلق الحرية في

.Photo M. Louise Brimberg/Danish Tourist Board. Inset: Tom Nebbia/Woodfin Camp and Assoc.

فعل كل ما نشاء ما دمنا ندفع الضرائب المتوجبة علينا."

حورية البحر - سكان كوبنهاغن يفخرون بمدينتهم، خصوصا بالتيفولي، اولى حدائق المتعة في العالم. وتمتد هذه الحدائق الغناء فوق ثلاثة هكتارات وربع هكتار في قلب المدينة. وهي ارض الاحلام، هياكل عربية وصينية ويابانية وسط غابات خضراء من شجر الدردار والكستناء والزيزفون، وتصدح فيها انغام اربع فرق موسيقية. وتنبت هذه الحدائق ١٠٠ الف زهرة تتفتح في الربيع والصيف، وفيها الالعاب النارية والاراجيح والمشعوذون والبهلوانيون و٢٢ مطعما تقدم مختلف انواع الاطباق.

لكن اكثر ما يفتخر به اهل كوبنهاغن هو سير الحياة في مدينتهم. فقبل عشرين عاما نبذت كوبنهاغن الاعتقاد بان كل شيء كبير هو الاصلح، وحظر تشييد الابنية المرتفعة في قلب المدينة. يقول عمدة المدينة ايغون ويدكامب: "نريد المحافظة على الطريقة التقليدية في العمار كما نريد المحافظة على وجه كوبنهاغن".

لقد نقص عدد سكان كوبنهاغن نحو ٣٠٠ الف خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية. وهكذا تمكن المخططون من ابدال الابنية الحقيرة والقديمة باخرى حديثة وحسنة التهوئة ونشروا مساحات خضراء جديدة. ونتيجة لذلك فان اهل كوبنهاغن يتمتعون بسكنى افضل من اهل اي مدينة اخرى.

ولكن لكوبنهاغن مشاكلها الخاصة. والمال هو المشكلة الاهم. فقد انفقت المدينة اموالا طائلة خلال سنوات، وكان لا بد من تخفيف ديونها. يقول الصحافي هربرت بونديك: "عندما حصلت الازمة انتظر الجميع الانهيار. ولكن بدلا من ذلك تحرك السكان للمشاركة في خفض مستوى المعيشة والاستمرار في مساعدة المحتاجين. وكان على الطبقة المتوسطة ان تدفع حصة اعلى وتجني مداخيل اقل. كما كان عليها ان تلجم تطلعاتها. ولم تحدث ثورة او تمرد. ولما كنا عائلة واحدة فقد امكننا ان نسبح سوية وسط العاصفة على نحو افضل مما فعل كثيرون."

وكلما تجولت في كوبنهاغن ترسخ لدي الشعور العميق بالاستقرار في هذه المدينة، سواء أكان ذلك في التماثل القوي بين الابنية ام في الخطوات الواثقة لهؤلاء الناس المتفهمين الشرفاء الذين يعتقدون ان الحكم على اي مجتمع يجب ان يبنى على الطريقة التي يعامل بها هذا المجتمع اضعف اعضائه. واني لمتأكد من ان شعور هذه المدينة بالديمومة لن يتزحزح. لقد تقرر مستقبل كوبنهاغن.

■ كريستوفر لوكاس

لحية فيلسوف



اللحية تبرز الحسن الطبيعي
وتمنح صاحبها شعورا بالثقة والرضا

الشكل الطبيعي لذقن الرجل هو الغابة. فالوجه الحليق هو اشبه بحقل مفلوح. انه منظر انساني فقد طبيعته الخاصة. لذلك فان العودة الى اللحية هي عودة الى الطبيعة. وبعد ان يزول حكاك اليوم الثامن، تنسى تماما وجود اللحية. اما الحلاقة فهي مزعجة ومؤلمة، تهيج الجلد وتترك جروحاً تعجز عن تهدئتها خزانة ملأى بالمستحضرات الطبية.

بدأت قصة لحيتي امام المرآة قبل خمس سنوات، واذكر اني، كطفل ثم كمراهق فشاب، لم اتعود وجهي ابداً. فاستدارته وملامحه المكفهرة، وشحوبه ثم تورده، وبياضه الذي اضحى اخيرا لونا يشبه خليط الملح والفلفل، كلها ساهمت في خلق شعور لدي بعدم الرضا.

وحدث في مناسبتين او ثلاث، حين وقعت فريسة مرض ولازمت غرفتي او سافرت لبضعة ايام، ان تركت ذقني بلا حلاقة. واذكر اني كنت استرق النظر الى المرآة بصبر نافد كل عشر دقائق لارى كيف تنمو. لكني لم اصمد اكثر من اسبوع ابداً.

واخيراً، عام ١٩٧٦، اطلقت لحيتي من دون تردد او ندم. ولأني ازدري الحلول الوسط فقد اخترت لحية كثيفة.

واكتشفت حينئذ الثمل العاطفي الذي تختبره عندما تطلق العنان لشعرك فتتركه ينمو على هواه.

وفي نهاية العام المذكور دهشت عندما رأيت في وجهي دليلا على ان اللحية، اذا ما سمح لها بان تنمو بحرية، تكسبه تلك المسحة الطبيعية التي تميز وجوه الفلاسفة والتي سحرتني منذ ما كنت طفلا. ولولا زوجتي واولادي الذين الزموني بحد من اللياقة الاجتماعية، لكنت اتمتع اليوم بلحية لا نراها الا في اللوحات التاريخية. وبسبب تلك الاصوات المعتدلة، قصرت موقفي على رفض تسليم ذقني الى رحمة حلاق، كما قاومت كل فكرة لاستعمال موسى الحلاقة المشوه. وكانت فلسفتي في ذلك ان طول اللحية هو الذي يجب ان يحد، لا تركيبها الطبيعي.

اني أؤيد اللحى الصريحة والكثيفة، الخشنة او الحريرية بحسب نوع الشعر او الموسم، بشرط ان تكون فوضوية وشبيهة بالغابة. اذ يجب ان تكون اللحية تعبيرا عن لامبالاتنا بالاقاويل واحتراما لمثل البيئة، وبالتالي طريقة حاذقة لاظهار عدم لياقة ربطات العنق وملابس السهرة. ولهذا نرى الرجل البالغ يرتاح بها اكثر من الغلام المراهق.

ويجب الا تكون اللحية شبيهة بملصق على سيارة صغيرة او شارب يتمطى تحت انف عريس شاب. فالى المتعة التي يستقيها المرء حين يتزين، يجب ان تعبر اللحية عن ذاك الاتحاد الرائع الذي يحققه المرء في فترة ما من حياته مع جسده وعمره ومستقبله المختصر. وفي احسن الاحوال يجب ان تعزز اللحية نزعة الى الخير وتسهل العلاقات الاجتماعية والنسانية وتخفف قسوة الكبر.

ظاهرة اجتماعية ؟ - ولا بد من ان نعترف هنا باننا تطرقنا الى موضوع حساس، فالذقن "تكبر" الرجل، وهذا يفسر لماذا يطلق المحاسبون والاساتذة الشباب لحاهم في محاولة يائسة لاظهار نضجهم. وبما ان اللحية تهرم الوجه، فان تركها تنمو

في السن الخمسين يعبر عن احد موقفين مغايرين من قلق مشترك. فاما ان تعني: "ها انا القي سلاحي وافسح في المجال للآخرين." واما ان تحمل مشاعر التحدي والتمرد: "كهل؟ نعم انا كهل. لكنكم سترون اني، وان كنت ابدو ككلب راع، فما زلت قادرا على طرد الذئاب."

يبقى ان نعترف بانه من الصعب على رجل يحمل ذقنا ملأى بالشعر الابيض ان يلعب دور فاتن نساء. وكأن الذقن الرمادية لافتة علقت حول رقبة رجل تقول: "ابتعدي ايتها القطط الصغيرة."

هل تعتبر اللحى ظاهرة اجتماعية؟ لا يثيرني هذا السؤال. فكل ما اراه في اللحى انها وسيلة للعيش يستخدمها كل بطريقته. ان المجتمعات منذ امد طويل منحت المرأة الحق في التزين واستخدام مستحضرات التجميل، وهو حق ضن به على الرجل.

اللحية هي قمة النزوع الطبيعي، وهي تهب الامتيازات نفسها التي تمنحها ادوات التجميل. انها وسيلة اناقة وترتيب.

ويتملكني الغيظ كلما فكرت في اني عشت ثلاثين سنة حرمت نفسي خلالها هذا الكنز الذي كان يهتز تحت جلدي منتظرا مني ان اهبه نور الحياة.

■ فرنسوا نوريسييه



كما تكونون يولى عليكم

دخل استاذنا قاعة المحاضرات ذات صباح قبل دقائق من الموعد المحدد. فوضع حقيبته على الطاولة وأسرع لاحتساء فنجان قهوة. وبعد انتظار خمس دقائق خرج الطلاب من القاعة.

وفي اليوم التالي شاء الاستاذ أن يلقننا درساً في اللياقة. فقال ان وجود حقيبته على الطاولة يعادل وجوده هو بالذات. وحدث أنه، حين دخل القاعة بعد يوم آخر، وجد نحو مئتي حقيبة على الطاولات من غير أن يرى طالباً واحداً.

هـ.ج.

ثرثرة الابناء

ابن مدير المصرف: "أبي يجلس في كرسيه ولا يفعل شيئاً، لكنه يحصل على خمسين دولاراً في الساعة".

ابن المحامي: "وأبي يحصل على مئة دولار، وعمله الوحيد هو الكلام مع الناس".

ابن الكاهن: "أما أبي فيخطب في الناس ثلث ساعة في الاسبوع، ولكن يعاونه أربعة أشخاص لجمع المال".

مجلة "الادب الجديد" - تايوان



هايدي مع عنزاتها (الرسم لوليم فايفر)

هايدي معبودة الأطفال

تلك الطفلة الجبلية
ذات الشعر الجعد
كانت تبعث السعادة
حيثما حلت.
انها طبعت لموطنها سويسرا
صورة لا تمحي في مخيلة
العالم بأسره،
وسوف تحيا الى الابد
في قلوب انصارها
صغاراً وكباراً

اذا سألت في اي مكان من العالم عن الشخص الذي يخطر بباله حين تذكر له سويسرا، فمن المحتمل ان يأتيك الجواب: "وليم تل" و"هايدي"، بل يرجح ان يذكر اسم "هايدي" اولا.

تلك الطفلة ذات الشعر الجعد لم تقدر على فراق جبال الألب، لكنها افلحت في حل مشاكل جميع الناس، فغدت البطلة الاكثر احتمالا للهموم في عالم الاطفال في كل زمان.

ولكن عندما ابدعت جوهانا سبيري طفلة الطبيعة هذه قبل نحو قرن، لم يدر في خلدها قط انها طبعت لموطنها سويسرا صورة لا تمحي في مخيلة العالم بأسره. وربما فضل بعض السويسريين ان يرتبط ذكر بلادهم بأسماء مشاهيرهم من امثال

Photos: Johana Spyri Foundation, Zurich.
Candid Lang, Adliswil, Johana Spyri Foundation, Zurich.

براسلسوس وبستالوتزي وغياكوميتي، ولكن لا حيلة لهم في ذلك.

كانت الولايات المتحدة الاميركية بين اول فتوحات هايدي في العالم، حيث نشرت لها اول ترجمة انكليزية عام ١٨٨٤. ومنذ ذلك الوقت اشترى الاميركيون قرابة ١٥ مليون نسخة من القصة. وفي الولايات المتحدة نفسها تحولت تلك الرواية فيلماً سينمائياً كانت نجمته الممثلة شيرلي تمبل.

قبل سنوات زار السفير الاميركي في سويسرا شيلبي ديفيس المنطقة التي كانت مرتع طفولة هايدي قرب ماينفلد في مقاطعة غريزون السويسرية. وهناك باحت زوجته كاثرين بانها اقنعت زوجها بقبول منصب سفير في سويسرا لأنها كانت تتوق دائماً الى العيش في بلاد هايدي.

على رغم ان "عالم حليب الماعز وهواء جبال الألب" الذي صورته جوهانا سبيري كان اكثر بساطة من عالم اليوم، فان شعبية هايدي لم تتضاءل بل انها ما زالت تنمو باطراد. فبين العامين ١٩٧٤ و١٩٧٥ اكتشفها ملايين اليابانيين عن طريق مسلسل تلفزيوني استمر عرضه سنة كاملة ويروي قصتها بالرسوم المتحركة. ومنذ ذلك الحين توافد السياح اليابانيون الى ماينفلد لرؤية المكان الذي عاشت فيه هايدي مع جدها والراعي بيتر وسواهما من شخصيات القصة.

وعندما عرض ذلك المسلسل في اسبانيا والبرتغال عام ١٩٧٦، أقبل الناس على شراء كميات هائلة ـ تكاد توازي ارتفاع جبال الألب ـ من الدمى والقمصان المطبوعة والكتب والاسطوانات وسواها من المنتجات التي تحمل أسم الطفلة السويسرية. كما ازداد استهلاك الحليب ٣٠٠ في المئة.

وعندما ظهرت القصة عام ١٩٧٥ على التلفزيون الالماني في البرنامج الثقافي، استقطب ذلك البرنامج نسبة ٥٨ في المئة من المشاهدين في المانيا كلها بدلا من نسبته العادية التي كانت تراوح بين ٢ و٤ في المئة فقط.

ابنة الطبيعة ـ جوهانا سبيري التي اخرجت هايدي الى الحياة ولدت بأسم جوهانا هوسر في ١٢ يوليو (تموز) ١٨٢٧ في قرية هرزل على تلة قرب مدينة زوريخ. وكانت واحدة من ستة اولاد في العائلة. والدها جوهان جاكوب كان طبيب القرية، وأمها ميتا كانت شاعرة.

وعلى غرار الطفلة الخيالية هايدي أحبت "هاني"(١) الحياة في الهواء الطلق، وعرف انها كانت تنقطع عن اللهو مع اترابها لتصغي الى هينمة الريح في الشجر. وفي طفولتها قضت عطلة لا تنسى في غريزون، فسحرتها المناظر الطبيعية هناك حتى انها كتبت الى صديقة لها تقول: "انا حقاً ابنة الطبيعة". كانت تنضح حيوية. وفي حكاية "دي ريخترين" للكاتب السويسري كونراد فرديناند ماير صديق عمرها، جعل هذا من جوهانا مثالا لبطلة قصته بالما الواقعية الصريحة التي تتسلق التلال "كما لو

(١) اسم التحبب لجوهانا.

كانت لها أجنحة" ومع ذلك "تبقى رقيقة كالينبوع الفوار".

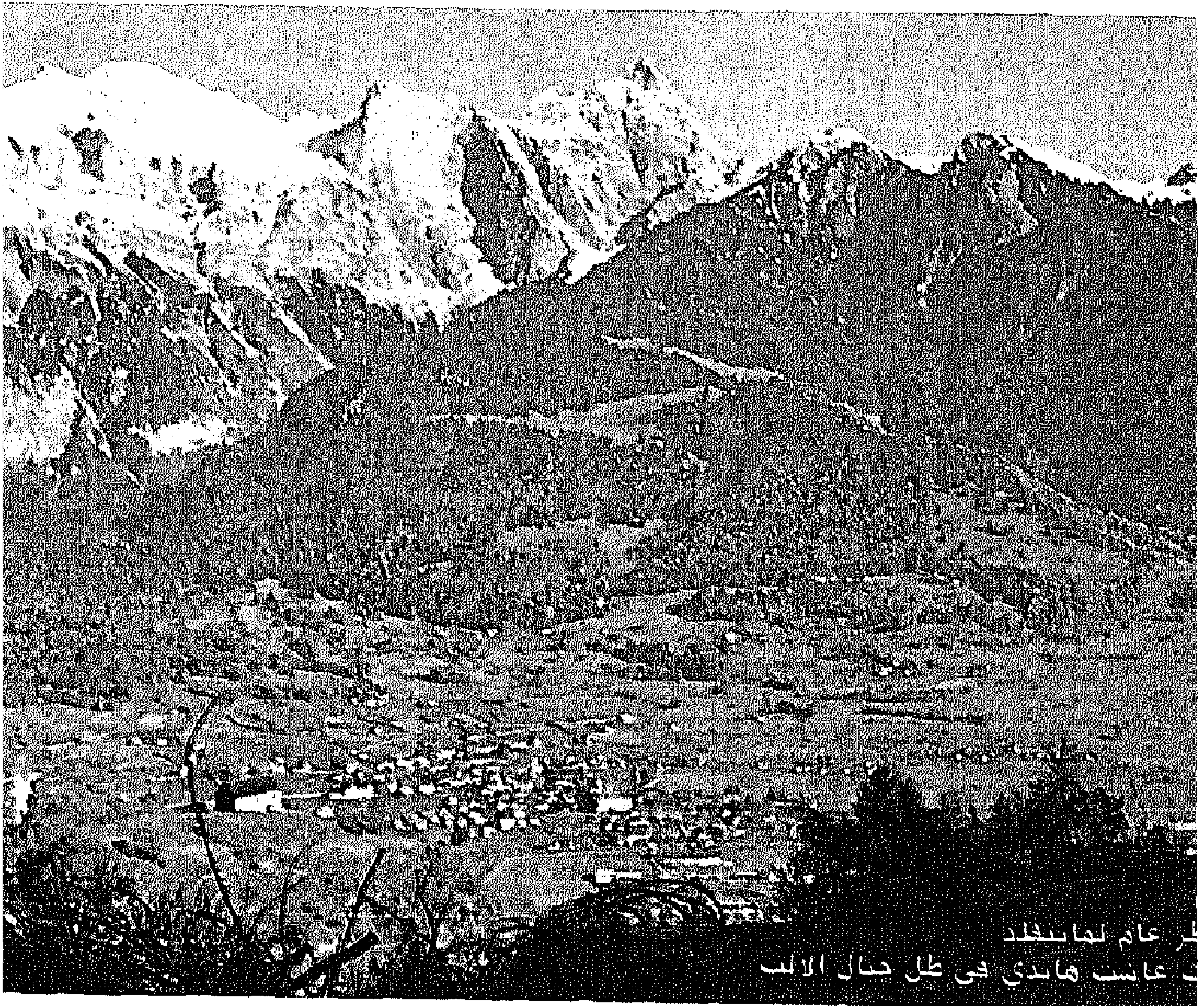
قالت حفيدة شقيق جوهانا وهي تستعيد ذكرى عمتها الشهيرة: "كانت صريحة وتعارض اي تساهل، غير انها كانت دائماً محبة ونقية السريرة ككتاب مفتوح".

في صباها انتقلت جوهانا هوسر الى زوريخ لاكمال دراستها. وهناك تزوجت المحامي برنارد سبيري الذي اصبح في ما بعد كاهن المدينة ومحرراً صحافياً في الوقت نفسه. وهكذا دخلت العائلة الوسط الأدبي في البلاد.

وتعرفت جوهانا الى الشاعر والموسيقي الالماني ريتشارد فاغنر وسواه من المشاهير الذين وفدوا الى زوريخ، فالأدب والموسيقى كانا يشكلان جزءاً مهماً من حياتها. وهي بدأت التأليف في عقدها الخامس، وكانت بلغت الثالثة والخمسين حين نشرت قصة هايدي في المانيا عام ١٨٨٠، مغفلة لا تحمل اسم مؤلفتها.

وللحال ادرك النقاد الادبيون ان القصة هي درة بين كتب الاطفال(٢). لكن بهجتها بهذا النجاح عكرته بعد

(٢) لم يحقق اي من مؤلفاتها الاخرى مثل هذا النجاح.



ظر عام لماينفلد
ت عاشت هايدي في ظل جبال الالب

اربع سنوات داهيتان ألمتا بها خلال أربعة اشهر فقط، اذ ثكلت بولدها الوحيد الذي قضى بداء السل ثم لحق به أبوه حزناً وأسى عليه.

بعدئذ أغرقت جوهانا همومها في الكتابة والترحال، وأخذت تعزف تدريجاً عن الانغماس في الحياة الاجتماعية في زوريخ وغدت شبه متنسكة الى ان توفيت عام ۱۹۰۱.

"محفوظات جوهانا سبيري" في ساحة "بريديغربلاتز" في زوريخ، بمتحفها الصغير، هي الآن محجة المعجبين بهايدي. وقد أسسها الدكتور فرانز كاسبار، وهو بحاثة هادىء الطباع غير انه داعية صلب العود الى المحافظة على تراث هايدي. وقد خصص السنين العشر الاخيرة منحياته لهذه الغاية.

لماذا أصبحت هايدي قصة مثيرة عمت اقطار الدنيا؟

قبل نشر تلك القصة كانت كتب الاطفال مقتصرة على الطابع التربوي. لكن الطفلة هايدي لا تعتمد الموعظة بل تمارس ما تدعو اليه. انها لا "تعلم" الاطفال كيف يتصرفون بل "تريهم" كيف يجب ان يكون ذلك. وتشدد القصة على الوداعة وحب المساعدة والايمان بالله، وهذه الصفات تجعل منها أفضل مرشد اخلاقي وسلوكي صدر في كل زمان.

وهي في الوقت نفسه رواية مرحة عن مغامرات طفلة جبلية تبعث السعادة حيثما حلت. انها تؤاسي الجدة الضريرة وتعلم الراعي العنيد القراءة وتساعد في شفاء كلارا الفتاة المشلولة الآتية من المدينة وتوفق اخيراً الى ارضاء العجوز الحاقد على الدنيا. انها تنشر البهجة في كل مكان حولها. ويبدو انها تتعشق الماعز والمروج والريح. وقد يجد القارىء البالغ ان القصة تفتقر الى العمق وتفرط في ابراز كل تلك الالوان البدائية من الحياة. ولكن في النهاية فان تلك القصة بحيويتها الفياضة تجتذب الصغار والكبار على حد سواء.

الكوخ المهجور — أحد مصادر القوة في القصة هو الواقعية المطلقة والباقية لشخصياتها ومشاهدها. فالاكواخ في المروج حول ماينفلد تبدو الآن تماماً كما وصفتها الكاتبة. كل طفل قرأ القصة عرف حنين هايدي الى موطنها وهي بين الغرباء، كما عرف حبها لجدها وفرحها بجمال الطبيعة. انها تبرز قسوة الكبار على الاطفال في شخصية الآنسة روتنماير المدرسة المتشددة، غير انها تظهر كذلك طيبة هؤلاء، فهايدي لم تهرب لوحدها من مدينة فرنكفورت البشعة، بل انقذها منها رجل بالغ هو الطبيب العطوف.

يقول مدرس متقاعد في ماينفلد: "خلال ٤٦ سنة من التدريس قرأت قصة هايدي وشرحتها لصفوف لا تحصى. وطوال تلك المدة لم اجد فيها جانباً يخلو من الحقيقة".

قبيل وضع قصة هايدي قضت جوهانا سبيري عطلة في جوار ماينفلد. وكانت تذهب في نزهات لتتصور شخصيات قصتها والمشاهد التي تريدها لها. تبدأ القصة في ماينفلد ثم تنتقل الى دويرفلي القرية الصغيرة المجاورة ومن ثم الى كوخ الراعي بيتر واخيراً الى كوخ الجد



جوهانا سبيري مع ابنها برنارد.



كوخ جدها.

القائم فوق هضبة تشرف على وادي نهر الراين.

ذهبتُ الىماينفلد في اول ايام الربيع، انها بلدة ساحرة تحيطها الكروم. منساحتها النظيفة بجدرانها المزخرفة بالجص الى برج قلعتها القديمة، هناك جانب كبير من البلدة ما زال اليوم تماماً كما كان في عهد جوهانا سبيري. ان بلدة كهذه أصبحت قطباً يجتذب السياح من كل صقع، من المدهش الا يجد المرء سوى موقعين يشيران الى مصدر شهرتها: احدهما فندق "هايدي هوف" على بعد بضعة كيلومترات من البلدة والثاني نافورة ماء عليها تمثال لهايدي وعنزتها المحببة. هذا التمثال اقامه اطفال المدارس في سويسرا وذلك تخليداً لذكرى جوهانا سبيري في ذكرى ميلادها الخامسة والعشرين بعد المئة.

قريتان صغيرتان متجاورتان هما روفلس وأوبروفل، ربما كانتا المثال الذي اوحى الى جوهانا سبيري بقرية دويرفلي الخيالية. وعلى الجبل تقوم الـ"هوف"، المزرعة التي عاش فيها الراعي بيتر مع جدته الضريرة. وفوقها غابة بديعة فيها كوخ قديم. ويقول شيوخ القرية ان جوهانا كانت تأتي مشياً وتزور هذا الكوخ.

ولا بد من ان هذا المرج هو فعلا المكان الذي كانت المؤلفة تفكر فيه، انه مشهد تقليدي يبرز صورة جبال الألب. كان العشب في ذلك الصباح الربيعي الباكر مرقطاً بزهر الزعفران والجنطيانا الزرقاء. وينحدر الجرف الصخري "فولكنيس" في شكل رائع. وفي الوادي السحيق تحته يتلوى نهر الراين، وحوله قوس من الجبال المهيبة المكللة بالثلوج.

ولجت الكوخ المهجور فوجدت في الغرفة الصغيرة منضدة عارية ومقعداً خشبياً وموقداً. وفي المؤخر رأيت

سلماً صغيرة تؤدي الى علية. هنا كانت هايدي تتمدد في الليل وتراقب القمر والنجوم والجبال. شعرت كأني بعد غياب رجعت الى بيتي والى بلاد عرفتها قبل أمد بعيد في طفولتي.

في طريق عودتي رحت أتأمل كم هو غريب ان يكون لهايدي اخصام مناهضون وهي التي كانت مبعث بهجة للاطفال في العالم أجمع. انها محظورة في بعض البلدان باعتبارها قصة عاطفية بورجوازية خطرة. وحتى في موطنها يستنكر بعض الناس القصة لأنها تصور سويسرا بلاداً لرعاة الماعز والفلاحين الاميين. اما المثقفون العقلانيون فيعتبرونها "حلوى مبتذلة"، والنقاد الاجتماعيون يقولون انها تبرز نظرة خطرة الى الفقر الريفي وتوحي بأن على الفقراء ان يألفوا العيش في اوضاعهم الاجتماعية البائسة.

ولكن كما ان لهايدي مناهضين فان لها أنصاراً يدافعون عنها ويبلغ عددهم مئات الملايين بين اطفال وكبار. هؤلاء لا يضيرهم ان يكون الكتاب قصة خيالية عاطفية، لأنهم مقتنعون بأنها قصة مسلية من الدرجة الاولى ذات صفات باقية كالطبيعة نفسها. كما انهم يعرفون ان طفلة جبال الالب هذه تجسد بعض القيم الاساسية في الحياة كالأمانة والبساطة وحب الله والطبيعة والانسان، ويعرفون ان هذا الكتاب منح اجيالا متعاقبة من الصغار احساساً حقيقياً بتلك القيم.

وهكذا تحيا هايدي ويكثر اصدقاؤها عاماً بعد عام. انها الآن تقرأ بأربعين لغة، فأبنة الطبيعة الصغيرة هذه ذات الشعر الجعد يبدو أنها ستعيش الى الأبد.

■ راول تونلي



صدق السماء والارض

اذا أخبرت شخصاً أن عدد الاجرام السماوية نحو ٣٠٠ مليار فهو يصدقك. أما اذا أخبرته أنك فرغت لتوك من طلي مقعد فانه يلمسه كي يصدق.

ا.م.

آخر العنقود

احتفاء بعيد ميلاد عمتي الثمانين، دعوتها الى حفلة موسيقية لفرقة شهيرة. لكنها أغاظتني إذ بقيت طوال الوقت تنظر الى ساعتها. وهمست في اذنها: "خففي عنك، فالعزف سينتهي قريباً". لكنها أجابت: "كنت أنظر الى ساعتي خشية أن تنتهي هذه الموسيقى الجميلة".

ا.س.

بدا الشرطي الشاب سعيداً في تلك القرية النائية.
وهو لم يتوقع ابداً الحدث الذي هز حياته الهادئة

صيّـاد الأسُود

حلم الشرطي مايك لودج بالحياة الهادئة بعد سبع سنوات حافلة في اوكلاند، كبرى مدن نيوزيلنده واقلها انضباطا. فالشاب الاشقر المرح ذو السنوات الثلاث والثلاثين وكلبه البوليسي من فصيلة الراعي الالماني نالا نصيبهما من المتاعب واعمال العنف. وبفضل ملازمة "جاي" له لم يصب مايك بأذى مرة، لكن الواجبات المرهقة لوظيفته بدأت تلبد حياته: ساعات عمل طويلة ودوريات شاقة وقلق زوجته الدائم على سلامته والوقت القصير الذي خصصه لاولاده الثلاثة.

ابلغ مايك عام ١٩٧٧ ان جاي هرم ولم يعد صالحا للمهمات البوليسية ويجب اقصاؤه. وهكذا حسم الامر، وقرر مايك ان يمضي حياة هادئة مع عائلته وكلبه.

قدم طلبا بنقله ووجد ما اراده تماما، منصب شرطي في قرية لورنس في الجزيرة الجنوبية التي تبعد اكثر من ١٥٠٠ كيلومتر، حيث ترتفع مبان رائعة وتنمو اشجار البتولا الفضية الوارفة. والاروع من ذلك ان تلك القرية لا تضم اكثر من ٦٠٠ نسمة. ففي اوج الهجمة على الذهب في القرن التاسع عشر، غصت بـ ١١ الف نسمة، وكانت احد اكثر الاماكن ازدحاما في البلاد. ولم يحدث اي امر مثير بعد ذلك. ومنذ ما غادرها رجال الادغال بقيت لورنس في حمى القانون.

وصل مايك وعائلته الى لورنس في اوائل فبراير (شباط) ١٩٧٨، واحبوا المكان التاريخي الهادىء. واقبل الناس على الشرطي مرحبين به وبعائلته. وكان معظم عمله رتيبا:

التفتيش عن اموال ضائعة ومراجعة مواعيد تسديد الديون وتسجيل الاسلحة ومعالجة حادث سير بين وقت وآخر.

في ٣٠ مارس (اذار) اي بعد سبعة اسابيع من قدوم مايك لودج الى لورنس، حل سيرك في القرية. وكانت تديره عائلة تملك مجموعة من الاسود ونمراً وقروداً وكلابا واحصنة. وكان مايك مشغولا اكثر من العادة ذلك اليوم الخريفي الجميل فهو تقفى آثار بعض اللصوص من دون طائل.

وقرابة الثامنة مساء جلس مايك ناعسا امام التلفزيون وهو يشعر براحة لم يعرفها منذ سنوات. وبدا جاي النائم قرب قدميه سعيدا بقسمته. وعندما رن الهاتف رفع مايك السماعة من دون عجلة.

قال المتحدث: "من الافضل ان تحضر حالا فالاسود طليقة."

وفغر مايك فاه غير مصدق.

ذعر وفوضى - انهى السيرك عرضه الافتتاحي امام ٤٠٠ متفرج ملأوا مدرجا في متنزه عند طرف البلدة. وكان هناك فتى انضم الى السيرك قبل ثلاثة ايام ولم يسبق له ان شاهد العرض، فحبس الاسد سلطان واللبوءة سونيا وعاد مسرعا الى المدرج من غير ان يحكم اقفال المزالج. فما كان من سلطان وسونيا الا ان اقتحما الباب وقفزا خارجا في الليل.

ومشى السبعان متمهلين نحو ملعب قريب حيث كان بعض الشبان يتمرنون تحت اضواء كاشفة. وقد ذعر هؤلاء فقفزوا معا فوق قناة وتسلقوا سياجا فارين الى سياراتهم. وعند المدرج طلب مدير السيرك من الجمهور مغادرة المكان بهدوء من غير ان يعطي السبب. ولكن من الخارج سمع المتفرجون صيحة: "الاسود افلتت!" فتراكضوا مذعورين.

كانت ايلين غرانت وابنها كريغ (٦ سنوات) في طريقهما الى موقف السيارات عندما اندفعت سونيا نحوهما. فخدشت ايلين، اما كريغ فاصيب بجرح عميق امتد من تحت عينه اليمنى الى فكه كاشفا داخل فمه. ونقل الصبي الى المستوصف المحلي حيث ضمد جرحه، ثم احاله الطبيب على المستشفى حيث قطب وجهه ٣٠ قطبة.

عندما بدأ الصراخ كان ناظر المدرسة لوري سينكوك لا يزال في مكتبه، فسارع الى فتح ابواب المدرسة لايواء خمسين طفلا ضيعوا اهلهم وسط الفوضى. ثم اتصل بمايك لودج.

لم يصدق مايك الامر: "اسود؟ لا بد انك تمزح." فاجابه لوري سينكوك: "اسرع، ارجوك، انها طليقة."

قال مايك لزوجته: "اتصلي بالشرطة في مدينتي دونيدين وبلكلوتا المجاورتين ثم بصاحب

المقهى وابلغيه ان يبقي زبائنه في الداخل."

وكان مايك في العادة يصطحب جاي في المهمات. لكنه حبس الكلب هذه المرة خوفا عليه من الاسود الهاربة، ثم تناول بندقيته. لم يكن يحب الاسلحة، ولم يبرع ابدا في الرماية. وهو قلما لمح بندقية منذ مجيئه الى لورنس، وتمنى الا يضطر الى استعمالها الان.

وفي المتنزه رأى مايك شاحنة للسيرك تحاول توجيه الاسدين نحو قفصهما. وساعد هو بسيارته، لكن باب القفص انغلق. وحاول عمال السيرك فتحه، فتحرك سلطان نحوهم مهدداً.

ولم تكن في السيرك بندقية تطلق سهاما مسكنة ولا حتى شبكة لايقاع الاسدين. وتخوف الجميع من تجول الوحشين في البلدة وتهديد السكان. فقال مدير السيرك: "اعتقد انه ينبغي قتلهما."

قتل اسدين؟ نفر مايك من الفكرة وهو الذي ساعده الاهتمام بحياة كلب على القدوم الى لورنس.

قاد سيارته خلف سلطان مسلطا عليه انواره الكاشفة. وعلى بعد حوالى ٣٠ متراً كان الاسد يسرع نحو الدغل. وبكل ما أوتي من رباطة كأش قفز مايك من السيارة ووقف حيث يمكن ان يراه الوحش.

خيار وحيد – ترنح سلطان واستدار نحو مايك. ربما بقي هناك امل باسره لكن الاسد الهادر توجه نحو الارض المكشوفة. وادرك مايك ان الطلقة يجب ان تكون اصوب ما في حياته فهو لم يحتمل التفكير في اسد جريح ثائر. واطلق النار، فخر سلطان مصابا برأسه.

وطاف مايك بحذر حول الوحش واطلق ثانية. وما لبث ان سمع عمال السيرك خلفه يتحسرون على خسارتهم. وغمره هو ايضا حزن عميق.

واذ انصب اهتمام الجميع على رفيقها، انسلت سونيا من المتنزه الى شوارع لورنس. وكانت هناك امرأة تغلق ستائر نافذتها، فلمحت لبوءة تتبختر عبر المرج. ووقف رجل مذهولا وهو يرى سونيا ترتقي سلم منزله وتشمها ثم تبتعد.

انطلق مايك يبحث عن بندقية تطلق سهاما مخدرة آملا بان يتجنب قتلا آخر. وكانت هناك واحدة لدى رجل في توابيكا على بعد ٤٠ كيلومتراً. وكان المصل موجودا لدى طبيب بيطري في ميلتون على بعد ٣٤ كيلومتراً. واتصل مايك بالرجلين وطلب منهما التوجه الى لورنس. ثم طلب من سائقي السيارات ان يضربوا نطاقا حول المنطقة السكنية حيث شوهدت سونيا للمرة الاخيرة.

وعرض ريتشارد روي المساعدة، وهو حارس حيوانات برية كان ماراً في لورنس ولديه سيارة مجهزة باضواء كاشفة قوية وبندقية من عيار

ثقيل. وقال مايك : "آمل بالا احتاج الى بندقيتك، ولكن قد تفيدني الانوار الكاشفة."

سلط روي انواره على الشجيرات الى ان كشف سونيا وهي تختال في حديقة. وعرض متطوع من السيرك ان يقيدها بالسلاسل، لكن مايك لم يسمح بذلك فاللبوءة كانت مهتاجة جدا وخطرها كان عظيماً.

قرابة العاشرة الا ربعا وصلت البندقية المنتظرة وبعد دقائق وصل المصل، لكن السهم لم يكن صالحا. وبلغ مايك امر من قيادة الشرطة : "حيث ان حياة الناس معرضة للخطر، فلعيك ان تقتل اللبوءة."

لم يعد امام مايك اي خيار. وابلغ ريتشارد روي الامر، فباتت بندقيته الفتاكة ضرورية. فاحضرها وصوب جيدا ثم اطلق النار فاصاب اللبوءة في كتفها.

ركض مايك الى اللبوءة ووقف على عشرة امتار منها، فرآها جريحة يائسة وفي عينيها يلمع الشرر. وصوب بندقيته بسرعة بين عينيها واطلق النار ثانية.

خفض مايك بندقيته وطأطأ رأسه : "هل هذه هي الحياة الهادئة؟" ليته بقي في المدينة !

وسرعان ما اصبح صيد الاسود في لورنس قصة شعبية خلدت ذكرى سلطان وسونيا. وكان الاسد الوحيد المعروض في متحف اوتاغو يبدو متعبا وعتيقا، فهو يعود الى العام ١٨٦٠. وهكذا تم اختيار اسدي لورنس ليحلا مكانه. وقد جعل هذا الحادث الشرطي الشاب مايك لودج دائم اليقظة يحسب حساب الخطر التالي الذي قد تطلع به الحياة الهادئة في لورنس.

■ موريس شادبولت



منافع الزواج

في مخزن للاغذية وضعت الملاحظة الآتية: "مدير هذا المحل يحتاج الى مساعد. الوظيفة للمتزوجين فقط". فسأله أحدهم وقد أدهشه الأمر: "وما الحكمة في هذا؟" فأجاب: "يبدو أني كثير الكلام. والرجال المتزوجون اعتادوا هذا الأمر".

طفل يفهم باللقالق

سأل الطفل عمته: "لماذا ليس لديك اولاد يا عمتي؟"
ـ طائر اللقلاق لم يمنحني اولاداً. اتفهم ذلك؟
"آه، الآن فهمت. كيف تنجبين اولاداً وانت ما زلت تؤمنين باللقالق؟

ك.ر.

روبرت كوخ
سيّد البحث العلميّ

تعقب جرثومة الكوليرا من اوروبا الى انغولا فمصر فالهند. واسفرت ابحاثه في السل والملاريا والنوام والطاعون عن انقاذ ملايين البشر والحيوانات. وهذه السنة يحتفل العالم بذكرى مرور قرن على اكتشاف روبرت كوخ لهذه الجرثومة



عندما تفشى وباء الكوليرا في البرتغال عام ١٩٧٤، حمل السياح هذا المرض المميت الى المانيا وانكلترا واقطار اوروبية اخرى. وللحال تولى الباحثون في معهد روبرت كوخ في برلين، وزملاؤهم في المعاهد الاخرى، تحديد نوع جرثومة الكوليرا وارسلوا تقريرهم الى مركز منظمة الصحة العالمية في جنيف (سويسرا). ونجح خبراء المنظمة في اقتفاء اثر الجرثومة الى انغولا، وهكذا امكن الحد من انتشار الوباء.

وكم هو ظرف ملائم لكي يمثل معهد روبرت كوخ دوراً قيادياً في درء هذه الفاجعة العصرية. لان روبرت كوخ، الطبيب وعالم الجراثيم الالماني، هو الذي اكتشف عام ١٨٨٣ الجرثومة التي تسبب الكوليرا.. كذلك اجرى دراسات ادت الى السيطرة النهائية على مرض السل، كما قدم الى العالم طرقاً فعالة لمكافحة التهابات الجروح وفتح الطريق امام تفهم افضل لعدد كبير من الامراض الخطرة لدى الانسان والحيوان. وما زالت اعماله حتى اليوم قاعدة لدرس الجراثيم كمسببات للمرض.

ولد روبرت كوخ في ١١ ديسمبر

(كانون الاول) ١٨٤٣ في بيت من خشب في مدينة كلوستال في جبال هارز الالمانية· وكان الثالث بين ١٣ ولداً لمهندس في مناجم الرصاص· وهو عُرف بهدوئه واهتمامه بمجموعته المتزايدة من الحشرات والاعشاب والمعادن وغالبا ما كان يشرّح الحيوانات النافقة·

كان المال قليلا لدى آل كوخ· ولكن باقتصاد شديد ومساعدة منحة دراسية بسيطة التحق روبرت بقسم العلوم الطبيعية في جامعة غوتنجن عام ١٨٦٢، ثم انتقل الى دراسة الطب· وفي الثالثة والعشرين من عمره تخرج طبيبا وتزوج ابنة كاهن كلوستال· واصبحت ايمي الجميلة ذات الشعر الاسود رفيقة عمره واماً لابنتهما الوحيدة غيرترود·

خدم كوخ كطبيب في الجيش ابان الحرب الفرنسية - البروسية بين ١٨٧٠ و١٨٧١· ثم نجح في امتحان طب الصحة العامة، ولما بلغ الثامنة والعشرين عين طبيباً لمدينة ولشتاين (٣٠٠٠ نسمة) في مقاطعة بوزن البروسية· وكان راتبه السنوي ٩٠٠ مارك الماني، اي ما يعادل ٥٤٠٠ مارك اليوم· وكان مسؤولا عن مستشفيين وخبيراً طبياً لدى المحاكم، اضافة الى اشرافه على خدمات الصحة العامة وكشفه احياناً على الدواب المريضة·

كاشفة الغيوم - كان ممكناً ان يقضي روبرت كوخ حياته كلها على هذا النمط· ولكن في عيد ميلاده التاسع والعشرين اهدت اليه زوجته ايمي مجهراً رائعاً· كانت تلك افضل هدية تلقاها· فبين اساتذته في كلية الطب، ممن اعجب بهم، جاكوب هنلي استاذ التشريح وعلم الامراض الذي تقدم بنظرية عام ١٨٤٠ بان الامراض المعدية تنتقل بواسطة اجسام دقيقة لا ترى بالعين المجردة· لكن هذه النظرية كانت تفتقر الى برهان كما كانت مثار جدل وخلاف· فمعظم الاطباء كانوا ما زالوا يعتقدون ان الامراض تنتج من غازات او ابخرة سامة، شأنهم في ذلك شأن اليونانيين والرومان القدماء· لكن الدكتور كوخ الذي اثارت فضوله نظرية استاذه سارع الى استعمال مجهره الجديد لفحص دم الحيوانات التي كانت تنفق بداء الجمرة، اذ كان هذا الداء الغامض يفتك بالغنم والبقر والخيل واحياناً بالانسان·

العصيّات(١) الكثيفة التي رآها كوخ عبر عدسة مجهره كانت تسمى "بلورات" وتعتبر ناتجة من المرض، الا ان كوخ تساءل: "ماذا لو كانت هي السبب؟"·

حقن كوخ فأراً صغيراً بدم حيوان مصاب بالجمرة· وفي اليوم التالي نفق الفأر، وكان دمه وطحاله يعجان بالعصيّات البلورية· ثم استزرع كوخ بعضاً من هذه العصيات، وكم كانت دهشته وهو يراها تتكاثر على نحو مذهل· وهكذا ثبت لديه ان العصيات كائنات حية· وبينت تجارب لاحقة ان هذه العصيات اذا تعرضت لحرارة منخفضة، فانها تتحول خيوطاً طويلة تحتوي على بذور جرثومية قد تبقى هاجعة سنوات عدة - في ارض غير مرعية مثلا - لكنها ما ان تدخل دم

(١) بكتيريا (جرثومة) عضوية الشكل·

الحيوان الدافىء حتى تعود جراثيم حية فاعلة·

ولكي يعطي ابحاثه وقتاً اكثر، احال كوخ معظم مرضاه على زميل له شارحاً لزوجته: "اني اسبر غور عالم جديد ما زال مغلقاً بالاسرار"·

بعد ثلاث سنوات ومئات التجارب على داء الجمرة اثبت كوخ نهائياً ان جرثومة معينة تسبب مرضاً معيناً· وبتواضعه المعتاد حمل نتائجه الى عالم النبات الشهير فرديناند كون الذي ارتاب في ان يكون هذا الطبيب القروي اكتشف امراً قيماً· ولكن بعدما اطلع على تجارب كوخ صرخ: "ان هذا الرجل هو سيد البحث العلمي بلا منازع·"

وعمد كوخ الى استخدام مختبره البدائي في ولشتاين لاستنباط طرق جديدة في ابحاث الجراثيم· وكان الباحثون الطبيون آنذاك يلونون عينات الشرائح المجهرية بأصباغ الانالين المكتشفة حديثاً· وجرب كوخ هذه الاصباغ لجعل الجراثيم تظهر بوضوح تحت المجهر، فوجد انها تمتص الصبغ بشراهة حتى تبرز واضحة باللون الازرق او الاحمر او البني او البنفسجي·

وعاد كوخ الى مزاولة هواية ايام شبابه وهي فن التصوير· فاشترى آلة تصوير واوصلها بمجهره· وكانت زوجته ايمي تراقب السماء حتى اذا رأتها صافية هتفت لزوجها بان الظروف ملائمة للتصوير· وكان كوخ يسميها تودداً "كاشحة الغيوم"، وللحال يترك كل عمل لديه ويباشر التصوير· وكانت النتائج ممتازة، اما كوخ المأخوذ بالنشوة فكتب الى العالم كون ان التصوير يظهر الجراثيم على نحو افضل مما تراه العين البشرية·

جرثومة السل — بعد ذلك اتجه كوخ الى البحث في التهابات الجروح· وكطبيب في الجيش رأى العديد من الجنود يموتون بسبب هذه الالتهابات، كما ان اكثر من ٧٥ في المئة ممن بترت اطرافهم اصيبوا بها ايام الحرب· وكانت هذه الالتهابات تقضي على نسبة ٤٠ الى ٨٠ في المئة من نزلاء قسم الجراحة في المستشفيات· وكان الجراح البريطاني جوزف ليستر ينقذ مرضى كثيرين بتضميد جروحهم بمادة الكربوليك، الا انه لم يكن يدرك طريقة فعل تلك المادة· ومن خلال البحث المتواصل والصبور، وبمساعدة المجهر والاصباغ والتصوير، افلح كوخ عام ١٨٧٨ في عزل ستة انواع من الجراثيم التي تسبب التهابات الجروح·

في هذا الوقت كانت شهرة الطبيب القروي في ولشتاين تغزو العالم· وفي العام ١٨٨٠ عينه مدير المكتب الصحي الامبراطوري في برلين في جهاز مكتبه· وهكذا وجد كوخ نفسه ينعم فجأة بوسائل التقنية الحديثة التي وضعت في تصرفه وبمعونة مساعدَيْن وراتب سنوي مقداره ٦٠٠٠ مارك، اضافة الى منزل من خمس غرف حل فيه مع عائلته·

وكانت مهمته الاولى ايجاد افضل الطرق لمقاومة الجراثيم التي عزلها· ومن بين الوسائل التي جربها اختار البخار الذي ما زال حتى يومنا معتمداً في التعقيم·

بعد ذلك وجه كوخ اهتمامه الى مرض السل الذي كان بلاء يتسبب في واحدة من كل سبع وفيات في العالم الغربي. وفي حين كان العديد من مشاهير الاطباء حينذاك يعتبرون داء السل من اعراض سوء التغذية المزمنة وليس مرضاً معدياً، اقتنع كوخ بان الجراثيم هي التي تسبب السل وتنقله.

ولقد عمل كوخ اسابيع عدة وحيداً في مختبره، وكان احياناً يقضي ١٨ ساعة يومياً في العمل من دون ان يسمح لاحد بالتعرض معه لخطر العدوى. وبعد ستة اشهر، فيما هو يفحص الشريحة الـ٢٧١، توصل الى تعيين جرثومة السل. ولكي يثبت ان الهواء ينقل هذه الجرثومة، فانه احضر صندوقاً يحتوي على فئران وارانب وخنازير هندية وعرّضه لضباب مفعم بعصيّات السل. فنفقت الحيوانات جميعها بذلك الداء.

في ٢٤ مارس (آذار) ١٨٨٢ عرض كوخ اكتشافاته امام مشاهير العلماء في الجمعية الفيزيولوجية في برلين، وكان في الثامنة والثلاثين من عمره. وللمرة الاولى في تاريخ الجمعية لم تجر اي مناقشة بعد العرض.

لكن كوخ لم يكن راضياً. فهو شعر ان عليه التوصل الى نتائج عملية تخول البشرية الافادة من اكتشافاته. ولذا فانه طلب من الحكومة الالمانية اتخاذ اجراءات صحية واسعة النطاق بتوعية الناس الى خطر الامراض المعدية والابلاغ عن كل اصابة ووضع المرضى تحت المراقبة الطبية.

الطبيب المنقذ - في تلك الاثناء

كان هنالك داء آخر يثير القلق والاهتمام. ففي العام ١٨٨٣ انتشر وباء الكوليرا في مصر. وكان هذا الداء الرهيب يكتسح الغرب مرة كل بضع سنوات آتياً من الهند. وفي ١٨٦٦ اسفر انتشار الكوليرا عن وفاة اكثر من ١١٥ ألف نسمة في بروسيا وحدها. وفي بلدة نيمك بالقرب من برلين اهلك الوباء ١٠ في المئة من السكان.

واعتزمت السلطات الالمانية كشف غوامض هذا الوباء، فأرسلت لجنة طبية برئاسة روبرت كوخ الى الاسكندرية في مصر. وهناك حقنت القردة والكلاب والقطط والفئران بعينات من مواد اخذت من ضحايا الكوليرا. ثم اقتطعت انسجة من هذه الحيوانات، وبعد صبغها بطريقة كوخ تم فحصها تحت المجهر. وبعد فحص مئات الشرائح توصل الفريق الى اكتشاف عصية الكوليرا التي تبدو في شكل فاصلة (،).

بعد ذلك تولى كوخ وفريقه، ومعهما خمسون فأراً ابيض، تعقب المرض الى الهند. ولما كان كوخ يدرك ان الكوليرا تظهر احياناً في مجمعات قريبة من مستنقعات يقصدها السكان للشرب او الاستحمام او غسل الثياب او رمي النفايات، فانه عمد وفريقه الى اجراء تجارب في هذه المجمعات. وتوصل الى نتيجة مؤداها ان الكوليرا تنتقل عبر الماء والطعام والثياب الملوثة، فأوصى بمراقبة مصادر المياه وتصفيتها.

وفي ١٨٩١ اصبح كوخ مدير معهد الامراض المعدية (يحمل اليوم اسمه). وساعده مركزه في العمل على مكافحة المرض في ابعد اصقاع الارض الموبوءة في افريقيا والهند والبحار الجنوبية. ففي ١٨٩٦، مثلاً، بلغته استغاثة مستعجلة من جنوب افريقيا للمساعدة في مكافحة طاعون فتك بالماشية. فعمل على اكتشاف لقاح انقذ مليوني رأس ماشية في مستعمرة الكيب ذلك العام.

وعام ١٩٠٦ قصد كوخ مجموعة جزر في بحيرة فكتوريا في شرق افريقيا حيث توفي ٢٠ الف نسمة من مجموع ٣٥ ألفاً بداء النوام(٢). وكان معروفاً ان هذا الداء ينتج من لسعة ذبابة "تسي‌تسي"، فنصح كوخ باحراق جميع الامكنة الموبوءة بالذباب كما حضر عقاراً شديد الفاعلية، مما ادى الى خفض نسبة الوفيات ٩٠ في المئة.

وفي ذروة مجده منح كوخ عام ١٩٠٥ جائزة نوبل للطب وعلم وظائف الاعضاء (الفيزيولوجيا) لابحاثه في داء السل. وغزت الاسواق سلع كالمحارم والكؤوس والغلايين تحمل رسم الاستاذ الالماني الجليل بذقنه الكثيفة ونظاراته الذهبية. وخلال زيارة الى اليابان استقبل كوخ كالفاتحين ورسمت الالعاب النارية صورة وجهه في الجو.

عام ١٩١٠ توفي روبرت كوخ بعد حياة حافلة وغنية باكتشافات انقذت ملايين البشر.

■ **كلاوس غايدمان**

---

(٢) مرض منتشر في افريقيا الاستوائية من اعراضه الحمى والنعاس والارتعاد والهزال.

لانطلاقة متميّزة
وأداء فريد

شامبيون
هي الرائدة

إنسيابية رائعة عند
الإنطلاق وفعالية
قصوى أثناء الأداء
هذا ما توفره
بوجيات شامبيون
دائماً للمحرك.
إستعمل شامبيون اليوم
والمس الفرق.



الأولى بالمبيعات في العالم

المال والبنون



اردت ان اعلم ولدي
ان كسب المال
ليس سهلا ،
وشجعتهما على توزيع الصحف
في عطلة نهاية الاسبوع٠
فماذا كانت النتيجة؟

اقترحت على ابني اللذين دخلا الجامعة : "ارجو ان تنظرا في الامر مليا ، فقد يجنبكما مذلة طلب المال طوال الوقت٠" وسلمتهما بعض الصحف التي وضعها احدهم في كيس وعلقها على مقبض الباب٠ وعلى الكيس طبع اعلان يقول : "اكسب مالا سهلا عبر تسليم مزيد من هذه الاكياس٠"

"انا لا تزعجني المذلة،" اجابني ابني الاكبر.

ووافقه اخوه : "وانا يمكنني ان اتعايش معها."

اجبتهما : "يؤلمني انكما استجديتما طويلا فلم يعد الامر يحرجكما."

ووعدني الشابان بانهما سينظران في مسألة توزيع الصحف. وغادرت البلدة في رحلة عمل وانا اشعر بالاطمئنان والسرور. وما ان حل منتصف الليل حتى كنت اتمدد في غرفة الفندق بعيدا عن المنزل. ورن جرس الهاتف. كانت تلك زوجتي. سألتني كيف امضيت يومي، فاجبتها بمحاسة : "رائع !" وحدثتها عن انجازات اليوم والعشاء الذي تناولته مع اصدقاء قدامى في افخم مطاعم المدينة. ثم سألتها : "كيف كان يومك؟"

فردت بحدة : "كان ممتازا. ممتازا حقا ! ونحن لم نبدأ بعد. لقد توقفت شاحنة اخرى امام البيت."

"شاحنة اخرى؟"

– الثالثة هذا الصباح. سلمتنا الاولى اربعة آلاف صحيفة والثانية اربعة آلاف اخرى. ولا اعرف ما الذي افرغته الشاحنة الثالثة، واغلب الظن انها اربعة آلاف نسخة اخرى. وبما انك مسؤول عن هذا كله فاني رأيت ضرورة اطلاعك على ما يجري.

واتضح ان ما تحملتُ ملامته حدث بسبب اضراب صحافي استوجب تسليم اوراق الاعلانات باليد عوضا عن اقحامها بين طيات صحيفة الاحد. وقد وعدت الشركة باعطاء ابني ٦٠٠ دولار في مقابل توزيع هذه الاوراق على اربعة آلاف منزل قبل يوم الاحد.

وصرخ ابني الجامعي الاكبر : "انه عمل سهل."

وسال لعاب اخيه : "٦٠٠ دولار ! هذا يعني ٣٠٠ دولار لكل منا. وفي وسعنا ان ننتهي العمل خلال ساعتين."

وصلت الشاحنتان الاوليان، كما اخبرتني زوجتي : "الاعلانات مطبوعة على اربع صفحات في حجم صحيفة، ويكون حاصل ذلك ٣٢٠٠ صفحة اعلانات موجودة حاليا في الرواق. وفيما احدثك ارى رجلين ضخمين يحملان الاوراق عبر الممر ماذا نفعل بهذا كله؟"

"اخبري الاولاد ان يبدأوا العمل. انهما شابان جامعيان وسيعرفان كيف يتصرفان." تلك كانت تعليماتي.

اولاد الحي – عندما عدت الى الفندق ظهر اليوم التالي وجدت ملاحظة عاجلة بضرورة الاتصال بزوجتي. كان صوتها عاليا على غير عادة : "لقد افرغت شاحنات اخرى حمولاتها. انها لمتاجر ومخازن ودكاكين بقالة وصيدليات وشركات سيارات وسواها. كل ما يخطر في بالك، يا سيد، تجده هنا في مدينة الاعلانات! لدينا هنا مئات الآلاف وربما الملايين من

صفحات الاعلان!" واستمر صوتها في الارتفاع كأنه يحاول ان يتخطى طاقة الاذن البشرية : "وهذا كله يجب ان يسلم قبل السابعة من صباح الاحد."

قلت لها : "اسمعي اخبري هذين الغبيين ان رواقنا يجب ان يفرغ قبل مساء غد."

- وماذا عن غرفتي الجلوس والطعام والمطبخ وحجرة الغسيل؟

"وهل بسطوا البضائع في البيت كله؟"

- لم يبسطوها في اي مكان. انها محشورة من الحائط الى الحائط في كوم هي اطول من ابنك الاكبر. ولم يبقَ متسع الا لان ندخل ونتناول ورقة من كل اعلان ونلفها ثم نربطها بشريط مطاط ونضعها في اكياس بلاستيكية. ان عندنا اكياسا تكفي خدمات المنازل لمطاعم اميركا كلها.

"حسنا ليبدأ الشابان الجمع والربط باقصى سرعة ممكنة وسأتصل بك لاحقا لاني مرتبط الان بموعد غداء."

عندما عدت وجدت ملاحظة من زوجتي بضرورة الاتصال العاجل فاسرعت الى مخابرتها فبادرتني بلطف : "هل تناولت غداء طيبا؟"

وكنت اكلت شريحة لحم ممتازة، لكني اذكى من ان اصرح بذلك. قلت : "كان غداء رهيبا. نوعا من السمك القاسي الالياف".

- اما نحن فتناولنا شطائر الجبن في المطعم المجاور، وسنأكل شطائر اللحم هناك في المساء."

"تناولتم ماذا؟ لماذا؟"

- لاني، يا عزيزي، لا استطيع دخول المطبخ الذي امتلأ اخيرا بجميع الاعلانات المطبوعة في هذا الجزء من العالم. لقد وظف ابناك اولاد الحي ليساعدوهما في مقابل ٥ دولارات لكل منهم.

"هذا مشجع".

- كلا، انه مثبط للآمال تماما. انهم يعملون منذ ساعات. وضعوا الاوراق في اكياس تكومت حتى وصلت الى السقف. لكن هذا كله لم يغير شيئا، وكأنما الاوراق تستنسخ نفسها!

واضافت : "هناك شيء آخر. على ابنيك الجامعيين ان يتعلما ان المرء ينال ما يريد من موظفيه بتهديدهم بالاذى الجسدي."

وبعدما منحت شرف مكالمة ابني الاكبر، زمجرتُ قائلا : "سأقتلك اذا انت هددت احد هؤلاء الاولاد ثانية! يا بني، يجب ان تمنح دولارا اضافيا كل ساعة من يملأ اكبر عدد من الاكياس".

- لكن هذا سيقلل من ربحنا.

"لن يكون هناك اي ربح اذا لم يساعدكم هؤلاء الاولاد في ايصال الاوراق في الوقت المحدد. وفي تلك الحال ستضطرون الى العمل وحيدين ولن يتسع وقتكما لاكل او نوم حتى تزال الاوراق كلها."

وبعد فترة تفكير قصيرة قال ابني "ابي، انك في هذه اللحظة احدثت

تغييرا اساسيا في شخصيتي."

"افعل ما قلته لك."

- نعم يا سيدي!

عقلان تجاريان - مساء اليوم التالي تراكمت اخبار كثيرة حدثتني عنها زوجتي. فقد نجح برنامج المكافآت حتى طلب احدهم ان يرى لون النقد. ثم احتج آخر قائلا ان العمال يجب الا يقبلوا بخمسة دولارات وبعض المكافآت التنافسية الضئيلة في حين يجني ربا العمل مئات الدولارات. وقال زعيم المعارضة ان من حق العمال كلهم الحصول على خمسة دولارات في الساعة، وانهم لن يعملوا دقيقة واحدة قبل موافقة الرئيسين على ذلك.

ودام الاضراب اقل من ساعتين. وكحل وسط اتفق طرفا النزاع على دولارين في الساعة. وبدأت الاكوام الضخمة تتقلص.

وعلمت من "اذعة" السبت الصباحية ان بعض الجيران الطيبين تبرعوا بسياراتهم وانهم يعملون في التوزيع منذ ساعات الصباح الاولى، وسيواصلون العمل خلال النهار.

واضافت زوجتي: "سنعمل حتى ساعة متقدمة من الليل. في المناسبة هل ستعود الى البيت ابداً؟"

اجبت بذكاء: "اني احاول انهاء بعض الامور العالقة. فلا داعي الى ترك اعمال غير منجزة."

وكما تبين لاحقا، انجز العمل قبل ثلاث ساعات من الموعد المحدد وحينما عدت كان الشابان انتهيا من تصفية حساباتهما: ١٥٠ دولارا اجرة اتعاب العمال، ٤٠ دولارا للبنزين، ٣٥ دولارا لشراء الهدايا للجيران الاوفياء، وخمسة دولارات لشراء ورد لامهما. وقد تبقى لهما ١٨٥ دولارا للواحد في مقابل ٩١ ساعة عملا بذلاها.

وسارت الامور حسنا لاسابيع. وفي صبيحة يوم سبت لفتني تصرف ابني الاصغرين. كانا يحملان علبة بعد علبة من زوايا مختلفة في البيت ليضعاها على الرصيف المقابل. وافترضت ان امهما طوعتهما لاخراج بعض النفايات. ثم سمعتهما يبحثان في امور مالية: "يا الهي! سنحصل على مال كثير!"

- سنصبح اغنياء!

واثبتت تحقيقاتي انهما كانا يعرضان مكتبتنا "للبيع او الايجار".

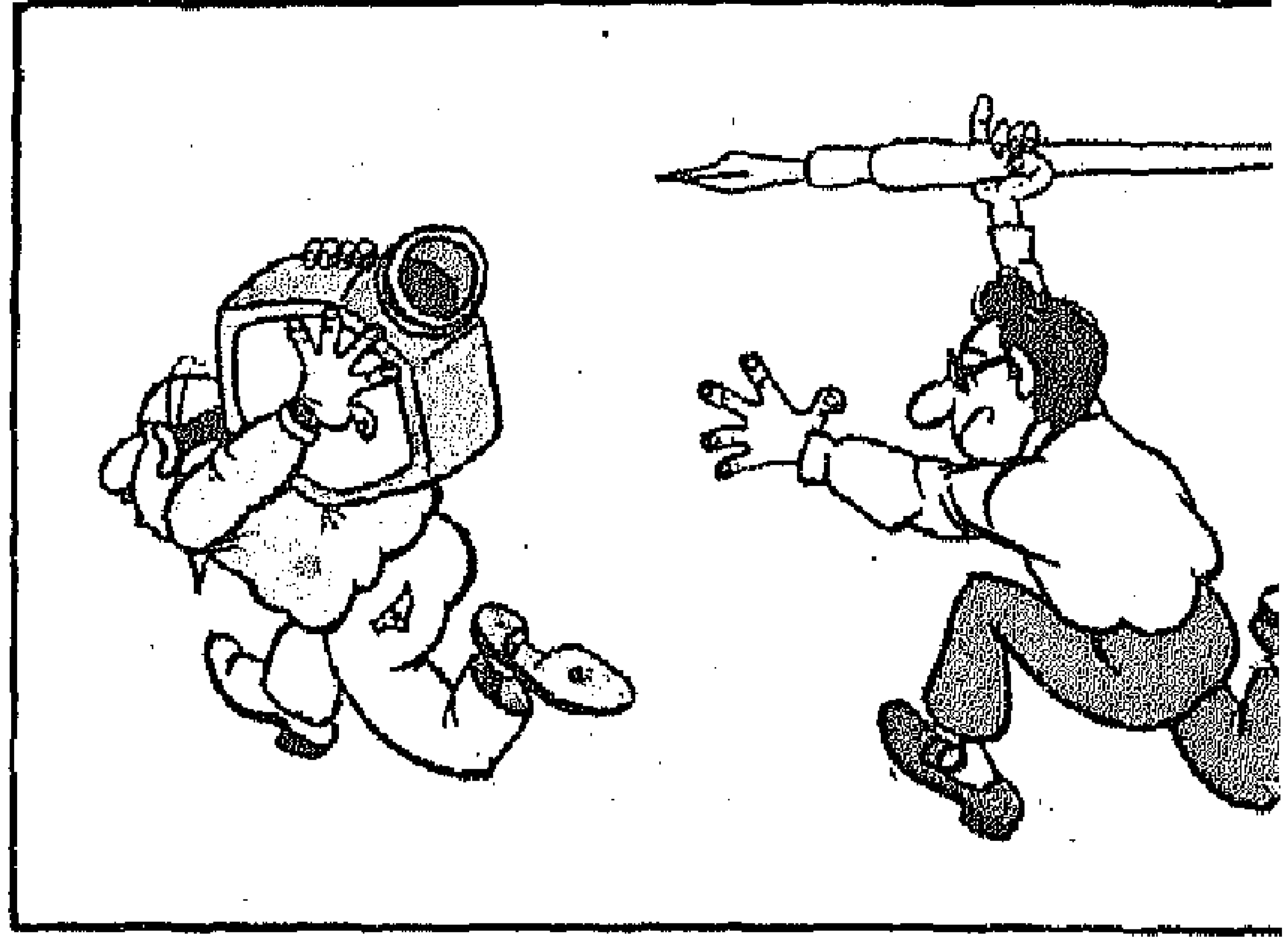
وصرخت: "كلا، لا يمكنكما بيع كتبنا!"

وحاولت ان اشرح لهما: "المرء لا يشبع من الكتب ابداً."

- بالطبع شبعت منها. لقد قرأتها وانتهيت منها. ويمكنك ان تجني منها بعض المال لقد اردنا ان نتجنب مذلة طلب...

وصرخت وانا اقحم بعض الدولارات في ايديهما: "لا تأبها للمذلة! خذا المال ولا تفكرا في المذلة. انا يمكنني ان اتحملها."

■ جون هابل



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد تضم حرفين مكررين، وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح، المطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١ ـ **كفكف:** عمي ـ مسح ـ ضرب بكفه ـ بكى.

٢ ـ **طأطأ:** خفض ـ قرع بلطف ـ تواطأ ـ انكسر.

٣ ـ **صلصل:** صفر ـ قيد بالسلاسل ـ لسع ـ رجّع صوته.

٤ ـ **بربر:** هجر الناس ـ انتقد ـ تكلم بلا منفعة ـ تصدق.

٥ ـ **خنخن:** خدع ـ أخرج الكلام من أنفه ـ أنتن ـ قهقه.

٦ ـ **كشكش:** هرب ـ قطب جبينه ـ طرد ـ تشرد.

٧ ـ **رصرص:** حشا بالرصاص ـ تشدد ـ اصطكت أسنانه ـ أحكم.

٨ ـ **تعتع:** ثرثر ـ ظلم ـ أوقع ـ حرك بعنف.

٩ ـ **جلجل:** تدجج بالسلاح ـ احترم ـ جرّ ـ صوت شديداً.

١٠ ـ **نمنم:** اتهم باطلا ـ زخرف ـ أخبر ـ أكل بشراهة.

١١ ـ **بصبص:** فتح عينيه ـ تألق ـ فرح ـ أطلّ.

١٢ ـ **زكزك:** دغدغ ـ أستفزّ ـ لسع ـ مشى بضعف.

١٣ ـ **وسوس:** أفشى سراً ـ وشى ـ حدث بالشرّ ـ همس.

١٤ ـ **دمدم:** رنّم ـ تكلم بغضب ـ هدد ـ مشى على يديه ورجليه.

١٥ ـ **معمع:** تبلد في كلامه ـ قاتل ـ لمع ـ ماطل.

١٦ ـ **كتكت:** مزج ـ نقد الحبّ ـ ضحك ـ مشى رويداً.

١٧ ـ **عنعن:** روى عن سواه ـ تألم ـ تذمر ـ ندب.

١٨ ـ **ضعضع:** بعثر ـ ضيّع ـ هدم حتى الارض ـ رمى.

١٩ ـ **لجلج:** عاند ـ غرق ـ تردد في الكلام ـ حثّ.

٢٠ ـ **هدهد:** دلل ـ حرك الطفل لينام ـ غرد ـ هدأ.

٢١ ـ **بلبل:** قلد صوت البلبل ـ رطّب ـ هيج ـ شنع.

٢٢ ـ **رضرض:** رش بالماء ـ ضرب ـ لم ينعم الدق ـ توثب.

٢٣ ـ **عجعج:** بالغ في الصياح ـ ادّعى ـ ازداد سمنة ـ ازدحم.

٢٤ ـ **قفقف:** تقزز ـ جلس القرفصاء ـ تأفف ـ ارتعد.

٢٥ ـ **تعتع:** بصق ـ أزاح ـ تردد صوته في صدره ـ ناح.

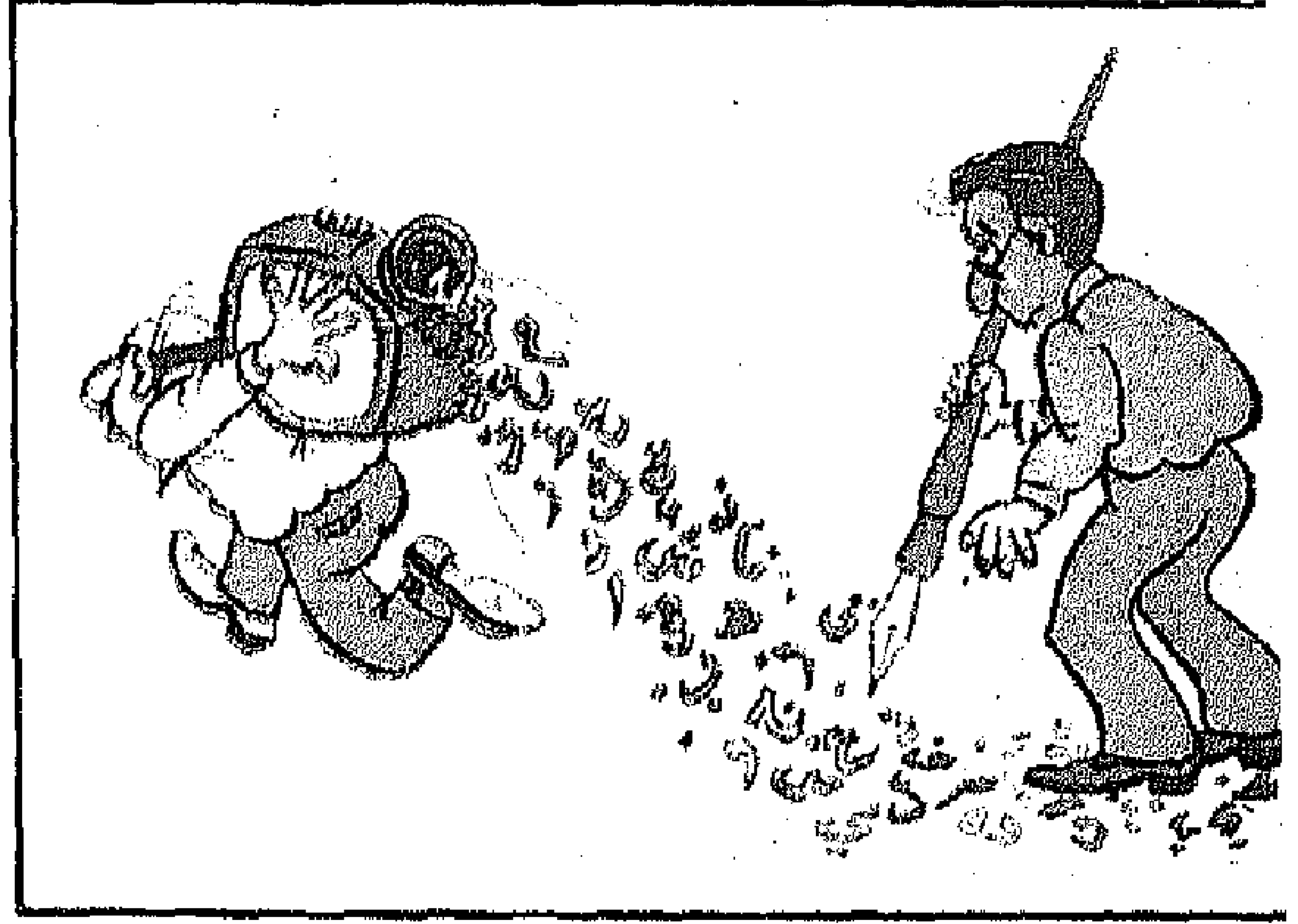
٢٦ ـ **زعزع:** صرخ ـ حرك بعنف ـ ردم ـ كذّب.

٢٧ ـ **رقرق:** صبّ وأجرى ـ تحنن ـ بكى ـ تغزل.

٢٨ ـ **لألأ:** أشرق ـ اصطاد اللؤلؤ ـ شرب ـ ارتخى.

٢٩ ـ **كنكن:** سكت ـ امتنع ـ طرد ـ قعد في بيته.

٣٠ ـ **ولول:** هرب ـ لوح ـ أعول ـ شتم.



الأجوبة الصحيحة

١ — كفكف الدمع: مسحه مرة بعد أخرى.
٢ — طأطأ: خفض.
٣ — صلصل الجرس: رجّع صوته. صليل: وقع الحديد بعضه على بعض.
٤ — بربر: أكثر الكلام بلا منفعة.
٥ — خنخن: أخرج الكلام من أنفه. استخنخت البئر: أنتنت.
٦ — كشكش: هرب. كشكشت الحية: صوتت من جلدها لا من فيها.
٧ — رصرص البناء: أحكمه، الرصص: تقارب الاسنان.
٨ — تعتع: حرك بعنف. تعتع في الكلام: تردد فيه من عيّ.
٩ — جلجل: صوّت شديداً. جلجل: جرس، جمعها جلاجل.
١٠ — نمنم: زخرف وزين. وجه منمنم: صغير لطيف الاعضاء.
١١ — بصبص: فتح عينيه. البصاصة: العين.
١٢ — زكزك العجوز: مشى بخطوات قريبة لضعفه.
١٣ — وسوس له الشيطان: حدثه بشرّ. وسوس الرجل: أصيب في عقله.
١٤ — دمدم: تكلم بغضب.
١٥ — معمع: قاتل بضراوة. معمعان: شدة الحرّ.
١٦ — كتكت: مشى رويداً أو قارب الخطو في سرعة.
١٧ — عنعن الراوي: قال في روايته: "روى فلان عن فلان".
١٨ — ضعضع: هدم حتى الارض. تضعضع: ضعف وذلّ.
١٩ — لجلج: تردد في الكلام. لجّ: تمادى في العناد.
٢٠ — هدهدت الام صغيرها: حركته لينام.
٢١ — بلبل القوم: أهاجهم وأوقعهم في الهم. بلبال: شدة الهم.
٢٢ — رضرض: لم ينعم الدق. الرضراض: الدقيق من الحصى.
٢٣ — عجعج: بالغ في الصياح. العجعاج من الخيل: المسنّ.
٢٤ — قفقف: ارتعد من البرد وغيره. قفقف الشعر: قام لشدة الفزع.
٢٥ — نحنح: تردد صوته في صدره. النحانحة: البخلاء لانهم يتنحنحون اذا سئلوا.
٢٦ — زعزع: حرك بعنف. الزعازع: شدائد الدهر.
٢٧ — رقرق الماء: صبّه رقيقاً. دمع رقراق: يجول في العين ولا يسيل.
٢٨ — لألأ: لمع وأشرق. لألأ: فرح تام، أيضاً: بائع اللؤلؤ.
٢٩ — كنكن: قعد في بيته. كنين: مستور.
٣٠ — ولول: دعا بالويل وأعول.

المستوى

٢٥ — ٣٠: ممتاز.
١٩ — ٢٤: جيد.
١٣ — ١٨: مقبول.


الخيول
النبيلة

ظلت [illegible] ليبيزانر زمنا
[illegible] المفضلة
لدى الاباطرة والملوك ·
وهي اليوم بهجة المشاهدين
وهواة الفروسية في انحاء العالم

جلس الفرسان معتمرين قبعاتهم التقليدية وستراتهم البنية القصيرة في الممر الطويل خارج القاعة الفخمة في مدرسة الفروسية الاسبانية في فيينا، يحتسون قهوة الصباح بانتظار دورهم· وكانت موسيقى موزار تصدح وتملأ جو القاعة، بينما راح المشاهدون يراقبون جوادين مطهمين يخطران في تمرين فروسي يعرف باسم الخبب او الخطوة المزدوجة·

فجأة اصطدمت الطاولة بجدار القاعة وانقلبت فناجين القهوة واهتزت الثريات الضخمة فدب الذعر في المشاهدين· لكن حركات الجوادين الرتيبة لم تختل برهة· هكذا هي روح الانضباط في تلك الافراس، حتى ان الفارسين لم يعلما الا لاحقا ان زلازلا ضرب فيينا ذلك الاحد من شهر ابريل (نيسان) ١٩٧٢·

هذا الانضباط في المواقف العسيرة هو الصفة المميزة لافراس "ليبيزانر" تلك البقية الباقية من الجياد القوية التي تعرضت غير مرة للانقراض وتمكنت من البقاء عبر مشاق الاغتراب والحرب فحظيت بتقدير كل من اقتناها·

افراس ليبيزانر هي من اقدم الخيول الاصيلة في العالم· ويرقى نسبها الى اكثر من ٤٠٠ سنة· فقد امتطاها الملوك، من نابوليون الى الملكة اليزابيت الثانية· وكانت تجر مركبات اسرة هابسبورغ النمسوية المالكة عبر شوارع فيينا في القرن السادس عشر، كما اضفت جمالا ورونقا على احتفالات تسلم السلطة لثلاثة من رؤساء الولايات المتحدة·

Photos: Eric Lessing/Magnum

وعبر اجيال ظلت هذه الافراس وقفا على اسطبلات ملوك الامبراطورية النمسوية - المجرية (الهنغارية) لكنها اخذت اليوم تنتشر في انحاء العالم. من مروج الالب الى بطاح افريقيا الجنوبية، ومن سفوح هضاب اوستراليا الى سهول الولايات المتحدة، تكاثرت الشلة الصغيرة من افراس ليبيزانر الاصيلة التي نجت من كوارث الحرب العالمية الثانية حتى باتت ثروة عالمية تضم نحو ٣٠٠٠ فرس، معظمها لا يزال يربى برعاية في تسع مزارع في اوروبا.

سلالة افراس ليبيزانر اقتبست اسمها من قرية ليبيكا الصغيرة شمال غرب يوغوسلافيا اليوم، حيث رباها للمرة الاولى عام ١٥٨٠ الارشيدوق تشارلز احد امراء اسرة هابسبورغ. وعن طريق النزو بين الافراس المحلية الصلبة العود والفحول المستوردة من اسبانيا، نمت هذه السلالة. وكما يحصل اليوم، ترعرعت الافراس في البراري الوعرة حيث العشب قليل لكنه غني بالغذاء وحيث الهواء مشبع بالاوزون والملح مع البحر الادرياتيكي القريب.

بعد قرون من حياة التقشف والخشونة اصبحت افراس ليبيزانر صلبة العود وشديدة المراس. ومنذ الاشهر الاولى من حياتها تطلق الافلاء (١) لترعى معظم ساعات اليوم، حتى في اوقات هبوب الرياح الشتوية القارسة، فتتصلب حوافرها وتشتد عضلاتها. حتى الاناث في مزرعة مونتيروتندو لتربية الخيول شمال روما (ايطاليا) تضع مهارها خارج مهاجعها في الفلاة من دون ان يكون معها احد. ويقول المربي رنزو لوشيدي: "يحدث ذلك عادة عند منتصف الليل، وفي الصباح نجد المهر الوليد واقفا بجانب امه."

تكون مهار ليبيزانر عند ولادتها بلون الكميت، ثم تتحول تدريجا الى الشهبة (٢) وهي اللون الذي تشتهر به. لكن هذه الافراس تظهر خصائصها الفريدة في حركاتها. فمشيتها المتبخترة المتعالية وذيلها الكثيف المتمايل وارادفها المطهمة، جعلتها الافراس المفضلة لدى الاباطرة في كل زمان. فالقوة الدافعة في اردافها وقائمتيها الخلفيتين تحدرت اليها من اسلافها، وهي التي مكنتها من الانحرافات السريعة في المبارزة فوق ساحة المعركة. وتدرب هذه الافراس على القفز فوق الحواجز وحوافرها تضرب العدو في قفزها. كما يمكن الواحد منها ان يشب على قائمتيه الى ارتفاع مخيف فيحمي فارسه بصدره من حراب العدو او رصاصه.

شعرت بتلك القوة النابضة عندما امتطيت حِجراً (٣) تدعى آليغرا

(١) الفلو هو المهر قبل بلوغه السنة.

(٢) الكميت حمرة ضاربة الى السواد، والشهبة بياض مشوب بالسواد.

(٣) انثى الفرس.

وانطلقت بها في برية واسعة في يوغوسلافيا. احسست بتوثبها اللاهث، فأرخيت لها العنان لتغير على هواها في تهور مني لا يتناسب مع خبرتي المحدودة في الفروسية. وفيما انحدرت بي فوق وهدة وعرة ادركت ان الحجر هي التي كانت تداريني وليس انا. وفهمت معنى ما قاله لي المدرب حين صاح بي بعد انطلاقنا : "لن تحتاج الي لان آليفرا ستلقنك دروس الفروسية."

معلم شاطر - ركوب الخيل هو احد النشاطات الرئيسية في قرية ليبيكا الحديثة، حيث يفد هواة الفروسية من انحاء اوروبا ليقضوا فوق صهوات الجياد اكثر من ٤٠ الف ساعة سنويا.

قال مدير احدى مزارع الخيول اندريه فرانيتك : "كانت هذه الارض بقعة منعزلة، لكنها اليوم من الاماكن القليلة حيث يتسنى لرجل عادي امتطاء صهوة احد افراس ليبيزانر."

في ذلك الصباح المشرق عسر علي ان اصدق كيف نجت قرية ليبيكا وافراسها الثمينة مرارا من الفناء المحقق. ففي العام ١٧٩٧ وقعت القرية مباشرة في طريق جيوش نابوليون الزاحفة، فانطلق منها ٣٠٠ جواد مع سواسها في احد ايام شهر مارس (آذار) القارسة، قاصدين بلاد المجر (هنغاريا) القصية. وعلى رغم ندرة العلف، فقد سلمت الجياد جميعها وجاء هذا شاهدا على صلابة هذه الخيول وشدة مراسها.



الحرب العالمية الثانية احالت قرية ليبيكا ساحة قتال. وانحطت المزرعة الامبراطورية فغدت بائسة ليس فيها سوى ١١ فرسا. لكن سلالة افراس ليبيزانر وجدت صديقا مخلصا هو الماريشال تيتو رئيس يوغوسلافيا السابق. وهناك صورة تمثل الرئيس الراحل وهو يعرض ارتال الدبابات ممتطيا صهوة فرس ابيض من سلالة

ليبيزانر. وكان لتدخل تيتو شخصيا الفضل في انقاذ مزرعة الافراس هذه. وفي سبتمبر (ايلول) ١٩٨١ قدم ١٢ فرسا منها عرضا مؤثرا في قرية برنو الجبلية، مسقط رأس الزعيم الراحل.

وفي صيف ١٩٨٠ احتفلت ليبيكا بعيد ميلادها الـ ٤٠٠ كمزرعة لتربية الخيول، فاوفدت كل من مزارع الخيول في اوروبا ستة من نخبة افراسها لتشارك في المناسبة. وكانت هذه فرصة العمر لمن يرغب في مشاهدة تلك المجموعة الفريدة من الافراس في مكان واحد. وكان من مشاهد الاحتفال مباريات في الحركات الترويضية والقفز وسباق المركبات، وعرض اشترك فيه جميع اعضاء فريق مدرسة الفروسية الاسبانية، وندوة ضمت خبراء العالم في تربية افراس ليبيزانر وترويضها.

يصر المروضون في السنوات الاولى من حياة الافراس على ان يتاح لها التمتع بفترة من الحرية المطلقة. وقفت مرة في مزرعة بايبر لتربية الخيول في مراعي جبال النمسا اراقب قطيعا من مهار ليبيزانر وهي تتواثب وتتدافع في طقس قارس البرودة تحت سماء متلبدة بالغيوم. وقال لي حارسها آدولف تاكس: "كل ما هو مطلوب منها الان هو ان تأكل وتكبر، ولكن بعد قليل سيتعين عليها الالتحاق بالمدرسة."

هذه المهار ستغدو نجوم مدرسة الفروسية الاسبانية في فيينا، وهي المؤسسة الشهيرة التي حققت لافراس ليبيزانر الصيت والاعجاب العالميين. نخبة افراس مزرعة بايبر التي بلغت ثلاث سنوات ونصف سنة من عمرها، تباشر كل سنة برامج ترويض قاسية وفقا للاصول التقليدية في الفروسية. عروض المدرسة التي تجري مرتين كل اسبوع وتجمع بين الرياضة والجمال والفن الرفيع، اجتذبت ملايين المشاهدين منذ فتحها امام الجمهور عام ١٩٢٠.

تجرى التدريبات بنظام عسكري دقيق وفي جو من السكون التام. ففي قاعة الركوب لا تسمع سوى صرير السروج ولهاث الافراس، واحيانا طقطقة تحبب من فم المروض.

ويقول العميد فرنر هلمبرغر المدير المساعد لمدرسة الفروسية الاسبانية: "يلزمنا ست سنوات لتدريب فرس قبل ان يحسن الاداء تماما، و٢٠ سنة لتدريب الفارس. اكبر الفرسان يدرب اصغر الافراس، والافراس الكبيرة هي اساتذة الفرسان الشباب."

ويستعيد المروض ميلوش فلدي ذكرياته في مدرسة الفروسية الاسبانية حيث تعلم ركوب الجواد الاسطوري كونفرسانو فلورا الذي كان حينئذ في سنه السابعة والعشرين: "كان علي فقط ان افكر بحركة ما، واذا بالجواد يقوم بها على الفور. كان حقا معلما مدهشا."

"لسنا اسيادها" - العلاقة بين

الفرس والفارس يجب ان ترتكز على الرقة والصبر وتراعى كالعلاقةالحميمة بين شخصين٠ قال لي احد المروضين : "عندما اكون مضطرب البال بمشاكلي الشخصية، يأتي اداء الجواد سيئا للغاية٠"

واسوة بقرية ليبيكا تعرضت مدرسة الفروسية الاسبانية خلال الحرب العالمية الثانية لصدمة كادت ان تكون قاضية٠ ففي العام ١٩٤٣ صادر الالمان جميع افراس ليبيزانر من مزارع الخيول الرئيسية في اوروبا وشحنوها الى هوستو في تشيكوسلوفاكيا المحتلة٠ ولكن في مارس (آذار) ١٩٤٥ تمكن مدير المدرسة العقيد الويس بودايسكي من تهريب حمولة بضع عربات قطار من الافراس الى خارج فيينا، واوصلها الى سان مارتن تحت انف القيادة الالمانية العليا٠

وفي الشهر التالي اصدر القائد الامريكي الجنرال جورج باتون امرا الى فرقة خاصة بتحرير بلدة هوستو من الالمان٠ وطلب بودايسكي العون من الجنرال باتون، فلبى هذا النداء بحكم كونه فارسا اشترك في الالعاب الاولمبية واظهر اهتماما كبيرا بهذه الافراس٠ وللحال وضع باتون خيول مدرسة الفروسية الاسبانية في حماية الجيش الامريكي وامر بنقل الافراس والمهار من هوستو الى النمسا٠ هذه البادرة النبيلة انقذت السلالة من انقراض شبه محقق٠

شاعت في السنوات الاخيرة هواية المركبات التي تجرها الخيول مما فتح لافراس ليبيزانر مجالا جديدا. وقد ربح الحوذي المجري جيورجي باردوس وفريقه من افراس ليبيزانر القوية البطولتين الاخيرتين في اوروبا في آرا دوبان (فرنسا) وتزوغ (سويسرا) وبطولة العالم في وندسور (بريطانيا)٠ وقال فكتور ماتياس مدير مزرعة ترويض الخيول المجرية في زيلفاشفاراد التي تختص بترويض نخبة افراس ليبيزانر على جر المركبات : "لهذه الخيول طاقة احتمال هائلة٠ وافراسنا يمكنها جر مركبة مسافة ١٠٠ كيلومتر في ٨ ساعات٠"

جورج بومان هو ابرز الحوذيين المحترفين في بريطانيا الذي يضم فريقه الامير فيليب زوج الملكة اليزابيت٠ وهو زار مزرعة زيلفاشفاراد حديثا وقال : "جئت في زيارة انتهت بشرائي احد هذه الافراس٠ وسرعان ما احببتها حتى عدت فاشتريت ثلاثة اخرى"٠ وبومان هذا، الذي جاء ثانيا بعد باردوس في السباق الاخير لبطولة اوروبا، يصبو مع فريقه الى الفوز ببطولة العالم ١٩٨٢ في المباريات التي جرت في اغسطس (آب) في آبلدورن، هولندا٠

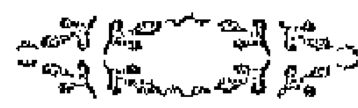
وثمن فرس ليبيزانر الاصيل يراوح بين ١٠٠٠ دولار لمهر غير مروض في شهره السابع في مزرعة مونتيروتندو في ايطاليا و٧٢٠٠ دولار لفحل مروض

جزئيا عمره سبع سنوات في مدرسة الفروسية الاسبانية. والمدرسة لا تبيع الافراس المكتملة الترويض لانها لا تثمن. ويقول اندريه فرانيتش ان الفرس الاصيل هو الذي يثبت نسبه بالوثائق الكاملة حتى خمسة او سبعة اجيال على الاقل. وعندما ينفق احد الافراس في ليبيكا، تتلف وثائق نسبه.

من موطنها الاصلي في هضاب سلوفانيا حيث بدأت قبل اربعة قرون، انتشرت سلالة ليبيزانر حتى عمت القارات الخمس. وتحت شمس كيالامي الحارقة في جنوب افريقيا تقود كوكبة من الفرسان، كل افرادها نساء، ٢٢ فرساً من سلالة ليبيزانر في عرض اسبوعي على نمط عروض مدرسة الفروسية الاسبانية. كما ان افراس ليبيزانر هي نجوم السيرك السويسري الوطني، وتربح الجوائز بانتظام في المعرض الاوسترالي الملكي للخيول في كانبرا.

ويقر المفتتنون والفرسان في كل مكان بأن الدكتورهنريك ليرنر، مدير مزرعة الخيول النمسوية في بايبر، هو اعلى مرجع ثقة في شؤون افراس ليبيزانر. فالى معرفته الواسعة بها، تنم كل كلمة يقولها فيها عن حب صادق لهذه المخلوقات. وهو يقول: "ان افراس ليبيزانر تحتاج بل تسعى الى الاتصال بالناس. انها توفر لنا البهجة العظيمة، ولكن علينا دائما ان نتذكر اننا لسنا اسيادها بل..." ويتوقف عن الكلام لحظة ليجد الكلمة المناسبة: "... شركاؤها."

■ جيف ديفيدسون



ما كل ما يتمنى المرء يدركه...

سُئلت ام لثلاثة أولاد مشاغبين: "اذا بدأت حياتك من جديد، فهل تنجبين أولاداً؟"
فأجابت: "نعم، ولكن ليس الأولاد أنفسهم".

د.ف.

كليلة ودمنة

شاهد رجل ببغاوين في محل لبيع الطيور، فسأل البائع: "كم هو ثمن هذا الببغاء الكبير الأحمر والأزرق؟"

ـ ثلاثة آلاف دولار، يا سيدي.

"غريب! لِمَ هذا الغلاء كله؟"

ـ انه متعدد اللغات، وهو يعرف الاختزال والطباعة على الآلة الكاتبة.

"وما ثمن الآخر؟"

ـ سبعة آلاف دولار، يا سيدي.

"بحق السماء، أخبرني عن مواصفاته".

ـ ليس لديه أي مواهب خاصة على الاطلاق. لكنه رب العمل، والآخر موظف لديه.

ف.ش.

"كل ما حققته في دنيا الموسيقى انبثق من الالم."

خوليو ايغليزياس

خوليو ايغليزياس المطرب المعجزة

ما ان يظهر خوليو ايغليزياس على المسرح حتى يسيطر تماما على جمهوره. واذ يبتسم يلتمع خط من الاسنان البيضاء في وجهه الاسمر، فتصرخ الفتيات اعجابا. وحين يضع يده فوق قلبه كأنه يقول: "اعبدك،" يتنهد الكهول من جدود وجدات. وعندما يومىء باصبعه اشارة الى بدء اغنية، يرين على القاعة سكون تام. الموسيقى الحالمة في اغنيته "من اجلها" تعمق سحر المغني الشاب.



ووسط العزف المثير يرتفع صوته الحنون: "اليوم لا اقدر على العيش من دونها،" فيهيمن على القاعة جو لقاء حميم. يقول نجم الاوبرا بلاسيدو دومنغو: "يحقق خوليو مطمح كل مغن، سواء أكان تقليديا ام عصريا، اذ يستحوذ على القلوب." الاغاني العاطفية التي يقدمها هذا الاسباني البالغ من العمر ٣٨ سنة تبعث ثورة في المشاعر تعم العالم باسره. قلة من المطربين يمكنها اداء

اغاني الوجد والحب المفقود باسلوب اروع من اسلوبه. والدليل على ذلك ان المعجبين به اشتروا خلال السنتين الماضيتين ٢٠ مليون نسخة من اسطواناته. وكانت له نحو ٤٠٠ حفلة غنائية في اكثر من ٢٥ بلدا. وهو احرز اكثر من ٤٠ اسطوانة ذهبية و٢٠ بلاتينية.

وفي اوروبا يبقى ايغليزياس المغني الاكثر شعبية منذ اربع سنوات. وقد وصفته صحيفة "فرانس سوار" الباريسية بانه النجم الرقم "١" في الثمانينات. وفي سبتمبر (ايلول) ١٩٨٠ احيا حفلة عند سفح الهرم الاكبر في الجيزة حضرها الرئيس المصري الراحل انور السادات، وبعد ايام حقق نجاحا باهرا في العاصمة اللبنانية بيروت. ومع انه لم يسجل حتى الان مجموعة اغنيات باللغة الانكليزية، فهو ذو شعبية واسعة في اميركا الشمالية. انه النجم المفضل لدى الكنديين الناطقين الفرنسية. وفي الولايات المتحدة غنى ايغليزياس في حديقة ماديسون سكوير في نيويورك وملعب كرة القدم في اورانج باول في ميامي.

اما في امريكا اللاتينية فانه المطرب المفضل بلا منازع. وهو يقول متحدثا عن شهرته العالمية : "انا ما زلت في بداية الطريق."

خوليو ايغليزياس له كل الحق في ان يتباهى. فلولا ثقته بنفسه وشجاعته وارادته الخارقة لكان الان رجلا مقعدا مغمورا. ومن الغرابة ان سبيله الى النجاح بدأ بحادث سيارة. ففي سبتمبر (ايلول) ١٩٦٣، قبيل عيد ميلاده العشرين، كان خوليو يقود سيارته برفقة ثلاثة من اصدقائه في احدى الضواحي متوجها الى بيته في مدريد. وكان الوقت جاوز منتصف الليل حين دفعه هوس الشباب الى الانحراف عند منعطف حاد بسرعة ١٠٠ كيلومتر في الساعة. وانزلقت السيارة على حصى الطريق وانقلبت في حقل مجاور. وباعجوبة لم يصب احد من الرجال باذى، او هكذا تراءى لهم.

كان خوليو آنذاك طالبا في كلية الحقوق في جامعة مدريد. لكن شغفه الطبيعي كان بكرة القدم، فبنيته المتينة وقامته (١٧٨ سنتيمترا) ووزنه (٧٨ كيلوغراما) اهلته لان يغدو حارس مرمى ذا مستقبل باهر في فريق الناشئين لاحد اعظم فرق كرة القدم في اوروبا : ريال مدريد.

بعد الحادث بايام بدأ خوليو يشعر بآلام حادة ووخز عابر في صدره وخاصرتيه ترجفه وتضيق عليه تنفسه فقلق عليه والده الطبيب فعرضه على اختصاصيين في مستشفيات المدينة. لكن الصور الشعاعية لم تكشف اي علة. وشخص بعض الاطباء حاله بأنها عصب مرضوض فيما قال آخرون انها مجرد اوهام.

وذات ليلة من نوفمبر (تشرين

الثاني) عطس خوليو بقوة فارتج جسده ودهمه الم شديد افقده الوعي. ومرة اخرى لم تظهر الصور الشعاعية اي خلل صحي. ولكن بحلول عيد رأس السنة اصبح الالم مستديما. ونقص وزنه الى ٤٨ كيلوغراما ولزم الفراش. وكان يقضي الليالي مسهدا، فيجلس في فراشه قابضا على ركبتيه وعاضا شفتيه من الالم. ويقول شقيقه الاصغر كارلوس متذكرا تلك الفترة: "كان خوليو يتلاشى امام اعيننا."

في الاسبوع الثاني من يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ جمع والد خوليو خمسة من ابرز اختصاصيي مدريد، وبينهم جراحو اعصاب، وسألهم والدموع تطفر من عينيه: "ما هي علة ابني؟" وبعد ساعة من المداولة اعلن الدكتور ريكاردو فرانكو مانيرا ما استقر عليه رأي المجتمعين، وهو ان العلة هي في العمود الفقري.

الحياة تستمر - في تلك الليلة ظهرت اولى علائم الشلل، وهي تعطل المثانة. وما ان انبلج الصباح حتى نقل خوليو الى المستشفى وهو مصاب بشلل جزئي في القسم السفلي من جسمه. وقال الاطباء ان الفحوص اظهرت ورما قد تكون صدمة السيارة زادته تفاقما. الا انه كان ورما غير خبيث يطوق الفقرة السابعة. واجريت للشاب جراحة واستؤصل الورم، غير ان خوليو عاد الى بيته وهو ما زال مشلولا من وسطه حتى قدميه. وفي رَأي بعض الاختصاصيين ان مستقبل مثل هذه الحالات لا يدعو الى التفاؤل لذلك فان خوليو قد يستعيد بعض قدرته على الحركة خلال بضع سنوات لكنه سيبقى كسيحا.

ولم يحسب احد حسابا للارادة الخارقة لهذا الشاب. وبناء على نصيحة جراح الاعصاب دأب خوليو على التدرب على ارسال موجات دماغية الى اصابع قدميه لتتحرك واحدة بعد اخرى. وكان يهتف لها ليلا نهارا محاولا تحريكها: "تحركي، تبا لك!" غير انها لم تتحرك. وهو يتذكر ذلك: "شعرت كأني عامل لاسلكي في سفينة غارقة."

بعد مرور شهرين على الجراحة سمع الاب والام والشقيق كارلوس مريضهم يناديهم: "تعالوا كلكم!" فهرعوا الى غرفته ليروه يشير منفعلا الى قدمه ويصيح بلهجة الظفر: "انظروا!" كانت ابهام القدم تنحني قليلا الى الامام مرة بعد اخرى.

منذ تلك اللحظة ايقن خوليو انه سيبرأ تماما.

لكن التحسن كان بطيئا والتمارين مرهقة. وادركت ممرضته انه سيعاني حالات كمد احيانا، فاهدت اليه غيتارا رخيص الثمن. واذ استلقى على ظهره عاجزا عن تنسيق حركات ذراعيه، اوقف الغيتار على صدره موجها ذراعه نحو السقف. وسرعان ما ادرك ان نقر الاوتار ينفي عنه القلق والضجر. والنقر اعقبته دندنة الحان

ثم محاولات خجولة للغناء. وهو سر كثيرا حين بدا له ان الاصوات التي صدرت عنه كانت جميلة حقا.

وبعد مضي اربعة اشهر على الجراحة تمكن خوليو من الوقوف ممسكا بالحواجز التي اقيمت له على جانبي الممر الضيق في البيت. ومرة حاول لاهثا ان يخطو. وخشي والده ان يكون الجهد فوق طاقته، فنصحه بأن يلزم الراحة. لكن خوليو اجابه: "يجب علي ان امشي يا ابي." وهو فعل ذلك حقا. وبعد نضال استغرق ٩٠ دقيقة، حقق خوليو خطوته الاولى في طريق الشفاء.

وهدفه الذي حرص دائما على تحقيقه كان ان يخطو كل يوم خطوة واحدة اكثر مما فعل في اليوم السابق. ومن اجل تقوية عضلات جسمه الاخرى كان يحبو على ارض الممر اربع ساعات او خمسا يوميا بلا توقف. وعندما انتقلت العائلة الى مصيفها في بانيبيسكولا على البحر المتوسط، جر خوليو نفسه على الشاطيء مستندا الى عكازين ودأب كل صباح على السباحة لثلاث او اربع ساعات مرهقة. وبحلول فصل الخريف ترك العكازين واستعان بعصا. وبعد اشهر القى العصا جانبا واخذ يسير يوميا مسافة عشرة كيلومترات.

استمر تقدم خوليو على طريق الشفاء. وفي ربيع ١٩٦٨ تخرج في كلية الحقوق، وكان يعتزم الانخراط في السلك الديبلوماسي. اما الموسيقى فبقيت بالنسبة اليه مجرد تسلية غير انه كان وضع اغنيته الاولى "الحياة تستمر على الدوام" التي ربما كانت من وحي معاناته الطويلة ووحشته في فترة نقاهته، وهي تقول:

قليلون هم الاصدقاء الحقيقيون.
كثيرون يمتدحونك وأنت قوي،
ولكن حين تسقط ستدرك حقا
ان المخلصين يبقون ويختفي مدعو المحبة.

ببعض تردد وخشية وافق خوليو على انشاد هذه الاغنية في شهر يوليو (تموز) من تلك السنة في اهم تظاهرة للموسيقى الشعبية في اسبانيا، وهي "مهرجان بانيدورم السنوي للاغنية." وهكذا خسرت اسبانيا ديبلوماسيا ناشئا. فقد نال خوليو الجائزة الاولى، وراجت اغنيته في اسبانيا كلها ثم غدت عنوانا لفيلم سينمائي اسباني يتناول حال الشلل التي اصابته ومثل هو دور البطولة فيه. وهكذا اضحى، فجأة ايضا، نجما سينمائيا.

عام ١٩٧٠ مثل خوليو بلاده في مهرجان "اوروفيزيون" وغنى امام ٣٠٠ مليون مشاهد على شاشات التلفزيون. القطعة التي قدمها واسمها "غواندولين" لم تنل الجائزة الاولى، لكن الاسطوانة التي سجلت عليها راجت في اوروبا كلها، وفي اسبانيا وحدها بيع منها ٢١٠ آلاف نسخة.

بلوغ القمة – شهرة ايغليزياس العالمية جاءت بطيئة. وقبل ان يجتاح امريكا اللاتينية كان عليه ان يكسب الجماهير القروية التي كانت تسأل: "خوليو من؟" وفي العام ١٩٧١ وجد نفسه في بناما فقيرا معدما ينام على مقاعد الحدائق العامة. لكنه لم يشك لحظة في ان اياما سعيدة مقبلة عليه، فجهوده لاستعادة صحته زرعت في نفسه رفضا للتخاذل امام الصعاب او التخلي عن اي حلم يصبو اليه.

وفي ١٩٧٢ جاءت قطعته "اغنية الى غاليسيا" لتضع حدا لايامه الحالكة. النغمات النابضة بالايقاعات التقليدية في تلك الاغنية روجتها للحال في اوروبا وامريكا الجنوبية. ثم اعقبتها اغان اخرى حققت كلها نجاحا باهرا. وفي ١٩٧٤ اطلق خوليو مجموعة اغنيات دعاها "مانويلا" وبها اصبح المغني الاسباني الاول الذي حصل على جائزة الاسطوانة الذهبية في فرنسا. وفي اواسط السبعينات جعلته مجموعتاه "الى المكسيك" و"امريكا" معبود هواة الموسيقى الحديثة في القارة الامريكية.

منذ ظهوره في مهرجان "بانيدورم" دارت اغاني ايغليزياس حول احلام الحب المفقود. وهو يقول في ذلك: "الناس يحبون الخاسر." وتقول المخرجة التلفزيونية الفرنسية ماريتي كاربنتييه التي انتجت برامج خاصة عن هذا المغني: "يجسد خوليو صورة العاشق اللاتيني الذي لا يحظى بفتاته. وهذا ما يجعل النساء يتشوقن الى مواساته."

لكن الجاذبية الجسدية لا تكفي وحدها لارواء ظمأ المستمعين. ويقول خوليو: "هناك رجال ونساء وفتيان وفتيات بين الجمهور اساعدهم انا في خلق شعور مشترك ينطلق من ذكرياتهم العاطفية." وذات مرة، بعدما قدم حفلة غنائية في "مار دل بلاتا" في الارجنتين، اهدى اليه زوجان خاتما من الماس تعبيرا عن امتنانهما. فهما كانا على وشك الانفصال، كما قالت الزوجة، لكنهما تصالحا بتأثير الحنان والشوق اللذين تبثهما اغنياته.

ويرفض خوليو الافصاح عن مقدار ما يضع في اغانيه من تجاربه الشخصية. لكنه يقر بان هناك "صدقا كثيرا" في اغنيته "نسيت ان اعيش" التي اذيعت عام ١٩٧٨ قبيل طلاقه من ايزابيل بريسلر الفيليبينية الجميلة ام اولاده الثلاثة التي بقيت زوجة له طوال ثماني سنوات.

ويصف خوليو تحطم زواجه في سيرته الذاتية التي نشرت بعنوان "بين الجنة والنار" قائلا انه كارثة تكاد توازي اصابته بالشلل. فهو غرق في حال من الانقباض النفسي والخيبة في الحياة. وكان عليه بذل جهد "يفوق طاقة الرجال" ليواجه جمهوره من جديد. كان يشعر احيانا ان ساقيه شلتا ثانية، لكن طبيبا نفسانيا اخبره ان ما يعانيه ليس

سوى اوهام، ونصحه قائلا : "اغرق نفسك في العمل كما لم تفعل من قبل. استمر في ما عزمت عليه حتى بلوغ القمة."

منذ تلك اللحظة احس خوليو ان حاله تحسنت، واتبع نصيحة الطبيب بجد اعاد اليه ذكرى علاجه الذاتي قبل ١٤ سنة : كل يوم خطوة اكبر من اليوم السابق.

عام ١٩٧٨ وقع خوليو عقدا مغريا وطويل الاجل مع شركة اسطوانات "سي.بي.اس." العالمية، وهو الان اكثر فناني الشركة بيعا، وهي التي تضم اسماء مشاهير مثل بربارة سترايسند وبوب ديلان ونيل دايموند.

ويعنى خوليو بأدق التفاصيل، وهو يقضي بلا كلل مدة قد تطول ستة اشهر في تسجيل اسطوانة في استوديوهات "كريتيريا" في ميامي. فيغني اولا بالاسبانية ثم بالفرنسية فالايطالية فالبرتغالية فالالمانية. كما يخصص ساعات طوالا استعدادا لمجموعته الانكليزية الاولى التي، اذا قيض لها النجاح، سترفع شهرته الى اوج يقر هو بأنه "يبعث الرهبة في نفسي."

ومع ان خوليو موهوب في تعلم اللغات، فان جلسات التسجيل بلغات متعددة مرهقة جدا. وهو يهتم بنوع خاص لعبارة "احبك" حتى بالاسبانية، ويقضي اكثر من ساعة مرددا هذه العبارة في جلسات التسجيل الى ان تأتي مشبعة بكل العاطفة الحسية التي يريد التعبير عنها.

يفرغ خوليو من جلسات التسجيل التى تستغرق ٧ ساعات يوميا عند الاولى بعد منتصف الليل. وبعد دقائق يصل الى بيته الفخم في خليج ميامي حيث يعيش مع امه. اما والده فيأتي كلما سنحت له اجازة من مستشفى التوليد في مدريد حيث يعمل.

لم يعد خوليو يشعر بأي آثار للمرض الذي اقعده ذات يوم. وحين يستعيد ذكريات ايامه السوداء، فانه يجد فيها الكثير مما يحمله على الامتنان، اذ يقول : "كل ما حققته في دنيا الموسيقى انبثق من ذلك الالم."

في صحته وسعادته وشهرته اليوم يقدم خوليو ايغليزياس برهانا حسيا على صدق الحكمة التي تضمنتها اغنيته الاولى "الحياة تستمر على الدوام" حيث يقول :

هناك دائما سبب لان تعيش
وسبب لان تناضل.

■ راوول فاسكيز دي بارغا



أحيانا لا أجرؤ على النظر الى لوحاتي التي وجهتها نحو الجدار، لأني أخشى أن أقع على مسخ مخيف وكان ما ظننته تحفة رائعة.

الرسام كميل بيسارو

آريان كسب الرهان الأوروبي

دخلت اوروبا حلبة السباق الفضائي وهي الآن القوة الرئيسية الثالثة في الفضاء

في التاسع عشر من شهر يونيو (حزيران) ١٩٨١ تجمع في مركز كورو في غويانا الفرنسية قرابة ستمئة فني فرنسي لاطلاق الصاروخ الاوروبي "آريان".
وفي الثانية والدقيقة الثانية والثلاثين بدأ الصاروخ البالغ طوله ٤٧ متراً قذف الدخان واللهب مرتفعاً في خط عمودي مستقيم. وبعد ٤٣ ثانية مال الصاروخ شرقاً فوق المحيط الاطلسي متوارياً عن الانظار. كل شيء سار كما هو مقرر: انفصال أجزاء الصاروخ الثلاثة فاطلاق القمر الاصطناعي الاوروبي "متيوستات ٢" المعد لمراقبة الاحوال الجوية، فالقمر الهندي "التفاحة". لقد كان ذلك اليوم تاريخياً للثلاثة آلاف أختصاصي أوروبي الذين أشتركوا في هذا البرنامج، اذ هو توج تسع سنوات من الجهد. الا أن هذا الانتصار بدا باهتاً اذا ما قورن بالمكوك الامريكي

آريان ينطلق في ٢٤/١٢/٧٩ من مركز كورو في غويانا CSG «optique»

"كولومبيا" الذي سبق ان اطلق، قبل ذلك التاريخ بشهرين والذي يمكن اعادة استعماله ذهاباً واياباً. فهل ارتكبت اوروبا خطأً فادحاً بانتاجها صاروخاً يصلح للمتاحف؟

ما هي قصة "آريان"؟

عام ١٩٦٢ اتفقت عشر دول اوروبية على صنع صاروخ ذي ثلاث مراحل يدعى "اوروبا". ولكن بينما كان هذا المشروع يتعثر، كان الامريكيون يسيرون على القمر. وفي ١٩٧١ شرع الامريكيون في تصميم "كولومبيا" المشروع الجديد باحداث ثورة في الرحلات الفضائية.

الالمان والفرنسيون – اصيب الالمان بالخيبة لفشل "اوروبا" وقالوا: "من الافضل ان تطلق ادارة الفضاء القومية صواريخها،" اي اوروبا. فلم يوافق الفرنسيون على ذلك الاقتراح. وفي ربيع ١٩٧٢ بدأ عدد من العلماء التخطيط في المركز الوطني لابحاث الفضاء في فرنسا لمشروع فضائي جديد. وشعروا ان هذا المشروع يمثل حاجة سياسية اذا ما شاءت فرنسا ان يكون لها دورها في الفضاء. وقال مدير المركز القومي لابحاث الفضاء، ايف سيّار: "ان اوزان معظم الاقمار الاصطناعية التي تحتاج اليها اوروبا في السنوات المقبلة ستكون الف كيلوغرام او اكثر. ويجب ان تكون من النوع الذي يبدو ثابتاً بالنسبة الى الارض بحيث يدور بسرعة تساوي سرعة دورانها. وهذا الامر لن يتحقق الا اذا وضعت هذه الاقمار في مدارات يبلغ ارتفاعها ٣٦ الف كيلومتر. ولذا كان هدفنا تصميم الصاروخ القادر في آن، على اطلاق الاقمار الى مدارات مرتفعة جداً ووضع الاقمار الثقيلة في مدارات منخفضة."

وساعد الدماغ الالكتروني في ولادة الصاروخ "آريان" ذي المراحل الثلاث والبالغ وزنه ٢٠٧ اطنان. واختار له الفرنسيون التقنية الناجحة ذات التكاليف المعقولة، ولذا كانت المرحلة الثالثة في "آريان" والمزودة بمحرك مبرد (بالاوكسيجين والهيدروجين)، هي الوحيدة التي اعتمدت فيها تقنية معقدة.

وتوضع الاقمار الاصطناعية في "قلنسوة" على رأس الطبقة الثالثة من الصاروخ والمصممة لحمل ثقل، في البداية، يصل الى الف كيلوغرام على ان يزاد ذلك في المستقبل. وتبلغ تكاليف التصميم والبناء والاطلاق لاربعة نماذج مطابقة للاصل ٢،٠٦ مليار فرنك محسوبة على اساس اسعار العام ١٩٧٣ (٥ مليارات بالاسعار الحالية). وتوقعت الخطط انجاز هذا الصاروخ في فترة تراوح بين ست وسبع سنوات.

ولضمان وجود "زبائن" لهذا الصاروخ، اصر الرئيس الفرنسي آنذاك جورج بومبيدو على ان يكون هذا المشروع اوروبياً مشتركاً. ولهذه الغاية انعقد في ٣١ يوليو (تموز) ١٩٧٣ اجتماع لوكالة الفضاء الاوروبية ووقع ممثلو عشر دول العقد المتعلق ببرنامج "آريان". وتوزعت المساهمات في المشروع كالآتي: فرنسا ٦٣،٨٧ في المئة، المانيا الغربية ٢٠،١٢ في المئة، بلجيكا ٥ في المئة، على ان توزع بقية التكاليف بين هولندا وبريطانيا واسبانيا

وسويسرا واسوج والدانمرك وايطاليا. وقدر عدد الشركات الاوروبية التي ستشارك في تنفيذ المشروع بثمانين.

وتجنباً للاخطاء التي رافقت مشروع "اوروبا" فقد عين مدير واحد للمشروع. وحدد شهر يوليو (تموز) ١٩٧٥ موعداً للاطلاق التجريبي الاول لـ"آريان".

فرصة "آريان" الذهبية ــ في نهاية ١٩٧٧ كان مكوك الفضاء الامريكي لا يزال متأخراً جداً عن التاريخ المحدد له. وفسح ذلك المجال امام "آريان" لاثبات نفسه والفوز بمركز قيادي في سوق الاقمار الاصطناعية. وفي ابريل (نيسان) ١٩٧٨ اتفق الشركاء في البرنامج على تمويل صنع ستة صواريخ تجارية بعد انجاز تجارب الاطلاق الاربع.

ومن خط "آريان" ايضاً انه في هذا الوقت كانت شركة "انتلسات" التي تضم اهم المستعملين للاقمار الاصطناعية تبحث عن صاروخ لاطلاق السلسلة الجديدة من اقمار الاتصالات البعيدة المدى. وكانت واشنطن المقر الرئيسي لهذه الشركة التي تحتكر الاتصالات بين القارات بواسطة الاقمار الاصطناعية. وبدا واضحاً ان كبار المساهمين في هذه الشركة لم يكونوا راغبين في السماح للغرباء بغزو اسواقهم. الا ان الاوروبيين كانوا اعدوا انفسهم لهذه الغزوة: ان الصاروخ الاوروبي مصمم لاطلاق الاقمار الاصطناعية الى مدارات مرتفعة بينما تعجز "كولومبيا" عن ذلك. فلارسال قمر اصطناعي ثابت، بالنسبة الى الارض، تستطيع "كولومبيا" ان ترتفع بالقمر الى علو ٢٠٠ كيلومتر حيث تتركه يندفع بالوقود الصلب المزود به محركه الى العلو المطلوب والبالغ ٣٦ الف كيلومتر. وكان هذا احد نقاط الضعف في "كولومبيا" بالاضافة الى ان تصويب "آريان" كان اكثر دقة، وخلال الاعوام السبعة من عمره يستمر القمر الاصطناعي في تعديل موقعه بواسطة محرك صغير مصمم للتحكم بالارتفاع. ويقول الخبراء ان عمر القمر الذي يطلقه "آريان" يفوق عمر غيره بستة اشهر او بعام كامل.

الا ان ثمن "آريان" يقلل من اهميته، اذ يبلغ ٣٤ مليون دولار بينما ثمن "كولومبيا" ٢٤ مليوناً. ولذلك اقترح الاوروبيون على شركة "انتلسات" ثمنا مبدئيا للصاروخ الواحد يبلغ ٢٥،٣ مليون دولار.

وفي مايو (ايار) ١٩٧٨ حدث انفجار في اثناء تجربة اطلاق المرحلة الثالثة من "آريان" مما اجل التجربة الاولى مدة ستة اشهر. وفي الوقت نفسه كان "المكوك" الامريكي يعاني صعوبات كبيرة ابرزها الصاق ٣١ الف قطعة من السيليكون لحماية "كولومبيا" من الاحتراق لدى دخولها ثانية الغلاف الهوائي. وهذه العملية دقيقة ومعقدة. "ان شئتم ان تطلق اقماركم في الوقت المحدد ــ قال فردريك داليست ممثل المركز القومي لابحاث الفضاء ــ اشتروا الاريان." لقد كانت لهذا القول اهميته. فكل شهر من التأخير يكلف الشاري مليون دولار. وفي الخامس عشر من فبراير (شباط) ١٩٧٩ طلبت شركة "انتلسات" اطلاقا واحدا من وكالة

آريان يطلق القمر العربي الأول

بعد عامين يتحقق حلم عربي عمره ٣٠ عاماً. ففي شهر فبراير (شباط) ١٩٨٤ سيطلق الصاروخ الاوروبي "آريان" واحداً من قمرين اصطناعيين عربيين يكونان فاتحة عهد جديد للاتصالات اللاسلكية بين العالم العربي والعالم الخارجي، فضلا عن الاتصالات بين بلدان المجموعة العربية نفسها.

وكانت هذه الفكرة ولدت في العام ١٩٥٣ بقرار من الجامعة العربية وعززها قيام الاتحاد العربي للمواصلات السلكية واللاسلكية في ١٩٥٨.

وبذلت جهود حثيثة بين العام ١٩٦٧ و١٩٧٠ في نطاق مؤتمر وزراء الاعلام العربي الذي انعقد في تونس (١٩٦٧) والاتحاد العربي للمواصلات السلكية واللاسلكية وادارة المواصلات في الجامعة العربية اضافة الى سيونيسكو. وتركزت هذه الجهود على ضرورة استخدام الاقمار الاصطناعية لنشر المعلومات الصحية والاجتماعية والثقافية وتنمية الاتصالات الهاتفية والبرقية والتلكسية وتوفير وسيلة للربط التلفزيوني بين مختلف اقطار العالم العربي.

وفي العام ١٩٧٦ وافقت الجامعة العربية على مشروع لاطلاق قمر أصطناعي عربي، وأنشئت لهذه الغاية المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية التي تعرف بـ"عربسات" والتي اتخذت من مدينة الرياض السعودية مقراً لها.

وفي ربيع ١٩٨١ وقع المدير العام لـ"عربسات" السيد علي المشاط عقداً مع شركة "آيروسبسيال" الفرنسية، تتولى بموجبه هذه صنع ثلاثة اقمار اصطناعية، اثنان يطلقان وواحد يبقى احتياطاً، وبلغت قيمة هذا العقد ١٣٥ مليون دولار.

وتتوقع "آيروسباسيال" تسليم القمر الاول اواخر العام ١٩٨٣ على أن يطلق من قاعدة غويانا الفرنسية في أمريكا الجنوبية في فبراير (شباط) ١٩٨٤ بواسطة الصاروخ الاوروبي "آريان".

ماذا سيفيد العالم العربي من قمره الاصطناعي؟

أن القمر العربي سيفسح في المجال لاتصالات غير محدودة بين الدول العربية، اذ يضم كل قمر ٢٦ قناة مما يوفر، حسب الخبراء، ٨ الآف دائرة هاتفية و٧ قنوات تلفزيونية منفردة وواحدة مشتركة، ويؤمن الهاتف والالتقاط التلفزيوني لكل مناطق العالم العربي، خصوصاً النائية منها.

ويقول المهندس اللبناني موريس غزال رئيس هيئة التخطيط العالمية التابعة للاتحاد الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية: "أن الدوائر الهاتفية من شأنها تسهيل الاتصالات بين الدول العربية وبين هذه والعالم الخارجي بكلفة تقل بنسبة ٣٠ في المئة عن الكلفة الحالية، كما أنها تجعل استعمال التلكس اكثر شيوعاً مما يوسع مجال الاتصال خصوصاً في حقل الاعمال (...) أما القنوات التلفزيونية فانها تمكن الدول العربية من بث البرامج والتقاطها ومتابعة اهم الاحداث العالمية السياسية منها والرياضية".

ويضيف أن في الامكان رفع عدد الدوائر الهاتفية في القمر العربي الى مئة الف بين العامين ١٩٨٥ – ١٩٨٦.

الفضاء الاوروبية، وحجزت اثنين آخرين للعام ١٩٨٣.

بداية النجاح – في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٩ انجزت الترتيبات لاطلاق "آريان" البكر. وتقرر ان يطلق "آريان" جهازاً فنياً الى الفضاء لتسجيل المعلومات المتعلقة بطريقة ادائه. وراقب الملايين "آريان" عبر التلفزيون وهو يرتفع بجلال في الفضاء. لقد كان ذلك انجازاً ناجحاً تماماً.

لم يكن اطلاق الصاروخ الثاني الا مجرد عمل شكلي بعد نجاح الاول. وقد اطلق الثاني في مايو (ايار) ١٩٨٠، ولكن بعد ستين ثانية من اطلاقه انفجر احد محركات المرحلة الاولى فترنح الصاروخ وابتعد عن مساره وسقط في البحر.

"لقد اطلقت فرنسا غواصة". هكذا قالت الصحف الباريسية في احدى افتتاحياتها. واعتقد كثيرون ان مستقبل "آريان" التجاري غاص معه

في الماء. ولو الغت شركة "انتلسات" طلبها آنذاك لامكن تفهم موقفها، على ان هذه الشركة تصرفت نقيض ذلك اذ أبدلت الخيارين السابقين بطلب مثبت على ان تكون كلفة الاطلاق الاول ٢٧،٥ مليون دولار والثاني، في حال نجاحه، ٢٨،٢ مليوناً. وقال داليست: "يعرف الامريكيون ان الاخفاقات شأن طبيعي. ان افضل صواريخهم المسماة "تور - دالتا" مثلا فشل في تجاربه السبع الاولى."

وبعد شهرين من البحث والتدقيق تبين ان عدد ارتجاجات الحاقن للوقود كانت مساوية للارتجاجات المرتفعة لكثير من اجزاء المحرك، مما يترك اثراً شبيها بالأثر الذي يتركه سير جنود فوق جسر اذا كان ايقاع خطواتهم يتجاوب مع ارتجاجات الجسر الطبيعية، مما قد يتسبب في تهاوي الجسر. وقد نجح العلماء، بعد خمسين تجربة، في التخلص من هذه الارتجاجات المؤذية. وفي ١٩ يونيو (حزيران) ١٩٨١ نجح "آريان" في الانطلاق من دون مفاجآت. وكانت آخر تجربة ناجحة لاطلاقه تمت في ٢٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨١. واصبح "آريان" جاهزاً للتسويق التجاري، كما كان مقرراً، في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٢.

وفي هذا الوقت اصبح لدى مصممي الصاروخ الاوروبيين ٢٥ طلباً اكيدة وسبعة عشر خياراً لغاية عام ١٩٨٥ بمردود مالي يقدر بـ٤،٤ مليارات فرنك. والى زبائنها الاوروبيين وشركة "انتلسات" ربحت الوكالة الاوروبية زبائن من الشرق الاوسط وكولومبيا واوستراليا، فضلا عن الشركة الامريكية العملاقة "آر.سي.آي." وتستمر الاتصالات مع شركات امريكية اخرى ومع الحلف الاطلسي لمرحلة ما بعد العام ١٩٨٥.

ويعتقد سيار ان الصاروخ سيستأثر بما بين ٢٥ و٣٠ في المئة من اسواق الاقمار الاصطناعية خلال العقد المقبل حيث سيتم اطلاق ما يقرب من ستين قمراً اصطناعياً لاغراض مختلفة.

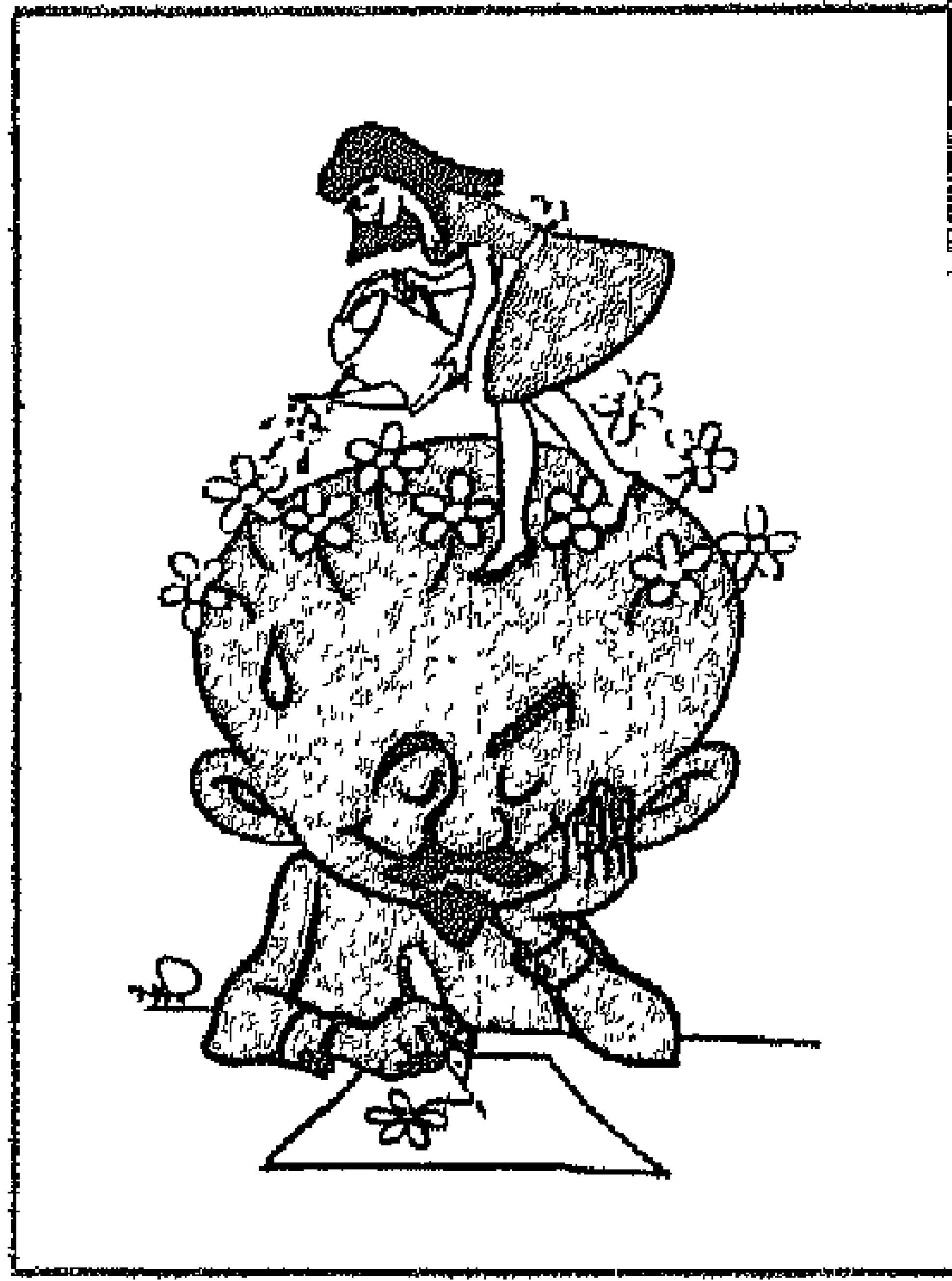
ان قدرة "آريان" على منافسة المكوك الامريكي تعتمد على ثمنه. وقد اقترح الكونغرس الامريكي جعل ثمن المكوك بعد العام ١٩٨٥ متناسباً مع نفقاته مما يرفع ثمن "كولومبيا" بمقدار ٥٠ في المئة. في الوقت نفسه يتنبأ المركز القومي لابحاث الفضاء بخفض كبير في تكاليف "آريان" مما يؤهله لدخول ميدان المنافسة.

وفي التسعينات سيصبح في وسع "آريان - ٥" اطلاق ما زنته ١٠ آلاف كيلوغرام الى مدار منخفض و٥،٥٠٠ كيلوغرام الى مدار مرتفع. وسيكون الصاروخ مستعداً ايضاً لاطلاق مكوك صغير يمكن استعماله مرات عدة. كذلك اطلاق مركبة فضاء تدعى "هرمس" تحمل ثلاثة ملاحين و١٥٠٠ كيلوغرام من المعدات والاجهزة.

"ان الشركاء الاوروبيين فخورون ببرنامج آريان - يقول مدير وكالة الفضاء الاوروبية - لقد تأكدوا ان لآريان الفضل في تحسين الوضع المتأخر للقارة الاوروبية بالنسبة الى الابحاث الفضائية وان اوروبا لتعتز الان بانها اصبحت القوة العالمية الثالثة في الفضاء."

■ كاترين غاليتزين

RD.AB. 9/82



حديقة أفكار

- القراء نوعان: واحد يقرأ ليحفظ وآخر يقرأ لينسى.

و.ل.ف.

- في العالم الصغير الذي ينمو الاطفال ضمنه: لا شيء يعذب أذهانهم الفتية أكثر من فكرة الظلم.

تشارلز ديكنز

- من يغرس الاشجار لا يقتصر حبه على ذاته بل يتعداها الى الآخرين.

مثل أنكليزي

- في الحرب السلامة غنيمة.

ح. ن.

- تنمو أضراس العقل عند الانسان متى بدأ يعض لقمة أكبر مما يمكنه مضغه.

هـ.ك.

- المقدرة على الضحك سوياً هي جوهر الحب.

فرنسواز ساغان

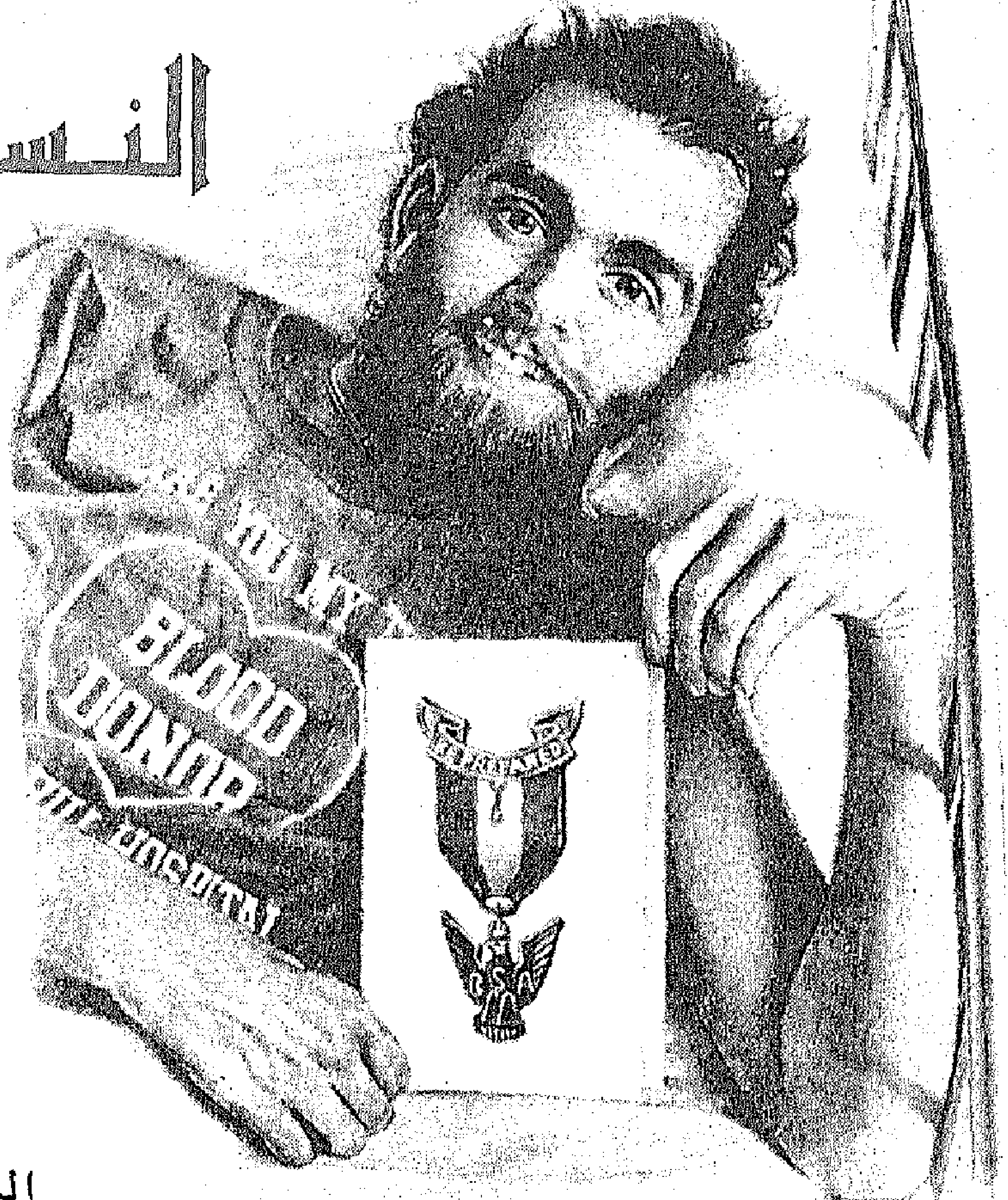
- ما يحتاج اليه البستاني هو ظهر من الفولاذ مع مفصلة في وسطه.

ش.د.و.

- الوارثة ليست سوى بيئة مخزونة.

ل.ب.

النسر



صراعه ضد الموت
كان مريراً،
لكنه توج هامة
الحياة باكليل نصر

اذا كان المرء يعمل في مستشفى، فهو يحاول تحصين نفسه ضد العذاب. لكنه لا يلبث أن يصادف من يخترق حصونه ويدخل حياته، جاعلا لها معنى. وبالنسبة إلي، كان اسم ذلك الدخيل جون هانكي.

كان جون نزيل قسم الاحداث في مستشفى لينوكس هيل في مدينة نيويورك، وقد أصابه نوع غريب من سرطان العظم اوجب بتر رجله اليسرى في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٠. وسمعتُ به خلال الجراحة التي اقتضت اعطاءه كميات كبيرة من الدم.

وجاءت احدى المتطوعات، اليانور غرينفيلد، الى قسم التبرع بالدم حيث أعمل سكرتيرة، وقالت: "ثمة ما

يدهشني في هذا الفتى· ففي عينيه الزرقاوين عمق وهدوء يبدو معهما أكبر كثيراً من سنه الحقيقية، وهي سبعة عشر عاماً·"

ولما دعتني اليانور الى مشاهدة جون معها، ترددتُ· ذلك أني، طوال أربع سنوات أمضيتها في مركز سلون ـ كيتيرينغ للسرطان في مدينة نيويورك، تألمت كثيراً لرؤية أحداث يصارعون السرطان، فيقهره بعضهم ويقهر هو آخرين· ولم أشأ تعريض نفسي لهذه الهزات من جديد·

إلا أن الفضول دفعني الى زيارته في أواسط شهر يناير (كانون الثاني)· وما أن عرفته باسمي حتى بادرني بضحكة خبيثة: "آه! لقد أخبرتني اليانور عنك· لا شك في أن وصولك الى هنا استغرق طويلا·"

وباشرنا الحديث· وركز جون على رغبته القوية في الحصول على لقب "نسر" من فرقة الكشافة التي ينتمي اليها، وهو أرفع لقب تمنحه الكشافة لفتى في هذه السن· ولما هممت بالانصراف، وقف على عكازيه وقال: "النسر هانكي سيرافقك الى المصعد الآن·"

وضحكت وأنا أقول: "ربما زرتك غداً·"

ـ سأكون هنا!

لكني كنت منهمكة في الاسابيع التالية· فالقسم كان يحتاج الى كمية دم كبيرة· ورحنا، يوماً بعد يوم، نبث نداء بمكبرات الصوت في أرجاء المستشفى يدعو الناس الى التبرع·

حملة من السرير ـ ذات عصر سأل جون عني· وهو كان يعاني نكسة صحية بعد ظهور أورام في رئتيه وأسفل ظهره· ودخلت عليه، فبادرني بالآتي: "لقد استأنفوا معالجتي بالاشعة· وأحياناً يبدو لي أني لن أستطيع تحقيق الشروط التي تخولني نيل اللقب·"

وأوضح لي أن الشرط الرئيسي الاخير هو تنفيذ عمل اجتماعي بناء: "لقد طرأ لي أن أخدم المستشفى عبر حملة للتبرع بالدم· وبهذا أرد شيئاً مما أعطيتموني· وهدفي هو الحصول على مئةعينة من التبرعات الجديدة·"

ودُهشت لما سمعته، وأجبت: "تعني مئة متطوع جديدين يا جون؟ لقد عملتُ هنا طويلا، وأظن أن هدفك مستحيل·"

لكنه أردف بمكر: "مما تبثه مكبرات الصوت أفهم أنكم تحتاجون الى كل قطرة دم ممكنة·"

في الايام القليلة اللاحقة عانى جون ضيقاً في النفس وألماً مبرحاً في الظهر· إلا أن مرشد المستشفى جوزف بورجوا حثه على قيادة الحملة من سريره· وبعد حصوله على اذن الادارة لمباشرة حملته، دعاني جون وقال: "أود أن أُملي عليك رسالة، هذه هي:

اسمي جون هانكي وعمري ١٧ سنة· وقبل سنة أصابني سرطان في العظم· لقد أمضيت ردحاً من فتوتي في فريق كشفي، وأود الآن أن أكسب لقب "نسر" وهذا يحتم علي تحقيق عمل ذي نفع اجتماعي· لقد حقنت بكميات من الدم خلال وجودي في مستشفى لينوكس هيل، مما يعني أن لدي أصدقاء كثيرين هنا· واني اناشد أكبر عدد ممكن من المتطوعين الحضور الى المستشفى والتبرع بالدم· إن كل كمية تعطى تساعدني في الحصول على اللقب· واني أقدر كل ما يمكنكم فعله·

مع الشكر الجزيل،
جون هانكي·"

ولما فرغ من املاء رسالته نظر إلي وقال: "اني أحتاج الى مساعدتك تسجيل عدد المتطوعين اليومي." واتفقنا على أن اوافيه يومياً كي أعطيه تقريراً حول سير الحملة.

وما كادت الرسالة ان تعمم حتى ساءت حال جون كثيراً. وقال لي المرشد بورجوا: "صحة جون في تدهور مطرد، وقد لا يعيش أكثر من شهر. لذلك علينا مباشرة الحملة سريعاً."

وفي العصر التالي دخل مكتبي فتيان من مدرسة خاصة في المدينة. وكان اولهما باتريك وول الذي تبرع بالدم سابقاً. أما الثاني، فيل روبنز، فكنت أراه للمرة الاولى. وقالت مديرتي مارغريت هوبر بعد تقديمهما: "ربما أمكنهما المساعدة في الحملة." ووصفت لهما وضع جون، وأخذا نسخة من رسالته ووعدا بقراءتها على زملائهما.

يوم مشهود – عند بلوغي المكتب في اليوم التالي سألني فتى ينتظر خارجاً: "أفي هذا المكان يُعصر الدم من أجسامنا؟"

وأجبته وأنا أضحك: "أجل، هذا هو المكان، وإن يكن وصفك له غير دقيق."

كان اسم الفتى بن موس وهو أحد تلاميذ المدرسة نفسها. وأخبرني أن رئيس المدرسة جون هانلي تلا رسالة جون في قاعة الاجتماعات، وان آخرين سيأتون من المدرسة للتبرع بالدم.

وفي آخر ذلك النهار بلغ عدد المتبرعين ستة. وذهبتُ الى غرفة جون بعد طباعة التقرير لليوم الأول.

وبعد قراءته بدقة مهره توقيعه وقال: "لا نزال نحتاج الى ٩٣ متطوعاً من الخارج." ولما قرأ الهم على وجهي، أضاف: "قوي ايمانك يا ماري."

وفي العصر التالي بدأت الوفود تتدفق من تلك المدرسة. وقال أحدهم: "نحن هنا من أجل قضية جون هانكي."

كانت أعمار المتطوعين عصر ذلك اليوم تراوح بين السابعة عشرة والثامنة عشرة، وقد بلغ عددهم الثلاثين. وبعد تبرعهم بالدم توجه العديد منهم الى غرفة جون. وحين غادروا اتضح لي أن كل شخص يتجاوز السابعة عشرة في المدرسة، بمن فيهم رئيس المدرسة، سينضم الى قائمة المتطوعين.

وأخذت الامور تتحرك صُعداً. واستجاب عدد من موظفي المستشفى وزواره للاعلانات التي رُفعت في مختلف الاجنحة. وجاء وسيط في البورصة متبرعاً، ثم حمل رسالة جون ليوزعها على زملائه في سوق الاسهم المالية. وقد جرت تلك البادرة حشداً من موظفي البورصة.

وكان الاثنين الواقع فيه الثالث والعشرون من مارس (آذار) يوماً مشهوداً. فقد جاءنا بُعيد الظهر المتطوع المئة. وناديت جون قائلة: "لقد حققت أمنيتك. نشط نفسك الآن واستعد لاستقبال نصف تلاميذ المدرسة الذين تطوعوا لقضيتك."

وضحك ضحكة خافتة وهو يجيب: "سأكون هنا."

"سأكون هنا" – في التاسع والعشرين من مارس (آذار) وافقت الفرقة الكشفية على منح جون لقب

"نسر، " وكانت وفود المتطوعين تتدفق على المستشفى كالعادة. وكان جون شُلّ من خصره الى أسفل وفقد البصر في احدى عينيه، فطلبنا أن يقام الاحتفال سريعاً.

وفي السابعة والنصف من مساء اليوم التالي تجمع أكثر من ٢٥٠ شخصاً في قاعة المستشفى الكبرى. وطلب إلي جون أن أقف بجانب كرسيه على المنبر. ونظرت الى الجمهور، فوجدت بينهم الكشافة والتلاميذ والأهل وموظفي البورصة والمرضى والممرضات والاطباء. وأذهلني عدد الناس الذين استجابوا لدعوة فتى.

ولما أعلن قائد الفريق اسمجون وقف الجميع تكريماً له. وتلا جون القسم الكشفي بنبرات ثابتة جلية. ثم جاءت اللحظة التي انتظرها طويلا، اذ انحنت السيدة هانكي فوق ابنها وعلقت على صدره شارة النسر.

وعندما انتهى الاحتفال، صعد أحد التلاميذ، دوغ غروب، الى المنبر وأعلن: "يسعدني أن اخبركم جميعاً أنه، في السابعة من هذا المساء، جاء الى مركز الدم المتطوع المئتان."

وانطلق الهتاف في القاعة. ونظرت الى جون لأرى الدموع سالت على خديه. وطفح وجهه فرحاً وقد أدرك، للمرة الاولى، أنه حقق أمراً خطيراً.

بعد اسبوعين، في بلدة ماونت فيرنون مسقط رأس جون في ولاية نيويورك، تجمع عدد كبير من اولئك الذين حضروا احتفال جون الكشفي الأخير في قاعة المستشفى. لكن الهتاف والتصفيق غابا هذه المرة ليحل محلهما اجلال صامت للفتى الذي اجترح شبه معجزة.

وفي الايام الصعبة التي تلت، لم ينسنا التلاميذ أو ينسوا جون. وكان كلما أتى أحدهم اصطحب معه صديقاً، كما لو كان جون لا يزال حياً.

في تلك الايام أيضاً، وكل منا يحاول أن يصالح نفسه مع حقيقة وفاة جون، كتبت قصيدة حملتها مشاعري وختمتها بكلمات جون نفسه:

إن راحة تسكن أعماقنا
بعدما علمنا أنك ستبقى قريباً.
أجل، إنما الوعد الذي منحتنا إياه يوماً،
يوم قلت: "سأكون هنا."

■ ماري برادي

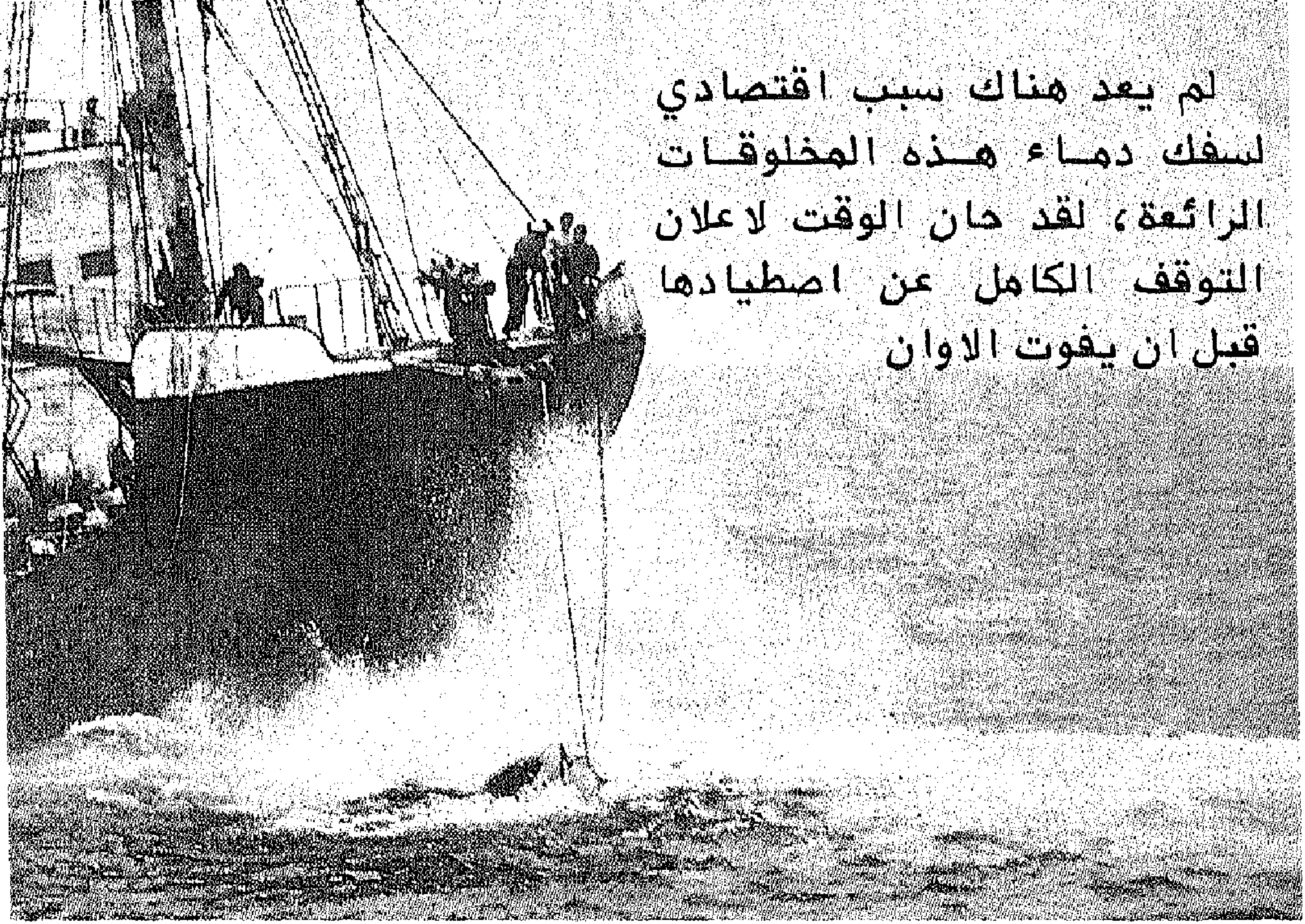


لم تسلم الجرة

كان على طالبات التمريض أن يأخذن حرارة المرضى في الثامنة والربع صباحاً ثم يفحص الضغط في التاسعة. لكنهن كن يقمن بالأمرين معاً تخفيفاً للعمل. وذات يوم انبتهن رئيسة الممرضات بعنف وهي تحمل ورقة كتب عليها الآتي:

الساعة ٨،١٥: الحرارة ٣٦ درجة مئوية.
الساعة ٩: ضغط الدم ١٩.
الساعة ٨،٥٠: توفي المريض.

س.ل.



مركب صيد سوفييتي ينتشل حوتا صغيرا صيد برمح.

نداء الحيتان :
دعونا نعيش

في احد ايام الصيف من العام ١٩٧٥ صادف ملاحو احد قوارب صيد السمك الكندى تسعة قوارب سوفييتية تصطاد الحيتان بواسطة الرماح على بعد ٢٤٠ كيلومترا من شواطىء كاليفورنيا. كانت الحيتان المصابة بالرماح نافقة في الماء وفي كل منها جهاز ارسال للراديو وعاكس للرادار يساعدان المراكب في تحديد اماكن الحيتان المصيدة. وكان بين هذه حوت صغير ذو حجم يقل كثيرا عن الحجم المسموح باصطياده قانونا.

اندفع البحارة نحو اطراف مطاطية انزلوها من سطح قاربهم وتمركزوا بين الحيتان الهاربة والبنادق المرسلة

الحراب. كانت عملية خطرة فقد اطلق احد القناصة السوفييت قذيفة عشوائية كادت ان تصيب رجال الطوف ولكنها انقذت حياة ثمانية حيتان على الاقل.

ان هذا العمل الذي قام به البحارة بالاضافة الى اعمال اخرى في مناسبات مختلفة زادت من الاهتمام العالمي لمأساة الحيتان.

وكان هذا الاهتمام محور البحث في اجتماع الهيئة الدولية لصيد الحيتان الذي انعقد اخيرا في برايتون (انكلترا)، حيث بحث في مصير الحيتان فيالعالم.

وادرك معظم المندوبين ان اعدادا هائلة من هذه الحيوانات اللبونة الوديعة الضخمة، قد صيدت وذبحت من زمان. ومنذ بداية هذا القرن تحول ثلاثة ملايين حوت شرائح لحم وطعاما ومشدات للنساء وزيوتا، ومئة سلعة اخرى ذات منفعة خاصة ولكنها اصبحت قديمة يمكن استبدالها باحسن منها في كثير من الحالات.

وكما حدث في الاجتماعات السابقة لهذه الهيئة ابدت الولايات المتحدة استعدادها للانضمام الى الاقطار الاخرى المعارضة لصيد الحيتان، وطالبت بالحاح بوقف هذه المذبحة، وقال دون بونكر احد اعضاء الكونغرس الامريكي، دفاعا عن مشروعه القاضي بمنع صيد الحيتان: "ليس هناك سبب للاستمرار في الصيد التجاري للحيتان. وعلى اي حال، فالوقت ليس في مصلحة الحيتان."

لقد كانت الولايات المتحدة اول من دعا تلك الهيئة الى المطالبة بوقف الصيد التجاري للحيتان. كان ذلك عام ١٩٧٢. وفي (١٩٨١)، عندما تعاظم الاتجاه المعارض لقتل الحيتان، جاءت نتيجة التصويت في برايتون كالآتي: ايد ١٦ مندوبا تحريم صيد الحيتان وعارضه ثمانية وامتنع ثلاثة عن التصويت. وقد سقط المشروع لعدم حصوله على موافقة ثلاثة ارباع الاعضاء. وهكذا اعطيت الدول التي تزاول صيد الحيتان الضوء الاخضر لمواصلة عملية القتل عاما آخر.

الرمح المتفجر - بدأ صيد الحيتان بالطرق الحديثة عام ١٨٦٨ حين اخترع النروجي سفند فوين رمحا مزودا برأس متفجر يطلق بواسطة مدفع. وتلا ذلك المراكب البخارية والمراكب - المصانع التي يصل حجم الواحد منها الى حجم حاملة الطائرات، وتستطيع هذه المراكب نقل الحيتان المصيدة. الى سطحها حيث يجري تصنيعها. وفي الثلاثينات ارتفع عدد الحيتان المصيدة. ففي العام ١٩٣١ وحده قضي على ما يقرب من ٣٠ الف حوت ازرق في نصف الكرة الجنوبي، ولكن هذا الرقم بلغ حده الاقصى في العام ١٩٦٢ حين وصل عدد الحيتان المقتولة الى ٦٦ الفا.

منذ هذا التاريخ بدأ الخطر يتهدد ما تبقى من حيتان، فاتخذت خطوات

اولية للحد من عمليات الصيد، وفي العام ١٩٤٦ اجتمع ممثلو خمسة عشر بلدا في واشنطن واسسوا الهيئة الدولية لصيد الحيتان، وامنوا الحماية للانواع الاكثر تعرضا للابادة. كما اقروا الحصص السنوية من الحيتان المسموح بصيدها في نصف الكرة الجنوبي. وحددوا فصول الصيد القانونية واتفقوا على حظر قتل امات الحيتان مع صغارها كما حظروا صيد الحيتان الصغيرة التي يقل طولها عن مقدار معين. واستطاع اعضاء الهيئة توفير الحماية لستة انواع من الحيتان الكبيرة وتحديد أصول استعمال السفينة - المصنع.

ولكن، كأي هيئة لا تملك القوة اللازمة لتنفيذ قراراتها، فان هيئة تنظيم صيد الحيتان لم تستطع منع اي دولة من تجاوز عدد الحيتان المسموح لها بصيده او الحد من الصيد في الاماكن المحرمة. لقد كانت الهيئة مغلولة الايدي في الوقت الذي كان قراصنة الحيتان يصيدون الانواع المحمية والامات الحوامل وصغار الحيتان ويبيعون لحومها لمستوردي الحيتان في اليابان. وفي الوقت الذي يتناقص عدد الحيتان في المحيطات، تغاضت تلك الهيئة، في كثير من الاحيان، عن توصيات علمائها ووافقت على نسب مرتفعة من الحصص خدمة لمصالح الصيادين.

صناعة محتضرة - ان هذه الهيئة تشرف الان على صناعة محتضرة، فالمراكب باتت تقطع مسافات بعيدة وتفتش مدة اطول عن الطرائد مما يزيد في التكاليف. والى ذلك لم تبقَ هناك حاجة الى كثير من المنافع المشتقة من الحيتان مثل العظام واللحوم الغضاريف والزيوت والامعاء باستثناء الطلب المتواضع للحم الحيتان في اليابان خصوصا حيث يقدم هذا اللحم في المطاعم المتخصصة بالاغذية البحرية اذ انه يعتبر عنصرا اساسيا في برامج التغذية الحكومية، ان شركات صيد الحيتان اليابانية لا تكتفي بما يصاد من الحيتان محليا بل هي تشتري كذلك صيدا من الاتحاد السوفييتي ونروج واسبانيا وكوريا وعدد من الدول الاخرى.

ويصر ممثلو اليابان في الهيئة على حقهم في الحصول على ذلك الغذاء الذي يعتبرونه مصدرا متجددا. ويقدمون البيانات العلمية التي تبرهن - حسب ادعائهم - على ان انواع الحيتان التي يستغلونها لا خطر في انقراضها، ويصرون على ان لحوم الحيتان هي مصدر ضروري للبروتيين في وجبات طعامهم (في الحقيقة ان هذا البروتيين لا يتجاوز الواحد في المئة من استهلاك اليابان لهذه المادة).

لماذا تستمر الحكومة اليابانية في نضالها للحصول على مصادر متضائلة من الغذاء؟ الجواب عن ذلك يختصر بكلمة واحدة : "السياسة". فللمقاطعات

الساحلية اهمية كبيرة في التصويت النيابي على نوعية الوجبات الغذائية. ويضغط ممثلوها بشدة لتضمين تلك الوجبات مشتقات الحيتان، كما تمارس النقابات العمالية ضغوطا هائلة في هذا الاتجاه. على ان اعلى الاصوات هو صوت شركات الصيد التي تدفع علاوات مرتفعة للبحارة المسرحين. وبلغ ادنى معدل تعويض للبحار المسرح ٣٠ الف دولار.

على ان الاهتمام بالحيتان يزداد باطراد. فـ"اغاني الحيتان المحدبة الظهر،" وهي تسجيلات لذكور هؤلاء الحيتان وهي تؤدي موسيقاها الرائعة في قعر البحار، بيع منها اكثر من ١٠٠ الف نسخة. ويزدحم المتحمسون للحيتان فوق المراكب على جانبي شواطىء الولايات المتحدة ويندفعون بعيدا عن الساحل آملين في رؤية هذه الحيتان. ويقول عالم الحيوان جيمس ميد في معهد سميثسونيان: "هناك شعور بان الحيتان حيوانات من نوع خاص، لقد اصبحت رمزا لتطور الوعي البيئي."

الاغبر الاكثر شعبية – ولعل الحوت الاغبر هو اكثر الحيتان شعبية وهذا الحوت يهاجر سنويا محاذيا الشاطىء الغربي لامريكا الشمالية الى مواطن التكاثر في المكسيك. انه يقطع قرابة ١٣ الف كيلومتر كل عام وهي اطول مسافة يقطعها اي حيوان لوبني في العالم، ويراقبها في اثناء هجرتها الالوف بين الالاسكا وسان دييغو. ومع انها كانت تقطع المحيطين الاطلسي والهادىء، جيئة وذهابا باعداد تقارب عشرات الالوف، فان عددها تضاءل كثيرا منذ الثلاثينات. وفي احد اجتماعات الهيئة الدولية لصيد الحيتان عام ١٩٤٦ اتخذ قرار بمنع صيد الحوت الاغبر، ومذ ذاك بدأ العدد الباقي من هذه الحيتان يرتفع وربما وصل الى ١٥ الفا هذه الايام.

وهناك خمسة انواع اخرى من الحيتان يرد اسمها في قائمة الحماية وهي: الزرقاء والمحدبة الظهر والمستقيمة الظهر والمحدبة الرأس وذوات الاسنان. اما الاربعة الانواع الاخرى فمسموح بصيدها ولكن ضمن تقنين تحدده الهيئة التي تنعقد مرة في السنة في برايتون وتقرر هذه الحصص المقننة في ضوء البيانات التي يقدمها صائدو الحيتان انفسهم والتي تعتمد بدورها على عدد الحيتان التي شوهدت والتي قتلت في العام الماضي.

ومع تعاظم الاهتمام بالحيتان زاد الالحاح في طلب المعلومات وصحتها. ويتساءل الناس: كيف يمكننا الوثوق بالارقام التي يقدمها الصيادون؟ وكيف يمكن لنا ان نراقب الغش في هذه الحال؟

يقيس العلماء عدد الحيتان المصيدة على اساس عدد القوارب التي استعملت في مدى عدد من

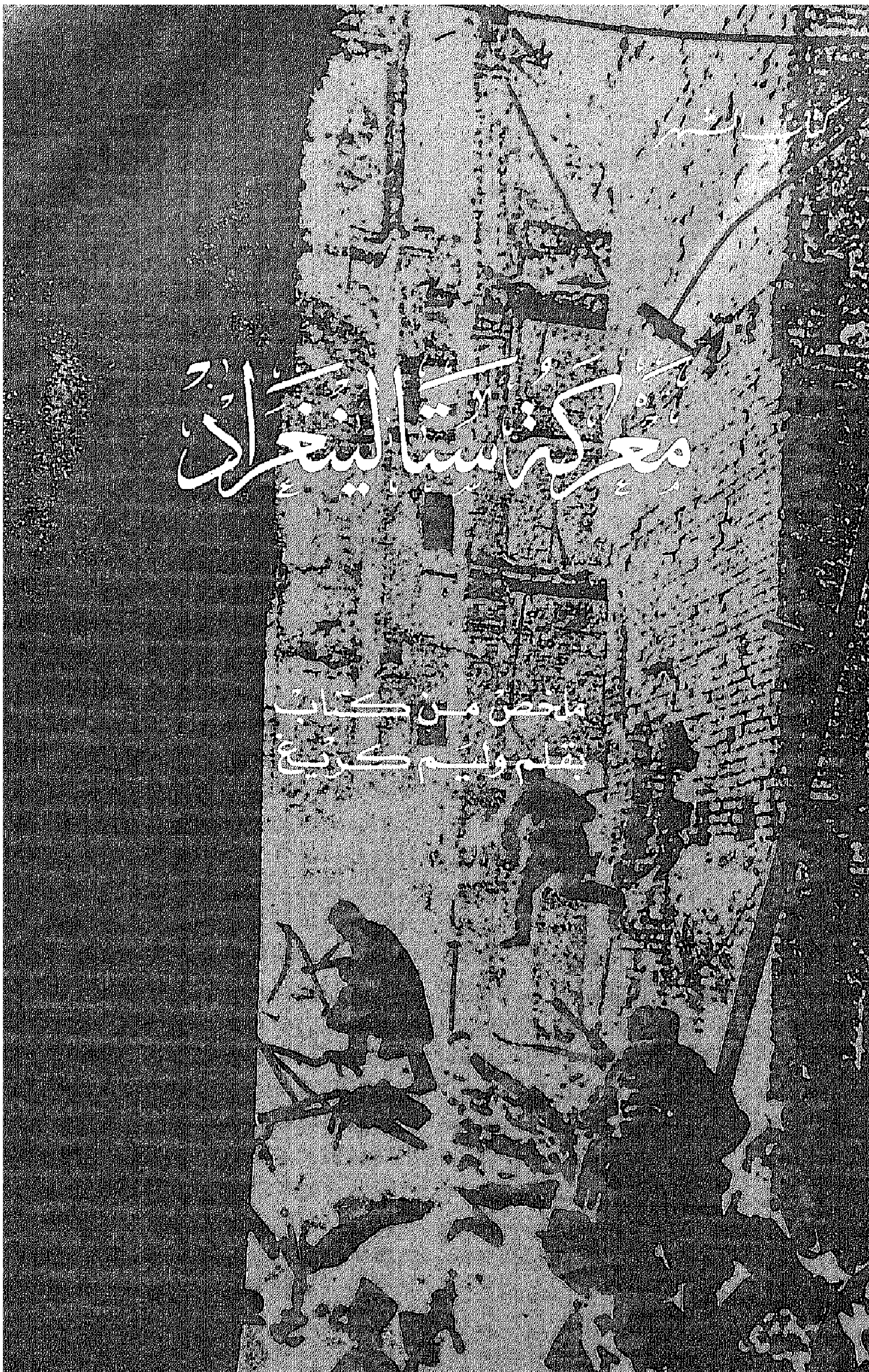
الايام. ومن هذا الرقم يمكن تقدير عدد الحيتان المتوافرة في تلك المساحة في ذلك الوقت. "انها ليست طريقة مثلى يمكن الاعتماد عليها - يقول سدني هولت احد العلماء المسؤولين في الهيئة - ولكن علينا ان نعمل كل ما في استطاعتنا عندما لا نملك اي طريقة اخرى موثوق بها."

لقد كان هولت مدافعا قويا عن الحيتان لمدة طويلة. "انها تملك الدماغ الاكبر والاكثر تعقيدا بين كل سكان الارض - يقول هولت - انها كائنات حساسة واليفة، وهي تتحلى بذاكرة قوية وبميل شديد الى الرعاية العائلية والمشاركة بين افرادها، اني اعتقد انها سبقت تاريخ البشر بمقدار عشرة اضعاف في تملك ثقافة ذهنية ولا شك اننا نقضي عليها."

ان سياسة الهيئة ومساومتها يمكن ام يمتدا الى ما لا نهاية بينما تدعم الاساطيل المخصصة لصيد الحيتان بالاموال، لتستمر في قتل هذه الكائنات الى ان يأتي يوم يجد العلماء فجأة انه لم يعد هناك حوت واحد لاجراء الدراسات عليه. والسؤال المطروح الان هو: الى متى ستستمر هذه المجزرة؟

يجب الا تستمر! وهذا يجب ان يكون الجواب. فليتوقف القتل.

■ اندرو جونز


كتاب الشهر
معركة ستالينغراد
ملخص من كتاب
بقلم وليم كريغ

معركة ستالينغراد

العام ١٩٤٢.

من مقره في جبال الالب البافارية كان ادولف هتلر يسرح النظر في قارة اوروبية باتت تخضع له. ومن المحيط الاطلسي حتى طرف آسيا، ومن شطآن النروج الى رمال ليبيا، باتت الجيوش النازية تحكم أكثر من ٣٠٠ مليون نسمة.

ولكن على بعد ٢٠٩٠ كيلومتراً، فوق سهوب روسيا المغبرة، ظهرت ثغرة أصبحت نقطة تحول حاسمة في مسيرة الحرب العالمية الثانية. وكانت معركة ستالينغراد أعظم معركة دموية سجلها التاريخ.

"خط القيصرة" هو قطعة أرض سبخة طويلة تمتد عبر مدينة ستالينغراد الروسية. هذه الارض التي كانت في الماضي حوض نهر عمقه نحو ٦١ متراً، تنحدر الى نهر الفولغا الذي تقوم ستالينغراد على ضفته الغربية المتعرجة كالأفعى.

الساحة الحمراء، وهي محور المدينة، ليست بعيدة. أما الممر نفسه فهو مكان مهجور يملأه القش والاشجار الخفيفة والمهملات. وكان الجيش، قبل سنوات، أقام حصناً تحت ذلك المكان. ويقول بعضهم انه بني بايعاز شخصي من جوزف ستالين زعيم الاتحاد السوفييتي آنذاك. وقد حُفر ذلك المخبأ عميقاً في ناحية الصدع الشمالية وجُعلت له أبواب حصينة. وكان داخله مترفاً حسب المقاييس العسكرية الروسية. فجدرانه مكسوة برقائق السنديان وفيه مرحاض عصري. وهو مركز ممتاز لقيادة عسكرية. إلا أنه هجر في ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٤٢.

وكانت ستالينغراد، منذ أواخر اغسطس (آب)، عرضة لقصف جوي ومدفعي ثقيل من الالمان أحال جزءاً كبيراً منها خرائب. وكانت فرقتان المانيتان طوقتا المدينة قبل اسبوع على نحو نصف دائري وباشرتا اجتياح الضواحي. وقصفت المدافع الالمانية خط القيصرة من غير شفقة، وتصاعدت ألسنة اللهب من مستودع للوقود وكادت النار ان تخترق جدران الحصن.

وكان نيكيتا خروتشيف، الذي حكم الاتحاد السوفييتي لاحقاً، مبعوث ستالين السياسي الى المجلس العسكري هناك. واقنعه القادة العسكريون بأنه خير لهم أن يغادروا ذلك المكان ويتخذوا لنفسهم مركزاً على الجانب الآخر من الفولغا، فخابر ستالين محاولا اقناعه. لكن الزعيم قال باهتياج: "هذا مستحيل! واذا وجد الجند أن قائدهم نقل مقره خارج ستالينغراد، فالمدينة ساقطة لا محالة." وكرر خروتشيف حججه حتى اقتنع ستالين وقال: "حسناً، ليكن ما تريدون إذا كنتم متأكدين من صمود المدينة."

غير أن الصمود لم يكن بالأمر اليقين. وقبل أن يغادر خروتشيف السرداب، استدعى الجنرال غوليكوف وطلب اليه أن يبقى هناك ليكون حلقة وصل مع الجيش الثاني والستين، وهو القوة الوحيدة التي بقيت لتصد الالمان عن ستالينغراد.

وغاب اللون من وجه غوليكوف، ورجا خروتشيف قائلا: "لا تتركني وحيداً! دعني أذهب معك. لقد قضي على ستالينغراد."



ياكوف غولدبرغ قائد مجموعة هجومية سوفييتية .

بعد ثلاثة أيام، أي في ١٢ سبتمبر (أيلول)، طار الجنرال فردريك باولوس قائد الجيش الالماني السادس الذي ضرب الحصار على ستالينغراد، الى بلدة فينيتسا الاوكرانية حيث اتخذ ادولف هتلر مقراً لقيادته في غرفة أقيمت من ألواح الخشب. وأمضى الجنرال ساعات مع الفوهرر يبحثان في أوضاع الجبهة. وقال لزعيمه إن المدينة يجب أن تسقط في أيام قلائل.

كان باولوس في الحادية والخمسين، طويلا وعلى شيء من الوسامة. وهو مثال القائد الالماني في أناقته تحت كل الظروف. وكان يرتدي قفازيه حتى في أرض المعركة لأنه لا يطيق الغبار. واقتصر اهتمامه المهني على الشؤون العسكرية. لذلك



مولينت «أس»

تجعل كل شيءٍ بسيطاً حتى السعر

إن مولينت «أس» الجديدة تفرم اللحمة بثوان للكفتة والمحاشي وتحضر الكبة. كما انها تفرم البصل والبقدونس والملوخية بسهولة وإتقان.

مبشرة مولينت «أس» تقطع البطاطا والجزر والخيار وأيضاً تبشر الأجبان والقلوبات للحلويات. أما الخلاط فيحضر الحمص بالطحينة والبابا غنوج وعموم أنواع الصلصات والمشروبات المنعشة.

مولينت «أس» حقاً ممتازة.

٦٤٣ مولينت
٦٤٥ مولينت / بلندر
٦٤٨ مجموعة مولينت ٣

سلمت يداك يا

مولينكس

Moulinex

ترك السياسة جانباً، وكان على قناعة بأن هتلر زعيم سياسي فذ وأن اجتياحه معظم اوروبا دليل على عبقريته العسكرية.

إلا أن زوجة باولوس التي دعاها أصدقاؤها "كوكا" لم تشاركه في آرائه. وهي كانت سليلة الملكية الرومانية وكارهة للنظام النازي. وفي خريف ١٩٤٠، عندما حمل زوجها الى المنزل خرائط متعلقة بغزو روسيا، احتجت كوكا على ذلك قائلة ان الحرب ضد الاتحاد السوفييتي غير مبررة اطلاقاً. وأضافت: "ما الذي سيحل بنا جميعاً، نحن الذين نبقى بعد هذه الحرب؟"

وفي محاولته تهدئتها، قال باولوس ان الحرب ضد روسيا ستنتهي في ستة أسابيع. لكن ذلك لم يسكن روعها. وتحققت مخاوفها في شتاء ١٩٤١ الرهيب، عندما لقي عدد كبير من الالمان مصرعهم بفعل الطقس والمقاومة الروسية العنيفة. غير أن الالمان عادوا الى الصعود عسكرياً حين بدأ الجيش السادس، بقيادة باولوس، حملته الجديدة ربيع ١٩٤٢، واحتل سريعاً بضعة آلاف من الكيلومترات المربعة في اوكرانيا. وفي أواخر يونيو (حزيران)، راح يشق طريقه وسط السهوب في اتجاه ستالينغراد.

وانضمت عناصر كثيرة من الجيش الروسي الى الهاربين من المدينة الذين روعتهم ضربات القوة النازية الماحقة. وكان هذا، بالنسبة الى باولوس، دليلا آخر على أن هتلر لا يقهر وأن الحق بجانبه.

في تلك الامسية تناول باولوس العشاء مع الجنرال فرانز هالدر، رئيس أركان الفوهرر، الذي وضع نظارتين وعلا شفتيه شاربان مشذبان. وكان الاثنان صديقين قديمين، وراحا يتكلمان عن حملة الصيف الناجحة.

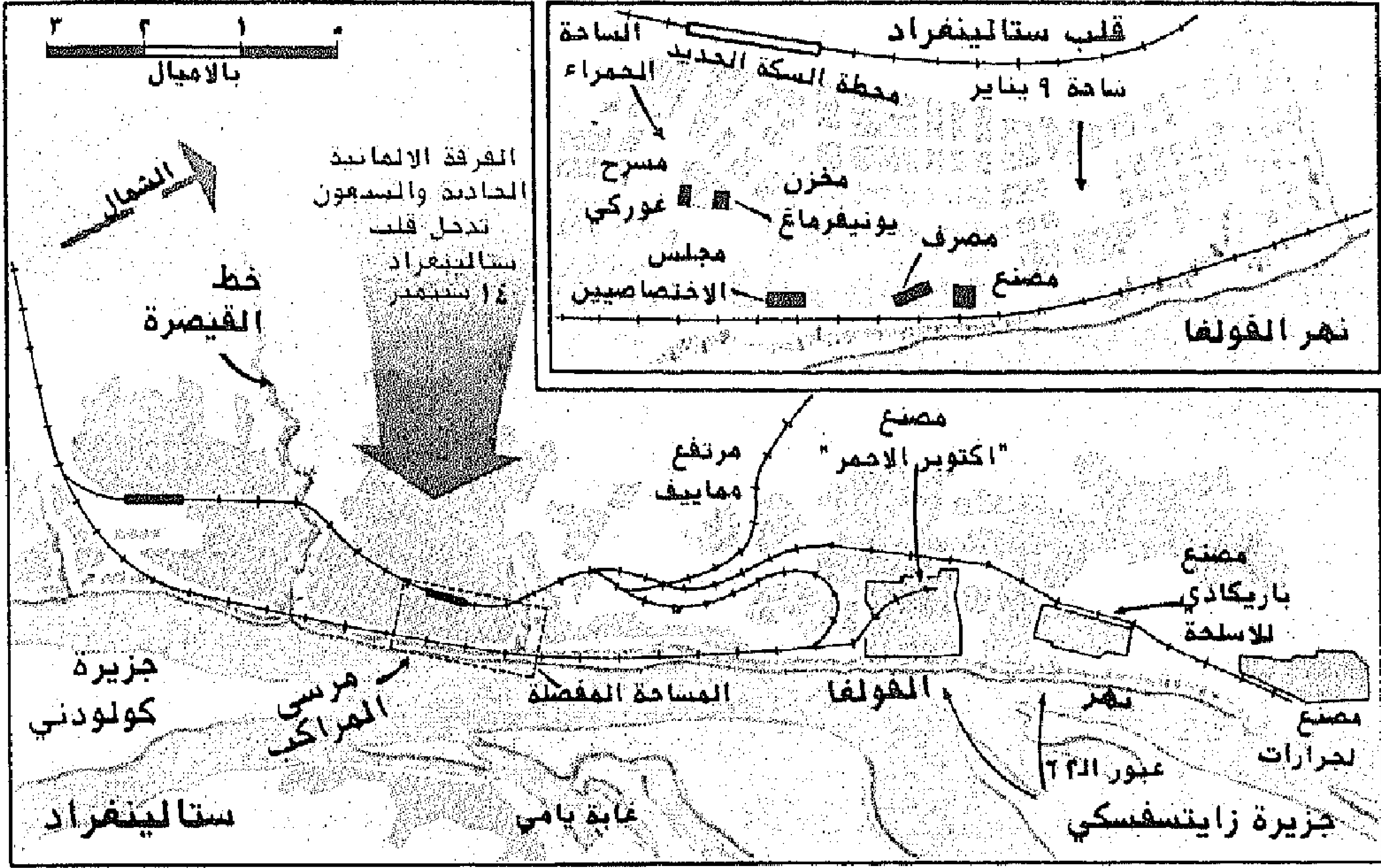
لكن هالدر، على نقيض باولوس، كان حذراً تجاه الرأي القائل بأن هتلر لا يقهر. وهو ما انفك، في الاسابيع الأخيرة، يلفت الفوهرر الى أن علامات الانهيار الروسي إن هي سوى وهم. ذلك أن موسكو ما زالت صامدة ولينينغراد تدافع ببسالة منقطعة النظير وجيش العدو لم يهزم بعد. يضاف الى هذا ان حملة الشتاء الماضي ارهقت المانيا، إذ دفن نحو ٨٠٠ ألف رجل، أي ما يعادل ٨٠ فرقة عسكرية، تحت التراب الروسي المغطى بالثلوج. والاغلبية الساحقة من الفرق الالمانية فقدت نصف قوتها.

وكان هالدر، قبل أشهر، دوّن في مفكرته الآتي: "النزعة الى الاستخفاف بامكانات العدو بلغت حداً غير معقول يغدو معه العمل الجدي مستحيلا."

لكن نصيحة هالدر أغاظت هتلر الذي بقي متغطرساً ومتمسكاً بإيمانه أن الرقاب الروسية أينعت وحان قطافها، وأن صفوة الالوية الالمانية لم تُقهر قط في المعارك.

إلا أنه في ستالينغراد، كما قال ونستون تشرشل لاحقاً، "دار مصراع القدر دورته." والحق أن مأساة بشرية ذات أبعاد ضخمة كانت تحاك خيوطها على ضفاف الفولغا.

لم تكن خطة هتلر الرئيسية تقضي



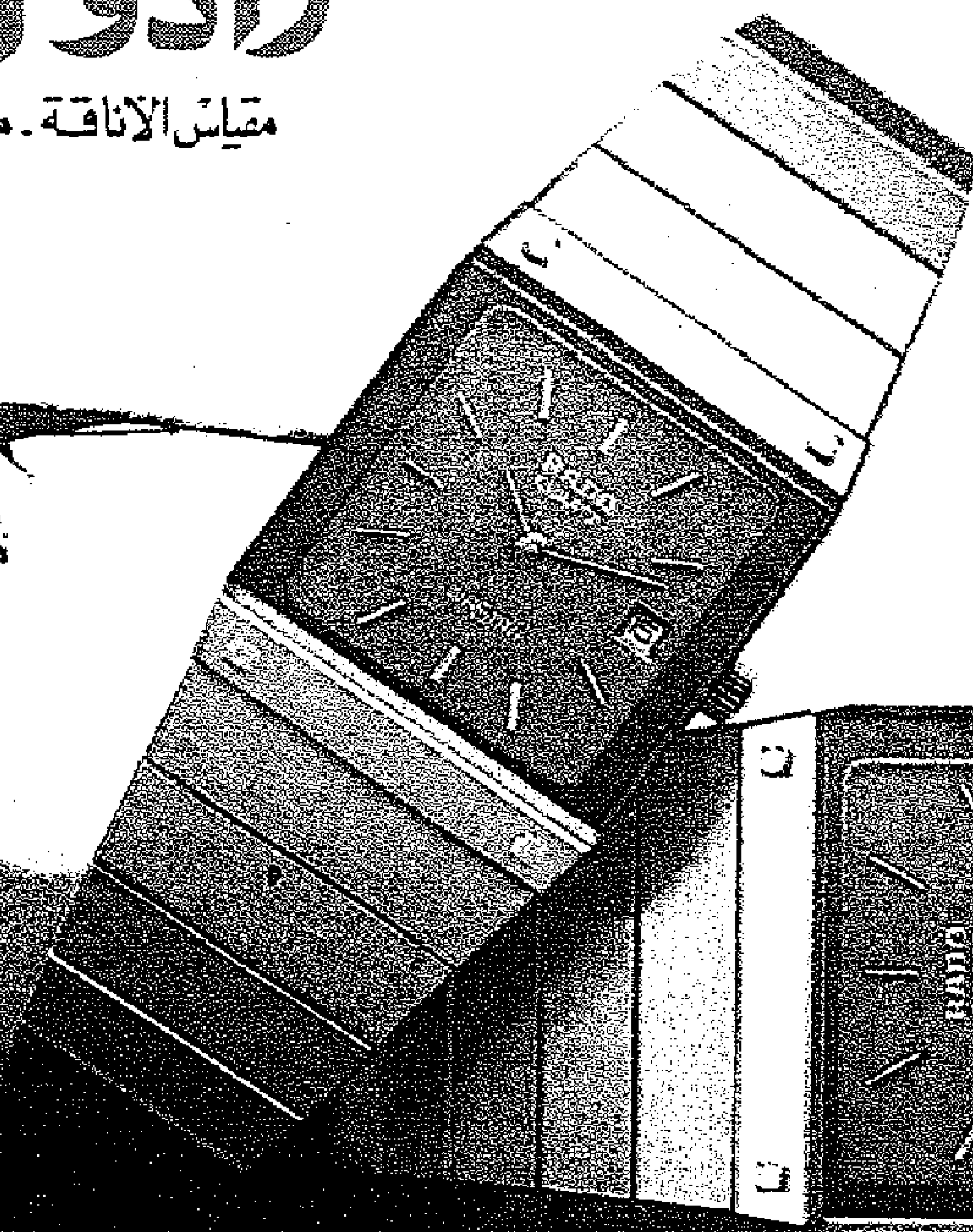
باجتياح ستالينغراد٠ وهو أمر قواته، التي تضم الجيش السادس بقيادة باولوس وثلاثة جيوش اخرى، بالزحف شرقاً عبر السهوب المغبرة الى حدود الفولغا، ثم الانعطاف جنوباً الى حقول النفط في القوقاز٠ إلا أنه عدل تلك الخطة في يوليو (تموز) بعدما استنتج مخبروه أن الروس فقدوا معظم الفرق القوية على ضفة الفولغا الغربية٠ وظناً منه أن الجيش الاحمر لن يستطيع الدفاع، أصدر هتلر أمره الى الجيش السادس باجتياح ستالينغراد٠

الأرض المخضبة

وبلغت ثقته بمعلوماته وآرائه حداً جعله يوجه الجيوش الاخرى، في زوايا قائمة، الى القوقاز، فيما الجيش السادس يشق طريقه منفرداً في عمق الاتحاد السوفييتي٠ وحين عرض هالدر عليه تقريراً للاستخبارات الالمانية يقدر أن هناك أكثر من مليون جندي احتياطي شرق الفولغا لم يتم استدعاؤهم، سخر الفوهرر منه وسير عدداً من جنده في روسيا الى فرنسا وآخرين الى لينينغراد شمالا٠

وعلى رغم تلك العوائق اندفع باولوس نحو الشرق ظافراً٠ وفي ٢٣ اغسطس (آب) احتل جيشه قطعة صغيرة على ضفة الفولغا شمال ستالينغراد٠ وفي اليوم نفسه شن الالمان هجومهم الجوي الأول على المدينة٠ وانهالت القنابل فوق الاحياء السكنية المكتظة وسط ستالينغراد٠ وبفعل الجفاف الطويل الامد اندلعت النيران بسرعة وغمرت المدينة في ثوان٠

وتقوضت معظم الابنية حول الساحة الحمراء٠ وانفجر خزان الماء بقذيفة واحدة وسقط مركز الهاتف وتعطلت الخطوط السلكية كلها٠


مقياسُ الأناقة
RADO رادو
مقياس الأناقة . مقياس المتانة . مقياس الزمن
RADO
QUARTZ
Mod. dép.



قادة الجيش الروسي الثاني والستين في مقر القيادة. من اليسار: رئيس الاركان الجنرال نيقولاي كريلوف، الآمر فاسيلي تشويكوف، المفوض السياسي غوروف، آمر فرقة الحرس الثالثة عشرة الجنرال روديمتسيف.

وفي ذروة القصف عمد قادة المدينة الى تسيير الامور من مراكز طوارىء اقيمت في شبكة من السراديب. لكن المدينة نفسها استحالت خرائب خضبت بدماء القتلى. وفي مفكرته ذلك المساء، أجمل قائد الطيران فولفرام فراير فون ريشتهوفن عمليات النهار بالآتي: "لقد كسحنا الروس."

وهذا كان صحيحاً. فمن نصف مليون نسمة يسكنون المدينة قتل نحو أربعين ألفاً في هجوم ٢٣ - ٢٤ اغسطس (آب).

وكان نهر الفولغا خالياً من الجسور. وفي اليوم التالي ملأ المدنيون رصيف الميناء الرئيسي، أملا في الوصول الى الضفة الاخرى. لكن القنابل عادت تسقط من جديد، ولم تكن هناك مخابىء يلوذون بها. وراحت الحشود تنبطح على الرصيف كلما هبطت الطائرات وألقت حمم غضبها. وبات الشاطىء زَلِقاً من دماء الضحايا.

وكانت في النهر مراكب لم توفرها الطائرات. وما هو إلا قليل حتى غدا سطح النهر أحمر قانياً وعامت فوقه جثث حملها التيار على مهل كأنها على موعد مع بحر قزوين.

في الثاني من سبتمبر (أيلول) انضمت قوات باولوس في الشمال الى الجيش المدرع الرابع في الجنوب بحيث طوق الجيشان المدينة على هيئة نصف دائرة. ولم يبقَ أمام الروس، عسكريين ومدنيين، سوى النهر ومينائه طريقاً للامدادات. غير أن الناجين من الجيش الروسي الثاني والستين انتشروا بغير نظام في المدينة باحثين عن مخابىء. وفقد آمر الجيش، الكسندر لوباتين، ثقته بقدرته على انقاذ المدينة. ولما أسر بهواجسه الى قائده الجنرال اندري يرمنكو، نحي عن مركزه.

في تلك الاثناء كان خط القيصرة هجر وأقيم مقر قيادة جديد على ضفة الفولغا المقابلة، في غابة يامي. هناك عقد يرمنكو وخروتشيف اجتماعاً عاجلا لاختيار ضابط يخلف لوباتين. ووقع اختيارهما على الجنرال فاسيلي ايفانوفيتش تشويكوف، وهو رجل بدين تعلو وجهه آثار جروح ملتئمة ويغطي رأسه شعر أشعث. وكان قوي الارادة ولا يطيق اولئك الذين يجبنون بسهولة. وقد عقد لقاءه الأول مع يرمنكو في العاشرة من صباح ١٢ سبتمبر (أيلول)، اليوم نفسه الذي طار باولوس الى اوكرانيا للاجتماع بالفوهرر.

وبادر يرمنكو الآمر الجديد: "ان وضع الجيش دقيق ومضطرب."

وهز تشويكوف رأسه قائلا: "لن أخذلك."

وعبر النهر الى ستالينغراد، ومن هناك توجه الى خط القيصرة للاجتماع بمعاونيه. ولما وجد الحصن خالياً راح يسأل الجنود في الشوارع عن المركز الجديد. وأخبره أحدهم أن القيادة انتقلت الى تلة ممايبف. وهي حصن صخري يرتفع ١٠٣ أمتار، وقد حولت متنزهاً بعدما كانت مقبرة للتتار.

وقاد تشويكوف سيارته نحو التلة عبر الحطام وهو لا يصدق ما يراه من ضعف الامكانات الدفاعية. وأدرك أن في وسع الالمان اجتياح التلة في دقائق والسيطرة على المدينة كلها من هناك. كما لاحظ امراً آخر، وهو سقوط أوراق الاشجار كلها بفعل القصف، على رغم أن الفصل كان صيفاً.

اندفاع نحو النهر

صباح الرابع عشر من سبتمبر (ايلول) اقتحم اللواء الالماني الحادي والسبعون قلب مدينة ستالينغراد على جبهة عرضها ٣٢٠٠ متر. وكان الكابتن غيرهارد مونك (٢٨ سنة) يقود الفرقة الثالثة، أي كتيبة المشاة المئة والرابعة والتسعين، وهي تحاول احتلال بعض أبنية المدينة والسيطرة على ضفة النهر. واحتلال الالمان للميناء يعني تطويق ستالينغراد من جميع الجهات.

وقدر مونك أن حظه كبير في بلوغ الفولغا قبل الظلام. وقبل ذلك الوقت كان رجاله عانوا حرارة شمس السهوب وبعض هجمات من مؤخر الجيش الروسي. ولكن ما أن دخلوا شوارع المدينة المحتقنة حتى ارتفع عدد الضحايا في صفوفهم. ولم يعد مجدياً شن هجوم كاسح مفاجىء. ذلك أن القناصين فتحوا النار من نوافذ الطبقات الثالثة والرابعة، فأصبحت

أعمدة المباني مخرمة كالغرابيل، وانهمرت القذائف على أفراد الكتيبة الالمانية من مدافع خفيفة مستورة. ولكن في الثانية بعد الظهر تمكنت الفرقة الالمانية الثالثة من محاذاة محطة القطار الرئيسية بالقرب من الساحة الحمراء. وتلقى مونك أمراً باحتلال الميناء على نهر الفولغا.

وبقي مونك محافظاً على ثقته بنفسه على رغم الخسائر الكبيرة. وكان رجاله قبضوا على عدد من السعاة الروس الذين كانوا يركضون في الشوارع ومعهم رسائل مكتوبة بخط اليد. وظنا منه أن الاتصالات الهاتفية قطعت لدى الجيش السوفييتي الثاني والستين، قدر مونك ان في وسع كتيبته المستنزفة قطع الكيلومتر الأخير نحو الهدف.

في ذلك الوقت كان الجنرال تشويكوف يعاني وضعاً نفسياً أليماً. فبعد عودته الى خط القيصرة أخبر أن فرقة الحرس الثالثة عشرة ستعبر الفولغا لنجدته وان عليه السيطرة على الميناء كي تتمكن الفرقة من العبور.

واقتناعاً منه بأنه لن يقوى على صد النار الالمانية، لجأ تشويكوف الى اقامة سلسلة من التحصينات الصغيرة عند تقاطع الطرق. وتولى تلك التحصينات ١٥٠٠ متطوع من الشرطة السرية نظموا أنفسهم في فرق من عشرة أشخاص أو عشرين شخصاً. وكانت مهمة تلك الفرق تشكيل جدار لوقاية المرفأ، بحيث يمكن أفرادها الانقضاض على الالمان الزاحفين نحو الضفة. وهذا يرد عنهم خطر الطائرات المغيرة، إذ ان الالمان سيخشون عندئذ اصابة كتيبة المشاة التابعة لهم.

وهكذا وقف المتطوعون الروس على اهبة الاستعداد للتحرك في اتجاه الميناء، وهم على بعد كيلومتر الى الشمال الشرقي من مقر تشويكوف. وتشكلوا على هيئة قوس تطوق الضفة وهم في انتظار آمرهم الكولونيل بتراكوف الذي ذهب في مهمة استكشافية قصيرة. فهو أراد تعيين النقطة التي كان الالمان يحاولون الانقضاض منها، ومشى مع اثنين من معاونيه حتى ساحة ٩ يناير (كانون الثاني). وعلى رغم سماعهم قصفاً بعيداً، إلا أنهم لم يروا أي جندي الماني. وكانت الساحة خالية. ووقف بتراكوف قرب سيارة مهجورة لفحص الوضع.

وفجأة انطلقت قذائف الرشاشات عبر نوافذ السيارة، مجبرة بتراكوف على الانبطاح أرضاً. ثم انهالت القذائف المدفعية على الساحة وفقد بتراكوف الوعي. وأنقذه معاوناه، ولم يصحُ إلا وهو في خندق على حافة الفولغا. وكان الالمان هرعوا الى النهر واحتلوا عدداً من المباني على الشاطىء. ومن مراكزهم في بناية المهندسين السكنية والمصرف الحكومي المؤلف من خمس طبقات ومصنع الجعة، راح الالمان يصيحون: "الروس سيغرقون في الفولغا."

وشاهد بتراكوف فتى روسياً يسير في الخندق. وأوقفه وسأله عن اسمه، فقال: "كوليا". وأخبره أن العدو أرسله لتقدير القوة الروسية. فابتسم الكولونيل وطلب الى الصبي أن يخبره عن الالمان. وكان كوليا يعرف جيداً هوية العدو، فأخبر بتراكوف أن الكابتن غيندرلينغ يحاول دعم كتيبة

المشاة التي يقودها غيرهارد مونك عند الميسرة، ويريد السيطرة كلياً على الميناء قبل الظلام.

وعند الغسق أرسل غيندرلينغ عناصره من مصنع الجعة الى رصيف الميناء الذي يبعد ٧٠٠ متر. وشكل رجال بتراكوف الستون خط مصادمة حول الالمان، وراحوا يحاربونهم بضراوة على رغم النقص الكبير في ذخيرتهم. وفجأة برز زورق بخاري عند الضفة وأنزل صناديق من الذخيرة والقنابل. وارتفعت معنويات بتراكوف ورجاله بعد وصول الامدادات. وكان الكولونيل عثر على بندقية من عيار ٧٦ مليمتراً في شارع جانبي ووقف يدرس أجزاءها. وأمر رجاله بأن يهجموا لدى سماعهم الطلقة الخامسة من البندقية الجديدة.

وصوب بتراكوف بندقيته نحو مبنى المصرف وحشاها بتؤدة قبل أن يطلق النار. ولما وضع الطلقة الثانية سمع زورقاً بخارياً يقف في محاذاته وهو يحمل عناصر جديدة من فرقة الحرس الثالثة عشرة. لكن الالمان شاهدوا الزورق أيضاً، وأحاطوه سريعاً بالقنابل.

وقفز آمر الفصيلة الجديدة الكولونيل بيلين الى الماء وركض نحو الخندق. وأدرك الروس أن الوضع ما زال محفوفاً بالاخطار، من غير أن يعرفوا أن الالمان على حافة الانهيار.

وبالقرب من محطة السكة الحديد وقف الكابتن مونك يحصي عناصره. ووجد أن معظمهم قضوا في يوم واحد في ستالينغراد. فهناك نحو مئتين من رجاله تمددوا، بين قتلى وجرحى، في الشوارع المؤدية الى الساحة الحمراء. وقدر مونك أن محطة القطار هي الاخرى مكان خطير لرجاله، إذ انها ملأى بالحافلات التي يمكن أن يختبىء فيها القناصة الروس ويقضوا على قوته المتضائلة.

وهكذا ارتأى ألا يدخل المحطة، وطلب نجدة جوية غير أن الطائرات اخطأت اهدافها وألقت قنابلها على رجال مونك. ومع حلول الظلام جمع الكابتن عناصره الباقية في بناء المجلس الحكومي غير الناجز. ومن شرفة ذلك البناء أمكنه أن يرى الفولغا للمرة الاولى. وأحصى رجاله من جديد، فوجد أن لديه أقل من خمسين عنصراً لاحتلال الضفة.

مهمة عسيرة

على بعد ٤٥٠ متراً من معسكر مونك الموقت، كان أفراد فرقة الحرس الثالثة عشرة يتلقون التعزيزات على الشاطىء، وقد عبرت عناصر كثيرة من الضفة المقابلة وسط القصف. وفي الظلام تعثر الروس قليلا فوق خرائب اليوم السابق، لكنهم ما لبثوا أن شكلوا خطاً دفاعياً قبل الفجر.

وكانت الفرقة الالمانية الـ٢٩٥ سيطرت على تلة مماييف، واتخذت مقراً لها في برجين للماء محميين. إلا أن القوات الروسية حافظت على بعض مواقع حول التلة حيث راحت تحفر الخنادق. وكان الصوت مخيفاً، وشبهه جندي روسي بإبرتين من فولاذ تخترقان طبلتي اذنيه وتحفران نحو الدماغ.

ومن مقره في سرداب القيصرة حاول تشويكوف تقدير الوضع على

التلة، لكنه عجز عن ذلك بسبب المعلومات المتناقضة. وكانت الحرارة في الداخل لا تطاق. وخرج تشويكوف مراراً الى الهواء الطلق وهو غارق في عرقه. ولم يخشَ نار الرشاشات الالمانية التي كادت أن تصيبه، إذ انه فضل الهواء المنعش في الخطر على الجحيم الخانق ضمن السرداب.

ومن الارض المعشبة على ضفة الفولغا المقابلة كان آمر الفرقة الثالثة عشرة على وشك العبور الى ستالينغراد. والجنرال الكسندر روديمتسيف (٣٦ سنة) لم يكن غريباً عن ساحات القتال. ففي العام ١٩٣٦ ذهب الى اسبانيا تحت اسم "بافليتو غيشوس" وحارب قوات فرنكو مع الملكيين. ولما وقف على الضفة المقابلة هاماً بالعبور لم يصدق ما رآه. فالقصف المدفعي على ستالينغراد صبيحة الخامس عشر من سبتمبر (أيلول) طغى على نور الشمس. والقوارب التي حملت رجاله الى المدينة مزقها القصف. وفيما وقف روديمتسيف ينظر الى ذلك المشهد، تصاعد الدخان حول أحد المراكب، ثم انفجر هذا وغار في الماء بركابه الخمسة والستين جميعاً.

وركب روديمتسيف ومعاونوه قاربهم وأنزلوا رؤوسهم تحت حافته العليا اتقاء للشظايا. وتمكن الزورق من بلوغ الضفة الاخرى. ونزل روديمتسيف وركض نحو نصف كيلومتر شمالا الى مقره، وهو حجرة خفيضة رديئة التهوئة جُعل لها سقف من ألواح الخشب الثقيلة.

وشاء الجنرال أن يعلم تشويكوف سريعاً بوصوله. فهرع نحو رصيف الميناء، ومن هناك اتجه غرباً وسار مسافة كيلومتر الى سرداب خط القيصرة، يرافقه خمسة من معاونيه. وفي تلك الرحلة القصيرة قتل ثلاثة من رجاله.

ولما رآه تشويكوف وقد غطاه الغبار، طوقه وسأله ان يوجز له الموقف. وقال روديمتسيف ان معظم عناصره عبروا النهر، ولكن ينقصهم نحو ألفي بندقية. وبعدما وعده تشويكوف بتلبية حاجته سريعاً، سأله عن انطباعه حيال تلك المهمة العسيرة، فأجاب روديمتسيف: "لا نيّة لدي بمغادرة المدينة."

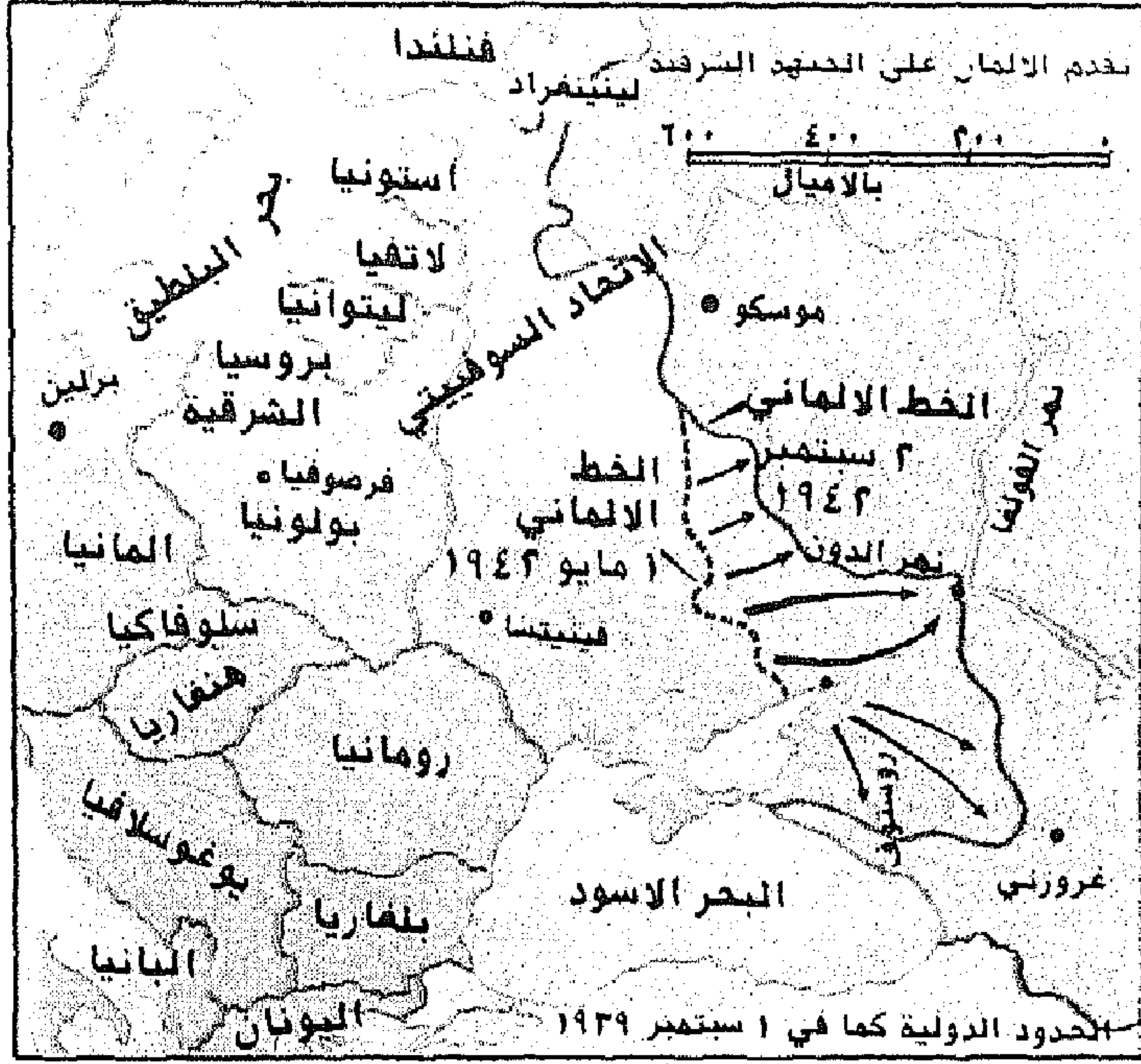
مهمة الدم

في ١٧ سبتمبر (أيلول) دخل رجال الصحافة الألمان مقر الجيش السادس في غولوبينكا، على بعد ٦٥ كيلومتراً غرب ستالينغراد، وألحوا على الجنرال باولوس كي يسمح لهم بإرسال خبر الى صحفهم مؤداه أن المدينة سقطت.

وقابلهم باولوس بابتسامة مرحة. وقال وهو يتفادى الرد على طلبهم: "في أي لحظة الآن، في أي لحظة."

إلا أن الجنرال راح يستمع داخل غرفته الى الموسيقى ويدخن السجائر واحدة بعد اخرى ويحاول تهدئة معدته التي فتك بها داء الديزنطاريا. والحق أنه فقد أمله في النصر السريع.

ومن خط القيصرة حتى سفح تلة ممايف، كان الألمان تحت رحمة القوة الروسية المتجددة. وعلى رغم أن فرقة الحرس الثالثة عشرة فقدت نحو ستة آلاف من عناصرها، إلا أنها أكسبت الروس أياماً ثمينة جداً.



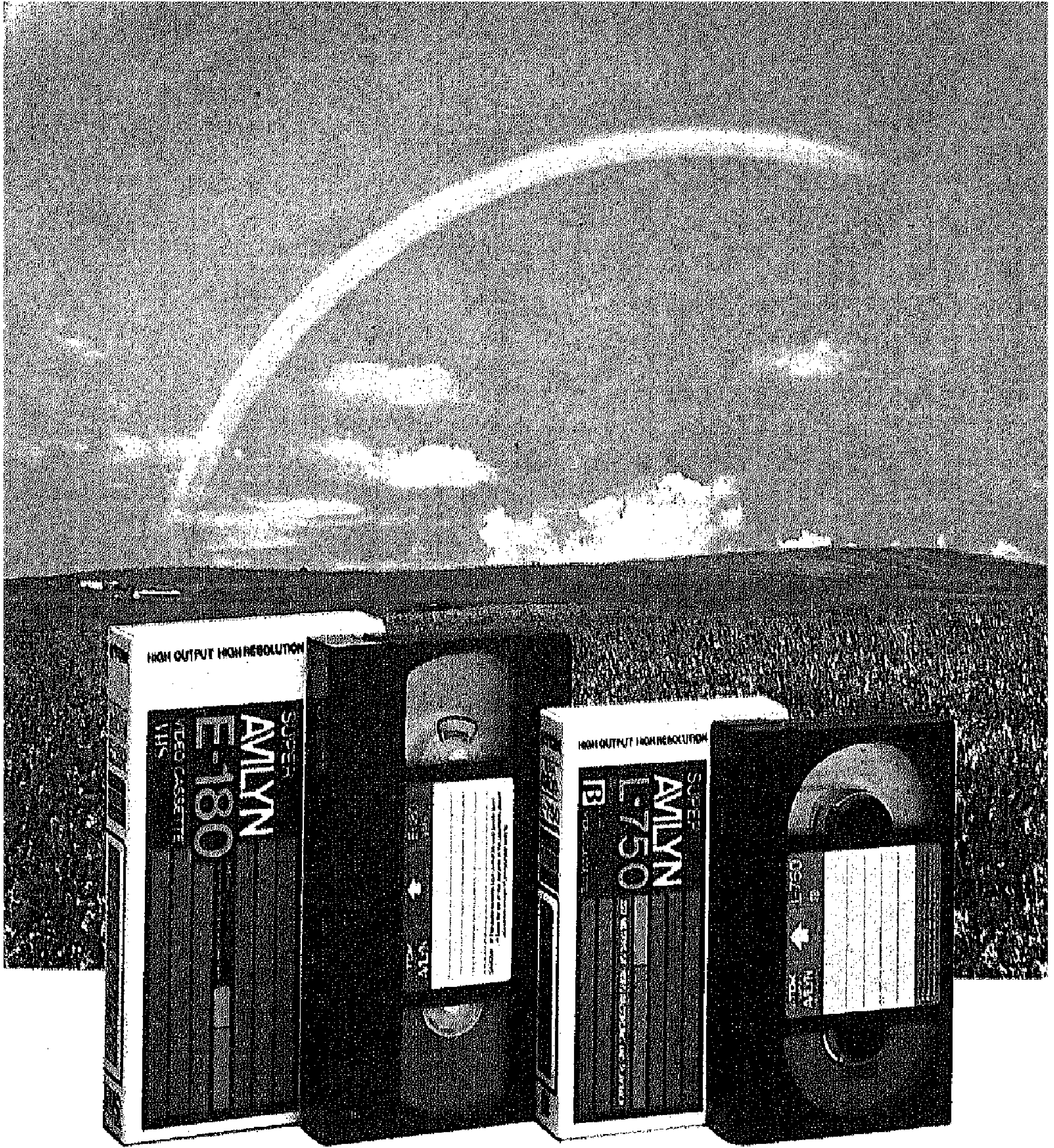
وتدفقت تعزيزات اخرى من الاورال. ومن سيبيريا نفسها وصلت وحدة بقيادة الكولونيل نيقولاي باتيوك، وكان معظم رجالها شرقيين من جوار منغوليا وأعمارهم تراوح بين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة. وهم لم يروا ألمانياً من قبل. وقد قطعوا نحو ١١٢٥ كيلومتراً الى الغرب وهم يمصون نبتة السوس. وباشروا قطع النهر صباح الثاني والعشرين من سبتمبر (أيلول) الغارق في الضباب.

وعبر السارجنت الكسي بتروف النهر وعُهدت اليه قيادة القطاع الشمالي قرب لاتشنكا. وطوال عشرة أيام أعطي دروساً سريعة في استخدام المدفع من عيار ١٢٢ مليمتراً. ولكن مع ضيق الوقت وعدم قابليته للتعلم سريعاً، طلب اليه مدربه الساخط أن يعلم نفسه.

وكانت معمعة الدم التي خاضها بتروف قاسية جداً. وقضى نحو نصف رجاله وهم يعبرون النهر. وبعد بلوغهم الشاطىء، سير بتروف ثلاثة كشافة لتقدير قوة العدو، فعاد اثنان منهم. ورفع بتروف منظاره لكشف مصير الفتى الثالث. ووجده ممدداً على الارض وقد زرع الالمان في بطنه حربة بندقية.

وانطلق بتروف وفرقته وهم يصرخون باهتياج. واقتحموا البيوت وكانوا يقتلون كل شخص يصادفونه. وعندما كان الالمان يرفعون الايدي استسلاماً، كان بتروف يطلق نار رشاشه عليهم جميعاً.

ومن رواق أحد المنازل سمع بتروف جندياً المانياً في الطبقة السفلية يتضرع قائلا: "يا ألله، دعني أعيش بعد هذه الحرب." لكن بتروف اسرع



طبعاً تـي. دي. كـي.

طبـعاً ترغبـون في أحـسن الالـوان الممـكنة على جهازكـم الفيديـو كاسيت الوان حية ، صور واضحة ونقاوة متناهية.

لهذه الاسباب يتحول أكثر الناس الى تي. دي. كي. ليس فقط لان شرائط تسجيل "افيلين" هي الاكثر شعبية في العالم ، بل لانها فريدة في نوعها. فهي تمثل ما طالما رغبت فيه في عالم تسجيل الفيديو.

تذكر أن "سوبر افيلين" المقياس العالمي في آلات التسجيل السمعية والبصرية ، هي من تي. دي. كي.

he Future in Sound and Pictures.

TDK®

K ELECTRONICS CO., LTD.

تـي دكـي كـي

الى مصدر الصوت ورفس باب الغرفة وأطلق النار على الرجل، ثم انطلق كالمسعور بين أقبية المنازل يصرع كل من يراه.

مفتاح المدينة

تابعت فرقة المشاة الالمانية تقدمها البطيء نحو الميناء. وواجهت جيوباً عدة للمقاومة، لكنها مسحتها كلها من طريقها وإن تكن دفعت الثمن غالياً. وفي الساحة الحمراء، قلب المدينة، تناثرت الجثث فوق العشب والارصفة.

وكان مخزن "يونيفرماغ" الكبير مهجوراً وقد تحطمت نوافذه وتناثرت الشخوص التي تعلق عليها الملابس بعدما اخترقها الرصاص. وفي الداخل تشابك الروس والألمان حتى الموت، واستحال المخزن مستودعاً للجثث.

وخلت أبنية مجلس السوفييت المحلي ونادي الجيش الأحمر ومسرح غوركي، وحطم الرصاص زجاجها وثقب جدرانها. أما المحلات القائمة على جوانب الطرق فقد حطمها الرصاص شر تحطيم، وسالت عصارة البندورة (الطماطم) العفنة والبطيخ الأحمر مختلطة بالدماء وبأشلاء الضحايا.

وفي مكان كان يؤوي مطعماً فخماً شرق الفتحة المؤدية الى خط القيصرة، بذل الاطباء والممرضات جهدهم لتفريغ الشاحنات من الجرحى الذين بلغ عددهم نحو ٦٠٠ جندي، بعدما تجاوز عدد ضحايا اليوم السابق السبعمئة.

وواصل الالمان زحفهم نحو الميناء. وظلت رشاشاتهم تقصف الحشود على الشاطىء، فيما الجنود الروس في خط دفاعي ريثما يتم نقل الجرحى الى المراكب. وتابع الالمان تقدمهم حتى سيطروا على الميناء. وباستثناء بعض جيوب للمقاومة، احتل الجيش الالماني السادس بضعة كيلومترات من شاطىء الفولغا شمال خط القيصرة وجنوبه. وبقي عليه احتلال منطقة المصانع شمال ستالينغراد.

إلا أن هذه الاخبار الطيبة لم تحرك ساكناً لدى ادولف هتلر الذي جلس في غرفته الخشبية في فينيتسا مقطباً يرفض الكلام. وكان قبل اسبوعين احتدم نقاش بينه وبين الجنرال البرت جودل حول سير المعركة. ومنذ ذلك الوقت رفض الفوهرر الاختلاط بمعاونيه. وفي ٢٤ سبتمبر (أيلول) استدعى فرانز هالدر وصرفه من الخدمة، بعدما أغاظه عصيان رجاله وعدم تسجيل تقدم على جبهتي القوقاز والفولغا. وذهب هالدر الى مقره وحزم أمتعته. ولكن قبل أن يغادر كتب رسالة الى صديقه وتلميذه فردريك باولوس يقول فيها أنه "استقال" ويشكره على "الولاء والصداقة" اللذين أظهرهما نحوه.

وتسلم باولوس رسالة هالدر فيما كان رجاله يعلقون الصليب المعقوف، شارة الحزب النازي والرايش الثالث، فوق مدخل محل "يونيفرماغ" الذي ثقبه الرصاص.

لكن باولوس لم يكن شديد الابتهاج، ولم يشأ اقامة احتفال خاص للمناسبة. ذلك أن العبور من الدون الى الفولغا كلفه نحو ثمانية آلاف قتيل و٣١ ألف جريح من الالمان.

وهذا يعني أنه فقد عشرة في المئة من الجيش السادس. كما انه كان يدرك جيداً أن المعركة الحاسمة خلف الابواب. فالى الشمال من الميناء، أي شمال تلة ماماييف المحاطة برجال المقاومة الروس، يقوم مفتاح المدينة، ألا وهو المصانع. هناك كان الجيش السادس يواجه التحدي الأخير وهو يعاني نقصاً في العدة والعدد.

وعاد باولوس الى مقره المنعزل في غولوبينكا على ضفة الدون الغربية العليا حيث راح يستمع الى الموسيقى ويحاول تهدئة نوبات الديزنطاريا. وبلغ تعب أعصابه حداً ظهر معه تقلص لاإرادي في عضلات خده، وهو ما يعرف بالعَرَّة.

رحلات ليلية

في الخندق البدائي الذي اتخذه مقراً، راح فاسيلي تشويكوف يعد لهجوم مضاد وهو يتصبب عرقاً. وكان الجنرال تسلم لتوه رسالة من زوجته فالنتينا التي تقيم في كويبيشيف، على بعد ٦٤٥ كيلومتراً شمال شرق ستالينغراد، تقول فيها انها شاهدته في شريط أخباري قصير في السينما وتطمئنه الى حال أولادهما. وبدا من الرسالة أن معنويات زوجة تشويكوف مرتفعة.

إلا أن معلومات الجنرال كانت مغايرة. فقد أخبره معاونه أن ابنته الصغرى تعاني نوبات ديزنطاريا حادة وان العائلة بالكاد تحصل على ما يكفي من غذاء وكساء وحوائج اخرى. وتلك الاخبار المثبطة أضافت الى العبء النفسي الذي يحمله تشويكوف، وهو مهدد يومياً بالموت.

وأتى المرض عليه هو أيضاً، فظهرت حراشف الاكزيما القرمزية على جلده واضطر الى ربط يديه النازتين.

ومن حسن الحظ ان تعزيزات جديدة بدأت تبلغه عبر الجسور التي أقامها بعد خسارة الميناء، وأهمها المعبر ٦٢ وهو سلسلة من المراسي خلف "ساحة اكتوبر" ومصنع أسلحة "باريكادي". هناك أنزل معظم الجنود والعتاد خلف وقاء من الأوتاد الخشبية.

غير أن الجنود الذين كانوا يعبرون النهر ليلا ارتاعوا لرؤية المدينة تحترق والرصاص يلعلع في أرجائها. وكان المنظرون السياسيون معهم دائماً، يعملون بحماسة منقطعة النظير على تهدئة روعهم، فيوزعون عليهم مناشير عنوانها: "كيف تتصرف في حرب المدن،" ثم يتوزعون على الشاطىء منعاً لعودة بعض من تسول لهم نفوسهم الهرب الى الزوارق، وقد وضع كل منهم اصبعه على زناد مسدسه.

ومن موقعهم على تلة ماماييف، كان الالمان يبصرون تلك الزوارق ويوجهون نحوها نار مدفعيتهم. لكن المفوضين السياسيين كانوا يقرأون الصحف بصوت مرتفع أو يوزعون الرسائل الواردة تشتيتاً للانتباه. وكان اذا أصيب بعض الجنود ونزل آخرون الى النهر للفرار، أفرغ المفوضون السياسيون رصاص مسدساتهم في أجساد الهاربين.

وعلى هذا النحو تم انزال نحو مئة ألف عنصر جديد على ضفة الفولغا في اكتوبر (تشرين الاول). لكن العديد منهم لقي حتفه سريعاً، ولم يبقَ لدى

تشويكوف إلا ٥٣ ألف جندي يمكنهم حمل السلاح. وفي أقل من شهر خسر الجيش الروسي الثاني والستون أكثر من ٨٠ ألفاً.

مبارزة عند الخط الفاصل

وسط استعداد الجيشين للمكاشفة الاخيرة، اندلعت معركة شخصية حامية عند الخط الفاصل. وكان المتحاربان قناصين متمرسين يعرف أحدهما شهرة الآخر. وهما الالماني الميجور كونينغز والروسي فاسيلي زايتسيف الذي تدرب على صيد الغزلان في جبال الاورال. وقد أغدقت الصحف الروسية على زايتسيف لقب "بطل قومي" بعدما قتل في الأيام العشرة الماضية أربعين ألمانياً. ولما عمت شهرة زايتسيف الآفاق، استدعت قيادة الجيش السادس القناص كونينغ من برلين للقضاء عليه.

وعرف الروس بوجود كونينغز من أسير الماني قال ان القناص يتجول في الصفوف الامامية لاكتشاف طبيعة الأرض. وبما أن زايتسيف كان يجهل خطط غريمه، كان عليه أن يدعه يقوم بالحركة الاولى.

ولم يحصل أي شيء خارق في الايام القليلة اللاحقة، الى أن خر قناصات سوفييتيان، كل بطلقة بندقية واحدة. وزحف زايتسيف الى حافة الخط الفاصل بين تلة مماييف ومصنع "اكتوبر الأحمر" لفحص ساحة المعركة. وبقي طوال بعد الظهر مع صديقه نيقولاي كوليكوف يراقبان الجهة الاخرى بالمنظار بحثاً عن علامة. وهكذا تغافلا عن المعركة الكبيرة التي تدور حولهما وراحا يبحثان عن رجل واحد. ثم أطبق الظلام وليس لدى زايتسيف اشارة واحدة عن مكان وجود كونينغز.

وعاد القناصان السوفييتيان الى خندقهما فجر اليوم التالي يراقبان أرض المعركة، من غير أن يعثرا على أثر لنقطة كونينغز. وفي صبيحة اليوم الثالث جاء مفوض سياسي اسمه دانيلوف الى زايتسيف وكوليكوف. ووقف الثلاثة يجيلون أنظارهم في المسافة علهم يدركون مصدر الرصاص المنهمر فوق رؤوسهم.

وفجأة اطل دانيلوف من الخندق وصاح: "هذا هو! سأدلكم على مكانه حالا." وما كاد ان ينهي كلامه حتى عاجله كونينغز بطلقة في كتفه. وعاد زايتسيف الى الخندق فيما حُمل دانيلوف على نقالة الى المستشفى.

ثم رفع زايتسيف منظاره من جديد، فرأى الى اليسار دبابة معطلة والى اليمين معقلا صغيراً. ولم يكترث للدبابة، علماً منه أن القناص الخبير لا يتخذ من هذا الموقع المعرض مركزاً. ووجد أن فتحة اطلاق النار في المعقل مسدودة.

وظل زايتسيف يدير منظاره، فوجد قطعة حديد وكومة حجار بين الدبابة والمعقل. وحاول قراءة أفكار كونينغز، فقرر أن ذلك الركام في الوسط هو خير مخبأ.

وعلق قفازاً على قضيب ورفعه على مهل، فأتت عليه طلقة سريعة. وأنزل زايتسيف القفاز وقد تأكد ظنه: ان كونينغز مختبىء تحت قطعة الحديد.

ووافقه كوليكوف قائلا: "لا شك في أن الافعى الماكرة هناك."

ووجد الاثنان نقطة تكون فيها شمس العصر خلفهما، بحيث تعمي بصر القناص الالماني. وفي الصباح التالي توجها الى مركزهما الجديد، وأطلق كوليكوف رصاصة في الهواء للفت كونينغز. ثم اختبأ الاثنان في الخندق. ومع العصر أتى عليهما الظل. وركز زايتسيف نظره على مخبأ القناص الالماني.

وفجأة التمعت قطعة زجاج على الحديد الواقي. ورفع كوليكوف خوذته بتؤدة فوق الخندق، فأطلق كونينغز النار عليها. ونهض كوليكوف وهو يصيح كما لو أصيب. ورفع كونينغز رأسه قليلا ليرى ضحيته، فعالجه فاسيلي زايتسيف بطلقة بين عينيه.

خطر من الشمال

طوال شهر اكتوبر (تشرين الاول) حارب الالمان بعناد من المصانع الرئيسية الثلاثة على تلة مماييف محاولين سحق المقاومة الروسية. وفي العشرين من ذلك الشهر تمت لهم السيطرة على مصنع الجرارات الزراعية ومصنع "باريكادي" الضخم للاسلحة. وعند نقطة أبعد الى الجنوب احتلوا الطرف الغربي من مصنع "اكتوبر الاحمر".

حرب الشوارع في ستالينغراد، اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٢.



ودارت المعركة من بناء الى بناء ومن سرداب الى سرداب ومن مخبأ الى مخبأ٠ وفي ثلاثة أيام فقط خسر تشويكوف ١٣ ألفاً من رجاله، أي ثلث القوة الباقية لديه٠ وفي ليلة ١٤ اكتوبر (تشرين الاول) حُمل ٣٥٠٠ جريح الى مراسي الفولغا٠ وخلال انتظارهم عند المعابر كان النهر يرغي ويزبد بفعل القذائف٠ ولما وصلت الزوارق أخيراً، لم يبقَ في بعضها أي بحار ليرفع الجرحى٠

أما خسائر الالمان فكانت كبيرة هي الاخرى٠ وفي أيام قليلة خسرت كتائب "الرواد" الباسلة، وعدد أفرادها ٣٠٠٠ رجل، ثلث هذا العدد٠ واعترف آمر الكتائب الخمس، الكولونيل هيربرت سيلي، بالخسارة في رسالة كتبها الى عائلته جاء فيها: "ان دموعاً كثيرة ستنهمر في المانيا٠٠٠ طوبى لمن ليس مسؤولا عن هذه التضحيات غير المبررة٠" وكان سيلي يرى أن ستالينغراد لم تعد تستحق الثمن المبذول من أجلها، وان الحرب انحطت الى معركة شخصية بين عناد ستالين وعناد هتلر٠

وعلى رغم الانتصارات التي سجلوها، بقي الالمان عاجزين عن اجلاء الروس كلياً عن المدينة٠ وظلت الجبهة مجمدة أياماً٠

ولكن برزت حركة مفاجئة من شمال نهر الدون٠ ووصل أكثر من ٢٠٠ ألف جندي روسي في قطارات ليلية من جوار موسكو وجبال الاورال، معززين بمدافع ثقيلة ونحو عشرة آلاف حصان جمعت عند نقاط تبعد ١٦٠ كيلومتراً شمال غرب ستالينغراد٠ وعمل المفوضون السياسيون بلا كلل على بث الحماسة في نفوس المقاتلين٠ وكان كل من الجنود الجدد يقف أمام علم فرقته ويتسلم سلاحه في احتفال رسمي وسط الاناشيد العسكرية والخطب الداعية الى الدفاع عن تراب الوطن٠

ولم تكن تلك الاستعدادات خافية على الالمان٠ وفي ٢٧ اكتوبر (تشرين الأول) تلقى باولوس تقريراً عن الوضع مبنياً على اعترافات أدلى بها الهاربون الروس حول وصول تعزيزات جديدة ليس الى ضفاف الدون وحدها، بل الى جنوب ستالينغراد أيضاً في مواجهة جيش المدرعات الالماني الرابع٠ ويبدو أن الروس كانوا يستعدون للهجوم على جناحي الجيش الالماني٠

وطالما قلق باولوس لامكان قيام هجوم كهذا٠ وكانت خطة استيلائه على ستالينغراد تعتمد على اقامة خط رديف عند الميسرة من شأنه ابقاء طريق الامدادات مفتوحة وصد أي اعتداء يأتي من الشمال٠ ومن سوء حظ باولوس أن ذلك الخط الرديف كانت تملأه عناصر من الدول التابعة٠

ففي الطرف الشمالي الغربي انتشر أفراد من الجيش المجري الثاني عند أعلى نهر الدون٠ والنقطة التالية من النهر احتلها رجال من الجيش الايطالي الثامن٠ وأخيراً جاء الجيش الروماني الثالث٠ وقد وضع الالمان المتطوعين الايطاليين في الوسط ليفصلوا بين عدوين قديمين كان محتملا أن يتجاهلا الروس ويعتركا في ما بينهما٠

وقد استقدمت الجيوش الثلاثة على نحو يعوزه النظام٠ فالجيشان المجري

والروماني كانا، في معظمهما، من المحازبين السياسيين غير المتمرسين في الشؤون الحربية. وفضلا عن عدم كفاية هذين الجيشين، فقد تسرب الفساد الى صفوفهما واجداً طريقه خصوصاً الى الانفار الصغار الذين كان ينقصهم الغذاء الكافي والقيادة الحسنة. وكان الضباط يسوطونهم عند أقل نزوة أو خطأ. ولدى احتدام المعركة فر عدد كبير من الضباط الى أوطانهم. والأسوأ من هذا أنهم كانوا مزودين بأسلحة من الحرب العالمية الاولى تخطاها الزمن.

ولم تكن حال الجيش الايطالي بأفضل من حال هذين. فأفراده الذين جُروا الى الخدمة من مكان قصي لم يرقهم التحالف بين المانيا النازية وايطاليا الفاشية. وهم لم يأتوا الى روسيا لأي قضية حيوية تعني ايطاليا مباشرة، وانما اقتيدوا الى هناك لأن بنيتو موسوليني اشترى ودّ هتلر بسواعد الجند الايطالي.

وفي لقائه الفوهرر في سبتمبر (ايلول) طلب اليه باولوس أن يمده ببعض دعم للعناصر الرديفة. فوعد هتلر خيراً. وكرر باولوس مخاوفه أمام هالدر الذي وعد بملاحقة هتلر حول الأمر. لكن هالدر سُرّح من منصبه من غير أن يحصل شيء.

"إنه الجنون بعينه!"

في المساحة الممتدة بين الدون والفولغا غرب ستالينغراد، ركز باولوس كامل قواته الهجومية للاستيلاء على المدينة، متخذاً من طرف الدون البعيد مستودعاً لمعظم ذخيرته. ووجد الروس في تلك البقعة غير الحصينة هدفاً للمرحلة الاولى من عمليتهم الدفاعية التي أطلقوا عليها اسم "اورانوس".

وفي السادسة والنصف من صباح ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) الباكر، استحال ظلام الضحى بين مدينتي سيرافيموفيتش وكلتسكايا لهباً برتقالياً عندما انطلقت النار من ٣٥٠٠ بندقية روسية. ووقف الجنود الرومانيون في خنادقهم يراقبون الانفجارات المدفعية تخترق صفوفهم وتقضي على المئات خنقاً. وغطى الرجال آذانهم التي أصمها دوي المدافع.

وما أن توقف القصف حتى انطلقت الدبابات الضخمة من نوع "ت – ٣٤" عبر الضباب والجليد الى صفوف القوة الرومانية المشتتة. وفر معظم الرومانيين وهم يزعقون باعلى اصواتهم وقد روعهم زحف الدبابات، وكانوا من غير سلاح.

وفي غولوبينكا، على بعد ٨٠ كيلومتراً الى الجنوب الشرقي، تلقى باولوس ورئيس أركانه الجنرال آرثر شميت نبأ الهجوم بهدوء. وبعد تحليل الوضع قال شميت: "في امكاننا الصمود." ووافق باولوس وأمر الفرقة المدرعة الثامنة والاربعين، وهي في قيادة الجنرال فرديناند هايم، بالزحف شمالا نحو ثغرة الدون.

في تلك الاثناء كان هتلر يضيع الوقت سدى في منتجعه الصيفي بيرغهوف على بعد ٢٠٩٠ كيلومتر غرباً وسط جبال الالب البافارية. ثم دخل قاعة اجتماعات هادئة وأكب

على آخر خرائط المعركة متفحصاً الموقع على ميسرة الجيش السادس. وقارن الامكانات برباطة جأش، ثم أصدر أمراً كان أول الاوامر المهلكة خلال الاسابيع القليلة اللاحقة.

وكان ذلك الأمر يقضي بأن يسرع الجنرال هايم جنوباً الى بلينوف حيث اخترق الروس الخطوط الالمانية أيضاً. وقاد هايم، وقد أغاظه الأمر، طوابيره على نحو الهدف الجديد على زاوية تكاد تبلغ ١٨٠ درجة عكس الوجهة التي كان باولوس اختارها قبل تبلغ أوامر الفوهرر.

ولم تدخل القوات الجوية تلك المأساة السهلية لأن عوامل الطبيعة من ثلج وصقيع كبلتها على الأرض. وكانت الدبابات الروسية، طوال النهار، تعبر السهوب البيضاء وتضرب التعزيزات الالمانية في أماكن تجمعها ومراكز اتصالاتها ثم تختفي في الضباب لتضرب تجمعات اخرى على بعد كيلومترات. وأربكت تلك الخطة الالمان وأفقدتهم معنوياتهم. وأفادت المعلومات المرسلة الى غولوبينكا أن الروس في كل مكان، وانهم على بعد ٦٤ كيلومتراً جنوب الدون و٨٠ كيلومتراً الى الجنوب الشرقي منه. وكان الجنون ظاهراً في نبرات الضباط الذين خابروا قيادة الجيش السادس طلباً للنصيحة.

ودبت الفوضى في الصفوف الالمانية. واتخذ آمرو الفرق قرارات افرادية بنقل رجالهم شرقاً نحو ستالينغراد. وتحرك الرجال ببطء وهم يؤثرون العصيان، إلا أن الضباط أخافوهم بالاحكام العسكرية.

والى الناحية الجنوبية من ستالينغراد، تجمعت ثلاثة جيوش تحت إمرة يرمنكو على جبهة طولها ٢٠٠ كيلومتر، استعداداً للمرحلة الثانية من الهجوم المضاد. وفي العاشرة من صباح ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) فتحت مدفعية يرمنكو النار على الجيش الروماني الرابع قبالتها وأرغمته على الفرار. وبعد ساعات ابلغ يرمنكو موسكو، وهو لا يصدق ما حصل، أن لديه عشرة آلاف اسير. وأمرته القيادة بأن يعيد احصاءهم فجاء الرقم مطابقاً للأول.

أما الجنرال باولوس الذي روعه سقوط الجناحين، فارتأى انسحاب الجيش السادس من الفولغا في اتجاه الجنوب الغربي حيث يسهل عليه الدفاع.

غير أن الفوهرر كان له رأي آخر، وعارض توصية باولوس بقوله: "الجيش السادس سيبقى مكانه، على رغم انه مهدد وقتياً بالتطويق. وسنصدر أمراً لاحقاً حول الدعم الجوي."

وكان باولوس وشميت يمحصان رسالة هتلر حين وردتهما مخابرة هاتفية من الجنرال مارتن فايبغ قائد سلاح الطيران الثامن. ولما علم فايبغ بعزم الفوهرر على ارسال قوة جواً، خابر رئيسه الجنرال ريشتهوفن. وهذا بدوره خابر أحد المسؤولين عن الطيران في القيادة العليا وبادره بغيظ: "يجب أن توقفوا مسعاكم هذا. فالطقس الرديء هنا يمنع انزال ٢٥٠ ألف عنصر جواً. إنه الجنون بعينه!"

ذلك الليل هبت رياح لا ترحم عبر السهوب وأحالت الثلوج جبالاً.



القتال في ستالينغراد من بيت الى بيت.

وهبطت الحرارة درجات تحت الصفر والجو ينذر سوءاً.

وفي الثانية عصر ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني)، فيما باولوس وشميت عائدان جواً الى مطار غومراك في طرف المدينة بعد رحلة الى مركز للاتصالات غرب ستالينغراد، عبرا فوق الارض الممتدة بين الدون والفولغا وشاهدا النار تتصاعد من مخيمات الجيش السادس الذي كان أفراده يحرقون كل ما لا يحتاجون اليه تحسباً لأي طارىء.

في اليوم نفسه سيطر الروس على جسر كلش، وهو طريق هروب الالمان عبر الدون. وفي اليوم التالي انضمت الدبابات الروسية من الجنوب الى المشاة في الشمال.

وراح الجنود الروس يرقصون فرحاً فوق الجليد وقد أخذتهم نشوة النصر. ففي أقل من ٩٦ ساعة ضربوا حصاراً تاماً حول الجيش الالماني السادس. وأصبح لديهم، داخل ذلك "الجيب" الضخم، ٢٥٠ ألف أسير عُزلوا وسط السهوب الجليدية.

إلا أن الخطوط الروسية ما برحت ضئيلة، وكان الجنرال باولوس على استعداد لاختراق ذلك "المرجل." وجمع عدداً من الجنود بأسلحتهم

ومدافعهم وخيولهم، وأعد العدة لاختراق الصفوف الروسية الى الجنوب الغربي.

وانقضت ساعات من غير أن يأمر باولوس جنوده بالتقدم. ذلك أن هتلر لم يكن اظهر "رضاه" على الهجوم. وأرسل اليه باولوس برقية اخرى تقول: "يا زعيمي! الذخيرة والعتاد يكادان ينفدان، ولا يمكن سد النقص سريعاً. وفي ضوء هذا الوضع أطلب اليكم اطلاق يدي للتصرف بما أراه ملائماً. ليحيَ الزعيم. باولوس."

وكانت تلك الرسالة في طريقها الى هتلر حين أصدر أحد معاوني باولوس الجنرال ولتر فون سيدليتز ـ كورزباخ أمراً الى فرقة المشاة الرابعة والتسعين باخلاء موقعها في الطرف الشمالي الشرقي، أملا أن يؤدي قراره الفردي الى التعجيل في انسحاب الفرق الاخرى وبالتالي اتخاذ باولوس قراراً بالانسحاب الجماعي من "المرجل."

ولكن ما كادت فرقة المشاة الرابعة والتسعين ان تغادر موقعها حتى أجهز عليها الجيش الروسي الثاني والستون. ومع الفجر غدت الفرقة الالمانية أثراً بعد عين اذ أطبقت عليها جحافل الجيش الأحمر.

ولما بلغت تلك الانباء هتلر جن جنونه. وفي برقية تحمل صفة الأمر الاعلى، أنب باولوس على عصيانه وأصر على "الاحتفاظ بجبهة الفولغا الحالية والجبهة الشمالية بأي ثمن،" مضيفاً أن "التعزيزات الجوية هي في الطريق."

والحق أن هتلر لم يكن على يقين من قدرة سلاحه الجوي على دعم الجيش السادس. وكان ينتظر الكلمة الاخيرة حول هذا الأمر من هيرمان غورينغ. وجدير بالذكر أن غورينغ كان سقط في نظر القيادة العسكرية الالمانية لعجزه عن اخضاع بريطانيا ووقف قصف الحلفاء لالمانيا نفسها. وهكذا وجد في طلب الفوهرر ظرفاً كي يعيد الاعتبار الى نفسه. وعلى رغم ما قيل له من أن الجيش السادس تلزمه خمسة أطنان من الامدادات يومياً، أجاب بثقة وكبرياء: "اني أستطيع تأمين هذا."

وهكذا ضاعت الساعات الثمينة. وفي بضعة أيام تحلقت ستون فرقة سوفييتية حول "المرجل." والى الجنوب والغرب وقفت ثمانون فرقة اخرى من الجيش الأحمر على أهبة الاستعداد لصد وصول أي تعزيزات الى باولوس.

في تلك الاثناء كان الطيارون الالمان في القواعد الجوية القريبة من ستالينغراد يبذلون ما في وسعهم لانجاح مهمة الدعم الجوي. وأرسلت طائرات "جو ـ ٥٢" من أماكن قصية، وكان بعضها قديماً لا يمكن الاعتماد عليه والبعض الآخر تنقصه الرشاشات وأجهزة الارسال. أما الملاحون على تلك الطائرات فكانوا خليطاً من قدامى المحاربين والمتخرجين الجدد.

وفي ٢٥ نوفمبر (تشرين الثاني) توجهت الدفعة الاولى من الطائرات الى قاعدة بيتومنيك الجوية داخل "المرجل." وظلت يومين تقلع وتهبط حاملة الوقود والعتاد. وفي اليوم الثالث، وهو السابع والعشرون من نوفمبر (تشرين الثاني)، أوقفت الاحوال الجوية جميع العمليات. وراح

الجنرال فايبغ يحصي ما تم انجازه، فوجد أنه، في الساعات الثماني والاربعين الاولى ، نقل ١٣٠ طناً الى "المرجل". ثم دوّن في مفكرته الآتي: "الطقس رديء جداً. نحاول التحليق، لكن هذا مستحيل. العواصف الثلجية تلحق احداها الاخرى. الوضع مروع."

ووافق الجنرال فون ريشتهوفن كلياً على هذا الوصف. وبعد يأسه من الامدادات الجوية، خابر معاوني هتلر ليعلمهم ان على الجيش السادس أن يشق طريق الفرار قبل أن تشل حركته نهائياً. ورجا ريشتهوفن المعاونين أن يوصلوا رأيه الى هتلر، ففعلوا. لكن الفوهرر رفض تغيير خطته بحجة أن انسحاب الجيش السادس من ستالينغراد يعني "أننا لن ندخلها البتة بعد الآن."

ولما سمع ريشتهوفن هذا القرار، أدرك أنه وزملاءه القادة الآخرين ليسوا أكثر من دمى في يدي هتلر.

وفي ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني) أرسلت أربعون طائرة مقاتلة من نوع "هي - ١١١" لتعزيز القوة الجوية "جو - ٥٢" المرابطة في ستالينغراد. وما أن حطت تلك الطائرات داخل "المرجل" حتى أنزل رجالها العتاد والذخيرة،وأفرغوا الوقود الاضافي من أجنحة طائراتهم لسد حاجة الجيش السادس الى الوقود. وفي ذلك اليوم وحده أنزل نحو مئة طن من الامدادات الحيوية. وذلك بث الشجاعة في باولوس وأقنعه بأن سلاح الطيران الالماني على وشك أن يفي بتعهده. لكن ذلك لم يتحقق. وعاد الطقس شنيعاً كما كان، ولم تتمكن الطائرات من شق طريقها الى الجيش المحاصر في اليومين التاليين.

ولكن على رغم الحصار بقي الجيش السادس محافظاً على نظامه وتنظيمه الممتازين. فالثلج كان يجرف دائماً عن الطرق الرئيسية، ومستودعات الوقود والطعام تسوزع المؤن المقننةعلى نحو بارع، والمستشفيات تؤدي عملها بأقل ما يمكن من فوضى، على رغم معالجتها ١٥٠٠ اصابة يومياً. ومن قاعدة بيتومنيك الجوية كانت طائرات "جو - ٥٢" و"هي - ١١١" تنقل ٢٠٠ جريح يومياً تحت أعين الاطباء اليقظة منعاً لفرار المتمارضين.

هذا كله يعني أن الجيش السادس كان يؤدي مهماته على نحو غير متوقع في تلك الظروف العصيبة. إلا أن علامات التهافت الوشيك كانت غير خافية. وفي ٩ ديسمبر (كانون الأول) سقط جنديان وماتا بسبب المجاعة.

"بعد الشتاء، ربيع آخر"

إن هتلر لم يترك الجيش السادس وشأنه نهائياً. ففي ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) أرسل الفيلد مارشال اريك فون مانشتاين، الذي أحرز الانتصار على فرنسا، لمعاونة باولوس، موكلا اليه فتح منفذ جنوبي تصل منه الامدادات الى الجيش السادس. لكن الفوهرر لم يطلب الى مانشتاين، في مراحل مهمته جميعاً، اخراج الجيش السادس من مكانه.

غير أن مانشتاين لم يباشر مساعيه المقيمة قبل ١٢ ديسمبر (كانون الأول). ذلك أن هجومه الى الجنوب

اوقف بأمر من هتلر وهو على وشك تحقيق غايته. وكانت ذريعة هتلر أن قوات مانشتاين ينبغي أن تهب لنجدة الجيش الايطالي المتراجع في الشمال.

وفي ذلك الوقت تحولت السهوب مدرجات للطائرات المتحطمة والمعطوبة. وكان عدد الطائرات المرسلة يومياً كبيراً، إلا أن معظمها لم يصل الى "المرجل" ليس بفعل رداءة الطقس فحسب، بل لأن الطائرات الروسية والمدفعية المضادة للطائرات ما انفكت تعترض الطائرات الالمانية على نحو متكرر، فترغمها على الانسحاب أو السقوط.

وأدى الخطأ البشري الى سلسلة اخرى من الاحداث المؤسفة. ومن تلك الاحداث ما نجم عن عدم سماح قيادة سلاح الطيران الالماني لضباطها بالاشراف على تحميل الطائرات. فقد كان الجنود الذين هدتهم المجاعة يفتحون الصناديق في قاعدة بيتومنيك الجوية فيعثرون فيها على مواد لا علاقة لهم بها. وذات يوم وجدوا الوفاً من أغطية السيلوفان التي تقذف بها القنابل اليدوية، لكنهم لم يعثروا على أي قنبلة. وفي يوم آخر تلقوا أربعة أطنان من المردقوش والفلفل وقت كانوا يأكلون الفئران حفاظاً على حياتهم. حتى لقد بلغتهم شحنة من ملايين الاصابع العازلة لمنع الحمل.

في تلك الاثناء كان الالمان في ستالينغراد يعانون نقصاً رهيباً في البروتيين. وذات يوم صادف الكابتن هاينز نايست (٣١ عاماً) ضابطاً ابتسم بمكر وقال: "أتريد شيئاً تأكله؟" فقبل نايست الدعوة بسرور، وجلس أمام صحن مليء بالبطاطا واللحم والمرق. ونظر الى الصحن وهو لا يصدق ما يراه، فبادره زميله بالآتي: "صدقني أنه ليس لحم انسان." وازدرد نايست كل ما يحتويه الصحن. وبدا من طعم اللحم أنه عجل. ولم يستفسر نايست عنه إلا بعدما أتى عليه. فأجابه زميله أنه آخر كلب دوبرمان لديه.

وفي ١٨ ديسمبر (كانون الأول) تفقد باولوس الجبهة. وشعر بالغم إذ شاهد جنوده يعانون ضعفاً جسدياً بيناً. وكانوا يمشون بمشقة ولا يكترثون للاوامر. وضمرت وجوههم وغارت العيون في محاجرها، وكانوا يحدقون أمامهم كما في فراغ. وعاد باولوس الى مقره مثبط العزم وجلس يكتب الى زوجته كوكا. ولم يكن باولوس بالرجل الذي يلقي همومه على الآخرين. لذلك اكتفى بالاسئلة العادية عن حالها وحال الاولاد، وختم الرسالة بعبارات متفائلة: "صحيح أننا نعاني بعض عسر الآن، لكننا سنتغلب عليه. وبعد الشتاء سيأتي ربيع آخر."

وجبة صارمة

تحمل أفراد الجيش السادس التقنين الغذائي والصقيع على نحو بطولي، يحدوهم الأمل بأن مانشتاين آت اليهم سريعاً. إلا أن عيد الميلاد جاء وقد أدركوا أن "المرجل" قد يكون ضريحاً لهم.

وأمضى الجنود الالمان ساعات العيد الاخيرة في وحدتهم الموحشة وهم ينقلون ابرة الراديو من موضع

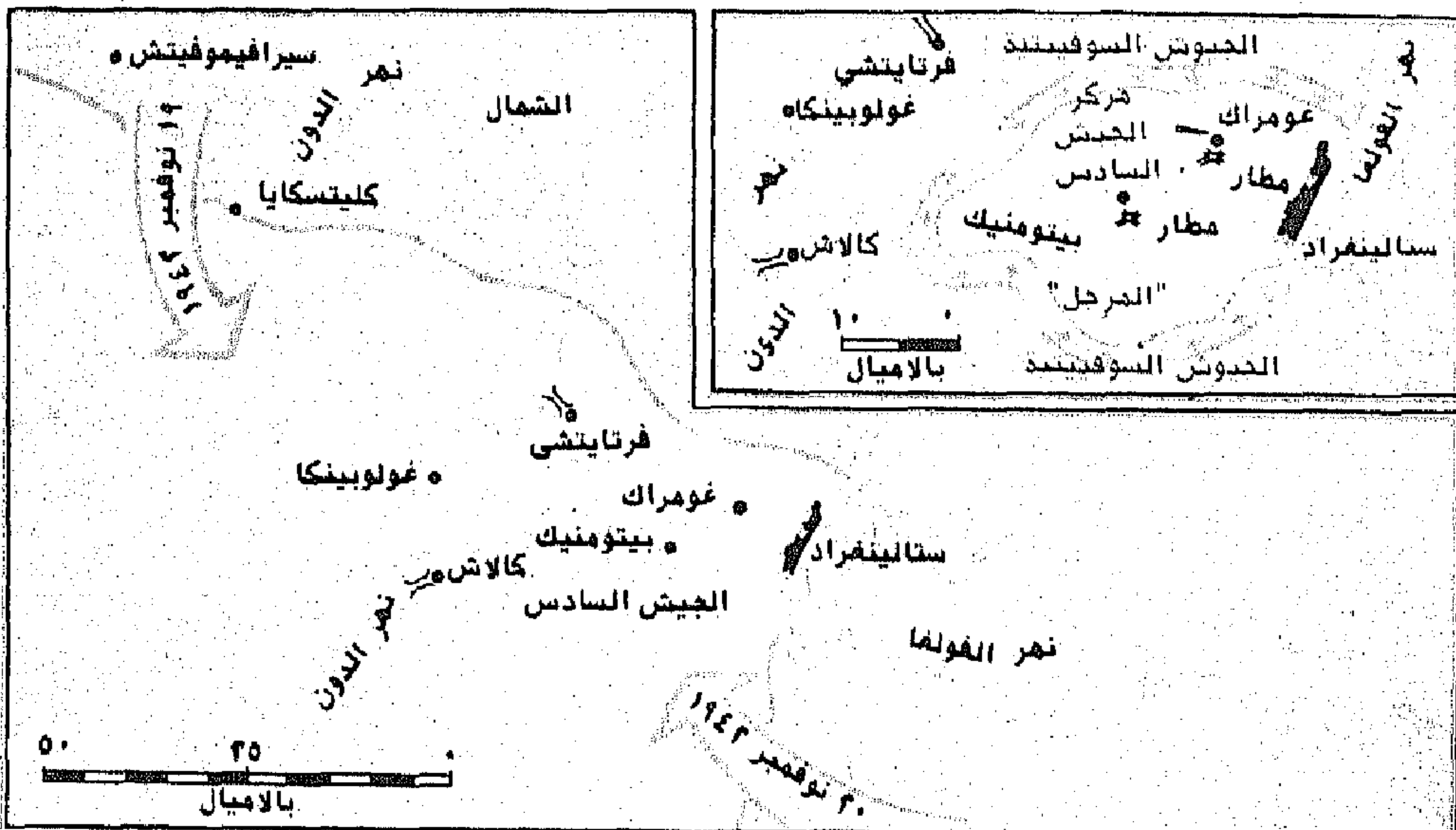
الى آخر علهم يلتقطون خبراً من بلادهم على الموجة القصيرة. وأخيراً عثروا على اذاعة وزير الدعاية الالماني جوزف غوبلز، التي قيل انها تبث من حدود الرايش الثالث.

وانطلق صوت الراديو عبر الاثير: "ها نحن نتكلم من نارفيك." وتبع ذلك غناء لبعض الجنود المرابطين في ذلك المرفأ النروجي. وأضاف الصوت: "والآن، نحن في تونس." وتلا ذلك هتاف محلي ثم غناء. وفجأة قال غوبلز: "والآن، من ستالينغراد." وفيما نظر آلاف الجنود داخل "المرجل" بعضهم الى بعض مذهولين، سمعوا من الراديو موسيقى مبهجة تؤكد للمواطنين الالمان أن الامور تجري كما يرام على ضفاف الفولغا.

والواقع أن قوة الجيش السادس الجسدية والنفسية بدأت تنهار. وجاء التقنين الصارم الذي فرضه باولوس على وجبات الطعام ليفاقم الوضع. ولم يكن أمام الجنرال المحاصر خيار آخر. لكنه انتظر مرور عيد الميلاد قبل أن يعلن القانون الجديد: "خبز: ٥٦ غراماً يومياً. للغداء: حساء من غير مواد دهنية. للعشاء: علبة لحم اذا أمكن. وفي حال عدم وجودها، المزيد من الحساء."

وكان هذا التقنين الصارم بمثابة رصاصة الرحمة توجه الى قوة الجنود المتضائلة. وكان باولوس يعي ذلك، وذكر قادته مرة اخرى بأن الجيش السادس على وشك الانهيار: "اطالب بتدابير فعالة للخلاص السريع من هذه الورطة... إلا إذا كانت المسألة تستحق التضحية بجيش كامل."

وذلك كان الاعتراف الأول من جانب باولوس بأن الجيش السادس ربما كان كبش فداء في يد هتلر. وبلغ عدد الجنود الذين ماتوا داخل "المرجل" يوم عيد الميلاد وحده ١٢٨٠ رجلا. ومع اقتراب رأس السنة سدت الطريق الى بيتومنيك بالثلج.



ومن الزوار الذين كانوا يترددون على القاعدة الجوية ضابط الاتصال لدى هتلر الميجور كولتسين فون زيتزيفيتز، وهو لم يكن ممن يسترون الوقائع، بل كتب تقارير يصف فيها الكارثة التي عاينها، وتجول من مكان الى آخر على طول الجبهة وعرضها، فدخل الخنادق الامامية والمستشفيات والمستودعات والغرف الرطبة تحت الارض، حيث تفشت أمراض كثيرة بين الجنود، وهناك رأى الجرذان والفئران تعض الاصابع الميتة في اقدام الجنود التي شلها الصقيع.

ولم يترك الميجور شاردة أو واردة إلا جاء عليها كي ينبه هتلر الى حقيقة ما يجري داخل روسيا، إلا أن تقاريره كان لها أثر غير متوقع في مقر قيادة الفوهرر في بروسيا، وأعلن الماريشال هيرمان غورينغ لدى الاطلاع عليها: "لا يعقل أن يكون أي ضابط الماني مسؤولا عن تقارير انهزامية من هذا القبيل، والتفسير الوحيد الممكن أن العدو صادر جهاز الارسال ووجه التقرير بنفسه." وهكذا أغفلت تقارير زيتزيفيتز على أنها دعاية روسية مضادة.

وفي العاشرة من ليلة ٣١ ديسمبر (كانون الأول) انطلقت المدافع الروسية حول "المرجل" تحية لرأس السنة، وكان سطح الفولغا استحال جليداً وراحت مئات الشاحنات تعبره يومياً محملة بالجنود والطعام، وامتلأت الخنادق الروسية على طول خط القيصرة الدفاعي بالمعلبات الامريكية، وتدفقت الذخيرة بحيث بات الروس يطلقون المدافع المضادة على كل الماني يشاهدونه.

وفي يوم رأس السنة عاد الانضباط الى الجيش الروسي الثاني والستين وقد أنعشته التعزيزات، ونظم الضباط حفلات من التمثيل والموسيقى والباليه، أحياها الفنانون الذين قصدوا الى ستالينغراد تكريماً لجيشهم، وبلغت الحماسة من عازف الكمان ميخائيل غولدشتاين حداً جعله يترك فرقته ويذهب الى الخنادق الامامية ويعزف منفرداً امام الجنود.

ولم يكن غولدشتاين رأى ساحة معركة مثل ستالينغراد التي مزقتها القنابل وملأتها الهياكل العظمية للجياد التي التهمها العدو بعدما نفقت، ودفعته الصدمة الى العزف ساعة بعد ساعة على مسامع اناس شنفت آذانهم الموسيقى، وعلى رغم أن الحكومة السوفييتية حظرت جميع الاعمال الموسيقية الالمانية، إلا أن غولدشتاين عرف أن المفوضين السياسيين من شأنهم غض النظر عن ذلك التدبير ليلة رأس السنة، ووصلت الانغام عبر مكبرات الصوت الى الناحية الاخرى، فتوقف القصف فوراً.

ولما فرغ غولدشتاين من أدائه، ران صمت عميق على الجنود الروس، ما لبث أن قطعه صوت آت عبر المذياع من الجانب الالماني، وقال الصوت بالروسية: "نرجوك أن تعطينا المزيد من باخ، ولن نطلق النار." وتناول غولدشتاين الكمان من جديد، وراح يعزف قطعة غافوتية راقصة.

عالم الأموات

في مطلع يناير (كانون الثاني) وجهت مراكز المراقبة الالمانية في الناحيتين الغربية والجنوبية من

"المرجل" رسائل انذار حول القوة الروسية المتزايدة· غير أن الالمان لم يستطيعوا امداد الجيش السادس بالمؤن والرجال قبل حدوث هجوم فعلي·

وعلماً منهم بعجز العدو التام، أقام الروس مطابخ كبيرة في الجبهة تنبعث منها روائح الطعام الشهية الى الجانب الالماني· وكان في ذلك عذاب للالمان أسوأ مما انطوت عليه رؤية الدبابات والمدافع·

وبدأ الهجوم عند الثامنة من صباح ١٠ يناير (كانون الثاني)، وهو اليوم الثامن والاربعون الذي مر على الالمان داخل "المرجل"· وانطلق سبعة آلاف مدفع معاً· وبعد ساعتين طوق القصف الجبهة الالمانية من كل ناحية· وفي آخر النهار كان الجيش السادس يشق طريقه نحو ستالينغراد وقد انهارت معنويات جنوده بعد إبادة ثماني فرق كاملة· الا أن الفرقة المصفحة التاسعة والعشرين وحدها حافظت على القوة الكافية لضرب العدو في الناحية الغربية من الجيب· وبعد أيام سيطر الروس على قاعدة بيتومنيك الجوية وباتت النهاية وشيكة·

وبفقدان قاعدة بيتومنيك، استخدم الألمان مطار غومراك في طرف ستالينغراد الذي غص بآلاف الجرحى· وهبت الشاحنات تنقل الرجال المصابين الى المستشفيات التي عجزت عن استقبالهم جميعاً· فقضى بعضهم في الخارج، على بعد أمتار من غرف العمليات، حيث هبطت الحرارة الى ٣٠ درجة تحت الصفر·

وعندما حط طيار أرسلته القيادة من المانيا في مطار غومراك صبيحة ١٩ يناير (كانون الثاني)، استدعي فوراً الى قيادة الموقع حيث بادره باولوس صائحاً: "لماذا وعدتنا قيادة الطيران بارسال تعزيزات دائمة؟ لو قالوا لي ان هذا مستحيل، لكنت اخترقت جبهة العدو عندما كان وضع جيشي يسمح بذلك·"

وأضاف باولوس بعدما أسكت الضابط الذي حاول ايضاح الأمر: "اننا نتكلم من عالم آخر غير عالمكم، من عالم الأموات·وإن وجودنا، منذ الآن، سيكون في كتب التاريخ فقط·"

وفي ٢٢ يناير (كانون الثاني) حاول باولوس اقناع هتلر بأن الاستسلام هو المهرب الوحيد· لكن الفوهرر رفض قائلا: "الاستسلام مستحيل· والجنود سيدافعون عن مواقعهم حتى النهاية·" وللحال غادر غومراك، متجهاً الى قبو في ستالينغراد·

في اليوم نفسه شاهد الكابتن غيرهارد مونك الذي كان أول من شق الطريق قبل أشهر الى ستالينغراد، منظراً لم يبارح مخيلته· فقد تلقى أمراً بمغادرة "المرجل" وتسليم مكانه لعناصر جديدة مختصة· وما أن حطت ثلاث طائرات "جو ـ ٥٢" في مطار غومراك حتى تدافعت اليها حشود من الجرحى سدت أبوابها· وراح قويهم يرفس الضعيف حتى غصت بهم الطائرات·

وصعد مونك الى طائرته فيما كانت شظايا المدافع الروسية ترجم الجنود·وتأهب الطيار للاقلاع، لكنه لم يستطع· ونظر مونك خارجاً ليرى نحو خمسين رجلا تعلقوا بجناحي الطائرة· ثم زادت الطائرة سرعتها،

فسقط الجنود واحداً بعد آخر، وارتفعت الطائرة مبتعدة عن الفولغا.

وفي صباح ٢٤ يناير (كانون الثاني) غدت الطريق الى ستالينغراد "معبراً للموت" كما دعاها سائقو الساحنات الذي اجتازوا تلك الكيلومترات الثمانية المغطاة بالثلوج والدماء التي خلفها أفراد الجيش السادس الهاربون الى نقطتهم الاخيرة. وكانت سراديب المدينة القاتمة آنذاك تحوي أكثر من مئة ألف جندي الماني.

وراح الالمان ينصتون بخوف من أقبيتهم، علهم يسمعون وقع خطى الجنود الروس. لكن هؤلاء راحوا يصرفون الوقت بهدوء وهم يتنقلون بحذر في متاريسهم المغطاة بالثلج. وفي معارك جانبية كثيرة في أزقة المدينة استسلم عدد من الجنود الالمان.

وثمة من الالمان من نسي خوف الحرب وهو في صراعه ضد القمل. فقد ملأت تلك الحشرات الرمادية السراديب وأخذت تتكاثر بفعل القذارة. وغطت الجنود من رؤوسهم حتى أقدامهم وجرتهم الى شفير الجنون.

وانتقلت قيادة الجيش السادس الى مخزن "يونيفرماغ" الضخم في الساحة الحمراء. وكانت المباني حول الساحة كلها خربة من داخل. وتسلل باولوس بين تلك الابنية حتى بلغ سرداب المحل. وبينما كان معاونوه يقيمون مكاناً للاتصالات، أوى الجنرال الى مهجع تلفه الستائر ويحوي سريراً نقالا ويدخله نور ضئيل من نافذة مقطعة.

وفي الحامية العسكرية الرئيسية التي حولت مستشفى يبعد نحو ١٦٠٠ متر شمال "يونيفرماغ"، اضطجع ثلاثة آلاف جريح الماني تحت رحمة ريح جليدية اخترقت شقوق الجدران. وفي غياب العقاقير الكافية، وضع الاطباء المرضى الاسوأ حالا في أمكنة معرضة للصقيع كي يموتوا أولا.

وكانت جثث القتلى تطوق المبنى وترتفع نحو مترين. وكلما توقف الجنود خارجاً طالبين الطعام، كانوا يحصلون عليه في مقابل حمل الجثث بعيداً ورصفها بعضاً فوق بعض.

وفي ليل ٢٨ يناير (كانون الثاني) انصبت مدافع الروس على المبنى وأشعلت فيه النار. واستحال المستشفى جحيماً وسقطت أجزاء كاملة منه الى الشارع. ووصف بعض الشهود لاحقاً كيف عاينوا الجرحى وهم ينتزعون الضمادات الملتهبة بجنون.

وفي سراديب كثيرة سعى الجنود الى مسدساتهم وأفرغوا رصاصها في صدوغهم. وانتقل القمل الذي عاش على أجسادهم أسابيع الى أجساد اخرى دافئة ما زالت الحياة تسري في عروقها.

وأخيراً، في ٣٠ يناير (كانون الثاني)، ذهب آمر الفرقة الحادية والسبعين الى باولوس قائلا: "فرقتي لا تستطيع المقاومة أكثر. الدبابات الروسية تقترب من المخزن، والنهاية وشيكة."

وتوجه باولوس نحو سريره وقد جلس على طرفه معاونه الكولونيل فيلهلم آدم. ومرت دقائق من غير أن يتفوه أحدهما بكلمة، الى أن قال

آدم: "سيدي، يحسن أن تنام الآن استعداداً للمثول أمام المحكمة غداً."

وبعيد منتصف الليل تمدد باولوس على سريره وغفا، فيما خرج آدم ليسأل آمر الفرقة الحادية والسبعين عن الامور المستجدة. وأجابه هذا: "هناك دبابة حمراء مرابطة في شارع مجاور وقد صوبت مدفعها نحونا." وأطلعت الجنرال شميت على المسألة، فقال ان الدبابة يجب ألا تطلق النار مهما كان الثمن. وهذا يعني أن على المترجم أن يذهب الى آمر الدبابة وهو يحمل علماً أبيض، ويطلب اليه التفاوض."

وعاد آدم الى غرفته ووقف يحدق الى قائده النائم. وقد تطورت العلاقة بينه وبين باولوس بحيث بات يجله ولا يرى هفواته. وراح آدم يعرض المراحل المشرقة التي حفلت بها حياة سيده العسكرية الرائعة. وكان باولوس شخصاً شريفاً أخضع ارادته كلياً لاوامر هتلر مما أفقده السيطرة على مصيره.

"هذا ينهي الأمر"

بذل الفوهرر جهداً أخيراً لمحو بعض معالم الكارثة، وهو اغداق الترقيات على كبار ضباط الجيش السادس، وأهمها الترقية التي نالها باولوس وهي لقب "فيلدمارشال" أي مشير. ومعروف أن أياً من الضباط الالمان الذين يحملون هذا اللقب لم يستسلموا في المعارك. وكان ذلك ايعازاً الى باولوس بالانتحار.

إلا أنه لم يقدم على الانتحار. وقبل الفجر خرج مترجمه الى الساحة القاتمة واتجه نحو الدبابة الروسية التي وقف في برجها ضابط سوفييتي شاب هو الملازم فيودور يلشنكو. وبادره الالماني: "قائدنا يود الكلام مع قائدكم."

فأجابه يلشنكو وهو يهز رأسه: "قائدنا لديه امور اخرى، وهو ليس هنا. وعليكم البحث معي."

وبعد الاتفاق على ثلاثة ممثلين روس، سارت الجماعة الى سرداب "يونيفرماغ". وطلب شميت الى الروس أن يعاملوا باولوس كأسير مميز ويرافقوه في سيارة لحمايته من غضب جنودهم. ووافق يلشنكو. وبعد ذلك أخذوه الى حيث باولوس. ودخل عليه وهو غير حليق، لكنه كان في بزته العسكرية الكاملة.

ولم يضيع الضابط الروسي وقتاً على الشكليات، لكنه بادر باولوس بقوله: "حسناً، هذا ينهي الأمر." وبعد ذلك حياه. ونظر المشير الالماني المهزوم الى عيني الضابط الروسي وهز رأسه ببؤس.

وهكذا انتهت معركة ستالينغراد.

وفي خمسة أشهر من القتال تحول ٩٩ في المئة من المدينة ركاماً. وهدم ٤١ ألف منزل و٣٠٠ مصنع و١١٣ مستشفى ومدرسة. إلا أن الضريبة البشرية كانت أعظم. فهذه المعركة، بضحاياها الذين بلغ عددهم المليونين من رجال ونساء، هي أكبر معركة دموية سجلها التاريخ.

وقد بلغت ضحايا الجيش الأحمر ٧٥٠ ألفاً بين قتيل وجريح ومفقود. وخسر الالمان نحو ٤٠٠ ألف جندي، والايطاليون أكثر من ١٣٠ ألفاً، والمجريون والرومان قرابة ٣٢٠ ألفاً.

أما بالنسبة الى المدنيين، فقد



المارشال فردريك باولوس بعد استسلامه، والى اقصى اليمين الكولونيل فيلهلم آدم.

أجري احصاء سريع تبين فيه أن ١٥٠٠ شخص بقوا في ستالينغراد من أصل نصف مليون نسمة. ومعظم الذين فقدوا ماتوا في أيام المعركة الاولى أو غادروا المدينة متخذين منازل وقتية في آسيا. ولا أحد يعرف عدد القتلى المدنيين بالضبط، لكن الرقم صاعق بلا ريب.

وتجدر الاشارة الى أن النسبة الكبرى من قوات المحور لم تقض في ساحة الحرب. وعندما استسلم الجيش السادس، أخذ الروس ما يزيد على ٥٠٠ ألف أسير من ألمان وايطاليين ومجريين ورومان. وخلال فبراير (شباط) ومارس (آذار) وابريل (نيسان) من العام ١٩٤٣ قضى ٤٠٠ ألف أو أكثر من هؤلاء، وقد لقي معظمهم حتفهم بعدما تركهم الروس يعانون المجاعة.

وبعد حسم معركة ستالينغراد، اتجه الروس غرباً بتصميم ودخلوا برلين مباشرة. ولا تزال قصة عبورهم الملحمية الى قلب المانيا حديث الاجيال. والحق أن الطريق التي قطعها الاتحاد السوفييتي نحو العظمة، أي نحو كونه قوة عالمية، بدأت على ضفاف الفولغا.

وعلى تلك الضفاف عينها شهدت المانيا النازية بداية نهايتها الفاجعة. وأخذ اليأس طريقه الى قلوب الكثيرين الذين طالما هتفوا بحياة الفوهرر في الاجتماعات الحزبية الحاشدة.

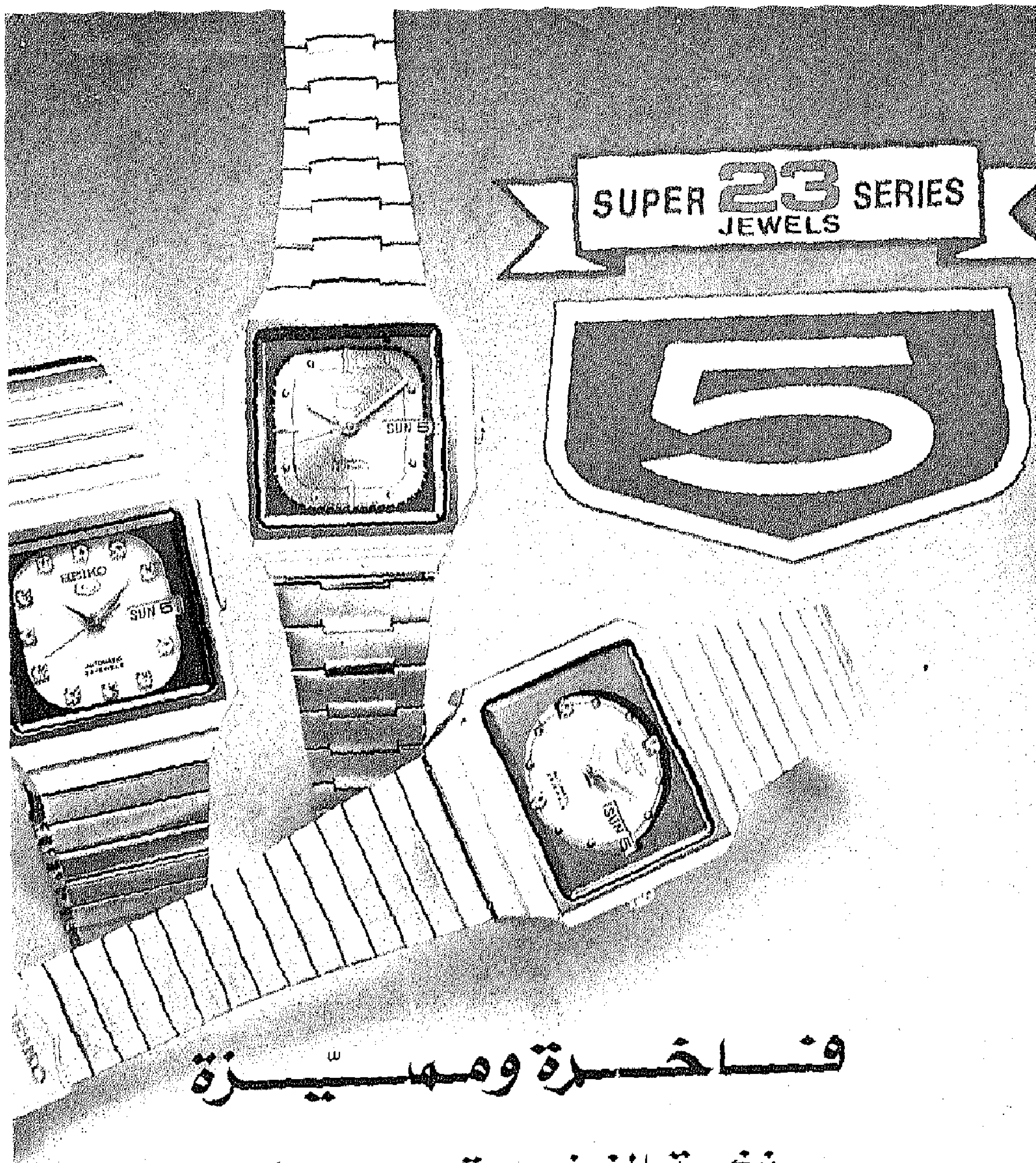
ولكن، في عبارات عسكرية صرفة وبسيطة، لا بد من القول ان سلوك الالمان، جنوداً وضباطاً، كان خارقاً.

وفي العام ١٩٤٤ تجول الجنرال شارل ديغول بين حطام المدينة الذي لم يرفع كله، ثم توجه الى موسكو لحضور استقبال. وهناك سأله مراسل صحافي عن الانطباع الذي خلفه المشهد لديه، فأجاب: ستالينغراد؟ انه شعب عظيم! عظيم حقاً."

ووافق المراسل وأضاف: "أجل، الروس..."

غير أن ديغول قاطعه فوراً بقوله: "اني لا أتكلم عن الروس، بل أعني الالمان. أليس عظيماً أن يكونوا تقدموا الى هناك؟"

■ وليم كريغ



نخبة النخبة ، مجموعة
سيكو "٥" الرجالية الممتازة ذات الـ٢٣ حجرًا

فاخرة بأحجارها الثلاثة والعشرين ودقة حركتها . مميّزة بتصميمها الأنيق وقيمتها الفريدة . تلك هي مجموعة سيكو "٥" الممتازة للرجل الذي يحسن الاختيار .

• أوتوماتيكية • ضد الماء • روزنامة باليوم والتاريخ
• مقاومة للصدمات • تصميم متفوق

سيكو

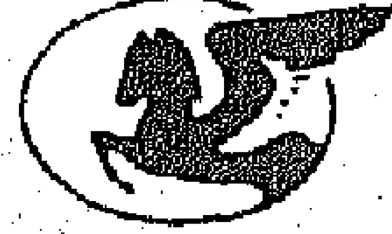
SEIKO



تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٨٢ ـ ذو الحجة ١٤٠٢

المختار





من ريدرز دايجست

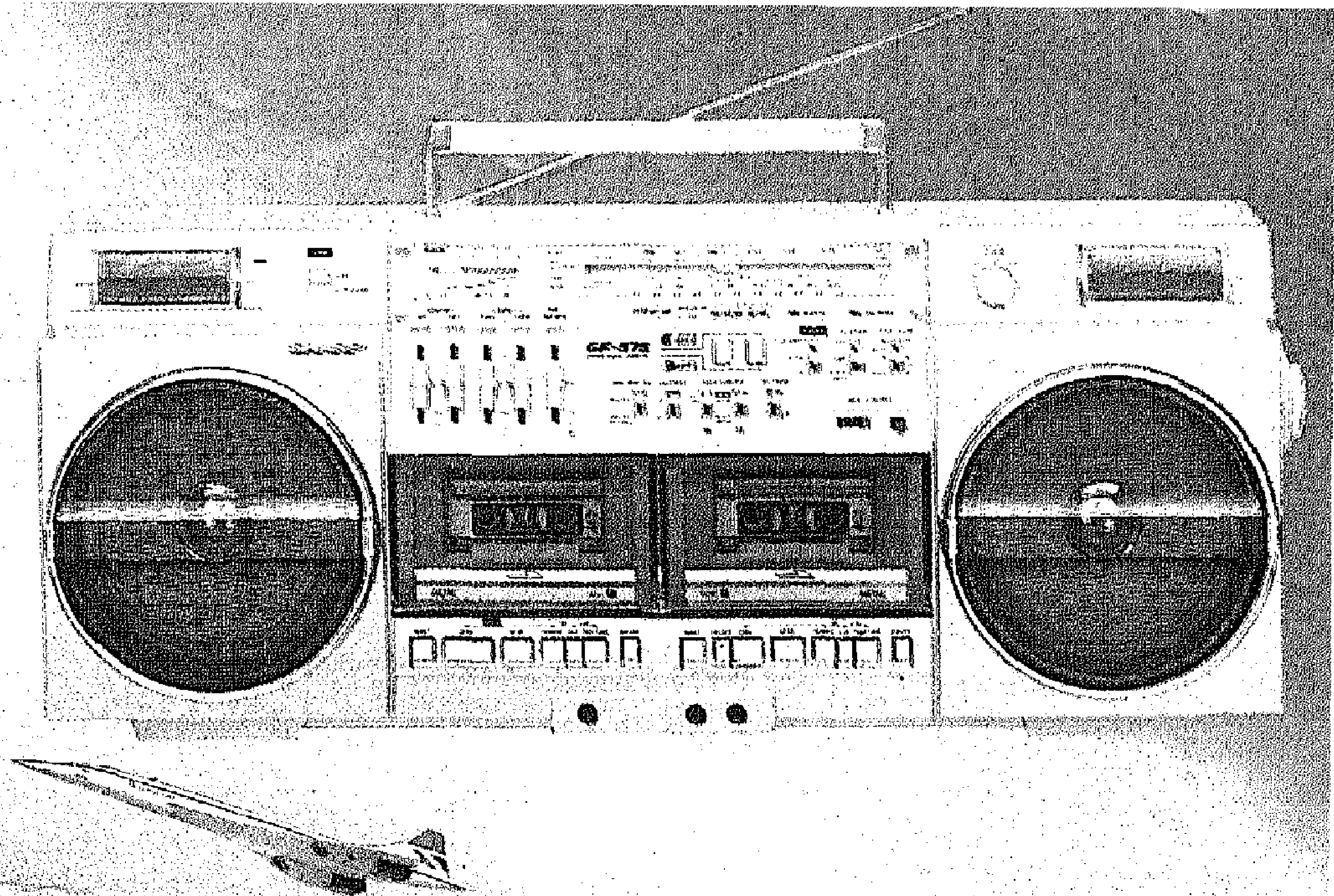
الغيرة دليل الحب؟
(ص ١٨)

السلاح: ديبلوماسية الحديد والنار
(ص ١٣)

الارهاق: لا تتجاوزوا الخط الاحمر
(ص ١٠٣)

لبنان ٥٠٠ق ـ سوريا ٦٠٠ق ـ الاردن ٥٠٠ف ـ الكويت ٥٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٧د ـ قطر ٦ر ـ البحرين ٦٠٠ف ـ السعودية ٧ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ٧٠٠م ـ ليبيا ٧٠٠د ـ اليمن ٧ر ـ مسقط ٦٠٠ب ـ العراق ٦٠٠ف ـ تونس ٥٠٠م ـ المغرب ٥د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ٧ف ـ أنكلترا ٧٥ب ـ اليونان ١٠٠د ـ كندا وأمريكا الشمالية ٢,٥٠د

AL-MUKHTAR min Reader's Digest October 1982 N° 47



إقتسم وقت دبلجتك إلى النصف.
ضاعف متعتك الموسيقية.

دبلجة شارب فائقة السرعة تجعلك مهندس التسجيل بنفسك.

لاعطائك متعة اكبر من موسيقاك ووقتا اكثر للاستمتاع بها انتجت شارب اول راديوكاسيت اوحد بدبلجة فائقة السرعة.

يمكنك الآن الدبلجة من شريط واحد لآخر واضافة او قطع موسيقاك المفضلة او الصوت من شريط مسجل سلفا. فان GF-575Z من شارب لا يقوم بجميع هذه العمليات فحسب بل يفعل ذلك فى نصف الوقت!

مزيدا من الوقت للاستماع، والتحرير والاستمتاع ـــ «شيء اضافى» من شارب يعمل لاجلك.

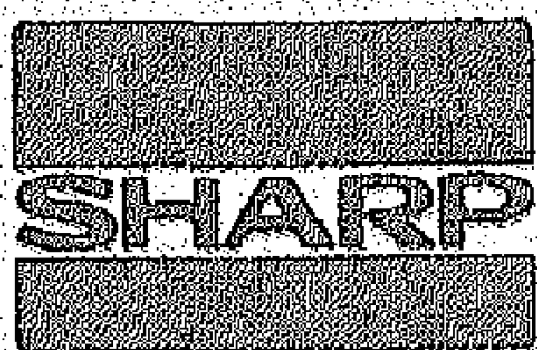
• طاقة ذروة موسيقية ٣٢ وات • تشغيل الشريط ناعم اللمس • نظام ٤ مكبرات للصوت باتجاهين ١٦ سم • ضابطة منفصلة للنغم العميق/عالى الطبقة

ملحوظة :

قد تتالف المادة السمعية ـ البصرية من انتاج محفوظة حقوقة لا يجوز ان تسجل بدون تفويض من مالك الحقوق. يرجى الرجوع الى القانون المتصل فى بلادك.

GF-575Z

32W (PMPO)



شارب

SHARP

SHARP CORPORATION Osaka, Japan



اكتب واربح

هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية.

الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين. على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرجب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

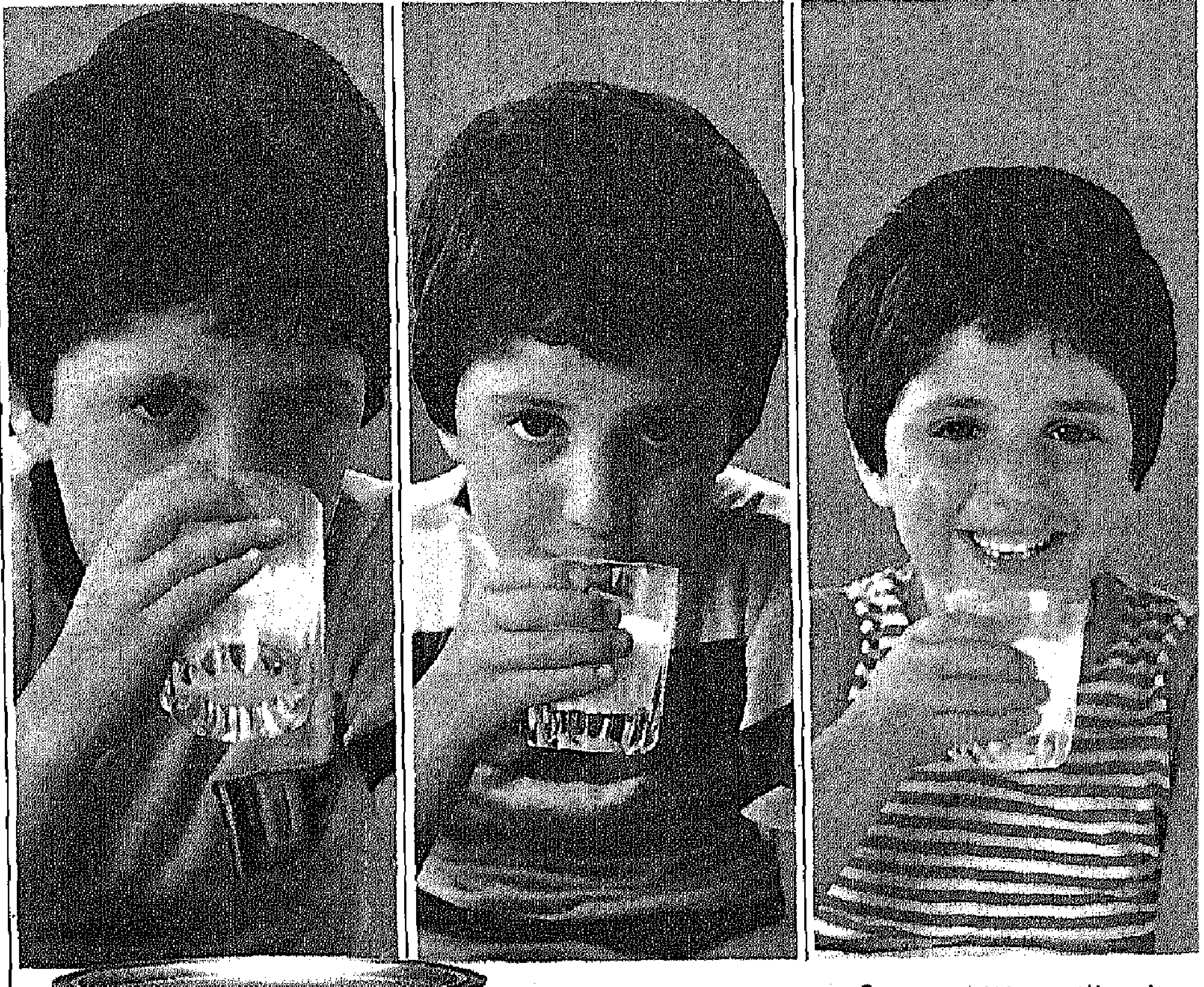
يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

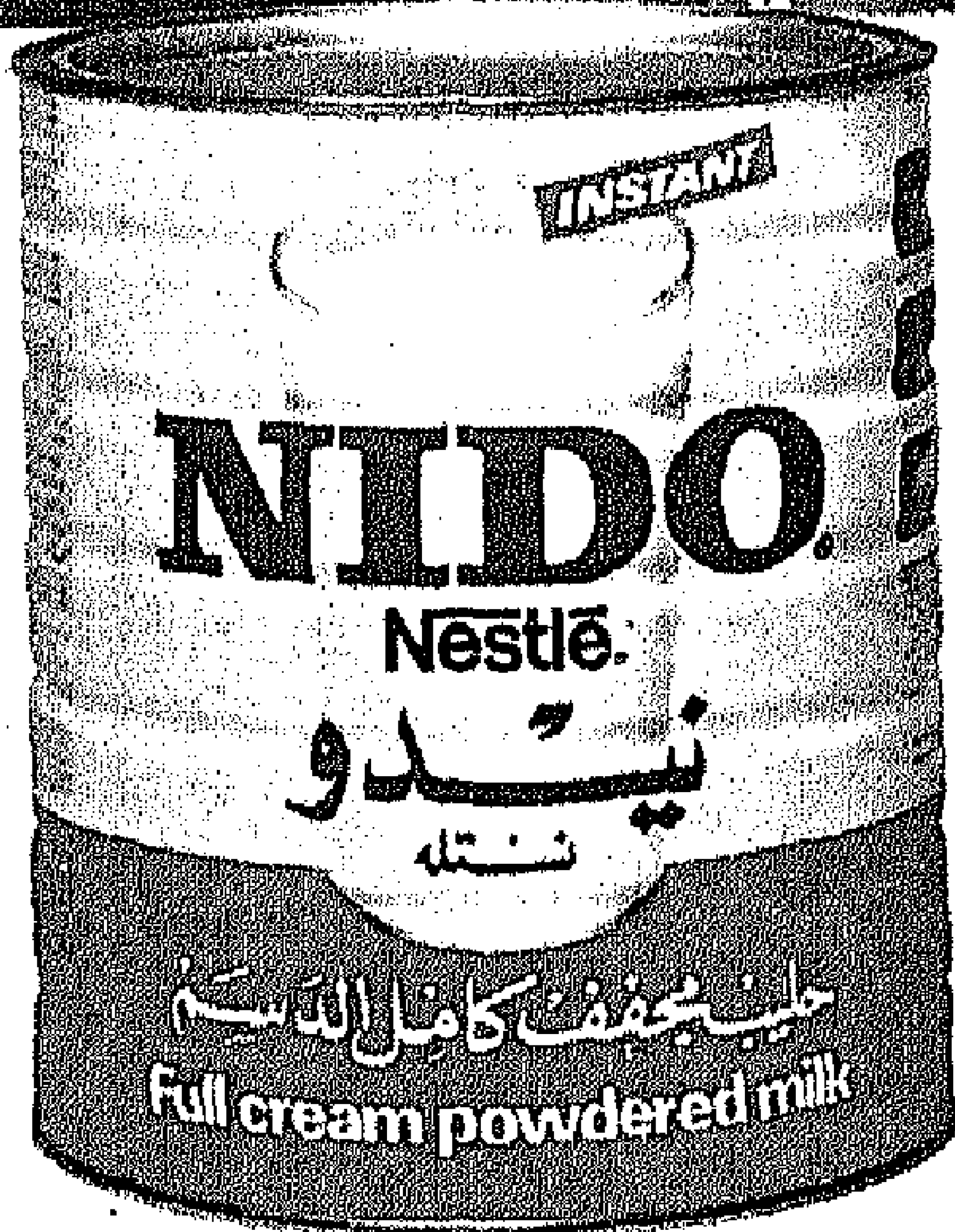
الشروط الشروط الشروط الشروط

● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ولعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة المختار من ريدرز دايجست ـ شارع المقدسي بناية الشرتوني ـ ص ب: ٨٧٠٧ ـ بيروت ـ لبنان.

أمِّنوا لأولادِكم نموًّا صحيحًا





نيدو السريع الذوبان هو حليب كامل الدسم يحتوي على كافة العناصر الغذائية التي توفر لأولادكم نموًّا متكاملاً. فالبروتين والكالسيوم وفيتامينات "أ" و"د" وغيرها من العناصر الضرورية المتوفرة في نيدو السريع الذوبان تجعل عظامهم صلبة وأسنانهم متينة وأبدانهم صحيحة قوية.

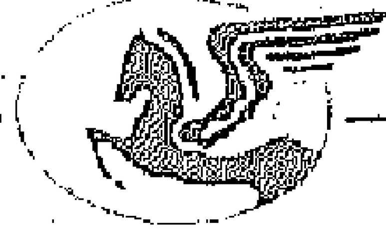
نيدو السريع الذوبان هو حليب بقري صافٍ ونقي من الجراثيم، يخضع قبل تجفيفه وتعبئته الى عدة تحليلات مخبرية دقيقة ليصبح خاليًا من كل شائبة.

نيدو السريع الذوبان طعمه لذيذ، يحضر بسرعة، ويحبه أولادكم باردًا أو ساخنًا في الصباح وفي المساء وفي أي وقت من النهار.

نيدو السريع الذوبان

لينمو اولادكم وينعموا بالعافية

Nestlé. تضمنه نستله



المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: لولو بعاصيري.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس. الناشر: شركة راس الخيمة للمنشورات الدولية ـ بيروت.
الخدمات الصحافية: شركة النهار ش.ت.م.ل. بيروت. التحرير: شارع روما، بناية هاشم، ص.ب ٢٢٦ ـ ١١ التلكس (المؤقت) ANAHAR 22322 LE بيروت. التلفون ٣٤٠٠٥٦ ـ ٣٤٠٠٤٤. الادارة والاعلانات والاشتراكات: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، الطبقة السادسة، ص.ب ٨٧٠٧ ـ ١١، التلكس 22288 LE التلفون ٣٤١٥٩٧ ـ ٣٤٥٧٣١

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest, 37 Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت. الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية، بيروت. التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

تنشر « ريدرز دايجست » في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية اضافة الى العربية.



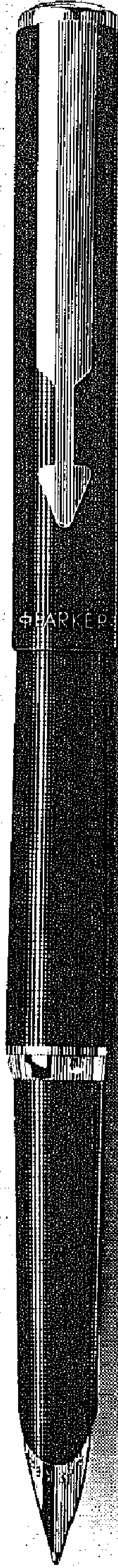
MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

الغلاف: ديوك (هيرنانديز ـ اسبانيا)

AL MUKHTAR min Reader's Digest
October 1982 N° 47 (New Series) Vol. 4



اكثر من ١٠٠ مليون يقراون « ريدرز دايجست » في ١٨٠ بلداً بـ ١٧ لغة.


PARKER



أقلع المنطاد في رحلة استكشافية فوق المحيط. واذ بلغ بقعة نفط مشبوهة دخل سحابة وخرج منها خالياً من ملاحيه

صباح الاحد في ١٦ اغسطس (آب) ١٩٤٢ كان ريكاردو كابوفيلا يتمشى على الشاطىء قرب سان فرنسيسكو (ولاية كاليفورنيا) عندما رأى على بعد ١٥ متراً منطاد مراقبة يجر حبلا طويلا على صفحة المياه. ولم تكن المحركات دائرة كما لم يظهر على المنصة اي ملاح.

اي منطاد هذا؟ امريكي ام ياباني؟ وصل المنطاد الى الشاطىء ودار قليلا في الهواء. ورأى كابوفيلا ما كتب عليه: "البحرية الامريكية ل ـ ٨" ولكن لم يهبط المنطاد هنا؟ وشكله لم يكن عادياً. كانت هناك جعدة في وسطه نتيجة انخفاض الضغط، وكأن عملاقاً داسه.

تدحرجت عجلة الهبوط الوحيدة على الرمال فارتفع المنطاد برفق وحلق فوق رابية عبر الطريق. ولم يلبث ان لامس الارض، وافلتت منه قذيفة عمق

Condensed from The American Legion Magazine (July '78), (C) 1978 by The American Legion, P.O. Box 1055, Indianapolis, Ind. 46206

تدحرجت على الرصيف· وبعد تحرر المنطاد من هذا الثقل، قفز بسرعة الى ارتفاع ٣٠ متراً وانسل بعيداً عن انظار كابوفيلا الذي هرع الى هاتف قريب واتصل بالشرطة·

كانت السيدة هوراس ابلتون في مطبخها في ضاحية دالي قرب سان فرنسيسكو، عندما سمعت ما خيل اليها انه سلاسل ثقيلة تسحب فوق السقف· واظلمت الغرفة وسمعت السيدة صوت تسرب الغاز· وملأ منطاد كبير فسحة السماء التي تظهر من النافذة· وبينما هي تراقب هبوطه في الشارع العام امام منزل وليم موريس، انقطع سلك كهربائي وارسل شرراً في الهواء· وتدلى كيس الغاز على سيارة موريس·

تجمع رجال الاطفاء والشرطة ومراقبو الغارات الجوية وضربوا حزاماً حول المنطقة ليبعدوا حشداً متكاثراً من الناس· ثم تولت الامر وحدات من البحرية والجيش مزودة بالبنادق والحراب· واحدث الاطفائيون ثقوباً كبيرة في كيس الغاز كي يمنعوا المنطاد من التحليق ثانية· وتسلق الاطفائي توماس اوبراين المنصة، فلم يجد عليها احداً· واستغرب ان يرى مزلاج الباب مفتوحاً، ولم يكن قضيب السلامة الذي يسد المدخل في مكانه· وارتمت قبعة ضابط بحري على لوحة القيادة· وكان جهاز الراديو مفتوحاً وصالحاً وقد تدلى فوق الباب مذياع موصول بمكبرات الصوت الخارجية· وكانت مفاتيح اشعال المحرك في وضع التشغيل وخطوط الوقود مفتوحة والوقود متوافراً في الخزان·

هل توقفت المحركات؟ كانت مظلات الهبوط وقارب النجاة المطاطي في مكانها· ولم يكن اي شيء مكسوراً او ساقطاً او في غير موضعه· لا دم ولا ثقوب رصاص ولا رائحة بارود من المدفع الرشاش· وخلف احد المقاعد قبعت حقيبة القبطان الثقيلة المقفلة التي تحتوي اوامر سرية·

ولم يسفر البحث في البحر والجو عن العثور على اي اثر للطاقم المفقود، وبدا كأن افراده خطفوا من المنطاد وهو يحلق· ولكن كيف؟ ومن خطفهم؟ ولأي سبب؟ حتى هذااليوم لا يزال بلا جواب·

بقعة مشبوهة – كان المنطاد "ل – ٨" جزءاً من دورية مناطيد مراقبة دشنت في مارس (آذار) ١٩٤٢ كشبكة أمن لساحل كاليفورنيا تنذر بأي هجوم ياباني وتحدد مواضع الغواصات اليابانية وتغرقها· واطلقت الدورية وسط مخاوف محمومة من غزو ياباني·

وفي يناير (كانون الثاني) دمّر الزورق "تاهو" غواصة عدوة في وضح النهار قبالة فارالونز خارج جسر غولدن غايت في سان فرنسيسكو· وفي اليوم ذاته قصفت غواصة ناقلة النفط "اغويوورلد" قبالة ساحل سانتا كروز· وفي ٢٣ فبراير (شباط) طفت غواصة يابانية في قناة سانتا بربارة ودنت من الشاطىء واطلقت اكثر من ٣٠ قذيفة· وفي الثالثة صباح ٢٥ فبراير (شباط) اشتعلت المدافع المضادة للطائرات عندما حلقت طائرات مجهولة الهوية فوق لوس انجلس·

نتيجة لكل ذلك، شغلت دورية مناطيد المراقبة كنظام دفاع وانذار مبكر.

وكان المنطاد "ل ـ ٨" ذو المحركين ينتمي الى السرب الثاني والثلاثين. وهو جاب دائرة يبلغ شعاعها ٨٠ كيلومتراً. وكان طوله ٤٦ متراً واقصى امتداد لقطره ١٤ متراً وسعته ٣٤٨٠ متراً مكعباً من غاز الهيليوم. وكان مسلحاً بقنبلتي عمق ومدفع رشاش من عيار ٣٠ ميلمتراً. وطار من غولدن غايت الى فارالونز ثم الى بوينت ريس وحاذى الساحل عائداً الى الجسر. وكان يقوم بهذه الدورة بمقدار ما تسمح طاقته من الوقود البالغة ٥٧٠ ليتراً.

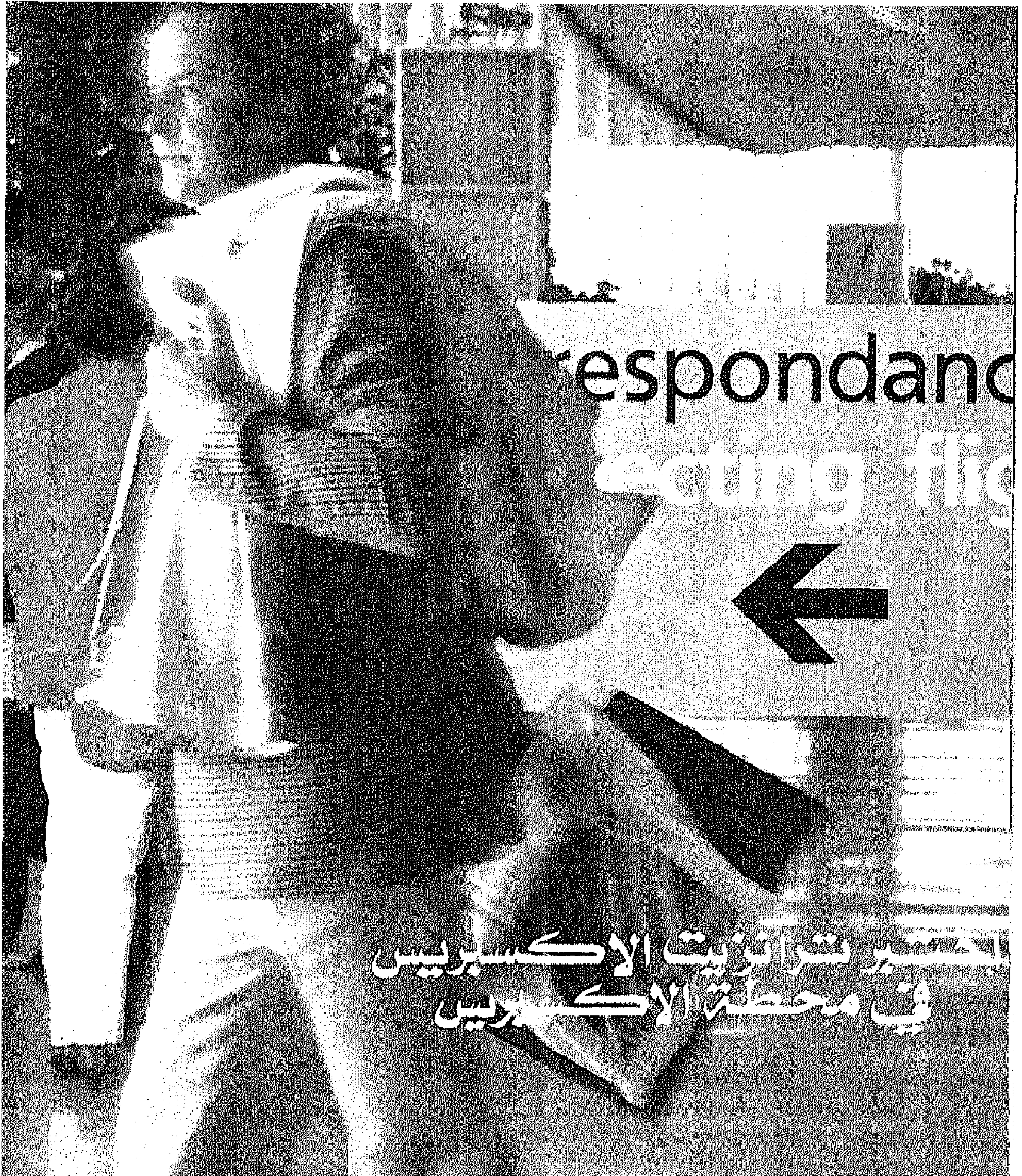
في ١٦ اغسطس (آب) قبيل السادسة صباحاً ادار ملاح ارضي في قاعدة "جزيرة الكنز" محركات "ل ـ ٨"، وفحص اجهزة القيادة واعاد فحصها لمدة ١٥ دقيقة. وبعد برهة وجيزة وصل ميكانيكي الطيران جيمس رايلي هيل وكشف على المنطاد قبل تحليقه. ثم اعتلى الملازم ديويت كودي المنطاد وتبعه الملازم تشارلز ادامز. وكان كودي (٢٧ سنة) احد افضل الطيارين في القيادة وقد سجل ٨٠٠ ساعة طيران في مناطيد غير صلبة. اما ادامز (٣٧ سنة) الذي فوض اليه بالامس فقط القيام بالمهمة بعد قضائه عشرين سنة كمجند، فقد حلق في كل انواع الطائرات والمناطيد البحرية وسجل قرابة ٢٣٠٠ ساعة طيراناً.

"ل ـ ٨" الذي سميت مهمته ذلك اليوم "الرحلة ١٠١" قطر الى المدرج الصغير. ووضع كودي قبعته على لوحة القيادة وحقيبته خلف مقعده، والقم المحركات. ثم التفت الى هيل وامره بمغادرة المركبة. وفتح الميكانيكي الباب وقفز الى المدرج ثم اغلقه خلفه، وراقب "ل ـ ٨" وهو يدرج مسافة ١٣٥ متراً قبل ان يرتفع ويتجه نحو جسر غولدن غايت.

في الساعة ٧،٣٨ اتصل قائد "الرحلة ١٠١" بجزيرة الكنز: "موقعنا على ستة كيلومترات شرق فارالونز. انتظر." وبعد اربع دقائق: "اني اتقصى بقعة نفط مشبوهة انتظر." وكانت هذه آخر رسالة ترد من "الرحلة ١٠١".

الباب المفتوح ـ قبل ذلك بلحظات رأى أ. باكمان، ربان السفينة التجارية "ديزي غراي" بقعتين من الدخان وبعض اللهب على سطح المياه تحت المنطاد مباشرة. واستنتج ان المنطاد القى اشارات تحذير. وفي الساعة ٧،٤٢، وهو الوقت الذي بثت "الرحلة ١٠١" رسالتها الاخيرة، رأى مراقب في السفينة التجارية "البرت غالاتين" المنطاد خلف "ديزي غراي" ببضعة كيلومترات وهو يسقط قنبلة دخان اشارة الى ان هناك غواصة تحته. واطلق القبطان سيروس براون صفارة الانذار ثم راقب المنطاد "ل ٨" يهبط ببطء الى ارتفاع تسعة امتار عن سطح المياه. ولم ير في البحر تحت المنطاد سوى علامات الدخان، واستنتج ان قائد المنطاد رأى حوتاً وهو يقوم بمناورة تدريبية. وحلق المنطاد واستقر على ارتفاع ٤٥ متراً، ودار حول سحابة الدخان ثم ارتفع ببطء نحو الغيوم.

وقبيل الحادية عشرة صباحاً كانت



respondanc
ecting flig
ترانزيت الإكسبريس
في محطة الإكسبريس

طائرة لشركة بان اميريكان تحلق في المنطقة، فرأى قبطانها المنطاد على بعد حوالى خمسة كيلومترات من جسر غولدن غايت وهو يحلق على ارتفاع ثلاثين متراً وقد انتفخ على نحو كامل وبدا تحت سيطرة تامة. كما رآه قبطان الطائرة العسكرية "ب - ٣٨" في الوقت ذاته تقريباً، ولم يلحظ فيه اي امر غريب. وبعد دقائق، بينما كانت طائرة دورية بحرية تحلق على ارتفاع ٦٠٠ متر، ظهر "ل - ٨" الى يمينها. وسبح المنطاد الى جانب الطائرة برهة ثم دخل السحاب ثانية.

اول شخص رأى المنطاد بعد ذلك كان ريكاردو كابوفيلا.

لم تجد البحرية اي تفسير لتوقف محركات المنطاد. اما الباب فيحتمل ان يكون الملاحان فتحاه والا فكيف فُتح من الخارج؟ والدليل الغريب الوحيد على متن المنطاد هو ان مكبر الصوت للمذياع الخارجي حول الى وضع "تريث". فإما ان يكون كودي وادامز تكلما مع احد ما في الخارج واما انهما كانا يستعدان لذلك. ولكن مع من؟ واين؟ في الماء؟ على الشاطىء؟ في السحاب؟

كان هناك احتمال بعيد ان الرجلين سقطا من الباب المفتوح. ولكن لم تكن هناك ريح قوية ولا بحر هائج في ذلك اليوم. ولم يُشاهد اي منهما يسقط. ولم يعثر على جثتيهما في الماء او على الشاطىء.

وبعد انقضاء سنة اعتبر كودي وادامز متوفيين. وما زال اختفاؤهما لغزاً بعد اربعين سنة.

■ لاري انغلمان



الصوت والصورة

لماذا لا نتعرف على صوتنا حين نسمعه مسجلا على شريط، في حين نتصور أننا نميز وجهنا لدى رؤيته في مرآة؟

س.هـ.

نادرة مصرفية

إنّ أياً من مصارف مدينة نيويورك الرئيسية لا يدين زبوناً عادياً مبلغاً كبيراً. لكن احدها فعل تلك المرة، ودين ٧٠ ألف دولار عن طريق أحد موظفيه الذي وقف، هو وزملاؤه، يصفقون للفتاة التي استدانت المبلغ.

وكان اسم الفتاة ديانا هالبرين، وهي عازفة كمان محترفة طلبت ذلك المبلغ لتسديد ثمن كمان من نوع "غوادانييني" الفاخر، بعدما امضت سنوات تجمع ما امكنها من ثمنه الاجمالي وهو ١٢٠ ألف دولار.

وحملت الكمان معها الى المصرف لاقناع موظف دائرة القروض بتلبية طلبها. ولما رآه سألها أن تعزف عليه. فأخرجته من علبته الانيقة، ووقفت خمس دقائق تعزف قطعاً من تشايكوفسكي وباغانيني، حتى غصت الغرفة بموظفي المصرف. وما ان انتهت حتى ارتفعت عاصفة من التصفيق ونالت الفنانة ما تريد.

صحيفة "نيويورك تايمس"

صَبَاح الخَيْر!



نسْكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب ،
تجعل نهارك مليئاً بالحيويّة والنشاط .
إشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت ، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الغنيّة .
نسكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية سريعة التحضير.

PI 2960

نسكافه قهوة الشباب العصريّ الناجح.

تجار الموت

تتهافت دول العالم اجمع على صنع الاسلحة وشرائها. فالى متى يبقى السلاح اداة ديبلوماسية؟

كان المنظر مروعاً: جنود مصريون يطلقون النار على الرئيس انور السادات برشاشات "كلاشنيكوف أك - ٤٧" السوفييتية (ثمن القطعة في السوق ٢٨٠ دولاراً) بعدما قفزوا من شاحنة "زيل" سوفييتية ايضاً (ثمنها ١٦٨٠٠ دولار). وفي المؤخر كانت دبابات أمريكية الصنع من طراز "م٦٠" (ثمن كل منها ١،٩ مليون دولار) تدرج في عرض للقدرة العسكرية المصرية، بينما ست طائرات "ميراج" فرنسية (ثمن الواحدة ٨ ملايين دولار) تحلق في تشكيلة متقاربة.

في بلدان عربية كثيرة عبّر الناس عن ابتهاجهم باغتيال السادات بأطلاق رشقات من رشاشات "أك - ٤٧" الاوتوماتيكية.

ان عشرة ملايين قطعة من هذه الرشاشات تتناقلها الايدي في انحاء العالم.

وقد اضحت تجارة السلاح الاداة الديبلوماسية الرئيسية بالنسبة الى الدول الكبرى والصغرى على حد سواء. فالدول الصغيرة لم تعد قانعة بشراء الفائض من مستودعات اسلحة الدول العظمى، بل اخذت تطلب الانواع المتطورة من كل شيء بدءاً بالطائرات المقاتلة وانتهاء بالبوارج البحرية. ان تجار السلاح، على رغم استنكارهم تكديس الاعتدة الحربية

Condensed from Time (October 27,'81), (c) 1981 by Time Inc., New York, N.Y.

وخوفهم من عواقبه، نراهم يتباكون مرددين الاغنية الحزينة القديمة التي طالما أنشدها تجار الرقيق في القرن التاسع عشر: "اذا لم نبع نحن، فسوانا سيبيع."

ان سوق السلاح العالمية، بكل تعقيداتها وعلاقاتها المتقلبة، هي من اوسع اسواق العالم. ووفقاً لبعض التقديرات فقد تمت صفقات نقل بمبلغ ١١٦ مليون دولار خلال العام ١٩٨٠ وحده. وخلال العقد المنصرم قفزت مبيعات السلاح بدافع من تسابق الدول العظمى لكسب حلفاء لها في العالم الثالث وبسبب ارتفاع أسعار النفط الذي ادخل الى السوق زبائن متلهفين. هذه التجارة تزيد ارقامها اليوم على نصف مبيعات الاغذية في العالم.

وجاءت حرب الخليج العربي لتوفر معرضاً غريباً لهذه الاعتدة الفتاكة. فالعراق يستخدم طائرات "ميغ" سوفييتية وطائرات "ميراج" فرنسية وناقلات جنود مصفحة برازيلية ودبابات "ت ـ ٧٢" سوفييتية لمحاربة ايران التي تستخدم طائرات "ف ـ ٤" امريكية ودبابات "تشيفتن" بريطانية وطائرات "تشينوك" مروحية مصنوعة في ايطاليا. وقد ارسلت مصر الى بغداد اسلحة سوفييتية لم تعد تحتاج اليها بعدما وجدت من يزودها بأسلحة امريكية احدث. واتجهت ايران الى كوريا الشمالية وحتى الى اسرائيل للحصول على ذخائر وقطع غيار. وقد تم التفاوض على عقد صفقات ضخمة بواسطة سماسرة اوروبيين.

اما الاسلحة الخفيفة فليست مشكلة. ففي ضواحي تبريز شمال ايران، كما في مئات الاماكن الاخرى في العالم الثالث، اقام تجار مغامرون اسواقاً للاسلحة الخفيفة تشتمل على كل انواعها بدءاً بالرشاشات السوفييتية والصينية "أك ـ ٤٧" المستعملة (ثمن القطعة ١٩٤ دولاراً) وانتهاء بالمسدسات الامريكية "كولت ٤٥" الاوتوماتيكية الجديدة (ثمن القطعة ٢٨٨ دولاراً).

وهناك تجارة اكثر نشاطاً في لبنان الذي تمزقه الحرب. ويقول احد الخبراء: "ان في هذا البلد من الرشاشات اكثر مما فيه من المظلات." احد اسباب هذا الوضع هو ان في لبنان بين ٣٠ و ٤٠ تنظيماً مسلحاً، ولمنظمة التحرير الفلسطينية قوة تقدر بـ١٤ ألف رجل مسلحين برشاشات "أك ـ ٤٧" السوفييتية وبنادق "م ـ ١٦" الامريكية وحتى رشاشات "عوزي" نصف الاوتوماتيكية الاسرائيلية الصنع التي يحصل عليها تجار عرب من الضفة الغربية. وكانت ترسانة منظمة التحرير الفلسطينية تضم ايضاً (★) ٦٠ دبابة سوفييتية من طراز "ت ـ ٣٤" والدول العربية

(★) قبل الاجتياح الاسرائيلي للبنان في اوائل يونيو (حزيران) ١٩٨٢.

المتعاطفة مع المنظمة، كالجزائر وسوريا وليبيا، تشتري لها الاسلحة بتمويل من الكويت والمملكة العربية السعودية. وقد تلقت منظمة التحرير خلال العام ١٩٨٠ سلاحاً بقيمة ٩٦ مليون دولار.

سوق رائجة ـ حلّت السعودية محل ايران كأكبر مستورد للسلاح في الشرق الاوسط. وفيما تركز اهتمام الرأي العام كله على مناقشة الكونغرس صفقة بيع السعوديين خمس طائرات استطلاع من نوع "اواكس"، لم يحلظ احد ان تلك الصفقة التي تقدر بـ٨،١٦ مليارات دولار شملت ايضاً ١١٧٧ صاروخاً جو ـ جو من نوع "سايد وايندر" ومعدات لتوسيع مجال عمل ٦٠ طائرة مقاتلة من طراز "ف ـ ١٥" طلبت السعودية تزويدها بها. وفي السنة المالية التي انتهت في ٣٠ مارس (آذار) ١٩٨٠ اشترى السعوديون ايضاً طائرات مقاتلة امريكية وأعتدة لتطوير الدبابات وذخائر للجو والبر وقذائف مضادة للدبابات وأعتدة مساندة ومعدات للمطارات وانشاءات عسكرية عامة بمبلغ ٤،٣٢ مليارات دولار. كما حصلت فرنسا على صفقة عظيمة: مجموعة بحرية قيمتها ٢،٩٦ مليار دولار شملت اربع بوارج حاملة للصواريخ.

وعلى نقيض دول النفط الغنية في الشرق الاوسط، فان معظم الدول الافريقية عاجزة عن توسيع ترساناتها الحربية. لكن الصراعات الاقليمية جعلت افريقيا ايضاً سوقاً مربحة لتجار السلاح. فقد عرضت الولايات المتحدة على كينيا والصومال امدادهما بالسلاح في مقابل اتفاقات لاستخدام تسهيلات بحرية وجوية، على رغم ان هاتين الدولتين كانتا عدوّتين لدودتين وان الصومال ظل يشتري السلاح من السوفييت حتى العام ١٩٧٧. ثم ان كينيا مرتبطة بمعاهدة دفاعية مع اثيوبيا، جارة الصومال وعدوتها التي كانت في الماضي حليفة للولايات المتحدة واليوم يجهّز السوفييت جيشها ويدربه الكوبيون والالمان الشرقيون.

جنوب شرق آسيا سقط ايضاً في حبائل صفقات السلاح في السوقين الرسمية والسوداء معاً. وفي العام ١٩٨٠ بلغت قيمة الامدادات العسكرية الامريكية الى تايلاند ٤١٦ مليون دولار، كما غدت هذه البلاد معبراً للسلاح الصيني وسواه المرسل الى قوات الخمير الحمر المقاتلة في كمبوديا ضد الفيتناميين. اما هانوي فقد افرغت في السوق العالمية كميات هائلة من الاسلحة ألتي خلّفتها القوات الامريكية في فيتنام.

كانت الولايات المتحدة منذ أمد بعيد ـ ولا تزال الى حد ما ـ اكبر تاجر للاسلحة في العالم. وهي سجلت عام ١٩٨٠ صفقات تزيد قيمتها على ١٦،٣٢ مليار دولار بين مبيعات

رسمية حكومية وخاصة شملت ٧٢ بلداً. وفي العقد الماضي كان نصيبها ٤٥ في المئة من مبيعات الاسلحة الرئيسية الى العالم الثالث.

كذلك فان شحنات الاسلحة السوفييتية ازدادت كثيراً. وبلغت عقود بيع السلاح الى بلدان العالم الثالث خلال ١٩٨٠ ما قيمته ١٤،٤ مليار دولار بعدما كانت ٣،١٢ مليارات عام ١٩٧٣. ويركز الكرملين جهوده على تقديم الاسلحة الاساسية وتسليمها بسرعة. وفي المقابل تشكل الامدادات التقنية ٤٠ في المئة من المبيعات الامريكية. وتستغرق عملية الشحن ضعفي الوقت الذي تتطلبه عملية امريكية مماثلة. وهكذا يتفوق الاتحاد السوفييتي الى حد بعيد على الولايات المتحدة في مجال تسليم اسلحة رئيسية معينة. فمنذ ١٩٧٧ ارسل السوفييت الى بلدان العالم الثالث ضعفي ما باعته الولايات المتحدة من الدبابات (٥٧٥٠ في مقابل ٣٠٣٠) واربعة اضعاف ما باعته من الطائرات المقاتلة (٢٢٩٠ في مقابل ٥٤٠) وضعفي ما باعته من الصواريخ المضادة للطائرات (١١،٤٠٠ في مقابل ٤٩٦٠).

اما فرنسا، وهي المصدّر الثالث للاسلحة في العالم، فلها منتجات رفيعة الجودة وتتمتع بمهارة في التسويق. وقفزت عقود مبيعاتها من ٢٨٨ مليون دولار عام ١٩٧٣ الى ٧،٦٨ مليارات في السنة الماضية، مما جعل السلاح ثاني اربح صناعة في البلاد. وتعتبر فرنسا بديلا من الدولتين العظميين بالنسبة الى الزبائن في العالم الثالث. ويقول مسؤول في مصانع صواريخ "ماترا" التي تصدر ٧٥ في المئة من انتاجها: "في وسع الدول ان تشتري منا وتحافظ على استقلالها."

تجار الموت – تروّج الاسلحة اليوم كأي سلعة تجارية. فالفرنسيون والبريطانيون ينشرون كتباً دعائية جذّابة بينما المنتجون الامريكيون يعلنون عن بضائعهم في مجلة "اسبوع الطيران وتكنولوجيا الفضاء" وفي "صحيفة القوات المسلحة." وهناك اعلان لمؤسسة "غرومان" عن صواريخ جو – جو من طراز "فينكس" يتبجّح بان "لها معدل اصابة قاتلة لم يسبق له مثيل ويبلغ ٨٤ في المئة" وذلك تحت عنوان لافت: "فريق ف – ١٤/فينكس هو الاعظم. فعليك ان تقتل عدوك قبل ان يقتلك."

وعروض السلاح قد تكون اسلوباً لتخليص دولة ما من تبعية دولة عظمى أخرى. وهذا ما فعلته الولايات المتحدة ضد السوفييت في أندونيسيا والصومال ومصر. وقد ردّ السوفييت بالاسلوب نفسه في اليمن الشمالية واثيوبيا. وتدّعي فرنسا أن مبيعاتها من الاعتدة العسكرية الى ليبيا والعراق أضعفت النفوذ السوفييتي في هاتين الدولتين.

في اي حال يبدو ان العوامل الاقتصادية أضحت الدافع الاساسي

الى الاتجار بالسلاح٠ وان عقد صفقة مع السعوديين لبيع طائرات "اواكس" بقيمة ٨،١٦ مليارات دولار او معدات بحرية بقيمة ٢،٩٦ مليار دولار هو غنيمة كبرى لميزان المدفوعات الامريكي٠ وتقدر حكومة الولايات المتحدة ان مبيعات السلاح توفر نحو خُمس النقد الاجنبي الذي يحصل عليه السوفييت٠

ومع ذلك فهناك حدود لقدرة الاسلحة على كسب الاصدقاء٠ وأوضح مثال لذلك هو ايران٠ فبعد تسليمها اسلحة امريكية بقيمة ٩،٦ مليارات دولار أقصي الشاه عن عرشه وحلّ نظام آية الله الخميني المعادي للولايات المتحدة٠ وان ضمانات العالم كلها لا يمكنها ان تكفل تحكّم البائع بطريقة استخدام الاسلحة المبيعة٠ فعندما قصفت اسرائيل الاحياء السكنية في بيروت بطائرات امريكية الصنع، خرقت على نحو فاضح اتفاقاً ينص على ان تلك الطائرات تستخدم فقط في حال الدفاع٠

ان تنافس القوى التي تهيمن على سوق السلاح العالمية هو معضلة في ذاته٠ فاذا رفضت الولايات المتحدة طلب فنزويلا شراء طائرات "ف ـ ١٦"، فماذا يمنع الفرنسيين من بيعها طائرات ميراج؟ وقد انذر السعوديون بانهم، في حال رفض الكونغرس الامريكي الموافقة على صفقة "اواكس،" سيشترون طائرات مماثلة من بريطانيا٠ وعندما رفض السوفييت امداد العراق بالسلاح بعد نشوب حرب الخليج، تحوّل الرئيس صدّام حسين الى مصر وفرنسا وبعض تجار السلاح المتعاملين مع الكتلة الشرقية٠

ان الآمال في الوصول الى حلول عن طريق المفاوضات ضئيلة جداً٠ ونادراً ما يعبِّر المعنيون عن رغبة حقيقية في ضبط مبيعات الاسلحة التقليدية، سواء من جهة ادارة الرئيس ريغان او السوفييت او المنتجين الآخرين او حتى دول العالم الثالث٠ الخطوة الاولى في سبيل الوصول الى حل هي ادراك كل دولة معنية بهذه التجارة ان ما تراه يخدم مصالحها الآنيّة قد يخلق وضعاً خطيراً لن يكون في مصلحة اي دولة على وجه الارض٠

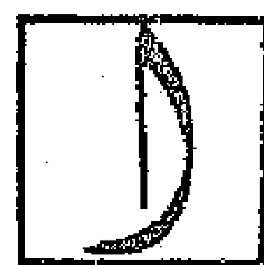
منذ ١٩٤٥ نشب ١٣٠ نزاعاً مسلحاً يمكن تصنيف نصفها بحقّ حروباً٠ وقد جرى القتال فيها كلها على اراضي دول فقيرة وبأعتدة تم شراؤها من دول غنيّة٠

وعندما يصبح في الامكان شراء احدث صاروخ يُحمل ويوجّه حرارياً، وذلك في سوق اي قرية في العالم، هل يبقى هناك مكان آمن لتحليق اي طائرة؟ توماس بارجر، الرئيس السابق لشركة "آرامكو" ومدير مصنع نورثروب للطائرات، يحذر من الخطر الداهم: "عندما تتكاثر الالعاب بين يديك، كم من الوقت يمكنك ان تصبر قبل تجربتها؟"

■ والتر ايساكسون

هل يحق لنا ان نغار؟
هل يحق لنا ان نقيد بالحب من نحب؟
اي عذاب يقاسيه كل حبيب تنهشه الغيرة؟

الغيرة دليل الحب؟



ان الشعور بالغيرة يتلاشى. هكذا يقول رُسُل العلاقات المتحررة بين الجنسين. واذا كان من الممكن التغاضي عن الغيرة كنتيجة جانبية للهيام الرومنطيقي، فان هؤلاء المتحمسين يؤكدون اليوم أن الغيرة اصبحت امراً تخطاه هذا الزمن غير النازع الى الاستئثار والتملك، لان الافراط في المتطلبات العاطفية باسم الحب يعتبر خروجاً على "موضة" العصر.

لكن خبراء آخرين يعارضون هذا المنطق. يقول عالم الاجتماع روبرت بلود المختص بأمور العائلة: "ان الاقبال على الزواج المفتوح رفع عدد الاشخاص المعرضين للغيرة." فكثير من الرجال والنساء الذين اعطوا شركاءهم الحرية وقعوا فريسة غيرة غير متوقعة.

قبل وقت قريب تحدثت مع عشرات الازواج الشباب في موضوع الغيرة. ولم يقتصر حديثنا على الغيرة الناتجة من العلاقات الجنسية الجانبية، بل تطرق ايضاً الى الغيرة على المحبوب من اهتماماته واصدقائه وعائلته وعمله. وقد تردد بعض هؤلاء في بحث هذا الموضوع، وكأن مجرد الاعتراف بالغيرة هو الكارثة عينها. وأكد آخرون وجوب اظهار مقدار "معقول" من الغيرة كدليل على استمرار الحب.

قالت معلمة في الخامسة والعشرين: "اشعر بالخيبة اذا لم يتصرف زوجي بدافع من الغيرة بين وقت وآخر. ان اعتقاد شريكك انك ما زلت جذابة بالنسبة الى الآخرين هو إطراء في ذاته. ولا شك في ان هذا الامر يرفع المعنويات!"

وبالطبع فان "التمثيل" هو مفتاح هذا التعليق. فتمثيل دور الغيرة الجنسية قد لا يؤذي، بل ربما اعتبر حافزاً ايجابياً ما دام الطرفان يدركان انه لعبة وان احداً منهما لا يتعمد إثارة الآخر.

اما الغيرة الفعلية فقضية اخرى. فالازواج الذين تحدثت اليهم كانوا في غالبيتهم آسفين اذ تبددت الاوهام التي حملوها حول "وجوب عدم" حدوث الغيرة وادركوا انها قد تحدث فعلا على ارض الواقع. وادى ذلك الى شعور بالذنب او الحط من تقدير الذات.

الغيرة البناءة – في المقابل، فإن أقلية من الناس لم ترضَ بمفهوم جامد للغيرة على انها رد فعل سلبي إزاء عقدة عاطفية. قالت سيدة شابة: "احاول ان انظر الى مشاعر الغيرة بواقعية، واكتشف احياناً ماذا تحاول هذه المشاعر ان تقوله لي."

وأنا اعترف بجدوى النظر الى الغيرة من هذا المنطلق. "فالمشاعر لا يمكن ان تصنف ببساطة على انها جيدة او سيئة،" تقول العالمة النفسانية بياتريس هاريس، "انها دلائل على تفاعلات معقدة. وكما ينبهنا الالم الى وجود مشكلة جسدية ويدفعنا الى القيام بعمل ما ازاءها، فإن الغيرة قد تنبهنا الى وجود مشكلة عاطفية."

ويمكن اعتبار تجربة السيدة وردة نجيب مثالا على جدوى هذه الطريقة. وهي شابة في الثالثة والعشرين كانت تثور غيرتها كلما حدثها زوجها المحامي بسام عن رانية، زميلته في مكتب المحاماة حيث يعمل. وهو امر تكرر يومياً حتى كانت الحفلة السنوية التي تقيمها ادارة المكتب. وقابلت وردة غريمتها. "في اللحظة التي رأيتها عرفت انها ليست من النوع الذي يستهوي بسام. لكنهما بقيا يتحدثان ويضحكان طوال السهرة. وعندما عدنا الى البيت لم اتمالك اعصابي، فانفجرت غاضبة. واعتذر بسام لاهماله إياي في الحفلة، لكنه لم يفهم لماذا كنت منفعلة الى ذاك الحد". قال لي ان رانية ذكية وحديثها ممتع وانه يتعلم الكثير منها. وسألني عما اذا ساورني اي شك في انه واقع في غرامها، فأجبت بالنفي. وهنا سألني عن سبب غيرتي، فعجزت عن الاجابة."

وبقي السؤال يلح على ذهن وردة. فراحت تسبر اغوار ذاتها لمعرفة ينبوع غيرتها، فاكتشفت فيها مشاعر متزعزعة. "كنت اقلق دائماً لشعوري اني غير ذكية وغير مثقفة بما فيه الكفاية لاثير اهتمام بسام. وأظن اني لم احاول ابداً معالجة هذا الشعور."

وبنفاذ البصيرة هذا نجحت وردة في تحسين وضعها. فالتحقت بدورة من الدروس والمحاضرات حول المواضيع القانونية. وكان منطلقها في ذلك "ان اتمكن من التحدث الى بسام في بعض لغته واعرف شيئاً عن عمله. وقد اعطاني ذلك ثقة بالنفس." وبنتيجة ذلك امكنها ان تأتمن زوجها على مسائلها الشخصية، فتبوح له بشعورها بالنقص وعدم الكفاية وبالتالي تطلب مساعدته للتغلب عليها.

من هنا فان الغيرة، اذا ما استعملت بطريقة سلبية للعقاب او لفت الانتباه او تبرير رثاء الذات او اثارة الجدل، يرجح ان تفسد الامور اكثر. ولكن اذا هي وجهت في مجرى ايجابي، كما في حال وردة، فيمكن أن تصبح عاملا بناء.

آه من الآخر! — احد الاسباب التي تجعل من الغيرة مصدر ألم، كما يشير الطبيب النفساني ليا شيفر، هو شعورك بالعجز عن اي عمل يغير الوضع الذي يسببها. "ولكن في وسعك ان تحصر هذه الغيرة وتسأل نفسك: ممّ او ممن انا غيور حقيقة؟ هل يمكنني ان افعل اي شيء لوضع حد لشعوري هذا؟"

تلك وسيلة ناجعة اختبرتها بنفسي في حفلة حيث قضت زوجتي معظم السهرة في حوار صاخب مع شاب وسيم. وتحركت في داخلي غيرة لا يمكن انكارها. وسألت نفسي: "لماذا تبدو مستغرقة في الحديث؟ لعلي لا اناقش معها اموراً تثير اهتمامها. هل احبها؟ نعم، والا فلماذا اهتم لمدى انغماسها في حديث مع شخص آخر؟ وبما اني احبها، فلماذا لا افرح لانها تستمتع بوقتها؟ ام تراني اعتقد، لمجرد انها تستمتع بالحديث، انها تدبر موعد لقاء. من الواضح ان لا."

وحالما ادركت ان حديث زوجتي مع شخص آخر لم يسلبني شيئاً، بل انه دلني على طريقة اطور من خلالها علاقتي بها، ادركت ايضاً ان لا مبرر للغيرة.

كثيرون من الازواج الذين تحدثت معهم طرحوا مسألة الغيرة من نزعة الشريك الى التسلي. وينطبق هذا اكثر ما ينطبق على المتزوجين حديثاً الذين بدا على بعضهم ان اي وقت يمضيه الشريك بعيداً هو إهانة عاطفية. واذكر زوجاً شاباً كان يغار من ساعة واحدة. وكان مهندساً يتلقى دروساً ليلية تترتب عليها فروض محددة، ولهذا دبر برنامجاً زمنياً يتيح له قضاء ساعة مع زوجته كل يوم، بين الثامنة والتاسعة مساء. وهو قال: "مرة في الاسبوع تتناول زوجتي الغداء مع صديق لها اسمه سمير. في ذلك اليوم، يقضي الوقت عينه الذي امضيه مع زوجتي!"

هذا امر غير واقعي. لكنه واقعي بما فيه الكفاية بالنسبة الى المعنيين به. يقول احد المستشارين في القضايا الزوجية: "من الواضح ان معالجة هذا النوع من الغيرة بضبط ساعة توقيت للطرف الآخر، لن تجدي. اما اذا حثت الغيرة هؤلاء الناس على الغوص في أعماق نفوسهم وتحديد افكارهم حول ماهية الزواج ومستلزماته وما يتوقعون منه على الصعيد العملي، فان ذلك يساعدهم في التخلص من القوالب الفكرية الجامدة."

خيانة وكبرياء — بالنسبة الى العديد من الازواج الشباب، فان غيرتهم مبعثها اطفالهم. ويغدو وضعهم جحيماً لا يطاق. ويتساءل اب شاب: "اي وحش أنا لأغار من طفلي؟" وتسأل ام شابة: "كيف يمكنني ان اشعر بالاستياء لمجرد ان طفلتي تهرع دائماً الى والدها وليس الي؟"

يجب ان ندرك ان كلا الموقفين طبيعي ويمكننا تعريفه بـ"الغيرة الوجودية." وهي ببساطة شعور موجود لا يخضع لمنطق او حكمة او حتى لخجل.

يقول الاختصاصي بأمور العائلة سانفورد شرمن: "في كل مرة ننتقل من مرحلة اساسية في دورة الحياة الى مرحلة اخرى، ينتابنا شعور بفقدان شيء ما. ومكافآت الزواج تعني خسارة بعض الحرية. نحن نشعر دائماً بالغيرة على ما يجب ان نتنازل عنه عند نقاط التغيير المفاجىء في مراحل النمو. واذا لم نتفهم ذلك، فان غيرة كهذه يمكن ان تصبح عائقاً للنمو."

ويستشهد شرمن بغيرة والد من ابنه البكر. ويشرح انه من المفهوم ان يغار رجل من طفله لانه يشعر انه حل محله كموضع اساسي لعواطف زوجته واهتمامها. "لكن كظم الغيرة قد يساهم في ترسيخها مما يبقي الاب في منافسة طفولية مع ابنه. اما اذا اعترف الاب بشعوره، فانه لا يلبث ان يرى في طفله شخصاً يحتاج اليه وليس منافساً له. اذ ذاك يسره ان يشارك زوجته في رعاية الطفل، فيتجدد التوازن العاطفي في الزواج. وفي هذه الحال تساهم الغيرة في النضج العاطفي."

ويمكننا القول ان الغيرة في جميع مظاهرها تنبع من شعور بعدم الثقة بالنفس ونقص في تقدير الذات ومن مشاعر متضاربة بالعجز، اي من كل الامور التي يجملها علماء النفس تحت عنوان "صورة ذاتية وضيعة."

سألت الرجال والنساء الذين تحدثت معهم عن العامل الاساسي الذي يثير غيرتهم القصوى. فذكرت قلة منهم الخيانة الزوجية. وذكر معظمهم حالات تهدد كبرياءهم ونظرتهم الذاتية: "عندما يتحدث مع اصدقائه القدامى في امور لا علم لي بها، اشعر انني مهملة ومتروكة." او "عندما يتحلق الجميع حولها في حفلة ويهملونني..."

ومواجهة مثل هذه الغيرة لتحويلها من رد فعل سلبي الى موقف ايجابي بالقوة، يقول المحلل النفساني رولو ماي، تتطلب توجيه الانتباه الى الذات وطرح السؤال الآتي: لماذا اتّضع تقديري لذاتي الى هذا الحد؟ قد يكون هذا السؤال صعباً، لكنه على الاقل يوجه اهتمامك الى حيز يسمح لك بأن تفعل شيئاً ازاءه.

كثيراً ما نسمح للغيرة بان تنحدر بنا الى مشاعر بالذنب أو العجز أو الاشفاق على الذات. انا المسكين! ولكن في المقابل تمكننا الافادة من الغيرة لحث انفسنا على اتخاذ عمل بناء فنتفحص حاجاتنا العاطفية بوعي اكثر ونعمل ايجابياً لمعالجة مواطن الضعف فينا وبجدية اكثر للحفاظ على علاقة ما، وحتى للتعبير عن صرخة صادقة تطلب المساعدة: "انا احبك ويخيفني ما يجري. وبي حاجة اليك لايقافه."

عندما نسمح للغيرة بالسيطرة علينا من دون ان نتساءل عن سببها، فانها تبقى مصدر حقد وضغينة. أما اذا سلطنا عليها نور المنطق والفكر، فانها تصبح حافزاً للنضج والسعادة.

■ نورمان لوبسنز

الزنبقة البرية

في صراعه البطولي
طوال حياته،
حقق كريستي براون
حلماً راوده طويلا،
وهو: "ان يذكرك الآخرون لا لضعفاتك
الانسانية او خصوصياتك،
بل لشيء أنجزته وتركته وراءك"

Michael St. Maur Sheil



يطبع باصابع رجليه.

وقالت الام وهي تحاول إدخال الرضاعة في فم طفلها: "هيا! افتح فمك يا كريستي." الا ان فكّيه ظلاّ مطبقين. وانفتح فمه فجأة بعدما كان مغلقاً بإحكام. لكنّ ذلك لم يساعد بريدجت براون، والدة الصبي البالغ أحد عشر شهراً، في اطباق شفتيه على الرضاعة المتصلة بقنينة الحليب الساخن. وخاطبته وهي تشدّه اليها: "هوّن عليك يا كريستي. سنحاول مرة اخرى."

لما ولد كريستي، كانت بشرته

زرقاء علامة على وشوك الاختناق بسبب قلة الاوكسيجين.

وأسفرت معالجة مسألة التنفّس لديه عن خلل في وظائف ذلك الجزء من الدماغ المتصل بحركة الاعصاب العضوية. وارتخت ذراعا الصبي كالمطاط، ولم يعد في إمكانه الجلوس من غير سناد، وكان لعابه يسيل باستمرار. وفي ذلك الوقت (١٩٣٣) لم يكن الطب يعرف الكثير عن مرض كريستي، وهو الشلل الدماغي الذي يحصل قبل الولادة او اثناءها. وحكم عليه الاطباء بالتخلّف العقلي، وأشاروا على ذويه بإرساله الى مؤسسة للمعاقين.

غير ان والدي كريستي رفضا ذلك، وأصرّا على إبقائه في البيت والاعتناء به مع اولادهما الآخرين. ومنزل العائلة يقع في شارع ستاناواي من بلدة كيميدج، وهي ضاحية عمالية بالقرب من دبلن، عاصمة ايرلندا. وكان لدى السيدة براون قناعة بأن طفلها ليس أبله، وقرّرت اثبات ذلك.

وراحت يوماً بعد يوم وسنة وراء سنة تقرأ على مسمعه وتتحدث اليه وتلمسه، سعياً الى رد فعل منه. وكان الاب، بعد ساعات عمله الطويلة في بناء المساكن، يغسل كريستي ويُلبسه ويعينه على دخول المرحاض. لكن تلك المحاولات لم تُجدِ. وتدخل الانسباء والاصدقاء لاقناع الوالدين بإرسال كريستي الى مؤسسة للمعاقين كي يتسنى لهما الانصراف الى اولادهما السبعة الآخرين. الا انهما رفضا ذلك.

دمعة وابتسامة - بالنسبة الى كريستي كانت تلك السنوات الاولى مثل حلم غريب. فهو يستطيع ان يسمع ويبصر، ان يحس ويفكر، من غير ان تكون له القدرة على نقل ذلك الى الآخرين. وعجز حتى عن هزّ رأسه. ولكن كيف يخترق ذلك النطاق ويقول لأفراد عائلته انه هناك، يعرف تلك الامور جميعاً؟

وفي يوم، وهو في الخامسة من عمره، أُجلس كريستي على أرضيّة المطبخ مستنداً الى وسائد. وراح يراقب اخته مونا وهي تكتب على لوح حجري. وفجأة نخع قدمه اليسرى والتقط قطعة الطبشور بأصابعه وأخذ يرسم على اللوح خطوطاً بلا نظام. ولم يكن استخدم قدمه من قبل.

ورفع كريستي عينيه ليرى الجميع يحدّقون اليه. وأدركت السيدة براون لتوّها ما يريد. وركعت على الارض بجانبه وقالت: "سأريك ما يمكن ان تفعله بالطبشور." ثم رسمت الحرف الاول من اللغة وأضافت: "انسخ هذا يا كريستي."

وأجهد قدمه عبثاً. وكرّر المحاولة، فكان له خط أعوج لا يمثل الا جانباً من الحرف. وعرف ان عليه ان يتابع، ففعل. لكنّ قطعة الطبشور كُسرت وهو في نصف الجانب الآخر. وودّ ليأسه ان يرميها بعيداً، الا انه احسّ يد امه فوق كتفه.

واخيراً أمكنه ان يرسم الحرف. وما كاد ان يفعل حتى ارتسمت على وجه امه دمعة وابتسامة. وصاح أبوه فرَحاً وحمله فوق كتفيه القويتين وطاف به ارجاء المنزل.

منذ ذلك الوقت لم تبقَ حياة كريستي كما كانت. وفي سنة واحدة

تعلّم ان يرسم الحروف كلها وهو يضع الطبشورة بإحكام بين أصابع قدمه. وعلّمته امه، مع الوقت، القراءة والكتابة. وكانت مخارج الحروف لديه تحدث نخيراً لا يفهمه سوى أفراد العائلة.

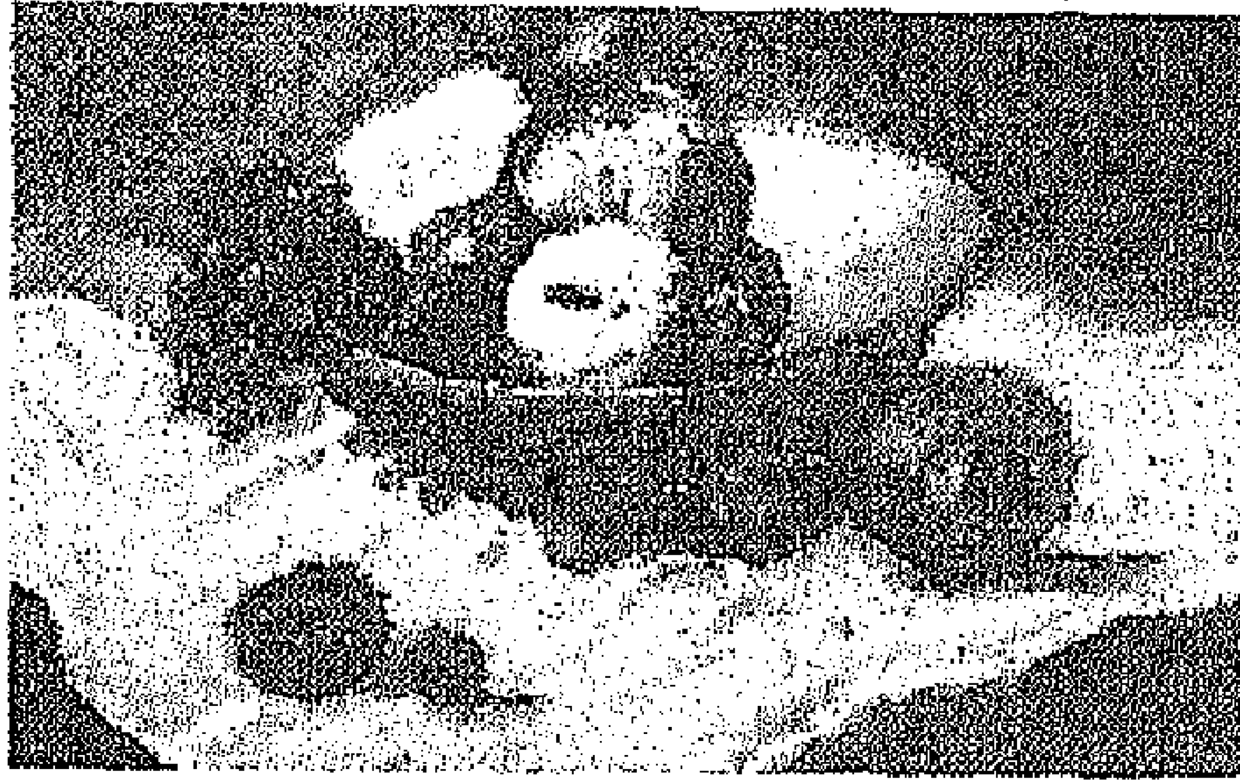
وما لبث كريستي ان تعلّم استخدام بعض عضلاته الارادية، وغدا بذلك طفل العائلة الماكر. وكان يعدو في انحاء المنزل، دافعاً جسمه بجانب ظهره، فيسرع على نحو خَطِر جداً ويقطع السلم هبوطاً وصعوداً. وكان يعبّر عن غيظه بقدمه اليسرى التي تغدو سلاحاً حاداً.

واتسمت حياة كريستي خارج المنزل بالفاعلية ايضاً، وذلك بفضل إخوته الذين كانوا يضعونه على عربة خشبية صنعها والدهم ويجرّونه في شوارع كيميدج ويصلون احياناً الى دبلن.

وكان ذلك وقتاً سعيداً في حياة كريستي. وعلى رغم اتكاله على الآخرين في بعض شؤونه، كتناول الطعام وارتداء الملابس، الا ان احداً منهم لم يدلله او يشبع نزواته. من هنا شعر بأنه فرد طبيعي في العائلة. لكنّ نظرات الغرباء إليه كانت تضايقه احياناً، فلا تلبث ضحكات المحيطين به وأصواتهم المفعمة بالمحبة ان تبدّد غيوم الكآبة.

العربة المكسورة - ذات عصر حار من شهر يوليو (تموز)، كُسر محور العربة التي كان يركبها كريستي خارج المنزل. وللمرة الاولى اضطرّ اخوته الى تركه في البيت. وكان يقبع على مقعده عند النافذة فيما اخوته يلعبون الكرة خارجاً. ومن هناك ينظر الى أيديهم الصلبة الرشيقة القادرة على حمل الكرة وقذفها، ثم يتطلع الى يديه هو الملتويتين المرتجفتين، فيخيّل اليه أنه يراهما ويرى نفسه للمرة الاولى.

ومرة زحف الى غرفة النوم في الطبقة العليا وراح يتفرّس في المرآة التي عكست رأسه المرتعش وفمه المنحرف الذي لا يكف عن السيلان. وبحركة قوية واحدة من قدمه اليسرى حطّم تلك الصورة اللعينة أمامه.



زيتية ساكنة رسمها كريستي في الستينات

وسرعان ما اشترى الوالدان عربة جديدة لابنهما، وكانت هذه المرة قوية ومريحة. لكنه رفض ان يغادر المنزل.

وانقضى الصيف وجاء الخريف وكريستي جالس في مقعده يسرّح انظاره بعيداً.

واخيراً حان عيد الميلاد، وأخذ اطفال العائلة يفتحون هداياهم. وفيما رأى كريستي أحد اشقائه ينظر من غير مبالاة الى هديته، وهي علبة الوان معها فرشاة وأوراق للرسم، دنا اليه وقد خلبه شكل العلبة. وما لبث ان اخذها وأعطى شقيقه هديته، وهي شخوص عسكرية مختلفة؛

وحمل الفرشاة بين أصابع قدمه اليسرى وغمسها في الصباغ الاحمر،

ثم رسم بها خطوطاً في وسط الصفحة. لقد كان ذلك بمثابة السحر له. وهو هو كان الساحر.

ويوماً بعد يوم راح كريستي يعمل بصمت في غرفة النوم، فيرسم بقدمه اليسرى على ورقة مثبتة الى الارض. وهكذا علّم نفسه بتؤدة لغة اللون والشكل. وتراكمت الرسوم عن جانبه، وهي تمثل اشياء ووجوهاً أليفة مختلفة ومناظر لأمكنة زارها وخطوطاً تجريدية تعبّر عن مشاعره الجياشة. وكان، اذ يَرسُم، ينسى وحدته وألمه ويشعر بالقوة.

وفي الثانية عشرة من عمره اشترك في مباراة للرسم نظمتها صحيفة ايرلندية للشباب الذين تراوح اعمارهم بين الثانية عشرة والسادسة عشرة.

وبعد اسبوعين فاجأه والده بدخول غرفته وهو يصيح: "انظر! انظر! لقد فزت في المباراة!" وحمل الوالد الصحيفة التي نشرت الخبر امام عيني كريستي. اجل، لقد فاز كريستي براون من بين جميع الفتية والفتيات الايرلنديين الذين اشتركوا في المباراة.

ومع الوقت بدأ كريستي يكتب الى جانب الرسم للتعبير عن مشاعره المضطربة. وفي البداية استعار لغته من الافلام التي شاهدها والكتب التي قرأها، خصوصاً كتابات تشارلز ديكنز. غير ان المشاعر التي عبَّر عنها كانت مستمدّة كلياً من شارع ستاناواي ومن دبلن ومن ايرلندا كلها.

الزائر اللطيف – في الثامنة عشرة كانت حاجات كريستي براون لا تختلف عن حاجات اي فتى في سنه. لكنه دُفن حياً ضمن جسده العاجز. وذاك جعله يعاني الكبت والخوف باطراد.

وحدث ذات مساء انّ غريباً طرق باب كريستي وبَدّل حياته منذ تلك اللحظة. وما ان بادره ذلك الزائر الوسيم بقوله: "مرحبا يا كريستي" حتى أحس جاذباً يشدّه نحوه. وربما كان ذلك صوته القوي واللطيف في آن.

ذلك الشخص كان الدكتور روبرت كوليس، وهو طبيب احداث ايرلندي شهير شارك في حفلة خيرية لمصلحة الاولاد المعاقين. ولما وقف امام كريستي خلال الحفلة، رأى فيه ولداً كسيحاً يحمل وجهاً كأنه خرج من إحدى لوحات عصر النهضة وعينين لم يسبق ان شاهد مثل زرقتهما. وسأل عن اسم الصبي، فقيل له: "كريستي براون." وبعد سنوات، عشية افتتاح العيادة الاولى للشلل الدماغي في ايرلندا، قصد الدكتور كوليس منزل آل براون يسأل عن كريستي.

وأخبره عن العيادة وعن التمارين الجديدة التي ابتُكرت في الولايات المتحدة لمعالجة هذا النوع من الشلل. وأوضح ان الشفاء ليس بالامر السهل، لكنه سأل كريستي إن كان يود المشاركة في تلك التمارين.

وكان لكلمات كوليس أبلغ الاثر في نفس كريستي. فهي تفتح امامه فرصة للحياة. وكانت العيادة غرفة مستطيلة أشبه بالثكنة في مستشفى دبلن للجراحة التقويمية. هناك تابع كريستي، مع فتية آخرين في مثل وضعه، تمارين من شأنها تقوية

وظائف العضلات ونقل المشاعر والافكار الى الآخرين.

ولم تتجاوز النتيجة التي حصل عليها كريستي بعض التقدّم في النطق. ترى أيحرز المزيد من التطوّر اذا خفف اعتماد قدمه اليسرى؟ ربما أجبره ذلك على استخدام عضلاته الأخرى. وقبل كريستي تعليق اعماله، علّ إراحة قدمه اليسرى تكسبه التقدّم المنشود.

الا ان تلك التضحية الكبيرة التي ارتضاها لم تؤدِ الى نتيجة، وأدرك هو والطبيب ان سنوات طفولته الطويلة التي أمضاها من غير تمرين كانت هي العائق الرئيسي في سبيل إحراز تطوّر ملحوظ، وان الوقت فات لتحقيق اي امر خطير.

رؤية مشتركة — كان اثر العيادة كبيراً في نضج كريستي الشخصي. وهو انشأ صداقات كثيرة، كانت اقواها تلك التي أقامها مع اولاد يشبهون الصورة التي شاهدها في المرآة حين وقف مرة امامها. وأعانته شجاعتهم في وجه الالم على النظر الى حياته من زاوية جديدة. ويوماً بعد يوم، بات أشد قبولا لما هو ولمن هو. فهو لن يصبح طبيعياً البتة من الناحية الجسدية. لكنه يتمتع بالفكر والشعور، وفي إمكانه الكتابة.

وأدرك ان لديه افكاراً مهمة يود التعبير عنها. ولم يكف عن مقت عذابه، وإن يكن ذلك العذاب حمل الجمال على نحو غريب الى حياته. وأعانته عزلته على اكتشاف المعنى والحكمة حتى في الامور العادية.

وصمم على كتابة سيرة حياته علها تكون مرآة لغرباء كثيرين أمثاله في هذا العالم القاسي.

غير انه كان يحتاج في الكتابة الى استخدام قدمه اليسرى التي عقد العزم على اراحتها ما أمكن. وهكذا اضطر الى املاء سيرته على إخوته. وكان ذلك عملا مجهداً له ولهم جميعاً.

وانقضت سنة وضع فيها كريستي، خلال مئات ساعات العمل، آلاف الكلمات. لكن جمله كان ينقصها الشكل الحسن. ولا ريب في انه كان يحتاج الى رعاية ادبية. وطرأ على ذهنه ان يستعين بالدكتور كوليس. وسرعان ما وجه اليه الرسالة الآتية: "عزيزي الدكتور كوليس. اني احاول تأليف كتاب، وأود مساعدتك اذا أمكن. كريستي براون."

وفي اليوم التالي كان كريستي يطالع بجانب الموقد عندما دخل الدكتور كوليس وهو يقول: "حسناً، أين هي مخطوطتك؟" وتصفّحها، فوقع فيها على موهبة اكيدة، وان لم تكن خالية من الشوائب. وأعلن استعداده للمساعدة من غير تردد. وهكذا غدا كوليس في نظر كريستي طبيباً وكاتباً ومعلماً في وقت واحد. وهذا هو الشخص عينه الذي يحتاج اليه.

اما كريستي فكان تلميذاً قابلا للعلم الى أبعد حدّ. فهو يقبل كل نقد وتوجيه. وشجعه كوليس على قراءة اعمال الادباء المحدثين. وأمضى الساعات الطويلة يحدّثه عن الادب وأساليب الكتابة. وأدهشه

المستوى الذي أحرزه كريستي من غير ان يدخل المدرسة قط، خصوصاً اطلاعه الهائل على الادب الانكليزي.

الا ان العمل على كتابه بات مزعجاً. وهو أضاع كثيراً من افكاره ومشاعره لانه لم يستطع املاءها سريعاً.

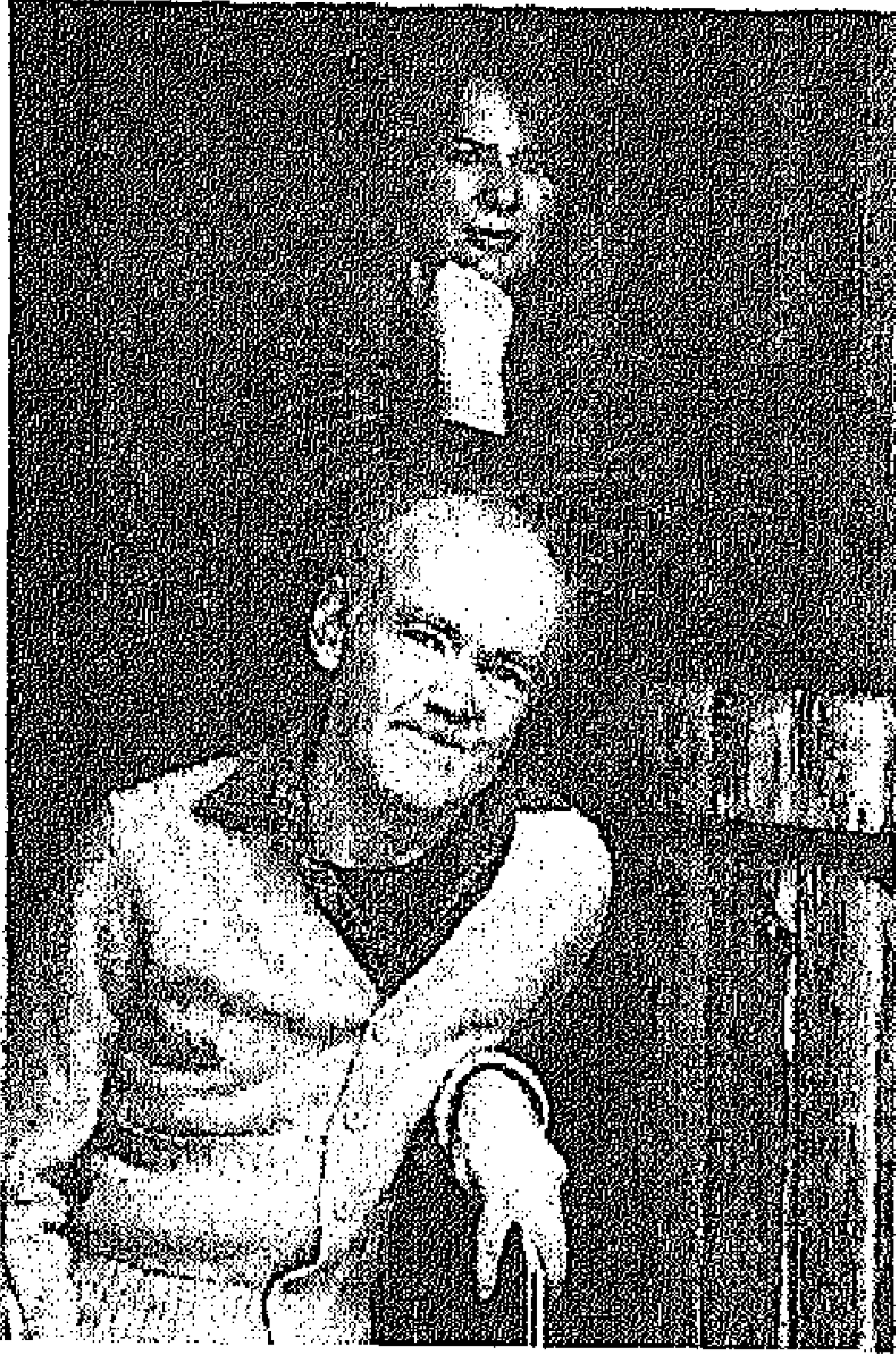
واخيراً لم يعد كريستي يتحمل الوضع. وكفّ عن الاملاء على اخوته وعاد يضع القلم بين أصابع قدمه اليسرى ويكتب بنفسه. واحس ان الحياة عادت اليه من جديد.

الكلمة والروح – بعد سنوات من الجهد والمراجعات المتكررة، أُرسلت مخطوطة كريستي الى احدى دور النشر. وقُبلت دونما تردّد، وظهرت عام ١٩٥٤ بعنوان "قدَمي اليسرى،" وكان عمر كريستي ٢٢ سنة آنذاك.

وبفضل ريع هذا الكتاب وكتابات كريستي الاخرى، إضافة الى الراتب الشهري الذي كان يتقاضاه من اتحاد الفنانين المعاقين، حصل على دخل متواضع. وقُدّمت اليه آلة كاتبة كهربائية اخذ يملي افكاره عليها باستخدام الاصبعين الكبرى والصغرى في قدمه اليسرى. وهكذا تمكن من اللحاق بأفكاره وأحاسيسه قبل ان تفرّ من ذاكرته.

كما تسنى له ان يعرف العالم كما أحب دائماً ان يعرفه، اي ليس عن طريق الكتب بل عن طريق الخبرة.

وكانت تلك الفترة رحلة إنتاج هائلة في حياته، توجتها روايته الرائعة التي صدرت عام ١٩٧٠ بعنوان: "في قلب الايام." ولئن يكن



كريستي وماري في الصيف الماضي

كتابه الاول "قدمي اليسرى" سيرة حياته، فهذه الرواية هي عَصَب تلك الحياة ومحتواها. انها سكب للروح في قالب من الكلام الشعري الذي يروي قصة حياة عائلة ايرلندية فقيرة، بما تخللها من قبح وجمال وعنف وحب، كما تجلت لعيني ذلك الفتى المعاق وبصيرته النفاذة:

"في سكينة امسية صيفية جلس يتنصت الى غناء امه حول البيت الهادىء الذي هجره اطفاله كما تفعل العصافير عندما تجد باب القفص مفتوحاً. اما هو فبقي هناك في قفصه الكبير، يستمع الى امه تشدو كطائر غريد. وكان يُضيع ذاته في تموجات صوتها العذب وبساطة عيشها.

"مرة رأى أباه يلامس شعر امه بخَفَر، فقفز الفرح في قلبه وملأته نشوة لا توصف. وما لبث ذلك الامل ان خبا وهو يسمع صوت والده الاجش يطلب احضار العشاء. وهكذا عاد من جديد الى حديقة افكاره، يطارد الذكريات الهاربة بين جدرانها."

في وقت قصير غدا هذا الكتاب من اكثر الكتب مبيعاً في العالم. وبات يشار الى كريستي براون والى عبقريته.

ولئن شاركه والداه في الفرح والاعتزاز عقب صدور "قدمي اليسرى"، الا انهما لم يعمرا ليشاركاه في الفرح الذي أغدقه عليه "في قلب الايام." وقد كسرت وفاتهما قلبه. الا ان حزنه لطّفه شعوره بالوفاء لهما.

وبعد وفاتهما انتقل كريستي من البيت العائلي في شارع ستاناواي الى منزل مجاور لبيت اخته آن، وهي التي اعتنت به بعد وفاة والدته. وعلى رغم انه أمضى ساعات طويلة بهيجة مع اخته آن وعائلتها، الا انه احس فراغاً كبيراً في حياته.

معجزة اسمها ماري - ذات مساء أحيا شون براون حفلة في لندن على شرف أخيه كريستي بعد إنجازه مقابلة تلفزيونية مع ديفيد فروست. وفي ركن من القاعة شاهد كريستي فتاة شقراء جذّابة تتكلم مع شلة من الاصدقاء. وأدركت انه ينظر اليها فابتسمت له، لكنه أشاح وجهه بحياء وهو جالس في كرسيه. وما لبثت ان اقتربت منه وجلست تكلمه. وكان اسمها ماري كار، وهي تعمل ممرضة في عيادة لطب الاسنان.

وأعجبت ماري ببديهة كريستي الخارقة، وأحست انها تعرفه منذ زمن. ووجدت فيه رجلا وسيماً ذا شعر بني معقوص وشاربين مشذّبين ولحية تضفي البهاء على وجهه. وأعجبتها عيناه الزرقاوان بما انطوتا عليه من عطف وفيض ذكاء.

وتراسل الاثنان لدى عودة كريستي الى دبلن. وسرعان ما وجدا ان ذلك ليس كافياً، واخذا يتزاوران. وفي ٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٢ عقد قرانهما. ووقع كريستي وثيقة زواجه بقدمه اليسرى.

وشهدت حياتهما معاً انتاجاً وافراً من جانب كريستي، ان من ناحية الرسم وان من ناحية الشعر الذي نشر منه ثلاث مجموعات. كما كتب روايتين بعنوان: "غمامة على الصيف" (١٩٧٤) و "برية تنمو الزنابق" (١٩٧٦). وهناك رواية ثالثة أنجزها عام ١٩٨١ بعنوان: "مهنة مثمرة" ونُشرت عام ١٩٨٢.

وما انفك اتكال كريستي على الآخرين يغيظه ويحمل اليه الكآبة. الا ان الصعوبات لم تنل من عزيمته. وظل يواجه العالم ببأس ويتحدّى عراقيل لا حصر لها. وفي كل مرة كانت روحه الحية تنتصر. وفي صراعه البطولي طوال حياته، تمكن من تحقيق حلم راوده طويلا، وهو كما قال في إحدى المقابلات "ان يذكرك الآخرون لا لضعفاتك الانسانية او خصوصياتك، بل لشيء أنجزته وتركته وراءك، فوصل الى الآخرين ودخل اعماق حياتهم."

توفي كريستي براون في ٦ سبتمبر (ايلول) ١٩٨١ وله من العمر ٤٩ سنة، بعدما امضى تسع سنوات من الحياة الزوجية مع ماري. ومرة قال: "بالحب يخفّ العبء ويغدو حمله ممكناً."

■ ستيفن رودلي



ماساة واقعية

طفل في جوف الارض



عملية الانقاذ التي تمت ذلك اليوم كانت تتجاوز العقل والحظّ، وحتّى البطولة

بُعَيْدَ الحادية عشرة والنصف من صباح يوم اثنين دافىء في أواسط شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٠، نظرت شانتال بورتر من نافذة مطبخها في بلدة دلري اوكس من أعمال ولاية كاليفورنيا الامريكية لتتفقد طفليها اللذين كانا يلعبان في حديقة المنزل الخلفية. ووقع نظرها فوراً على ابنتها كوينسيان، وهي في الرابعة، لكنها لم تر ابنها كريستوفر البالغ خمسة عشر شهراً.

وهرعت الأمّ خارجاً. ولم تكن كوينسيان تعرف أين ذهب أخوها. وفتشت شانتال في الأرض المشجرة الصغيرة حول المنزل، لكنها لم تعثر على أثر لابنها. وللحال اتجهت عيناها الى انبوب ينتأ من فتحة بئر

ضيقة كان زوجها جفري حفرها بواسطة مثقب. ولم يكن اتساع الفتحة في الارض الرملية يتجاوز الـ ٢٥ سنتميتراً، أي طول كف رجل بأصابعها المفتوحة. ومن الاكيد أن كريستوفر، الذي يبلغ وزنه ١١ كيلوغراماً ونصف كيلوغرام، لم يتمكن من عبور ذلك المكان الضيق. إلا أن تلك الفكرة لم تثنِ شانتال عن وضع اذنها على الحفرة. وما أن فعلت حتى سمعت بكاء الطفل تحت الأرض. وجف ريقها وأسرعت الى المنزل وخابرت فرقة الطوارىء وهي تصيح: "النجدة! لقد سقط طفلي في بئر."

بعد دقائق شاهد اعضاء فريق الانقاذ شانتال بورتر جاثية على ركبتيها وهي تحتضن ابنتها كوينسيان وتصلي بصوت مرتفع، علّ أحداً يسمعها.

ثم وصلت سيارة إطفاء مجهزة. وفيما أنزل رجالها قوارير الهواء الى الحديقة، ارتمى روب ماكاي، وهو مهندس إطفاء في السابعة والعشرين، على بطنه عند فتحة البئر. وصاح: "كريستوفر! أين انت؟" فجاءه الجواب أنيناً من جوف الأرض. وسلط ماكاي نوراً عبر الكوة، وهاله ان يرى رأس الطفل على عمق ستة امتار. ويبدو أن كريستوفر أدخل قدميه أولا في الماسورة، ثم حُشر عند خصره. وبقي في ذلك الوضع وذراعاه فوق رأسه، لا يتحرك فيه سوى أصابعه.

وأمكن ماكاي أن يسمع تنفسه الشاق. ولم يكن بين أنفه والجدار اكثر من ١٣ مليمتراً. وراح ماكاي يفكر في الآتي: "ماذا لو استسلم للنوم؟ ماذا لو سقط قليل من الرمل في الماسورة؟"

وقص رجال الاطفاء قطعة من خرطوم الري دلوها فوق رأس الصبي ووصلوها بقارورة هواء. وهكذا بات تنفسه طبيعياً.

الأب والام — استدعت شانتال بورتر زوجها كي يشرف بنفسه على عملية إنقاذ طفلهما. وكان جفري متعهد بناء، وهو رجل وسيم ذو صوت هادىء بث الاطمئنان في نفس ماكاي. وأوضح بورتر أن هناك مثقباً طوله ١٥ سنتيمتراً في أسفل الماسروة. واذا رُفعت الماسورة، فإن كريستوفر يرتفع معها راكباً المثقب. وأمسك أربعة رجال أقوياء برأس الماسورة محاولين رفعها، لكنها لم تتحرك.

وصرخ ماكاي: "أوقفوا هذا! إنكم تحشرون ذراعي الطفل."

وهذا جعل بورتر يبوح بقرار لم يقو على اتخاذه من قبل، وهو شق حفرة أوسع يمكن الوصول منها الى ابنه. لكن الحفر في الرمل الجاف وبواسطة آلات ثقيلة تنشأ عنه مشكلات عسيرة. وينبغي أولا اقامة حفرة واسعة جداً على السطح لئلا يردمها الرمل. والاخطر من هذا أن آلة الحفر الثقيلة من شأنها أن تحدث

ارتجافاً في الارض وتردم فوهة البئر على كريستوفر، فتدفنه حياً.

وطلب رجال الاطفاء آلة حفر خفيفة فيما كان بورتر يصنع حبلا من النايلون في رأسه عقيفة، عله يرفع كريستوفر بها كما تُرفَع السمكة من الماء. وبعد نحو ساعة تخلى عن فكرته.

في تلك الاثناء وصل اناس يجرّون آلة حفر يبلغ طول ذراعها اربعة امتار ونصف متر. لكنّ عمق كريستوفر قُدّر بستة أمتار ونصف متر. لذلك طلب رجال الاطفاء آلة اخرى، فلبى مايك ميلو (٣٩ سنة) طلبهم على الفور، وحضر هو شخصياً، ومايك خبير في أعمال الحفر.

وبادر الاطفائيين بقوله: "إننا نحتاج الى أفضل عامل على آلة حفر في هذه الديار. لذلك أنصحكم باستدعاء هارولد كلارك الذي يعمل مع شركتنا في بلدة فورت اورد."

أما روب ماكاي فما انفكّ منبطحاً عند فتحة البئر يدعو الطفل: "كريستوفر! كيف حالك أيها الفتى؟" وكلما خفّ الصوت أو اختفى، كان ماكاي يرفع صوته حتى تأتيه صرخة او يرى أصابع الطفل تهتز. وحاول زملاء ماكاي أن يأخذوا مكانه، لكنه رفض، كما رفض أن يحلّ جفري بورتر نفسه مكانه. وسمع ماكاي بعض ذرات الرمل تسقط في الماسورة، وخُيّل إليه وهو يراها عبر النور المسلط الى أسفل أنها مبللة قليلا. وهذا جعله يخشى امتلاء البئر بالماء.

لا بديل — في نحو الساعة الثالثة تقدم مايك ميلو الى بورتر وربت كتفه وهو يقول بهدوء: "الظلام والبرد يقتربان، وعلينا أن نباشر الحفر". وأجابه بورتر: "الحق معك! باشروا الحفر". وذهب الى زوجته وأخذا يتضرعان الى الله معاً.

ووصلت آلة الحفر، وهي تزن ثمانية أطنان، ومعها هارولد كلارك الذي يبلغ الخامسة والاربعين. وكان درس مواصفات الحديقة وطبيعة الرمل والشجر والجذور فيها. ووجد أنّ مهمته عسيرة إن لم تكن مستحيلة، وأن عليه أن يثقب فتحة طولها ١٥ متراً. إلا أنّ مساحة الحديقة لا تسمح بذلك. ولم يكن أمامه الا أن يحفر حتى عمق ستة امتار من غير احداث فتحة واسعة، وهو أمر لم يفعله سابقاً.

وقال ميلو: "لا بديل أمامنا". وجلس كلارك على مقعد الآلة وباشر الحفر. وشقت ذراع الحفارة الرمل.

وفجأة صاح ماكاي: "أوقفوا الحفر. الطفل لا يتحرّك".

وأقف كلارك المحرك فيما شخصت الأعين كلها الى ماكاي المتمدّد كالنسر فوق الفتحة. وقال ماكاي: "كريستوفر! حرّك أصابعك". وبعد دقيقة رفع ماكاي يده علامة الموافقة وهو يقول: "حيّاك الله يا كريستوفر! حسناً أيها الرجال، باشروا الحفر."

وعمل كلارك طوال ٤٥ دقيقة من غير توقف. وكان يسيّر ذراع الحفر ووعاء رفع التراب على نحو بارع رشيق لم يحس معه ماكاي بوطأة الحفر. وتوقف كلارك قليلا بعدما بلغ الامتار الستة، ثم استأنف حفر نصف المتر الاخير لبلوغ مستوى كريستوفر. وأحضرت قطعتا معدن لدعم الحفرة.

وقال ميلو: "عظيم جداً! لقد حان دوري الآن".

وأردف كلارك: "إني نازل معك".

وانضمّ إليهما رجل ثالث هو الاطفائي راي لافونتين (٢٩ سنة). وكان الوقاء المعدني قُطع في أسفله، وبات في إمكان الرجال حفر معبر عرضه ٦٠ سنتيمتراً. وأخذوا يحفرون بمساعدة آلات غير مسنّنة.

سوء تقدير ـ كان الرّجال قدّروا أن معبراً بطول ثلاثة امتار و٧٥ سنتميتراً من شأنه الوصول الى كريستوفر. وبعد تغليف المعبر بالزجاج الليفي الواقي، زحف ميلو عبره وهو يأمل أن يبلغ الطفل عند مستوى خصره. وكان يزحف ويغلف المعبر في الوقت نفسه.

وهبط الظلام وأنيرت الساحة. ونظر ماكاي من موضعه ليرى الحديقة امتلأت بالوافدين من أصدقاء آل بورتر الذين انطلقوا في صلاة جماعية من أجل حياة كريستوفر.

وفي الحفرة كان ميلو غلف ثلاثة أمتار من المعبر وبقي أمامه ثلاثة أرباع المتر، وساعده في ذلك لافونتين. وشعر ميلو بالارهاق، فطلب من لافونتين أن يغلف المسافة الباقية. وانجز زميله العمل من غير ان يصل الى كريستوفر. وربما كان في الامر سوء تقدير.

عندئذ طلب ميلو من الرجال الذين فوق أن ينقروا على ماسورة البئر، علّ ذلك يعطيه فكرة عن المسافة الفاصلة. وعند النقرة الاولى سقط بعض من الرمل على الطفل، فصاح ماكاي: "أوقفوا النّقر!" أما ميلو فأدرك أن المسافة قصيرة جداً. وحفر لافونتين ١٥ سنتيمتراً، لكنه لم يبلغ الماسورة.

وقال ميلو: "انتظر! سأوسع الثقب".

ومد رأسه وكتفيه عبر الغلاف وحفر التراب في رأس المعبر حتى بات عرض الفتحة متراً وربع متر. وشقّ الفتحة بجسمه حتى غدت المسافة بين خصره ورأسه خارج الغلاف، مما يعني ان انهيار التراب فوقه يؤدي الى اختناقه. وكانت عضلات يديه ترتجف من الارهاق بعدما حفر اكثر من ساعتين.

وبات رأس ميلو على مسافة ثلاثة أمتار وثلاثة ارباع المتر من غير ان يرى كريستوفر. وقال متذمراً: "لقد أسأنا التقدير".

ولكن كيف حدث ذلك لقد اجرى ميلو حساباته بدقة بالغة لا يمكن معها الاخفاق. وفجأة ادرك حقيقة الامر، وهو أنّ البئر تنحرف قليلا عن

النفق. إذاً، يجب ان يكون الصبي أمامه مباشرة.

وحفر ميلو قليلا بأصابعه، وتحسّس جسماً حيّاً بيده. وفي الوقت نفسه رأى ماكاي الطمي يسقط على كريستوفر. وللحال جأر: "انهما هناك! وفي استطاعتي رؤيتهما."

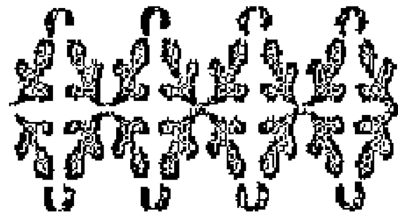
وصاحت شانتال بورتر: "عظيم! الحمدلك يا ألله."

وراح ميلو يبعد التراب عن رأس الطفل. وقال له بصوت أجشّ: "كريستوفر". وأدار الصبي رأسه ورفت عيناه للنور المنبعث من النفق. وحمله ميلو من صدره وخرج به.

وكانت الساعة السادسة مساء عندما عاين طبيبُ العائلة الطفل. ووجد أن الاذى الذي لحق به لا يتجاوز بعض الخدوش وضربة خفيفة على الرأس وانحراف عصب في إحدى ذراعيه.

وكانت العملية خبرة لا تُنسى بالنسبة الى ماكاي وميلو وكلارك. وقطع كلارك عهداً على نفسه بعدم تكرار تلك الطريقة. واعترف لاحقاً بأنّ أخطاراً عدّة كانت لهم بالمرصاد. وأضاف: "لا شكّ في أنّ عين الله تعالى كانت علينا."

■ بيتر مايكلمور



لا تنسوا علامات الاستفهام!

اذا شئت أن تكون محدثاً لامعاً، فاحرص على علامات الوقف التي تضعها بين مقاطع حديثك. لا تنس النقطتين، الواحدة فوق الاخرى، لانهما تقدمان شرحاً لما قلته قبلهما. وانتبه للفاصلة، فهي تقسم حديثك مقاطع وتجعله واضحاً. وأكثر من النقاط، فهي تريح المستمع وتعينه على التأمل في ما تقول. ولا تهمل علامة الاستفهام، فهي تدعو المستمع الى اخذ دوره في الحديث.

ب.ل.

س — ٨١٨

عذر صيني

ان كل كاتب يرسل اعماله الى المجلات المختصة يخشى أن ترفض مقالاته. وفي الصين ابتكرت احدى المجلات الاقتصادية العذر الآتي لرفض المقالات:

"لقد قرأنا مخطوطتك بمنتهى السرور. ولو نشرناها لما أمكننا نشر أي مقال آخر ازاءها أو بعدها لانه سيكون ادنى منها مستوى. وبما أننا نعتقد أنه لن يظهر مثيل لها في السنوات الالف المقبلة، فاننا نعيدها اليك، معتذرين ألف مرة لعدم نشرها".

م.ب

سنغافوره وكوريا الجنوبية
وتايوان وهونغ كونغ كانت لسنوات خلت
من أفقر البلدان، فغدت اليوم قوى
صناعية كبرى في سوق التصدير العالمية

الهجمة الآسيوية

التجار القلقون من التحدي الياباني في مجال التصدير يجدر بهم ان يستعدوا لمواجهة الموجة الآسيوية الجديدة: اربع "يابانات" صغيرة ذات قوة تنافسية متنامية. وقد حصدت سنغافوره ٣٥ في المئة من الطلبات العالمية على ابراج الحفر للتنقيب عن النفط، فجاءت بعد الولايات المتحدة مباشرة في هذا المجال. وكوريا الجنوبية التي هي اكبر منتج في العالم لأجهزة التلفزيون غير الملونة، بدأت اليوم تنتج اجهزة ملونة ومسجلات فيديو محلية التصميم. اما تايوان وهونغ كونغ اللتان اشتهرتا طويلا بصناعة الالبسة وتركيب الاجهزة الالكترونية البسيطة، فانهما دخلتا مجال الاتصالات المتطورة والادمغة الالكترونية. ان تأثير هذه القوى الاربع في التجارة العالمية بدأ فعلا ينافس مركز اليابان.

هذه البلدان النشطة التي يطلق عليها الاقتصاديون اسم "التنانين الصغيرة"، غدت اكثر الاعضاء نجاحاً في نخبة الدول الصناعية النامية – وبينها البرازيل والمكسيك – التي يسمّيها الخبراء الاقتصاديون "الدول المصنعة حديثاً." وهي حققت نمواً اقتصادياً حقيقياً بلغ معدله ٩،٤ في المئة سنوياً خلال السبعينات في مقابل ٤،٦ في المئة في اليابان و ٣ في المئة في الولايات المتحدة. وان اندفاع هذه العصبة الآسيوية الرباعية

نحو التصدير يوحي بأنها ستوسع اقتصادها بمقدار سبعة الى تسعة في المئة سنوياً خلال الثمانينات لتغدو بلداناً صناعية مكتملة النمو.

والتنانين الآسيوية الصغيرة استحوذت على دور دولي يفوق حجمها مجتمعة ويوازي تسع اقتصاد اليابان. وخلال خمس سنوات (حتى العام ١٩٨٠) تضاعفت صادراتها فبلغت نحو ٧٢ مليار دولار. ان مجموع سكان هذه البلدان يبلغ ٦٣ مليون نسمة، اي ١،٤ في المئة من مجموع سكان الكرة الارضية، لكن هذه التنانين تحظى بنحو ٤ في المئة من مجموع صادرات العالم.

وفي سعيها الى منافذ جديدة اخذت هذه البلدان تشق طريقها في الحرم الياباني. وقد بدأت مصانع السفن في كوريا الجنوبية مثل "هيونداي"، تنافس المصانع اليابانية بتقديم عروض ذات اسعار ادنى لعقود بناء السفن. واقتبس تقنيو هونغ كونغ اللعبة اليابانية القديمة في التقليد المبدع، وهم يعمدون بسرعة الى تحسين آخر تصاميم الساعات الالكترونية اليابانية ثم ينتجونها ويصدرونها بأسعار متدنية.

كذلك اخذ صناعيو آسيا الجدد يبيعون بربح وافر نتاج ادمغتهم وتقنيتهم الى جيرانهم الذين لم يطوروا بعد مهاراتهم العصرية لتماشي ثرواتهم المعدنية والنفطية. ويمتد نشاط هؤلاء الى الدول العربية المنتجة للنفط حيث الشركات الكورية هي أنشط الشركات الانشائية، وهي تأتي بكل شيء من الوطن بما في ذلك الفولاذ والمهندسون والعمال الكادحون. وتوفر هونغ كونغ للصين ثلث ما لديها من النقد الاجنبي ومقداراً كبيراً من الخبرة لتحديث اقتصادها المتعثر. وسنغافورة هي القطب المالي المستقر في المنطقة، وقد اجتذبت ودائع بقيمة ٨٤،٣ مليار دولار حوّلت الى حساب الدولار الآسيوي، وهو هناك نظير الدولار الاوروبي.

أقزام وجبابرة ــ هذه البلدان التي كانت فقيرة تحولت قوى صناعية ضخمة خلال عقدين من الزمان. وتحقق ذلك بفضل البرامج الحكومية أو بتشجيع منها. فقد حافظت الادارة البريطانية في هونغ كونغ على أدنى مستوى ممكن من الضرائب وفتحت شتى السبل أمام التجارة محدثة بذلك ما قد يكون أضخم وحدة أقتصادية حرة في العالم. أما البلدان الثلاثة الاخرى فحكمها رجال اشداء عرفوا السبيل الى تأمين أستمرارية بلدانهم. والانظمة التي أقامها هؤلاء كانت عملية وحظيت بدعم من أختصاصيين تقنيين في الاقتصاد. وهم شجعوا الصناعات الرئيسية عن طريق خفض الضرائب وحفز التصدير. ولم تكن هذه الحكومات تتدخل الا متى أحتاجت المشاريع الضخمة الى رأس المال الخاص. حينئذ كانت تمد اليها يد العون لتأمين أنطلاقها. وكما

فعلت اليابان من قبل ركزت التنانين الصغيرة جهودها في البداية على عدد قليل من المنتجات، ثم أخذت تتوسع منطلقة من المواد الاستهلاكية الاساسية الى الآلات الضخمة.

هذه التنانين الاربعة تجمعها القيم الكونفوشية التي تحث على اتقان العمل. ويقول كيم كيونغ وون الامين العام لرئاسة جمهورية كوريا الجنوبية: "ذلك هو الانضباط الادبي وايثار المستقبل ومنفعة الاجيال الآتية على المنفعة الفورية." هذا المنحى يشجع على توظيف الاموال في المصانع والمعدات وما الى ذلك بمقدار ٢٤ الى ٣٩ في المئة من مجمل الدخل القومي، وهو ضعف المعدل في الولايات المتحدة. والى ذلك فان الاخلاص الكونفوشي للثقافة يوحد نفوس الناس الذين ليسوا مثقفين فحسب، بل يتمتعون بطموح عظيم.

ان فوائد هذا النمو الصناعي دفعت اقتصاد هذه البلدان الى الامام. فالتنانين الاربعة تكافح لتأمين توزيع عادل لدخل يعني مستوى معيشياً سريع النمو لعمال المصانع وثراء لاكثر رجال الاعمال جرأة. وعلى سبيل المثال، يبلغ متوسط الدخل السنوي لابناء سنغافورة ٤٠٠٠ دولار، وهو ضعف ما كان قبل ١٠ سنين بعد اخذ التضخم المالي في الاعتبار.

واكتسبت التنانين الصغيرة زخماً اضافياً من كونها اكثر انفتاحاً من اليابان في وجه اصحاب رؤوس الاموال الاجانب الذين يحملون معهم المعرفة العملية ومفاتيح الاسواق.

وتزدهر هذه البلدان، فوق كل شيء، كساحات منافسة صناعية لرجال الاعمال النشطين. فالشركات التي ينشئها هؤلاء هي اكثر مرونة من الشركات اليابانية الجبارة التي تحكمها سياسة جماعية. وهناك مهندس في سنغافورة اسمه بريان تشانغ وعمره ٣٨ سنة، اصبح صاحب شركة كبرى لابراج الحفر في مدى عشر سنين فقط منطلقاً برأسمال مقداره ١٠ آلاف دولار. وقد بلغت ارقام مبيعات شركته عام ١٩٨١ ١١٠ ملايين دولار. وعندما انخفضت موقتاً اعمال التنقيب عن النفط في جنوب شرق آسيا عام ١٩٧٥، حقق تشانغ ارباحاً من بناء ارصفة المرافىء وتنظيف قاع المرافىء في فنزويلا والخليج العربي. ويقول في ذلك: "اننا نتكيف مع السوق."

والتنانين الصغيرة الاربعة تحسن مصانعها ومهاراتها كجزء من مخطط عام لزيادة التصدير. يو تزونغ - شيان مدير معهد الاقتصاد في اكاديمية سينيكا في تايوان يتحدث عن هذا الموضوع: "اذا اخذنا في الاعتبار تفوقنا النسبي، لرأينا ان على اليابان والولايات المتحدة التخلي عن بعض الصناعات لنتولاها نحن. وسيكون ذلك على غرار ما فعلت اليابان من قبل حين استولت على بعض القطاعات الامريكية والاوروبية في صناعة آلات التصوير".

خلف الجميع - تتوقع التنانين الصغيرة أن ترغم على الخروج من المجالات التي تعتمد الايدي العاملة

الرخيصة. فالدول التي تتوافر فيها اليد العاملة ذات الاجور الزهيدة، بما في ذلك الصين الشعبية، أخذت توسع صادراتها من الالبسة والالعاب وسواها من المواد الاستهلاكية البسيطة. يقول يو: "اذا لم نرفع مستوى تقنيتنا، فسوف نفقد قدرتنا على المنافسة أمام البلدان النامية ذات الاجور الادنى."

تايوان وبلدان اخرى تندفع في ما يسميه مخططو اقتصادها "صناعات التكنولوجيا المكثفة" بما في ذلك صناعة الالكترونيات المتطورة والآلات الدقيقة. وقد استقطبت "حديقة العلوم" التي اقيمت للشركات قرب تايبه عاصمة تايوان، ٤٠ مشروعاً بينها واحد قدّمته مختبرات "وانغ" لصنع اجزاء الادمغة الالكترونية المصغّرة. اما الشركات الالكترونية المحلية التي يديرها اصحابها فتجذب احدى كبرى ثروات الجزيرة، اي المهندسين الذين تبدأ اجورهم بـ ٣٥٠ دولاراً شهرياً.

بقي امام التنانين الصغيرة ان تجاري اليابان في ترويج ماركاتها التجارية في الغرب. شركة "ميكرو الكترونيك" في هونغ كونغ حققت مبيعات بـ ٣٠ مليون دولار عام ١٩٨١ من صنع العاب الكترونية لشركة "ماتل" الامريكية وساعات لشركة "ك. مارت" الامريكية ايضاً وقطع غيار لشركات بينها "سوني" اليابانية و "آي. تي. تي" العالمية لاجهزة الهاتف والمواصلات اللاسلكية.

وتبذل سنغافورة الجهد الاكبر لتسلق سلم التقنية، فترفع الاجور لتحد نزعة المصانع الى استغلال اليد العاملة الرخيصة. وقد باركت الحكومة التي تتحكم بسلم الاجور زيادات لم يسبق لها مثيل بمعدل ٢٠ في المئة سنوياً خلال السنوات الثلاث الاخيرة. ويقول سوبيا دانابالان وزير الخارجية: "كان منظر المصانع المحاصرة في الولايات المتحدة واوروبا درساً عميق الاثر فينا. فاما ان نتحرك صعداً واما ان نطرد نهائياً من مواقعنا الحالية." ويبدو ان خطة سنغافورة لرفع الاجور لم تضعف همة الشركات الاجنبية التي ما زالت توفر ٨٦ في المئة من التوظيف المالي لسنغافورة في المصانع والمعدات. بل ان معظمها تزيد تسهيلاتها ومنتجاتها على نحو ملحوظ.

من الواضح ان شركات أمريكية عدة تفيد من كبح القوة المتصاعدة للتنانين الاربعة، اذ ان جانباً كبيراً من براعتها في التصدير مستمد من المصانع المحلية المتعددة الجنسيات والمتعهدين الذين ينفذون عقوداً طويلة الاجل مع الشركات الامريكية. وفي الوقت نفسه تحاول الدويلات الاربع الصغيرة ان تتحد في تجمعات كبيرة لمنافسة اليابان والولايات المتحدة واوروبا. ولكن اليوم، بعدما اصبحت الطاقة ابهظ ثمناً والمنافسة اكثر حذراً، فان هذه العصبة الآسيوية من الدول الصناعية الحديثة ستجد الطريق امامها عسيرة وعرة.

■ لويس كرار

الاصنام:
الزلزال الأخير؟

مدينة الاصنام في الجزائر تعرضت لزلزالين مدمرين خلال ١٦ سنة، وهي علمت العالم درساً لا ينسى

في ذات يوم من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٠ وقف احد عمال الانقاذ لاهثاً امام كومة عالية من الاسمنت وقضبان الفولاذ التي غطّت مدينة الاصنام في الجزائر. وقال: "في المرة السابقة كان العمل اسهل، اذ كانت الابنية مشيّدة بالحجار ولم يكن علينا سوى دحرجتها لكشف الضحايا تحتها."

مدينة الاصنام دمرّها زلزال عنيف في سبتمبر (ايلول) ١٩٥٤ وكان اسمها آنذاك اورليفانفيل. وقد اقيم مجمع سكني اطلق عليه اسم "النصر" لايواء ضحايا ذلك الزلزال. ولكن في العاشر من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٠ تحوّل هذا المكان مقبرة جماعية حين ضرب المدينة زلزال عنيف آخر بلغت قوته ٧،٢ درجات على مقياس ريختر (١)

لم يكد غبار المدينة المدمرة يستقر حتى هبّت عاصفة من الانتقاد للطريقة التي شيدت بها تلك المدينة. وأدعى أحد المهندسين أن الابنية لم تكن مدعمة على نحو صحيح.

نحن نعرف ان القشرة الارضية محطمة الى نحو اثنتي عشرة قطعة في شكل الواح متجاورة تتحرك ببطء وتتصادم او تحتك بعضها ببعض. وعندما يوقف الاحتكاك حركة لوحين متلاصقين تتجمع ضغوط هائلة في الطبقات الصخرية السفلى وتكون النتيجة حدوث زلزال. وعندما تنشق الصخور تتحرّر الالواح وتندفع الى الامام.

احدى المناطق الزلزالية هي حوض البحر الابيض المتوسط حيث يتصادم

---

(١) مقياس ريختر هو نظام قياس لوغارثمي. فزلزال من الدرجة ٧ يكون نحو ٣٠ مرة أشد من الدرجة ٦ و ٩٠٠ مرة أشد من الدرجة ٥. والهزة الخفيفة التي نحس بها من دون آلات رصد تعتبر من الدرجة ٣. اما الهزات المدمرة فتكون عادة من الدرجة ٦ وما فوق على مقياس ريختر.

اللوحان الافريقي والاوراسيوي (الاوروبي ـ الآسيوي)٠ ويقول راوول مادارياغا عالم فيزياء الارض التشيلي ان افريقيا تدور ببطء نحو اوروبا وتنزاح كأنها باب يغلق على البحر الابيض المتوسط٠ وتبلغ حركة الانغلاق هذه سرعتها القصوى عند الطرف الشرقي للبحر، ولهذا السبب تتعرض تركيا ويوغوسلافيا للزلازل على وتيرة تكاد تكون منتظمة٠ اما الجزائر التي تقع على مقربة من مفصلة هذا الباب فتتحرك نحو اوروبا قرابة ٥،٢ سنتيمتر كل سنة٠

ان اهتزاز الارض وحده لا يقتل الناس، بل انهيار الابنية والجسور والسدود وتطاير شظاياها٠ وتضرب الزلازل الابنية بطريقتين: بعض انواع التربة، خصوصاً التربة الرملية، تركد او تميع كالسوائل عندما يهزها الزلزال٠ وفي هذه الحال تغور الابنية في الارض او تنحرف٠ وقد تلتوي الاسس وتظهر الشقوق في الجدران عند القاعدة ثم ترتفع وينهار البناء كله٠ ويعتقد مادارياغا ان هذا ما حدث للمجمع السكني في مدينة الاصنام٠

الطريقة الثانية المدمرة هي ارتجاج الابنية مع الحركات الارضية العنيفة لدى حدوث الزلزال٠ وتشاد الابنية على نحو يقاوم الجاذبية التي تشدها دائماً الى اسفل٠ لكن الحركات الجانبية خلال الزلزال قد تفرض عليها قوى تفوق قوة الجاذبية العمودية٠

عندما تنحرف الابنية جانبياً تفقد قطع اللبن (٢)، واعمدة الاسمنت غير المسلح قدرتها على الاحتمال، فتلتوي وتنهار٠ والبيوت المشيّدة باللبن هي اخطر الابنية في الزلازل٠ لكن الابنية الحديثة ايضاً لا تخلو من الخطر: فأعمدة الاسمنت العادية تتقصف تحت وطأة القوى الضاغطة، الا اذا كانت مدعّمة بالقضبان الفولاذية التي تقويها وتحتضن القطع المتكسرة في الاعمدة فتبقيها قادرة على احتمال العبء الواقع عليها٠ اما مواد البناء الكمالية غير المثبتة جيداً كالواجهات والزخارف فأنها تصبح قذائف قاتلة٠ وللابنية قابلية ترداد (ترجيع) على ذبذبات معينة، ويمكنها بالتالي ان تضخّم ذبذبة الاهتزازات الزلزالية الخفيفة وترفعها الى مستويات مدمرة٠

وقوانين البناء هي سلاح المجتمع لمقاومة الواجهات المتساقطة٠ والقانون الاكثر شيوعاً والذي يتم تعديله وتحديثه مرة كل ثلاث سنوات في المؤتمر الدولي للمسؤولين عن البناء ومقره في الولايات المتحدة، يوجب ان تكون الابنية في ارتفاعها وتصميمها وانشائها قادرة على احتمال مقدار محدد من الضغوط الافقية٠ وفي اي حال من العسير ان نتكهن بمصير اي بناء في مثل هذه الضغوط٠ ففي حين ينهار بعض الابنية الحديثة، فأن الابنية القديمة التي لم تطبق في انشائها احكام القانون تصمد غالباً في وجه الزلازل٠

والقوانين لا تعتمد النظريات العلمية المجردة فحسب، بل كذلك التجربة والاختبار٠ ويقول روبرت بيج من دائرة المسح الجيولوجي في

(٢) طين تصنع منه حجار للبناء٠

الزلازل في الشرق الاوسط

خلال هذا القرن قتل ١٦٠ الف شخص على الاقل بفعل الزلازل في الشرق الاوسط، ومنذ ١٩٥٣ دمّرت ٨٠٠ قرية وشرد ٥٠٠ الف شخص، اكثر البلدان تضرراً كانت ايران وتركيا، فقد ضرب ايران ٣٥ زلزالا عنيفاً منذ العام ١٩٠٠ تسبّبت في وفاة نحو ١٠٠ الف نسمة، كما ضرب تركيا ٣٠ زلزالا عنيفاً قتلت قرابة ٦٠ الفا، كذلك حدثت زلازل مدمرة في مصر والشرق العربي، وفي المغرب، اكثر بلدان شمال افريقيا تعرضاً للزلازل، دمر زلزال كبير مدينة أغادير عام ١٩٦٠ مخلفاً نحو ١٢ الف قتيل.

واقترح العلماء اتخاذ تدابير احترازية كوضع خرائط تحدّد المناطق المعرضة للزلازل وتطبيق انظمة بناء مقاومة لزلازل تحدّ من الدمار، وان تكن تؤخر مشاريع البناء وتزيد كلفتها بما يراوح بين ٢ و ١٠ في المئة، غير ان كثيراً من بلدان الشرق الاوسط لم تخفق فقط في اتخاذ مثل هذه التدابير، بل كذلك في تهيئة السبل لجمع المعلومات التي تجعل مثل هذه التدابير ممكنة، وحدها الجزائر وتركيا واسرائيل تعتمد انظمة بناء مقاومة للزلازل معترفاً بها دولياً، وقد وضعت ايران انظمة للبناء عام ١٩٦٦، ولكن ليست لديها اي خرائط تحديد رسمية، اما المغرب فلديه بعض الانظمة الموقتة، وفي بلدان اخرى يطبق بعض شركات البناء الانظمة المعمول بها في الولايات المتحدة وفرنسا والمانيا الغربية والتي ليس بينها ما صمم لبلدان الشرق الاوسط.

خلاصة القول ان حكومات قليلة جداً في الشرق الاوسط تعتبر الزلازل مشكلة اساسية، لذلك فقد تقع كارثة تفوق حد التصور اذا استمر تنفيذ مشاريع التنمية الكبرى مثل السدود والمفاعلات النووية من دون اتخاذ التدابير الاحترازية للوقاية من الزلازل، ولا يسع المرء الا ان يأمل ان تعي هذه الحكومات، قبل فوات الاوان، التحذير الذي خطته الزلازل على جدران مدينة الاصنام.

جوديت بيريرا
في "مجلة الشرق الاوسط" (لندن)

الولايات المتحدة: "هنالك كثير من الابنية التي شيّدت وفقاً للمواصفات التي حددها القانون، لكنها لم تختبر بعد في زلزال عنيف، ويجب أن نحكم على صلاحية القوانين على أساس ما تثبته الابنية في مثل هذه التجربة".

واستناداً الى وضع مدينة الاصنام بعد زلزال ١٩٨٠ حكم على مهندسي البناء في الجزائر بأنهم كانوا خائبين، اذ ان ما يزيد على نصف الابنية تضررت الى حد جعل من الضروري هدمها الى اساساتها.

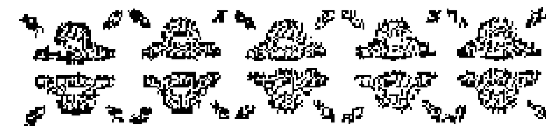
ويبدو ان الخطأ هناك ناشىء عن اسباب نظرية واقتصادية وتقنية معاً، ففي العام ١٩٥٤ لم تكن نظرية الالواح الارضية المتحركة معروفة، وكان كثير من العلماء يعتقدون ان الزلازل تنتج من برودة قشرة الارض وتقلصها. والموظفون الفرنسيون الذين عهد اليهم في اعادة بناء مدينة الاصنام اعتقدوا ان خطر

حدوث زلزال عنيف في اورليانفيل ليس اكبر مما هو في موقع آخر يبعد بضعة كيلومترات اقترح ان تشاد عليه المدينة الجديدة. ووافق على ذلك جيرار بلاشير المفوّض المسؤول عن اعادة بناء المدينة، وكان قراره منطقياً بالنظر الى المعلومات المتوافرة حينذاك. وفي ما بعد، حين اصبح بلاشير مديراً للمركز العلمي والتقني للبناء في باريس، ساهم في وضع مشاريع وأنظمة للوقاية من الزلازل في الجزائر وفرنسا. هذه الانظمة ادخلت صلب القانون الجزائري عام ١٩٦٩، لكن التعليمات بتطبيقها بدقة لم تصدر الا عام ١٩٧٩. وخلال تلك السنوات شيدت ابنية كثيرة بينها ذلك المجمع السكني العاثر.

وحتى في العام ١٩٧٩ ظلّت الانظمة المفروضة صالحة لزلازل اقل عنفاً من هزة ١٩٨٠. ويقول مهندس في مدينة الاصنام: "نصحت المسؤولين الفرنسيين بتشييد ابنية تصمد امام زلزال من العنف نفسه، لكن ذلك كان سيكلف كثيراً."

وانبعثت مدينة الاصنام ثانية في ظل قوانين اكثر تشدداً بالنسبة الى العمارات الكبرى. واذا خدمها الحظ، فلن تدمر مرة اخرى.

■ دنيس اوفرباي



... الا هذا!

كان المنتج المسرحي ديفيد بيلاسكو، كلما قدّم مسرحية، يحاول أن يقنع كل ممثل بأنه نجم مسرحي ذو اهمية، مهما كان دوره ضئيلا، وبأن في امكانه أن يبلغ الذرى. وقبل رفع الستارة في ليلة افتتاح احدى المسرحيات، توجه بيلاسكو الى ممثل ذي دور عابر وسأله: "ما هو المبلغ الذي اتفقنا عليه؟" فأجاب الممثل: "خمسون دولاراً في الاسبوع". فما كان من بيلاسكو الا ان ربت على كتف الممثل قائلا: "حسناً. العب دورك هذه الليلة كما لو كنت تتقاضى الف دولار".

ه.ل.ا

الحافز الحقيقي

بعد حضوره مؤتمراً حول تعزيز الانتاج، استدعى المدير أحد الموظفين الى مكتبه وبادره قائلا: "ان مسؤولياتك هنا ستتضاعف ابتداء من اليوم".

– وهل يعني هذا أن راتبي سيزيد؟

"كلا! فالمال ليس عنصراً حافزاً على الانتاج".

– وإذا أنجزت لك ما تريد، فهل يزيد راتبي؟

"أقول لك كلا. ولكي تفهم نظرية الدوافع الايجابية على حقيقتها، خذ هذا الكتاب الى البيت واقرأه. وعد إلي غداً لنتكلم حوله".

– وهل يزيد راتبي اذا قرأت الكتاب؟

س.ف.

ليتني أجيد القراءة



مضت عليها سنوات وهي تعاني الوحدة والشقاء وعذابات عقلية اعجزتها عن التعلم. ثم في السن الثالثة والثلاثين توصلت الى اكتشاف غير مسار حياتها

نشأت ماري تشاب غريفار في شيكاغو. وكانت الثانية بين اطفال عائلتها الثمانية، بالغة النشاط لا تهدأ لها حركة. ويتذكر والدها النوبات التي كانت تصيبها فتبادر الى الصراخ او يغمى عليها. وكانت العائلة تعزو سلوك ماري الى طبعها الحامي، في حين انها هي اذ تعود بذاكرتها الى تلك الفترة تعتقد ان السبب هو الخيبة والاحباط.



Condensed from Family Circle (September 22, 81) New York N. Y.
Photo: Jim Grigar — (C) Family Circle

عندما التحق اخوها الاكبر بالمدرسة الابتدائية ، كان يقرأ عليها دروسه باعتزاز. وكانت هي تحفظ عن ظهر قلب الكلمات المصاحبة للصور. وعندما التحقت ماري بالمدرسة ، كانت خبيرة بالقراءة الى حد ان معلمتها في الصف الاول ظنتها نابغة.

الا ان متاعب ماري بدأت في السنة التالية عندما انتقل صفها الى قراءة كتب لم تألفها. ووجدت نفسها عاجزة عن التمييز بين كثير من حروف الابجدية. وحاول والداها مساعدتها بلصق الحروف على جدران غرفتها ، لكنها ظلت عاجزة عن تمييز الحروف وان تكن تتذكر اسماء جميع الحيوانات التي يرمز اليها كل حرف.

وعندما انتقلت الى الصف الابتدائي الثالث ، ابدلت معلمتها الحنونة بأخرى عرفت بالقسوة وحب الانضباط. وكثيراً ما سمعت ماري توبيخاً من نوع "انت لا تركزين ولا تحاولين. انت كسولة." ثم جاءت العبارة التي بقيت تتردد في رأس الصغيرة: "انت معتوهة."

ولم يطل الامر بالطفلة الحساسة حتى هوت الى قاع من الخيبة والاكتئاب. وفي الصف الرابع كانت شقية في المدرسة وقد تملكها الاضطراب والحنق والتعاسة. "كانوا يجلسونني في مؤخر الغرفة كي لا اقلق راحة الآخرين. وكنت اعود الى البيت كل مساء وأبكي." وكان الصف الخامس اتعس من سابقه. "لم يسعني تذكر الدروس لاني كنت اعجز عن مطالعتها. وكانت المعلمة تحتجزني بعد الدوام كل يوم ولمدة خمسة اسابيع."

وكان العقاب في الصف السادس كتابة اي كلمة يخطىء التلميذ في تهجئتها ٥٠ مرة في المساء. واعتادت ماري ان تخطىء كل يوم في تهجئة ما بين ٢٥ و ٥٠ كلمة. وهكذا كتب عليها كل مساء ان تقضي ساعات طوالا في محاولة كتابة كل هذه الكلمات من دون ادنى فكرة عما كانت تتهجاه. هكذا خلطت بين "رهب" و "ذهب" وبين "نام" و"لام" وسوى ذلك. وعندما كانت المعلمة تجبرها على الوقوف والقراءة بصوت عال، كان الارتباك يبلغ بها درجة تبليل ثيابها الداخلية.

في الوقت نفسه كانت مشاكل ماري الاجتماعية لا تقل عن مشاكلها المدرسية. فالاطفال الآخرون كانوا يضايقونها ويروون عنها نكاتاً قاسية. وكان ردها الوحيد الانفجار بالبكاء.

وبدأت تفرط في الاكل. وكلما ازدادت سمنتها ازداد احساسها بالتعاسة ، كأنما كانت تنسج خيوطها وسط دائرة جهنمية مفرغة. وهي لم تفهم السبب الذي حال دون قدرتها على القراءة مثل سائر الاولاد.

كان ابواها القلقان يستحثانها على بذل مزيد من المحاولات. لكنهما عاملاها دائماً بحنان بخلاف معلماتها.

وتتذكر ماري معلمة كانت تأخذها الى القاعة كل يوم. "كانت تجذبني من ذراعي وتنشب اظفارها في لحمي وتهزني قائلة: انت لا شيء. انت بنت نائحة. كيف تتوقعين ان تتعلمي اذا لم تبذلي اي محاولة؟"

مهرجة الصف — جاء انقاذ ماري مع فرقة المرشدات الكشفية. ففي

إطارها شعرت بقدرتها على الانجاز. وكانت الفرقة تخطط لتقديم تمثيلية. وسألتها القائدة اذا كانت ترغب في تمثيل احد الادوار، فما كان منها الا ان اعترفت وسط دموعها بانها لا تستطيع القراءة. وشد ما كانت فرحتها عندما لم تصدم القائدة بما سمعته بل قالت بهدوء: "سأقرأ المسرحية وفي امكانك حفظها." وهكذا فعلت. وأدت ماري دورها باتقان. بيد ان المدرسة ظلت كابوساً بالنسبة اليها. وكثيراً ما اضاعت لوازمها وأمتعتها لانها لم تكن تستطيع تشكيل صورة ذهنية عن الاماكن التي وضعتها فيها. ولم تكن تؤدي واجباتها المدرسية لعجزها عن تدوين فروضها او تذكرها. وهي تقول: "بدأت اعتقد اني مجنونة." وهنا نفضت معلماتها ايديهن من محاولة تعليمها.

وكان دفاع ماري في هذا الصدد انها اصبحت مهرجة الصف، تحول كل شيء اضحوكة قبل ان توجه اصابع السخرية اليها هي. لكنها في داخلها ظلت تشعر انها فتاة حزينة، وحيدة، جريحة المشاعر. وتظهرها صورها في السن الرابعة عشرة وكأنها في الثلاثين، مكتنزة وفي غاية الاضطراب.

لكن أبويها بقيا على تشجيعهما لها. اوصياها بالا تهتم لعلاماتها في المدرسة، على ان تبذل اقصى جهدها. وكانت امها لا توفر فرصة الا وتكيل لها المديح. وتقول ماري: "كان والديّ رائعين. وهما اشعراني بالانتماء."

في المدرسة الثانوية وجدت ماري سبلا لتعويض عجزها عن القراءة. فاختارت مواضيع مثل الخياطة والطهو، وتفوقت في الخطابة بأن حفظت ما كان زملاؤها يقرأون لها بصوت عال.

وكان اول عمل لها في محل للملابس الجاهزة. وهي برعت في البيع، الا ان تعبئة الاستمارات كانت جحيماً بالنسبة اليها. ثم انتقلت الى دار حضانة نهارية حيث كان نجاحها باهراً في رعاية الاطفال في السن الرابعة. لكنها كانت عاجزة عن اعداد التقارير.

ثم تطوعت للعمل في ميتم، وكانت تعلم مهارات تنسيق العضلات لاطفال يعانون خللا في ملكة التعلم. وانتابتها يوماً نوبة يأس فصاحت في وجه المعلمة: "احرى بي ان اقبع على الارض فأزحف مع هؤلاء الاطفال لانني لا اعرف القراءة."

قالت المعلمة: "هذا غير معقول، فأنت من الذكاء بحيث يستحيل ان تعجزي عن القراءة." واخذت ماري الى طبيب عيون، فأفاد في تشخيصه بوجود مشاكل في التركيز وسبر الابعاد. وكان هذا اول خيوط المعضلة. وتتذكر ماري بسعادة: "اخيراً جاء اختصاصي يقول لي انها لم تكن غلطتي وان هناك خللا ما."

ثم التقت ماري جيم غريغار فأصبح جزءاً من حياتها. فكان يجلس معها لساعات ويسهر على تمارين العين التي وصفها لها الطبيب. وهي تقول: "ما ان اكتشفت جزءاً من مشكلتي حتى شعرت اني على ما يرام الى درجة ان اقع في الحب."

وتزوجا عام ١٩٦٦. وبعد سنة انجبا

ابنهما ديفيد. وكرّست سبحة الاطفال الذين كانت ثمة حاجة ماسة اليهم. ذلك بان رعاية البيت والاطفال هي الامر الوحيد الذي تعلم ماري ان في وسعها تأديته. وكانت تعد قوائم البقالة بنسخ الكلمات الملحقة بالصور المنشورة في اعلانات الصحف.

وبلغ ديفيد سن الدراسة، فبدأ يعاني مشاكل ترددت اصداؤها في ذاكرة امه. "كنت اراجع معلمته، لكن كل ما سمعته عنه انه كسول ولا يريد ان يركز. كل ذلك كان يذكرني بأيام دراستي التعسة ويدفعني الى البكاء."

وكان قلب ماري يصرخ طالباً النجدة، ليس من اجل ديفيد فحسب، بل من اجلها هي ايضاً. فها انها سيدة ناضجة تزاول حياة حافلة من دون ان تستطيع قراءة صحيفة او لافتة في شارع او ان تتذكر اي قناة تلفزيونية تعرض برنامجها المفضل.

وجاءها العون عندما دعت صديقتين الى الغداء، وكانت احداهما طبيبة نفسانية، فقالت لماري: "اظن انك تعانين خللا بسيطاً في الدماغ." فأجابت ماري كعادتها في التندر عندما لا يكون لديها خيار آخر: "الف شكر. هذا عين ما كان ينقصني."

واقترحت الضيفة على ماري ان تخضع لاختباري التخلف في القراءة والحساب. وشرحت لها ان الخلل الاول تنتج منه صعوبة في حين يسفر الثاني عن صعوبة في تعلم الرياضيات. ثم اضافت: "ربما انت عاجزة عن تكوين صور داخل دماغك او عن الاحتفاظ بها."

أهون من الجنون – حين آوت ماري الى فراشها تلك الليلة، حاولت ان ترسم صورة للرقم ٤٤٠. وفي البداية ادركت ان كل ما يمكنها تصوره هو الرقم ٤ في وضع مقلوب. وحاولت تصور يدها، فلم يمكنها سوى رؤية الابهام والاصبع الوسطى. وهي تقول: "فجأة ادركت ان هذا هو سبب عجزي عن التهجئة وخلطي الباء مع التاء مثلا. لم يكن في وسعي تصور الكلمات او الحروف كي احتفظ بها في دماغي."

بعد اشهر التقت ماري سيدة كانت لابنتها مشكلة مماثلة. فدعتها السيدة الى الاشتراك في ندوة عن عوائق التعلم. وهناك تكشفت بقية اجزاء اللغز.

كانت ماري تجلس الى منصة مع اربعة اشخاص بالغين يعانون خللا في القدرة على التعلم. وشرعت تقارن بين حكاياتهم وحكايتها هي: "كانت المسائل متشابهة جداً. ففي الصف الخامس كنا جميعاً حطاماً عاطفياً."

وسرعان ما انغمس هؤلاء الخمسة في عمل منظم بعدما ادركوا واقع المعاناة التي اجتازوها. تقول ماري: "لم نكن نريد ان يتعرض طفل آخر لتجربتنا. ربما لم نكن قادرين على كتابة الحروف، غير ان في وسعنا ان نتكلم بطلاقة."

وشكل هؤلاء مكتب توعية خطابية لاطلاع المواطنين والمعلمين ووسائل الاعلام على عوائق التعلم. واذا كان العدد المقدر للاطفال الذين يعانون هذا النوع من التخلف هو ثلاثة ملايين، فان عدد البالغين غير معروف. وبلغ من نجاح المكتب ان دعيت ماري الى اجتماعات دولية

والى البيت الابيض مقر الرئاسة الامريكية وهي تعمل حالياً مع هيئة حكومية معنية بالمعاقين عن التعلم. وهي تضحك اذ تقول: "يتهمني بعضهم بأني استمتع بكوني معاقة. وهذا حق تماماً، فذلك اهون عندي من الجنون."

وماري على اتصال دائم بالبالغين الذين يعانون مشكلتها. ومنهم رجل في الاربعين اضطر الى اعتزال وظيفة بسبب العمل المكتبي الذي تتطلبه. وكان ان خابرها بعد برنامج اذاعي لها ليقول انه كان عازماً على الانتحار لأنه شعر انه وحيد ويعاني مشكلة حار في فهمها. وتقول ماري: " من الاهمية بمكان ان تشعر انك لست وحيداً. فثمة طرق عدة لمعالجة مشكلة الاعاقة عن التعلم. ولكن عليك ان تؤمن اولا ان هناك مشكلة ما، ثم تعترف بانك واقع فيها، وتمضي بعد ذلك لمواجهتها."

ماري غريفار اليوم في الاربعين، وهي امرأة طموحة وذكية تلقي المحاضرات وتنظم عمل المتطوعين وتساعد زوجها في اعمال التصوير وصفّ الحروف، كما تدير شؤون بيت يضم خمسة اولاد ينتفضون حيوية.

لكنها ما زالت تحتفظ بذاكرة بصرية لا تعدو ذاكرة طفل في السادسة، وقدرتها على القراءة لا تتجاوز مرحلة الصف الابتدائي الخامس، فيما لا تتخطى قدرتها على التهجئة مرحلة الصف الثالث الا ان الطرق التي تتبعها في تدبير بيتها تشكل امثلة ممتازة لتعويض اعاقتها. فلأن ذاكرتها البصرية ضعيفة جداً، فهي تثبت فرشاة شعرها بحبل الى مرآة الحمام.

وعلى رغم مشاكلها فهي لم تعد تنزع الى البكاء ولا تحس انها لا تنتمي الى مجتمعها. ان رسالتها تتمثل في شرح ما تنطوي عليه حياة المعاقين عن التعلم. وهي تقول: "ان الآخرين يصعدون سلم العلم وهم ينتعلون احذية صحيحة. اما المعاقون عن التعلم فيحاولون ارتقاء السلم ذاتها بأقدام حافية. والآلام والخيبات التي يستلزمها الوصول الى القمة امر فظيع."

وهي تمد يدها لتساعد الآخرين في صعودهم الصعب الطويل. وها هي تكتب بكلمات حافلة بكل ما يمكن تصوره من اخطاء في الهجاء: "المعاق عن التعلم لا يستسلم. فهناك اليوم رجال ونساء لا يحسنون تهجئة الكلمات ولا ممارسة الرياضيات ولا قراءة الصحف. لكنهم ليسوا معتوهين. نحن نريد من العالم ان يعرف ان لنا نصيبنا من الذكاء والجدارة."

■ بوني رمسبرغ

الجبانة والاقدام

عندما يواجهُ فتى مقدام ذلك الجبار الذي يُدعى العالم ويمسكه بلحيته، فسيدهشه أن يرى اللحية انتزعت عن وجه العالم وبقيت في يده! أجل، انها هناك للتهويل على المغامرين الجبناء.

اوليفر وندل هولمز

صَديــــقي المفَضّــــل

احـــاديـــث حـمـــيمـــة،
وان للحظات،
ترسخ المحبة الخالصة
بين الآباء
والبنين



كنت لا ازال غارقاً في عتمة الليل حين سمعت صرير الباب وهو يفتح. وكشفت خيوط النور المتسربة ساقين ناحلتين في سروال نوم. وانسلت يد صغيرة تحت اللحاف وامسكت يدي.

"ابي ابي، هل انت مستيقظ؟"

وغمغمت وشبح النعاس يغلق جفني: "لست ادري". لكني شعرت كيف يفلت وشاح الليل الاسود ويتلاشى، ومعه يمضي القلق على المستقبل.

"ابي، انت صديقي أليس كذلك؟"

واجيب: "حتماً"، وأنا اتثاءب وقد انتابتني رعشة فرح.

"ابي، اتعرف ماذا حلمت ألآن؟"

ـ كلا.

"حلمت اننا كنا على متن طائرة الورق نطير فوق السطوح وبعيداً خلف المحيط. وكان الليل شديد السواد لولا النجوم اللامعة. لكني لم اكن خائفاً لانك كنت معي. هل تخاف احيانا ياابي؟"

ـ بالطبع اخاف.

"اتخاف كثيراً؟"

ـ كثيراً جداً.

"وانا ايضاً. خفت عندما جلسنا في الطائرة. لا، ليس حينذاك ولكن في ما بعد، عندما استيقظت شعرت بخوف كبير".

ـ خوف من اي شيء؟

"من الا تكون في فراشك".

– بالطبع كنت في فراشي. اين اكون اذاً؟

"في الطائرة. لانك تابعت الطيران فيما جلست انا على نجمة. فكرت فيك طوال الوقت، ولهذا توجب علي ان آتي لارى اذا كنت لا تزال هنا".

– انا هنا فعلا. وما تخيلته كان مجرد حلم.

"ولكن كم ستبقى هنا يا ابي؟"

– ليس طويلا، فانا لا يمكنني البقاء في السرير اليوم كله!

"لِمَ لا؟"

– انت تعرف، انا...

"كلا، لقد قلت اننا صديقان، والاصدقاء لا يفترقون ابداً بل يجب ان يبقوا معاً. الى الابد!"

– افهم ما تعنيه، لكن والدك يجب ان يذهب الى العمل.

"لست مجبراً على ذلك".

– وتذهب انت الى دار الحضانة.

"لا اريد ان اذهب الى هناك".

– بالطبع تريد. فكر في الاشياء الجميلة التي تفعلها هناك وفي اصدقائك لقد اكتسبت العديد منهم، اليس كذلك؟

"نعم. ولكن لي صديق مفضل واحد في العالم كله".

– تعنيني انا؟

"آه! ابي، اتذكر الصيف الماضي في الريف. لقد مكثنا معاً طوال تلك الفترة".

– اجل.

"اتمنى ان تبقى الحال هكذا في جميع الاوقات. فانت لم تكن مشغولا. اتذكر السهم الذي اضعناه؟"

– لكننا وجدنا بدلا منه سنجابين صغيرين كانا مستلقيين ومتلاصقين.

"كانا صديقين، اليس كذلك؟"

– اجل، انا اكيد من انهما كانا صديقين.

"دعني ارقد قربك يا ابي، لفترة قصيرة".

– حسناً ايها الشاب، تعال.

"ضمني اليك بقوة يا ابي حتى اشعر بدفء الصداقة بيننا. آه! هذا حسن. ابي، ارجوك ان تقرأ لي قليلا؟"

– اذا بقي متسع من الوقت. كم الساعة الآن؟

"الساعات تافهة. على الاصدقاء الا يكترثوا للساعات اطلاقاً والا يذهبوا الى العمل او الاجتماعات او دور الحضانة او طبيب الاسنان".

– وماذا على الاصدقاء ان يفعلوا اذاً؟

"يبنون البيوت في اعالي الاشجار ويتسلقون الحبال ويقطفون التوت ويصطادون ويقرأ كل لصديقه. ابي، اتقرأ لي قصة اللصوص الثلاثة؟"

– حسناً، لكني لن اقرأ الكتاب كله، اتفهم؟

"هذا رائع! ايمكنك ان تصنع لي المزيد من طائرات الورق عندما تذهب الى المكتب اليوم؟

– اظن ذلك.

"الن يغضبوا منك يا ابي؟"

– من؟

"الآخرون الذين يعملون في المكتب".

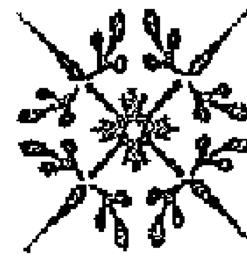
– لن يغضبوا، سينظرون الي بطريقة غريبة فقط.

"اسألهم حينذاك اذا كانوا يحبون ان يجربوا احدى الطائرات. يمكنكم ان تطلقوها لترفرف عبر النافذة،

وعندئذ سيتمنون جميعهم ان يصبحوا اصدقاءك".
ـ هذه فكرة حسنة.
"اريد ان أذهب الى دار الحضانة الآن يا ابي، لاني عندما اعود الى لبيت يقترب موعد عودتك انت يضاً. اليس كذلك؟"
ـ بكل تأكيد. لن اتأخر بعد عودتك.
"ابي فكر في جميع اولئك الذين لا صدقاء لهم".
ـ اني افكر فيهم هذه اللحظة يا صديقي. اذهب واحضر كتابك، سأقرأ ك صفحتين قبل ان انهض.

"زززز! انا طائرة انا أسرع طائرة في العالم. زززز!"
ويختفي صديقي المفضل في الغرفة الاخرى ويداه مفتوحتان داخل ثياب النوم كجناحين صغيرين، ليعود بعد لحظة حاملا كتابه الثمين. ونسند رأسينا معاً كسنجابين صغيرين في الصيف.
"... وينطلق اللصوص الثلاثة خلسة..."
وتتوقف كل الساعات في العالم. ويتوقف الزمان.

■ بيورن رونينفن



قال فتى صغير لامه، وكانت الساعة الخامسة بعد الظهر: "أريد ان أنام الآن، لان لديّ فكرة عظيمة أودّ ان أحلم بها".

ر.هـ.

سر قديم

قال رجل لصديق: "أيمكنك أن تحفظ سراً؟"
ـ طبعاً!
"حسناً، اني أحتاج الى مبلغ من المال".
ـ لا عليك! سوف اتظاهر بأني لم أسمع كلامك البتة.

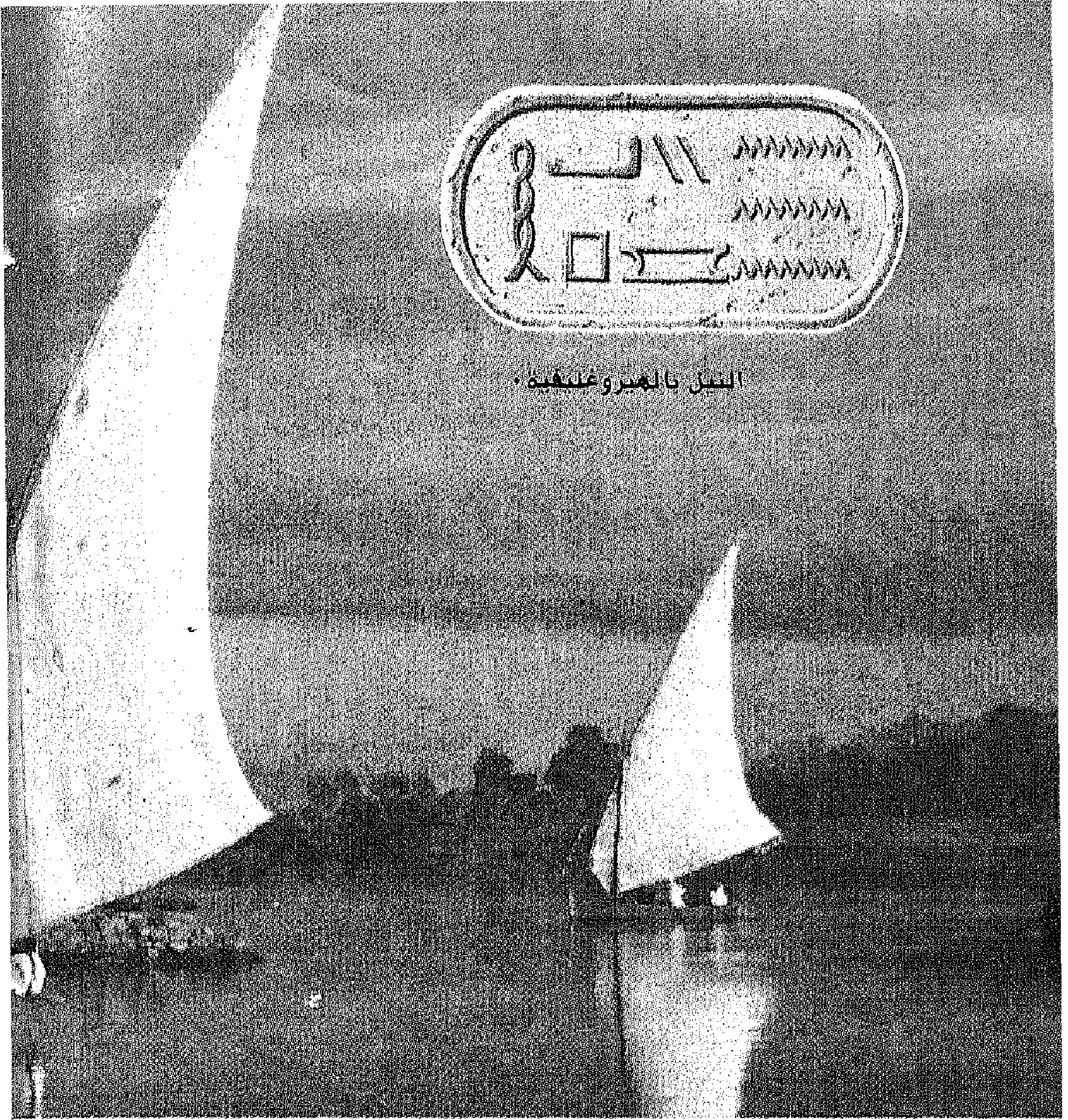
س.ب.

منتصف العمر

قال أحدهم في فترة منتصف العمر: " انها الوقت الذي يهتز كل شيء في الانسان ـ ذراعاه وركبتاه وعنقه". وقال آخر: "ليس هو أبعد مما تفكر فحسب، بل أقرب مما تتوقع". وأضافت ربة بيت: "في منتصف العمر تدرك أنك لن تعمر لتختبر جميع وصفات الطعام التي جمعتها من الصحف طوال ثلاثين سنة".

أما الرئيس الامريكي رونالد ريغان فيقول ان منتصف العمر هو المرحلة التي، حين تواجهك التجارب، تختار تلك التي توصلك الى البيت قبل التاسعة مساء.

ا.ز.ا.

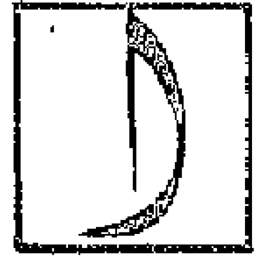


النيل بالهيروغليفية .

يخترق الصحراء كشريط من زمرد.
انه الوادي النهري القديم ومهد الحضارة.
وهناك لا تزال قائمة تلك الاعمال الخارقة
التي حققها الانسان، من اهرام الجيزة
الى السد العالي في اسوان

انا النيل

قوارب شراعية تعبر كوم اومبو الى الشمال من معبد أبو سمبل.



انا قديم كالخليقة، شامخ كالفضاء، مفيد كالعجلة الدوارة، أنا أيضاً هائل، بديع، عريق، ملهم كالشعر. انا النيل، اطول انهار الدنيا وأعظمها.

اشق مجراي منذ الازل عبر الصحارى الحارقة في شمال افريقيا حيث كنت الشريان الذي امد الشعوب باكسير الحياة. ولم تكن مياهي لتروي عطشهم فحسب، بل اتاحت لهم، بفضل ما تحويه من سمك وفير وطمي منبت للحياة، ان يزدهروا ويتحولوا عن الصراع البدائي للحياة ليمموا وجوههم شطر الدين والعلم والفن. هكذا كان وادي الاخضر قبل سبعة آلاف سنة مهد الحضارة. صحيح أن اودية انهر اخرى حفلت بانبعاثات حضارية على نحو ما حدث في دجلة

والفرات والهندوس وهوانغ - هو، لكن حضارتي النيلية ربما كانت المع هذه الحضارات على الاطلاق.

يبلغ طولي ضعفي الميسيسيبي وتتدفق مياهي عبر ٦٦٧٠ كيلومتراً من خط الاستواء حتى البحر الابيض المتوسط، مخترقة تسع دول ذات سيادة. لكن قلبي يقع في مصر حيث كنت الوسيلة والحافز لانبعاث حضارة مجيدة في ارض الفراعنة القديمة. هناك عمل الشعب الذي خصصته بنعمتي على تطوير الرياضيات ليتسنى له مسح الاراضي على ضفافي وحفر القنوات والترع لتتدفق فيها مياهي فلا تضيع. هؤلاء القوم اخترعوا تقويماً عملياً من ٣٦٥ يوماً لكي يتابعوا اشهر فيضاني (★). ولتنسيق هذه الجهود جميعاً، فانهم اخترعوا الحكومة.

وظلت مواسم فيضاني تأتي عاماً بعد عام في توقيت مضبوط كالساعة، فتروي المواقع نفسها وتخصب التربة وتنبت المحاصيل.

وظلت منابعي خافية على المستكشفين حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر حين استقر الرأي على اني اصدر عن موردين اثنين، او انني في واقع الامر نهران يختلفان في طباعهما اختلافاً شديداً. فأنا النيل الابيض، وهو اطول ذراعي، انبثق من ارتفاع ٢٦٢١ متراً في غابات وسط افريقيا الاستوائية وجبال جنوب بوروندي التي لا تبعد كثيراً

(★) تم اقرار هذا التقويم قبل اكثر من ٦٢٠٠ سنة في العام ٤٢٤١ قبل الميلاد الذي يعتبره بعضهم السنة الاولى في التاريخ.

عن بحيرة تنجانيقا. وأشق طريقي داخل بحيرة فيكتوريا ثم خارجها، واتدفق عبر الادغال المظلمة في اوغندا لانحدر عند شلالات مورشيسون العظيمة. بعد ذلك اخترق المجاهل الحارة الجافة في السودان. هنا لا تزال التماسيح وافراس الماء تقطن في مياهي. واذ اتوجه دوماً نحو الشمال، فاني اشق طريقي مكافحاً وسط ٧٥٠ كيلومتراً في مستنقعات البردي المخيفة المعروفة بمنطقة السدود واخلص منها مكتملا، بطيئاً، متزن الايقاع، يحفني الجلال والاكبار. فتخوض مياهي القوارب البخارية والشراعية التي تمخر منطقة الدلتا.

وأنا النيل الازرق، وهو ذراعي الاعتى، ارتفع حوالى الفي متر في جبال اثيوبيا البعيدة. واعبر بحيرة تانا ثم اسقط في شلالات تسيسات المجللة بالضباب ولا البث ان ارغي وازبد عبر ٦٥٠ كيلومتراً من الغابات العذراء التي تحف بمضيق يبلغ عمقه الف متر. وينتهي بي المطاف الى السودان الحار. وعبر اربعة اشهر من السنة اندفع عاصفاً كالمد العاتي ومقدماً ستة اسباع مياهي. اما في الصحراء فأنا ازداد اتساعاً ودفئاً وسكينة. واذ تقوم كثبان الرمال على ضفتي، الا ان مياهي القوية تمنح الحياة لمزارع القطن المنبسطة على مدى البصر.

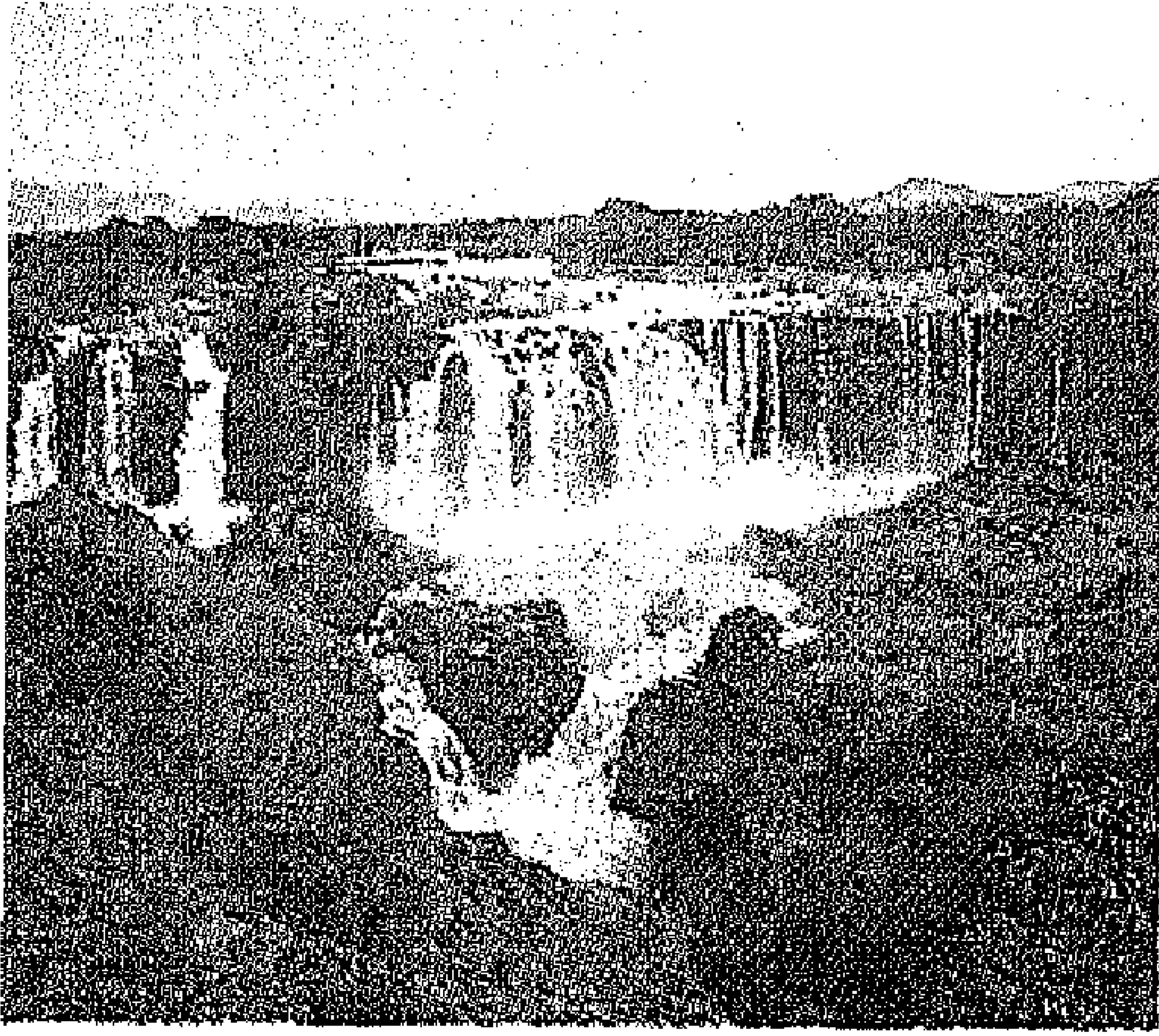
وفي قلب الخرطوم عاصمة السودان المسطحة المغبرة يندفع نصفي الثائر لكي يقترن بنصفي الاكثر هدوءاً. وعند هذه النقطة أصبح نهر النيل بلا

زيادة او نقصان، واذ ذاك يتعين علي ان اجتاز ثلاثة آلاف كيلومتر اخرى حتى اصل الى البحر الابيض المتوسط.

هناك اخترق مناطق قاحلة من الصحراء الكبرى حيث لا امطار على الاطلاق وحيث يسري مجراي الاسمر فانحدر نحو مصر متعثراً على سلسلة من الشلالات الطويلة الهينة، ثم اصب في بحيرة ناصر التي تمتد ٥٠٠ كيلومتر وهي اكبر بحيرة من صنع الانسان في العالم. وتحت السطح الذي تصطفق عليه الرياح تختفي القرى والحصون في النوبة القديمة بعدما اغرقها سد اسوان العالي قبل عقد. اخيراً، بعد ان اندفع بوحشية عبر محطات توليد الطاقة على السد العالي، اعود فانساب فوق شلالي السادس والاخير الى مدينة أسوان.

هنا تتراجع الجبال الهائلة التي تحجب الافق عند السد العالي لتظهر حقول القمح والقصب واشجار النخيل. وهنا تبدأ خصوبة مصر الفاتنة وتمتد مدينة اسوان معانقة ضفتي ومؤوية ١٤٥ الف نسمة. وتحرس ارصفتها اشجار تين البنغال والجكرندة وتصخب في سمائها اسراب اللقلاق والبجع والكركي.

وتعتز اسوان بانها واحدة من الاستراحات الرئاسية المصرية الاربع الواقعة على نهر النيل، وبانها تضم فندق الشلال العريق الذي كانت تشتي فيه العائلات الملكية الاوروبية. واسوان هي ميناء البواخر النيلية الهادئة التي تحمل المسافرين بين اسوان والدلتا. أما أنا فانساب بسرعة ثلاث عقد فلا اتجاوز سرعة

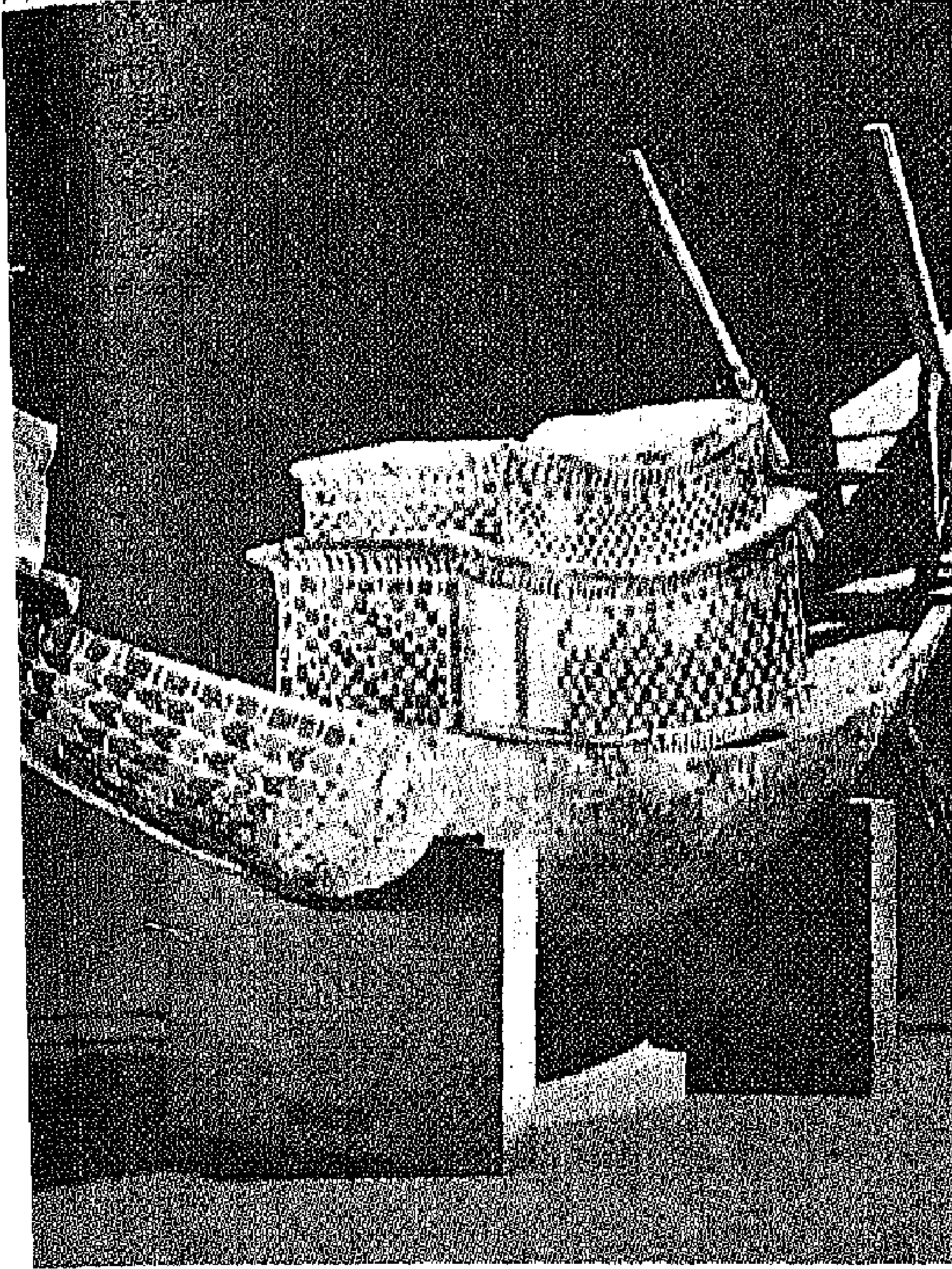


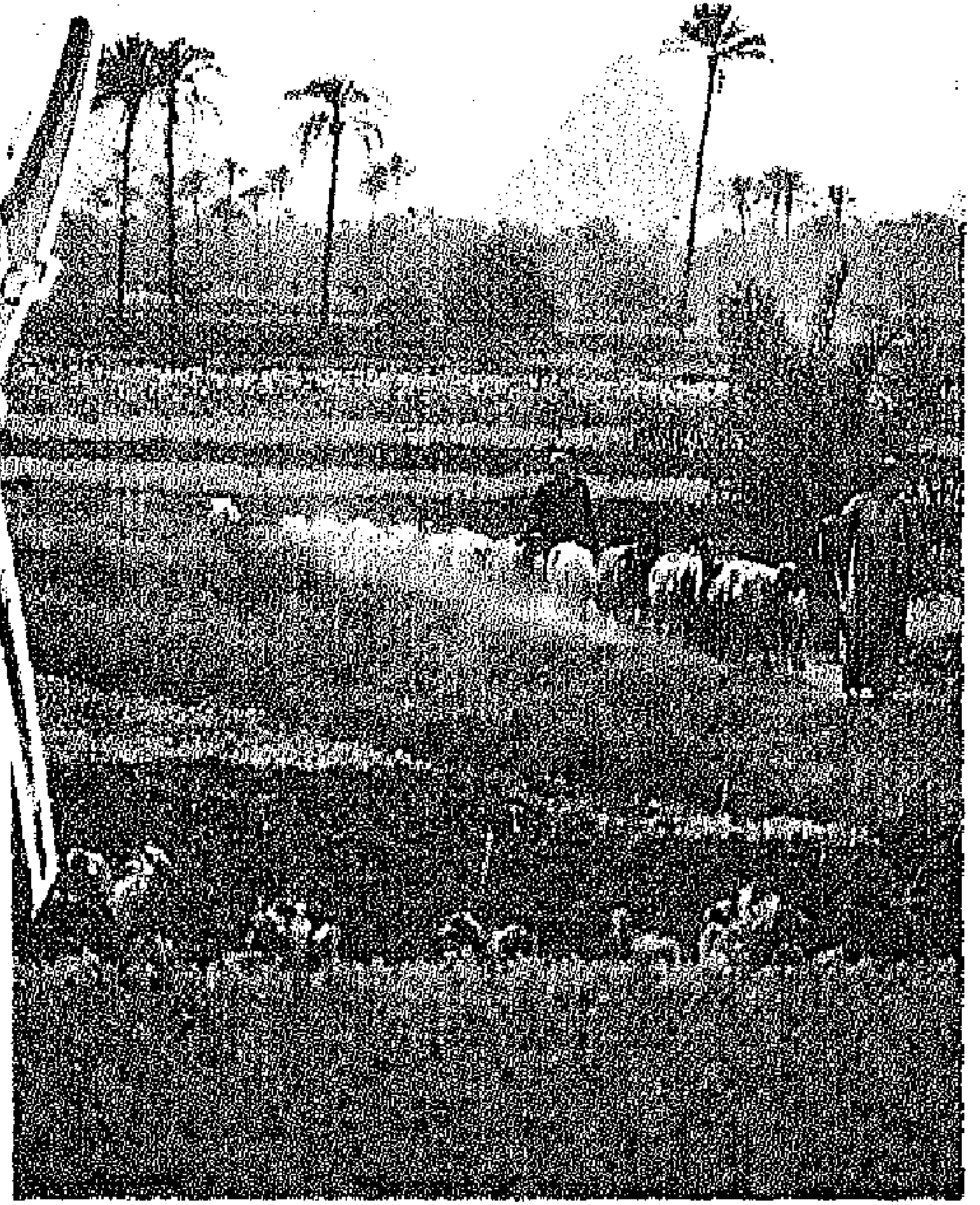
Ray Ellis Photo Researchers, Inc.

بعد عبوره بحيرة تانا ينحدر النيل الابيض شلالات في تسيسات.

الاقدام السائرة وقلما يزيد عمقي على ثلاثة امتار. واذ يمخر المسافرون مياهي المنبسطة التي يتغير رواؤها كالسحر من البني الى الازرق فالزمرد فالاحمر الشديد، تنكشف امامهم وقائع الحياة النيلية.

على ضفافي الخضراء ينحني الرجال في ملابسهم النيلية ليقطعوا قصب السكر الذي يعلو خمسة امتار، فيما تقبع مئات من طيور البلشون الابيض بلا حراك على شجرة واحدة وتدور الجواميس المعصوبة العيون ببطء حول السواقي وتتواصل خطى صفوف طويلة من الجمال المحملة بالاعلاف. هنا يصطاد الاولاد السمك وتغسل الامهات الاواني والثياب ويسبح الاطفال وتنزلق الثيران المنهكة الى هدأة مياهي المباركة. وبين صفوف متراصة من اشجار النخيل والاوكالبتوس التي تحف بي تتجمع القرى التي اكتست سمرة الارض. بيوت خفيضة مثل العلب مبنية بغير انتظام، ذات افنية مسورة



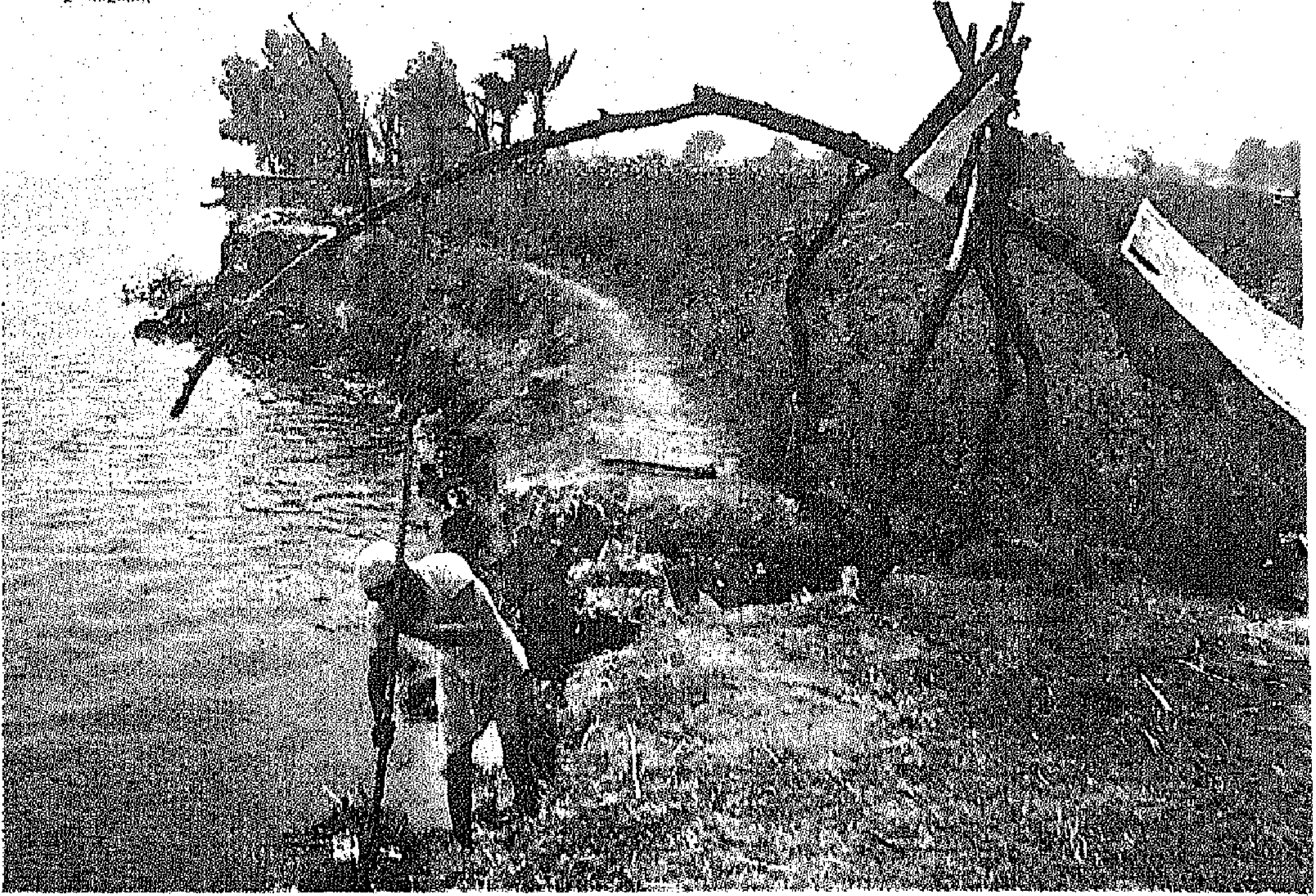




وتعلوها قباب مستديرة للحمائم، كلها مبنية بالطين الذي تجرفه مياهي.

هنا في صعيد مصر يكون اتساعي بلغ ٨٠٠ متر. وانساب في طريقي مجتازاً الاقصر. آه! الاقصر الجميلة الكسول! ضفاف المدينة الخضراء تبرق كاشفة مروجاً مشذبة. وتحفل حدائقها باسراب العصافير المغردة. اهل الاقصر يرتدون الجلابية الفضفاضة ويتميزون بخدود ذات عظام عالية وبشرة عسلية. أما حافة الصحراء هناك فواضحة قاطعة كانما رسمت معالمها بالقلم. فعند آخر ورقة خضراء يظهر اول كثبان الرمال.

Erich lessing Magnum





الصور من اعلى اليمين: ١ ـ هرمان من الجيرة يظهران خلف قطيع ماشية ، ٢ ـ مركب وجد في مدفن توت عنخ آمون، يعتقد انه اعد لحمل الملك في رحلة ما بعد الحياة ، ٣ ـ فلاح يعمل في احدى ضفتي النيل ، ٤ ـ لوحة جدارية من مدفن ايبوي في طيبة، وهي تمثل مشهد صيد ،

واذ انحدر شمالا الى مصر الوسطى يتسع وادي الخصيب موغلا في الارض مسافة ٢٥ كيلومتراً. هنا تتبدى امام العيون حقول هائلة خضراء من القمح والذرة. واذ كان فلاحي "المخلصون ما زالوا يستخدمون ما استخدمه رعايا الفراعنة من ادوات الزراعة، الا ان كل حبة من الارض الخصيبة تظل مروية ومزروعة بمهارة واقتدار. لقد ظل الفلاحون فوق كل شبر من ضفافي يعملون ويستريحون واحياناً يلعبون. وها هي مصر تضم ٤٤ مليون نسمة يحتل ٩٧ في المئة منهم اقل من اربعة في المئة من مساحة البلاد كلها... تلك المساحة المتاخمة لي:

بعد اكثر من ستة الآف كيلومتر من الحياة الريفية يأتي العرض الكبير. التقط انفاسي واندفع مباشرة الى القاهرة الصاخبة عاصمة مصر واكبر مدن افريقيا على الاطلاق. القاهرة مدينة عاتية يكتنفها الدخان وتجأر بعشرة ملايين نسمة. وينتفض ميدان التحرير بالحياة كقفير نحل غاضب. نظام السير فوق طرقاتها يعد من اصخب نظم المرور واخطرها في العالم. فزعيق ابواق السيارات لا ينقطع ليلا نهاراً، وركاب الحافلات يمتطون نوافذها ويتعلقون بجوانبها. ومن جراء الازدحام الخانق في المدينة فان بعض اهلها يسكنون بين المقابر، في حين ينام بعضهم فوق السطوح او في أكواخ موقتة بجانب النهر.

هنا يبلغ اتساعي حوالى كيلومترين، وامر تحت ستة جسور ضخمة، وانظر باعجاب الى خط السمت الذي تتلألأ فوقه المآذن المنتصبة والقباب الرشيقة وغابات من هوائيات التلفزيون. وانساب بين الفنادق السياحية السامقة والمراسي الخشبية التي تئن من الشد، وبين عمارات للمكاتب ترتفع ٢٥ طبقة ومقاه عتيقة عائمة. وحتى في هذه البقعة يكتنف ضفافي العشب واشجار النخيل، وأظل بالمقارنة مع معظم الانهر الكبرى بادياً في حلة مدهشة من النظافة.

اخرج من ضجيج الحضر فأفقد سرعتي وقوتي، وينسكب مجراي في شبكة الترع ومنها الى الدلتا الخضراء. في هذا المثلث العامر الذي يبلغ عرضه ٢٤٠ كيلومتراً يعيش نحو نصف سكان مصر. يفلحون التربة الخصيبة ويحصدون محاصيل عدة في السنة ويزرعون الفاكهة والحبوب والخضر، ومن ذلك غريبفروت كبير وغني بالعصارة ورز ممتاز وجزر طيب. هكذا تؤنس الدلتا الخصيبة الودودة خاتمة رحلتي. ويتحول لوني فجأة الى الزرقة واتسع لاشمل فرعين توأمين وتكاد لا تلوح في مياهي موجة واحدة اذ التحم بمياه البحر الابيض المتوسط. هنا تنتهي ملحمتي.

فجر الحضارة

قد تكون تلك بداية التاريخ على طول ضفافي الازلية وفي المدن التي قامت على تلك الضفاف. فقبل اكثر من ٥٠٠٠ سنة عرفت شعوبي اول انواع الورق فصنعته من قصب البردي الذي انبتته ضفافي. كما اخترعت الكتابة الهيروغليفية وابتكرت نظاماً للمقاييس ووضعت مبادىء الحساب والفلك وانشأت شبكة للري.

وبدأ تاريخ مصر رسمياً كدولة موحدة في العام ٣١٠٠ قبل الميلاد عندما وحد الفرعون مينا مصر العليا ومصر السفلى وجعل عاصمته ممفيس على ضفتي الغربية وعلى مسافة ٣٠ كيلومتراً جنوب القاهرة الحديثة. وعاشت ممفيس اوج عزها في عهد المملكة القديمة (٢٦٨٦ - ٢١٨١ ق.م.) فكانت اعظم مدينة في مصر. ولكن لم يبقَ منها اليوم سوى نخلات يعلوها الغبار وبعض ركام وتمثال عملاق ساقط لرعمسيس الثاني يبلغ طوله ١١ متراً.

وفي الجيزة خارج حدود ممفيس ينتصب اعظم جاذب للسياح في العالم، اهرام ثلاثة هي الوحيدة الباقية من عجائب العالم القديم السبع: هرم خوفو الاكبر يرتفع ١٣٧ متراً الى السماء اللازوردية وتبلغ مساحة قاعدته خمسة هكتارات. واذا كانت هذه المقبرة الفرعونية تعد ادق الصروح القديمة من الناحية الهندسية، فقط تطلب بناؤها جهد مئة الف عامل لمدة عقدين من الزمن. وها هي بعد اكثر من ٤٠٠٠ سنة تقف كأعظم بناء حجري في العالم القديم حاوية اكثر من مليوني حجر من الجير والغرانيت يوزن كل منها ٢٫٥ طن. وما زالت طريقة تشييدها سراً مصوناً. وعلى بضع مئات من الامتار يربض ابو الهول وقد علته شبه ابتسامة يكتنفها الغموض.

ومع توالي القرون ظللت المجرى المائي الحيوي الذي يربط اقاليم مصر ويشجع التبادل والتجارة ويحفظ وحدة البلاد. وعلى طول ضفافي تعين على الناس ان يتعاونوا كي يعيشوا ويضبطوا مواسم فيضاني. وهذا في ذاته كان يعني التنظيم. من هنا وضعوا المقاييس المدرجة عبر فترات معينة لتقيس ارتفاع المياه، وشيدوا المعابد على ضفافي.

وفي عهد المملكة الوسطى (٢١٣٣ - ١٧٨٦ ق.م.) نقل الفراعنة عاصمتهم الى طيبة على مسافة ٦٥٠ كيلومتراً الى الجنوب، وهي تعرف اليوم بالاقصر. من ذلك المكان انطلقت جيوشهم لتقيم امبراطورية عظيمة امتد بها العمر ألف سنة.

وفي حين كان الاوروبيون ما زالوا يقطنون في قرى بدائية، نعمت مصر بحضارة رفيعة متألقة لم تحلم بها بقعة في العالم. وتميز المصريون القدماء ببنية قوية وشعر اسود وبشرة نحاسية. اما نساؤهم الحور الجميلات فكن يستخدمن العطور ومساحيق التجميل ويتشحن في اغراء بثياب من الكتان. وكان الرجال يحلقون ذقونهم ويقلدون نساءهم في قص شعورهم وارتداء الشعر المستعار والحلى.

واذا اتسم المصريون القدماء بروح الفن والثقافة الرفيعة، فانهم كانوا يمارسون المصارعة والرقص والصيد والموسيقى ويسيجون املاكهم بقضبان من خشب. وهم صنعوا السفن الشراعية واستخدموا قوارب البردي التي كانت تركب مياهي وشيدوا السفن ذات الاربعين مجذافاً وهي اول سفن مخرت عباب البحر في العالم. هؤلاء القوم المدهشون حولوا الزراعة علماً وطوروا الطب والجراحة واقاموا حكومة مركزية واداروا شؤون جيش صغير مدرب ومجهز بتشكيلة من

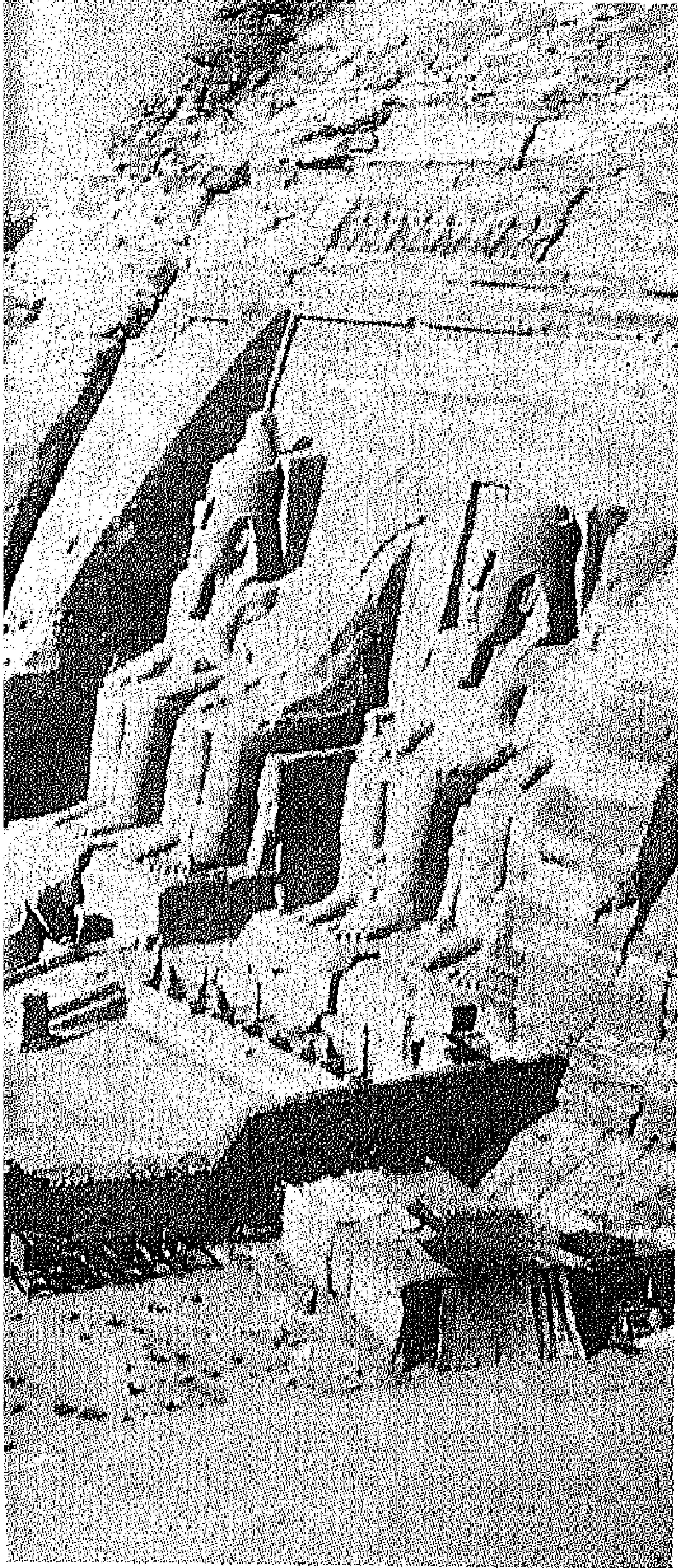
الاسلحة. ووصل الامر بهم في يوم بؤس الى التفكير في نظام بيروقراطي ومسك الدفاتر وجباية الضرائب.

قومي القدماء ابدعوا من الفن ما لا يقارن في شموخه وابتكروا ديانة معقدة وبسيطة في آن (يجمع الفرعون بين الانسانية والالوهة) تضمنت افكاراً عميقة حول الخير والشر والحياة بعد الموت والثواب والعقاب.

ومن العجب ان معظم المظاهر المادية لتلك الحضارة المجيدة ما زالت قائلة حتى اليوم. ففي عدد لا يحصى من المدافن والمعابد الوف الصور المحفورة والمرسومة تروي حياة هؤلاء القوم الغابرين ومعتقداتهم. معظم هذه الاثار هي روائع من عهد المملكة الحديثة (١٥٦٧ - ١٠٨٥ ق.م.) التي تمثل عصر مصر الذهبي حيث حكم فراعنة اسطوريون امثال الملكة حتشبسوت وتحوتمس الثالث، ذلك الجندي والاداري البارع، والراديكالي اخناتون الذي أعلن ان ليس هناك سوى الله واحد لا شريك له، ثم رعمسيس الثاني المحارب الذي لا يقهر والباني الذي لا تنفد له جعبة.

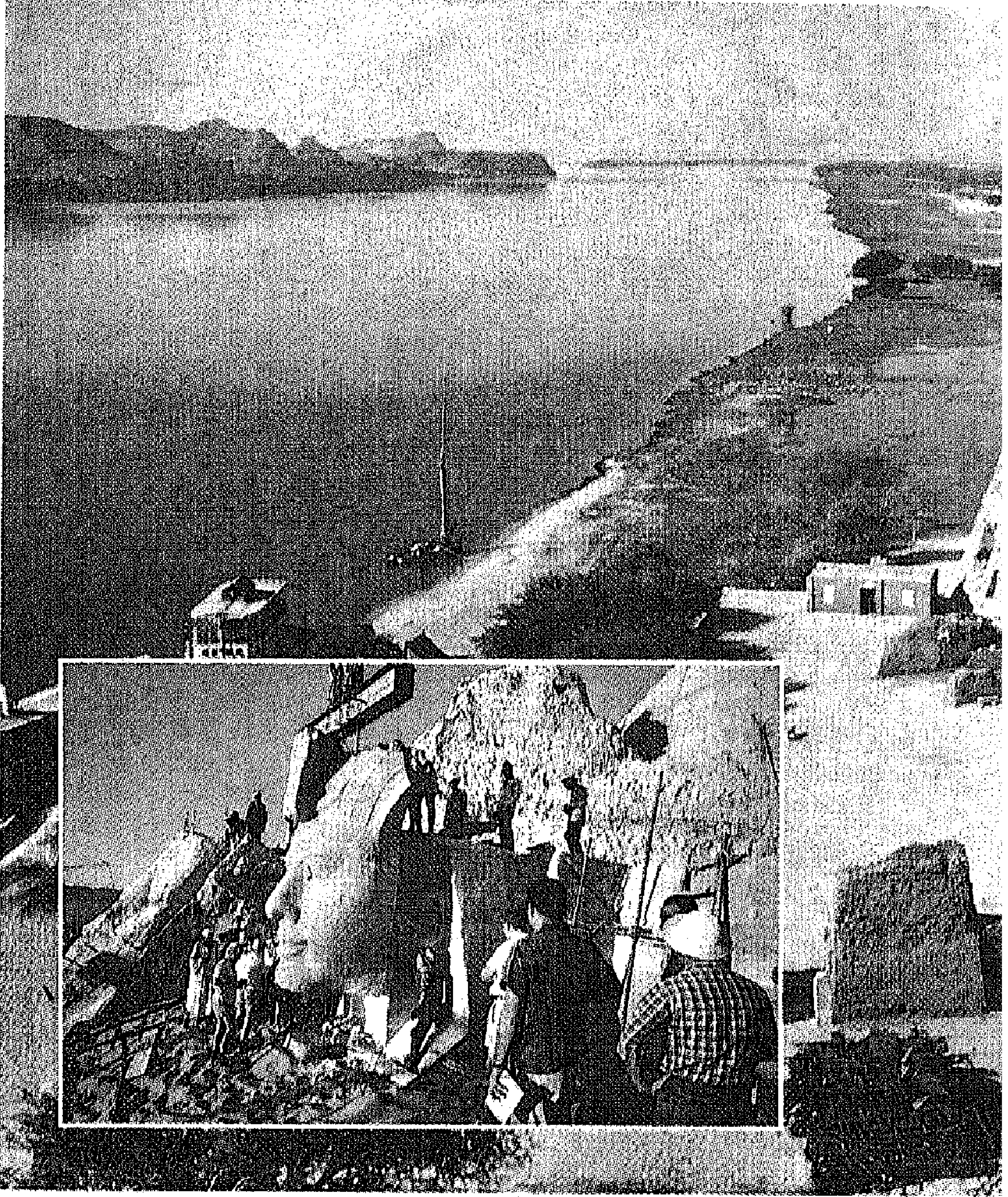
مدينة الاموات

بين جنبات الاقصر اليوم تتألق طيبة الامس. فالمعبدان الاعظمان في العاصمة القديمة، اللذان ربطتهما يوماً جادة على ضفتي امتدت ثلاثة كيلومترات، ما زالا شامخين على ضفتي الشرقية. فمعبد الاقصر العظيم هو كتلة هائلة من الحجر



الرملي وتحده بوابات هائلة واعمدة ضخمة ترتفع ١٦ متراً. وهو من الضخامة بحيث ان الاظفر الاصغر في قدم تمثال الفرعون في المعبد يمكن ان يجلس المرء فوقه.

ومع ذلك فمعبد الاقصر لا يعد شيئاً



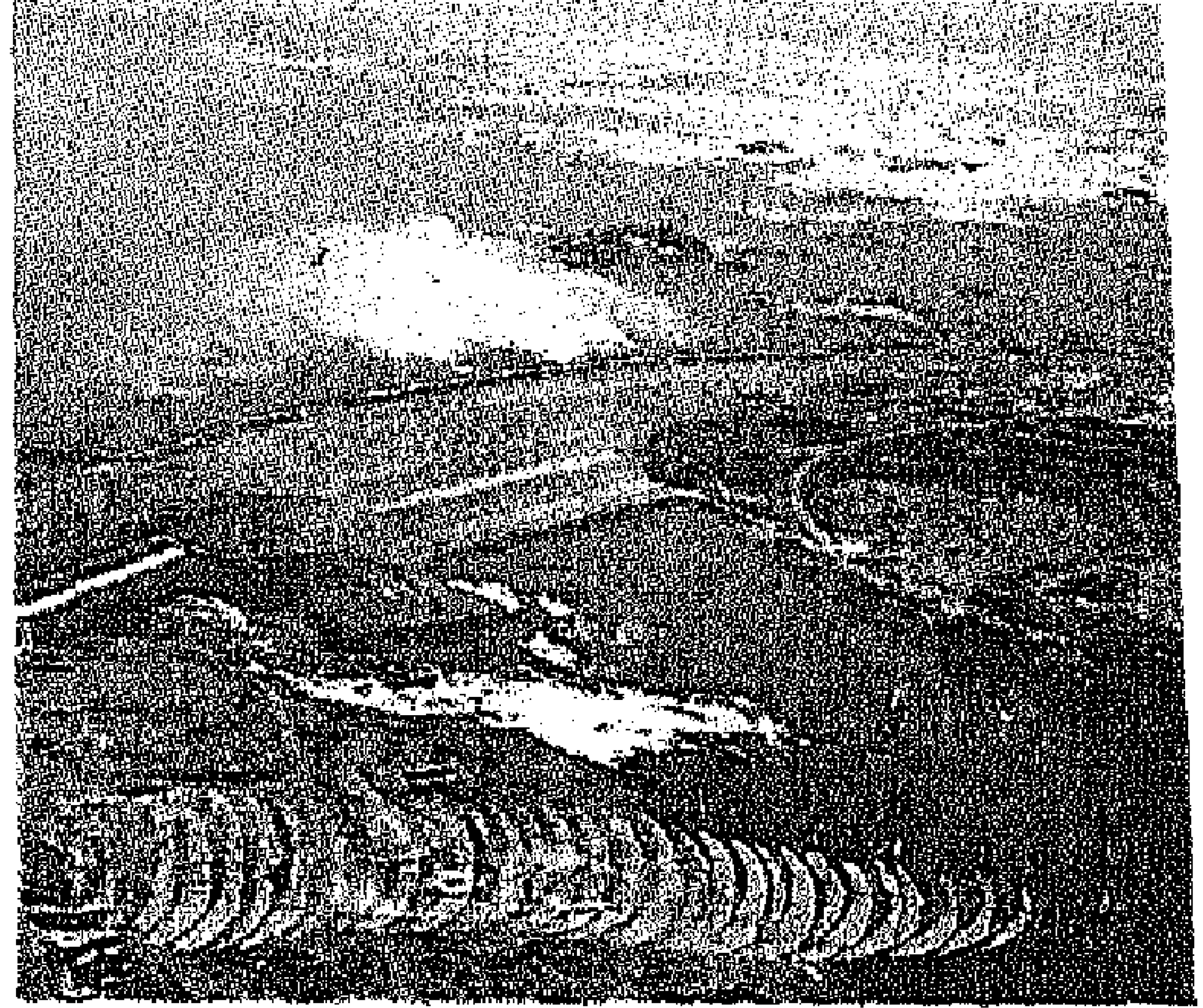
في ابو سمبل، تعبر مياه النيل بين المعبدين اللذين تحرسهما اربعة تماثيل ضخمة لرعمسيس الثاني.

James Burke / Life Magazine (c) 1961 Time, Inc.

في العام ١٩٦٤ فكك رأس رعمسيس الثاني من اجل رفعه الى مستوى اعلى.

1965 Dr. Georg Gerster / Photo Researchers, Inc.

اذا ما قورن بالمعبد الهائل لآمون رع الاله الشمس في الكرنك. ان المدخل الحجري للكرنك هو بارتفاع عشر طبقات وسماكة ١٥ متراً. ويمكن ان يشمل بهوه الداخلي ثلاثة ملاعب لكرة المضرب. وأما قاعته فتشمل غابة من


سد اسوان الضخم الذي احدث ثورة صناعية وزراعية٠

١٣٤ عموداً عملاقاً٠ وتوازي الافاريز المنحوتة ملعب كرة القدم طولا ، كما ان كل سنتيمتر مربع من المعبد يكاد يكون مغطى برسوم محفورة او بكتابات هيروغليفية٠

على ضفتي الغربية كانت تقوم مدينة الاموات التي تكاد تختفي وسط هضبة صخرية٠ اكثر من ٨٠٠ مقبرة محفورة داخل السفح الصخري الصلب، ثم هناك الطريق الملتوية المنحدرة التي ترتقي صعداً الى حيث الساحة القمرية الموحشة ووادي الملوك الاسطوري بمدافنه الفرعونية الاربعة والستين٠ هنا عام ١٩٢٢ حقق عالم الاثار البريطاني هوارد كارتر ومموله اللورد كارنافون اكتشاف القرن: كنز توت عنخ آمون٠ ومع ان المقبرة لا تخص سوى فرعون شاب توفي في التاسعة عشرة من العمر، فانها واحدة من مدافن قليلة نجت من لصوص المقابر٠ وداخل غرفها الصغيرة الاربع وقع كارتر على مجموعة من النفائس الهائلة: ١٧٥٠ قطعة تضم قناع توت الجنائزي الرائع وجيشاً من التماثيل الذهبية الصغيرة والكفن الداخلي المصنوع من الذهب الخالص٠

وهناك صرح آخر من صروحي المدهشة هو ابو سمبل على بعد ٥٠٠ كيلومتر الى الجنوب في عمق صحراء النوبة٠ هنا على مدى ٣٢٠٠ سنة انتصبت المجموعة الرباعية العملاقة من تماثيل رعمسيس الثاني الجالسة التي تعد من اكبر المنحوتات المصرية واكملها، تقف بجلال لتسود ضفتي وتحرس مدخل المعبدين المحفورين داخل الصخر٠ في العام ١٩٦٤ ارتفعت مياهي خلف السد العالي الجديد في اسوان وهددت باغراق هذه الصروح، بيد ان العالم مد يد الانقاذ وبكلفة بلغت ٤٢ مليون دولار فككت معابد ابو سمبل وتماثيلها الحارسة الى ١٠٤٨ قطعة، وبعد خمس سنوات من العمل اعيد تجميع هذه الروائع العظيمة من الحجر الرملي على ارتفاع ٦٤ متراً عن مستواها الاصلي فباتت تواجه بشموخ بحيرة ناصر الفيروزية٠

وعلى مدى الوف السنين ازدهر الوادي الذي اجري فيه وانتعشت حياة شعب مصر٠ ولكن في العام ٥٢٥ ق٠م٠ اطاح الفرس آخر الفراعنة، لكنهم هزموا بدورهم على يد الاسكندر الاكبر وجنوده الاغريق عام ٣٣٢ ق٠م٠ وبقي البطالمة الاغريق ورثة الاسكندر في مصر لمدة ثلاثة قرون٠ ثم جاء يوليوس قيصر وقوات روما فكتب على دلتاي ان تكون لمدة ستة قرون ونصف قرن سلة لخبز الامبراطورية الرومانية ومن بعدها الامبراطورية البيزنطية٠

وبعد فتح مصر على ايدي جيوش المسلمين القادمة من شبه الجزيرة العربية عام ٦٤١م· اصبحت بلداً اسلامياً يتكلم العربية· وفي ٩٦٩ اقيمت مدينة القاهرة على ضفتي لتصبح عاصمة البلاد· وهنا حكمت مصر افواج الغزاة من عرب واتراك، فاقاموا فيها المساجد والقصور وانشأوا الجامع الازهر ليكون اكبر جامعة اسلامية في العالم·

انطلاقة محمومة

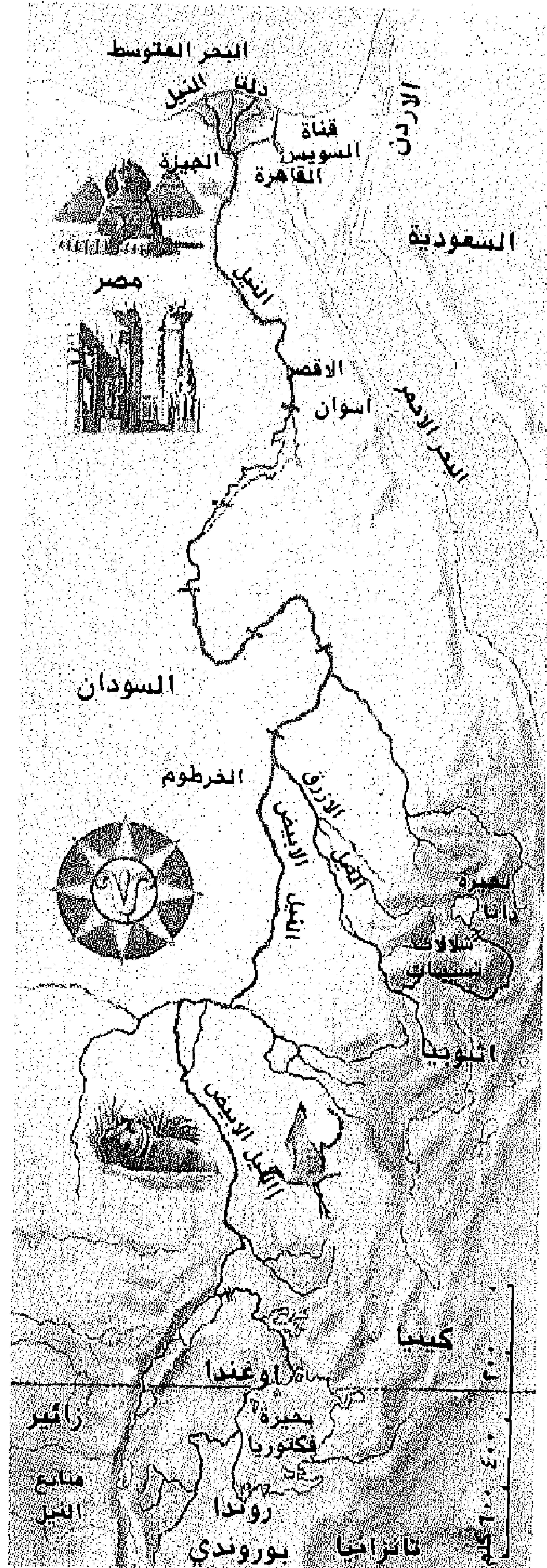
وفي العام ١٧٩٨ وطأ ارض مصر ضابط فرنسي شاب هو نابوليون بونابرت على رأس حملة عسكرية، سرعان ما اجبرت بعد ثلاث سنوات فقط على الانسحاب امام قوات بريطانية وعثمانية مشتركة· وفي ١٨٠٥ اصبحت مصر تحت حكم عسكري داهية ومغامر الباني هو محمد علي الذي دبر للحال مجزرة تخلص فيها من ٥٠٠ من خصومه في حفلة واحدة· ثم انطلق من بعد لكي يدخل بمصر عالم القرن التاسع عشر· كانت وسائل محمد علي سيئة، لكن اهدافه فعالة· وهو شيد اول القناطر على مجراي لتحويل المياه الى الاراضي الجديدة المروية، ثم زرع القطن الذي أصبح اعظم محاصيل مصر على الاطلاق·

وافتتحت قناة السويس عام ١٨٦٩· وبعد كثير من المماحكات حول تمويلها ادخلت الامبراطورية البريطانية مصر ضمن نطاق نفوذها واعلنتها محمية لها عام ١٩١٤· ولم يتسن للبلاد ان تستعيد استقلالها الا عام ١٩٣٦· وفي ١٩٥٢ شارك المقدم جمال عبد الناصر في انقلاب عسكري اطاح الملكية· وبعد عامين اصبح ناصر زعيماً لمصر·

واذا كان عبد الناصر وطنياً راديكالياً فانه قاد مواطنيه على طريق اصلاحات زراعية جذرية وامم كل شيء فوق ارض مصر، ثم شرع يصلح الاقتصاد المعطوب· وكان رمز هذه الانطلاقة المحمومة سد اسوان الهائل الذي كان من شأنه احداث ثورة زراعية وصناعية· بيد ان الولايات المتحدة ما لبثت ان سحبت دعمها للسد العالي، فكانت النتيجة ان دخل السوفييت عملية تمويل بنائه·

وأيا تكن السياسات التي اتبعت، فان بناء السد العالي كان عملا بطولياً من مرتبة حفر قناة السويس او بناء الاهرام· ولقد كلف مبلغاً ضخماً وصل الى خمسة مليارات دولار بين ١٩٦٠-١٩٧٠، واستدعى عملا متواصلا شغل ٣٥ الف مصري و ٢٠٠٠ سوفييتي· وفي العام ١٩٧٠ على بعد ١١ كيلومتراً جنوب اسوان، انتصب السد العالي عبر مياهي مثل صرح كبير رمادي من الاسمنت عرضه ٣٦٠٠ متر وارتفاعه ١١١ متراً، دميم المظهر ولكن عظيم النفع·

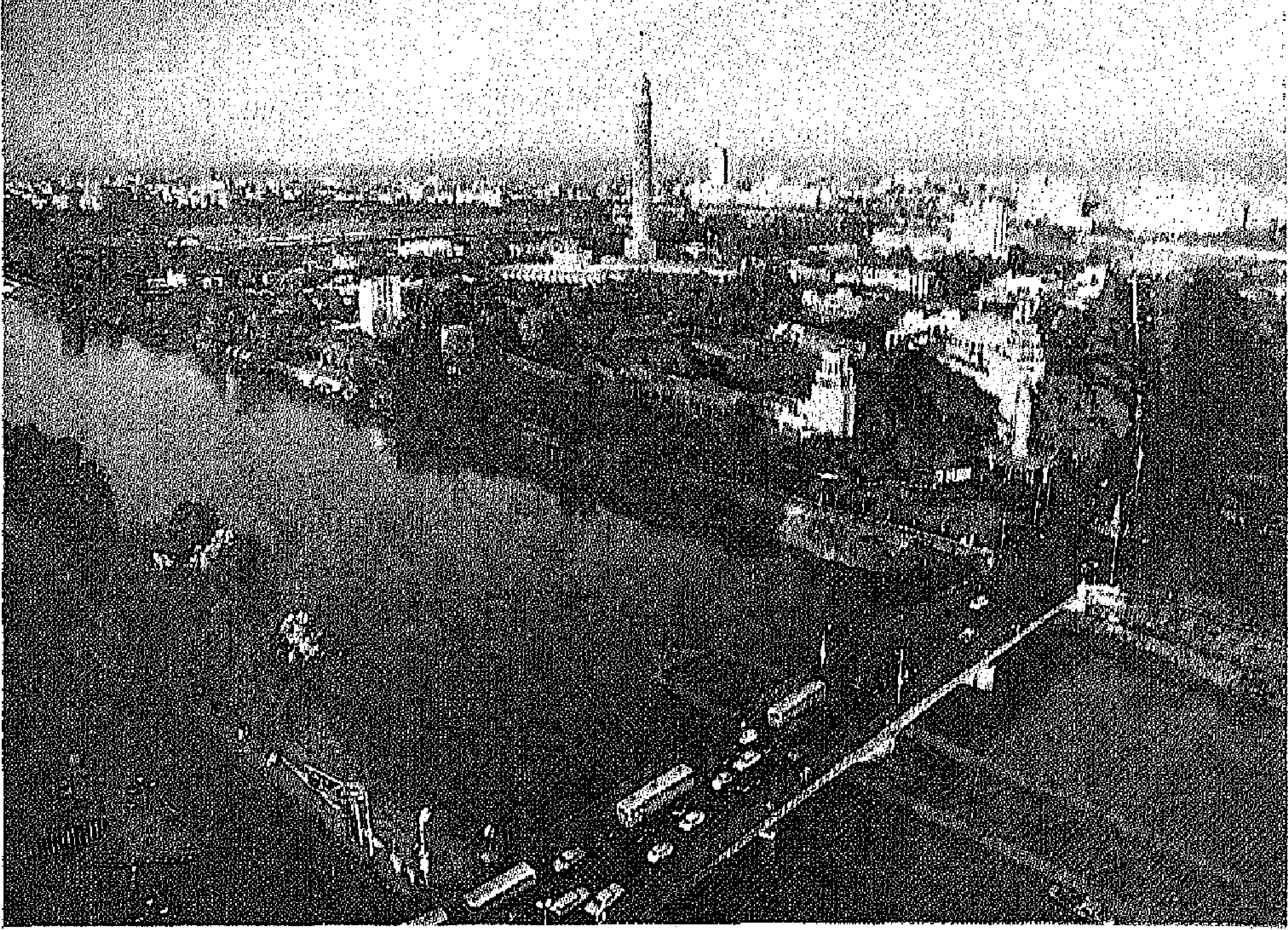
ولقد درجت طوال الوف السنين على رفع مياهي ستة امتار او اكثر ابتداء من يوليو (تموز) وانتهاء في اكتوبر (تشرين الاول)· فتفيض مياهي على الضفتين لتحيل الوادي بأكمله بحيرة هائلة· وكانت القرى المعزولة تستوي فوق الطين والطرق الرئيسية تجتاز المياه فوق مسالك موحلة وقطعان البقر ترتقي الاراضي المرتفعة



عند حافة الصحراء. واذ تنحسر المياه فانها كانت تخلف الاراضي مبللة وغنية بالغرين الخصيب.

اما اليوم فسد اسوان يتحكم بمياهي. لم يعد النيل الازرق المضطرب يغمر الارض بفيضانات صاعقة ولا المجاعة تحدث نتيجة الجفاف. واذ انخفض منسوب مياهي الى مستوى ادنى واكثر ثباتاً، فان الخطوط الهاتفية باتت تمتد على دعامات قديمة وترتفع اشجار النخيل الجافة المعزولة فوق رواب لا لزوم لها. وها هي ضفافي، مثل جوانب سفينة عتيقة، علاها البلى وبدت كأنها نحتت بازميل عن العلامات التي تشير الى منسوب المياه الذي كان يرتفع في الايام الغابرة.

البورفيسور خليل منسى من جامعة ميشيغان يشرف على دراسة بدأت عام ١٩٨١ وتستغرق سبع سنوات ووضعت لها موازنة من مليوني دولار، وهي تتناول السد العالي المطروح دوماً للنقاش والجدل. والبروفيسور منسى يتعاون في الدراسة مع الاكاديمية المصرية للبحث العلمي والتكنولوجيا. ومنذ ما بدأ السد مهمته امكن استصلاح ٤٠٠ الف هكتار من الصحراء اضيفت الى رقعة الوادي. ولانـي اليوم اوفر المياه على مدار السنة، فان مليون هكتار من الارض باتت تنتج موسمين او ثلاثة في السنة بدلا من واحد. وزاد انتاج الاغذية بنسبة تراوح بين ٢٠ و٥٠ في المئة. كذلك انطلق الرواد مسافة ٥٠ كيلومتراً داخل الصحراء لترويضها بمد انابيب المياه وانشاء سبع مدن جديدة. كذلك تمت كهربة جميع قرى مصر الاربعة الاف،


النيل يعبر مدينة القاهرة ٠

فيما يولد سدي العالي ثمانية مليارات كيلووات/ساعة فيوفر ٧٠ في المئة من حاجة البلاد الى الكهرباء ٠ وها هم الفلاحون يقولون ان محاصيلهم اصبحت اغزر وافضل وانهم يكسبون اكثر بجهد اقل ٠

بحر التغيرات

على ان دعاة الحفاظ على البيئة يروجون ان السد العالي اثار مرض البلهارسيا الطفيلي الخطير وقضى على مصائد سمك السردين ٠ وهم يدعون ايضاً انه حرم وادي لنيل ٨٠ الى ١١٠ ملايين طن من الغرين سنوياً وتسبب في انتشار ظاهرة تشبع التربة بالمياه كما زاد ملوحة الاراضي الزراعية ٠

الا ان البروفيسور منسى يفند هذا كله ٠ ويظهر المسح الذي أجراه ان انتشار البلهارسيا يتقلص في الواقع وان خسارة الدلتا ١٨ الف طن من السردين عوضها ٣٠ الف طن من اسماك بحيرة ناصر، كما ان الغرين، الذي لم يكن بالخصوبة المتوقعة حلت محله الاسمدة المستخلصة من فوسفات الصحراء وطاقة السد العالي ٠ ويضيف البروفيسور منسى ان اي ضرر اصاب التربة انما يرجع الى خطأ التخطيط المركزي في القاهرة وتمكن معالجته بوسائل التصريف السليم ٠ وقد بدأت وزارة الري فعلا تنفيذ مشروع واسع لهذا الغرض ٠

الا ان العمل الاساسي لموظفي الوزارة الخمسين الفاً هو تطهير شبكة الري الخاصة بي والمعقدة على نحو لا

يصدق. فهم يكادون يتحكمون بمياهي اذ تتدفق الى قناة كبيرة موازية ومن ثم الى ترعة اصغر، ثم تتوزع في ترع اصغر واصغر حتى تصل الى مجار مائية هزيلة. وهنا يتولى الفلاح الامر في قطعة أرضه الصغيرة فيحول مسار المياه بلطف لتروي كل نبتة مشكلا باصبعه الترعة الاخيرة.

وها هي الاحوال بعد هذه القرون الطويلة الصعبة تصل الى خاتمة طيبة. فالاقتصاد المصري ينتعش والدخل الفردي يبلغ مستوى معقولا (كان ٤٨٠ دولاراً عام ١٩٧٩). بيد ان وادي النيل الاخضر الذي اجري فيه لا يزال بعيداً عن النظام. فالانفجار السكاني زاد عدد اهالي الى اكثر من ضعفي ما كانوا في الحرب العالمية الثانية، وسوف يصل عددهم الى مستوى كابوسي يبلغ ٧٠ مليوناً خلال عقدين من الزمن (نصف السكان الآن يقل عمرهم عن العشرين حيث يبلغ متوسط العمر المتوقع ٥٤ سنة). وفي وادي المزدحم يعيش احيناً اكثر من الف نسمة في الكيلومتر المربع. وقد ادى ذلك الى ان هذا البلد الذي كان يصدر الاغذية قبل ٢٥ سنة اصبح يستورد ثلثي حاجته منها.

ان السنين العشر او الخمس عشرة الآتية ستشهد زيادة ٥٠ في المئة في الـ٢،٥ مليون هكتار المزروعة في مصر، وذلك لمسايرة الزيادة في عدد السكان.

مع ذلك فالامر مازال ينطوي على التفاؤل. فترعة السلام الجديدة التي تنقل مياهي الى سيناء يتوقع ان تؤدي الى استصلاح ٦٠٠ الف هكتار. كذلك فقد يتعزز الاقتصاد بفضل ازدياد عائدات السياحة وقناة السويس والتحويلات التي يرسلها المصريون العاملون في الخارج وارتفاع الصادرات النفطية التي بلغت قيمتها ٣،٥ مليارات دولار عام ١٩٨١، وهو العام نفسه الذي شهد ١٥ اكتشافاً نفطياً مهماً ضاعفت احتياطات النفط في البلاد.

لقد كان شعبي يحلم بمصر الرخاء ومصر التقدم حيث قطعة من الارض وبيت لكل مصري. وانا النيل في قلب هذه الطموحات كلها. ولكن اذا كان للشعب المصري ان يستخدم قدراتي بحكمة فعليه ان يهتم بي اكثر مما يفعل. لا بد من ان يحسن تصريف مياهي فيكافح التلوث الذي بدأ يفسد دلتاي بسبب النفايات والمواد الكيميائية. فاذا عاهدني على تنفيذ هذه الامور، فسوف افعل من اجله الكثير.

ان مواردي تكاد لا تنفد. فأنا عطاء دائم متجدد، انا قوة في حال من البعث لا تنقطع. وانا حتى عندما اتدفق في مياه البحر الابيض المتوسط، فانما لابدأ رحلتي نفسها على مسافة ٦٦٧٠ كيلومتراً في اعالي افريقيا. انا حاضن الحضارة المتجدد، اكرر عطاياي في وفاء فأرسل شريان الماء المتدفق الذي لا ينقطع واخدم الانسان مثلما ظللت افعل منذ فجر الخليقة.

على قاعدة تمثال سايس القديمة على دلتاي، عبارة محفورة في الحجر وفي الذاكرة: "انا كل شيء، انا الماضي، انا الحاضر، انا المستقبل." ولعلها كلماتي انا ايضاً.

■ **كريستوفر لوكاس**



كان الفحيح آتياً من القبــو. وهو لم يتوقف طوال شهرين

بيت الثعابين

في شتاء ١٩٦٧ انتقلنا انا وزوجتي من المدينة الى قرية باركر في ولاية كولورادو، على مبعدة ٤٠ كيلومتراً جنوب شرق دنفر. وكنا ننوي تربية الخيول. وفي غضون ذلك عملت مراقباً في شركة للبريد الخاص. واستأجرنا منزلا متواضعاً قربه حظيرة ويشرف على ٦٥ هكتاراً من الارض.

كانت المفاجآت التي حبتنا بها الطبيعة بهيجة في باديء الامر: قطيع من الوعول يرعى فوق التلال وبومة تطير وسط ليل ساكن مثلج وهديل يمام في الخامسة صباحاً. هكذا شعرت كأني في جنة عدن.

وفي منتصف مارس (آذار) طالعنا طقس رائع دافيء يكاد لا يصدق. فقررنا اقتناص الفرصة بالخروج فوق صهوات الخيل. وعندما عدنا الى المنزل سمعت فحيحاً عالياً شبيهاً بصوت الغاز او البخار المتسرب، وكـان الفحيـح آتيـاً مـن الطبـقـة الارضية. فتحت باب القبو وانحدرت

على السلم، بيد اني لم اجد بخاراً متسرباً. فجأة رأيت مصدر الصوت. فوق الارض، قرب سخّان المياه، التفّ ثعبان مجلجل وهو مستعد للانقضاض. وتسلقت السلم بسرعة وصفقت الباب ورائي مبادراً زوجتي: "ثمة ثعبان هناك!" ثم ركضت الى الحظيرة لاحضر منجلا. وعدت افتح باب القبو وقد تملكني الرعب. ووصلت الى اسفل السلم وانا امنّي النفس بان الامر ليس سوى كابوس. لكن الثعبان اللعين كان لا يزال هناك. ورفعت المنجل وتقدمت بخطى بطيئة. كانت عينا الثعبان ترقبانني، ومن خلف رأسه ثمة شيء يومض، انه ذيله. وكان صدى الفحيح يتردد فوق جدران الاسمنت مثل صفق اجنحة الجراد في ليلة صيف.

رفعت المنجل في وجه الثعبان كملاكم يتحفز لخصمه. لكن الثعبان لم يعرني اهتماماً. وسددت اليه ضربة بالمنجل، واذ سحبت الآلة الحادة رأيت السم الزعاف يقطر من نصلها.

في تلك اللحظة من الارتباك تذكرت القتال بالعصي في تدريبات سلاح البحرية. فسددت ضربة اخرى ثم رفعت المنجل من جديد وهويت به على الثعبان، مصدراً في الوقت نفسه صيحة عالية كفيلة بارضاء غرور اي مدرب. الا ان المنجل علق في مكان ما وسط الثعبان. وهنا ارخى الثعبان التفافه. وعدت اكرر الصيحة والضربة استجابة لمشاعر الخوف هذه المرة. ولا اعرف كم مرة ضربت الثعبان، الذي اعرفه هو اني عندما فرغت من الصياح كان الثعبان اصبح جثة هامدة.

وغمرتني نشوة الانتصار، ليس على الثعبان بل على المشاعر التي تملكتني قبل ذلك بلحظات. واظن اني ترنحت قليلا وانا في طريقي الى الحظيرة كي اخفي المنجل بعيداً.

وقبل ان اصل الى مقصدي التقيت دين، صاحب المنزل والارض. وعندما رويت له ما فعلت طلب ان يرى الثعبان.

وسمعنا الفحيح نفسه حال وصولنا الى البيت. وهنا قلت "لست افهم. انا متأكد من انه نفق." وهبطنا السلم الى القبو. كان الثعبان ممدداً هناك، لكن الصوت ما زال مسموعاً.

لست اعرف ايّنا رأى الثعبان الآخر اولا. كان على مسافة متر منا، عند الركن بين الجدار وعارضة خشبية.

اهتاج دين وخطف المنجل من يدي، لكن نصله كان اكبر من المساحة المستهدفة. لهذا استخدم المقبض كي يستحث الثعبان على الخروج من مكمنه، فأطل وهو يلتوي ويتثنى حتى حمله دين على الخروج الى ارض القبو، فسدد الى رأسه ضربة متقنة رمته بلا حراك. وران الهدوء في القبو. ووضعنا الثعبانين في كيس وصعدنا الى البيت لنحتفل بالمناسبة.

حال حصر — وفي ساعة متقدمة من تلك الليلة عدت الى القبو وسلطت نور مصباح على الجدران. فرأيت ثعباناً آخر يتحرك فوق رأسي. لم اصدق عيني وحبست انفاسي وعدت الى المنزل حيث وجدت زوجتي في حال شبه هستيرية. وهي ارادت ان تذهب الى احد الفنادق، لكنني لم أرَ اننا في خطر مباشر.

وفي اليوم التالي رحت اروي قصتي بحماسة لزملائي في العمل. لكن متعتي لم تدم تلك الليلة، اذ عدت الى منزلي لاجد ثعباناً قابعاً هناك. فكيف السبيل الى التخلص منه؟ وقررت قتله ببندقيتي. وخاطرت باحتمال ارتداد الطلقة عليّ. الا ان الثعبان سقط من عل فأسلمني الى رعب يقرب من الموت نفسه. لكنه هو الذي نفق في اي حال.

واذ افترضنا ان هناك مزيداً من الثعابين في القبو، فاننا قررنا فرض حال حصار على أنفسنا. لم يسعنا مغادرة المكان وترك الجياد، ولم نكن في خطر حقيقي ما دامت الثعابين لا تخرج من مكامنها الى بيتنا. ولست اكذب اذا قلت اننا لم نكن نحتاج الى دخول القبو الا عند الضرورة. ثم ان لحال الحصار هذه مزاياها ايضاً: ففي وسعي ايام العطل المملة اصطياد... الثعابين. وكنت دائماً اجد منها واحداً على الاقل.

واتصلت انا وجاري بالمسؤولين عن الزراعة في المنطقة وبحديقة الحيوان واختصاصيي المبيدات ووكالات الصيد، علنا نقع على وسيلة للتخلص من تلك الثعابين. وطرحت علينا حلول عدة. نصحونا بان نشتري نمساً ونطلقه في المكان. وقال احد الخبراء ان لديه طريقة تنطوي على استخدام سم السيانيد، لكنها تقضي بهجر المنزل لمدة سنتين. ولم اكن اعتقد ان دين سيؤيد استخدام هذه الطريقة.

وتوالت الاسابيع واستمرت المعركة. واخيراً اكتشفنا ان الثعابين دخلت القبو من ثقب صغير في البناء. ويبدو انها جاءت في الخريف السابق. وربما اجتذبها القبو لدفئه، او تسببت حرارة الطقس في خروجها من خدرها الشتوي أبكر من المعتاد.

وذات يوم دخلت حجرة الانابيب والتوصيلات الكهربائية، فرأيت ثعباناً كبيراً قتلته بطلقة واحدة. ووجدتني امام خطر داهم: هذا الثعبان الممدد امامي يبلغ ثمانية امتار طولا ويقع في منطقة لا ينفذ اليها الضوء وربما لا يزال يشغلها اخوان له. ثم ان الربيع على الابواب، والطقس الدافىء معناه تحلل الجيفة. ولم تكن لدي فكرة عن رائحة ثعبان متحلل، ولم ارغب كذلك في الدخول اليه واخراجه.

رقم قياسي – زارني دين في يوم عطلة، وتحول الحديث كالعادة الى موضوع الثعابين. وحدثته عن الثعبان النافق في حجرة التوصيلات، وسألته عن طريقة لاخراجه. فقال جاري: "انا الذي سأخرجه. فانتم تحملتم ما فيه الكفاية ولا يتعين عليكم ايضاً ان تشموا رائحة ثعبان متحلل."

ذهبنا الى الحظيرة واخذنا مصباحاً كاشفاً وعدداً من الاسلاك الكهربائية. كانت الفكرة تقضي بتوفير اكبر مقدار من النور حين ينحشر دين في حجرة التوصيلات. وهو اصرّ على حمل بندقيتي القصيرة الماسورة، فيما أمسك انا بندقيتي العادية كنوع من الدعم المعنوي. ومع ذلك فلم اكن لأتوقع من ثعابيني ان تحاول نصب الشراك.

وحين أذكر ذلك الحادث أعجب كيف فاتني ان ادرك مدى الشجاعة التي شهدتها في تلك اللحظات. كان

دين في طريقه الى حجرة ضيقة تكاد لا تسمح له بالوقوف. وكان مخرجه الوحيد منها فتحة تتسع حوالى نصف متر مربع. ثم أنه سيدخل منطقة قد تعج بعشرات الافاعي السامة.

حمل دين المصباح بيد والبندقية بالاخرى، وشرع يزحف داخل الفتحة. وفجأة انطفأ النور. في تلك اللحظة كان في وسع المرء ان يسمع صيحاته على بعد كيلومترات.

كلمات كثيرة كان يتفوه بها الى حد بات من الصعب أن اعرف ماذا يريد. لكن الواضح أن أول ما اراده اصلاح الضوء. كان يصرخ بي كي أجد موضع العطل في التوصيلة. وفي عجلة مجنونة تحسست السلك بيدي فلم اعثر على أي عطل. وبعد لحظات، فيما توالت صيحات دين، عاد النور وسمعته يقول بحياء: "لقد وطأت السلك."

ثم نظر الى أعلى وقال: "ثمة واحد هناك." وتحركت الى الخلف اذ رفع البندقية واطلق النار. كان الثعبان صغيراً لا يزيد طوله على ٣٠ سنتيمتراً. وكنا حققنا رقماً قياسياً لطول الثعابين، فخاب أملنا في الطرائد القصيرة.

وواصل دين زحفه في زوايا المكان، فحقق انجازات كثيرة. اخرج الثعبان الكبير وقتل سبعة اخرى، فبلغ مجموع ما اصطدناه ثمانية.

بعد اسابيع، في شهر مايو (ايار)، قتلت ثعباني التاسع عشر. واذ جذبت الزناد شعرت بالحزن. فغريزة الثعابين قادتها الى منزلي بحثاً عن مأوى لها في خدرها الشتوي، ولم تكن مدفوعة بعامل الحقد او التربص لالحاق الاذى بي او بعائلتي. لكن الثعبان كان خطراً، وبدا كأني اخفقت في تحييد هذا الخطر من غير قتل مصدره.

كان هذا آخر الثعابين التي رأيناها. وفي الشتاء انتقلنا الى منزل آخر. وقال لي دين ان الهنود الحمر يعتقدون انهم اذا علقوا ثعباناً نافقاً كي يجف، فهو يجلب المطر. وفي اواخر مايو (ايار) علقنا بعضاً منها على السور. وظلت السماء تمطر كل يوم من حزيران (يونيو).

■ وليم ساتون

بحر برسم البيع

ذهب احد سكان الجبال الى البحر للمرة الاولى في حياته ومن فرط اعجابه بالمناظر التي رآها، وقف يتكلم بدهشة معبراً عن حبور لا يصدق. ولاحظه اثنان من المستحمين، فقررا ان يبتزا منه بعض المال استغلالا لسذاجته. وسأله احدهما: "ماذا تفعل؟"

ــ اني أخلع حذائي.

"لكن هذا غير جائز. فاذا جاء كل شخص الى هنا ووضع قدميه في الماء، تلوث البحر".

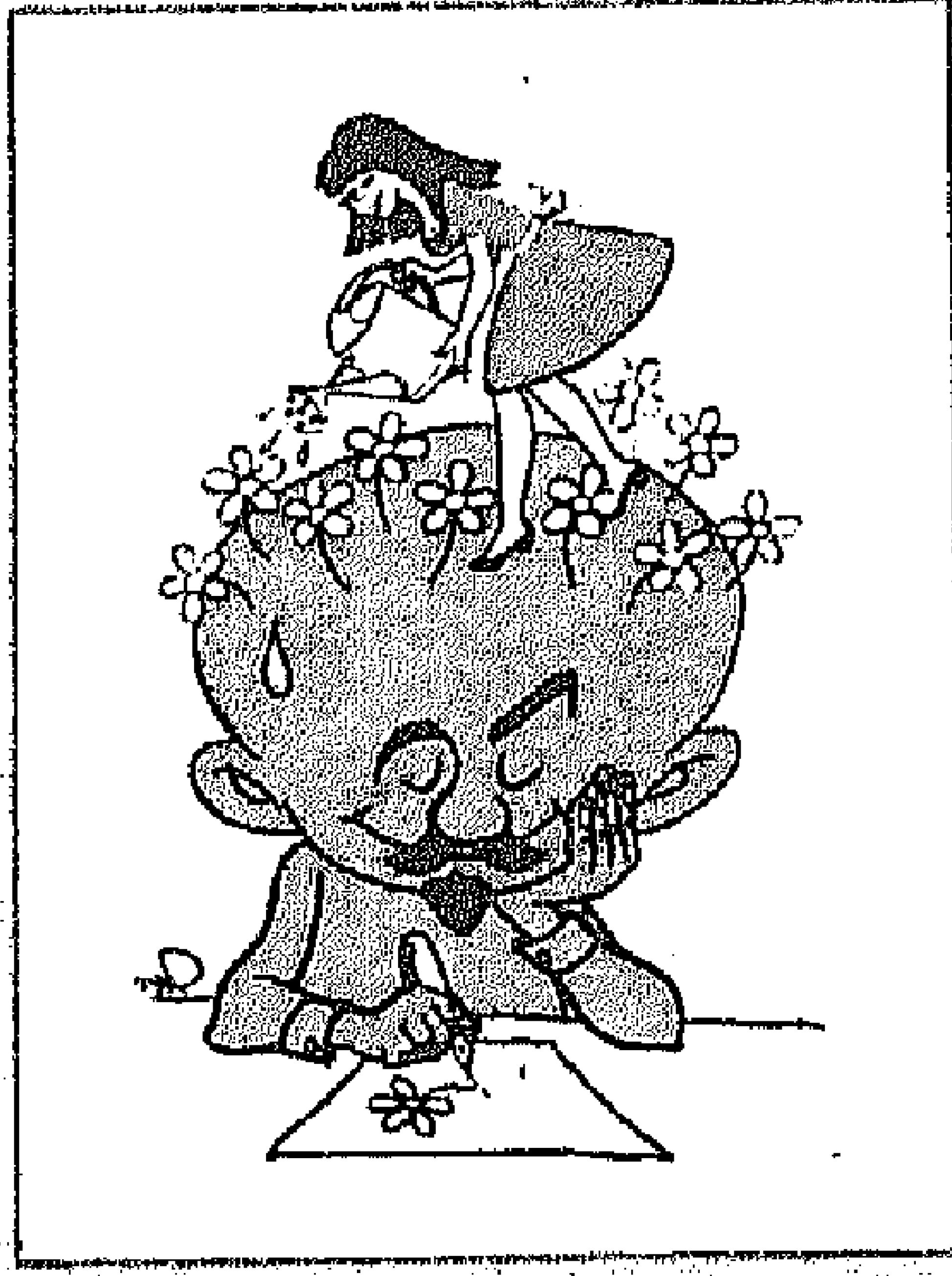
ــ هذا صحيح! انكما على حق.

"ولكن اذا شئت، أمكننا بيعك دلواً من ماء البحر بثمن زهيد."

ــ إني أشتريه!

واشترى الريفي دلو الماء ووضع قدميه فيه بعد لأي شديد. ثم نظر الى البحر ليرى مياه الشاطىء انحسرت بفعل حركة الجزر، فقال: "لا بد من انهما باعا مقداراً ضخماً من الماء هذا اليوم!"

م.ك.



حديقة أفكار

- أحسد الحيوانات على أمرين: جهلها الخطر الآتي، وجهلها ما يُقال عنها.

فولتير

- الفكرة الجديدة كائن سهل المكسر، يقتله تثاؤب أو عبوس من الشخص الملائم.

تشارلي براون

- الفرح المشترك فرحان، والحزن المشترك نصف حزن.

مثل أسوجي

- اذا لم تتعثر بين وقت وآخر، فهذا دليل على اكتفائك بالامور الصغيرة.

وودي آلن

- في الحرب، ليست هناك جوائز ترضية.

الجنرال عمر برادلي

- الشخص الذكي هو من يوجِد عدداً من الظروف يفوق ما يجده.

فرنسيس بيكون

- السعادة نبتة تنمو في حديقتنا، لكنها مغطاة بأعشاب كثيرة.

د.ك.

- الحديث كالطعام الشهي: يجب أن يُقطع قبل التخمة.

ج.ا.

- السياسي من غير حزب كحلزونة من غير صَدفة.

ا.ج.

- لو عرف الناس متى يتلاقون وأين في المرة المقبلة لكانوا أكثر رقة لدى وداع أصدقائهم.

رويدا

روائح خفية تؤثر في سلوكنا

يعبق الجو حولنا بألوف الروائح الخفية التي تثير فينا العواطف وتحد طريقة سلوكنا

ا الجو حولنا مشحون باشارات سرية هي روائح خفية تنقل مختلف انواع "الرسائل." وقد اخذ العلماء يكتشفون في تلك الروائح لغة صامتة،هي أقدم اللغات في الوجود.

دعيت هذه الروائح "فيرومونات" اشتقاقاً من الكلمتين اليونانيتين "فرين" وتعني "ينقل" و"هورمان" وتعني "يستثير." وهي موجودة في كل كائن حي. وتحدث في حيوانات الفصيلة الواحدة تغييرات مشابهة للتي تسببها الهرمونات. هذه الاتصالات الكيميائية المباشرة استخدمتها المخلوقات البدائية التي لم تنعم بأعين وآذان.

معظم المخلوقات الحية ما زالت تستخدم حاسة الشم للاتصال في ما بينها. تأمّل كيف تستقبلك قطتك المنزلية بحك خدها على ساقك. ان لديها غدداً للرائحة قرب منبت شعر شاربيها، وهي بسلوكها هذا انما تسمُك برائحة مميزة تنذر القطط الاخرى بالابتعاد عنك وكأنها تقول: "هذا البشري لي." وعلى غرار ذلك يترك كلبك آثار رائحة حول حدود منطقته. وقد لوحظ ان الذئاب تتوقف عن مطاردة ظبي تلاحقه اذ يعبر حدود منطقة وسمتها مجموعة اخرى من الذئاب برائحتها الخاصة.

ضمن المجموعة الواحدة تشكل الفيرومونات ايضاً علائم الانتماء والتفرد والسيطرة. فالكلب القائد في المجموعة يطلق رائحة تحرك في الكلاب الاخرى سلوك الرضوخ. وفي كثير من الفصائل الحيوانية، مثل الفئران، تحدد فيرومونات الانثى المسيطرة اوقات دورة التزواج لدى بقية الاناث، بل انها احياناً تقمع قدرتها التناسلية.

وتؤثر الفيرومونات حقاً في التناسل. ففي فصل الربيع تطلق انثى العث دفعات ضئيلة من الروائح

الرمزية معلنة اهبتها للتزاوج. وهذه الرموز تجعل قلوب ذكور العث تخفق ولعاً على بعد ٨٠٠ متر. وقد نجح العلماء في عزل هذه المادة الكيميائية واستخدموها لصدف الذكور عن ملاحقة الاناث او لاستدراجها الى الشراك. وبذلك بدأ العلماء مرحلة جديدة في الصراع الأزلي للانسان مع الحشرات.

والانسان ليس أول من استخدم معرفته بفيرومونات الفصائل الاخرى كوسيلة لخداعها والتغلب عليها. فهناك فصيلة من النمل الذي يستعبد انواعاً اخرى. وهو يهتدي الى اوكار ضحاياه بآثار فيروموناتها على الارض، ثم يشن عليها حرباً كيميائية صاعقة داخل اوكارها. وحين تهب هذه للدفاع عن نفسها، تطلق النمال المهاجمة رائحة كيميائية مماثلة لتلك التي تحرك مشاعر الخوف لدى ضحاياها، فيدب الذعر في هذه وتتراجع. عندئذ تنقض النمال المهاجمة على يرقات الاوكار المغلوبة وتنقلها الى اوكارها هي لتربيها كعبيد تخدمها.

بقي على البحث العلمي ان ينتج فيروموناً يحرك مشاعر الرعب والفرار في الحشرات الضارة كالبعوض الذي يهتدي الى ضحاياه بواسطة الرائحة.

هل تؤثر اشارات الروائح في الانسان؟

بالمقارنة مع المخلوقات الاخرى يبدو اننا غير مجهزين كفاية لنحيا اعتماداً على حاسة الشم. فالكلب من الفصيلة الالمانية التي تستخدم في حراسة قطعان الاغنام يحتوي انفه على ٢٢٠ مليون خلية لتقصي الرائحة، وهذا يزيد ٤٤ ضعفاً على ما لدى الانسان منها. وقد تكون حاسة الشم الاقوى في عالم الحيوان هي لدى سمك السلمون الذي يعبر الوف الكيلومترات في المحيط والانهر المتشعبة مهتدياً برائحة ضئيلة تأتيه من جدول صغير حيث نقف من بيضته قبل سنوات.

ومع ان الانسان يعتمد اساساً على عينيه وأذنيه، فأن انفه حساس أيضاً. من هنا عمدت شركات الغاز المستخدم في المنازل الى اضافة مادة ذات رائحة منفرة الى الغاز المعبأ - الذي لا رائحة له اصلا - وذلك لانذار ربات البيوت الى تسرب الغاز من القارورة او الانابيب. ومعظم الناس يمكنهم شم جزيء واحد من هذه الرائحة اذا كان ممزوجاً بـ ٥٠ مليون جزيء من الهواء. وكما ان العينين تمكناننا من تحديد الابعاد، فأن المنخرين يمكناننا من تحديد مصدر الرائحة بتمييز مقدار كثافتها في كل منهما.

ان القدرة على الاحساس بالرائحة تختلف كثيراً بين شخص وآخر. كثيرون يمكنهم تمييز ٤٠٠٠ رائحة مختلفة، لكن في وسع بعضهم تمييز اكثر من ١٠ الآف رائحة. وهناك دلائل على ان انوف النساء تستشم هذا العالم على نحو مخالف لانوف الرجال.

فشم الروائح منوط بالتفاعل بين الكيميائيات داخل الجسد وخارجه، الفيرومونات والهرمونات.

روائح سحرية – بقي على العلماء ان يحلوا لغز عمل حاسة الشم. احدى النظريات تقول ان خلايا الشم لدينا تستجيب لشكل الجزيئات التي تأتيها، وأن المواد التي تختلف كيميائياً، ولكن يتشابه فيها شكل الجزيئات، ربما تكون روائحها متماثلة. وقد يكون هناك عدد قليل لا يتجاوز العشرات من اشكال الجزيئات الخاصة بالرائحة، تماماً كما يوجد عدد قليل من الالوان الاساسية. غير أن الروائح الاساسية يمكن ان تتمازج وينتج منها عدد غير محدد من الروائح كما يحدث في تمازج الوان الطيف.

وهناك نظرية بديلة تقول ان انوفنا تتحسس الاهتزازات تماماً كما تفعل عيوننا وآذاننا. وأظهرت التجارب ان حاسة الشم يمكن ان تتغير بوضع المرء ضمن حقل كهرومغناطيسي. وهذا قد يوحي بأن تردد الذبذبات، وليس شكل الجزيئات الوافدة، هو مفتاح السر الذي يجعلنا نشم رائحة الوردة ونعرف أنها وردة. لكن العلماء ما زالوا يدرسون هاتين النظريتين وسواهما.

ان خلايا الشم في انوفنا متصلة مباشرة بأحد اكثر اجزاء الدماغ حساسية، وهو منطقة كانت تدعى "الدماغ الانفي" واصبحت تدعى الآن الجهاز اللمبي. هذا الجزء يتحكم بالحركات اللاارادية والحوافز البدائية بما فيها الرغبة الجنسية والجوع والظمأ. وربما كان هذا يفسر كيف ان ذكريات الرائحة تبقى حية في مخيلاتنا ولماذا نظل قادرين على تذكر الروائح التي شممناها في صغرنا. ويبدو ان الروائح تنطبع في الدماغ على نحو أعمق كثيراً من الانطباعات البصرية والسمعية والفكرية. وكثير من الروائح التي تؤثر فينا لا تدخل اطلاقاً عقولنا الواعية. وقد اثبت العلماء ان المواليد الجدد يصبحون بعد ايام قليلة قادرين على التعرف الى رائحة امهاتهم.

هل البشر أيضاً يبثون اشارات فيرومونية ويستجيبون لها على غرار المخلوقات الاخرى؟ لقد وجد العلماء ان كثيراً من الروائح التي لا نحس بها تحدث تغييرات في اجسادنا. وراقب الباحثون اشخاصاً اجلسوهم في غرف اطلقت فيها مقادير ضئيلة من الروائح. وقد اعلن هؤلاء انهم لم يشموا اي رائحة، ولكن خلال لحظات سجلت آلات الرصد الدقيقة تغيرات في ضغط دمهم وتنفسهم وسرعة نبضات قلوبهم.

هل هناك حقاً فيرومونات بشرية؟

العلماء غير واثقين من ذلك. ولكن لا جدل في ان الجسم البشري يطلق بعض الكيميائيات التي تعمل كالفيرومونات في الفصائل الاخرى. فعندما يتفصد الجسم عرقاً يبث رائحة معقدة التركيب تدعى

آندروستيرون. بعض الحيوانات ينفث المادة نفسها، وهي بالنسبة اليه اشارة تحفز للعدوان لدى الذكور واستعداد للتزاوج لدى الاناث.

ما هو تأثير هذه الرائحة في البشر؟

ان التجارب كشفت بعض النتائج المدهشة والمقلقة في آن.

أقل من نصف الرجال الذين اعطوا عينة من الآندروستيرون لشمها امكنهم تمييز اي رائحة على الاطلاق. في حين ان الفتيات الشابات بلا استثناء تقريباً تعرفن الى الرائحة. معظمهن وصفنها بأنها طيبة و"مسكية" كالروائح الاصطناعية المقلدة لها والتي تدخل منذ أمد بعيد في صناعة العطور. والمسك الطبيعي يستخرج من غدة صغيرة في جسم غزال المسك فيالهند،وهو ما زال منذ قرون يعتبر مثيراً للرغبة الجنسية.

عام ١٩٧٨ نشر الباحثون في جامعة برمنغهام البريطانية نتائج دراساتهم عن تأثير الفيرومون في الرجال والنساء. فبينوا انه لا يثير الرغبة الجنسية، لكنه يعمل كفيرومون. قليلون ممن تعرضوا للآندروستيرون لاحظوا ذلك، لكنهم شعروا بتغير في مواقفهم الانسانية اذ اصبحوا اكثر سعادة ولطفاً. وفي بعض التجارب عرضت على المتطوعين صور اشخاص، وطلب منهم ان يعربوا عن آرائهم في جاذبية هؤلاء. بعد ذلك عرضوا للآندروستيرون وقدمت اليهم الصور ذاتها فأفادوا أن اصحاب الصور غدوا اكثر جاذبية. هذه النتيجة تطرح احتمالا بأن هذه المادة الكيميائية تنبه الروابط الاجتماعية في جماعات الناس كما في قطعان الذئاب، لكنها لا تثير الرغبة الجنسية لدى الانسان كما تفعل لدى الحيوانات.

مثل هذه الرائحة يمكن ان ترش في الاجتماعات السياسية او تمزج بالحبر الذي تطبع به المنشورات الدعائية في الحملات الانتخابية لجعل المرشح يبدو اوفر جاذبية. ان الروائح الخفية تبعث البهجة في النفوس، لكن هناك ناحية مخيفة في الوقت نفسه. فالمواد القادرة على التأثير الخفي في الاجزاء غير المفكرة في الدماغ قد تطرح احتمال استخدام المواد الكيميائية الحياتية للسيطرة على الآخرين وتوجيههم.

طب الروائح – هذه السنة سينتج من الروائح ما قيمته مليارا دولار. لكن جزءاً يسيراً من هذا المبلغ سيذهب الى انتاج العطور والطيوب. اذ سينفق معظمه في اسباغ الرائحة العطرة على اوراق الرسائل وبطاقات التهنئة وفي ادخال وهم الاناقة والنضارة على المواد المطرية ومساحيق التنظيف والرائحة المتوقعة على الطلاء والادوية وسواها من المنتجات. وهناك سائل يرش في السيارات المستعملة ليسبغ عليها رائحة السيارات الجديدة.

هل هذه المؤثرات الشمية فيرومونات؟

معظم العلماء يقولون لا. فهذه الروائح لا تستثير دوافع بيولوجية شبيهة بما تحدثه في الحشرات. وربما كان البشر يتأثرون بالروائح، لكنهم احرار في تجاهلها.

ومع ذلك فان الروائح تؤثر فينا. ويبدو ان الابحاث التي اجرتها العالمة النفسانية جوديث رودين من جامعة يال في ولاية كونيتيكت تدعم المزاعم التي يطلع بها بعض متبعي نظام الحمية حين يقولون: "اذا شممت رائحة قالب حلوى بالشوكولاته، زاد وزني نصف كيلوغرام." فقد اكتشفت رودين ان رائحة الاطعمة الشهية قد ترفع مستوى الانسولين في دم بعض الناس. وهذا الهرمون يعجل تحويل السكر في الدم دهناً. كما ان تلك التعابير المجازية مثل "رائحة الخوف" تتضمن بعض الحقيقة. فقد توصل العلماء الى عزل "فيرومون الخوف" في الفئران وسواها من الفصائل التي تستخدمها كأشارة انذار لابناء جلدتها تحذرها من خطر يتهددها. كما ان هناك شكاً في اننا نحن البشر يمكننا ان نستشعر، من دون وعي وبأدلة الرائحة وحدها، عواطف الآخرين.

ان علماء بيولوجيين، امثال روبرت هنكن، من المركز الطبي لجامعة جورجتاون في واشنطن، يفكرون اليوم في استعمالات جديدة للعطور. ويقول هنكن ان علماء الاتحاد السوفييتي يستخدمون روائح خاصة لخفض مستوى القلق والارهاق لدى العمال. ويعتقد هنكن ان الرائحة المناسبة قد تزيد الكفاية العملية في المصانع والمكاتب وتخفف الروح العدوانية في السجون. وأن اشباع الكتب المدرسية بالرائحة المناسبة قد يزيد رغبة التلميذ في التعلم ويحسن قدرته على المذاكرة.

في القديم كان الاطباء يشخصون الامراض بالروائح التي يشمونها في مرضاهم. ويقال ان مرض التيفوئيد يبعث رائحة تشبه رائحة الخبز الساخن، وحمى الحصبة رائحة الريش المنتوف، والجنون رائحة الفئران او الغزلان، والطاعون رائحة العسل، والحمى الصفراء رائحة دكان الجزار.

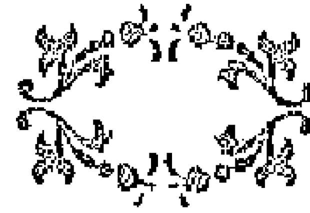
بعض الاطباء المعاصرين جددوا اهتمامهم بعلم التشخيص عن طريق الرائحة، وهم يجرون تجارب "خدش وشم" مستخدمين قصاصات ورق مشبعة بكبسولات دقيقة تحتوي روائح لامراض محددة. ففي الحالات الطارئة، مثل هذه المهارات التشخيصية قد تنقذ ارواحاً.

تصور نفسك طبيباً تعالج مريضاً احضر اليك وهو في غيبوبة. اذا كان عبق فمه يحمل الرائحة الحلوة المميزة لمادة الآسيتون، فأن سبب الغيبوبة المحتمل هو ارتفاع نسبة السكر في الدم. واذا كان المريض يحمل رائحة

الآمونيا، فأن علته قد تكون في الكليتين. بعض الروائح الاخرى قد يكون دليل أنسداد في الامعاء او تسمم بالسيانيد. وفي حين تستغرق الفحوص المخبرية وقتاً طويلا قد يتعذر معه انقاذ المريض، فأن أنف الطبيب المدرب قد يخرج بالتشخيص الدقيق خلال ثوان معدودة.

ان في وسعنا ايقاظ حاسة الشم القديمة الكامنة فينا واعادة تشغيلها، فالانسان يبث ويتلقى باستمرار ملايين الاشارات الكيميائية التي لا يعرف سرها سوى الانف ولا يحللها سوى الدماغ البدائي. وسواء أكان بعض الروائح، أم لم يكن، فيرومونات تندمج في هرموناتنا وتطلق فينا دوافع لا نقوى على مقاومتها، فأن الروائح التي تتخلل حياتنا تؤثر فيها بلا ريب وتلون سلوكنا. واذا اوليناها انتباهنا، فقد تمدنا بمعلومات مذهلة عن ذواتنا وعن الآخرين.

▩ لويل بونتي



الاستاذ "الحديث"

كتب استاذ تاريخ في تقريره السنوي امام ادارة الجامعة: "من أهمّ انجازاتي للعام الحالي أني أمضيتُ وقتاً طويلا في تحديث محاضراتي حول التاريخ القديم".

د.ك.

خوف مزدوج

كان نجم التلفزيون الامريكي ستيف الن يستضيف طبيباً في احد برامجه. فسأله الطبيب: "ثمة خوفان غريزيان لدى المرء، هما الخوف من الصوت المرتفع والخوف من السقوط عن مرتفع فأي الخوفين لديك؟"

فأجابه الن: "اخشى أن ارفع صوتي وأنا أسقط من عل".

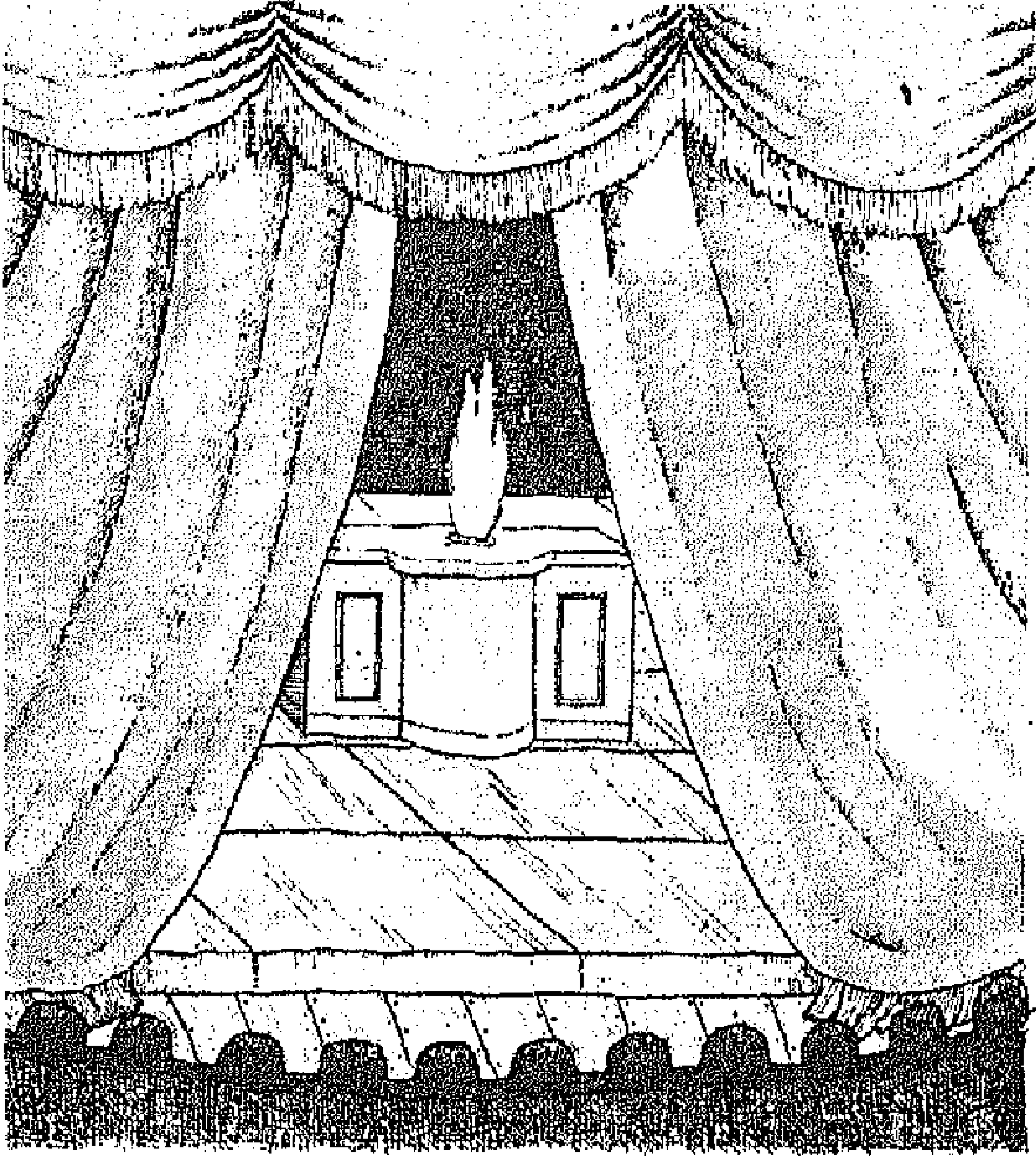
ل.ف.

عقار يطيل الحياة!

بينما كان بائع عقاقير متجول يعرض عقاراً عجيباً يطيل الحياة، تجمهر حوله الناس في ساحة احدى القرى، فوقف في وسطهم قائلا: "اني أشرب مقدار ملعقة كبيرة من هذا الدواء يومياً. واليوم عمري ٣٠٠ سنة." وفيما راح عدد كبير منهم يشتري قوارير الدواء من فتى يعاون البائع، شق احدهم طريقه وسأل الفتى بصوت جهوري: "أصحيح أن سيدك عمره ٣٠٠ سنة؟"

ومن غير أن يرف له جفن، قال الصغير: "الحق أنه لا يمكنني تأكيد ذلك، اذ لم يمض علي في خدمته سوى ٩٠ سنة."

ج.م.ب.



أُطفئت أنوار المسرح ورُفعت الستارة على عرض أُدخل فيه الممثلون على ادوارهم عناصر ارتجالية لا تُنْسى

الاوبرا الساحرة

في شهر اكتوبر (تشرين الأول) من كلّ عام، تشهد بلدة ويكسفورد في الزاوية اليمنى من ايرلندا ثلاثة أيام مفعمة بالبهجة والمرح حين تقيم احتفال الاوبرا الخاص بها. والبلدة بإمكاناتها المتواضعة لا تدعي منافسة نجوم هذا الفنّ وما لديهم من ذخيرة. لكنها تبحث عن فنانين في مطلع عهدهم وتختار لهم قطعاً جديدة لم ينهكها الاستعمال.

وفي الامسية الأخيرة من مهرجان ١٩٧٩ الذي لا يُنْسى، قُدّمت اوبرا سبونتيني "لا فيستال" وهي تدور حول عذراء رومانية تتنازل عن مسؤولية الحب المقدسة التي أخذتها على عاتقها.

يدور المشهد الأوّل على منصّة ترتفع نحو ثلاثين سنتيمتراً في مؤخّرها وتنحدر تدريجاً حتى أضواء الخشبة الامامية. وهي تبدو كالمرمر لأنها تمثل معبداً من داخله. وقد حَقّق المصمم هذا الأثر عبر طلي المنصة بمادة صقيلة. ومنعاً لانزلاق الممثلين، طرأ له أن يصب على الارضية شراباً مرطباً معروفاً من شأنه أن يجعلها دَبِقَة.

ولعدم توافر هذا الشراب، استُعيض عنه بشراب أقلّ شعبية

وأقلّ فاعلية أيضاً. لكنّ المسؤولة عن تنظيف المسرح، كما قيل، وجدت الأرضية مغطاة ببقايا سائل دَبِق، فدفعتها أمانتها المهنية الى مسح السائل وتلميع الخشبة من جديد.

وفي المساء بدأ المشهد الحاسم عند رفع الستارة. وكان البطل مستغرقاً في أحلامه عند ركن قصي من المسرح. وما أن خطا خطوته الاولى حتى سقط على ظهره. ودارت بين الجمهور همهمة العطف والشفقة. ثمّ نهض البطل على قدميه بمشقة ظاهرة محاولا أن يعود الى ركنه. ولم يكفّ عن الغناء لأنّ الموسيقى لم تتوقف. وكان، وهو يحاول العودة الى الوراء، ينقلب مع كل خطوة. وبهذا بدا كمن يمشي في مكانه، وهو مشهد مألوف في المسرحيات الساخرة خصوصاً في أعمال مارسيل مارسو.

وقرّر البطل أن يبقى حيث هو ويتابع الغناء، تقديراً منه أنّ زملاءه سيدركون الورطة ويجعلون حركاتهم تنسجم مع حركاته. وكان قراره حكيماً. ذلك انّ رفيقه الحميم، لدى رؤيته في مقدّم المسرح، صمم على اللحاق به. والحقّ أنه لم يكن لديه خيار. ولكن ما أن ظهر على المسرح حتى انزلق وراح يلوح بيديه الى أن استقرّ بالقرب من خدينه البطل.

صخرة أمان – الى هنا لم تَبدُ الامور غير صحيحة. ثم جاء الدور الذي يقتضي أن يحيي البطل صديقه بمعانقة أخوية. لكنّ احدهما راح يتبع الآخر حتى كاد الاثنان ان يهويا الى مقاعد الفرقة الموسيقية، الا انهما استطاعا تفادي الكارثة قبل وقوعها. وأخذا يتسلقان الخشبة كمن يرتقي جَبَلا عالياً، ويبحثان عن ملاذ يقيهما السقوط في الهوة. ولحسن الحظّ كان في وسط المسرح مذبح صغير تنيره الشموع، وقد ثُبِّت بإحكام الى الارض. وطرأ للمتسلقَيْن كليهما أنّ التشبُّث بذلك المكان من شأنه أن يقيهما السقوط طوال المشاهد المقبلة.

وبُعيد وصول البطل وصديقه الى غايتهما المنشودة، ظهر أفراد الجوق وهم يؤدّون باليه "المتزلجون" على نحو لا ينسجم كثيراً مع الموسيقى.

واندفعت البطلة التي تمثل دور ناسكة، تحدوها غريزة بقاء قوية، الى جانب المسرح غير المنظور حيث خلعت قفازيها. وخوفاً من ألا يكون ذلك كافياً، خلعت جوربيها كذلك.

وانطلقت القهقهة من النظارة الذين ملأوا مقاعد المسرح، وعددها أربعمئة وأربعون. وبتنا نخشى أن تسبب لنا نوبة الضحك الجماعية أذى جسدياً.

والطريف أن الغناء لم يتوقف لخطة واحدة. وما لبث افراد الجوق أن توصلوا الى النتيجة عينها التي اكتشفها البطل وصديقه، وهي أن اللجوء الى المذبح هو الطريقة الوحيدة لتجنّب السقوط. لكنّ المشكلة أن هناك مذبحاً واحداً، وهو

اشتركوا في هذا اليانصيب و اربحوا

١٨٨ مليون مارك

اضخم يانصيب من نوعه في اوروبا يفتح أمامك فرصة ذهبية للربح!

قبل اليوم لم يكن لديك حظ كبير لربح مليون، لكن هذا اليانصيب يفتح أمامك أبواب الحظ

- عدد البطاقات المبيعة ٥٠٠ الف فقط.
- من هذه البطاقات: هناك ٣٤١٥٨٨ بطاقة رابحة حتما.
- تقريبا: نصف البطاقات المبيعة لها حظ في الفوز بجوائز.
- الربح الاجمالي هو ١٨٨،١٢ مليون مارك الماني.
- هناك اربع جوائز كبرى تبلغ قيمة كل منها مليون مارك.
- هناك جائزة "سوبر" تبلغ قيمتها مليونا ونصف مليون مارك.

اليانصيب الالماني "كلاس لوتيري" أسس قبل ٣٥٠ سنة.

ولاكثر من ثلاثين سنة، جعل من امثالك اصحاب ملايين. ويزداد عدد الرابحين سنة بعد سنة.

هذا اليانصيب يختلف عن سواه من حيث ان ريعه يعود ليس الى المشاريع العامة والخيرية، بل الى المشتركين انفسهم. وغني عن القول ان المارك الالماني هو من اقوى العملات العالمية واكثرها استقرارا.

الضمان

يضمن دفع المبالغ المدونة ادناه
في الدورة الواحدة (نصف عام)

٢ × ١،٥ مليون	= ٣٠٠٠٠٠٠ مارك
٤ × ١ مليون	= ٤٠٠٠٠٠٠ مارك
١٢ × ١/٢ مليون	= ٦٠٠٠٠٠٠ مارك
٨ × ٢٥٠٠٠٠ مارك	= ٢٠٠٠٠٠٠ مارك
٢٤ × ١٠٠٠٠٠ م	= ٢٤٠٠٠٠٠ مارك
١٢ × ٨٠٠٠٠ م	= ٩٦٠٠٠٠ مارك
٢٠ × ٦٠٠٠٠ م	= ١٢٠٠٠٠٠ مارك
٢٤ × ٥٠٠٠٠ م	= ١٢٠٠٠٠٠ مارك
٢٨ × ٤٠٠٠٠ م	= ١١٢٠٠٠٠ مارك
٣٠ × ٢٥٠٠٠ م	= ٧٥٠٠٠٠ مارك
٣٦٤ × ١٠٠٠٠ م	= ٣٦٤٠٠٠٠ مارك
٥٦٠ × ٥٠٠٠ م	= ٢٨٠٠٠٠٠ مارك
١٩٠٠ × ٢٥٠٠ م	= ٤٧٥٠٠٠٠ مارك
٢٠٠ × ٢٠٠٠ م	= ٤٠٠٠٠٠ مارك
١٠٠٠٠٠ بـ ١٥٠ م	= ١٥٠٠٠٠٠٠ مارك
٢٠٠٠ × ١٢٥٠ م	= ٢٥٠٠٠٠٠ مارك
٣٤٦٤٠٠ × حتى ١٠٠٠ م	= ١٣٦٤٠٠٠٠٠
٣٤١٥٨٨ جائزة مجموعها	١٨٨،١٢٠،٠٠٠ مارك

الجوائز كلها تدفع نقدا، وهي معفاة من الضرائب الالمانية. لكن الشركة: في الوقت نفسه، تحظى بدعم الحكومة التام. وهذا حافز قوي على شرائك بطاقة أو اكثر.

"كلاس لوتيري" مؤسسة غير خاصة، وهي تبيع بطاقاتها عن طريق مكاتب مرخص لها حكوميا، ويجري السحب علنا وقانونيا.

غريغور — فرانكفورت

مكتب لبيع أوراق اليانصيب ذو رخصة حكومية

Rüsterstraße 24, Postfach 11 90 20
D-6000 Frankfurt/Main (W-Germany)
Telex 04 189 125 daw

كيف تشترك في هذا اليانصيب؟

هناك سحب واحد كل يوم سبت على مدار نصف سنة، تجري عدد السحوبات تكرارا على جميع البطاقات، وترسل النتائج بالبريد لكل حامل بطاقة، مرفقة بمعلومات وافية عن مواعيد السحوبات والجوائز المرتقبة.

وفي امكان المشترك شراء بطاقة كاملة او نصف بطاقة او ربع بطاقة. فيكون نصيبه من الجائزة معادلا لذلك. ويساوي جميع الارقام في الحظ.

يانصيب في متناول الجميع!
بسيط كلعب الاطفال!

- لكي تحصل على بطاقة، املأ القسيمة في اسفل الصفحة او اكتب اسما من غير قسيمة محددا طلبك.
- عليك ان ترفق طلبك بحوالة مصرفية او بريدية او بشيك شخصي او بشيك مصرفي بالمبلغ المحدد.

ويمكنك ان ترسل المبلغ نقدا. ولكن ينصح ان يتم ايداع الرسالة البريد المضمون (المسجل).

- ستتسلم في المقابل بطاقتك مرفقة بمعلومات وافية عن هذا اليانصيب.
- تتسلم ايضا لائحة دورية بالارقام الرابحة.

في حال الربح!

- سيجري ابلاغك فورا برسالة شخصية.
- يتم دفع الجوائز بأسرع طريقة ممكنة وطبقا لتعليماتك.

الجوائز معفاة من الضرائب الالمانية، وتلتزم الشركة الكتمان التام في شأن أسماء المشتركين والرابحين، فهذا من حق صاحب العلاقة وحده.

> **خدمة حول العالم**
> اذا كنت تحمل بطاقة قبل قراءة هذا الاعلان، فلا ترسل طلبا جديدا لاننا سنراسلك كالعادة. والرجاء، في هذه الحال، أن تحيط أصدقاءك علما بشركتنا، أو أن تريهم هذا الاعلان وتقطع لهم القسيمة المرفقة.

لا تنتظر - اطلب بطاقتك الآن!

عدد البطاقات الاجمالي محدود، والافضل ان تحجز بطاقتك فورا.

YES **I want to be with it and am ordering:**
for the next SÜDDEUTSCHE KLASSENLOTTERIE
Starting May and November every year

tickets ea	DM	or US$	or £
☐ 1/1 tickets at	720.–	360.–	180 – each
☐ 1/2 tickets at	360.–	180.–	90.– each
☐ 1/4 tickets at	180.–	90.–	45.– each
☐ Lucky Letter at (= 4 quarter-tickets, each with a different number)	720.–	360.–	180.– each

One time additional fee for winning lists, postage, bank charges, and handling!
DM 24.– / US $ 12.– / £ 6.– (add to the above)

Payments received in currencies other than US$, DM or £ will be credited to your account in accordance to the exchange rate of the day. The prices quoted are covering the ticket for one complete cycle comprising all six classes, and the additional fee is a one-time expenditure, too.

Make all checks and orders out to: W. GREGOR, Postfach 110753, D-6000 Frankfurt/M.

☐ I enclose my check / for DM / US$ / £ ____________
☐ I will make payment immediately after receipt of ticket(s) and your invoice

Send information in ☐ German ☐ English ☐ French ☐ Spanish

☐ Mr.
☐ Mrs. ____________
☐ Miss

Street address (or P O Box-No)

City (postal code No)

Country

Please print or type all entries

Valid only wher…

RD.AB. 10/82

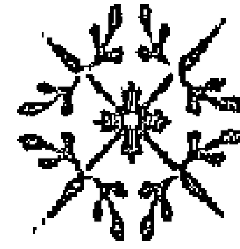
صغير. إلا أن ذلك لم يثنِ أفراد الجوق عن التوجّه واحداً واحداً الى هناك، سَعْياً الى مكان يثبتون فيه اقدامهم أو ايديهم أو أصابعهم. ولما لم يبقَ مكان حول المذبح نفسه، راح احدهم يمسك بالآخر الى أن استقرّوا جميعاً فوق الخشبة على نحوٍ ثعباني متلو.

أما النظارة فانتابتهم هستيريا جماعية جعلت عدداً منهم يسقط أرضاً وقد سال دمعه مدراراً لفرط حبوره.

وانتهى المشهد الأول وسط عاصفة هتاف وتصفيق لم أشهد مثيلا لها ـ ولا آمل أن أشهد ـ في أيّ دار اوبرا. وفي فترة الاستراحة عولجت خشبة المسرح بالسائل المطلوب، وهذا حرمنا الجذل الذي اختبرناه.

والحق انه من قبيل الجشع أن يطلب المرء مقداراً أكبر من السعادة.

■ برنار ليفن



إهداء في محله

أهدى مؤلف أحد كتبه الى زوجته بالعبارات الآتية: "بمعنى من المعاني، هذا الكتاب مهدى مني الي. فهو الى زوجتي التي أهدت نفسها الي".

ك.ا.

زواج سعيد

سُئلت امرأة: "كيف تمكنتِ وزوجك من العيش عشرين سنة معاً ضمن حياة زوجية سعيدة؟"
فأجابت: "السر أننا وقعنا في حُبّ رَجُل واحد".

م.ب.

□ ثمة تجارب في العالم لا تحمل معها سوى السعادة. فهل شاهدنا اعلاناً تلفزيونياً واحداً ذا نهاية أليمة؟

ر.ا.

□ هناك عبرة تربوية تحملها الينا اعلانات التلفزيون فهي تجعلنا ندرك كم يظننا المعلنون اغبياء.

ف.ج.

□ التلفزيون يسبب لك الصداع، ثم يبيعك دواء للشفاء منه.

غ.ر.

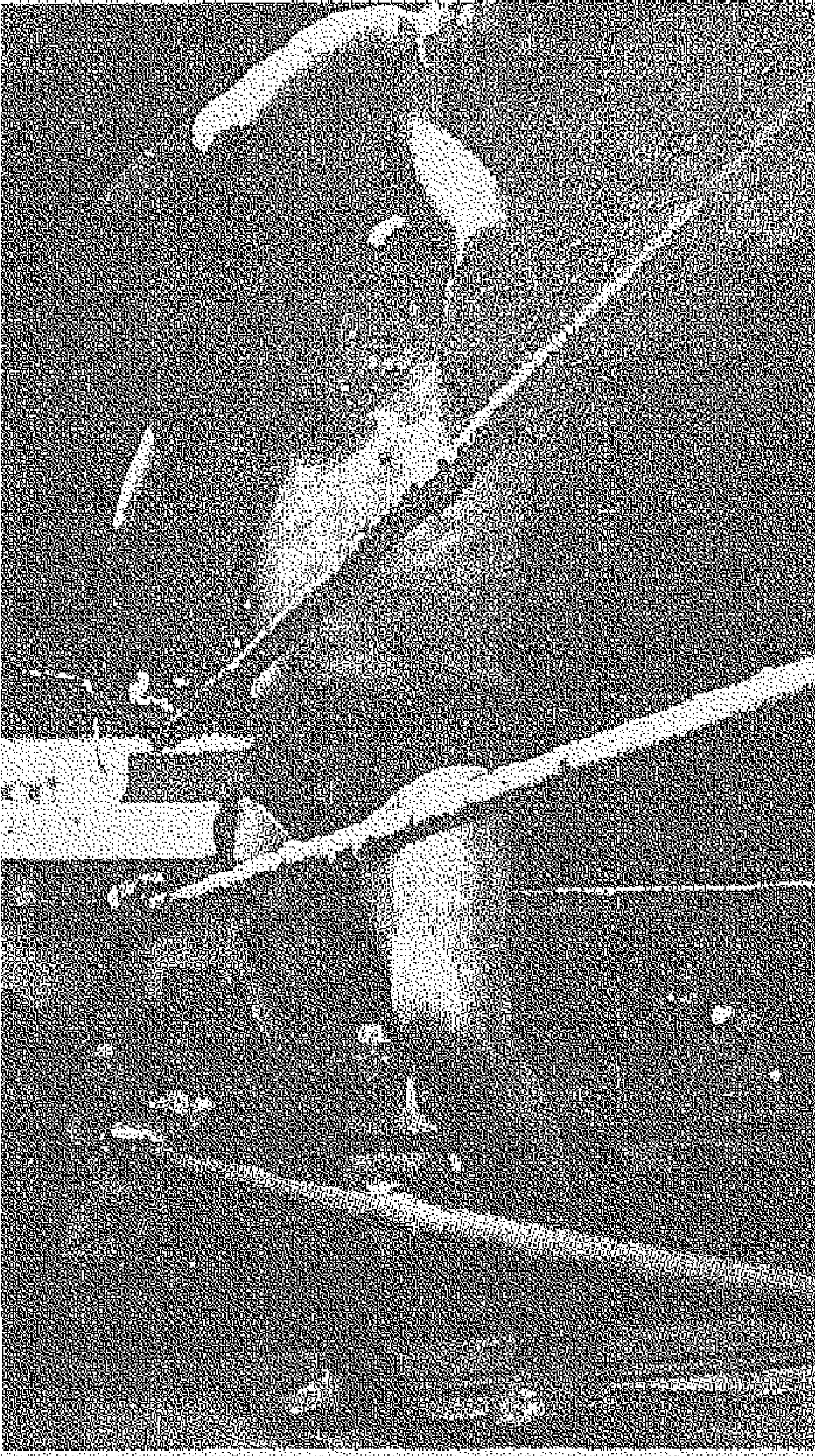
طوله ٢٢٥ سنتيمتراً

ووزنه ٢٢٥ كيلوغراماً

ومحيط معصمه ٣٠ سنتيمتراً٠

انه ملك المصارعين

المحترفين



اندريه يلاعب "الجزار" في مونريال.

العملاق الفرنسي

في يوم من الايام ولد طفل في مزرعة فرنسية٠ وقال والده حين رآه: "يا لهاتين اليدين! ربما يكبر هذا الطفل ليناهز ابي ضخامة٠"

وقالت الام مبتسمة: "لكنك قلت لي ان اباك كان عملاقاً يزيد طوله على مترين ويبلغ وزنه ٢٥٠ كيلوغراماً٠"

اجاب الاب: "اجل، اني ابن عملاق٠ فلمَ لا اكون اباً لعملاق ايضاً؟"

كبر الولد وازداد طولا وعرضاً٠ وعندما دخل عامه الثاني عشر بلغ ارتفاع قامته ١٩٠ سنتيمتراً ووزنه ٩٠ كيلوغراماً٠ وذات يوم كان يجمع القش مع ابيه فمرت بهما سيارة روزلز رويس تدرج على مهل عبر الحقل٠ قال الولد: "سأقتني سيارة كهذه عندما اكبر٠"

فرد الوالد: "كفّ عن الاحلام٠ فمثل هذه الامنية كبير جداً حتى على جسمك الضخم٠"

واستمر جسم الولد ينمو، كذلك احلامه٠ وعندما بلغ الرابعة عشرة غادر البيت ساعياً الى رزقه٠

ومضت خمس سنوات٠ وذات عصر سمعت الام قرعاً على الباب٠ واذ فتحته رأت امامها رجلا ضخم الجثة يبتسم لها ابتسامة "هائلة" فوقفت امامه مشدوهة٠

سألها العملاق الغريب: "هل رب

Condensed from Sports Illustrated (December 21, '81), (c) 1981 by Time Inc., New York, N.Y. Photo: Stephen Green-Armitage, Sports Illustrated

البيت هنا؟" فأجاب الزوج بقلق من الداخل: "نعم، هل من خدمة؟"

ورد العملاق: "اريد ان اسألك اذا كانت تلك السيارة تعجبك." وتزحزح مشيراً بيده الضخمة الى سيارة رولز رويس كبيرة لامعة.

قال الزوج متوجساً: "انها جميلة ولكن ما شأننا بها؟" ثم رفع بصره وحدّق برهة الى عيني العملاق الضاحكتين والتفت الى زوجته صائحاً: "انه ابننا! هذا اندريه، حفيد ابي."

طوال السنوات الخمس التي امضاها اندريه بعيداً عن والديه انصرف الى العمل بجد لدى شركة لنقل المفروشات في باريس. وعندما بلغ السابعة عشرة اخذ يتردد على حلبة للمصارعين المحترفين الذين درّبوه على اساليبهم وأثاروه بقصص اسفارهم ومغامراتهم. وعندما جرح احدهم واحتاجوا الى بديل طلبوا من اندريه ان يحل مكانه، فحقق نجاحاً باهراً.

واختار اندريه روسيموف لنفسه اسماً مستعاراً هو جان فيريه. وبصفته مصارعاً محترفاً فانه اخذ يزداد ضخامة وثراء وحباً بالحياة. وهو اليوم في الخامسة والثلاثين، ويبلغ طول قامته مترين وربع متر ووزنه نحو ٢٢٥ كيلوغراماً، ويظهر بقامته في انحاء العالم. انه يهيمن على الحلبة كأضخم المصارعين المحترفين واعلاهم اجراً. وباستثناء محمد علي فقد يكون جان فيريه أنشط الرياضيين الذين يحظون بالاعتراف العالمي الواسع.

أعجوبة الطبيعة ـ فرانك فالوا الذي يدير اليوم مباريات المصارعة في كيبيك (كندا) رافق أندريه في الليلة التي لعب مباراته الاولى. وهو لازمه طوال السنوات الاولى لجولاته. ويقول: "انه ظاهرة لا تصدّق. أكتشفت مرة في باريس أنه قادر على رفع سيارة صغيرة بيديه. وهو كان يتسلى بنقل سيارات أصدقائه من أماكن وقوفها. فيحصرها في أماكن ضيقة أو يقلب وضعها من أتجاه الى آخر."

كين باتيرا الذي حاز بطولة الولايات المتحدة في رفع الاثقال اربع مرات صارع اندريه مراراً. وهو يقول: "انه اعجوبة الطبيعة. لقد رأيته يرفع رجلا وزنه ١١٣ كيلوغراماً كما ترفع انت معطفك. وأظنك تعرف ماذا فعل بالمسكين وبنر."

وبنر؟ آه، اجل. انه تشارلس وبنر، زميل محمد علي في المباراة المشؤومة بين الملاكمين والمصارعين عام ١٩٧٦. وكان من حظ وبنر ان يواجه اندريه في ملعب شيا في نيويورك.

دار الملاكم حول اندريه في الجولتين الاوليين وهو يكيل له اللكمات اختباراً كما يختبر الجبلي قمة عالية ينوي تسلقها. وفي الجولة الثالثة لكم وبنر العملاق بقوة، وربما جرأه على ذلك عدم رده على لكماته السابقة. عندئذ امسك اندريه خصمه الصغير وقذفه فوق الحبل الاعلى للحلبة منهياً المباراة.

زار اندريه أمريكا الشمالية للمرة الاولى عام ١٩٧١ قاصداً مونريال (كندا). وبعدما امضى سنتين هناك سافر الى نيويورك لمقابلة فنس

ماكماهون ابرز متعهدي المصارعين المحترفين. وادرك ماكماهون ان اسم جان فيريه لن يجذب جمهوراً كبيراً في الولايات المتحدة. ولكن ما هو الاسم الذي يبعث الرعدة المطلوبة في نفوس المعجبين؟ هذا الامر هو من الدقائق المهمة، فالمصارعة حفلت دائماً بالاسماء الخلاقة مثل "المتوحش ذو الشاربين" و "عبدالله الجزّار" و "الغوريلا مونسون". لكن ماكماهون اصاب في حدسه حين قرّر انه في حال العملاق الفرنسي ستكون الحقيقة هي الافصح. وهكذا دعاه "اندريه العملاق"، وكان الاسم لائقاً تماماً.

سرعان ما غدا العملاق ساحر الجماهير كما توقع ماكماهون. وهو يكسب اليوم ٣٠٠ الف دولار سنوياً عن ٣٠٠ حفلة مصارعة. وقد تعاقد معه ماكماهون لثلاث سفرات في السنة الى اليابان واثنتين الى اوستراليا واثنتين الى اوروبا و ١٧ الى كندا، كما انه يحيي مباريات في حلبات المصارعة الكبرى في الولايات المتحدة. كل المصارعين والمتعهدين يرغبون في ضمه الى فريقهم، اذ عندما يحضر العملاق يربح الجميع.

ويبدو ان طول اندريه ليس له الاثر الحاسم الذي لعرض جسمه واكتنازه. هناك رجال قليلون يبلغ طولهم ٢٢٥ سنتيمتراً، لكن وزنهم لا يتجاوز الـ ١١٠ كيلوغرامات، بينما وزن اندريه يفوق ضعفي هذا الرقم.

حجم اندريه الهائل هو نتيجة قصر ساقيه نسبياً وضخامة بنيته العظمية. ويده خير دليل على ضخامة عظامه. فمعدل محيط معصم الرجل العادي هو ١٨ سنتيمتراً. والمعصم الذي يبلغ محيطه ٢٠ سنتيمتراً يعتبر ضخماً جداً. اما محيط معصم اندريه فيبلغ ٣٠ سنتيمتراً. واصابعه من الضخامة بحيث انه يضع خاتماً يمكن ان تمرر من خلاله كرة قطرها ٣٨ مليمتراً.

معظم الرجال الذين يتجاوز طولهم الـ ٢٠٠ سنتيمتر تكون سيقانهم طويلة نسبياً واجسادهم قصيرة. اما مقاييس اندريه فهي عادية، بالنسبة الى رجل طوله ١٧٠ سنتيمتراً. وقامته التي تعلو ٦٠ سنتيمتراً فوق ذلك هي السبب في وزنه المفرط، ذلك بأن نسبة الوزن الى الطول هي اعلى كثيراً في جذع الرجل مما هي في ساقيه.

اما رأسه الضخم بجبهته البارزة الملأى بالندوب ولمّة شعره الاسود الخشن فيبدو ايضاً اضخم من المعقول ويزيد في منظره المخيف.

رجل غير عادي — من الغريب أن أندريه يشعر بالانشراح عندما يكون بين الاولاد. ويتحلق هؤلاء حوله في الملاعب ويتبعونه في الشارع حين يسير. وهو يقول: "احاول أن أكون رفيقاً جداً مع الاولاد. وأحياناً أزور أصدقاء لديهم أولاد صغار، فيهرب هؤلاء مني. أنا أفهم سبب ذلك، ومع ذلك فأني أشعر بالاسى."

لا يدخل اندريه مطعماً او مقصفاً الا ويتوقف روّاد المكان عن الكلام ليحدقوا اليه مشدوهين. منظره مرعب احياناً حتى للحيوانات. وفي مناسبتين فرّ كلبا حراسة مدرّبان عند رؤيته.

احدى المشاكل الحقيقية التي يشاطر فيها اندريه العمالقة الذين

عرفهم التاريخ هي العيش مع الناس. تصوّر، مثلا، انك سمعت عن فيلم مثل "حروب النجوم" وانت تدرك انك لن تستطيع مشاهدته لأن المقعد في الصالة لا يتسع لك، او انك مارّ امام واجهة محل للالبسة الجميلة وانت تدرك ان ليس في المتجر كله ما يناسب جسمك الضخم.

حتى أبسط الاشياء تسبب له المشاكل. فعلى اندريه مثلا، ان يحمل قلماً لادارة قرص الهاتف لأن انامله لا تدخل ثقوب القرص. وعليه ان يختار بعناية الكراسي التي يجلس فيها. وعندما يلج باباً دوّاراً عليه ان ينحني ويقتدم بخطوات قصيرة متلاحقة لكي يدير الباب. ان لديه منزلا جميلا في كارولينا الشمالية، وهو مؤثث ليناسب حاجاته الفريدة. ولكن اي مقدار من السعادة يوفره هذا البيت؟

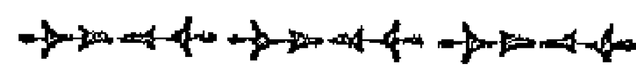
قبل وقت قريب، بعد حفلة مصارعة في نيويورك، تحدث اندريه عن متاعب الضخامة والترحال. قال: "يا صديقي، انها حياة عسيرة احياناً. انا اضحّي بالكثير من مالي اذا تسنى لي ان اعيش كرجل عادي يوماً واحداً في الاسبوع. لو قيّض لي ذلك لكنت اذهب الى المحلات التجارية وادخل صالات السينما واتجول في سيارة صغيرة واتمشى في الشوارع واحدّق الى الناس بدلا من ان يحدقوا هم الي."

ويستهلك اندريه من الطعام اقل مما يتوقع من رجل مثله. لكنه احياناً يطلق العنان لشهيته، كما فعل مرة في مطعم صغير. وهو يروي ذلك: "دأب ذلك النادل على الاشارة الي والتحدث عني الى الزبائن. ثم ضحك وسألني بصوت عال اذا كان يكفيني صحن حساء وبعض الخبز. فقلت له اني جائع وأرغب في ان يأتيني بكل ما لديه من طعام، طبقاً بعد طبق. وقد استغرقت وليمتي اربع ساعات كاملة."

حين رافقت اندريه اسعدني ان الاحظ كم هو محبوب بين الناس. اينما لعب كان يسعى الى التحدث مع المصارعين الآخرين، خصوصاً اولئك الذين يشتركون في المباريات الاولى. وحيثما يذهب اندريه يجد نفسه بين معجبات. وهو لطيف معهن.

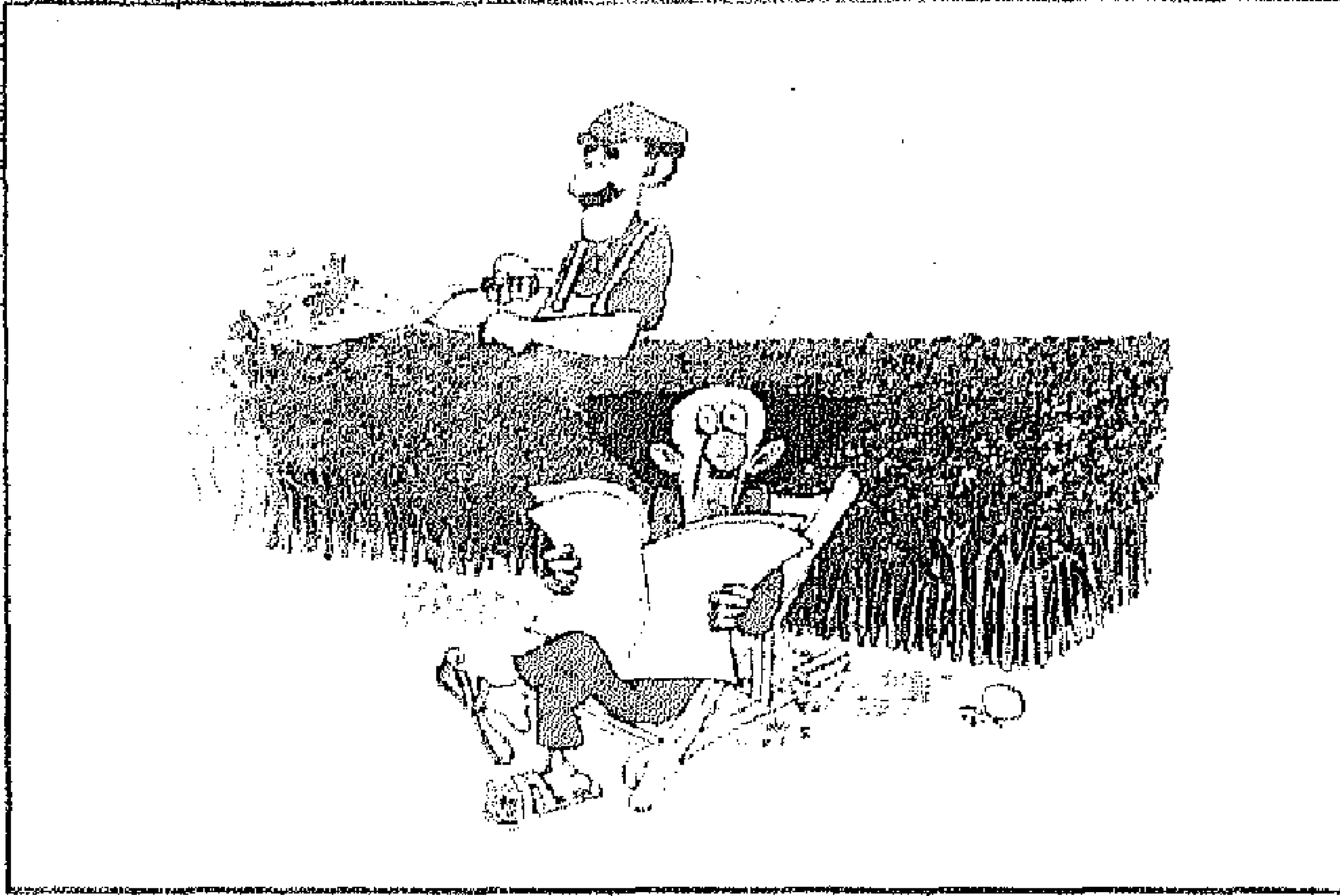
ويبدو ان هم اندريه الاول هو ان يملأ حياته بالتسلية والصداقات والطعام. وهو يعي ان معظم الرجال النادرين الذين كانوا في مثل ضخامته قضوا قبل بلوغهم السن المتوقعة للناس العاديين، اي ٧٠ سنة. لكن هذا لا يقلقه، وهو يقول: "لقد أصبت حظاً سعيداً وانا راض عن حياتي. واذا قدّر لي ان اموت غداً، فانا اعرف اني اكلت من الطعام الشهي وحظيت بصداقات وشاهدت من هذا العالم اكثر مما فعل معظم الرجال طوال حياتهم. لقد حصلت على كل شيء في هذه الحياة الا العائلة. وارجو ان تكون لي عائلة يوماً ما. فمن يدري؟ ربما يكون لي انا ايضاً حفيد عملاق؟"

■ تيري تود



قال الراكب لمضيفة الطائرة: "بربك كيف تتأخر آلة تقطع ألف كيلومتر في الساعة؟"
ب.ر.

الضحك خير دواء



حصان!

كان القروي يحاول ان يصعد التل المرتفع بعربته التي يجرها حمار هزيل، لكن محاولاته المتكررة اخفقت.
وشاهده احد المارة فاقترب من العربة واخذ يدفعها من الخلف بكلتا يديه حتى وصلت الى قمة التل. وهنا التفت القروي الى الرجل المتصبب عرقاً وقال له: "شكراً جزيلا يا سيدي. كان صعود العربة الى قمة التل متعذراً بحمار واحد."

ابرهيم محمد الشريف،
طنطا ـ جمهورية مصر العربية

طباخ صيني

وظفت سيدة غنية طباخاً صينياً ذا شهرة واسعة. وراحت تقضي وقتاً في المطبخ، يطول يوماً بعد يوم، علها تستمد بعضاً من طرائقه. وضاق الطباخ ذرعاً بذلك، لكنه اخفى استياءه وراء ضحكة مرة.
وذات يوم فتحت السيدة حديثاً بقصد كسر الجليد، فقالت: "لماذا كان الصينيون يقيدون اقدام الفتيات؟"
ـ السبب بسيط: لئلا يدخلن المطبخ ويزعجن الطباخ.

ل.د.

صاحب ضمير مهني

اغاظ قائد الفرقة الموسيقية ان يرى اعضاء فرقته يتغيبون عن التمارين. وفي التمرين الاخير قال: "أود أن أشكر عازف الكمان الاول لانه حضر التمارين كلها." فأجابه العازف: "هذا أقل ما يمكنني فعله، اذ سأتغيب عن الافتتاح هذه الليلة."

و.ب.

الزوجة المتأخرة

بقيت وزوجي أشهراً ـ وكلانا محام ـ نتلاقى كل اربعاء على الغداء في أحد المطاعم. وكانت تُحجز لنا الطاولة عينها، بجانب الموقد، ويتم الحجز باسم السيد غالغر أو السيدة مكانيني، نظراً الى كون سكرتيرتي أو سكرتيرة زوجي هي التي تتولى الحجز.
وذات أربعاء اسرعت الى المطعم وقد تأخرت قليلا في قاعة المحكمة. وهناك سألت البواب، أمام عدد من الزبائن، ان كان زوجي وصل. فأخذني جانباً وقال: "كلا يا سيدتي! لكن السيد غالغر ينتظرك في المكان المعهود."

ا.م.

نشرت "المختار" في عدد سابق اسعافات أولية لـ١٦ حالا طارئة. وبسبب أهمية هذا الموضوع نواصل تقديم أرشادات في المجال نفسه

اسعافات اولية
لـ ١٠ حالات طارئة

هل وجدت نفسك مرة في موقف كنت قادرا على انقاذ حياة انسان لو تيسرت لك معرفة ما ينبغي فعله؟ ربما لم تواجد مثل هذا الموقف حتى الآن. ولكن اذا قدر ذلك لك، فهل تعرف كيف تتصرف؟ امتحن معلوماتك في هذا الاختبار.

١. رأيت سيارة تسقط عن جسر وتغرق في النهر أو ولداً يسقط في بركة ماء. فما هي المدة التي يمكن السائق او الولد تمضيتها تحت الماء قبل انقاذه، من غير ان يؤدي ذلك الى تلف في الدماغ؟

أ – خمس دقائق. **ب** – ٣٠ دقيقة. **ج** – اكثر من ساعة.

٢. في حال الاغماء يبتلع المصاب لسانه احياناً بحيث يسد مجرى التنفس. كم لديك من الوقت لازالة هذا العائق قبل تلف دماغه من جراء انقطاع الاوكسيجين؟

أ – بين دقيقة ودقيقتين. **ب** – ٢ الى ٤ دقائق. **ج** – ٤ الى ٦ دقائق.

٣. سباح يواجه متاعب في الماء ويحتاج الى نجدة. عليك ان تسرع الى خوض الماء لاخراجه.

أ – صواب. **ب** – خطأ.

٤. في كثير من الابنية العالية تصنع النوافذ من الواح زجاجية ثقيلة وثابتة. اذا شب حريق في بناية كهذه، فعليك ان تحطم الزجاج لتفتح مجالا لخروج الدخان والغازات الخانقة.

أ – صواب. **ب** – خطأ.

٥. ان الحساسية ضد بعض العقاقير، كالبنيسيلين، أو لسعات الحشرات أو بعض الاطعمة، كالمحار، يمكن أن تكون مميتة.

أ – صواب. **ب** – خطأ.

٦. وصلت الى مكان حادث سيارة. عليك ان تبادر فوراً الى اخراج الركاب منها لاحتمال شبوب حريق في السيارة او انفجارها.

أ – صواب. **ب** – خطأ.

٧. يقول صديقك المصاب بداء السكري انه يشعر بدوار وتشوش. عليك ان تعطيه للحال بعض السكر.

أ – صواب. **ب** – خطأ.

٨. ماذا تفعل اذا شممت رائحة غاز يتسرب من تحت باب شقة مجاورة؟

أ – تحاول اقتحام الشقة وفتح نافذة. **ب** – تقرع الجرس لتنبه الجار. **ج** – تغادر البناية حالا وتستدعي سرية الاطفاء.

٩. اذا غص شخص بالطعام وظل قادراً على الكلام، فيجب الا تحاول مساعدته.

أ – صواب. **ب** – خطأ.

١٠. مئات الالوف يموتون سنوياً بازمات قلبية. وفي حالات كثيرة يكون السبب عدم توافر العناية الطبية الصحيحة في الوقت المناسب. والى جانب الالم الشديد في الصدر، فان ابرز اعراض النوبة القلبية تصبب العرق والشعور بالذعر.

أ – صواب. **ب** – خطأ.

الأجوبة

١. من المدهش ان المدة قد تزيد على ساعة. فالماء الشديد البرودة يمكن ان يحدث تغييراً فيزيولوجياً (عضوياً) في جسم المصاب، وهذه القدرة على التكيف مع المحيط تتيح

للجسم الصمود مدة اطول بلا اوكسيجين. واذا كانت هناك فقاعة هواء في مؤخر السيارة، امكن السائق ان يتنفس وقتاً اطول قبل انقاذه. وهكذا، فحالما يخرج المصاب من الماء تجب المبادرة الى اسعافه وان بعد مرور فترة طويلة على غرقه. إفحص تنفسه. اذا كان متوقفاً فربما كان هناك عائق مائي او تقلص في مجرى الهواء، باشر عملية الانعاش من الفم الى الفم. احن رأسه الى الوراء وسد منخريه وانفخ بسرعة اربع مرات مفرغاً هواء رئتيك في فمه المفتوح. غالباً ما يكفي ذلك لفتح مسرب للهواء فيعاود المصاب التنفس.

٢. بين اربع وست دقائق. لمعالجة هذا الوضع ضع احدى يديك تحت رقبة المصاب والاخرى على جبهته، ثم احن رأسه الى الوراء حتى تتجه ذقنه الى اعلى فينفتح مجرى التنفس ويدخل الهواء رئتيه. اذا ظل المصاب يجد صعوبة في التنفس، الجأ الى طريقة الانعاش من الفم الى الفم.

٣. خطأ. اذا لم تكن متدرباً على اساليب الانقاذ، إبقَ بعيداً عن الماء. عندما ترى احدهم يغرق حاول ان تمد له شيئاً من الشاطىء أو حافة البركة. اذا كان ثمة طوف، إلقِ به اليه. لا يخوض الماء لانقاذ غريق الا المتدرب على اساليب الانقاذ.

٤. كلا، الا كوسيلة اخيرة. اذا كسرت الزجاج، فقد تتناثر شظاياه الى الشارع وتصيب المارة. من جهة اخرى ففي الطبقات العليا من الابنية السامقة يمكن ان تبلغ الريح قوة اعصار. اذا كسرت الزجاج من جهة الضغط السلبي، (★) فقد يجذبك الفراغ الى الخارج من خلال الفتحة التي احدثتها، او انها قد تجتذب النار والدخان اليك. وعموماً فان الوسيلة الفضلى هي ان تزحف خارجاً تحت مستوى الدخان والغازات الخانقة (وهذان هما القاتلان الرئيسيان في الحرائق). ازحف الى مخرج الطوارىء ولا تستخدم المصعد اطلاقاً. اذا لم يمكنك الوصول الى المخرج حاول الاتصال بمقسم الهاتف او بسرية الاطفاء وحدد مكان وجودك.

٥. صواب. اذا أصبت بالطفحة (الشري) أو انتفخ وجهك أو احسست بصعوبة في التنفس، اطلب الاسعاف حالا. واذا ارتبت في ان لديك حساسية ضد اي مادة، فتجنبها. ان ارتكاسات الحساسية قد تكون مميتة خلال دقائق.

٦. خطأ. استدعِ منقذين مدربين لاسعاف المصابين. اذا حاولت انت القيام بالمهمة، فقد تسبب لهم اعطالا دائمة كالشلل، وربما الموت. اول ما يجدر بك فعله هو التحقق من سلامتهم. اطفىء المحرك وانظر تحت السيارة لتتبين اذا كان الوقود ينسرب منها. شم رائحة السائل المتسرب او تذوقه لتحديده (قد يكون ماء لا خطر منه). اذا كان في الجوار اناس، ابعدهم عن السيارة

(★) أي الجهة المعاكسة لهبوب الريح. والريح التي تهب بسرعة كبيرة حول البناء تخلق فراغاً في الجهة المعاكسة.

المتضررة. تأكد من اطفاء السجائر واخماد اي لهب في نطاق ٥٠ متراً حول المكان.

٠٧ **صواب.** احياناً يهبط مستوى السكر في دم المريض الى درجة خطرة مما يسبب له التشوش الفكري والغيبوبة وحتى الموت. من اجل رفع مستوى السكر في الدم ذوب بعض السكر في كوب من عصير الفواكه او الماء واسقه اياه (على المريض بداء السكري ان يحمل دائماً اشارة تعريف مناسبة، حتى اذا وجد في حال تشوش او غيبوبة تسنى للناس حالا ان يعرفوا طريقة اسعافه). وتذكر قاعدة اساسية: لا تعطِ اي سوائل للغائب عن الوعي.

٠٨ غادر البناية حالا واستدعِ سرية الاطفاء. اذا قرعت الجرس، فقد تطلق شرارة تسبب انفجاراً. واذا اقتحمت الشقة، فقد تقع فريسة للغاز. انما اذا تيسر لك ان تفتح بامان نافذة من الخارج - من مخرج الطوارىء مثلا أو على مستوى الارض - فذلك قد يساعد الضحية في الداخل فيما انت تنتظر وصول سرية الاطفاء.

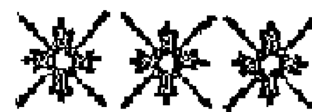
٠٩ اذا كان المصاب قادراً على الكلام او التنفس او السعال، فمعنى ذلك ان الانسداد جزئي اطلب الاسعاف الطبي فوراً لان الانسداد الجزئي ربما اصبح كلياً. اذا عجز المصاب عن الكلام فمعنى ذلك ان مجرى الهواء مسدود تماماً، وعليك ان تبذل جهدك لازالة العائق حالا.

لفتح مجرى التنفس اضرب المصاب اربع مرات بقوة وبعرف يدك، وذلك بين عظمتي الكتفين. اذا لم يجدِ هذا اعمد الى طريقة الضغط على البطن وهي تسمى "مناورة هايمليخ". قف خلف المصاب واقبض احدى يديك. طوق جسده بذراعيك وضع قبضة يدك بين السرة واسفل القفص الصدري، ولتكن الابهام لناحية جسم المصاب. امسك قبضتك بيدك الاخرى واعصر جسم المصاب اربع مرات مع ضغط الى اعلى لزحزحة العائق.

اذا انسد مجرى التنفس تماماً لديك انت، ضع يديك حول عنقك. فهذه اشارة عالمية للاختناق يفهمها الجميع فيبادرون الى اسعافك.

٠١٠ **صواب.** العرق المتصبب بغزارة والغثيان والهلع الشديد والشعور بدنو الاجل هي كلها اعراض للنوبة القلبية. نحو ٦٠ في المئة من النوبات القلبية تؤدي الى الوفاة خلال ساعتين من ظهور الاعراض. فاذ شعرت انت بهذه الاعراض او لاحظتها على شخص ما، اطلب الاسعاف الطبي للحال.

■ **دون لوفتيغ**



قواعد الحياة

قاعدة الحياة الاولى هي ألا تكترث لما تواجه من مشاكل. والقاعدة الثانية هي أن تكترث لها كثيراً. أما القاعدة الثالثة، وهي الاصعب، فمعرفتك التمييز بين الاثنتين.

س.ه.

حملت رسائلها موسيقى الحياة كلها وواحداً من أعظم دروسها

صداقة القلم

كثيراً ما تسفر البدايات البسيطة عن تجارب رائعة! انكشفت لي هذه الحقيقة في درس من الحياة لازمني عشرين سنة.

بدأت الحكاية ذات صباح في بومباي (الهند)، وكنت طالباً جامعياً في الحادية والعشرين. ففيما انا اطالع احدى الصحف وقع نظري على عناوين شباب من انحاء العالم يرغبون في مراسلة اصدقاء من الهند. وكنت رأيت فتيات وشباناً من اولاد صفي يتلقون طروداً بريدية من اصدقاء لم يرونهم قط. فلم لا اجرب حظي أنا أيضاً؟

وهكذا اخترت عنوان فتاة اسمها أليس هـ. من لوس انجلس. واشتريت دفتر رسائل باهظ الثمن، وكانت زميلة لي اعطتني مفتاحاً لغزو قلب امرأة عندما اعترفت انها تحب قراءة الرسائل المكتوبة على اوراق وردية اللون. اذاً، سأراسل أليس على ورق وردي.

"صديقتي اليس،" هكذا بدأت وقد تملكني اضطراب وكأني طالب يخضع لامتحانه الاول. لم يكن لدي الكثير اقوله، فتحرك القلم ببطء شديد. واخيراً ألقيت الرسالة في صندوق البريد وأنا أشعر كأني أواجه رصاص العدو.

وجاءني الجواب من كاليفورنيا البعيدة اسرع مما كنت اتصور: "لست ادري كيف وصل عنواني الى صفحة اصدقاء المراسلة في بلدكم، خصوصاً اني لم اطلب صديقاً. ولكن يسعدني ان اعرف اخبار إنسان لم أره ولم اسمع به قط. ومهما يكن، فانت تريدني صديقة بالمراسلة، وذلك يسعدني كثيراً."

لا ادري كم مرة قرأت هذه الرسالة

القصيرة التي حملت موسيقى الحياة.

وكنت حذراً في مراسلاتي، فتحاشيت كل ما قد يكدر صفو فتاة أمريكية مجهولة. واذا كانت الانكليزية لغتها الام، تكتبها بكل سهولة ويسر، فانها بالنسبة الي لغة اجنبية اكتسبتها بمشقة وجهد كبيرين. وكنت عاطفياً، بل خجولا احياناً، في كلماتي وتعابيري. ولكن في زاوية من قلبي عشش شعور رومنطيقي لم اجرؤ على البوح به. اما أليس فكانت تخط رسائل طويلة بكتابة عادية موزونة، من دون ان تكشف الكثير عن نفسها.

وتلقيت مغلفات كبيرة تحوي كتباً ومجلات وبعض التذكارات الصغيرة، جاءتني من مسافة الوف الكيلومترات. ولم يساورني اي شك في ان أليس فتاة أمريكية ثرية وجميلة كهداياها المتسمة بحسن الذوق، وأن صداقة القلم التي جمعتنا كانت ناجحة وطيبة.

سؤال واحد بقي يلح علي. كنت ادرك انه ليس من التهذيب ان يسأل شاب فتاة عن عمرها، ولكن ما الضرر من طلب صورتها؟ وهكذا رجوت أليس ان ترسل الي صورة حديثة لها. وجاءني الجواب اخيراً.

قالت أليس ببساطة انها لا تملك صوراً حديثة، لكنها قد ترسل الي واحدة ذات يوم. واضافت ان اي فتاة أمريكية عادية هي اكثر اناقة منها.

هل كانت هذه لعبة "الغميضة"؟ يا لهذه الخدع النسائية!

ومرت السنوات وأضحت مراسلاتي مع أليس أقل غزارة وانتظاماً، لكنها لم تنقطع. وبقيت اكتب اليها رسائل اتمنى لها "الشفاء السريع" عندما تمرض وبطاقات معايدة في المناسبات وبعض الهدايا المتواضعة بين فترة واخرى.

في غضون ذلك اصبحت رجلا واسع الخبرة. وتسلمت عملا وتزوجت ثم انجبت اطفالا. واطلعت زوجتي على رسائل أليس، فرغبت في مقابلتها.

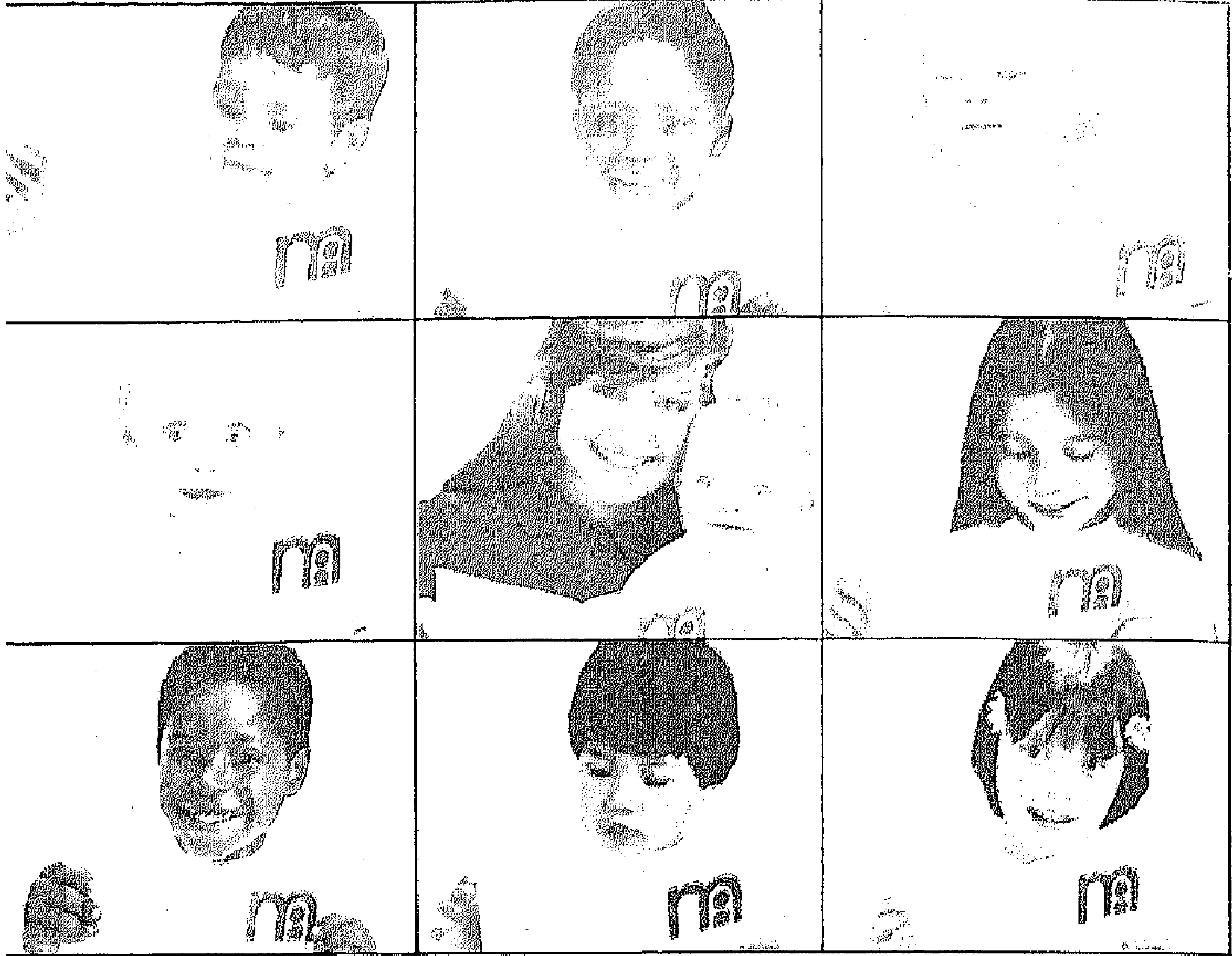
وذات يوم تسلمت رزمة كبيرة تحمل خطاً جديداً... نسائياً بلا شك. وكان مصدرها الولايات المتحدة موطن أليس. وتساءلت وأنا افتح الرزمة عن هذه الصديقة الجديدة.

كانت الرزمة تحوي بعض المجلات ورسالة قصيرة. "انا صديقة حميمة لأليس هـ. ويؤسفني أن اعلمك انها توفيت في حادث سيارة يوم الاحد الفائت. ولما كانت متقدمة في العمر - فعمتي بلغت الثامنة والسبعين في ابريل (نيسان) الماضي - فلم تتمكن من رؤية السيارة المسرعة. وكانت أليس تخبرني دائماً عن مدى سرورها بقراءة اخبارك. فهي امضت حياتها طائراً وحيداً ووجدت في مساعدة الآخرين هوى لها وهدفاً، سواء اكانت تعرفهم ام لا وسواء اكانوا قريبين ام بعيدين."

وانهت الكاتبة رسالتها راجية ان اقبل صورة أليس التي تضمنتها الرزمة والتي ارادت ان ترسل الي في حال مماتها فقط.

وكان الوجه الذي طالعني في الصورة وجه جمال ومحبة، وجهاً كنت سأتعلق به حتماً عندما كنت شاباً جامعياً خجولا وكانت هي عجوزاً نسيتها أيام الشباب.

■ سيرينيفاس راو



Mothercare دنيــا الاهتمام بــالأم والطفــل

إن الامهات والأطفال في جميع أنحاء العالم يحبون Mothercare نحن أكبر من تخصص في العالم بكل ما يهم الحوامل والأطفال حتى سن العاشرة . لنا أكثر من ٤٠٠ محل في ١٠ بلدان والامهات في بلدك يشترين ما يحتجنه من الكتالوج الفريد الخاص بـ :
Mothercare - By - Post

وعن طريق الشراء بالبريد تستطيعين شراء ملابس الحوامل ، الادوات التي يحتاجها الرضيع ، الملابس العملية للرضع ، مبتكرات أزياء الأطفال وكذلك اللعب ومنتجات الأمان وقائمتنا لا تنتهي . سوف تقدرين منتجات Mothercare الرائعة عندما تشاهدين الكتالوج الملون في ٢٢٨ صفحة .



والكتالوج مجانا وشراء البضاعة عن طريق Mothercare-By-Post عملية بسيطة تماما مثل أ ـ ب ـ ت .

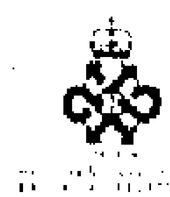
أ ـ ارسلي الكوبون بالبريد لتتلقي كتالوجك المجاني .
ب ـ اختاري ما تشائين واملئي نموذج الشراء المرفق .
ت ـ سوف نقوم بارسال ما تختارينه فورا .

ونحن نعتقد انك سوف تعجبين بكل ما تطلبينه ، لكن اذا لم تعجبك البضاعة فيسرنا ان نرد إليك نقودك .
اذا لا تتأخري ، ارسلي الكوبون بالبريد الآن وانضمي إلى دنيا Mothercare التي تهتم بالأم والطفل .

مجانــا ! المرجو ان ترسلوا إلي كتالوج
كتالوج لك الخريف الشتاء من ٢٢٨ صفحة الآن
To: Mothercare, P.O. Box 145, Watford, England
الاسم :
العنوان :
القطر :
RK **Mothercare-by-Post**
كل شيء للحامل ورضيعها والاطفال حتى سن العاشرة .

مجانــا ! المرجو ان ترسلوا إلي كتالوج
كتالوج لاحدى صديقاتك الخريف الشتاء من ٢٢٨ صفحة الآن
To: Mothercare, P.O. Box 145, Watford, England
الاسم :
العنوان :
القطر :
RL **Mothercare-by-Post**
كل شيء للحامل ورضيعها والاطفال حتى سن العاشرة .







طاف في ارجاء العالم
والتقى المشاهيـر
وصادق الملوك
والرؤساء٠
ومع ذلك
لم يتخلَّ عن بساطته٠
هنا يحدثنا عنه نائب
رئيس الولايات المتحـدة
كمـا عرفه شخصياً

لويـــل تــومـاس

أشهر صحافيي العالم

امضى لويل توماس شطراً كبيراً من مطلع حياته في كريبل كريك، ولاية كولورادو، وهي بلدة صاخبة فيها مناجم للذهب وتحيط بها جبال تكللها الثلوج٠ تلك الجبال اوقدت في نفسه توقاً الى رياد العالم العظيم الممتد وراءها٠

في الحرب العالمية الاولى امتطى سنام جمل مع لورانس العرب. وكان من الامريكيين الاوائل الذين وطأوا ارض مملكة التيبت المحرّمة. وهو تناول الطعام في غينيا الجديدة مع المتوحشين من أكلة لحوم البشر. وكان في السبعين من عمره حين طار مع رجال الاسطول الامريكي في الرحلة الاولى عبر اسفل العالم من رأس الرجاء الصالح الى نيوزيلنده مروراً فوق القطب الجنوبي.

طوال نحو من تسعة عقود جال ماركو بولو المعاصر هذا في الارض مرات لم يعد يذكر عددها. وزار كل بلد على سطح الارض، حتى قال عنه الرئيس الامريكي الاسبق لندون جونسون: "هذا الرجل زار كل مكان... مرتين!"

كان لويل توماس مراسلا لامعاً للاذاعة اولا ثم للتلفزيون. وهو من أسرع الكتاب. وقد وضع اكثر من ٥٠ مؤلفاً عن خواطره والمشاهير الذين التقاهم. واثرته كتبه ومقابلاته الاذاعية، لكنه قلما ابه للمال حتى انه بدّد ثروتين ضخمتين. وفي كل مرة كان يهز كتفيه غير عابىء بالخسارة.

انا ولويل توماس اصبحنا صديقين في السنوات الاخيرة من حياته. وابرز خصاله ولعه بالحياة. كل شيء، وكل انسان اثار اهتمامه. وكانت كتاباته تنضح بالحماسة والدهشة. لقد كان حقاً آخر الصحافيين الروّاد.

طوال ٤٦ سنة وحتى العام ١٩٧٦، ظلّ الناس يسمعون نشراته الاخبارية التي كانت تدوم ١٥ دقيقة مساء كل يوم. وكان يبدأها قائلا: "مساء الخير لكم جميعاً" ويختمها قائلا: "الى اللقاء غداً". بين هاتين العبارتين كان يستقطب انتباه ملايين المستمعين وهو يتلو الاخبار بلغته البسيطة. وعلى نقيض بعض المعلقين المعاصرين، لم يضمّن نشراته اي رأي شخصي. وقال لي مرة: "اني ادع الوعظ لأولئك الذين أوتوا ملكة الوحي، او هكذا يظنون."

كان صديقاً للرؤساء والملوك والملكات ورؤساء الحكومات، وغدا بحق رجلا شهيراً. وفي شهر ابريل (نيسان) ١٩٨١ زارني في البيت الابيض. وبعد اللقاء وقف في الردهة منتظراً احضار سيارته. فجأة دخل كبير اساقفة كانتربري ومعه نحو عشرين شخصاً من كبار الكنيسة الانكليكانية في انحاء العالم. وما ان رأوا لويل حتى نسوا موعدهم مع الرئيس رونالد ريغان ومعي والتفوا حوله يصافحونه ويسألونه عن اي بقعة من الارض سيزورها بعد ذلك.

خطيب موهوب – ولد لويل في وودنغتون، ولاية اوهايو، في ٦ ابريل (نيسان) ١٨٩٢. وكان والده طبيباً وأمه مدرّسة. وعندما بلغ الثامنة انتقلت العائلة الى كولورادو.

كان للوالد نفوذ بالغ الاثر على ابنه اليافع. ومن وحي قناعته بالقول المأثور ان "صوتك هو التعبير عن

شخصيتك" كان يدفع ابنه الى القاء القصائد في الحفلات واللقاءات الاجتماعية·

اصيب لويل بخيبة حين اخفق في الانضمام الى فريق كرة القدم في مدرسته الثانوية· فجاءت النجدة عن غير توقع من مدرّسة اللغة الانكليزية، فهي فرضت على كل تلميذ في صفها القاء خطبة شهيرة في اجتماع عام للمدرسة· وفي هذا حقق لويل نجاحاً باهراً· وبنتيجته انتخب رئيساً لفريق كرة القدم·

عمل لويل حاجباً وطاهياً لتسديد نفقات دراسته في جامعة انديانا الشمالية (جامعة فالباريسو حالياً)· وخلال سنتين فقط تخرّج حائزاً درجتي البكالوريوس والكفاءة (الماسترز)· وعمل محرراً في صحيفة "دايلي نيوز" في فيكتور، كولورادو· وذات صباح أيقظه صديق قائلا: "ان عمدة المدينة يبحث عنك وفي يده مسدس·" وكان نزل الى الاسواق عدد الصحيفة الذي نشر فيه لويل مقالا بعنوان: "ابن اخ العمدة يقتل في عش غرام·" لكن موهبة لويل الكلامية الفائقة وبراعته في الحديث اعادتا الصواب الى العمدة·

عام ١٩١٢ انتسب لويل الى جامعة دنفر· وفي نهاية السنة نال شهادتين جامعيتين اخريين· وفي ١٩١٤ سافر الى آلاسكا حيث عبر المجازات المائية الخطرة "وايت هورس" على نهر يوكون· وسحره جمال آلاسكا فعاد في العام التالي ليصوّر افلاماً سياحية هناك· وفي خريف تلك السنة التحق بجامعة برنستون ليدرس الحقوق· وكان في عطل نهاية الاسبوع يعرض افلامه ويقدّم احاديث عن آلاسكا· وفي وقت قصير بدأ يجني ارباحاً في عطل نهاية الاسبوع تفوق ما يحصّله اساتذته خلال الاسبوع كله· وهكذا تلاشى لديه كل جاذب الى الحقوق·

ما ان انتشرت اخبار افلام لويل حتى تلقى دعوة مفاجئة الى مقابلة فرانكلين لاين وزير الداخلية الامريكي في ادارة الرئيس ولسون· وكانت الولايات المتحدة دخلت الحرب العالمية الاولى، فطلب هذا من لويل ان يحمل عدته الى اوروبا ويعود بتقرير مصوّر عنها الى الشعب الامريكي· وقبل لويل العرض، وكان لا يزال في الخامسة والعشرين من عمره·

العربي الغامض — هكذا رحل لويل الى اوروبا ومعه عروسه فران رايان التي كانت زميلته في جامعة دنفر وعملت مع الصليب الاحمر في اثناء الحرب· وذات ليلة في البندقية، خلال فترة راحة بعد تغطية عمليات الجبهة الايطالية، رأى لويل نشرة عسكرية معلقة على حاجز من اكياس الرمل· وجاء في النشرة ان السير ادموند آللنبي، احد كبار القادة العسكريين البريطانيين، اوكلت اليه قيادة القوات البريطانية في الشرق

الاوسط. وحدس لويل بحسّه المرهف ان وراء ذلك شأناً خطيراً. فأرسل برقية عاجلة الى وزارة الخارجية البريطانية ملتمساً السماح له بتغطية اخبار حملة آللنبي. فأرسلت وزارة الخارجية البريطانية طائرة خاصة نقلت لويل ومصوريه الى مصر. وهكذا امكنه ان يغطي اخبار فتح فلسطين التي ظلت تحت حكم الاتراك طوال اربعة قرون. وكان أوج تلك الحملة سقوط مدينة القدس في ايدي قوات آللنبي.

ذات يوم التقى لويل رجالا من البدو في عباءاتهم الصحراوية. وأدهشه احدهم، وكان قصير القامة أزرق العينين يحمل السيف القصير المعقوف وهو سيف امراء مكة. وفي مركز القيادة البريطانية سأل لويل عن هذا "العربي الغامض،" فأدخل غرفة جلس فيها الرجل عينه امام مكتب وهو لا يزال مرتدياً ملابسه الصحراوية. وهكذا التقى لويل العقيد ت. أ. لورانس خبير الآثار البريطاني الذي استطاع بقوة شخصيته توحيد القبائل العربية المتناحرة في الصحراء لشن حرب عصابات ضد الاتراك. وانضم لويل الى لورانس في الصحراء ليصوّر شريطاً عن تلك الحملة. وكان كتابه "مع لورانس في الصحراء العربية" هو الذي جعل شهرة عالم الآثار الخجول تعم آفاق الارض.

عاد لويل الى الولايات المتحدة بعد سنتين واستأجر مسرح "سنشوري" في نيويورك لعرض اشرطته عن فتح آللنبي لمدينة القدس وعن حملة لورانس في الصحراء، حيث روى وقائعها بصوته. وكانت الصور المتحركة شيئاً مستحدثاً في ذلك الزمن، وأهالي تلك الاماكن النائية لم يسمع بهم الناس من قبل. فحققت اشرطته نجاحاً باهراً حتى انه نقلها الى قاعة "ماديسون سكوير غاردن" في نيويورك حيث اكتظت المقاعد بالمشاهدين طوال ثمانية اسابيع.

بعد ذلك نقل لويل وزوجته العرض الى لندن ثم الى آسيا حيث امضيا سنتين في التجوال. وفي طريق العودة الى الوطن ولد ابنهما لويل الصغير في لندن. وفي نيويورك استهوى العائلة منزل قديم واسع في كويكر هيل على بعد ساعتين بالسيارة من مانهاتان. واقنع لويل احدى دور النشر بتسليفه مبلغاً ضخماً في مقابل نشر ستة كتب لم يكن حضّر اياً منها بعد. واشترى البيت بذلك المال وبدأ تأليف كتبه.

سنوات حافلة — عام ١٩٣٠ عمل لويل مذيعاً لمجلة "ليتراري دايجست" (*). فانطلق يحقق "اولياته" كما لم يفعل رجل من قبل. فكان "اول" من اذاع احاديثه من فوق قمة جبل ومن داخل منجم للفحم الحجري ومن طائرة ركاب ومن طائرة مروحية ومن سفينة ومن غوّاصة، وحتى من مرحاض خاص بالنساء.

(*) توقفت عن الصدور.

كان لويل يجسد شخصية الرجل العادي البسيط، لذلك أحبه الناس. ومرة دعاه المسؤولون في شركة وسترن يونيون الامريكية للمواصلات البرقية الى التحدث من احد مكاتب الشركة في نيويورك. بعد ذلك دعا مقدّم البرنامج المستمعين الى ارسال برقيات مجانية الى لويل على حساب الشركة. وقبل انقضاء الليل كانت الشركة تلقّت ٢٦٥،٥٦٧ برقية.

في الحرب العالمية الثانية استأنف لويل نشاطه فطاف في جبهة المحيط الهادىء وطار عبر جبال حملايا من الهند الى الصين. ثم ركب طائرة مقاتلة حلقت به فوق برلين المحترقة فيما اطبق الجيش الاحمر على مخبأ هتلر.

بعد الحرب عاد لويل الى نيويورك. وحفلت سنواته الثلاثون التالية بالكتابة والاذاعة والخطب والترحال. وفي العام ١٩٧٥ توفيت زوجته فران التي رافقته ٥٨ سنة عن عمر ناهز الحادية والثمانين. لكن لويل ظلّ وافر النشاط كما كان دائماً. فقدم برنامجاً تلفزيونياً من ٤٤ حلقة دعاه "لويل توماس يتذكر"، وأصدر كتباً اخرى. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٧٧ تزوج ماريانا مون.

في تلك السنة رافقني لويل في زيارة الى الصين والتيبت. كان في الخامسة والثمانين ويعاني تعباً بسيطاً في القلب. وعندما تسلّقنا الى "بوتالا" وهو القصر الشتوي للدالاي لاما حاكم التيبت السابق، خشي المضيفون الصينيون ان تشكل السلالم التي ترتفع ٢٧٥ متراً عناء لا يقوى لويل عليه. لكن الممرضين اللذين خصصا لمرافقته قصرا عن مجاراته في الصعود.

في شهر يوليو (تموز) ١٩٨١ اقام لويل في واشنطن. وكان منهمكاً في تسجيل احاديث اذاعية دعاها "افضل السنوات" وروى فيها قصصاً عن الانجازات التي حقّقها رجال مسنّون. كان يطفح حماسة وهو يتكلم عن مشاريعه ثم غادر واشنطن في جولة محاضرات شملت مدناً عدة. وبعد شهر، في ٢٩ أغسطس (آب) ١٩٨١، توفي عن ٨٩ سنة.

٨٠٠ شخص حضروا مأتم لويل توماس في نيويورك. وقد ابّنه الكاهن نورمان فنسنت بيل، وهو صديق قديم وجار للفقيد، واختتم كلمته قائلا: "الى ان نلتقي هناك، لن أقول لك وداعاً. بل سأردد كلماتك ذاتها: الى اللقاء غداً."

■ جورج بوش
(نائب رئيس الولايات المتحدة)



احترس من أفكارك: فهي قد تتحول كلمات في أي وقت.

ي.غ.

الارهاق: سلحفاة أنت أم حصان؟



هانس سيليي رائد البحث في حالات الارهاق، وهو الذي ابدع فكرة "الارهاق" قبل ٤٠ سنة حين استعار هذه الكلمة من علم الفيزياء ليصف استجابات الجسد لأي شيء، بدءاً بوافدة الانفلونزا وحمى الزكام وانتهاء بالانفعالات النفسية مثل الخوف والغضب. وكان العلماء يعتقدون ان هناك رد فعل فيزيائياً مختلفاً لكل من هذه العوامل. لكن سيليي نازعهم الرأي قائلا ان الميكانيكية الفيزيولوجية هي نفسها في جميع الحالات.

منذ ذلك الوقت جاءت اختبارات سيليي على الحيوانات والبشر لتفصّل هذه الميكانيكية. وبات هو اشهر علماء كندا وأوفاهم تقديراً واجلالاً. وفي الحادية والسبعين من عمره اجرى معه الكاتب العلمي لورانس تشيري مقابلة شملت ابحاثاً كثيرة ومتنوعة عن دور الارهاق في حياة سيليي نفسه وكيف طوّر هو فلسفته. وهنا اهم ما جاء في المقابلة:

س. كيف تتحمل الارهاق؟

ج. بانهماكي في العمل الذي بين يدي الى اقصى ما استطيع. اني اعمل عشر ساعات على الاقل كل يوم، واحضر اجتماعات ومؤتمرات واكتب مقالات واهيىء محاضرات. وبدلا من ان يرهقني هذا المنهاج في العمل، اجدني ارتاح اليه.

س. الا يتعارض هذا مع النصيحة التي طالما نسمعها عن وجوب تخفيف عبء العمل لتحاشي الارهاق؟

ج. هناك لسوء الحظ مقدار كبير من الافكار المشوّشة عن حقيقة الارهاق وطريقة معالجته. الارهاق هو ردّ الفعل غير المحدد للجسد في مواجهة اي مطلب يفرض عليه، سواء أكان مبهجاً ام مزعجاً. ان مجرد الجلوس في كرسي طبيب الاسنان امر مرهق في ذاته. كذلك معانقة حبيب بحرارة. ففي كل من الحالين تزداد سرعة النبض وتشتد ضربات القلب. ولكن مَن مِن الناس يرضى بالتخلي عن الامور المبهجة لمجرد تحاشي الارهاق؟ هدفنا يجب الا يكون تجنب الارهاق، فذلك مستحيل. بل علينا ان نتعرف الى استجاباتنا المميزة

Condensed from Psychology Today (March '78),

للارهاق ومن ثم نعدل نهج حياتنا ليتلاءم معها .

وقد اكتشفنا ان هناك نوعين من البشر: "خيول السباق" الذين تزدهر حياتهم بالارهاق ويشعرون بالسعادة فقط وهم في اوج النشاط وفي ممارسة نمط الحياة السريعة، و"السلاحف" الذين ينشدون السلام والسكون والبيئة الهادئة مما يسبب الضيق لمعظم "خيول السباق".

نسمع الكثير عن اخطار الاغراق في العمل والجهد المفرط. لكني اعتقد ان هذا امر مبالغ فيه ويثير قلقاً لا مبرر له. واذا كان هناك من خطر فهو يكمن في ان كثيراً من الناس يخطئون في تصنيف انفسهم ويندفعون الى ما يتجاوز طاقة احتمالهم.

س. كيف يتعرف المرء الى النوع الذي ينتمي اليه؟

ج. بالملاحظة الدقيقة. فكل جداول الارهاق التي نعرفها تتضمن اخطاء لانها لا تقيم وزناً كافياً للاختلافات الفردية. كل فرد منا هو الحكم الافضل على نفسه، وكلنا نستطيع تدريجاً ان نطوّر شعوراً غريزياً ينبهنا متى انطلقنا بأعلى من مستوى الارهاق الذي يناسبنا او دونه. وهناك بعض الدلائل الجسدية على ذلك. الحيوانات المرهقة تظهر حركة زائدة، كذلك يفعل البشر. وقد لا تشعر بالارهاق، لكنك تأخذ بتحريك يديك اكثر وانت تتكلم وتزداد ضربات قلبك. وهناك ايضاً دلائل سلوكية. مثل الارق والتهيج. من هنا فليس من العسير اكتشاف الارهاق بعد ان تصبح قادراً على معرفة نفسك.

س. الى اي مدى تفيد الادوية واساليب الاسترخاء والتأمل في مساعدة الناس على تحمل الارهاق؟

ج. اعتقد ان هناك علاجاً للارهاق أفضل من الادوية وسواها. أن الموقف النفسي للفرد يقرر ما اذا كانت أي تجربة يتعرض لها مبهجة أو مزعجة. وباعتماد الموقف الصحيح يمكننا تحويل التجربة السلبية تجربة ايجابية. وذلك ما أسميه "الارهاق النافع".

س. هل ان الارهاق الايجابي او الارهاق النافع يفرض على الجسد متطلبات ايضاً؟

ج. نعم. لكنها متطلبات اقل، وذلك لاسباب لا نزال نجهلها. فأنا اشك، مثلا، في قدرة اي انسان على احتمال جدول اعمالي الا اذا تبنى نظرة ايجابية الى العمل كما افعل انا. فبالنسبة الي، ليس عملي واجباً بل متعة. وهذا ما يجعله ارهاقاً نافعاً. كذلك تعلمت خلال سنوات ان انسى الحوادث المزعجة. وقد سمعت، في عهد الامبراطورية النمسوية ـ المجرية التي ترعرعت في ظلها، مثلا شعبياً ترك انطباعاً عميقاً في نفسي، وهو يقول: "قلّد الساعة الشمسية واحسب فقط الايام المشرقة بالنور". وانا الآن لا احمل ضغينة اذا اساء الي زميل او صديق. قد اقطع علاقتي به لمجرد رغبتي في وقاية نفسي منه، لكني لا اكن له عداء. فالطبيعة تهب حتى المحظوظين منا طاقة محدودة

على مقاومة الارهاق، ومن السخف ان نهدر تلك الطاقة في الغضب.

وهذا الموقف نفسه ساعدني قبل سنوات عندما ابلغني طبيبي اني مصاب بالسرطان وانه لم يبقَ لي من الحياة سوى اشهر قليلة. فقد ابيت ان ايأس وصممت على مواصلة عملي من دون ان اشغل بالي بقرب نهايتي. وربما كان موقفي هذا هو الذي اعانني على مكافحة الارهاق الناجم عن مرضي ومن ثم تحمل وطأة الجراحات التي أعقبته. وها انا، كما ترى، حي على خير حال.

س. هل تعتقد ان الاهل او المدرّسين اليوم يخفقون في تعليمنا مواجهة ضغوط الحياة على نحو صحيح، ربما لأن الارهاق نفسه ازداد في عصرنا؟

ج. كل عصر يحمل معه ارهاقاً وقلقاً. قبل مئات السنين لم يكن هناك خطر حرب نووية، ولكن كان هنالك خطر الطاعون المخيف الذي محا شعوباً بأكملها. كل شيء في الحياة البشرية عارض وغير ثابت. قد تكون غنياً اليوم وفقيراً غداً، معافى او مريضاً. وهذا ما زال كذلك منذ الازل. لكنني اعتقد ان هنالك نوعاً من الارهاق الاجتماعي ازداد في عصرنا، وهو انعدام الدوافع.

ويبدو ان اكثر الحلول شيوعاً بين التي طرحت لهذه المشكلة هو التصوّر ان على الانسان ان يعيش لنفسه فقط من دون الالتفات الى الآخرين. وهذا الى حد ما تصوّر حكيم. فالانسان كغيره من الكائنات يولد ذاتي الطبع، ويتحتم عليه ان يهتم بنفسه قبل اي شيء. والخطأ هو في الخلط بين هذه الظاهرة الطبيعية والانانية التي تتمثل في السعي الى المطامع الذاتية فحسب. وانا اشك في ان في الوجود ما هو اشد ارهاقاً من هذا المنحى في الحياة، لانه يخلق لك خصومات وعداوات تحيطك من كل جانب.

وهناك ترياق مضاد لفقدان الدوافع، وهو نهج تعتنقه طوائف كثيرة ويتطلب حب الغير والتضحية بالذات الى اقصى الحدود. هذا المنحى ايضاً ينطوي على بذرة من الحقيقة. فتماماً كما نحن كلنا ولدنا ذاتيين، فاننا ولدنا ايضاً ايثاريين ومضحين. والخطر يكمن في نكران الذات اذا دفع الى حدود التطرف فانه ينتهك طبيعتنا ويؤدي بنا الى النقمة والخيبة المرهقة.

ولما كنت عالماً اعمل في مختبر، فإنني تعلمت انه حتى في ادنى مستويات الحياة البدائية هناك توازن بين الايثار والانانية. فالخلايا الفردية، في وقت ما من الماضي السحيق، تخلت عن استقلالها لتشكل بتجمعها كائناً اكثر تعقيداً وقوة. والخليّة السرطانية، على نقيض ذلك، تهتم بذاتها فقط وتستمر في نموها غير آبهة بسواها وتغتذي من جسم حاملها حتى تميته، وهكذا تنتحر. وانطلاقاً من أبسط مستويات الحياة نحو اكثرها تعقيداً، لاحظت ان معظم الذين يعانون امراضاً متصلة بالارهاق يقاسون ايضاً من نمط سلوكي منحرف، وهو نمط يشدّد اما على الانانية المفرطة واما على التضحية المفرطة بالنفس.

وقادتني تجربتي الشخصية وأبحاثي الى تطوير وصفة علاجية

لافضل ترياق للارهاق. وعناصر هذه الوصفة، هي، اولا، السعي الى معرفة مستوى الارهاق الخاص بك فتقرر ما اذا كنت "حصان سباق" ام "سلحفاة" وتحيا وفقاً لهذا التصنيف. والعنصر الثاني هو ان تختار الاهداف التي ترمي اليها وتتأكد من انها اهدافك حقاً وليست مفروضة عليك من الآخرين. والعنصر الثالث في هذه الوصفة هو الايثار الاناني، اي ان تنظر الى ذاتك من خلال كونك ضرورياً للآخرين.

س. ولكن كم من الناس يمكنهم ان يكونوا ضروريين لمن حولهم؟

ج. اعتقد ان في وسعنا جميعاً ان نكون كذلك. فلست ملزماً بابداع نظرية توازي نظرية النسبية او بوضع اعظم سيمفونية عرفها العالم لتكون ضرورياً. يمكنك ان تسعى الى ان تكون معلماً مخلصاً او خبازاً ماهراً او جاراً صالحاً. والسعي الى جعل نفسك ضرورياً للآخرين هو هدف تمكنك متابعته طوال حياتك. وانه هدف يقيك اسوأ الارهاقات الاجتماعية المعاصرة.

ومن دواعي بهجتي أن أدرك أن أبحاثي في شأن الارهاق النفسي سوف تبقى بعد أن أمضي أنا. واذا كانت أبحاثي وسيلة لجعل الآخرين سعداء وقانعين بالحياة مثلي عن طريق التحكم بمختلف الارهاقات، فسأكون راضياً عن نفسي أشد الرضا.

■ هانس سيليي



من القاموس الهندى

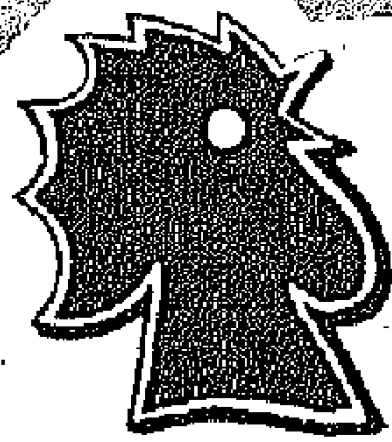
قال فيجاي ميرشنت، لاعب الكريكت الهندي الشهير: "كما يعرف المرء كيف يربح، هكذا يجب ان يعرف كيف يخسر. وكما يعرف كيف يعيش، يجب ان يعرف كيف يموت. وبالنسبة الى الرياضي، ينبغي أن يعرف جيداً في أي وقت يعتزل. وتقاعده يكون رائعاً اذا سأل الناس بعده: "لماذا؟" لا اذا قالوا: "ولم لا؟"

صحيفة "اسبوعية الهند"

موظف صغير

تذمر موظف شركة من وضعه قائلا: "اذا تأخرت صباحاً، قالوا انك قدوة سيئة. واذا جئت على الوقت، فأنت كلب حراسة. واذا كنت ليناً مع عمالك، فأنت تفسدهم. واذا كنت متحفظاً، قالوا انك متعجرف. وان اكترثت لاعمالك، فلا حس بالمرح لديك. وان اهملتها، فالويل لك. وعندما تمتدح من الآخرين، فأنت تخدعهم. وعندما تلومهم، فأنت تفتري عليهم. واذا عملت فوق ساعات الدوام، فأنت تتظاهر بالاخلاص. واذا انصرفت على الوقت، فأنت غير مخلص للشركة. وأنت عنيد حين تصر على وجهة نظرك، ومائع حين تقر لسواك برأيه. واذا كنت كبيراً فلست ملائماً للعمل، واذا كنت صغيراً فلا خبرة لديك."

ن.ن.



النهار العربي والدولي

إنطلاقاً من قناعتها بأنها مجلة القارئ أولاً، تفتح النهار العربي والدولي صدر صفحاتها منبراً تستطيع أن تعرض آراءك من خلاله بحرية كاملة فتصبح، وأنت في موقعك، واحداً من محرريها.
عالج أي موضوع تشاء - في السياسة أو الاجتماع أو العلم أو الأدب أو الفن أو شؤون المرأة وارسل مقالاتك (في ٣ أو ٤ صفحات بالآلة الكاتبة)، وأرفقها بصورتك إلى العنوان التالي:

صندوق البريد ١١٦٨٨ بيروت - لبنان P.O.BOX 11688 BEIRUT-LEBANON

ان المحبة تصنع من الضعف قوة
ومن القبح جمالا

القطّ الذي أحبَبت



في يوم دافىء من اغسطس (آب) اكتشف كلبي اربعة هريرات حديثة الولادة متروكة بين الاعشاب العالية قرب الطريق. وعدت حاملة المخلوقات الصغيرة في يدي. فقال لي مايك بحزم: "لا مكان لمزيد من الحيوانات." وكان زوجي المسكين عانى الامرين من كلبي ومن ثلاثة قطط اخرى. "سأبقيها فقط الى ان تتمكن من رعاية نفسها." ونظر الي مايك بارتياب فأكدت له: "كلمة شرف!"

وصنعت للجراء بيتاً دافئاً، فحشوت سلة بحرام قديم. ثم ذهبت لشراء زجاجات رضاعة صغيرة. وقال لي صاحب الدكان: "لا يمكنك ان تربي

قططاً صغيرة كهذه." لكني عدت الى البيت وأنا مصرة على المحاولة.

بعد بدايات خائبة شربت الجراء الحليب الدافىء بشراهة. وخلال الليل تركت فراشي اربع مرات لاطعامها. وفي صبيحة اليوم التالي هنأت نفسي على ان القطط كانت تبدو اقوى وأكبر قليلا.

ولكن ما إن حل العصر حتى ادركت ان ثمة خطأ ما. فاذا كانت قابلية الجراء للطعام جيدة، الا أنها لم تكن تخرج. وبدت بطونها الصغيرة منبسطة ومشدودة كالطبول. وراودني شك في قدرتي على انقاذها. واخترت احدها وبدأت افرك بطنه في محاولة لمواساته وفجأة وجدت يدي مبللة. وعمدت الى الطريقة ذاتها مع الجراء الاخرى لأحصل على نتيجة مماثلة. ومنذ ذلك الوقت بدأت القطط تكبر بسرعة.

بعد أيام عاد مايك الى البيت ليخبرني ان سكرتيرته عرضت ان تتبنى الجروة "بيتشز" وهي المفضلة لدي. ولكي اطوع لنفسي فكرة تركها، بدأت اتعمد اهمالها واجعلها تنتظر دورها لرضاعة الزجاجة. وتساءلت عما اذا كان الافتقار الى معاملة خاصة سيؤثر في شخصيتها. ولنفترض اني اعطيت احد الجراء الاخرى اهتماماً اضافياً، فهل يكبر ليكون مختلفاً عن اترابه؟ وقررت ان اخضع افكاري للتجربة.

اخترت قزم المجموعة، وهو الجرو الذي دعاه مايك "القط الخفاش" لفرائه الاسود ووجهه القبيح. كان دائماً في أسفل الكومة، الاخير الذي يُحمل ويُطعم والذي يحصل على اقل مقدار من الاهتمام. بدأت باعطائه اسماً جديداً "بوسطن"، فاخذت اردده همساً مرة تلو اخرى وأنا احمله لارضاعه من الزجاجة. كنت اطعمه مقدار ما اراد، ثم ادسه داخل سترتي لينام فوق قلبي الخفاق.

وكان تأثير ذلك في الجرو فورياً مباشراً. عيناه اللتان تفتحتا حديثاً اخذتا تتفحصان وجهي باهتمام. وهو حفظ اسمه بسرعة، فما ان اناديه حتى يتسلق طيات الحرام بأسرع ما تسمح له قوائمه الصغيرة الواهنة. واذ نام بين اشقائه فانه تخلى عن اذعانه المستسلم السابق بان يكون في الاسفل، فبات يشق طريقه متلوياً حتى يصل الى القمة فيستريح. هل منبع هذا التغيير انه احس نفسه موضع تقدير فأجل قدره؟

كان الاول بين الجراء الذي اكتشف قدرته على الخرخرة، والاول الذي نظف نفسه، والاول الذي تسلق خارج السلة. واذا التقطته لأداعبه، كان يربت خدي بقائمتيه الصغيرتين.

الرفيق العظيم — تغيرت ملامح بوسطن ومظهره. فاصبح فراؤه لماعاً وأملس. ومع انه لم يكن جميلا يوماً، الا أنه اصبح نشيطاً ومرحاً وموضع حب وحنان، حتى ان مجرد رؤيته كان يبعث الفرح في القلوب.

العامل السلبي الوحيد كان اني بمنح بوسطن هذا الاهتمام بدأت احبه. وتمنيت في سري ان يشاركني مايك في مشاعري. لكنه في الوقت الذي وافق على ان العناية الزائدة التي اوليتها بوسطن تركت فيه اثراً مذهلا، الا ان اهتمامه بقي علمياً.

وللأسف فان بوسطن لم يكن لبقاً، فكلما حمله مايك كان يدير رأسه بحثاً عني.

ومع الوقت تعلم بوسطن معنى ما افعله. افكر في اعداد العشاء، فيكون في طريقه الى المطبخ. افكر في الخروج، فينتظرني على الباب. ومرة اصدر صوتاً بين الخرخرة والمواء، فأجبت: "نعم يا بوسي الصغير، اعرف انك هناك." ومنذ ذلك الحين بات يصدر الصوت نفسه حينما يشاء. وبطرح تأويلات محددة مثل: "نعم، اتوقع انك تريد عشاءك الآن" و"انا سعيدة برؤيتك ايضاً،" راح يضيف اصواتاً اكثر تحديداً تعني "عشاء" و"مرحبا" حتى بلغ قاموس الكلمات التي يعرفها اكثر من اربعين كلمة.

وفيما كنت اعمل في انحاء البيت كنت اشرح باستمرار، فأنسى احياناً ان رفيقي العظيم الذي انعم عليه بكل هذا الحديث هو مجرد قط. ومرة دخل مايك المطبخ وسمعنا، فعلق قائلا: "سوف تفتقدينه حين يرحل."

حدقت اليه بذهول، لكنه قابل نظراتي بعينين جامدتين. وادركت من تعابيره ان ذلك كان امتحاناً بيننا. هل سأبرّ بوعدي ام تراني أقدر هراً اكثر منه؟ وكانت واجهتنا مشاكل ثقة في الماضي، فهل اعرض للانهيار تلك الثقة التي كسبتها بعد جهد كبير؟ واجبت: "نعم سأفتقده."

بعد فترة وجيزة وجدت بيتشز وجنجر منزلين جديدين. واخبرني مايك ان الجمعية الخيرية تبحث عن قطط لبيعها. وبدا انـي أقضي أيامي الاخيرة مع بوسطن، فكنت اذا ما ضممته بين ذراعي أذرف الدمع واقول له: "آه يا بوسي، سيبدو البيت خالياً في غيابك."

هدية العيد – في اليوم السابق لموعد رحيل بوسطن جاءت صديقة لسكرتيرة مايك يصحبها ابنها الصغير ليختار بين بوسطن وسترايبر. وانقبض قلبي عندما رأيت الصبي، فهو بدا كملاكم صغير. كيف يستطيع مخلوق بالغ الصغر كبوسطن ان ينجو من لعبه الفظ؟ وتقدم الصبي من الهريـن وقبض على اختياره. لقد انتقى سترايبر.

واتصل بي مايك ليذكرني بان الجمعية تطلب وصفاً لبوسطن، فأجبت: "لقد حضرته وطبعته على الآلة الكاتبة." وقرأت لزوجي الوصف على الهاتف: "نشأ بوسطن على مقدار غير عادي من الرعاية والحب جعله يتمتع بذكاء وحساسية مرهفين.جميع تصرفاته لا غبار عليها. يحب ركوب السيارة والالعاب جميعها، ويتمتع بقاموس ضخم من المفردات. ارجو ان تعاملوه بالعاطفة الرقيقة نفسها التي يقابلكم بها."

وسكت مايك لحظة ثم قال: "لقد جعلت منه قطاً نادراً."

"هو كذلك"، اجبته، وأقفلت الخط.

عندما عاد مايك الى البيت، هرع بوسطن الى الباب ليحييه. وحاولت جاهدة حبس دموعي. اذ ذاك دخل مايك المطبخ حاملا بوسطن الذي ربطت حول عنقه شريطة حمراء كبيرة. ومن غير ان يتفوه بكلمة، مد مايك يده واعطاني مغلفاً في داخله بطاقة معايدة كتب عليها: "ما زلنا

في نوفمبر (تشرين الثاني)٠ لكن هدية الميلاد لن تنتظر٠" وسلمني بوسطن وقال: "اذا كنت ناضجة بما فيه الكفاية لتدعيه يرحل، فاني ناضج بما فيه الكفاية لاسمح له بالبقاء٠"

الصيد الاخير - بمرور الاشهر تجلت نتائج التجربة بوضوح٠ تعلم بوسطن ان يسابقني في الحقل ويتسلق شجرة ثم يناديني لاقتفي اثره٠ فأقول: "اقفز يا بوسي٠"

وفي صبيحة يوم سمعت بوسطن يموء عبر الشق في اسفل باب غرفة النوم٠ وعندما نهضت لاستطلع الامر، قادني الى غرفة الجلوس في الطابق الارضي حيث كانت القطط الثلاث الاكبر تطارد زرزوراً دخل من المدخنة خلال الليل٠ ولوحت للعصفور الصغير واخرجته من نافذة مفتوحة٠

وانقذ بوسطن طائراً آخر بارشادي الى أجمة علق فيها وروار عجز عن الحراك بسبب عود اقحم في منقاره٠ الا أن ذلك لا يعني انه لم يكن صياداً ماهراً٠ كان يحب مطاردة الذباب والزنابير ويعرف بالغريزة ان الاولى يمكن ان تضرب بعنف وبلا رحمة، فيما تتطلب الاخرى حذراً وسرعة٠

وفي احدى امسيات يوليو (تموز) خرجت الى الحديقة لأرى بوسطن جاثماً فوق ارنب نافق وبدا متخوماً٠

بعد ايام فترت همة بوسطن وفي الليلة التالية وجدته ذليلا وقد تقوس ظهره٠ وحملته مذعورة الى الطبيب البيطري٠ وفي السيارة تذكرت الارنب٠ كان بوسطن اصغر من ان يصطاد ارنباً معافى٠ لعل الارنب كان نافقاً عندما وجده٠

ارتفعت حرارة بوسطن واصابه جفاف شديد٠ وأعلمني الطبيب بضرورة اعطائه اكبر مقدار ممكن من الطعام والسوائل في اسرع وقت ممكن٠ وحين وصلت الى البيت حملت هري خارج السيارة٠ فأطلق صرخة اخيرة تقوس بعدها عموده الفقري٠ وانتهى كل شيء٠

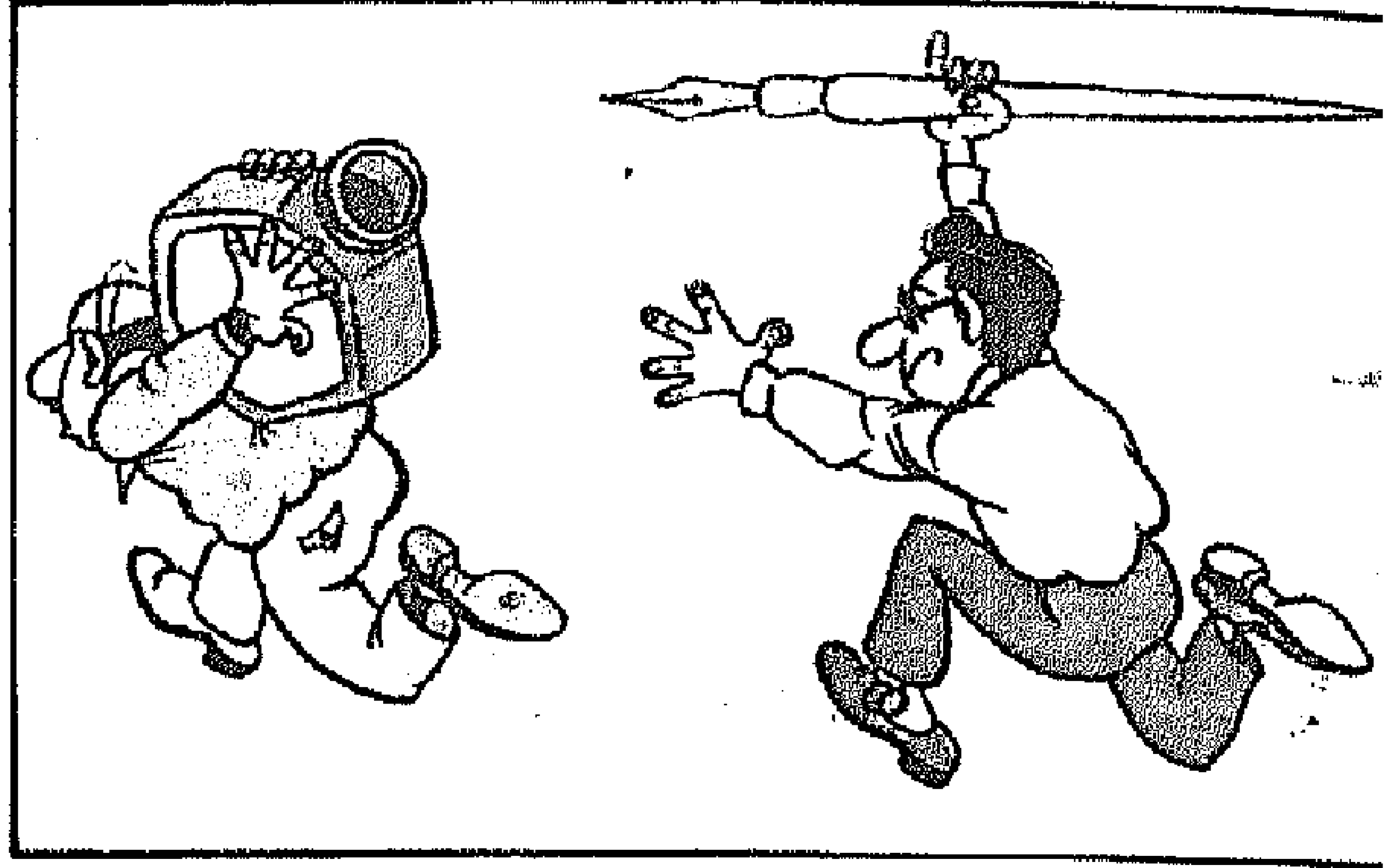
وحاول مايك مواساتي لكن عينيه اغرورقتا بالدمع ونحن ندفن الكتلة الصغيرة تحت شجرة الزعرور في حديقتنا٠ وعندما انهالت عليه حفنة التراب الاخيرة، وقف مايك يحدق الى الكومة أمامه ثم قال: "كنت على حق، كان بوسطن هراً مميزاً٠"

بعد مرور أشهر، خف ألم فراق بوسطن، فتذكرت الجراء الاخرى التي كبرت وتوجهت لزيارتها٠ كانت بيتشز لطيفة ورقيقة وجنجر جموحاً وغير ودودة٠ اما سترايبر فكان يقضي معظم وقته مختبئاً تحت الاسرة٠ وحده بوسطن كان فريداً في ذكائه وانطلاقه وحنانه٠ واذ اثبتت تجربتي ان للحب قوة لا تضاهى في التنشئة والحماية والسعادة، فان بوسطن علمنا اننا عندما نمنح الحب عفواً فاننا نحصل على جزاء غير عادي في المقابل٠

■ جو غودير

الحب هو أن تسهر الليل كله مع طفل مريض أو مع بالغٍ معافى٠

د٠ف٠



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد افعال، وقد وضع امام كل كلمة اربعة معان، واحد منها صحيح، والمطلوب من القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه،

٠١ **ازِف**: تزوج ـ مات شاباً ـ احتفل ـ اقترب،

٠٢ **حدج**: حدق ـ وخز ـ مشى متثاقلا ـ ازاح،

٠٣ **تملص**: تلوى ـ تأفف ضجراً ـ افلت ـ تفكك،

٠٤ **اجدب**: اذهل ـ يبس ـ اصابه الجنون ـ تثاءب،

٠٥ **بزّ**: غلب ـ صرّ اسنانه ـ وشى ـ قلّد مشية البازيّ،

٠٦ **تسكع**: تعثر ـ تزلف ـ مشى على غير هداية ـ تسول،

٠٧ **جهر**: غضب ـ هدد ـ استل ـ رفع صوته،

٠٨ **زركش**: رسم ـ مدح ـ كذب ـ نسج بالذهب،

٠٩ **شمت**: سبّ ـ فرح بمصيبة سواه ـ تطاول ـ انتزع،

١٠ **اجفل**: نفر ـ اهمل ـ اظهر كراهية ـ اشرأبّ،

١١ **تغاضى**: تعطر ـ مشى بخيلاء ـ تستر ـ طبق جفنيه،

١٢ **جرم**: دق بعنف ـ جنى ـ قطع ـ اصرّ على رأيه،

١٣ **قضّ**: سقط بسرعة ـ هدم ـ حكم ظلماً ـ شد،

١٤ **راوغ**: خادع ـ تكلم هاذياً ـ نمّ ـ اغرى،

١٥ **تهدج**: ركب الهودج ـ آسى ـ لبس الديباج ـ تقطع،

١٦ **بسق**: ظهر فجأة ـ ارتفع ـ تفّ ـ وثب،

١٧ **احجم**: تغيب ـ كفّ ـ اقدم ـ شمخ برأسه،

١٨ **بار**: احسن ـ وفى بوعده ـ هلك ـ توارى،

١٩ **تجلبب**: تنكر ـ كثرت عليه المصاعب ـ تلطخ ـ لبس الجلباب،

٢٠ **عنفص**: عبس ـ ادعى بما ليس فيه ـ رفض ـ عاند،

٢١ **كظم**: حبس ـ نظم الشعر ـ ظلم ـ اغتاظ،

٢٢ **انتهز**: اغتنم ـ سخر ـ قارب ـ اهتز بقوة،

٢٣ **تزمت**: بخل ـ تحلى بالصبر ـ تقلص ـ كان وقوراً،

٢٤ **عزل**: حسد ـ نفذ الحكم ـ لام ـ خلع،

٢٥ **اوغل**: عاث فساداً ـ ادخل ـ اغضب ـ صرف كل ماله،

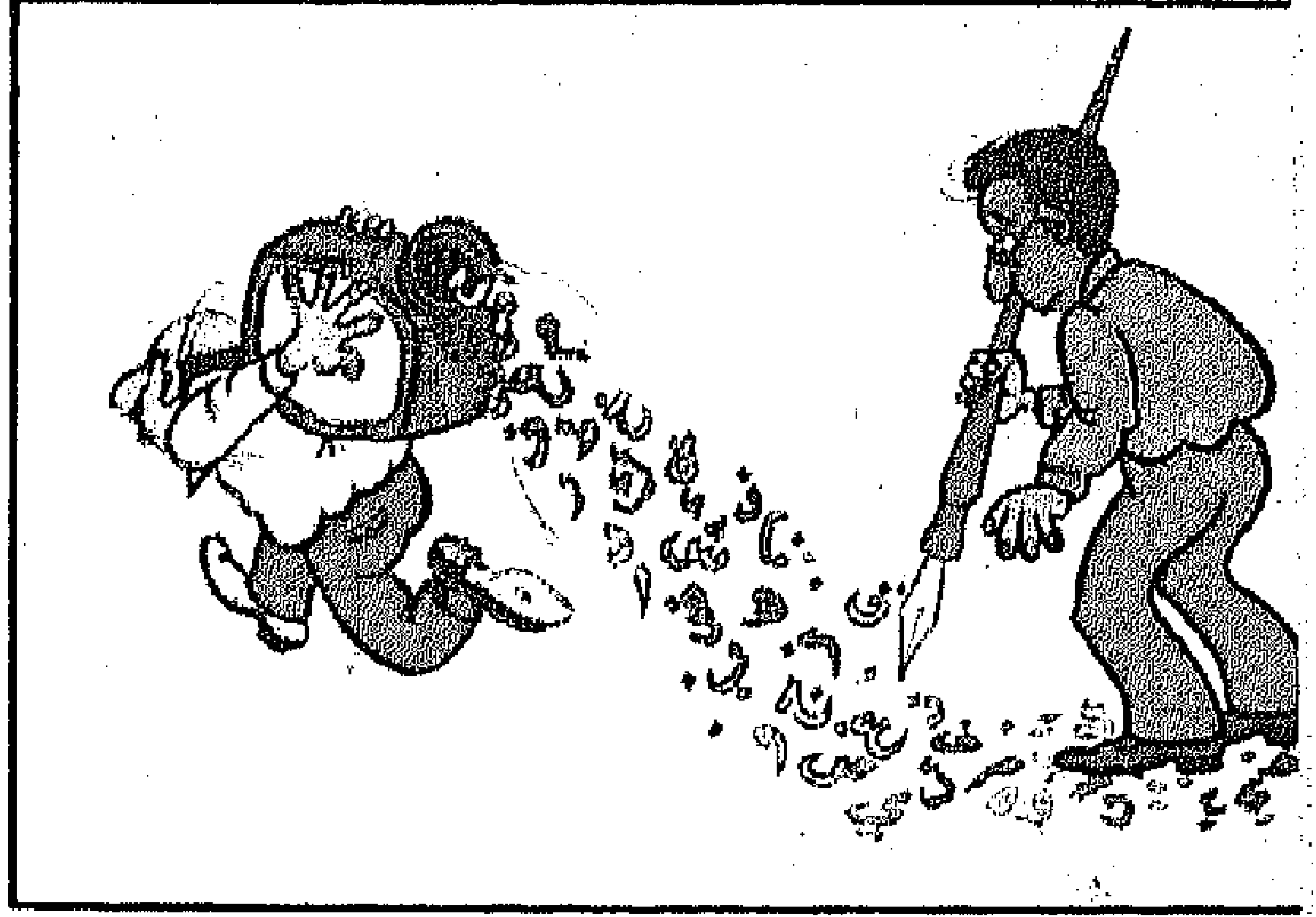
٢٦ **دجا**: اظلم ـ حمل السلاح ـ ماطل ـ مشى ليلا،

٢٧ **اضمحل**: جفّ ـ استقر ـ تغير لونه ـ تلاشى،

٢٨ **نحر**: هزم ـ اشقى وعذب ـ ذبح ـ خان،

٢٩ **اوجس**: همس ـ اشاع الاكاذيب ـ اضمر ـ توهم،

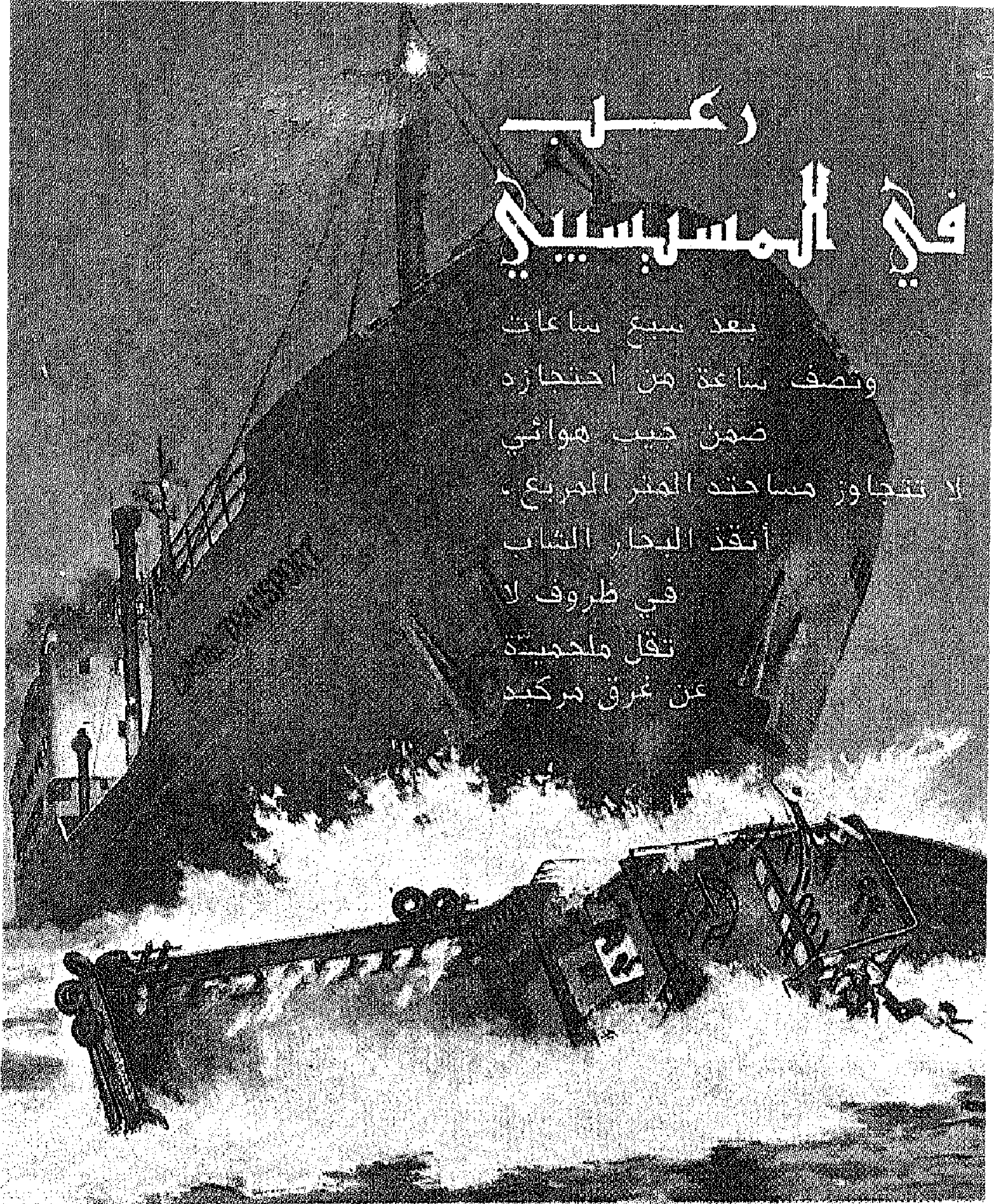
٣٠ **ظعن**: ارتحل ـ اهان ـ رعى ـ شاخ،



الأجوبة الصحيحة

۱• ازف: اقترب، ايضاً: عجل، ازف الجرح: اندمل.
۲• هدج ببصره: حدق.
۳• تملص: افلت وانسل. رجل املص الرأس: لا شعر على رأسه.
٤• اجدبت الارض: انقطع عنها المطر ويبست فهي جدباء.
٥• بز: غلب، ابتز: استلب قهراً، بزة: ثياب.
٦• تسكع: مشى على غير هداية، ايضاً: تمادى في الباطل.
۷• جهر: اعلن ورفع صوته، جهرت العين: لم تبصر في الشمس.
۸• زركش الحرير: نسجه بخيوط من ذهب.
۹• شمت بفلان: فرح ببليته، تشمت: رجع خائباً.
۱۰• اجفل: نفر وشرد، تجفل الديك: نفش عرفه.
۱۱• تغاضى: طبق جفنيه كي لا يرى شيئاً، ايضاً: تغافل.
۱۲• جرم: قطع، جرم الناقة: جز صوفها، والنخل: قطف ثمره.
۱۳• قض: هدم، القض: صغار الحصى، اقض المضجع: خشن.
۱٤• راوغ: صارع وخادع، راغ عن الطريق: حاد عنها مكراً.
۱٥• تهدج الصوت: تقطع وارتعش، هدج: مشى مشية الشيخ.
۱٦• بسق: ارتفع وطال، الباسقة: السحابة البيضاء الصافية.
۱۷• احجم: كف او نكص، الحجام: ما يوضع في فم الجمل لئلا يعض.
۱۸• بار: هلك، ايضاً: كسد، ارض بور: غير مزروعة.
۱۹• تجلبب: لبس الجلباب وهو قميص او ثوب واسع.
۲۰• عنفص: كان ذا صلف وخفة وزهو، أيضاً: ادعى بما ليس فيه.
۲۱• كظم: اغلق وحبس.
۲۲• انتهز الفرصة: اغتنمها، ناهز الخمسين: قاربها.
۲۳• تزمت: كان جليلا وقوراً، زمت: خنق.
۲٤• عذل: لام، المعتذلات: الايام الشديدة الحر.
۲٥• اوغل: ادخل، أيضاً: اسرع وامعن، توغل في البلاد: ذهب وبعد.
۲٦• دجا الليل: اظلم، الدياجي: الظلمات، الديجور: الظلام.
۲۷• اضمحل: تلاشى وانحل.
۲۸• نحر البهيمة: ذبحها من نحرها اي اعلى صدرها.
۲۹• اوجس: احس واضمر، توجس: سمع صوتاً خفياً.
۳۰• ظعن: سار وارتحل.

المستوى:
- ۲٥ ــ ۳۰: ممتاز
- ۱۹ ــ ۲٤: جيد
- ۱۳ ــ ۱۸: مقبول



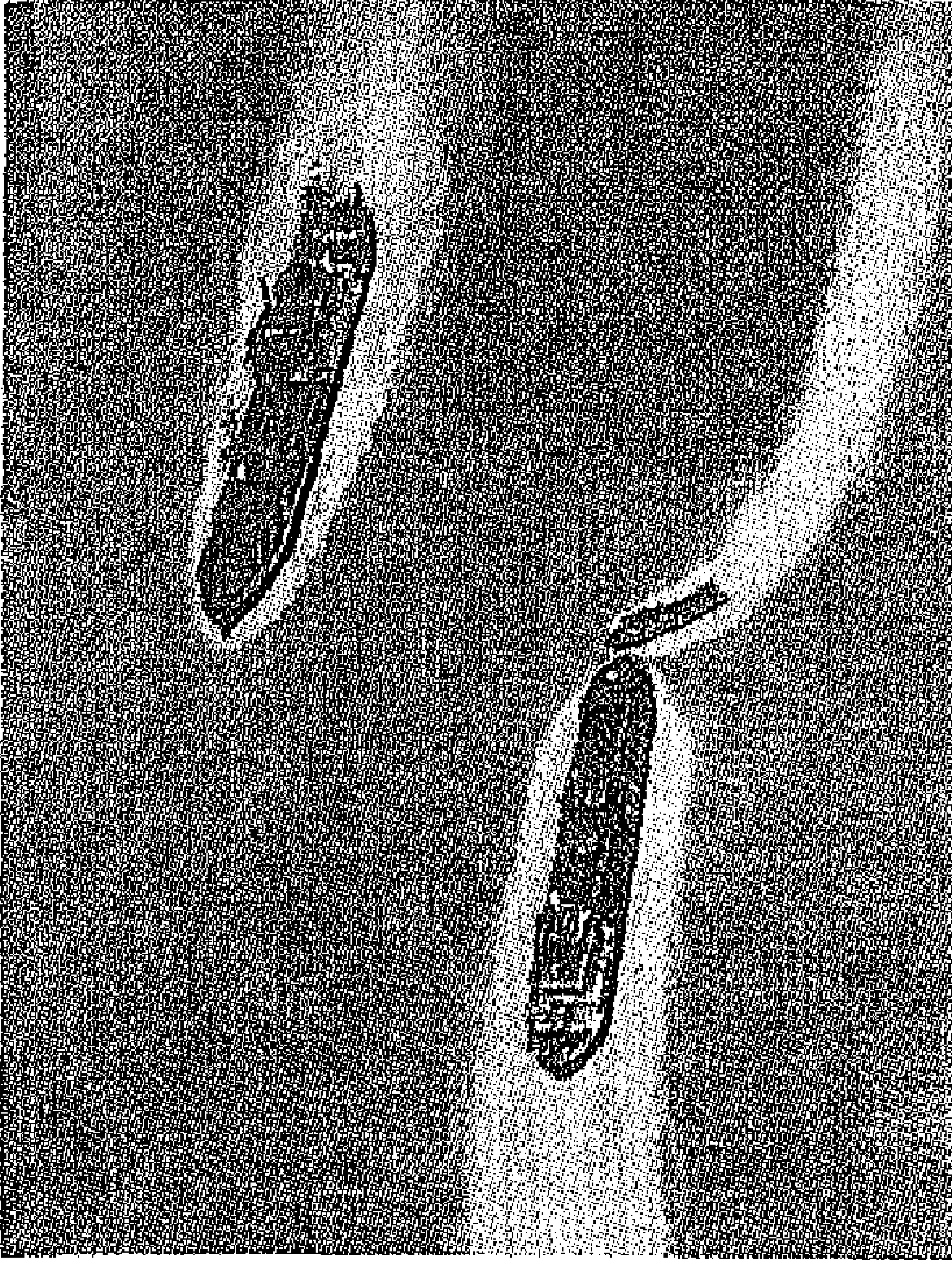
في العاشرة والنصف من ليلة ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠، انطلقت سفينة الشحن "كوستال ترانسبورت" من مرفأ نيو اورلينز المزدحم في ولاية لويزيانا الامريكية. وبحمولتها من حامض الكبريت والصودا الحارقة، أبحرت تلك السفينة البالغة ١٤٠ متراً طولا في اتجاه مرفأ فيراكروز المكسيكي بقيادة الربان جيم برينان. وبما ان القانون يقضي بأن يرافق السفن الصخمة ربان محلي يعينها على اجتياز ممرات نهر الميسيسيبي الوعرة، فقد تقرر ان يتسلم الربان

النهري جيرالد جين قياد السفينة من نيو اورلينز حتى "بايلوت تاون" المحطة الاخيرة قبل خليج المكسيك.

وما ان شقت السفينة البرتقالية الضخمة طريقها نحو الخليج حتى كان المركب "سالي - بي"، وطوله ٣٧ متراً، فرغ من انزال بعض المعدات على رصيف خاص بمحطة نفطية داخل النهر، وتابع طريقه نحو مربطه الواقع في دلتا الميسيسيبي على بعد ١٣٠ كيلومتراً من نيو اورلينز. وقبيل منتصف الليل، فيما راح قائد المركب واين بمبرتون (٣٦ سنة) يشق طريقه نحو ثغر الميسيسيبي، نزل معاونوه الى الطبقة السفلية للاستراحة. وهؤلاء هم: المهندس ستيفن جارفيس (٢١ سنة) والنوتيان انطوني بيريت (١٩ سنة) وماري جو روسون (٤٠ سنة). وما لبث بيريت ان أوى الى سريره بالقرب من مقدّم المركب، وحذا جارفيس حذوه.

في الثالثة والدقيقة الحادية والثلاثين فجراً عبرت السفينة "كوستال ترانسبورت" مرفأ فينيس. وهناك تلقى الربان جين امراً من المحطة الامريكية لمراقبة السفن، بوجوب التنبّه الى سفينة الشحن اليونانية "انتربرايز" التي تجرّ امتارها المئة والخمسين من اسفل النهر الى اعلاه عبر الضفة الشرقية المخصصة للسفن الكبيرة. وللحال طلب جين مدير دفة السفينة اليونانية ان يتجه نحو الضفة الغربية الاقل عمقاً.

المركب الصامت - بعد دقائق وجهت ماري جو روسون رسالة بالراديو تقول: "المركب سالي - بي يتجه نحو



"سالي بي" تتجه نحو مقدم "كوستال ترانسبورت"، فيما "انتربرايز" تقترب منها.

فينيس..." وعلى رغم ان محطة المراقبة والربان جين كليهما لم يسمعا الرسالة، فان جين ما لبث ان أبصر المركب الصغير يشق طريقه عبر الضفة الغربية. وهكذا اصبحت سفينته في الوسط بين "انتربرايز" و"سالي - بي". فوجه رسالة الى السفينتين تقول: "كوستال ترانسبورت تتجه جنوباً."

وللحال جاءه جواب "انتربرايز" إذ قرر ربانها ليم كلاسن ان يتابع طريقه واضعاً ميسرة سفينته في اتجاه ميسرة السفينة الاخرى. اما المركب فبقي صامتاً. وعاين الربان جين شاشة الرادار علّ جواباً يأتيه من "سالي - بي" يعين وجهتها. لكنه قدّر ان قائد المركب سيعبر عن ميمنته كعادة المراكب الصغيرة في

ذلك الجزء من النهر. ولتأكيد هذا الامر أطلق نفير سفينته مرتين.

لكن الربان جين لم يحصل، هذه المرة ايضا، على جواب. وكان قلقه يزداد دقيقة بعد اخرى. وأمر مدير دفته ان ينحرف خمس درجات يساراً كي يفتح طريقاً للمركب. ولشدّ ما كانت دهشته عندما نظر بعد اقل من دقيقة ولم يرَ النور الاخضر على ميمنة "سالي - بي"، بل شاهد المركب يتجه يمنياً نحو مقدم سفينته.

وهرع الى جهاز الارسال وأطلق النداء الآتي: "ايها الربان، ابتعد عن مقدّم السفينة."

الا ان المركب ظل يقترب. فأسرع الربان جين الى نفير السفينة وراح يطلق صفّارة الانذار، وهي ثانية من الصفير تليها ثانيةُ صمت. ولم ينفع ذلك كله، إذ بقي المركب يقترب من السفينة الضخمة.

وصاح جين: "يا لهول الكارثة،" وهو يرى ما يوشك ان يحدث. وأدار قائد الدفة العجلة، فأخذت السفينة تتحرّك على مهل الى اليمين بحمولتها البالغة ٩٥٠٠ طن. غير ان ذلك لم يجدِ. وفي تلك الاثناء وقف الربان كلاسن يراقب الكارثة من سفينته "انتربرايز" وقد هدّه الرعب.

أطنان الماء - في الثالثة والدقيقة السادسة والاربعين فجراً سُمع دويّ هائل عندما صدمت "كوستال ترانسبورت" المركب "سالي - بي" في ميسرته، امام حجرة القيادة، مما ادى الى كسر عارضته الرئيسية الممتدة على طول قَعره. وارتجت السفينة قليلا ثم تقدّمت وهي تجرّ المركب المحطّم عند مقدمها كعلبة تنك مسحوقة. وتدفقت اطنان الماء الى قمرة القيادة في المركب مفجّرة نوافذها. وما هي الا ثوان حتى غرق المركب، متجهاً الى قعر الميسيسيبي بسرعة ١٥ عقدة.

وكان الملاح ستيفن جارفيس غافياً في حجرته عندما قذفته الصدمة الى غرفة الربان بمبرتون المغمورة بالماء، حيث غرق سريعاً.

أما انطوني بيريت فوجد نفسه مقيّداً في حجرته وهو يعوم فوق الماء وسط سواد حالك. وراح يقاوم الذعر الذي شنّج عضلات معدته حتى وصل الى خزانة معدنية مفتوحة تشبث بها وبقي يزحف داخلها الى ان بلغ جيباً هوائياً.

في تلك الاثناء كان الربان بمبرتون وماري جو روسون يصارعان المياه الجليدية المزبدة، بعدما رمتهما الصدمة من منصة القيادة الى النهر. وأخذت التيارات تتقاذفهما من يمين "كوستال ترانسبورت" الى يسارها. وسمع معاون مدير الدفة في السفينة دايل رومانيولي نداء استغاثة، فسحب سترتي النجاة الخاصتين به ودلّاهما نحو بمبرتون الذي يبعد عشرة أمتار. لكن السترتين ظلّتا بعيدتين خمسة امتار عن بمبرتون الذي ما لبث ان غاب في الظلام. وسمع المعاون التقني كليفورد مورين نداء ماري جو روسون، فألقى اليها بسترة نجاة لكنها ظلت بعيدة عنها.

وأوقفت "كوستال ترانسبورت" محركاتها وأخذت تتجه نحو القناة الشرقية، وخوفاً من حدوث اصطدام


شهيّة...
مغذية
Swiss Maggi Soup
Chicken noodle
Volaille au vermicelle
ماجي
شوربة دجاج
مع شعيرية
لكافة أفراد العائلة
مجموعة أصناف شوربة ماجي الواسعة تضمّ أطباقنا
من الحساء بلحوم الدجاج والبقر الخالصة لتحوّل وجباتك
اليوميّة ، ظهرًا ومساءً ، إلى ولائم غنيّة كاملة . ان طعمها
اللذيذ ونكهتها الشهيّة يجعلان منها غذاءً لا غنى عنه
لجميع افراد العائلة .
طبق كلّه عافية
ماجي
PI 3159 A

آخر، حرص الربانان جين وبرينان على إنذار السفن الاخرى والسيطرة التامة على سفينتيهما، وأرادا الرسو، لكنهما وجدا ان المراسي يعوقها حطام المركب "سالي - بي".
ومع زوال ذلك الامكان قرّر الربان جين توجيه سفينته عبر المياه الضحلة في القناة الغربية، وذلك بحرص بالغ إنقاذاً لحياة اي شخص عالق بين حطام المركب، فضلا عن ان اي ثقب يخرق بدَن السفينة من شأنه تسريب الماء الى صهاريج حامض الكبريت، مما قد يؤدي الى انفجار مميت.

افكار متناقضة - راح انطوني بيريت يمرّر يديه وسط الظلمة في الجيب الهوائي حتى أدرك ان ارتفاعه نصف متر ومساحته متر مربع او اكثر قليلا. ودخله وعقله يزين له انه قضى على أثر الاصطدام وانه يختبر نوعاً من الحياة بعد الموت.

وعلى السطح زال الامل في العثور على احياء. وبعد اختفاء بمبرتون وروسون أيقن الملاحون الخبراء انه من غير المجدي خوض مياه الميسيسيبي الغادرة وما يجري تحتها من تيارات قوية مضادّة للتيار السطحي. وهكذا اوقف طاقم الانقاذ مساعيه في الرابعة والدقيقة الرابعة والخمسين صباحاً، فيما تابع خفر الساحل المساعي ولكن من غير كبير امل. ولم يكن احد يدري ان هناك شخصاً ناجياً عالقاً ضمن بدَن المركب المغمور يتهدّده الغرَق في اي لحظة.

وفي الخامسة والدقيقة الاربعين، بعد ساعتين من الحادث، وجه الربان جين سفينته على أرض النهر الموحلة عبر القناة الغربية على بُعد ثمانية كيلومترات من ثغر النهر. وكان ارتفاع الماء تسعة امتار والمسافة التي تفصل السفينة عن الشاطىء نحو ٤٠٠ متر، مما أبعدها عن المراكب الاخرى العابرة في ذلك الاتجاه.

وكان للحركة التي أحدثتها السفينة في أرض النهر أثر مروّع لدى انطوني بيريت. ولوهلة خُيّل اليه انه يرى شيئاً طافياً فوق الماء يتجه نحوه، وهو أشبه ما يكون بجثة مشوّهة. وثار الذعر في نفسه وجف حلقه. لكنه أدرك انه لا يمكنه الركون الى تصوّرات ذهنه. وفجأة تذكر ان في جيبه قدّاحة غاز، فانتزعها وقدح زنادها بضع مرات قبل أن تتولد النار منها.

وراح بيريت يتفحّص محبسه. وتبين له ان السقف الذي يقيه ربما كان مقدّم السفينة الايسر. وكانت المياه الباردة المحيّطة به قاتمة من الوحل والركام ومشبعة برائحة الوقود، لكن مستواها كان ثابتاً. وسرعان ما أطفأ القدّاحة حفاظاً على وقودها.

وأخذت تعبر ذهن بيريت افكار متناقضة من الخوف والرجاء. ولكم تمنى ان يعرف أين هو وماذا يحدث لكي ترتفع معنوياته. ولكن أنى له ذلك؟ وازداد اضطرابه فيما الادوات المعدنية تجتلب حوله وتخترق تموّجاتها بدن المركب، مختلطة بصوت المياه المزبدة. وأصابت بيريت قشعريرة أخرج على أثرها القداحة وأشعلها من جديد، فازداد ذعراً.

وفي السابعة صباحاً باشر زورق

صغير تابع لخفر السواحل طوافه حول حطام "سالي - بي" بحثاً عن جثث الضحايا. وحمل البحار روبرت زويكا مجذافه ضارباً به بَدَن المركب، فظن انه سمع اجابة خافتة. وضرَب مرّة اخرى بشدة، ودُهش حين أتاه الجواب سلسلة من الضربات الهائجة. وتنهد قائلا: "في الداخل ملاح حيّ".

وللحال طُلبت النجدة من مرفأ نيو اورلينز. وبُعَيد الثامنة صباحاً وصل الغوّاص تشاد بيارد (٢٠ سنة) وزميله ألبرت بينيت (٤١ سنة) وهو غوّاص متمرّس في خوص مياه الميسيسيبي الموحلة. وكان سبقهما الى الموقع أحد غوّاصي مرفأ فينيس، وهو ماتيو ريغان الذي يبلغ الثامنة والثلاثين. وفي غوصة واحدة تمكن ريغان من ربط حبل طوله ٢٥ متراً بمدخل المركب الغارق. وحاول اقتحام المركب، فعاقه الحطام عن ذلك. عندئذ قفل عائداً الى سطح الماء.

"لقد عثرتُ عليه" - في التاسعة والخامسة والاربعين صباحاً، وقف ريغان يشرف على العملية من فوق فيما غاص بينيت وبيارد بحثاً عن الناجي. وصدمهما البرد اولا ثم التيار. وتمسك بينيت بالحبل الذي ربطه ريغان ودخل المركب هرباً من التيار. وتبعه بيارد. وكانت الرؤية شبه منعدمة عندما أشعل بينيت مصباح الغَوص القوي.

وكان المركب "سالي - بي" يشبه رمة بالية مرمية على جانبها ونهر الميسيسيبي العاتي يتدفق عبرها. وشق بيارد طريقه اولا ثم تبعه بينيت الى حيث كان انطوني بيريت مختبئاً. ولم يدر هذا، وهو يسمع طَرقَ المعادن، حقيقة ما يحدث، بل ظن الصوتَ آتياً من بقايا المركب.

وعادت الوساوس تهيمن على بيريت وهو لا يرى شيئاً وسط الظلام الحالك. وتصوّر انه يرى جسماً في المياه القاتمة. وبعد قليل لاح له ضوء ما لبث ان اختفى. وراح يحدّق الى مصدر الضوء وقلبُه يخفق بشدّة. ولاح النورُ من جديد أقوى من المرة الاولى. وصعدت الفُقاعات الى سطح الماء، فاقترب بيريت منها ومدّ يده التي وقعت على ما يشبه الذراع. وأخذ يشدّ بتلك الذراع حتى وجد نفسه وجهاً لوجه قبالة ألبرت بينيت الذي صاح عبر الراديو: "لقد عثرتُ على احدهم حياً".

لكن بيريت لم ينطق بكلمة بل بقي متشبثاً بذراع بينيت. وسأله هذا: "كيف حالك؟" وراح بيريت يرتجف بشدّة وهو على وشك الانهيار، من غير ان يتكلم. وهزّه بينيت برفق فقال اخيراً: "حاليَ حسنة، ولم يصبني اذى".

وصعد تشاد بيارد الى سطح الماء ليحضر عدّة الغوص لزميله. وعاد بها وهو يشق طريقه بحذر الى حيث كان الاثنان. ولم يكن بيريت لَبِسَ عدة غَوص قبل ذلك الوقت، فانتابه القلق لدى رؤيتها. لكن بينيت هدأ من روعه قائلا: "تذكر امرين: لا تهلع، وتَنَفّس جيّداً".

وما ان أنزل بيريت قدَماً الى الماء حتى أحَسّ الصقيع يجمد أوصاله. فقال: "لا يمكنني الصعود على هذا المنوال". وللحال أجابه

بيارد: "حسناً! هذه خوذتي، أعطني عدّة الغوص."

وتولى بينيت وبيارد بمشقة إعانة بيريت على وضع الخوذة في ذلك المكان الضيق، ثم نقل عدّة الغوص الى بيارد.

وفي الحادية عشرة والدقيقة العشرين قبل الظهر، غادر بيريت نهائياً المركب المحطّم بمعيّة بينيت بعد انقضاء سبع ساعات و ٣٤ دقيقة على احتجازه داخله، وسرعان ما بلغا سطح الميسيسيبي. وفي خمس دقائق كان بيريت في طريقه الى المستشفى بطائرة مروحية تابعة لخفر السواحل.

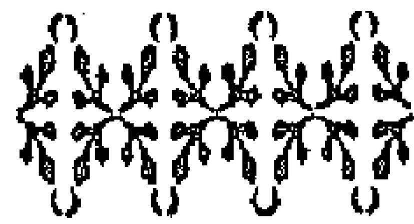
وبعد تسعة ايام من إنقاذ بيريت رُفع مركب "سالي - بي" من قعر النهر، ووُجدت فيه جثة البحار ستيف بارفيس. وكانت جثة ماري جو روسون وُجدت قبل ثلاثة ايام في ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني) طافية على بعد ثلاثة كيلومترات من مكان الحادث. وفي ٥ ديسمبر (كانون الاول) عُثر على جثة الربان بمبرتون وقد لفظتها الامواج الى شاطىء لا يبعد كثيراً عن خليج المكسيك.

وأجرى مكتب خفر السواحل تحقيقاً مفصلا لتقرير اسباب مأساة ٢٤ نوفمبر (تشرين الثاني)، لكنه لم يسفر عن نتيجة. ويبدو ان الربان بمبرتون او ماري جو روسون اساء تقدير حركة النهر تلك الليلة وأصدر قراره المهلك بالاتجاه يميناً. لكن الجواب اليقين عن هذا التساؤل سوف يبقى سراً مغلقاً، لان الذين يملكونه قضوا.

ولكن ماذا عن البحّار الوحيد الذي كُتبت له النجاة؟

انطوني بيريت يعتقد ان اعجوبة أنقذته... من غير ان ينسى فضل ثلاثة غوّاصين شجعان.

■ جيرالد مور



لص شريف

سأل القاضي لصاً: "من هم شركاؤك في الجرم؟"

- لقد انجزت العمل بمفردي يا سيدي! ففي هذه الايام لا يمكنك أن تثق بأحد.

ب.ا.

تفاؤل في زنزانة

بعد صدور الحكم على متهمين ووضعهما معاً في زنزانة صغيرة، قال أحدهما: "لقد حُكم علي بعشرين سنة سجناً. فماذا عنك؟"

- أنا حُكمت بخمس عشرة.

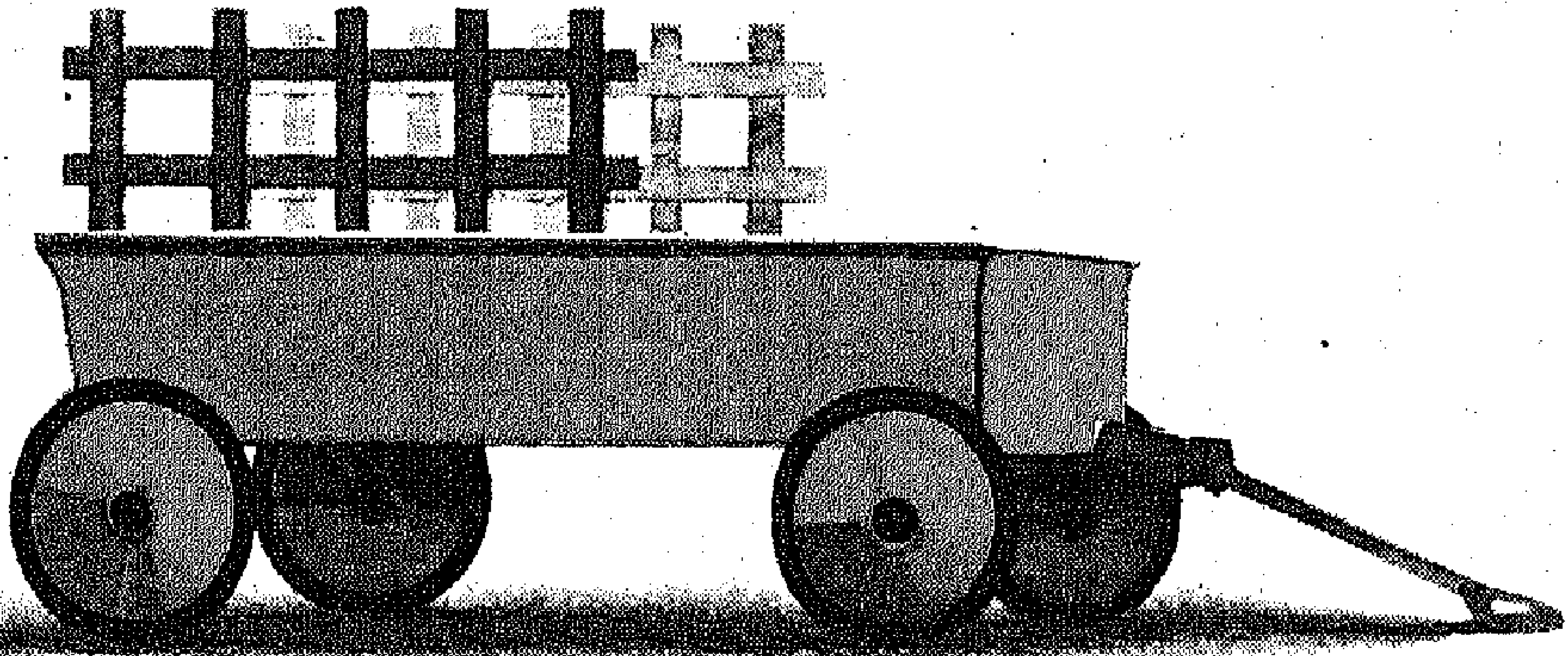
"اذاً، خذ السرير الذي بجانب الباب فأنت ستخرج أولا".

س.ب.

كتاب الشهر

فوق أجنحة الحمام



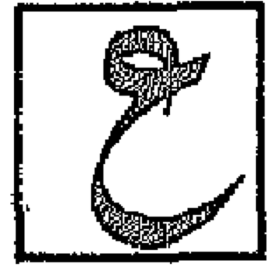


ملخص من كتاب
بقلم ر. رايت كامبل

في رحلة من عالم الرجولة الى عالم
الطفولة البعيد، فاضت الذكريات لا يعوقها عائق،
مركزة على السنة العاشرة من عمر
ذلك الفتى، وهي السن التي
شهدت انتقاله الى
عالم الكبار.

فوق اجنحة الحمام

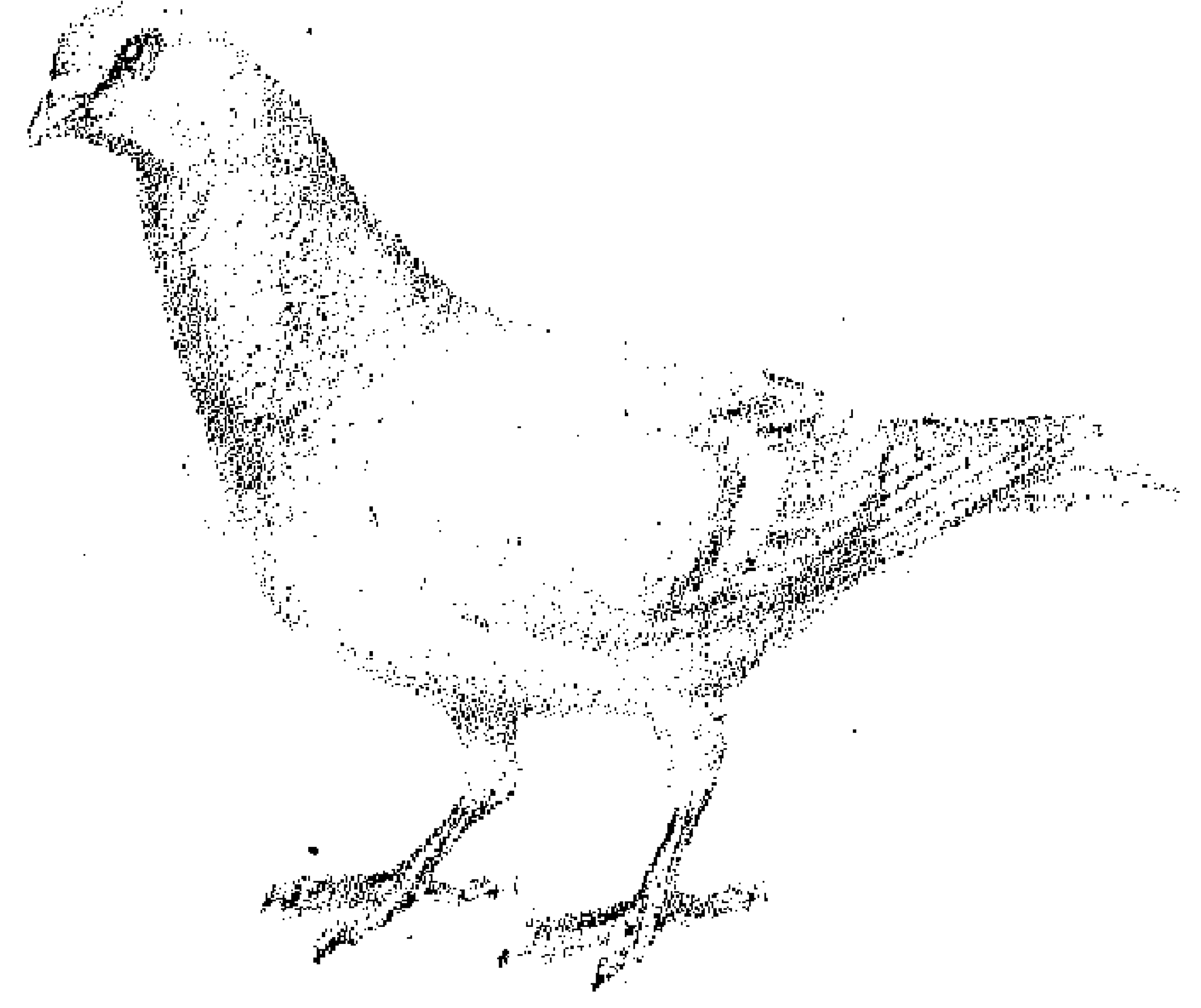
رواية ر. رايت كامبل
هذه تقص حكاية
فتى مع جدّه، بما تنطوي عليه من محبة وشرف ووفاء



عدتُ الى البيت الريفي الصغير المشرف على واحدة من السواقي الكثيرة التي كانت يوماً تغذّي نهرجينيزي، بناء على دعوة اخرى من وكلاء البيع. هذه المنطقة العريقة التي ظلّت حتى وقت غير بعيد شبه زراعية، ابتلعتها مدينة روشستر التابعة نيويورك. ومنذ ذلك الحين لم تعد ذلك الموضع الذي ألفتُهُ في طفولتي، بل تحولت مجموعة من المباني العصرية العادية التي تقوم فيها شقق السكن.

عدتُ وقد سري فيّ حس بالذنب غير قليل. انا الذي تركت بيت جدي للغرباء طوال السنوات العشرين الاخيرة. انا الذي أخليته وهجرته للاعشاب البرية والعفن. انا سبب هذه الحال من الاهمال والتداعي التي يعانيها المنزل.

لقد بعتُ، قبل وقت طويل، المنزل



الاكبر الذي تركه لي أبي وامي. الا اني لم اشأ التخلي عن هذا البيت الصغير الخرب الذي يبدو لي اليوم بيتي الحقيقي، على رغم اني لم اسكنه حقاً.

إنه لا يزال في مكانه. لكنه فقد ذلك الرواق الامامي. والاروقة المسقوفة في مداخل البيوت كانت شائعة ذلك العهد. ولم يبقَ من السلم العريضة عند المدخل سوى درجات واهية. وخيل الي ان الممر بين البوابة الكبيرة وباب المنزل اختفى. ولكن لم ألبث ان رأيت، بين ظلال الايام والسنين، ذاك الممر القديم وقد غطاه العشب واستطال فوقه. حقاً ان آثارنا لا تمحي بسهولة، كما قال لي جدي يوماً. وراودتني رغبة في السير الى الحديقة الخلفية قبل دخول المنزل.

هناك رأيت الساحة ملأى بالركام والمرأب مائلا وعلى وشك السقوط عند عصفة الريح الاولى. سقط ذلك المشهد كما الصخر على صدري. وكانت الاعشاب البرية مرتفعة وقد اصطبغت بألوان الخريف البنية والصفراء. اما اشجار الصفصاف والحور فقد اقتُلعت من جذورها. واختفت الساقية وحُوّل مجراها شبكة لمجاري المياه القذرة.

ورحتُ اركض على التلة وانا أخشى الانتقال من سني حياتي الخمسين الى السنة العاشرة المفعمة بالذكريات. وذهبت نحو بيت الحمام الذي ما زال حيث كان.

وكان هذا البيت، في ايام صاحبه هنري بودوم، فتنة الناظرين بأروقته الكثيرة ذات الاعمدة المستدقة وما يعلوها من اشكال مثلثة، وبنوافذه واطنافه المحفورة. وقد كُسيت سقوفه بألواح خشبية حمراء، وجُعلت فيها ابواب زرقاء. وأخبرني جدي ان ذلك الظل من الزرقة الضاربة الى الاحمر الرملي كان شائعاً في مسقط رأسه في بلجيكا.

اما اليوم فلم يبقَ في سقف بيت الحمام الا اللون الرمادي الكئيب. وفُقدت الواح كثيرة وسقط بعضها الى ارضية البيت ونتأ من جوانبه كما تنتأ الاضلاع من خاصرة حيوان جريح. وانتُزعت الاوتاد من معظم النوافذ وملئت العلب في الداخل بالركام... ركام على ركام.

وسمعتُ نفسي أقول: "آه يا جدي." وحمل الهواء عبير الرّشاد

والتوت البري من ضفة الساقية التي لم تعُد هناك. وشرق قلبي بالذكريات وطفح الدمع في عيني.

اني في العاشرة من جديد، السنة الحاسمة في حياتي. وفي تلك السنة يوم شهد نهاية طفولتي.

الحمام

استيقظتُ في ظلمة الفجر عند الساعة الرابعة. وكان شهر مايو (ايار) في ايامه الاخيرة، لكن الصباح حمل معه رعشة برد. ومررتُ امام غرفة والديّ على رؤوس اصابعي، من غير ان أدري ان بابها مفتوح جزئياً. وفجأة نادتني امي بحنان هادىء.

غير اني اكملتُ طريقي عبر درجات السلم المظلمة الى المطبخ حيث أشعلتُ النور. وتبعتني امي الى هناك بشعرها الاشعث والتجاعيد حول عينيها وفمها، وكانت هذه تظهر عادة في الصباح او بعد نوبة بكاء. واذكر ان جدّي اخبرني مرة ان الامهات يبكين ليلا ويتركن الابتسام للنهار. لقد كان جدّي احياناً ينطق عبارات شعرية غريبة. وهو اراد يوماً ان يكون أديباً او شاعراً.

رمقتني امي بابتسامة من عينيها الناعستين وازاحت الشعر عن عيني. وهمست: "انه يوم رائع. لكني لا أعرف البتة لماذا ينهض الرجال البالغون قبل بزوغ الفجر او في منتصف الليل ويتبعون سرباً من الطيور."

وأضافت وهي تتبعني الى الباب: "حافظ على دفء جسمك." ورفعت ياقة سترتي الى اذني وقبّلتني.

وانطلقتُ الى بيت جدّي الذي يفصله عنا نحو ثلاثة ارباع الكيلومتر.

وفي طريقي شاهدتُ مجموعة بنفسج على جانب الطريق، فاقتلعتُ بعضاً منها وأعطيتُها لجدّي من غير تحفّظ. وهو الذي علّمني ان الجمال واحد، وليست له قوانين تخص الذكور واخرى تخص الاناث.

وتناولنا معاً الشاي المعطّر الذي لا نشربه في بيتنا على الاطلاق. ثم ذهبنا الى بيت الحمام وحملنا ثلاثة فراخ هي جيني ومونبيم وديكنز ووضعناها في سلة ذات ثلاثة جيوب. وتركنا الباب مفتوحاً ذلك اليوم، متيحين للحمائم حرية التحليق والتنقل حيث شاءت. وانطلقنا في سيارة جدي ومعنا الطيور الثلاثة.

وكان هواة تربية الحمام بدأوا التوافد الى مبنى اتحاد روشستر الامريكي لسباق الحمام. ووصلنا في السادسة والنصف صباحاً وقد غصّت غرفة النادي بالناس. وامتلأ هواء الغرفة برائحة التبغ والقهوة.

وكان الرجال، وبينهم قلة من النسوة، يتزاحمون بالمناكب ويتحادثون بمودّة ويتفاخر كل منهم بالحمائم التي يقتنيها. وكان حديثهم بسيطاً، لكنه غريب احياناً. وسمعتُ احدهم يقول:

"لقد كانت حمامتي المفضلة. كانت تهزّ ذيلها على الدوام وتحب التمرّغ في الوحل، كما تؤثر التحويم بعيداً قبل الاياب. غير اني وضعتُ املا كبيراً فيها. وكانت عند حسن ظني بها في العام التالي، اذ فازت في سباق الـ ٣٠٠ كيلومتر والـ ٥٠٠ كيلومتر."

وأدركت ان الرجل يتكلم عن حمامة منحرفة الذيل، مكتنزة الكتفين، ملوّنة الريش، أرهقه تدريبها في السنة الاولى لانها كانت تغادر السرب، لكنها باتت حمامته المفضلة بعد فوزها في السباق.

ومن العادات السيئة لدى الحمام تحويمه بعيداً بدلا من العودة مباشرة الى بيته. والحمائم المنحرفة على هذا النحو لا تصلح للسباق او للتناسُل. والمربّون يضطرون الى ذبحها لا رغبة في القتل، بل حفاظاً على سلوك الحمائم الاخرى.



ومن قصص الهواة ما أثار الغيظ في زملائهم. ومنها القصة التي رواها جدّي قائلا انها تعود الى العام ١٩٣٠. ولم تكن ثمة حاجة الى ذكر التفاصيل، لكن جدّي اصر على ذلك. وقال بلهجته البلجيكية الوالونية:

"تعرفون ان سرعة الطائر تُقاس بدءاً باطلاقه وانتهاء بفك الربطة المعدنية من ساقه ووضعها في الساعة التي يحملها المدرب. وبعد حساب المسافة الفضائية بين نقطة الانطلاق وبيت الحمام، يُجرى حساب السرعة في الدقيقة."

وتمتم السيد فوكيت العجوز: "أنحتاج الى دروس في هذه المسألة؟" وكان فوكيت، بالاضافة الى، افضل صديق لجدّي في العالم.

وتابع جدّي: "في احد نوادي السباق..."

فقاطعه فوكيت: "اي ناد هو هذا؟"

ووضع جدي اصبعاً تحت عينه وأغمضها كما لو شاء ان يخفي سراً. وأضاف: "كان هناك رجل اسمه ديغان او ديتون او داغان او ما شابه، وكان يملك ذكر حمام اسمه سكيتر او تويتر او جيتر او ما شابه."

قال فوكيت: "ان ذاكرتك رائعة."

ـ اجل، أنا انسان متعقل... لقد أُشرك الطائر في سباق الـ ٨٠٠ كيلومتر. وكانت الجائزة الاولى مئة دولار. أما سكيتر...

"او جيتر او تويتر او ما شابه."

ـ فقد جاء الى ديغان.

"او داغان او ديتون أو ما شابه."

ـ الذي كان ينتظره في بيته... أجل، لقد بلغ الطائر بيته في الوقت المناسب لنيل الجائزة الاولى، لكنه رفض الدخول.

ترى اي منا، نحن الهواة، لم يقف على اعصابه وهو ينتظر عودة طائره الى العش ثم دخوله الذي يسجل نهاية الشوط؟ ومن منا لم يخسر سباقاً او اثنين بسبب طائر سيىء الطباع؟

وتابع جدّي: "نحن في العام ١٩٣٠، والركود الاقتصادي في اوجه، وصاحبنا الهاوي بلا عمل ولا مال كي يسدّد حساباته، وها هو الطائر اللعين يعذبه في اللحظات الحاسمة الاخيرة التي تفصله عن كسب المئة دولار. ولم يحاول القبض على الطائر ووضعه في مكانه خوفاً من ان يطير. وكانت كل ثانية تقصي عنه المبلغ المنشود."

وأشعل جدّي غليونه وقد خلق جوّاً من الترقّب لدى المستمعين.

واخيراً سأله فوكيت بإلحاح: "وماذا

حصل بعد ذلك؟" طرح فوكيت السؤال على رغم سماعه الرواية مراراً.

وأضاف جدّي: "عاد الهاوي الى بيته حيث كان يحتفظ ببندقية رش. فأخرج الآلة من مكانها وحشاها بالخردق، ثم عاد الى بيت الحمام ورمى الطائر الذي سقط في العش. وانتزع العلامة عن ساقه ووضعها في الساعة، ثم قبض قيمة الجائزة."

وسأله فوكيست: "لماذا سترت جريمته؟"

- من انا كي أحكم على القسوة التي تدفعنا اليها الحاجة؟ لقد كانت لذلك الرجل طريقه. وليس لي ان أُصدر حكماً على طريقة اجتيازه تلك الطريق.

قال جدّي هذا وهو ينظر الي. والواقع اني تعلمتُ الكثير منه عبر الحكم والامثال. وهو كان يحب ان يروي القصص كما أُحب انا الاصغاء اليه.

وكان حديث الحمام يملأ النادي ويشنف اذني.

وسأله هاو آخر هو جون بورلي: "ماذا تقول يا بودوم؟"

- ماذا اقول عن اي شيء؟ أتعرف حفيدي يا جون؟

"أجل، أعرفه... أأنت مشترك في السباق يا هيو؟"

وأجبتُه: "نعم، وطائري هو ديكنز."

وهزّ جون رأسه، ثم التفت الى جدّي وكرّر السؤال: "ماذا تقول عن استخدام طريقة الطائر المترمل بالنسبة الى المسافات القصيرة؟"

- لا تتبع هذه الطريقة! فهناك قسوة وحماقة في تعريض الطائر للهياج الجنسي ثمّ حمله بعيداً عن أُنثاه... ماذا تقول يا جون اذا دخلوا عليك في ليلة باردة وحملوك بعيداً عن هارييت ودفء السرير؟

ولما قال جدّي هذا، ضحك الحاضرون كلهم وقد راقهم ما سمعوا.

اما طريقة الطائر المترمل فتقضي بإبعاد الذكر عن انثاه ثلاثة ايام او اربعة قبل موعد السباق، على ان يُحجَز منفرداً. وقُبيل نقله الى منصة الاطلاق يؤخذ الى الانثى في زيارة قصيرة. وهناك يباشر الدوران حولها وتملقها، لكنه سرعان ما يُحمَل بعيداً. ويدفعه شوقه القوي الى التحليق بأقصى سرعته خلال المباراة.

وقال جدّي بعد إبداء رأيه: "ان كثيراً من تلك الذكور المفصولة تفقد توازنها الطبيعي. وهذا الاختلال يلازمها بقية حياتها."

ثم سأله جون: "وما رأيك في طريقة اثارة الغيرة؟"

ونظر جدّي الي وقال: "لقد جرّبها هيو على طيوره قبل وقت قصير... ماذا تقول يا هيو؟"

انّ هذه الطريقة تختلف من حيث تنفيذها عن الطريقة السابقة. هنا يعزل الذكر في مكان يرى انثاه منه، ويوضع ذكر آخر مع الانثى. وتولّد الغيرة لدى الطائر انجازاً رائعاً خلال السباق، وقد أذكت اوارها التعاسة والخوف والغيظ.

وقلتُ وانا أحاول تقليد جدّي في الاقتضاب: "لا تتبع هذه الطريقة ايضاً. فهي لا تجدي الا مع الطيور السريعة الغضب."

ونظر جدّي الي بعينين نصف مغمضتين، كأنما أراد ان يقول: "اذا شاء هؤلاء الاصحاب ان يعرفوا شيئاً عن الحمام، فهم يأتون الى آل بودوم."

موهبة خاصة

سأل احدُهم جدّي: "كم طائراً ستطلق يا بودوم؟"

قال: "ثلاثة: جيني، مونبيم، ديكنز. وهذا الاخير يخص حفيدي هيو."

فأضاف الهاوي: "انا سأُطلق ١٢ طائراً."

"هذا عظيم جداً"، قال له جدّي، "ولكن هل ستحلق طيورك كلها؟"

وعلا الضحك بين الحضور. ونظروا كلهم الى جدّي بوّد وإعجاب. ولكم راقني ان أرى المربين والمدرّبين الذين يملكون مالا اكثر وبيوت حمام اكبر يقصدون جدّي للاقتداء به في الامور المتعلقة بعلم الحمام وفن السباق الخاص به.

وجاء صوت من الطاولة الكبيرة حيث جلس أمين النادي: "بودوم!" وهزّني جدّي كي أذهب الى مصدر الصوت. وهناك سُلّمتُ ساعة اوتوماتيكية مختومة، مع ثلاثة أغلفة معدنية. وكلما عاد طائر الى بيته، يجب فك الربطة عن ساقه وطيها ووضعها في الغلاف. ومن هناك تدخل تلقائياً في الساعة التي تسجل الوقت بدقة. وقد مهر ثلاثة اعضاء من ادارة النادي جميع الاختام بإمضاءاتهم منعاً لاي تلاعب. ذلك ان السباق الذي كنا نخوضه لم يكن عادياً، وانما كان سباقاً على ٩٥٠ كيلومتراً.

وَضعت الطيور في صناديق الشحن بعد ترقيم كل سلة بالطبشور. وشكا مونبيم امره قليلا، لكن جيني كانت سهلة القياد كعادتها. وفي اللحظة الاخيرة نظر ديكنز الي وراح يصيح بأعلى صوته. ومددت اصبعاً الى رأسه وأنا انفش ريشه ثمّ أَصفقد من جديد.

ونظرتُ الى جدّي لأرى اذا كان راضياً عما أفعل، فقال: "انه سيتدبر امره. لقد كان هذا الطائر جيداً وهو داخل البيضة بعد!"

وتذكرت المجامعة التي أدّت الى مجيء ديكنز. لقد اختير الذكر والانثى على امل انجاب طيور تصلح للمسافات الطويلة. وتمت الخطبة وسط محادثة بين رجل في السبعين وفتى في السادسة.

وراحت يدا جدّي اللتان صبغتهما الايام بلون جذوع السنديان تربتان جناحي الانثى، وهي الليدي فاليانت. ولم تقاومه الحمامة. بل سلمت جناحيها الى اصابعه الرفيقة.

وقال جدّي: "أرأيت يا هيو؟ انها تطيع بلا تذمّر. وهذا يعني ان علينا مزاوجتها بذكر يقاومنا لدى فتح جناحيه."

وأجبته على الفور: "هناك ستاركروس الذي له هذه الصفة."

- هذا صحيح. الا ان ستاركروس طويل وعريض، في حين ان الليدي فاليانت قصيرة وثخينة. وليس من الحكمة المزاوجة بين جسدين مختلفين الى هذا الحد.

"ماذا تقول عن انجل؟"

- انه افضل. والحق انه يهوى قطع المسافات. لنأتِ به اذاً.



ولما احضرناه، وجدنا ان عينيه قاتمتان كعيني الليدي فاليانت. عندئذ سألني جدّي: "أتعتقد انه افضل ان نزف الانثى ذات العينين القاتمتين الى ذكر ذي عينين فاتحتين؟"

وفكرتُ في الامر ملياً. وقد تعلمت من جدّي الا اتسرّع في الاجابة عن الاسئلة الحاسمة. واخيراً قلت: "اني لا أعتنق هذا المبدأ".

ووقفتُ أُراقب بإعجاب المزاوجة التي تمت بين انجل والليدي فاليانت عندما وُضعا في قفص واحد. لقد اقترب الذكر من الانثى، فجمدت مكانها وهي تنظر اليه بحذر. وانحنى ونشر ريش ذيله وجناحيه وأخذ يدور على قدم واحدة كراقص باليه. ولما استجمع القوة والجرأة، حاول ان يضغط جسده على جسدها. واذ لم يجد منها مقاومة ظلّ يتودّد اليها بأصوات عذبة.

وفجأة بادلته الليدي فاليانت الغزَل بالمثل، وكأنما شاءت ان تستسلم له بعنف. وتراجعت خطوة او اثنتين وهي تهزّ رأسها، ثم عادت نحوه بحماسة لا تقل عن حماسته. وأدخلت منقارها في منقاره واستغرقا في قبلة طويلة لم يقطعها سوى حاجتهما الى التنفُّس. ودارت وأقعت وسلمت نفسها. وهكذا تمّ التزاوج الذي قُيِّض له ان يدوم مدى الحياة اذا لم يقطعه حادث قاهر.

وبعد عشرة ايام وضعت الليدي فاليانت البيضة الاولى من اصل اثنتين. نزلت البيضة الثانية، وهي التي راهنتُ عليها والتي حملت ديكنز، في الثانية عصر اليوم التالي. ولئن يكن صحيحاً ان الحمائم كلها كانت لجدي ولي معاً، الا ان الملكية بالنسبة الى الصغير تأتيه عن طريق الكبير بحيث لا يشعر انها له حقاً.

لكن تلك البيضة كانت لي وحدي. ورحتُ أنظر اليها في بياضها العاجيّ الناصع. وكنتُ على يقين من انها اكبر من سابقتها، وان لم تكن اكبر كثيراً. لكن ذلك كان كافياً كي اشعر بالتفوّق. ولولا خشيتي من ضحك جدّي عليّ، لقلت ان تلك البيضة التي تخصني كانت تلمع قليلا، وانها كانت مسحورة.

في تلك الايام كنت اجلس وجدّي قرب بيت الحمام نصغي الى هديله الناعس تحت حرّ الشمس. وهناك كان جدّي يسرد عليّ قصصاً من التاريخ، منطلقاً من اهتمامي بالحمام.

كان جدّي في نحو التاسعة من عمره خلال الحرب الفرنسية – البروسية. وكان في تلك السن من هواة تربية الحمام الذين يعرفون كل شاردة وواردة عن تلك الطيور. وامتلأت صفحات الجرائد البلجيكية

بالاخبار عن حصار باريس. وقبل وصول الالمان الى اسوارها، تلقت المدينة ٨٠٠ رأس حمام من نواد في شمال البلاد. واعتادت الحمائم بيوتها الجديدة وأصبحت تؤوب اليها بعد كل رحلة.

وعزل سكان باريس عن العالم، ومنعهم غياب وسائل الاتصال من معرفة تطورات الحصار. وفي صبيحة يوم من سبتمبر (ايلول) ١٨٧٠، غادر المنطاد "نبتون" المدينة محملا بالرسائل الرسمية والمدنية. لكن المسؤولين لم يعرفوا مصيره. لذلك تقرر تحميل المنطاد التالي "فيل دو فلورانس" بالحمائم التي يمكنها ان تعود ومعها الاجوبة.

وهكذا حملت المناطيد الستون التالية التي أطلقت من باريس بعد ذلك الوقت ما يزيد على ٨٠٠ طائر حمام زودت بالرسائل في ذهابها وإيابها. وفي الشتاء القاسي من تلك السنة، كانت الارض مغطاة بالثلج معظم الوقت، مما أربك الطيور لدى عودتها. وضلت حمائم كثيرة طريقها وسقط بعضها تحت وطأة العوامل الجوية والبعض الآخر ببنادق الصيادين في الارياف.

ولدى سماعي تلك القصة للمرة الاولى انهمرت الدموع من عيني، على رغم اعتقادي ان البكاء علامة ضعف. ووضع جدي يده في يدي وناولني منديلا نظيفاً من جيبه كي أمسح به دمعي.

وخفف عني قائلا: "لا عليك يا عزيزي هيو! ان تلك الطيور الباسلة تستحق ثناءنا على هذا النحو."

بتلك الطريقة اعانني جدي على اقامة علاقة انسانية بيني وبين الطيور. وبت على قناعة بأن الحمام يطير ليس بدافع الغريزة، بل استجابة لنا. وهذه الطيور تبلي حسناً في السباق لان كرامتها عزيزة عليها.

وشعرت، وانا أجلس في ذلك المكان نفسه بعد تلك السنوات الطويلة، اني اكتسبت قوة نفسية متجددة. لقد غدوت طفلا من جديد، وسلمت حواسي الى عالم مسحور يجوز فيه حدوث أي شيء.

الحياة الثمينة

بقيت وجدي في النادي حتى ختمت الطيور وحملت في الشاحنات التي توجهت بها نحو نقطة الانطلاق في هيلزبورو، وهي بلدة من اعمال ولاية ايلينوي تبعد ٩٥٠ كيلومتراً. وراودني هاجس الانفصال عن طيور أحببتها ولن اسمع خبرها الا بعد ايام.

وسألني جدي ونحن نخرج نحو سيارته: "أهناك ما تود فعله هذا النهار؟"

– ثمة عمل نقوم به في بيت الحمام.

وضحك جدي وقال: "السباق لم يبدأ بعد. أتظن ان في امكانك الانتظار اياماً بلياليها خارج بيت الحمام؟ ان امك ستسلخ جلدي اذا حصل هذا. ولكن دعنا قبل كل شيء نسد رمقنا."

وانطلقت السيارة في محاذاة نهر جينيزي نحو بيت جدي. وهو ظل صامتاً بعض الوقت. ثم لاح لنا منزله، فقال: "الجسد لا يرتاح الا بالاياب الى بيته. أليس هكذا؟"

وأدركتُ حب جدّي لمنزله الصغير، بفنائه الخلفي والساقية المترقرقة هناك، لبيت الحمام والاشجار والحديقتين الصغيرتين اللتين غرس الاعشاب العطرية المغذّية في احداهما والخضر في الاخرى.

وبلغنا المنزل واتجهنا فوراً نحو بيت الحمام. وكانت الطيور في مواضعها بإرادتها. وأوعز اليها جدّي بأن تخرج من مخابئها، فتجمعت خارجاً ثم طارت كلها معاً. وملأت الفضاء وقد تلاصقت اجنحتها وعلا هديلها. وأتلعت عنقي لأراها في الوانها البيضاء والرمادية والزرقاء. وخفق قلبي بهجة. ترى: أيمكنني الضجر من منظر كهذا؟ وتقدّمت بضعة خطوات الى جدي الذي كان ينظر الى البعيد كما يفعل البحارة وسكان السهول.

وتدفق الحب في قلبي وادركت ان جدّي يعاني مشاعر مماثلة، انه هو الآخر لا يمكنه الضجر من منظر كهذا. واخذت يده فقال لي: "لنترك الطيور تلهو كما تشاء ونتناول الطعام."

ودخلنا المنزل من ناحية المطبخ، وفي غرفة خلع الاحذية نفضنا عنا الغبار. ثم دخلنا المطبخ التقليدي الذي ملأته اشعة الشمس. وكانت امي لا تضع الستائر الا منشّاة، فيحتج جدّي على تلك اللطائف الانثوية.

وطالما كانت تحاول اثارته بقولها: "اتتظاهر بأنك اعزب دهر وقد عشت خمساً وثلاثين سنة من الحياة الزوجية؟"

لكنه كان يجمجم تعبيراً عن سخطه. وبعد مغادرة امي وقد خلّفت شيئاً من عطرها الانثوي في الغرفة، كانت تهدأ ثائرته وتتألق عيناه. اما انا فكنت اعرف انه يفكر في جدّتي جيني وفي الوقت الذي سكنا فيه ذلك المنزل للمرة الاولى وليس لهما الا سرير وطاولة.وبعض الكراسي. ترى لو عادت اليه الآن صبية مفعمة بالحياة، ذات شعر كسنابل القمح كما وصفها لي مراراً، أكان يأسرها بين ذراعيه القويتين ويمنحها قبلة الحياة الثمينة كما يفعل ابي وامي بين وقتٍ وآخر؟

وكنت اسعل او أُصدر صوتاً آخر لاعادة جدّي من الماضي الى الحاضر، وقد عانيت الغيرة من ماض لم يكن لي دور فيه.

اما الآن فكان واقفاً عند النافذة، ينظر الى الطيور وقد هبّت نسمة من النهر. وسعلتُ لأقطع حبل افكاره، فهزّ رأسه وابتسم. ثم ذهب الى بيت الثلج وأخرج رأس بندورة (طماطم) كبيراً وبعض الخس، وقلى شرائح لحم وقطّع الخبز وحمّصه. وأحضر بعض التفاح وزجاجة حليب، فيما تناولت كوبين من خزانة الشراب قرب المغسلة.

وجلسنا نأكل معاً وقد غمرتنا البهجة والرفقة وأخيلة الحمام. وتناولنا طعامنا بصمت كما يفعل الاصدقاء القدامى.

وما ان شرب جدّي الجرعة الاولى من الحليب البارد اللذيذ حتى رفع يده الى شعره وصرخ كما لو تلقى ضربة على رأسه: "يا الهي!" وسقط كوب الحليب من يده وانسكب على غطاء الطاولة. وحاول جاهداً ان يبقى منتصباً في مكانه، على كرسي بلا ذراعين، وهو ينظر الي عله يحصل

على جواب عن سؤال مهم. وما لبث ان خسر المعركة وسقط بثقله الى الارض.

العاصفة

احسستُ ضعفاً في بطني ورجلي. وحاولتُ ان اتحرّك فلم استطع. وكنت احمل كوب الحليب بين يدي: وظل ذاك الشلل المذهل يكبّلني لحظة بدت طويلة، قبل ان أضع الكوب على الطاولة وأغرق في بكاء مرّ. وهويتُ عن مقعدي وجثوتُ على ركبتي بالقرب من جدي وانا ابكي لما أصاب الرجل العجوز. واخذتُ يده الكبيرة بيدي كمن يقبض على عصفور خوفاً من فراره.

وتفحّصتُ وجهه، فوجدته منحرفاً الى ناحية واحدة وقد انطبقت احدى عينيه فيما انفتحت الاخرى بترقّب وذهول. واضطجع على الارض وراح يحرّك احدى رجليه بضعف محاولا ان يستعيد كرامة جسده. وهم بالكلام، فخرجت من فمه أصوات مختلطة غير واضحة دفعتْ خوفي الى اقصاه.

وصحتُ فيه: "ما الامر يا جدّي؟"

لكنه أجابني بعينين ترجوانني ان افهم ما يريد. وأجهد عينيه في اتجاه الهاتف وقد بات وجهه اكثر مدعاة الى الخوف.

وأدركت ما يبغي، فذهبت لتوّي الى الهاتف وخابرت والدي في مكتب الصحيفة حيث يعمل. لكنهم قالوا لي انه ترك ليتناول الغداء. ثم خابرت محل رادنز حيث تعمل امي في قسم المحاسبة. وأصغت الي وانا أصف ما حلّ بجدّي. وقالت لي بصوتها المطمئن ان أنتظر ريثما تجيء.

ودخلتُ غرفة نوم جدّي ورفعتُ عن سريره وسادة وغطاء عدت بهما الى المطبخ لأرى عينيه مغمضتين وقد علت أنفاسه. ورفعت يده الواهية مرة اخرى ووضعتها على صدري. ورحت افكر في ديكنز.

لقد وضعت الليدي فاليانت بيضتها الاولى بسهولة. وكان انجل يدخل عليها من وقت الى آخر ويجلس فوق البيضة. ولكن بعد وضع البيضة الثانية، لازم انجل العش وحضنا البيضتين سويّاً. وكنت امضي وقت فراغي بعد المدرسة أراقب العملية في انتظار فقس البيضتين. وقال جدي لامي آنذاك ان الليدي إنجل لها ثلاث اخوات هن امي وانجل وانا.

وفي اليوم السابع عشر ظهرت البوادر الاولى للفقسة، وهي ثقب صغير في منتصف البيضة. وحصل ذلك للبيضتين في الوقت نفسه تقريباً. وكان علامة حظ بالنسبة اليّ لانه جاء قبيل عيد ميلادي السادس. وكانت ولادة طائري الخاص يوم ميلادي بالذات تعني انه طائر فريد في كل شيء.

وصبيحة بلوغي السادسة هرعتُ الى بيت جدّي حيث وجدتُه نائماً في كرسيه الهزّاز أمام المنزل. وأيقظتُه وانا أناديه وأشدّه بقوّة.

وذهبنا نراقب البيضتين وهما تهتزان وترتجفان. ورفع جدّي البيضة التي تخصني وأدناها من اذني لأسمع صوت الحياة ينبعث منها.

وفقَسَت البيضتان قبيل الظهر، في حدود الساعة التي وُلدتُ فيها قبل ست سنوات. وصببتُ اهتمامي على الفرخ الذي لي. وكان عارياً من

الريش، لكنه رطب وفيه بعض زَغَب.

وابتسم جدّي لما رآه يكسر البيضة ويخرج، وسألني: "ماذا تريد ان تسميه؟"

وفكرتُ ملياً في تلك المسألة التي تعني لي الكثير. وكان جدّي، في تلك الآونة، يقرأ عليّ قبل النوم مقاطع من كتب تشارلز ديكنز "اوليفر تويست" و "ديفيد كوبرفيلد" و"الصرصور على الموقد." فقلت له: "سأدعوه ديكنز."

ووافقني قائلا: "حسن! اسم مناسب."

ذلك المساء أخذني والداي الى بيت جدّي للاحتفال بعيد ميلادي. ولما هنأني هنأ ديكنز في الوقت نفسه.

وأُديرت المرطبات مع الحلوى والهدايا. وأهدى اليّ جدّي عربة حمراء كبيرة تدور على عجلات ولها جوانب خشبية. وكان هيكلها المعدني مكسوّاً بالمينا الصّقيلة، كذلك أغطية عجلاتها. وهي تحمل رسم جناحين أصفرين علامة مميزة لها.

وقال جدّي وهو يسلّمني الهدية: "انها عربة مفيدة ومسلية في آن. وفي إمكان هاوي الحمام ان يحمّلها طيوره، بعد وضعها في سلالها، إذا شاء نقلها من بيتها الى موضع التدريب."

وأضاف أبي: "انها من الضخامة بحيث تتسع لشخص يفوق هيو بضعفين."

ورمقني جدّي بعينيه الزرقاوين الصافيتين وسأل: "أيمكنك ان تجرّها يا ولدي؟"

وأجبتُه بعد تفكير: "أجل، بمساعدتك يا جدّي."

كانت تلك الذكريات مصدر عزاء لي وأنا قابع بالقرب من جدّي المبتلي. ونظرتُ الى بحيرة وينيبيغ في مانيتوبا، فاذا بالنسائم تحرّك الامواج الصغيرة على سطحها. ومع مرور الدقائق قوي الهواء وأخذت الامواج تتلاطم من ضفة الى اخرى.

وعرفتُ من الغيوم المتلاحقة في طبقات الجوّ العليا ان الرياح العالية كانت تتحرّك بسرعة تفوق سرعة الرياح المنخفضة. وفي ذلك علامة على ولادة عاصفة. وأدّت حرارة الشمس الى تبخُّر الماء وولّدت تيارات ناقلة للحرارة. ومع ارتفاع الهواء الرطب من البحيرة مئات الامتار، تكوّنت الغيوم التراكمية الضخمة. وبدأ الجوّ يضطرب والريح تهبّ الى الجنوب الشرقي.

معنى الحرّية

لم أفهم الا قليلا من الحديث الذي دار بين طبيب العائلة ووالديّ. وجلستُ في ركن من ردهة المستشفى وأنا أشعر بالضياع ولا أصدّق ما حدث. وقد راودني دافع الى البكاء، لكني لجمتُه خوفاً وحياء. وراح الدكتور ساند يهمس لوالديّ كلمات متعلقة بتخثُّر الدم حول الدماغ وبنزف الدم حول الغشاء الدماغي. وأوضحُ ما قاله الطبيب كان الآتي: "ليس ممكناً بعد ان نشخّص حاله ونصف ما حلّ به."

اما انا فكنتُ متأكداً من امر واحد، وهو ان جدّي تعرّض لاهانة جسدية ومعنوية اسمها السكتة



الدماغية. وها هو الآن في سرير غريب لا يخصه، الامر الذي آلمني كثيراً. وطالما افاض جدّي في الحديث عن متعة خلود المرء الى سريره. وهو أمضى سنوات يعمل في البيع ويجول في انحاء البلاد ويأوي الى أسرة غير مألوفة. ومرّة قال لي: "اذا كان ثمة علامة تميّز الانسان المتحضر، فإنما هي حقه وامتيازه في إلقاء رأسه على السرير الذي اعتاده وبات جزءاً منه." وفي رأيه ان السرير اهم ما يميز البيت، وانه محور الحياة. وهذا يصحّ على معظم المخلوقات.

وبعد انقضاء نهارين وليلة ازدادت المخاوف العائلية. ولم أكن معتاداً تلك المواقف. فالمرض زائر غريب بالنسبة الى آل بودوم.

وفتح جدّي عينيه. ولهنيهة خُيّل اليّ انني اقرأ الرعب والاضطراب فيهما. ثم تحوّلتا اليّ كما لو كانتا تخاطبانني.

وانحنت امي فوق جدّي وحاولت ان ترفعه قليلا. وجاء ابي عن النافذة كي يساعدها. عندئذ أطبق جدّي عينيه، وعرف والدي انه لا يريد لهما القلق على حاله. واخيراً قالت امي: "حسناً يا ابي، فليكن ما تريد." وانسحبت.

وعاد جدّي يوجه أنظاره اليّ، فذهبتُ الى السرير ووضعتُ يده في يدي. وحاول الكلام، فبدا صوته أشبه بصوت حيوان جريح. وكان ذلك مثيراً للشفقة.

وما لبثتُ ان أدركت رسالة جدّي: "السباق يبدأ صباحاً يا هيو. وطائرك ديكنز سيكون الفائز." فهمتُ ذلك على رغم ان الاصوات التي تفوّه بها جدّي كانت بعيدة جداً عن هذا المعنى. لقد أحب واحدنا الآخر حتى بات يفهمه بلغة الايماء. وهززت رأسي وشددت على يده وانا أقول: "سأقوم مع الشمس يا جدّي. وسآتي لأخبرك عن وقت إطلاق الطيور وعن الاحوال الجوية وكل ما يتعلق بالسباق."

ارتقى أعضاء ادارة النادي المنصة فيما كانت الحمولة تنزل من العربات. وفتحت السلال وأطلقت الطيور في لمعان الصباح. واندفع ٤٢٦ طائراً الى الفضاء، وباتت تشكل زمراً لدى ارتفاعها الى نقطة أعلى من رؤوس الاشجار.

إن الحمائم الطائرة تسعى الى رفقة أفراد من جنسها. وهذا دافع طبيعي قوي لديها. وعلى المدرب ان يبتكر وسائل لتحرير طيوره من هذه العادة. فالطائر السريع، لدى عثوره على سرب من جنسه، يتباطأ ويخسر السباق.

أما الطائر المثالي فهو الذي يسعى الى الارتفاع ويتغاضى عن السرب،

ثم يختار أقصر طريق الى بيته. وطائري ديكنز من هذا النوع. فهو كان يحلق عالياً فوق الطيور مثل سهم خفيف الحركة. وكان يتلمس طريق عودته سريعاً في طيات الهواء.

لقد بدأ تدريب ديكنز وهو لم يبلغ اسبوعه الثامن. وكنت احمله على راحة يدي وارفعها حتى يواجه رأسه أعلى ذراعي. وفي جولة التدريب الاولى حملته على هذا النحو وحمل جدي الطائر الآخر سكرودج، رفيق ديكنز في عشه. وملأنا ثلاث سلال بفراخ الحمام ووضعناها في عربتي الحمراء وانطلقنا الى مكان غير بعيد حيث باشرنا تدريب تلك الطيور.

وقال جدي فيما كنا نجر العربة ويحمل كلٌّ منا طائره: "اليوم تبدأ مسؤولية ديكنز تجاه نفسه. إنه لم يختبر سوى الحرية. وهذا عظيم. غير ان بعض المخلوقات، أعني بعض الناس، لا تعرف معنى الحرية."

وسألته: "أليست الحرية حقك في أن تفعل ما تشاء؟"

– تعني في أي وقت، ودونما اكتراث؟

"اكتراث لأي شيء؟"

– لتحصيل خبزك ومعيشتك بصحبة الآخرين...

"أتعني الواجبات اليومية يا جدي؟"

– أقصد أن تفعل ما تستطيعه حين يمكنك ذلك، وأن تشق طريقك بنفسك.

"إني لا أزال صغيراً يا جدي بالنسبة الى شق طريقي."

– حقاً يا ولدي. إلا ان ديكنز، على حداثته، سنعلمه الآن أن يطير في وقت معين، كما سنلقنه بعضاً من الحرية التي يقدر عليها.

"اننا نريد تلقينه ان يعود الى بيته. أليس كذلك؟ فنحن لا نريد له أن يطير بحيث لا يرجع."

– أجل. فهو قد يذهب ولا يؤوب. وعلينا أن نختبر ارادته في العودة الى بيته. فهذه الارادة من علامات الحرية. والكائن الحي يعود الى بيته للخير الذي ينطوي عليه ذلك البيت. وكل مخلوق ينبغي ان يعطى حرية ارتياد السموات العُلى حتى حدودها.

"وهل بحثت عن حدود السموات يا جدي؟"

هنا ابتسم جدي بهدوء وراح ينظر بعيني بحار ويتكلم من غير أن ينظر الى مكان معين:

"الخمسون هي سن اختبار في عمر الانسان. الصبايا يدعينك "سيدي" ويقبلنك في زاوية فمك من غير تلبُّث هناك. لكنهن أحياناً يطلن البقاء في تلك الزاوية كما لو اكتشفن فيها الفتى الذي كنته يوماً.

"لقد كنت في الثالثة والخمسين، اقاوم الهموم التي تراكمت علي عبر نصف قرن. وكانت عماتك تزوجن وابتعدن عني، كما تزوج والدك، وفتح بيتاً خاصاً به. وكان لي عملي بالطبع. غير أني، ما أن اؤوب الى المنزل في عطلة نهاية الاسبوع، حتى احسه مقفراً وكئيباً عصر السبت وطوال الاحد. ولم يكن لدي ما يسليني في وحدتي، الى أن صنعت جدتك عشاً صغيراً للحمام وأعطتني إياه بعدما وضعت فيه ذكراً وانثى."

وقاطعته قائلا: "هذا عظيم."

– اجل! لكني قاومت الفكرة بادىء

الامر، واخذت اجازة من عملي ورحلت الى الجانب الآخر من الجبل.

"إلا أنك عدت الى البيت."

ـ نعم، وبسرعة فائقة. فالابتعاد عن البيت لم يعد يلائمني. وهكذا بت كطائر حمام: حراً في ان أطير بعيداً، أما سعادتي فكانت في الاياب.

الصقر

بلغنا منتصف حقل التدريب حيث كان العشب يغطي جدي حتى الركبتين ويغطيني أنا حتى الخصر. هناك فتحنا السلال واعتقنا الطيور. أما ديكنز وسكرودج فأطلقناهما من يدينا. وقال جدي: "انظر اليهما ينطلقان بجلبة كما الاولاد من مدرسة. ثمة حاجة الى تعديل هذه العادة لديهما، عادة الانضمام الى السرب."

واخبرني عن المرة الاخيرة التي عاد الى البيت، كطفل بالغ يؤوب الى عشه الآمن. لقد ذهب عندئذ الى بيت الحمام حيث شاهد عشرة طيور وأكثر تجثم باختيال أمام الباب.

وخرجت اليه زوجته جيني وهي تقول: "انها جلسة جميلة للطيور، أليس كذلك؟"

ـ كنت أظن أنك تفضلين الكناري المغرد الذي تقتنين!

"الكناري طائر بيتي لا يمكن اطلاقه من محبسه. أما هذه الحمائم فيمكن، بل يجب، اطلاقها من وقت الى آخر. ومن النادر جداً ان تذهب بحيث لا تعود."

ـ أتحاولين أن تعلميني عبرة ما؟

وما أن قال هذا حتى قبلته جدتي على خده وهي تضحك.

لكن جدي الآن حبيس جسد لا يستجيب لارادته. ولدى دخولي غرفته ووقوفي وراءه، أصدر صوتاً يحاكي صيحة قلق. وللحال وقفت أمامه ونظرت الى وجهه فاسعدني ان أرى أنه يحاول الضحك لفكرة سرته. وضحكت أنا أيضاً. بعد ذلك رفع يده اليمنى قليلا وغص حلقه بالكلام. إنه الحديث عن الطيور.

وقلت له: "لقد فهمت ما تقول يا جدي. الطيور أطلقت في السادسة والنصف هذا الصباح. وكانت الرياح خفيفة وتهب الى الجنوب الشرقي عبر سماء صافية."

وقال جدي: "قليلا وستجد نفسك منتصراً وسط لقاء حاشد في النادي." قال هذا في مقاطع طويلة مضطربة، ثم أطبق عينيه خجلا من ضعفه.

وشددت على يده ثم جثوت على ركبتي أمام السرير وخاطبته: "اواه يا جدي! يجب أن تبقى معي ولا تذهب بعيداً."

وشرق مرة اخرى بالكلام، وفتح عينيه ونظر الي. وتابعت: "إنك ستشهد حتماً نهاية السباق."

وهبت الريح معتدلة ومنعشة، بسرعة ٢٠ الى ٣٠ كيلومتراً في الساعة تتخللها عواصف خاطفة. وراحت الريح ترقص عبر بحيرة هورون وهي في طريقها الى ملاقاة هبَّة قطبية باردة آتية من الشمال.

في قطاع آخر من الفضاء كانت هناك انثى صقر تعبر وادي الواباش، غرب تيرهوت في ولاية انديانا، بسرعة ٣٠٠ كيلومتر في الساعة. وكانت هي وذكرها يبسطان سلطانهما على فضاء مساحته ٢٠ كيلومتراً مربعاً في التلال وأسفل النهر

حيث تقوم أشجار حور هنا وهناك.
وارتفعت انثى الصقر فوق الامواج الحرارية وقد زادت خفق جناحيها لتركب الغيم.

ولو كانت تلك الانثى على الارض، ترتاح بعض ساعات النهار في عشها أو تغتذي على طريدة قتلتها، لتجاسرت الطيور العابرة، من جميع الاصناف، على التحليق في نطاقها. أما وجودها في الفضاء فكان يبعد الطيور الاخرى عنها. فهي تتفحص كل مقدار ضئيل من جوهاطولا وعرضاً علها تقع على فريسة.

وبعد ساعتين من بدء المباراة وصل ديكنز الى جوائها.

تشبث بالحياة

اخيراً تركنا جدي وحده في غرفته البيضاء وقد تسللت أشعة الغروب الواهية من نافذته. وأحسست فيها وطأة وهي تسقط على ارض الغرفة. ولا أدري اذا كان جدي اختبر شعوراً مماثلا...أم تراه كان مستغرقاً في الضربة التي اصابته او في المرض الذي أودى بجدتي؟

وتذكرت أني اخبرت كيف حاول أن يرد عنها الموت. فقد قصت علي امي ذات مرة كيف ان جدي "نسج عباءة من قوة الارادة، وأدخل عليها ترقيعات كثيرة حتى غدت كالاسمال وبها قيد زوجته أطول مايمكن."

وأخبرتني عن جدتي وهي مضطجعة على سريرها في غرفة النوم الصغيرة المشرفة على النهر، وهي تسمع الحمام يسجع عند الغسق. ولم تكن الستائر ترفع الا في تلك الساعة، لان ضوء النهار كان يؤذي عينيها.

واذ ذاك كان جدي يضمها اليه، فتتكىء على صدره وهي تصغي اليه يهمس في شعرها.

وقد دخلت امي عليهما غير مرة في ذلك الوضع المؤثر. ومرة سمعت جدي يعد جدتي بأنه سيحفظ عهده معها في الحياة وبعد الحياة.

اعود الى ديكنز...

لقد شاهدته انثى الصقر، فاستجمعت قواها للانقضاض عليه. وهبطت عمودياً وسط أشعة الشمس التي سلبته البصر.

واندفعت بقوة الى أسفل. ورأى ديكنز ظلها يحمل الموت، وقد أرخت مخالبها استعداداً للاجهاز عليه. وتلبث قليلا ثم انحرف جانباً.

ولحقت به، ففقد سيطرته قليلا. لكنه لم يرتبك أو يُصب بأذى.

وتابعت اندفاعها العنيف حتى كادت ان تبلغ الارض. وأضاعت ديكنز من مرمى نظرها، فعادت تخترق طبقات السماء حتى بلغت ارتفاع ٣٠٠ متر. ونشرت جناحيها وسط تيارات الهواء الصاعدة وراحت تبحث عن ديكنز تحتها.

أما ديكنز فكان يطير بلا احتراز، وقد تجاوز مجموعة أشجار نحو خلاء مكشوف.

وشاهدته انثى الصقر، فاستجمعت قواهاوانحدرت من السماء مثل حجر ساقط.

ولجأ ديكنز الى ادراكه وبراعته، فحول اتجاهه الى مجموعة من أشجار الصفصاف



عنـد ضفـة أحـد الروافـد النهرية. وهـذا أحـبط خطـة انثـى الصقر، لكنها تابعت طريقها اليه. واشتد خوفه، لكنه ثابر على الهرب منها. فالاشجار على بعد دقيقة أو أقل منه. وهناك الامان.

ودنت انثى الصقر من الارض مرة اخرى، ثم استأنفت التحليق وقد اغاظها ان تضيع ديكنز هذه المرة أيضاً.

ولم يبقَ لديكنز سوى الاشجار امامـه، وكـان يلزمـه بـعـض قـوة لبلوغهـا. وأخـذت جـذوع الاشجـار واوراقها تظهر له بوضوح وهو يسمع اندفاع انثى الصقر وراءه.

اخيراً وصل ديكنز الى الاشجار الظليلة واختفى بين اغصانها وهكذا تحققت سلامته.

الغنيمة

اليوم التالي غادرتُ المدرسة ظهراً ولم أعد اليها. وذهبتُ الى بيت الحمام انظفه من الداخل والخارج واغير ماءه واطلق الطيور. ووقفتُ اتفحص طيات السماء عليّ أرى طيفاً لديكنز أو مونبيم أوجيني، لا لاني كنتُ انتظر عودتها في هذا الوقت السريع، بل لاني أردتُ أن أحمل أخباراً جديدة الى جدي لدى زيارتي له مساء برفقة والدي.

واتصلت بمركز النادي، فأخبرني أمينـه السيـد انغلنـد أنّ عاصفـة اعترضت طريق الطيـور المتباريـة. وقال أن معظم الطيور عبرت الطريق قبل هبوب العاصفة، لكنّ بعضها ربما انجرف بها.

وبادرته على الفور بالآتي: "هذا يصحّ على الأسراب، وليس على ديكنز".

وسألني السيد إنغلند: "أتـوَدّ أن اخباركَ اذا بـدأت الطيـور طـريـق الاياب؟"

ورجوته أن يفعل. وفي الثالثة والدقيقة السادسة والعشرين، خابرني ليقـول أنّ طائـر السيـد فوكـيـت، ويندهيل، بدأ طريق العودة. ولكن لن يُعرَف الفائـز قبـل وصـول الدفعـة الاولى الى بيوتها. إلا أنه من المؤكّد أنّ طيورنا الثلاثة لن تربح السباق لانها لـم تُشاهـد بعـد فـي طريـق العودة، ولأنّ بيتها هو أقرب البيوت الى نقطة الانطلاق، مما يجعله الابعد في طريق العودة.

وطفر الدمع الى عينيّ. وأنّبتُ نفسي على الاهتمام بتلك المسائل فيما جدي يعاني الآمرّين.

ووصل مونبيم الى بيته بعد ساعة، وتبعته جيني. لكنّ ديكنز لم يظهر له أثر. ووقفتُ ابكي ظناً مني أن طائري فُقد وأنّ ذلك علامة على وشوك موت جدّي.

ونقلتُ اليه الانباء السيئة عندما زرناه ذلك المساء. ونقـر على السرير يدعوني الى جانبه. وأخذ يدي وشدّ عليها حتى كدت ان أصرخ ألماً. لكنّ قوته اسعدتني. وما أن ترك يـدي حتـى مـدّتـهـا الـى جيبـي وأخرجتُ هدية حملتُها اليه.

وكانت هديتي نواة خوخ كان جدي نفسه نـحـتَ منها رسماً لقرد يقبل قردة، مصراً آنذاك على أنّ القردة تقبل بعضها بعضاً. وهو اعطاني تلك الهدية في وقت سابق، بعد تحليق ديكنز في مباراته الاولى.

وقبل اطلاق ديكنز في ذلك السباق، زاوجناه مع حمامة مترملة اسمها ثاليا. وعلى رغم أني ألفت تزاوج الحمام، إلا أني كنت أحب مشاهدة تلك العملية على الدوام، واجد فيها ما يدهش. وربما كان تفسير ذلك أن جدي، الذي يكبرني كثيراً، ما انفك هو الاخر يحب مراقبة الحمائم في مغازلتها ومجامعتها.

ووضعت ثاليا فقسة البيض بعد عشرة ايام من المجامعة. وحضن الاثنان البيض وجاءت الفراخ في وقتها الطبيعي. ولدى بلوغها اليوم الثامن، اخذنا ديكنز من العش ووضعناه في السلة، ثم حملناه الى نقطة الانطلاق ليشارك في سباق الـ٥٠٠ كيلومتر.

ثمة حمائم نادرة يمكنها أن تبلي حسناً بالنسبة الى جميع المسافات. ولكن يبدو أن ديكنز كان مؤهلا للمسافات الطويلة وحدها. وفي ذلك السباق لم يأت ديكنز في الطليعة، مما أثار حنقي عليه. وأتى جدي من بيت الحمام الى ضفة الساقية حيث كنت جالساً أغسل حزني. وكان يحمل في احدى يديه سكيناً وفي اليد الاخرى نواة خوخ جافة. وراح يحز النواة، فيصدر عن ذلك صوت حاد.

وبادرني جدي: "يبدو أن ديكنز لم يحلق حسناً".

وقلت وأنا أسمع الحزن في نبراتي: "كلا".

- ولكن أتظن أنه بذل قصارى جهده؟

"أجل، لقد فعل".

- إذاً ما الذي خسرته اذا كان ديكنز لا يزال في بيته يستعد للجولة المقبلة؟

"لقد خسرت الغنيمة".

وابتسم جدي ووضع النواة في يدي وهو يقول: "خذ هذه الهدية، لك ولديكنز معاً، فهو أنهى السباق، سواء أربح أم خسر".

وهكذا وجدتني، بعد أشهر طويلة احمل الهدية الصغيرة الى جدي، تلك الهدية التي صنعها إكراماً لسباق أكمل. وحدق اليها وحاول أن يبتسم. أما أنا فقلت له: "خذها يا جدي". ولم أتمكن من متابعة الكلام.

من ناحيته، وجد ديكنز نفسه ضمن الرياح والعواصف التي حملته بعيداً الى الجنوب. وراح يشق طريقه كورقة خريف، باذلا كل طاقته ليبقى عالياً. وحلق فوق وادي نهر كمبرلاند في ولاية كنتكي وعبر الحدود الى تنيسي. وهناك استطاع ان يفلت من العاصفة العاتية وقد بلله الماء وأصابه الارهاق. وأوى الى ارض سبخة تبعد ٥٥٠ كيلومتراً عن وجهته. واستراح هناك قبل أن يتابع طريقه.

لم يكن الموت غريباً عن عالمي. لقد نفقت الحيوانات على مرأى مني والطيور بين يدي. أما موت البشر المقربين فكان أمراً عاينته من بعد. وأقرب شخص شاهدته ميتاً كان السيد واتكنز، كبير أعضاء النادي الذي مات وهو في عامه السابع والتسعين.

وذهبت الى دفنه، وكان جدي ترك لي الخيار بعدما قال إن أحداً لن يعتب

عليّ إن لم أذهب، خصوصاً لان السيد واتكز كان من المعارف أكثر منه صديقاً. لكنّ جدّي أضاف أنّ مشاركتي من شأنها أن تترك أثراً طيباً لدى عائلة الفقيد. ولقد ذهبتُ فعلا، تدفعني رغبتي في أن أرى رجلا ميتاً عن كثب.

ولم أجد هناك ما يثيرني، وإن تكن هواجسي هاجت قليلا. وركعتُ على لوحة خشب أمام سرير الميت وتلوتُ صلاة صغيرة هي أقصر ما أعرفه. ورفعت عينيّ الى السيد واتكنز إذ ظننت أنه ينظر الي، لكن عينيه كانتا مطبقتين. ولكن أقلقني كثيراً أن أرى شفتيه صبغتا بأحمر الشفاه. وخيل اليّ انه بدا كالمغفل.

وأخبرت جدي عن شعوري ونحن عائدان، فقال: "إنها دقائق، يا هيو، تغطي رهبة الموت قليلا. لكنها، كما لاحظت، تدلّ على حماقة".

وقلتُ متلعثماً: "ينبغي أن يأخذ معه وجهه الحقيقي". وأخذتُ افكر في ما تعنيه كلماتي.

وشدّ جدي على كتفي وقال: "سوف تحرص على أن آخذ وجهي الحقيقي معي! اليس كذلك يا هيو؟"

ونظرتُ اليه مشدوهاً. وظلّ يربت كتفي ونحن نتابع طريقنا ويقول: "وجهي الحقيقي... بذلتي الحقيقية... أجل، اني لا اريد بذلة جديدة خاصة للمناسبة. واحرص على أن يضعوا حذائي في قدمي وان لم يظهر".

ورفع يده عن كتفي وراح ينفش شعري ويقول: "ما بالي اضع الهموم على عاتق طفل"؟

لكني أجبته: "لا عليك يا جدي!".

أ- ثمة أمر آخر. لقد ابصرت النور على سرير في البيت. وشاهدتُ اولادي يأتون الى الحياة بالطريقة نفسها. وأني اريد أن اموت على هذا النحو. إنّ الاسرة الغريبة لا تحسن المنية فوقها.

كان ذلك كلّ ما عرفته عن الموت آنذاك. لكني احسسته قريباً، بين الاشجار والظلال، فيما كان جدي طريح الفراش وديكنز بعيداً في المجهول. وخيل الي أن ديكنز لقي موته، وانه أرسل ظله في اثر جدي.

الهرّ

وجد ديكنز سطح مرأب يقضي الليل فوقه، وراح يجر قائمتيه على الالواح الخشبية حتى بلغ الحصى وجثم عليها وقد هده الضنى. وفجأة اجفل على حسّ غريب. ولما لم يتبين شيئاً أمامه، خلد الى الراحة من جديد.

وكان الهرّ أليفاً بالنسبة اليه، وقد حمل جسده ندوباً من معارك سابقة معه خرج فيها منتصراً.

وراح هر اشقر غريب يمشي بتؤدة مثل سيدة حريصة على نظافة ملابسها الانيقة، وقد تشمم رائحة كائن حي في الجوار. وسرعان ما رأى ديكنز تحت ظلمة السماء يطل من حافة سطح المرأب.

وأخذ الهر يرود طريقه الى أن رأى سياجاً يحيط بناية قصيرة. وبلغه بقفزة واحدة تشبه قفزات مهرجي السيرك. وانتفض ديكنز وقد استشعر الخطر الداهم، لكنه لم يستطع مبارحة مكانه.

وظل الهرّ يمشي على السياج حتى

استجمع قواه وقفز عالياً، فاستقر على السطح وراء ديكنز مباشرة. وأحس ديكنز الحضور المخيف خلفه. وطار قليلا ثم عاد الى مكانه، ومد الهر قائمة امامية مفتوحة البراثن الى فريسته. وتحرك ديكنز قليلا الى الوراء، لكنه اصيب في عينه التي سال منها الدم على ناحية رأسه. وزعق ألماً وراح يضرب بجناحيه ويخرمش الجدار وهو يهوي من السطح الى الارض.

وتبعه الهر سريعاً وهو يتفحصه بعينيه المتوهجتين. ولاذ ديكنز تحت كومة اخشاب مبللة. وكان المرآب في الداخل احلك سواداً، وملأت رائحة الوقود حنجرة ديكنز ورئتيه. لكنه شعر بالامان، وإن لبرهة.

وسمع ديكنز الهر يوسع بمخالبه ثقباً في الجدار. وظل الهر يموء الى ان فتحت كوة خرج منها.

في روشستر أصيب جدي بنوبة دماغية اخرى ايقظته من النوم وجعلته يطلق صوتاً تردد صداه في اروقة المستشفى.

ورن الهاتف في منزلنا قرابة الثالثة فجراً. وسمعت حركة والدي وهو يرتدي ثيابه ويهمس في اذن امي ألا تنهض من السرير. ودخلت غرفة والدي. ولما رآني أبي هناك قال بصوت طبيعي أنه لا داعي الى الذهاب معه أنا وأمي.

قال هذا وهو يبتسم لكي يطمئنني. لكن ابتسامه جاء واهياً ومغتصباً. ورحت أبكي، واخذتني امي اليها وهي في السرير وأخذت تعاملني كطفل ظننت أني تجاوزته قبل زمن.

وفي الصباح ذهبت وأمي الى المستشفى، ولما رآنا أبي في البهو سار نحونا وقد ثقلت عيناه من قلة النوم، لكنه كان يبتسم. وقال أن جدي ما زال يقاوم على رغم اصابة دماغه بنوبة ثانية.

وجاء الدكتور ساند وانتحى والدي للتحدث معهما. وتقرر الا يطول بقاء جدي في المستشفى. فهو يحتاج الى عناية خاصة تفوق طاقة المؤسسة. وليس من العملي أخذه الى البيت حيث العناية التمريضية المنزلية تكلف غالياً. ولم يكن عملياً أيضاً حمله الى بيت ابنه، لان امي وأبي يحتاجان الى عملهما أكثر من اي وقت مضى. لذلك لم يكن هناك بد من ارساله الى مصح خاص. وهذا ما أثار هواجسي على نحو لم أعرفه من قبل طوال مرض جدي.

وسمعت معظم ما دار من حديث، وكنت أود أن اقول أمامهم جميعاً أني اعتني بجدي، وان اقتضى ذلك ان امسك يده نهاراً وليلا لئلا يضيع مني.

وأخيراً دخلنا الغرفة كي نراه، وكان متكئاً على وسائده في ذلك الوقت الباكر من الصباح. واتجهت عيناه الي كما لو شاء ان يذكرني بعهد قطعته على نفسي.

وإذ أتذكر تلك المرحلة، أرى أن اعظم ما يميز الانسان هو قطع الوعود وحفظها. وربما كانت العهود والمعاهدات برهاناً لغلبة الانسان على تقادير الحياة.

أجل، لقد قطعت عهداً على نفسي بيني وبين جدي.

بعدما علمتُ ان القرار اتخذ حول نقل جدي، فور ابلاله من النوبة الثانية، ليس الى بيته أو بيتنا بل الى مكان غريب يتمّ فيه تمريضه، انتابتني كآبة ثقيلة وجفاني النوم.
ولم أتفوّه بكلمة واحدة في طريقنا الى المنزل، بل جلستُ بين أمي وأبي في مقعد السيارة الامامي. ورفعت أمي منديلا الى فمها لتتقي البكاء، لكنّ عينيها كانتا جافتين وهي تنظر الى المنازل على الطريق.
وتكلم أبي قليلا، بعبارات قصيرة، عن امور سبقت معالجتها، وحاول أن يقنع نفسه بأن المصح هو خير مكان لجدي في هذه المرحلة.
ولدى بلوغنا البيت أحضرت أمي القهوة لها ولابي وكوباً من الحليب لي. غير أننا جلسنا هناك من غير أن نمد يداً الى شيء. وبدا الارهاق والضياع في عيني أبي، بينما بدت أمي كأنها كفت لتوها عن نوبة بكاء. وأمراني أن اذهب الى السرير.
وسرعان ما سمعتهما يستعدان للنوم. وانتابني ألمّ شديد لان ثمة عجوزاً يخصني لا سرير له يأوي اليه.
وتوجه والداي الى مخدعهما. وعرفتُ من صوت السرير أنهما غير قادرين على النوم، مثلي أنا. وبعد برهة سمعتُ بكاء خفيفاً. وارتعدتُ إذ عرفتُ أنه صادر عن ابي، لا عن أمي. وما لبثا أن اغلقا باب الغرفة بهدوء.
وسمعتُ ساعة الحائط في غرفة الجلوس تدقّ مؤذنة بمرور الوقت. ولما بلغت الرابعة فجراً، نهضتُ وارتديتُ ثيابي على مهل. ولبستُ المعطف والقبعة ونزلتُ على رؤوس اصابعي وأنا أسير في محاذاة الجدران لئلا يسمع حسي. ومع تباشير الضوء الاولى الضعيفة في الشرق، خرجتُ من المنزل واتجهت الى بيت جدي حيث كانت عربتي الحمراء.
وربما نهض ديكنز في تلك اللحظة عينها وقد تسللت بعض خيوط النور عبر الواح المرأب الخشبية. وشقّ طريقه من جديد الى الفضاء وهو يغالب النعاس والارهاق ويصرّ على العودة الى البيت. ولم يفارقه الالم وهو يحلق في أعالي الفضاء مستهدياً بحسه الداخلي.
أما أنا فتابعتُ طريقي عبر شوارع البلدة المظلمة، اجرّ العربة ورائي. وكانت احدى عجلاتها تصدر صوتاً حاداً كما الطيور. واتجهتُ نحو المستشفى وأنا أخاف أن يراني أحد، فيتساءل عن الغاية التي ينشدها فتى في العاشرة في هدأة الصباح الباكر، ثم يوقفني ويأخذني الى البيت. الا أني لم أصادف أحداً في طريقي. وخُيل اليّ أن كل من في البلدة نائم ما عدا اثنين: أنا وجدّي الذي ينتظرني وهو لم يذق طعم الرقاد في سرير غريب.
ودخلت المستشفى من حديقته الخلفية. وتركتُ العربة الحمراء تحت اغصان شجرة قيقب منخفضة وتابعتُ طريقي في الممرّ الصامت. ووقفت تحت نافذة جدي التي كانت مغلقة الستائر. لكنني عرفتُ أنه هناك، وأن وجهه على النافذة. وقفزتُ الى حوض الازهار وحاولتُ فتح النافذة، لكنها كانت مقفلة، ونقرت الخشب منبهاً جدي الى حضوري.

ورأيتُ مدخلا جانبياً الى المستشفى، وكنتُ أعرف انه يؤدي الى البهو الذي يفضي الى غرفة جدي. الا ان الباب هناك كان مقفلا ايضاً. وعدت الى الحديقة حيث تركت العربة، ووضعتها بين الاشجار قرب المدخل.

ولم أشاهد احداً هناك. لكنّ ردهة المستشفى كانت مضاءة وفيها امرأة ذات ملابس بيضاء تجلس وراء طاولة. وبدت متبرمة وهي تكتب على دفتر امامها وتنظر الى ساعة الحائط. وما لبثت ان وضعت القلم وحملت حقيبتها وأسرعت عبر باب خلفي.

وإذ ذاك تسلّلتُ من الباب الامامي الى البهو. وكان حذائي المطاطي يصدر اصواتاً خشيتُ أن يسمعها احد. ونظرتُ أمامي عبر زجاج باب فاصل، فوجدت المكان خالياً. وفتحت الباب بهدوء وتابعت طريقي. وفتح باب جانبي، فاختبأت تحت تجويف في الجدار يؤوي براداً للماء. وكانت هناك فسحة تكفيني.

وابصرتُ ممرّضة مكبة على لائحة في يدها وهي تسير عبر ممر جانبي. وخرجتُ من مكاني ومشيتُ بحرص الى حيث تلتقي الممرات، وشاهدتُ الممرضة جالسة وهي تقرأ اللائحة تحت نور مصباح خافت. وعبرتُ في لمح البصر الى الممر الذي تقوم فيه غرفة جدّي، ودخلت الغرفة.

كان مضطجعاً في سريره وظهره يواجه الباب وهو ينظر الى النافذة، واقتربتُ من ناحيته، فوجدتُ عينيه واهيتين. ورفع يده اليمنى من تحت الاغطية ومدها اليّ. فأخذتُها وأنا أبتسم أو أحاول الابتسام.

ورفعتُ الغطاء عنه، فبرز جسده القويّ وقد تضاءل بفعل المرض. وحاول أن يُدني قدميه الى الارض ويجلس منتصباً، لكنه لم يَقوَ على ذلك. ووضعت ذراعه على كتفي وركعت ارضاً حتى بات جسمه يغطيني. وكدنا ان نسقط معاً. غير أننا تقوينا واسترحنا قليلا عند حافة السرير. وكانت الخطوة التالية احضار العربة الى الغرفة.

وسألتُه: "أيمكنك ان تبقى كما أنت دقيقة واحدة يا جدي؟"

وهزّ رأسه موافقاً. ورأيتُ عضلة تتحرّك عند فكه، وهي في العادة تسبق أي جهد يستعدّ لبذله سواء أكان كبيراً او صغيراً.

واسرعتُ عبر البهو بعد تأكدي من أن الممرضة ليست هناك، وخرجت من الباب الجانبي الذي انفتح بسهولة، وحملت العربة الى الداخل، حيث اصدرت عجلاتها صريراً قوياً بين الجدران. ورفعتها بين يديّ وعدت الى غرفة جدي الذي كان حيث تركته، ثابتاً كصخرة.

ووضعتُ العربة تحت قدميه. ووجدت صعوبة في الباسه رداء الحمام. لكنني افلحتُ في ذلك الامر، وأتبعتُه بوضع الحزام المزين بشرابة حول خصره، ثمّ بادخال جوربين وخفّين في قدميه. ونظرتُ اليه وانا ابتسم كي اطمئنه الى أنّ الامور تتمّ على أفضل حال. وبادلني بضحكة كبيرة، فضحكتُ أنا ايضا أمام تلك المغامرة التي كنا على وشك استهلالها.

حانت المرحلة العسيرة من العملية. وأعنتُ جدّي على إنزال قدميه الى

الارض عن ذلك السرير المرتفع. ووضعتُ ذراعيه حول كتفيّ، وأخذتُ نَفَساً عميقاً قبل ان أُنزل ثقله عليّ. وبعد جهد ملحوظ امكنني ان أضعه على مقعد العربة.

وهمستُ في اذنه: "اثنِ ركبتيك يا جدّي." وكان العَرَق يتصبب من أنحاء جسمي. ولو كنت ألهو وجدّي، لكنتُ ضحكتُ طويلا على ركوبه عربة أطفال. غير ان المسألة كانت بعيدة جداً عن المزاح. ونظر اليّ وهو فخور بما أنجزناه معاً.

وحاولتُ ان اثبته اكثر في مكانه، لكنّ العربة كانت تتحرّك وحدها الى الامام. ووضعتُ وسادة بين العجلات كي اوقفها، ثم رفعتُ رجليه حتى باتت ركبتاه على مستوى ذقنه. ووضعتُ يديه على جانبي العربة. وتشبث بأرضية العربة وناحيتيها، وعضلات خدّيه تتسارع بفعل الجهد الذي يبذله.

وجررتُ العربة الى الباب. وإذ لم أجد احداً في الخارج، تابعتُ طريقي عبر البهو وقد خفت صوتُ العجلات بسبب الثقل. وفي لحظة فتحت الباب وأغلقتُه من غير أن يراني أحد.

وكانت الشوارع مظلمة وأنا اجرّ العربة نحو بيت جدّي الذي يبعد كيلومتراً ونصف كيلومتر. وأخذ الظلام ينجلي وينقشع عن الاشجار. وكنت أرى سيارة تمرّ بين وقت وآخر. الا ان احداً لم يتوقف ليسأل ماذا يفعل صبي مع عجوز بثياب حمّام وفي عربة اولاد عبر الشوارع الخالية.

وتابعت طريقي مجهداً والعجلات تتابع صريرها الرّتيب، وقد فاحت رائحة الصباح وباشرت العصافير الصّداح. ووصلنا الى المنزل القائم عند ضفة الساقية التي تصبّ في نهر جينيزي. وبلغ مني الضّنى مبلغاً لم أعرفه قبل ذلك الحين.

وراح جدّي ينظر اليّ وقد اختلطت مشاعر الشفقة لديه بمشاعر الفخر والاعتزاز. شاهدتُ ذلك في عينيه وأنا آخذ مفتاح الباب من حوض الزهر تحت النافذة. وفتحتُ الباب وجرّرتُ العربة الى غرفة الاحذية ثمّ الى المطبخ وغرفة الجلوس، ووقفت عند أسفل السلم المؤدّية الى فوق. وطفر الدمع الى عينيّ وانا افكر في طريقة حمل جدّي الى غرفة نومه في الطبقة الثانية.

ونطق جدّي بمشقة، ففهمتُ ان السرير يكفيه، وان الغرفة نفسها ليست غايته. وتسلقتُ السلم ورفعتُ الفراش عن السرير، وعدتُ به الى أسفل، الى الشرفة الصيفيّة المسقوفة. وصعدتُ مرة اخرى لاحضار الاغطية والوسائد. وبعد ترتيب الفراش كما ينبغي، جررتُ العربة اليه.

ولم يكد جدّي يرى فراشه حاضراً حتى نهض من العربة وسقط فوقه. عندئذ أدركتُ الألم الذي عاناه طوال الطريق في تلك العربة الصغيرة. وحرّكتُه برفق حتى صار في وسط الفراش وهو يحرّك يديه ورجليه مثل سرطان بحري. وألقيتُ رأسه على الوسائد ورفعتُ الشعر الضئيل عن عينيه، فيما رفع هو يده علامة الشكر. ووضعتُ يدي في يده، فشدّ عليها بما بقي له من قوّة واهية.

وتدفق الدمع من عينيّ بعد انحباس طويل. وقبل ان ادير ظهري

نظرتُ الى جدّي لأقرأ الرضا العميق في عينيه وهو يطبقهما. وهرعتُ الى حيث الحَمَام ودمعي ينهمر مدراراً. وبقيت أشهق وأبكي كطفل وانا اتكىء على بيت الحمام وقد ملأتني ذكريات حبيبة عن تلك الطيور. وبعد قليل مسحتُ دموعي استعداداً لاطلاقها.

وسرّحتُ النظر في بيت جدّي، وأدركتُ انه سيعيش في امان هناك الى ان تحين منيّته. وعلت الشمس فوق المدخنة ودخلت اشعتُها عيني وانا فخور جداً بما فعلت. ثم أدَرتُ نظري ناحية السماء الغربية.

وفي البعيد شاهدتُ نقطة قاتمة تتحرّك عبر الفضاء. وأخذت تكبر وتكبر وهي تشق العباب الازرق. وفي الوقت نفسه أحسستُ قلبي يكبر.

وسمعتُني أصيح: "آه يا جدّي! انظر! انظر!"

وما انفكت تلك النقطة تكبر وسط الفضاء بلونيها الابيض والازرق القاتم.

وصرختُ مرة بعد اخرى: "ديكنز! ديكنز!"

إنه ديكنز نفسه عاد الى البيت. لقد خسر المباراة، لكنه أكمل السباق حتى نهايته.

هذه حقاً قصة تلك المباراة كلها وذكريات الايام الحاسمة التي شهدتها السنة العاشرة من عمري.

اما جدّي فمات على سريره ضمن منزله، في غرفة النوم فوق حيث وُلد أطفاله وماتت زوجته. وقد توفي بعد ايام قليلة من عودة ديكنز الى البيت.

وعاش ديكنز اشهراً قليلة بعد ذلك، ثم استسلم للجروح التي عاناها في رحلته البطولية تلك وقد استنزفت قواه... لقد مات في بيته هو ايضاً.

■ ر. رايت كامبل

اعمار الحيوانات

جمع مدير حديقة الحيوان في هلسنكي، عاصمة فنلندا، قائمة بمتوسط أعمار عشرات الحيوانات اللبونة والاسماك والطيور والزحافات. وفي ما يأتي نموذج عن اطول الاعمار المسجلة:

□ الثدييات: الفيل ٧٥ سنة، الحصان ٥٥، البرنيق: ٥٤، الشمبانزي ٥١، وحيد القرن ٤٨، الدب ٤٧، فقمة غرينلاند ٤٢، الغوريلا ٤٠، قرد الاوران ـ اوتان ٣٧، الثور الامريكي (البيسون) ٣٣، السعدان ٣٣، النمر ٣١، الاسد ٢٩، الزرافة ٢٨، الخفاش الكبير ٢٥ والخفاش الصغير ١٥.

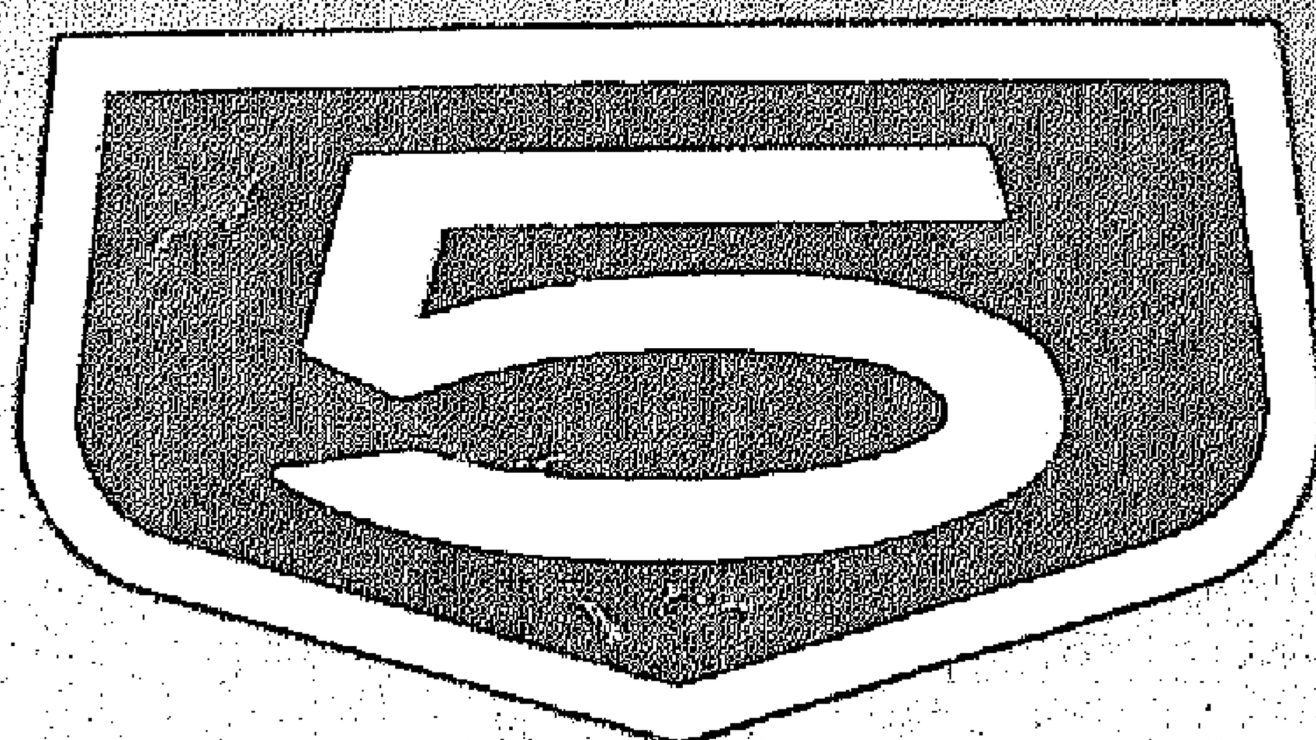
□ الاسماك: السلور ٦٠ سنة، الكراكي ٥٠، الشبوط ٥٠ والقد ٢٥.

□ الطيور: الببغاء ذو العرف (الكوكاتو) ٦٩ سنة، الغراب ٦٩، البومة ٦٨، النسر الامريكي (الكندور) ٦٥، النعامة ٦٠، البجع ٥٢ والغرنوق (الكركي) ٤٣.

□ الزحافات: القاطور (التمساح الامريكي) ٦٣ سنة، العظاءة العمياء ٥٤، تمساح النيل ٥٠، ثعبان الاصلة ٣٤ وأفعى الاناكوندا ٣٢.

ويضيف التقرير أن سلحفاة مدغشقر وجزر الغلاباغوس قد تعمر حتى المئتين. وهذا يعني أنها الوحيدة بين الحيوانات التي تفوق الانسان عمراً، علماً أن العمر الاقصى المسجل للانسان هو ١١٠ سنين.

صحيفة "ديلي اميركيان"، روما

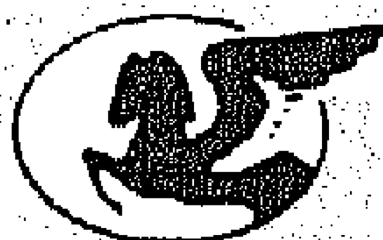

SUPER 23 JEWELS SERIES
5



تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٢ ـ محرم ١٤٠٣

المختار

من ريدرز دايجست



التدخين: النكهة اخطر من النيكوتين!

(ص ١٧)

خاص بـ "المختار" (ص ١١٦)

من قتل نابوليون بونابرت؟

الزوج الرصين غير موجود

(ص ٧)

اكتب واربح ١ ـ دائرة المعارف ٦١

لبنان ٥٠٠ق ـ سورية ٦٠٠ق ـ الاردن ٥٠٠ف ـ الكويت ٥٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٧د ـ قطر ٦ر ـ البحرين ٦٠٠ف ـ السعودية ٧ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ٧٠٠م ـ لنبيا ٧٠٠د ـ اليمن ٧ر ـ مسقط ٦٠٠ب ـ العراق ٦٠٠ف ـ تونس ٥٠٠م ـ المغرب ٥د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ٧ف ـ أنكلترا ٧٥ب ـ اليونان ١٠٠د ـ كندا وأمريكا الشمالية ٢:٥٠د

AL MUKHTAR min Reader's Digest November 1982 No 48

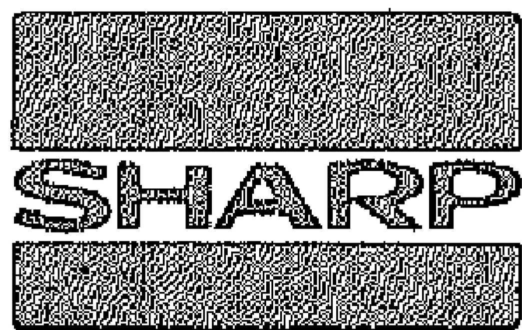


البيانو . لايمكنك ان تضاهيه للمدى الديناميكي الواسع من الاصوات الواطئة الى العالية الممتازة . ولاقتناص ذلك المدى وضعت شارب النظام المتعدد PMPO ٩٠ وات فى GF-767Z بمكبرين كبيرين للاصوات ذات التردد المنخفض فى نظام ٦ مكبرات للصوت بثلاثة اتجاهات . وكانت النتيجة واقعية الصوت الخفيض الذى لاتتصوره من جهاز نقال . وللموسيقى حسب الطلب اضف قدرات التسجيل / الاستماع الخلاقة اللامحدودة من الكاسيت المزدوج . انها جميعا تضيف الى النظام السمعي الكامل لمحبي الموسيقى المتشددين الذين يريدون واقعية الصوت من الواطيء جدا الى العالي .

راديو باربع موجات / مسجل شريط ستيريو كاسيت مزدوج

GF-767Z 90 W PMPO

MULTI-AMP SYSTEM SuperWoofer | Double Cassette | APSS | METAL | Soft-Touch Soft-Touch Operation



شارب

مؤسسة شارب اوساكا ، اليابان



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

اكتب واربح

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة، تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة تلقي بعض الضوء على جوانب مختلفة من حياة مجتمعاتنا العربية. تدفع عن القصة الواحدة ٥٠ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. وتستبعد في هذا الباب النكات غير المهذبة. تدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية تدفع ثلاثة دولارات عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل. يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط الشروط الشروط الشروط

● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة المختار من ريدرز دايجست ـ شارع المقدسي ـ بناية الشرتوني ـ ص: ب ٨٧٠٧ ـ بيروت ـ لبنان.

ما هو الشيء المشترك بين هؤلاء الأشخاص ؟



بنك الكويت الوطني طبعاً.

لكل منهم إحتياجات مالية ومصرفية مختلفة ، لهذا فهم يتعاملون مع بنك الكويت الوطني .

الجميع من أطباء ومدراء شركات ورجال أعمال وحتى الأطفال ، كلهم يجدون لدى بنك الكويت الوطني خدمات شاملة تناسب كافة المتطلبات والأعمار .

حسابات إدخار ، حسابات جارية ، حسابات أمانات ، قروض شخصية ، حسابات إيداع ، شيكات سياحية وشهادات إدخار ، جميع فروع بنك الكويت الوطني تقدم شيئاً مشتركاً ، الخدمة التي تحتاجها .

لكافة احتياجاتكم المالية ، اتصلوا بأي فرع من فروعنا الأربعين المنتشرة في كافة أنحاء الكويت .



بنك الكويت الوطني ش.م.ك.

شارع عبدالله السالم - ص.ب ٩٥ صفاة ، كويت - تلفون : ٤٢٢٠١١ (٢٠ خطاً) - برقياً : ناشيونال - تلكس : ٢٢٤٥١ .



المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: لولو بعاصيري.

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ« ريدرز دايجست »:
رئيس التحرير: ادوار ت. طومسون، مدير التحرير: آلان دوليرو، المدير العام: جون ا. اوهارا.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس. الناشر: شركة راس الخيمة للمنشورات الدولية ـ بيروت. الخدمات الصحافية: شركة النهار ش.ت.م.ل. بيروت. التحرير: شارع روما، بناية هاشم، ص.ب ٢٢٦ ـ ١١ التلكس (المؤقت) ANAHAR 22322 LE بيروت. التلفون ٣٤٠٥٥٦ ـ ٣٤٠٠٤٤. الادارة والاعلانات والاشتراكات: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، الطبقة السادسة، ص.ب ٨٧٠٧ ـ ١١، التلكس 22288 LE التلفون ٣٤١٥٩٧ ـ ٣٤٥٧٢١

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest, 37 Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت. الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية، بيروت. التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

تنشر « ريدرز دايجست » في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانيــة، الاوستراليــة، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية اضافة الى العربية.

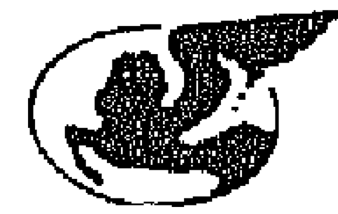


MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

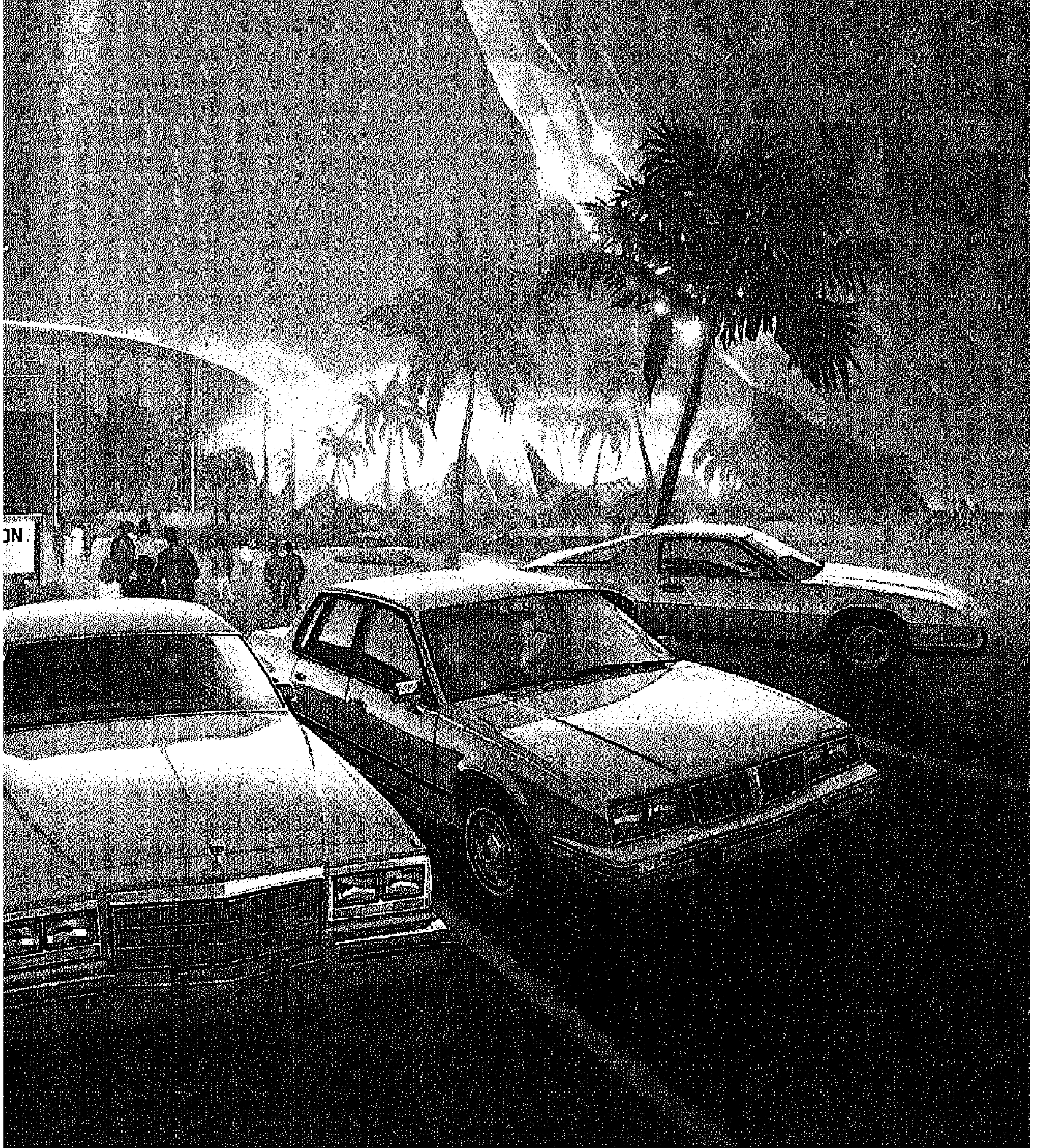
الغلاف: سهرة امواج بعد منتصف الليل (جون روبنسون)

AL MUKHTAR min Reader's Digest

November 1982 No 48 (New Series) Vol. 4



اكثر من ١٠٠ مليون يقراون « ريدرز دايجست » في ١٨٠ بلداً بـ ١٧ لغة.



شفروليه كامارو زد ٢٨-اي   بونتياك ٦٠٠٠ إل إي   كاديلاك فليتوود بروهام

جنرال موتورز تدعوك

هناك طريقتان مثيرتان للغاية لدخول عالم الحركة. الاولى هي المجيء الى مركز "ابكوت" الذي افتتح مؤخرا في عالم والت ديزني في فلوريدا بالولايات المتحدة. في هذا المركز سوف تكتشف "جناح النقل" الضخم الذي قدمته جنرال موتورز، والذي يعطيك نظرة شاملة ومفيدة عن تاريخ النقل بالاضافة الى عرض ممتع للتكنولوجيا المتطوّرة ورحلة شيّقة الى المستقبل.

اما الطريقة الثانية لدخول عالم الحركة فهي زيارة وكيل جنرال موتورز المعتمد حيث تسكن.

هناك سوف تكتشف التكنولوجيا المتطوّرة إيّاها كما تُطبّق في صنع السيارات الامريكية الحديثة الفخمة والشاحنات. ان التشكيلة الجديدة من السيارات التي تقدمها

أولدزموبيل ٩٨ ريجنسي   بويك سكايهوك   جي.ام.سي إس-١٥

لدخــول عـالــم الحــركــة.

جنرال موتورز تعتمد في تصميمها على الهندسة العملية والإشكال الانسيابية والمحركات العالية الكفاءة بالإضافة الى مستويات متشددة للامان. وهذه السيارات تجمّع بالاعتماد على الانسان الآلي وأشعّتي "لايزر" و"غاما".
وكما هو الحال دائماً، صُمّمت هذه المجموعة لتوفر لك الراحة ومتعة القيادة.
اعلاه ترى تشكيلة صغيرة من جيل السيارات الامريكية الجديدة من صنع جنرال موتورز.
فتعال الى مركز "ابكوت" في عالم والت ديزني أو قُمْ بزيارة الوكيل المعتمد لسيارات جنرال موتورز. في كلتي الحالتين، سوف تدخل عالم الحركة.



THE NEW AMERICANS FROM GENERAL MOTORS

CHEVROLET PONTIAC OLDSMOBILE BUICK CADILLAC GMC

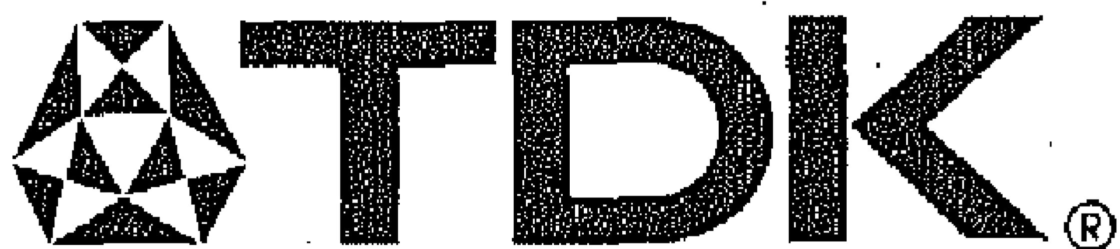
طبعاً تـي. دي. كـي.

طبــعاً ترغبــون في أحـــسن الالـــوان الممـــــكنة على جهازكـــــم الفيديـــو كاسيت، الوان حية، صور واضحة ونقاوة متناهية.

لهذه الاسباب يتحول أكثر الناس الى تي. دي. كي. ليس فقط لان شرائط تسجيل "افيلين" هي الاكثر شعبية في العالم، بل لانها فريدة في نوعها. فهي تمثل ما طالما رغبت فيه في عالم تسجيل الفيديو.

تذكر أن "سوبر افيلين" المقياس العالمي في آلات التسجيل السمعية والبصرية، هي من تي. دي. كي.

The Future in Sound and Pictures.



TDK ELECTRONICS CO., LTD.

تي دي كي.

بيت صغير وعروسان شابان وعمة عجوز
تتربص بالزوج لتسجل
عليه ادنى هفوة

الزوج الرّصين غير موجود

كانت زوجتي وعمتها سنثيا التي جاءت لزيارتنا غارقتين في احدى تلك المحادثات الحميمة التي تجري بين القريبات والتي لا يفقه كنهها اي غريب متطفل،واخيراً عزفت عن متابعة الحديث ورفعت اطباق الحلوى عن المائدة واخذتها الى المطبخ.

وفيما انا اغسل الاطباق اسقطت سهواً ملعقة في مصرف القمامة. وأدخلت يدي في الفوهة لاخراجها، كما رأيت زوجتي تفعل مراراً منذ زواجنا قبل خمسة أشهر. لكن يدي اضخم من يد زوجتي، ولذا علقت.

وفكرت في الموقف ثم ناديت زوجتي لتحضر لي وعاء الزيت. وهكذا زيتُ يدي وتمكنت من تحريرها. بعد ذلك عدنا الى المائدة حيث وجهت العمة سنثيا سؤالا الى زوجتي متجاهلة حضوري: "ماذا اراد ان يفعل بالزيت؟"

ترددت زوجتي بالجواب، فسارعت الى شرح الوضع قائلا: "لقد علقت يدي في فوهة مصرف القمامة."

رفعت العمة سنثيا حاجبيها دهشة. اما زوجتي فخفضت رأسها حياء ولم تفه بكلمة.

في ما بعد، حين كنا وحدنا، قالت زوجتي: "اتمنى ان تكون اكثر حذراً مع العمة سنثيا. فهي لم تألفك بعد."

ـ أؤكد لك اني لم أدس يدي في الفوهة عمداً.

"كل ما أعنيه انك تتصرف بانفعال. فالعمة سنثيا بمثابة ام اخرى لي، وهي تجشمت مشقة هذه السفرة لكي ترى اي نوع من الرجال تزوجت. كانت دائماً تقول ان آمن طريق للمرأة هي ان تتزوج رجلا رصيناً."

صحت مغضباً: "اتراها تظنني رجلا اهوج؟"



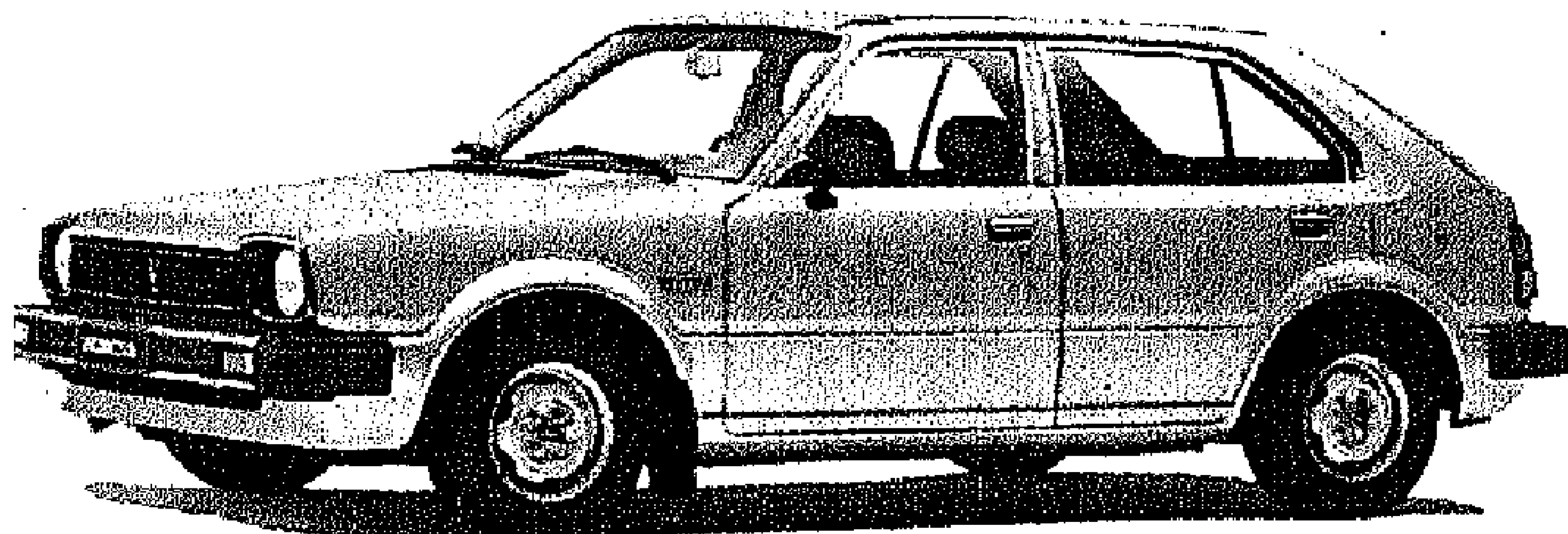
قليلة هي السيارات التي توفر لك الراحة والمميزات العملية التي تمنحك اياها هوندا "سيفيك" ومن هذه المميزات داخل السيارة المدروس بعناية بحيث يؤمن لك جلوساً مريحاً واتساعاً يسمح لرجليك باخذ مداهما ، وهناك المقعدان الاماميان اللذان يتراجعان بحيث يتيحان لك مجال الاسترخاء ، وهناك ايضاً المقاعد الخلفية التي تتراجع على ثلاث درجات ،

اما الباب الخلفي (باب الصندوق) فينفتح على نحو يسهل استيعاب العديد من الحقائب والحاجيات ، ويكسو السجاد كامل ارض السيارة بحيث يمكنك خلع حذائك واراحة قدميك ، الى ذلك هناك الاقفال التي تحمي الاولاد وتوفر عليك القلق على سلامتهم ،

ولاسيما "سيفيك" فانها تريحك من مشاكل استهلاك البنزين انها سهلة ، اليس كذلك؟

اذاً ، بادر فوراً الى اقتناص فرصة العمر هوندا "سيفيك".

فرصة العمر هوندا سيفيك



CIVIC

1300cc 5-DOOR

HONDA®

HONDA MOTOR CO., LTD. TOKYO, JAPAN

اجابت زوجتي بعد تفكير: "هي تعتقد انك غريب الاطوار. فمباشرة بعد وصولها امس رأتك تغرز عصا في الارض حول المرجة الخضراء."

– كنت افعل ذلك لأفتح ثقوباً أسقط فيها حبوب الزرنيخ، فالمناجذ تتلف اعشاب المرجة.

"حسناً، يجدر بك ان تفسر مثل هذه الاشياء للعمة سنثيا. لا تنسَ أنها تعيش في المدينة."

بعد ليلتين أرقت واستعصى علي النوم. وفيما انا مستلق على فراشي قرابة الثانية فجراً افكر في طريقة مجدية لتمضية وقتي، تذكرت ان الورود النامية قرب الرواق الامامي تحتاج الى تشذيب. فارتديت معطفاً وانرت الرواق، ثم احضرت المقص من القبو.

استغرقت عملية التشذيب ٤٠ دقيقة، اعدت بعدها المقص الى القبو. واذ توجهت الى الباب الامامي المغلق، تذكرت اني تركت مفاتيحي على المنضدة قرب السرير. وكانت جميع نوافذ الطابق الارضي مقفلة باستثناء نافذة غرفة الضيوف التي فتحتها العمة سنثيا قبل أن تأوي الى فراشها. ودنوت من النافذة وأصخت السمع. كانت العمة سنثيا تشخر.

تسلقت الجدار ووقفت على عتبة النافذة. ثم ادخلت قدمي في الظلام لتثبت على الطاولة الخشبية تحت النافذة في الداخل. ما لم أكن اعرفه هو ان العمة سنثيا وضعت فوقها مجموعة من قوارير الدواء وكأساً كبيرة من الماء.

انقلبت الكأس والقوارير محدثة جلبة من الرنين والقرقعة وخرير الماء المندلق. وتحول شخير العمة سنثيا شهقات مجفلة ثم دمدمات هلعة.

واشعلت النور وفمها يرتجف وعيناها جاحظتان في وجهها الناحل، فقلت لها محاولا أن أهدىء من روعها وقدمي ما زالت متدلية تحت النافذة: "هذا أنا يا عمتي سنثيا. لقد اقفلت الباب وانا فيالخارج." وهنا تذكرت نصيحة زوجتي بضرورة تفسيرالامور، فأضفت:"كنت أشذب الورود."ولم تقل العمة سنثيا شيئاً، بل استمرت تحدق الي بعينين زائغتين.

في اليوم التالي رأيت زوجتي تعد القهوة في المطبخ وهي تلتقط دموعها بمحرمة، فسألتها: "كيف حال العمة سنثيا؟"

فتنهدت قائلة: "انها تحس بآلام في الصدر.سآخذها الى الطبيب." ثم نظرت الي باستعطاف وسألتني: "هل ذلك صحيح انك تسللت من نافذة غرفتها عند منتصف الليل؟"

– نعم، لم أقدر ان انام...

"أتراك تفعل ذلك عن قصد؟"

– هذا سخف، كنت أشذب الورود.

وطوقتها بذراعي مهدئاً.

وصف الطبيب للعمة سنثيا دواء واوصاها بأن تلزم الراحة.ولذا مكثت في سريرها حتى نهار السبت وهو موعد رحيلها. وأصيبت زوجتي بزكام شديد، فتوليت انا أيصال العمة سنثيا الى المحطة. ولما كان مستحيلا ايقاف السيارة قرب رصيف القطار، ساعدتها على الترجل ووضعت حقائبها بجانبها وقلت لها اني سأعود حالا.

استغرق بحثي عن موقف لسيارتي


خيرات الطبيعة
على مائدتك
Swiss Maggi Soup
11 vegetables
11 légumes
ماجي
شوربة
١١ صنف خضار
لتحضير الحساء بالخضار، تختار ماجي أجود أصناف
الخضار الطازجة المزروعة في حقول سويسرة الخصبة
ثم تجففها وتستخلص منها العناصر الغذائية وتغلفها
على أحدث الطرق الحديثة، في عبوات لا تمسها
الأيدي ولا ينفذ إليها التلوث.
طبق كله عافية
ماجي

وقتاً طويلا • واخيراً تمكنت من حشرها طولا في فرجة ضيقة بين سيارتين وعجزت عن فتح اي من البابين نظراً الى ضيق المجال عن جانبي السيارة • لذا قررت ان ارفع النافذة الخلفية وأحبو خارجاً منها فوق الصندوق الخلفي • لكن السحاب الذي يثبت النافذة في مكانها علق، ولم ينفتح من النافذة سوى نصفها • وكانت الفتحة كافية لخروجي، لكني لم احسب حساباً للمعطف السميك الذي كنت ارتديه بلا داع في ذلك اليوم الدافىء • وفيما انا احاول ان انزلق خارجاً ، علق جسمي في الفتحة •

وكنت على وشك الصياح طالباً النجدة عندما رأيت القطار يتحرك • وبقيت في مكاني محشوراً في فتحة النافذة أحدق الى وجوه المسافرين الذين تركزت ابصارهم عليّ وانا في هذا الوضع الغريب • واخيراً لاح لي وجه العمة سنثيا بسحنتها المجعدة الملتصقة بزجاج النافذة • يبدو انها تمكنت بطريقة ما من ركوب القطار • وهي لم ترد على ابتسامتي المرحة ولا على تلويحي، بل أشاحت بوجهها عني حالما رأتني •

اخبرت زوجتي بما حصل لي وحدثتها عن عامل السكة الحديد الذي تلطف بمساعدتي ودفعني الى داخل سيارتي • ثم قلت لها : "هل يجدر بي ان اكتب رسالة لطيفة الى عمتك اوضح فيها ما وقع لي؟" •

قالت زوجتي مستعطفة: "كلا ، ارجوك الا تفعل • "

وفي نهاية الاسبوع لاحظت ان زوجتي تنظر الي من فوق حافة كتاب كانت تقرأه وهي جالسة على كرسيها فوق المرجة الخضراء • كنت على سطح البيت اسقط حجاراً في المدخنة لأدمر عش سنجاب يسدها •

وبعدما نزلت عن السطح قلت لها : "اظنك كنت تتساءلين عما أفعل • "

هزت زوجتي رأسها نفياً بتصميم قاطع • ففهمت ماذا تعني • العروسان يحتاجان الى وقت ليعتاد كل منهما تصرفات الآخر • وعلى الرجل ان يكون صبوراً •

■ **هاريسون كيني**



شباب غير دائم

من باب التعارف والزواج في صحيفة "امرأة موظفة تبحث عن رجل فوق الخامسة والخمسين، لا يدخن ولا يشرب ولا يظن أنه في الخامسة والعشرين • "

ف • ش •

من صحيفة يومية: "رجل من البروليتاريا يبحث عن فتاة بورجوازية • الهدف: صراع الطبقات " •

ف • ف • و •

الريح تضرب الزهر في الحديقة،
ولكن اذا افلحت هذه الكائنات
الضعيفة في التشبث بالارض،
فالعجوز يمكنه الصمود أيضاً

حديقة العمر

وقفتُ ذات يوم في رواق منزلنا وحفيدي الى جانبي، ننظر الى الخليج النهري الصغير أمامنا. والعادة، لدى انحسار المد، أن تنكشف صخور الشاطىء وتصعد ذكور الفقمة واناثها من المياه الباردة لتنعم بدفء الشمس.

هكذا كانت الحال عندما وقفتُ وحفيدي هناك. ورأينا فراخ البطّ تجذف في المياه الضحلة، وقد عجّ الفضاء بأسراب النورس ومالك الحزين والغراب والقرقف. هذه كلها كانت تعلن مولد الربيع مرة اخرى.

تلك الحياة والحركة كانتا أمراً غريباً ومختلفاً بالنسبة الى حفيدي الذي يسكن مدينة اخرى بعيدة. وأعطيته منظاري القديم، فوضعه على عينيه وراح يتابع جماعات الفقمة والبطّ والنورس. وما لبث، كما الاطفال، أن عكس اتجاه المنظار، فاذا بكل ما كان قريباً يغدو بعيداً. ويبدو أن ذلك أمتعه، فضحك وهو يشير بيده قائلا: "تلك الفقمة تبعد مليون كيلومتر."

أجل! انها النظرة البعيدة الى الاشياء. عينا الطفل لا تستريحان الا عند الافق. وهو، اذا سرّحهما، تراءى له ما بت اعجز عن رؤيته. ووقف يقول: "عندما أكبر، سأصبح قائد فريق رياضي،

وبعد ذلك اغدو طبيباً". وهذا يعني بعد عشرين سنة، بعد خمس وعشرين سنة، بعد أربعين سنة... آه الاطفال! أن التقدم في السن يسلبنا هذه المباهج وهذه الارقام.

اننا، معشر الشيوخ، نحمل المنظار كي يقرب الينا الاشياء البعيدة. ونحن نخطط لهذا اليوم أو ليوم غد، وللشهر التالي أو للسنة المقبلة في أقصى حد. لكن ثمة شرطاً يلازم كل خطة نرسمها: "اذا جرت الامور كما يُرام".

والحق أن ما يملأ أفكارنا هو الايام الخوالي بحلوها ومرها، بانجازاتها وخيباتها، بما كان ينبغي أن نفعله اليوم وأجلناه الى الغد.

الغد؟ ترى كم غداً بقي لنا؟ أليس في غد يترصد لنا الموت، مثل هوة لا قرار لها؟

عرس الالوان — وقت طويل انقضى بعد انتصاف الليل، وها هو العجوز الذي تمر في ذهنه هذه الافكار يجلس وفي حضنه كتاب. غير أنه يحمل الكتاب ولا يقرأ. انه يحدق الى المصباح بجانبه. الليل بارد، يبث فيه قشعريرة تخترق ملابسه الليلية الى الجلد والعظم.

ويعسر على العجوز النوم في بعض الليالي، خصوصاً اذ يشتد البرد شتاء وتغدو الارض زلقة في الخارج. وهذا يسلبه فرصاً كثيرة للرياضة. فأقل سقطة على الثلج من شأنها ان تكسر وركه او تسبب له ذات الرئة أو تجلب نهايته. غير أنه، في حداثته، كان ينظر الى الكبار ويعجب للضجة التي يثيرونها حول صحتهم. لقد عاشوا حياتهم وربوا أولادهم، فلماذا يطلبون العمر المديد؟ وأي مهمة بقيت لهم؟

يفكر العجوز في هذه المسائل ثم تلوح له زجاجة الشراب. عندما تكون الزجاجة ملأى، ففي امكان المرء الاسراف في تعاطيها ودعوة الآخرين الى مشاركته في الشرب. أما الحياة للمتقدم في السن فهي كالقطرات الاخيرة التي بقيت في قعر الزجاجة: ثمينة، عزيزة. "أجل،" يقول وهو يهز رأسه، "انها هكذا حقاً. وهي تغدو أثمن يوماً بعد يوم."

ويتنحنح العجوز في كرسيه. وكنحلة الحدائق التي تطير من زهرة الى اخرى، هكذا تطير به الذكريات الى حفلة ميلاد او عيد أو جنازة قبل سنوات كثيرة. ثم تحمله الذاكرة الى امسية في شهر سبتمبر (ايلول) الماضي حين وقف عند طرف حديقته المزروعة أزهاراً. والحق أنها ليست حديقته هو، بل حديقة زوجته. ففي وسعها أن تبعث الزهر في التراب العقيم.

ذلك المساء البارد في أواخر الصيف، رفع العجوز عينيه بعيداً الى التلال. هناك رأى القمم تستحم في حمرة الشفق وقد تدلت منها سُحُب وردية قاتمة نشرت ملاءة رقيقة فوق الوادي. وسمع هزيم رعد آتياً من وراء الجبال. وانخفضت عيناه لرؤية ذلك العرس من الالوان عند قدميه.

وها هو الآن غارق في بحران من الافكار، حمل اليه كل ذكرياته الماضيات... يا له من زمن قُلب!

ما الذي يمنع عاصفة من أن تهبّ الليلة، وأن تسوط الريح سيقان الازهار وتخنق الحياة في وجوه الكائنات الهوائية؟ ولكن ليأتِ الرعدُ والبرق والمطر الغزير، فهذه لن تقوى على سحق تلك المخلوقات التي ستعود مع الصباح.

تلك الأمسية وهو في حديقته يتأمل جمال العالم عند قدميه، جاءته هذه الفكرة: اذا افلحت هذه الازهار الضعيفة في التشبث بالارض، فهو كذلك سوف يفعل.

كنزة اخرى — وتقول لي زوجتي: "لا شك في أنك كنت تتنهد."

ـ أحقاً تقولين؟ لا علم لي بذلك!

نجلس معاً في المساء، أنا وزوجتي، هي على مقعدها وأنا على مقعدي. انها تحوك لي كنزة اخرى من الصوف. وأتساءل عن عدد الكنزات التي حاكتها لي طوال هذه السنوات. لقد لبستها كلها، وبقيتُ أرتدي بعضها حتى بعدما نسلت خيوطه. ولو كان الامر عائداً الي لما تخليت عن أي منها. فهي كلها عزيزة لانها من صنع زوجتي.

وأحدق اليها. لقد مرت سبع وأربعون سنة على زواجنا. أيعقل أن تكون تلك السنوات كلها انقضت وهي الى جانبي، تهب الى معونتي كلما دعت الحاجة؟

لقد كانت رائعة الجمال. شعرها كان في لون القمح. وكحقل قمح تحت نسيم الصيف كان شعرها يطير فوق رأسها ويستريح فوق عنقها وعلى الكتفين وقد استحالت أطرافه كالخواتم. وكانت بشرتها فاتحة اللون، على بعض من الحمرة الطبيعية في الصيف وفي الشتاء. وقد زادها ذلك جمالا على جمال.

وتتوقف سنارتاها عن الاصطفاق. انها تنظر اليّ الآن.

وتسأل: "يجب أن تكتب الى ابننا. لقد مرّ شهر كامل على وصول رسالته الطويلة".

ابننا!

ـ أجل! سأكتب اليه هذا المساء.

"وشجرة البتولا تلك في الحديقة؟ اتودّ التأكد من موتها قبل أن تقطعها؟"

ـ أتظنين أنها ماتت؟

"حسناً. انّ ورقة واحدة لم تنبت فيها خلال فصلي الصيف الاخيرين." تقول هذا بسخرية.

أما أنا فأبتسم قائلا: "سأقطعها في الصباح."

ـ أجل! ثمة أمر آخر...

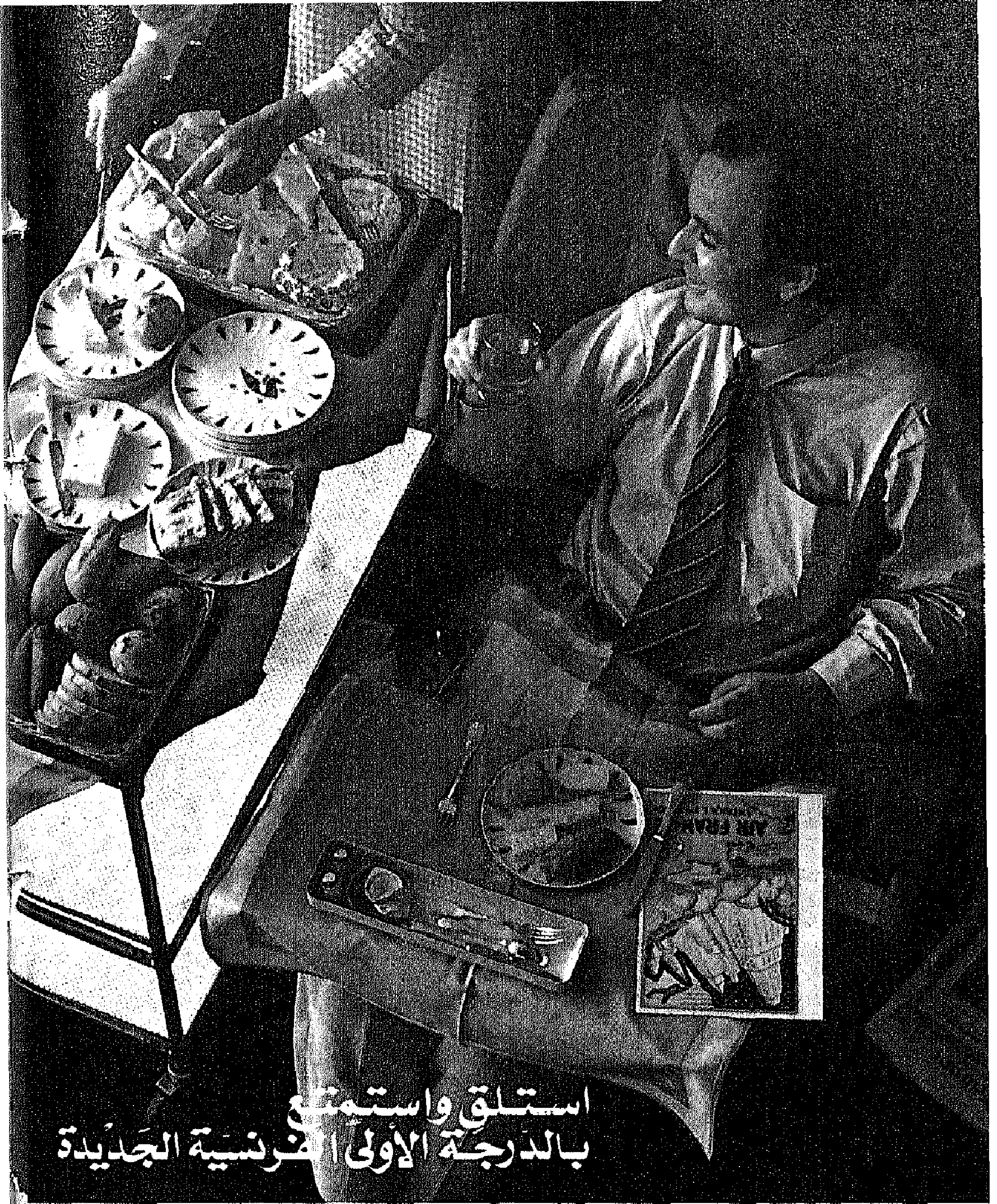
وأقاطعها شاكياً: "ان قلع الشجرة وقطعها هو كلّ ما استطيعه."

وتجيب برقة: "أعرف هذا. لكنّ هناك أمراً واحداً آخر: لقد طال الشعرُ على رأسك وكان ينبغي قصه قبل اسبوعين."

ونضحك معاً.

الافق... الافق! لا تنظر اليه بعينيك العاريتين، بل خذ المنظار من حفيدك وضعه كما يجب كيما يقرب اليك الاشياء البعيدة. اكتب تلك الرسالة. اقطع الشجرة. قصّ شعرك. لا تتأسف لحالك. ولا تنسَ: صباح غد ستبقى الازهار هناك، حيث هي.

■ جيمس ماكراكن



الدرجة الاولى الفرنسية في آرباص الفائقة التقدم، الآن أفضل، حتى مما كانت عليه من قبل. المقعد ...يثير القابل للانحناء يضعك موضع الدرجة الاولى ...تمتع بتجديدات آرفرانس

خلال الرحلة، يضمن طاقم الطائرة بسحر ودقة، جودة نوعية كل ما تقدمه آرفرانس للدرجة الاولى علاوة على المطبخ الفرنسي الممتاز.

وعلى الأرض، يتولى موظفو آرفرانس أمر المعاملات المتعلقة بإقلاع طائرتك وهبوطها، بما في ذلك سهولة الاجراءات وسرعة استلامك للحقائب.

سوف تجد في آرباص آرفرانس، ودرجة آرفرانس الأولى الجديدة المميزة، الوسيلة المثالية للسفر في الشرق الاوسط وإلى أوروبا.

AIR FRANCE

الدرجة الأولى على متن آرباص ـ الخطوط الجوية الفرنسية

النكهة في السيجارة قد يفوق ضررها ضرر القطران والنيكوتين

تغزو الاسواق اليوم اصناف متنوعة من السجائر الملطفة ذات المحتوى المنخفض من القطران والنيكوتين. الا ان المواد المطيبة والمعطرة التي تضاف الى تبغ هذه السجائر قد تفوق في اذاها هاتين المادتين



هل يمكنك ان تسمي سلعة تتسبب او تساهم في موت مئات الالوف سنوياً وتبقى محتوياتها سرية، لا تخضع لأي من الانظمة الصحية السارية؟

الجواب طبعاً هو: السيجارة.

هناك كثير من البضائع التي يشكل سوء استعمالها خطراً على الصحة. ولكن من العسير أن تجد سلعة توازي في خطرها منتجات التبغ. ان التدخين، بأي مقدار يكن، لا يمكن اعتباره صحياً. فحتى السيجارة الواحدة تنطوي على اخطار.

لهذا السبب، وطوال ثلاثة عقود، ظلت السلطات المسؤولة عن الصحة العامة في انحاء العالم متوجسة خيفة من السرية التي تحيط بالمواد التي تضاف الى التبغ. فعندما يشتري

المواطن طعاماً معلباً او دواء من صيدلية، تكون محتويات هذه المواد بحكم القانون مدونة على الورقة الملصقة. لكن لفائف التبغ التي هي دائماً مضرة بالصحة، لا تحمل علبها اي معلومات عن محتوياتها. والآن برزت اسباب جديدة للقلق مما يمكن ان تحويه هذه اللفائف.

بدءاً من اواسط السبعينات، واستجابة لطلبات المدخنين المستمرة لخفض الاخطار الصحية، اخذت تظهر في الاسواق اصناف "ملطفة" (لايت) ذات محتوى مخفض من القطران والنيكوتين. ان خفض كمية القطران في السجائر أمر سهل، ومن الوسائل المعتمدة في ذلك مزج الدخان بالهواء عن طريق فلتر مهوّى او ورق مثقّب، وتضييق قطر اللفافة وحشوها بكمية اقل من التبغ، واستعمال فلتر اطول، وزرع تبغ ذي محتوى اقل من القطران. لكن الفلتر وسواه من الاساليب تؤثر في النكهة، كذلك يصبح الدخان اكثر جفافاً ويفقد الكثير من جوهره. يقول فريدريك تريست، خبير النكهة في صناعة التبغ الامريكية: "المدخنون العاديون اعتادوا مقداراً معيناً من النكهة والرائحة. وفي حال التبغ ذي المحتوى المخفض من القطران، تبقى امام المصنعين طريقة واحدة لتوفير هذا المقدار للمدخنين وهي تقديمه اليهم عن طريق المطيبات والغطور، وبعبارة اخرى عن طريق اضافة مواد اخرى الى التبغ."

عام ١٩٧٩ ساور القلق الدكتور جوليوس ريتشموند، مساعد وزير الصحة في الولايات المتحدة، من جراء الكيميائيات الاصطناعية والمواد الطبيعية التي تضاف الى التبغ. ومع ان المواد الطبيعية تنتقى عموماً من مركبات تعتبر غير خطرة على البشر، فأن تقريراً عن التدخين والصحة أعده مساعدو الدكتور ريتشموند اشار الى ان هذا الاعتبار "لم يضمن ان المنتجات المهيأة على هذا النحو تبقى مأمونة بعد احتراق المواد التي تتألف منها."

وبما ان الاصناف ذات المحتوى المخفض من القطران تستلزم اضافة المطيبات المنكهة، ساور الدكتور ريتشموند شك في ان المنتجين ربما ادخلوا على التبغ مقداراً من الضرر يفوق ما انتزعوه منه. ومن المعروف انه في اختبارات طلي الجلد سبب القطران في صنف واحد على الاقل من السجائر "الملطفة" عدداً من الاورام في حيوانات الاختبار يوازي ما سببه صنف يحوي أعلى مقدار من القطران. وهناك قانون في الولايات المتحدة يلزم وزير الصحة والخدمات الانسانية دراسة الاخطار الصحية المرافقة لتدخين السجائر التي تحوي مواد اضافية، وتقديم تقرير في شأنها الى الكونغرس (البرلمان الامريكي). وفي يوليو (تموز) ١٩٨٠ اخطر ريتشموند، بموجب هذه الصلاحية، ستاً من كبرى الشركات المنتجة للسجائر الامريكية بوجوب تسليمه "لائحة بالمواد التي تدخلها الشركات على الاصناف التي تنتجها."

سموم سرطانية — كانت هناك سابقة دولية لهذا الطلب. فقد طلبت حكومتا

كندا وبريطانيا تحديد محتويات الاخلاط السرية في الاصناف المنتجة محلياً، وحصلتا، في نطاق من الكتمان، على التركيبات المطلوبة. كما ان سلطات المانيا الغربية تراقب المواد التي تضاف الى السجائر.

ولم يكن الدكتور ريتشموند يطلب الاطلاع على اسرار تجارية، فكل ما ابتغاه كان لائحة بالمواد المضافة الى التبغ. لكنه تلقى ردوداً مهذبة خالية من اي معلومات محددة. وعلى اثر كتاب آخر أرسل الى هذه الشركات في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠، وردت ايضاً اجوبة خالية من اي معلومات تفصيلية من شركتين هما: شركة التبغ الامريكية (اميركان توباكو) وشركة براون ووليامسون. فقد ارسلت الشركتان الى ريتشموند نسخاً من "لائحة الاضافات المسموح بها الى منتجات التبغ" وهي اللائحة التي نشرتها عام ١٩٧٥ اللجنة العلمية البريطانية المستقلة للتدخين والصحة، وهذه هيئة حكومية. ولم تذكر اي من الشركتين اذا كانت تستخدم هذه المواد المضافة.

حتى اللائحة البريطانية للمواد الموافق عليها، وهي تشمل نحو ٣٥٠ مادة، تضم عدداً من المواد التي تسبب السرطان في الحيوانات وقد تشكل خطراً على البشر، كالكومارين الذي يستخرج من نبات يعرف باسم ديبتاريكس (تونكا) او من اوراق الفانيلا البرية او يركّب اصطناعياً. وهذا يعطي دخان التبغ رائحة طيبة ومذاقاً يشبه طعم التبن المقتطع حديثاً. ولكن في اواسط الخمسينات، عندما اظهر الكومارين انه سام ويسبب تلفاً في انسجة الكبد واعضاء اخرى، شطبته دائرة الغذاء والدواء الامريكية من لائحة المواد التي تضاف الى الاطعمة والادوية "المعترف بأنها مأمونة."

وتتمسك الشركات الامريكية بهذه اللائحة في المواد التي تضيفها الى التبغ. وهي بدأت قبل سنوات قليلة تخفض استعمال الكومارين بعد الاجراء الذي اتخذته دائرة الغذاء والدواء. الا ان "الدليل الدولي لمشتري التبغ" للعام ١٩٨٢ يدرج اسماء ١١ مورّداً للفانيلا البرية، وعلى ذمة احد التقارير لا يزال الموردون يبيعون هذه المادة لشركات امريكية عدة.

بضع مواد مسموح بها في اللائحة البريطانية - مثل الكراميل والسكر المعدّل (نصف دكستروز ونصف ليفولوز) واليوجينول والغاياكول - هي اما مواد مساعدة في احداث السرطان واما انها تنتج مثل هذه المواد عند احتراقها او تدخينها (هذه المواد المساعدة تزيد كثيراً قوة المقادير الضئيلة جداً من المواد المسببة اصلا للسرطان). ويظن العلماء ان مادة اليوجينول ذاتها تسبب السرطان. اما خلاصة جذور الانجليكا المدرجة على اللائحة البريطانية فتحوي عناصر مسببة للسرطان، كذلك فان زيت قشر البرتقال يحدث اوراماً في الفئران. وعلى اللائحة البريطانية كذلك عدد من المواد، مثل دوديكان - ٥ - اوليد ونونان - ٤ - اوليد، التي تنتج مواد مسببة للسرطان عندما تسخن.

وعلى رغم ان اللجنة البريطانية تسرّعت الى مدى خطر في الموافقة على بعض السموم والكيميائيات المسببة للسرطان كمواد مسموح باضافتها الى السجائر، الا انها اظهرت حرصاً حكيماً في اعتبار واحد، اذ انها لم تقر الكاكاو وهو مطيب للتبغ عميم الاستعمال.

في اواسط السبعينات أجرى المعهد الوطني للسرطان في الولايات الامريكية اختبارات مختلفة على السجائر، ومن بينها صنف مطيّب بالكاكاو فقط تبين انه مسبب قوي للاورام. وفئران الاختبار التي طلي ظهرها بالقطران بعد ازالة الوبر عنه ظهرت عليها اورام جلدية. مثل هذه الاختبارات البيولوجية يفترض ان تشير الى الضرر الذي يصيب المدخنين. وهكذا، وعلى رغم ان مسحوق الكاكاو يوفر لنا شراباً صحياً، فأن دخان الكاكاو المحترق في اللفائف قد يكون خطراً.

ومع ذلك تبقى صناعة التبغ الامريكية مستهلكاً مهماً للكاكاو. ومن بين المطيبات الرئيسية التي يستخدمها مصنّعو التبغ، فان انواعاً مختلفة من الكاكاو تشتهر بصلتها ببعض اصناف السجائر الامريكية.

اسرار تجارية - المطيب الرئيسي الآخر في السجائر الامريكية هو عرق السوس. والواقع ان كل ما يستخرج من خلاصة عرق السوس في الولايات المتحدة، ومقداره ٥٥٠٠ طن سنوياً، يستهلك في صناعة التبغ. فهذه الخلاصة تعطي التبغ نكهة وتحفظه رطباً كما تحسن قابليته للاحتراق. وتحوي خلاصة عرق السوس حامض الغليسيريزيك وهو احد مصادر الهيدروكربونات الحلقية العطرة المسببة للسرطان.

السكر ايضا - سواء أكان مستخلصا من القصب ام الحبوب ام الشمندر ام الفواكه - هو مادة اضافية رئيسية في صناعة التبغ الامريكية ويؤلف نحو ٤ في المئة من وزن التبغ في معظم الاصناف التي تصنع في الولايات المتحدة منذ اوائل القرن العشرين. وعندما يحترق السكر مع التبغ فأنه يزيد في تكوين القطران. وهناك بعض اشكال السكر مثل الكراميل والسكر المعدل تنتج الكاتيكول عندما تسخن. وقد جاء في النشرات العلمية التي يصدرها ديتريتش هوفمان، مساعد مدير المؤسسة الامريكية للصحة، ان الكاتيكول هو المادة الرئيسية المسببة للسرطان المعروفة في دخان التبغ.

للاحتفاظ بالتبغ القديم قابلا للتصنيع وابقاء السجائر طرية، تضاف الى التبغ مواد مرطبة ومن بينها على نحو رئيسي مركبات الغليسرول والغليكول. وقد جاء في تقرير لمدير الصحة في الولايات المتحدة عام ١٩٧٩: "يرتاب الاطباء في ان مركبات الغليكول تزيد احتمال اصابة المدخن بسرطان المثانة."

والى ذلك يحوّل الاحتراق مركبات الغليكول مادة تدعى آكرولين، وهذه تخمد حركة الشعيرات الدقيقة في القصبة الهوائية التي تدفع بتحركها الدائم المواد المهيجة خارج الرئتين.

ونتيجة لذلك يزداد احتمال تعرّض المدخن للالتهاب الشعبي المزمن والانتفاخ الرئوي، وتصبح الرئتان معرضتين لفتك السموم والمواد المسببة للسرطان٠

وهكذا نرى ان معظم المطيبات والمطريات التي نعلم انها كانت تضاف الى التبغ طوال السنوات السبعين الاخيرة هي خطرة او، بأحسن تقدير، مريبة في ما يختص بالصحة البشرية٠ ثم ما شأن النكهات الاصطناعية المختلفة والعطور التي تم تطويرها من اجل تحسين مذاق اللفائف الجديدة ذات المحتوى المخفض في القطران؟ أتراها أشد خطراً من المواد المضافة التي نعرفها؟

هذه هي الاسئلة التي طرحها الدكتور ريتشموند والتي لم يتلقَّ اجوبة عنها٠

لقد ترك الدكتور ريتشموند منصبه٠ وحتى هذا التاريخ لم يتابع خلفه الدكتور ايفريت كوب ابحاثه في شأن المواد التي تضاف الى التبغ٠ ولكن لم يسمح للموضوع بأن يضيع في مزالق الاهمال٠ فقد تولى الدكتور ادوارد براندت الابن، مساعد وزير الصحة، والدكتورة جوان لووتو، رئيسة مكتب التدخين والصحة في الوزارة، متابعة الطريق التي اختطها الدكتور ريتشموند٠ وهما يواصلان المفاوضات مع اصحاب صناعة التبغ٠ وقد عينت ست شركات تبغ رئيسية ممثلين لها هما المحاميان هوراس كورنيغاي رئيس مجلس ادارة معهد التبغ وستانلي تمكو من شركة كوفنتون وبورلنغ٠

اجتمع كورنيغاي وتمكو غير مرة ببراندت ولووتو وقدما عرضاً بنشر لوائح بالمواد التي تضاف الى تبغ السجائر الامريكية٠ غير ان خطط صناعة التبغ معقدة وملأى بالتقييدات الهادفة الى حماية الاسرار التجارية٠ ويخشى رجال هذه الصناعة ان تضطر الحكومة الامريكية، بموجب قانون حرية الاعلام، الى افشاء ما تقدمه اليها الشركات من معلومات سرية٠

ومهما يكن، يبدو ان بداية ما تحققت وعلينا ان نتمسك بالأمل بأن الحكومات لن تنثني عن ملاحقة هذا الموضوع الحيوي بالنسبة الى صحة ملايين البشر٠ وكما قال الدكتور ريتشموند في الكتاب الذي وجهه في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠ الى صانعي السجائر في الولايات المتحدة: "اذا كانت المواد المستعملة لا تشكل خطراً داهماً او طويل الأجل، فلتعلن هذه الحقيقة على الملأ٠ اما اذا كانت تشكل خطراً بالفعل، فلنقلع عن استعمالها٠"

■ والتر روس



مصلحة الرؤوس

وضعت الملاحظة الآتية على واجهة محل لقص الشعر: "نحتاج الى رأسك من أجل ازدهار مصلحتنا"٠

ا٠ب٠

مشاهد واقعية من الحياة تثبت ان المؤسسة الزوجية ما زالت في عافية

عمرو ابيو تكم بالحبّ

وصل جهاد وسميرة الى الفندق منهكين. وكانت سميرة أعدت كلّ ما يلزم لحجز غرفة في الفندق وبطاقتين للحفلة الموسيقية ذلك المساء، وما فتئت طوال الطريق تخبر زوجها عن الاتصالات التي أجرتها في الفنادق قبل التمكن من حجز مكان.

وفي ردهة الفندق وقفا أمام الموظف المسؤول حيث عرفا، لخيبتهما، أن الحجز لم يتم. وسحب الموظف ملفاً من الدرج عثر فيه على رسالة سميرة التي تبين منها أنها ذكرت تاريخاً آخر.

وتقول سميرة: "كنتُ أظن أنّ جهاداً سيعطيني العقاب الذي أستحقه."

لكنه، عوضاً عن ذلك، طوقها بذراعيه وقال: "انزعي الهموم من رأسك يا حبيبتي. واخرجي لنبحث عن مكان آخر."

وأدركت سميرة اذ ذاك أنها تزوجت الشخص الذي لن يخذلها اذا هي أخطأت.

"أتذكر تلك الأمسية كلما تبادرت الى ذهني سيئات جهاد. وهي تذكرني حقاً بأني عثرتُ على الشخص الصحيح."

□ ترك كمال زوجته وأولاده ليتخذ له عشيقة. ألا أنّ سلوى، زوجته وأمّ أولاده، رفضت الطلاق، قائلة له أنها تحبه وانه في أعماقه الدفينة يكنّ لها الحبّ.

وذات صباح، عقب ليلة خالية من العاطفة في أحضان عشيقته، قاد كمال سيارته الى منزله الزوجي وأوقفها خارجاً. ومن النافذة أمكنه أن يرى زوجته تعدّ الفطور وتلبس الاولاد للذهاب الى المدرسة. ويتذكر ذلك بقوله: "كانت تفعل ما في وسعها لتبقي حياة الاولاد وحياتها،

وحياتي أنا أيضاً،سليمة من الاذى."
وهزته تلك المثابرة حتى الاعماق.
وفي ذلك اليوم نفسه طلب منها السماح له بالعودة الى البيت معترفاً أمامها بأنها كانت على حق وبأنه يحبها كثيراً.

□ نسيت عفاف موضوع المشادة بينها وبين زوجها، ولم يبقَ في ذاكرتها منها سوى أنها بدأت قبيل الفطور ولم تكن انتهت عندما همّ عادل بالانصراف الى عمله.

وصرخت فيه عفاف: "كيف يمكنك أن تدير ظهرك وتمشي؟ يجب أن نفضّ النزاع أولا."

وما كان من عادل ألاّ أن فعل ما لا يفعله معظم الرجال، خصوصاً اذا كان دافعهم الى العمل قوياً كدافعه. فقد خابر المكتب وألغى مواعيده كلها ذلك اليوم وقال لزوجته: "انّ علاقتنا أغلى من الوظيفة،" مبرهناً لها أنه على استعداد للتضحية بعمله من أجلها.

□ أُصيبت فاتن بمرض جلدي ترك لديها ندوباً وقتية يصاحبها صلع تامّ. الا أن ذلك لم يثنِ خطيبها عن اصراره على الزواج في شهر اغسطس (آب) كما كان مقرراً: "ربما متّ أنت أو متُّ أنا. فلنحقق العهد قبل فواتَ الاوان."

وتقول فاتن ان العريس "ينظر اليّ كما لو أن المرض لم يفعل فعله فيّ. واذ يقسم على أن يحبني في المرض كما في العافية، وأن يكرّمني طوال حياتي، لا يمكنني أن أحبس دموع الفرح لمعرفتي أني اخترتُ الشريك المثاليّ."

□ بعيد احتفال هناء ومكرم بعيد زواجهما السادس، احترق منزلهما وبات رماداً. وما أن سُمح لهما بالبحث عن البقايا الضائعة تحت الرماد حتى هرعت هناء تفتش عن مجموعات الصور الفوتوغرافية. وركضت الى مكرم تزفّ بشرى العثور على الصور، فوجدته مكباً فوق حفنة رماد يرفع من تحتها رسائلهما المتبادلة في فترة الخطبة ويضعها بتؤدة في علبة بعد نفض الغبار عنها.

وتقول اذ تتذكر ما حصل: "عندما شاهدتُ زوجي راكعاً فوق الرماد، أيقنتُ أن واحدنا وُجد للآخر. فها نحن، أمام تلك المأساة العظيمة، نعطي الامور المعنوية أولوية على الماديات. ولما ركعتُ الى جانبه كي اساعده في انقاذ الرسائل، أدركتُ أننا لم نفقد شيئاً ذا أهمية."

□ هناك رغبة رافقت أنور طوال ماضيه، وهي أن يتسلق جبلا. وانطلق لتنفيذ رغبته يوماً، فسقط بالحبل عن علوّ مئة متر واصطدم رأسه بالارض. وعندما أخبرت زوجته بالحادث والخطر المحدق بزوجها، طرحت سؤالا واحداً هو الآتي: "عندما هوى، أكان صاعداً أم نازلا؟"

وأبلّ أنور من الحادث بعد أسابيع، وأُعلم برد فعل زوجته على خبر سقوطه. وهو يقول: "لقد هز تقديرها أعماقي. فهي نسيت خطر الترمل الذي يتهددها لتتأكد من أني انتصرتُ قبل أن أُهزم. وأني لن أنسى، ما حَييت، افتخاري بموقفها الذي ينطوي على الحبّ والشهامة."

□ جلس أحمد على المقعد الوثير قبالة النافذة، وهو المقعد الذي فرغت زوجته صباح لتوها من تلبيسه بقماش مخملي أنيق. وراح يحدق الى المطر ينهمر فوق أوراق الخريف. وملأه ذلك المشهد بالتأملات، واذا به يترك سيجارته تسقط سهواً على الغطاء الجديد وتحرقه.

وكان ذلك، بالنسبة اليه، رمزاً للعدمية التي تميز الحياة: أوراق الشجر تسقط في الخارج والغطاء يحترق في الداخل. وما أن رأت صباح ما حصل حتى مررت خيطاً في أبرة وجعلت تخيط البقعة المحروقة حتى استحالت زهرة جميلة ملونة.

ويقول أحمد: "عندئذ أدركتُ أن لديّ امرأة من شأنها أن تمسك بي وترفعني من هوة الليل المحيق." لقد عرف أنه تزوج امرأة ترتق ما تمزق وتعمر البيوت.

□ لا نكير أن بعض أعمق المشاعر تثيره أصغر الامور. فحين مُنع الزوج من حضور عملية ولادة طفله، وجد طريقه الى غرفة التوليد متنكراً في زيّ معاون طبي. وهناك رجل آخر سمع زوجته تتكلم في نومها عن رقائق الحلوى، فهرع الى محلّ الحلويات في الصباح الباكر واشترى لها ما اشتهته في أحلامها.

وقد عَهد الى هيام في تحضير حلوى بالشوكولاته لحفلة عشاء مشتركة. لكنّ القالب الذي صنعته جاء غريباً في شكله ومذاقه.

ولما ذهبت وزوجها الى العشاء ووضع القالب على الطاولة، حمله زوجها حازم قائلا: "انه أشهى ما ذقتُه في حياتي. لذلك اسمحوا لي بأن أتناوله كله، واني لن آكل شيئاً سواه."

وتتذكر هيام ما حدث باعتزاز: "جلس حازم في زاوية من الغرفة وشرع يأكل قالب الحلوى ولا يترك منه قطعة صغيرة تسقط لئلا يذوقها الآخرون فيكشفوا السرّ."

وتلك هي فكرة هيام عن الزوج الصحيح: "ذاك الذي يهبّ الى نجدة زوجته. وبادرة حازم كانت خير برهان على أني عثرتُ على الرجل الذي يحميني."

■ جوديت فيورست



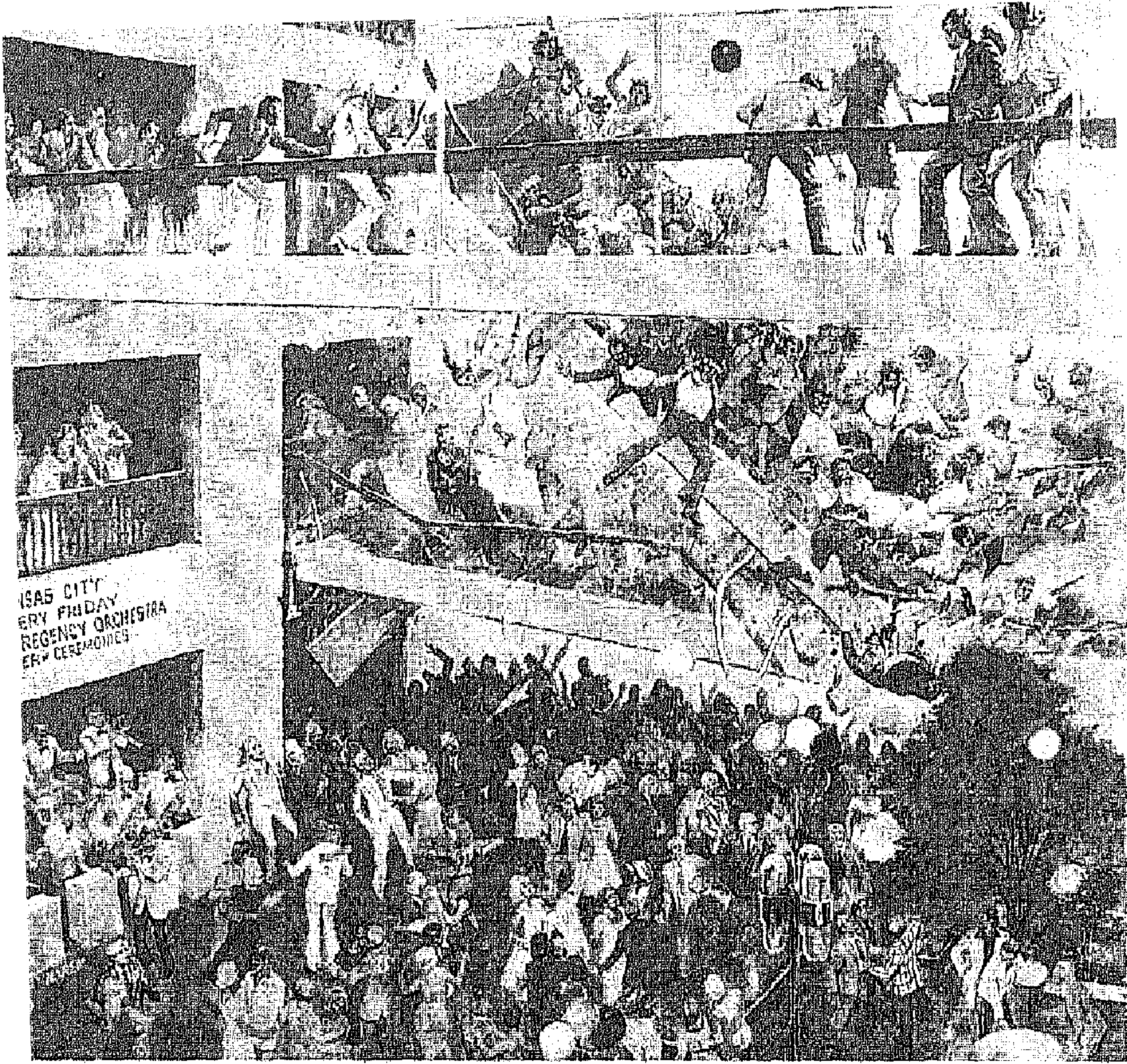
عريس تحت الطلب

كانت احدى المحاكم تعقد جلسة للنظر في قضية طلاق. وفجأة انفتح باب المحكمة على مصراعيه ودخلت امرأة أخذت تصرخ في وجه محاميها وتقول:

"إني أكره جميع المحامين، وأنت بينهم. كما أكره زوجي السابق، وهو محام أيضاً. ولا ريب في أني سأتزوج من جديد، لكن زوجي لن يكون محامياً هذه المرة. وربما تزوجتُ طبيباً..."

وهنا اوقفتها امرأة اخرى دخلت الغرفة، وربتت على كتفها قائلة: "اذا انتظرتِ عشر دقائق هنا، فسيأتيك طبيب برسم الزواج".

ك.ك.



كان الفندق يعج بالساهرين، فجأة حدث انهيار عظيم وباتت المئات تحت الركام

ليلة في الجحيم

كان المحامي الجنائي جيمس ماكمولن نازلا على سلم كهربائية من أحد مطاعم فندق حياة ـ ريجنسي في مدينة كانساس الامريكية الى الطبقة الارضية في الفندق، ورأى تحته ردهة الفندق الفخمة تعجّ بما يربو على ١٥٠٠ شخص جاؤوا يشاركون في حفلة الشاي الراقصة التي تقام بين

الخامسة والثامنة مساء من كلّ يوم جمعة. وكان الحاضرون يملأون حلبة الرقص في الردهة، كذلك شرفاتها المعلقة التي ترتفع خمس طبقات وتحميها أسوار من الزجاج الكثيف ترتفع حتى الخصر.

ولما وضع ماكمولن قدميه على الارض كانت الموسيقى في أوجها والناس يرقصون، وذلك في السابعة والدقيقة الخامسة من مساء الجمعة ١٧ يوليو (تموز) ١٩٨١.

وفجأة سمع أصوات تكسُّر والتواء يرافقها صياح شديد. ولم يصدق وهو يرى شرفة الطبقة الرابعة تنشق عند نصفها وتهوي الى أسفل بمن تحمل من الحاضرين. وقبل سقوطها أرضاً، صدمت شرفة الطبقة الثانية وأنزلتها معها بمن فيها أيضاً. ويتذكر ماكمولن أن الدهشة التي أصابت الناس "لم تترك وقتاً للصراخ. وانهال الزجاج المتطاير والرّكام فوق الطاولات والناس على مسافة ثلاثين متراً."

ولما خفتت أصداء الانهيار المريع، هيمن صمت غريب على المكان. وما لبث الزعيق والنواح والعويل أن تصاعدت من الضحايا الذين قبعوا تحت مترين من الركام. وهرع ماكمولن الى مكان الكارثة وهو يقول لنفسه: "يا إلهي! ينبغي أن نساعدهم." وكاد أن يشرق بالغبار مع سواه ممن عاينوا الحادث. وحاول هؤلاء رفع أجزاء الشرفتين الهاويتين، ولكن من غير جدوى. ذلك أن كلا من الجسرين، وهو يوزن نحو ٣٦ طناً، انشق أربعة أقسام اختلطت بعضها ببعض، باستثناء قطعة صغيرة تدلت من شرفة الطبقة الثانية.

ويقول ماكمولن الذي كان ضابطاً بحرياً في الجيش الامريكي خلال الحرب العالمية الثانية: "كانت تلك الكارثة أسوأ من كلّ شيء رأيتُه في المعارك. لقد نتأت الأذرُع والسيقان والأجساد المشوّهة من بين الحطام، ورحنا نحفر ونرفع من غير أن نصل الى مكان. وأخذ الرجال، وأنا بينهم، يصرخون خيبة ويأساً."

الطوارىء — افتُتح فندق حياة — ريجنسي في كانساس الذي تملكه شركة هولمارك قبل عام من الحادث. وقد بلغت كلفته خمسين مليون دولار. وجُعلت ردهته الفسيحة على طراز ريجنسي الفذ الذي استهلّته مجموعة فنادق حياة عام ١٩٦٧ في مدينة اطلنطا، عاصمة ولاية جورجيا. وبلغ فرع كانساس مبلغاً معمارياً رفيعاً جعل المدينة أحد مراكز المؤتمرات العشرة الرئيسية في الولايات المتحدة. وجاءت حفلات الشاي الراقصة مساء كلّ جمعة لتضع الفندق في طليعة المراكز الاجتماعية الشعبية في المدينة وجوارها.

بعد سقوط الشرفتين خيم الذهول على الشهود العيان ثلاث دقاق كاملة، رفع بعدها أحد الموظفين سماعة الهاتف ليعلن بصوت يملأه الرعب: "أرجوكم أن تأتوا الى حياة ريجنسي! فندق حياة ريجنسي! على الفور! شرفتان معلّقتان... مليئتان بالناس... وقعتا... على الفور! حياة ريجنسي."

وما هيَّ الاَّ ثلاث دقائق حتى وصلت سيارة الاطفاء الاولى الى المكان. ولم يدرِ الكابتن جوزف توماس ما ينتظرهُ وهو يدخل من الباب الدوّار. ووقف برهة وهو ينظر بلا حراك الى الخراب أمامه. ثمّ سحب جهاز الراديو وبث النداء الآتي بصوت متهدج: "الطوارىء! النجدة! الردهة الامامية. هناك اناس كثيرون تحت الانقاض. اننا نحتاج الى معدات ثقيلة لرفعهم، كذلك الى سيارات إسعاف."

وانتشرت أنباء الكارثة سريعاً في المدينة. وأسرع عمال البناء من ورشة قريبة كانوا يعملون في نوبة مسائية، وفي أيديهم ثقابات يدوية ومعدات اخرى. وفيما رفع متطوعو الانقاذ من أمكنهم رفعهم، راحت سيارات الاجرة وحافلات النقل العمومية والسيارات الخاصة تصطف خارجاً، ومعها طائرة مروحية وسيارات اسعاف معاونة لإخلاء الجرحى.

وتجدر الاشارة الى أنّ المدينة كانت مؤهلة لمواجهة ذلك النوع من الكوارث، اذ لم تنقضِ خمسة أشهر على اقرار خطة لمواجهة الطوارىء. وبرهنت تلك الخطة عن فاعليتها في حادثين وقعا قبل بضعة أسابيع.

وخلال نصف ساعة تجمهر مئتا شخص (أصبحوا ألفاً في ما بعد) من اطفائيين ورجال شرطة وأطباء وممرّضين ومتطوعين من الصليب الاحمر وراحوا يحاولون بلا كلل رفع الاحياء والموتى والمنازعين من تحت الانقاض.

وبعد احضار العدة الثقيلة وتسليط الانوار الكشافة على المكان، غدت الردهة مشبعة بالحرارة والرطوبة الخانقتين. واختلط العَرق والدمع والدم بالمياه الراشحة من الانابيب الممدودة داخل سقف البناء. وفي الثامنة والنصف مساء كان متطوعو الانقاذ أرسلوا الى المستشفيات مئة شخص من ضحايا الحادث، كُتبت لهم جميعاً الحياة.

صوت داخلي – الحظ كان العامل الأكبر في انتشال الضحايا التي أُنقذت حياتها تلك الليلة. وقد أُصيبت شابة بكسر في ذراعها، في حين شُلّت شقيقتها التي كانت تقف على بعد سنتيمترات منها من العنق الى أسفل. وهناك موظف في الفندق بقي سالماً من كلّ أذى، على رغم أن الشرفتين الهاويتين استقرّتا على بُعد مترين منه. وهو يصف المشهد بالآتي: "لقد مزق الزجاج جسد فتاة على مقربة مني وبقيت بوعيها التام. وعَلِقَ رجل من خصره وقد سحنت بلاطة ثقيلة الجزء الأسفل من جسمه. ان بعضهم نجا، لكن البعض الآخر أُصيب. ولا يصدّق العقل كيف، في برهة قصيرة، تغيرت حيوات وانتهت اخرى."

وبين الضحايا محام في الثالثة والاربعين اسمه اد بيلي. هذا عَلِقَ ورفيقته شيلي ماكويني ساعات تحت ثقل الشرفتين. وهو سمع دويّ التصدع، ولكن لم يمكنه أن يتقي الخطر. ويتذكر ما حصل قائلا: "فجأة ارتفع صوت هائل، ثمّ لفنا ظلام حالك وبتنا عاجزين عن الحراك.

وكان في وسع المرء أن يسمع الناس وهم يصلون ويتضرّعون ويطلبون النجدة ويهتفون بأسماء أحبائهم. وأمكنني أن ألمس بعض من حولنا، فوجدتهم مائتين. أما نحن الاثنين فقد عصرنا ألم مبرح.»

وهناك دون وكوني داونينغ وابنهما دالتون البالغ الحادية عشرة الذين لم يبلغهم أيّ صوت. وتقول كوني: «في لحظة كنا نراقب مباراة الرقص، وفي اللحظة التالية دُفِنا أحياء. وأحسستُ كأن شاحنة نفايات ألقت حمولتها فوقنا.» وأمكنها أن ترى دالتون الى جانبها، وأحسّت يده تشد يدها. لكنها لم تعرف أنّ زوجها، وهو على بُعد خطوات، نجا هو الآخر.

ان معظم الضحايا الذين كانوا تحت الشرفتين مباشرة لم تكتب لهم النجاة. وراوحت أعمار القتلى بين فتاة في الحادية عشرة وأرمل في الثمانين. ولقي ١٨ رجلا مصرعهم مع زوجاتهم.

ومن غرائب الامور أن الأب جيمس فلاناغان، وهو كاهن في السابعة والخمسين، ظلّ أسابيع قبل الكارثة يأتيه نذير بالموت. ولما استدعي لاجراء الواجبات الدينية الأخيرة للذين كانوا على أبواب الموت في فندق حياة، أدرك أنّ هاجسه تحقّق. غير أنّ هول المنظر فاق تصديقه وهو يدخل الردهة. ووقف يتضرّع الى الله قائلا: «أرجوكَ يا إلهي، امنحني القوة.»

وما فتىء الأب فلاناغان، طوال تلك الليلة المشؤومة، يزحف من مكان الى آخر بين الركام، يعزي ويبارك ويمسح بالزيت المقدّس. ويقول: «حيثما كنتُ أنظر، كنتُ أرى شخصاً ذا إصابة بالغة أو أسمع صوتاً يدعوني الى تعزية أحدهم في محنته. وبدا أن الكارثة ضربت من غير تمييز أو رحمة.»

وبعد دقائق من وصول الدكتور جوزف واكيرل (٣٥ سنة) رئيس قسم الطوارىء في المستشفى المعمداني الى موقع الحادث، سمع كبير المعاونين الطبيين، جيم تيلور، يدعوه قائلا: «الى هنا! الى الرّدهة.»

وباشر الاثنان عملا استغرق الليل كلّه، وهو الزحف بين الركام وفصل الأحياء عن الموتى. ووصف واكيرل العذاب لاحقاً كالآتي:

«كان الظلام مخيماً فوق المكان، تتخلله بعض أنوار منبعثة من المصابيح القوية. ووقفنا وسط اناس مسحوقين ومشوّهين، ونحن نسمع حولنا من كل جانب ضجيج آلات الضغط ومولدات الكهرباء والمناشير والثقابات.

«وكانت الروائح والمناظر والاصوات تحمل الموت من كلّ جانب. ومن الغريب أنّ أياً منا استطاع العمل. غير أن الجميع، من اطفائيين وأطباء وعمال بناء ورجال شرطة ومتطوعين، أدوا عملهم على خير وجه.»

أصحاب النخوة — طوال ذلك الليل الرهيب كانت القوة التي دفعت مئات المتطوعين الى العمل أملهم في العثور على ضحية اضافيّة ينقذونها.

وكلما حصل ذلك، كان الهتاف يعلو في القاعة ويحفز الرجال على العمل، علّ شخصاً آخر يبرز حياً من بين الانقاض٠

وبث المحافظ نداء واحداً عبر الاذاعة للتبرّع بالدم، فكان أن تدفق أكثر من ٨٠٠ شخص على مركز الدم في المدينة٠ واكتظت الشوارع بحركة السيارات الى حد أن المسؤولين حاولوا ثني أكبر عدد ممكن عن التقدم بحجة أن الوصول الى المركز يستغرق ثلاث ساعات في تلك الظروف٠ غير أن أحداً لم يبارح مكانه، بل ازداد عدد المتبرعين بدمهم٠ وكانت الساعة العاشرة والنصف ليلا٠

وعندما أعلن الرجال داخل الفندق عن حاجتهم الى آلات اضافية، فتحت المتاجر أبوابها ودعاهم أصحابها الى أخذ كل ما يحتاجون اليه من غير حساب٠

وفي التاسعة والنصف ليلا أُخذت آلة رفع وآلة حفر وبضع شاحنات ثقيلة نحو الفندق، وأوقفت عند مدخله الرئيسي وحائطه الغربي٠ وعقد العمال أسلاكاً حول الابواب المتحركة، ثم سحبوها من مكانها بآلاتهم٠ وهذا مكن الشاحنات من دخول الرّدهة، حيث بدأ الموظفون يزيلون بحذر شديد الاجزاء العالقة من الشرفة العليا٠ عندئذ ارتفعت الاصوات من تحت الركام، فيما راح المتطوعون يشجعون المنكوبين ويمدون نحوهم خراطيم الهواء٠ وراحت الثقابات تعمل من جديد وتوسّع مكاناً يستطيع واكيرل أن ينفذ منه٠

ويقول اد بيلي: "تلك الثقابات أخافتني أكثر من اي شيء آخر٠ فقد بدا من صوتها أنها على بعد سنتيمترات من رؤوسنا٠ وكنت أخشى أن تنقض علينا فجأة وتمحونا٠" لكن المنقذين استخدموا تلك الادوات بدقة تفوق التصوّر٠

وسمع بيلي شخصاً يصيح: "اننا على وشك الوصول اليكم٠" وللحال أحس عصفة هواء منعش تسقط عليه، وامتدت يدان اليه، لكنه ظلّ مقيّداً في مكانه٠ وأزاحت الجرافة ما بقي من ركام فوقه٠ ولما رُفعت البلاطة عنه ونُشل من سجنه، شاهد امرأة تقوم هي الاخرى من جانبه٠ ثم تبين ملامحها جيداً، فوجد أنها ميتة وأنها كانت ملتصقة بالبلاطة كما بمادة دبقة٠ ويتذكر ذلك قائلا: "في تلك اللحظة أدركتُ كم كنا محظوظين، انا وشيلي٠"

اللحظة المرعبة ـ بينما كانت كوني داونينغ وابنها دالتون عالقين في جيب تحت عارضة هاوية، سمعا تكسُّر الزجاج من جراء دخول الشاحنات الردْهَة٠ ولما سمعا التعليمات اللاحقة، خشيا أن يقضيا تحت الركام٠ فصرخ دالتون طالباً النجدة، وهو يحاول ايصال صوته الى أحد المتطوعين هناك٠

وسمع الاطفائي مايكل تريدر صوت دالتون، وتوجه فوراً الى مصدره٠ وبقي ساعتين يتحدث الى الصبي ويطمئنه الى أن الاصوات التي يسمعها هو وأمه تحمل الرجاء لهم جميعاً٠ وكانت الساعة تجاوزت

الثانية فجراً عندما أكملت الرافعات ازاحة ٦٨٠٠ كيلوغرام من الركام وفتح منفذ الى السيدة داونينغ وولدها وتحريرهما. وفي الرابعة والنصف فجراً أعتق آخر الاحياء من تحت الركام. الا أن العمال أكملوا مهمتهم طوال ساعات الصباح، علهم يعثرون على حي آخر.

وفي نحو السابعة والنصف صباحاً، بينما المطر يسقط رذاذاً في الخارج، اختبر رجال الانقاذ أسوأ جانب في مهمتهم. فبعد تسع ساعات من العمل الشاق انتهت برفع الجزء الاخير من الشرفة الهاوية، كان الرجال يتوقعون العثور على جثث قليلة اضافية. غير انهم وجدوا إحدى وثلاثين جثة.

ويتذكر الاب فلاناغان ذلك بقوله: "وقف المتطوعون يهتزون أمام ذلك المشهد كأوراق الخريف. ويبدو أن ذلك ثبط عزائمهم."

وفي النتيجة، تجاوز عدد الضحايا الثلاثمئة، وفي عدادها ١١٤ ميتاً. ووصفت السلطات الامريكية تلك الكارثة، في ضوء عدد القتلى والجرحى بأنها "أسوأ حادث من نوعه في الولايات المتحدة."

ولا شك في أن عبء المصيبة الاكبر وقع على مدينة كانساس التي كانت مسرحاً للكارثة. والفرق بين ذلك الحادث والاحداث الاخرى، ومنها تحطم الطائرات وحرائق الفنادق، أن أكثر من ٩٠ في المئة من ضحاياه كانت من المنطقة نفسها. ويبدو أن كل شخص في كانساس تعرف على واحدة أو أكثر من الضحايا. وعلق المحافظ ريتشارد باركلي على الحادث بالآتي: "لقد بدا ذلك مثل كارثة عائليّة."

خطأ فادح – في المكتب الوطني للمقاييس والموازين، وهو المؤسسة المسؤولة عن مواصفات البناء والخلل الذي يصيب الابنية، تمت دراسة عينات من شرفتي الفندق الساقطتين بعد الحصول عليها باذن من المحكمة. ولم يجد الخبراء في المواد أو في تركيبها أي هفوة من شأنها أن تؤدي الى ما حصل. ولكن تبين لهم أن الخطأ الفادح يعود الى التصميم الاساسي والى تعديل أدخل عليه لدى تنفيذه.

لقد صُممت الشرفتان الثانية والرابعة بحيث تشدهما الى السقوف حمالات متصلة تبلغ كثافتها ثلاثة سنتيمترات. وبما أن ذلك يستغرق وقتاً، فقد ارتأى أحدهم لدى التنفيذ اللجوء الى طريقة أسهل. وهكذا أنجز تعليق الشرفة الرابعة بالسقف تبعاً للخطة المرسومة، أما الثانية فقد شدت الى الرابعة بدلا من شدها الى السقف، مما ضاعف الثقل على الشرفتين معاً عند بعض النقاط. وجاء تقرير مكتب المقاييس الموازين واضحاً، وهو أن الشرفتين كانتا معرضتين للسقوط منذ انجازهما على ذلك النحو، وان سقوطهما حدث في أسوأ ظرف ممكن.

ولكن على من تقع تبعة ذلك؟

ان التعديلات التي أدخلت على التصميم الاساسي شارك فيها مدير مصنع الفولاذ وراجعها المهندس المعماري ومهندس البناء والمتعهد.

غير ان ادوارد فرانغ الذي رأس لجنة خبراء مكتب المقاييس والموازين، يقول: "ان أي مهندس يزاول المهنة لا يمكن أن يخفى عليه أن ذلك التعديل يتجاوز قوانين البناء المعتمدة في مدينة كانساس."

والمؤسف أن التصميم المعدل لم يخضع لاي مراجعة قانونية. فالقانون المحلي لا يقتضي ذلك. لكن التقرير المذكور يقول ان التصميم الاساسي الذي وافقت عليه المراجع المسؤولة لم يكن يجاري القوانين المرعية. وقد رفعت دعاوي كثيرة حتى الآن، غير أن الراجح أن تبقى المحاكم سنوات قبل التوصل الى تحديد المسؤولية الفردية.

ترى أيعقل أن تتكرر هذه المأساة؟

لقد حذر المسؤولون في ولايات كثيرة من أن ما حدث في مدينة كانساس يمكن أن يحدث في أي مكان آخر. وبالتالي دعوا الى مراجعة قوانين البناء على نحو دقيق صارم.

وتجدر الاشارة الى أن المعهد الامريكي للمهندسين المعماريين أنجز، قبل شهرين من وقوع كارثة حياة - ريجنسي في كانساس، دراسة مستفيضة للابنية المعدة للاستعمال وقتاً طويلا، خصوصاً تلك المعرّضة للاخطار. والدافع الى تلك الدراسة كان سقوط عدد من تلك الابنية في الآونة الاخيرة. الا أن عدد القتلى كان ضئيلا في تلك الحوادث، لان عدد الحضور نفسه كان قليلا. ويحذر ذلك التقرير من أن "العاقبة لن تكون سليمة كل مرة."

وفي الاول من اكتوبر (تشرين الاول) (١٩٨١)، أعيد افتتاح فندق حياة - ريجنسي في مدينة كانساس بعد إقفاله ثلاثة أشهر تم خلالها تجديده تبعاً لبرنامج كلف خمسة ملايين دولار. وكانت لجنة من أرفع الخبراء تفحصت البناء زاوية زاوية، واقترحت إدخال تعديلات هنا وهناك. وقُويت السطوح والجدران وعوازل الحريق. وأقيم مكان الشرفتين الهاويتين شرفة واحدة متينة، مرتكزة على عشر دعائم ومؤسسة على صخر متين. وربما أمكن القول ان هذا الفندق اليوم هو من أكثر الابنية أماناً في العالم. ومن العسير أن يصدق المرء أن كارثة حدثت هناك قبل وقت قصير.

غير أن ذكرى تلك الليلة الرهيبة لا تزال حية في أذهان سكان المدينة. ويقول ماكمولن: "إنها ليلة لن ينساها أحد قط... ليلة لا يجوز أن تعيد نفسها البتة في أي مكان."

■ اميلي وبير اولا دولير

القانون

القانون يستحق" بعض المحبة لانه عادل وبعض الخوف لانه قاسٍ وبعض الكره لانه - الى حد" - من مخلّفات الماضي وبعض الاحترام لانه ضروري".

ا.ف.

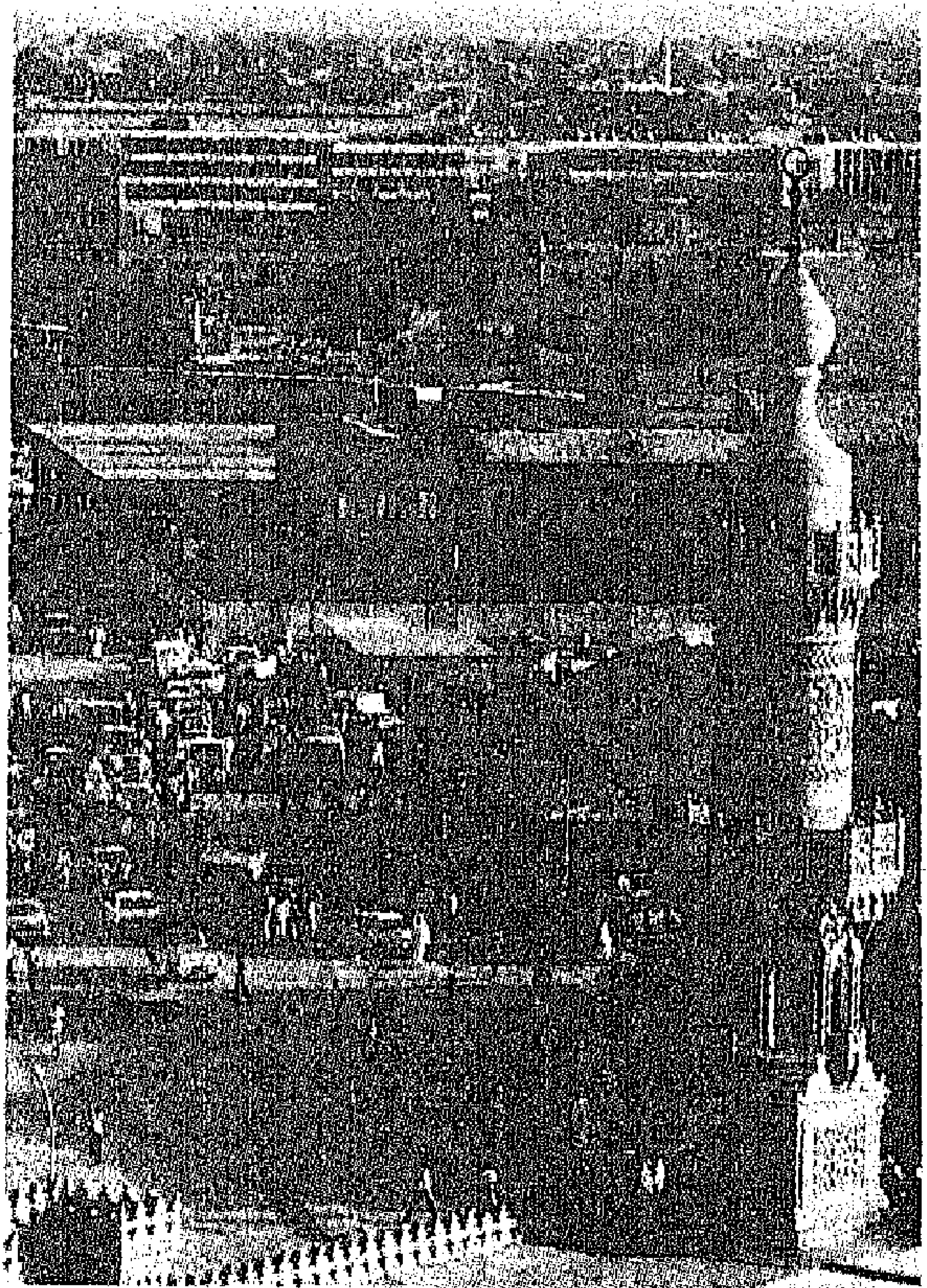
السودان أرض الخيرات

عندما انهت بريطانيا ومصر حكمهما الاستعماري للسودان عام ١٩٥٦ نشبت حرب أهلية دامية بين الشمال والجنوب استمرت ١٦ سنة. وما زالت بعض مشاعر المرارة تشوب النفوس من اثر ذلك الصراع الذي خلّف نصف مليون قتيل و٧٥٠ الف مشرد.

هذا الصراع فتح الباب للتدخل الاجنبي. وعلى غرار مصر في ذلك الوقت أصبح السودان حليفاً للاتحاد السوفييتي. وفي العام ١٩٦٩ تسلم جعفر نميري الحكم على اثر انقلاب عسكري. وبعد سنتين وقعت محاولة انقلاب يسارية ضده، لكنها اخفقت. فقطع النميري تحالفه مع الاتحاد السوفييتي.

وقد استطاع النميري بقوة شخصيته ان يحفظ وحدة بلاده المتفسخة. وقال لي احد السياسيين: "اذا حدث للنميري مكروه، فقد ينشب القتال مجدداً. انه الغراء الذي يجمعنا."

الخرطوم عصراً. زحمة السيارات والشاحنات والمارة عند مفترق طرق. والى اليسار مئذنة الجامع الكبير.



كالرعد اصطدمت الباخرة الثقيلة بضفة نهر النيل. لكن الربان حسن ناصر، وله خبرة ٢٠ سنة في الملاحة النهرية، كان يعرف كيف يقود سفينته في تلك المنعطفات التي لا يزيد عرضها على عرض السفينة الا بعشرة امتار. وكان الاصطدام جزءاً من تقنية الملاحة. وارسل الربان اشارة الى غرفة المحركات، واذا بالعجلات الخلفية الكبيرة تعيدنا

بعنف الى الوراء. وبعد اندفاع امامي تمكنا من اجتياز المنعطف.

قال الربان ناصر: "انه عمل صعب، والسفينة بطيئة. ولكن هذا هو السودان. بالعمل الجاد سنزدهر يوماً ان شاء الله."

كنا عند الفجر غادرنا جوبا عاصمة الاقليم الجنوبي. وكنت جالساً في غرفة القيادة مع الربان ومعاونيه، فقال لي الدليل محمد: "السودان بلد كبير جداً. وأحياناً أظن انه اكبر مما ينبغي. بعض الناس يقولون انه يجب ان يصبح بلدين، الشمال والجنوب. ولكن ما جدوى ذلك؟ النيل هو الخيط الذي يربط بيننا، ولا يمكن قطعه."

السودان في الواقع اكبر بلدان افريقيا، وتزيد مساحته على مليونين ونصف مليون كيلومتر مربع. لكن عدد سكانه لا يتجاوز ١٨،٩ مليون نسمة. واسمه متحدر من التسمية العربية القديمة "بلاد السودان" وتعني "ارض السود." وهي كانت اصلا تطلق على المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى. لكن البلاد الحديثة تضم العرب والسود وتمتد من الصحراء القاحلة على حدود مصر عبر الاراضي الغنية بالمراعي الى "السد" وهو المستنقع الضخم الذي يغذيه نهر النيل ويفيض حتى يبلغ اتساعه مساحة دولة النمسا. والى الجنوب في محاذاة يوغندا تمتد الغابات الماطرة والجبال العالية الخضراء. هذه البيئات المتباينة هي موطن اكثر من ٥٠٠ قبيلة تتخاطب بأكثر من ١٠٠ لهجة.

الطواف في السودان ليس مهمة سهلة. وفي رحلة سابقة انطلقت من جوبا شمالا بسيارتي المتينة حتى بلغت ارض المراعي الواسعة قرب السد. ذلك هو موطن قبيلة الدنكا التي يعيش افرادها في اكواخ متفرقة خلال فصل الامطار ويحتشدون في فصل الجفاف في مخيمات يجمعون فيها المواشي على حافة المستنقع. وقدتُ سيارتي عبر تلك الارض حتى لاح لي الدخان المتصاعد من مخيم المواشي.

عندما وصلت الى المخيم رأيت عدداً من الرجال والنساء جالسين يتحادثون. قال احد الرجال: "هذه هي الحياة المثلى. هنا نجد الحليب الوفير ونحن احرار في فضاء وقتنا مع القطعان." ان عجلة الحياة بالنسبة الى ابن الدنكا تدور حول مواشيه. وعندما يبلغ أشده فانه يتخذ لنفسه اسماً مستوحى من اسم احد عجول ابيه. وفي مقابل رؤوس الماشية يتزوج ويدفع الضرائب. كما توفر الماشية اللحم والحليب للعائلة.

واو مدينة كبيرة في بلاد الدنكا تقوم فيها مشاريع تطوير عدة، بعضها قابل للنجاح مثل مشروع الري القروي لحفر الآبار في القرى النائية والمستشفى الالماني للجذام الذي يعالج فريقه الطبي المرض المريع ويرشد الاهالي الى طرق الوقاية منه.

حياة البداوة ـ الى الشمال من واو دخلت بلاد النوير، وهم شعب يعيش على تربية المواشي مترحلا بين السهول والمستنقعات بحسب الفصول. وفي جوار بنتيو، وهي مدينة صغيرة على "بحر الغزال" أحد

روافد النيل الابيض، بلغت طريقاً ترابية واسعة ممهدة شقتها هدية الى البلاد شركة "شفرون" التي تنقب عن النفط في تلك المناطق.

ظل النوير طوال قرون معزولين في مستنقعاتهم. اما اليوم فهناك شاحنات وجرافات وطائرات عادية ومروحية لشركة "شفرون" في كل مكان من ارضهم. لن تبقى الحياة في هذه الديار كما كانت من قبل. وقد قال لي موظف امريكي في الشركة: "بعض هؤلاء العمال الذين تراهم على الحفارة الآن جاؤوني ذات يوم عراة حاملين رماحهم، وطلبوا مني ان اوفر لهم عملا. انهم اليوم قادرون على تشغيل اي حفارة في اي مكان من العالم."

لشركة "شفرون" ثلاثة ابراج حفر تستكشف منطقة امتيازها في السودان. وهي عثرت على بعض النفط، وتخطط لانشاء مصفاة ومد خط أنابيب. وحجم المخزون النفطي غير معروف، ولكن حتى اذا كان الموجود منه لا يكفي الا لسد حاجات البلاد، فانه سيحرر مقداراً من المال يصرف على التنمية. فالسودان يخصص حالياً ٨٠ في المئة من عائدات صادراته لشراء النفط.

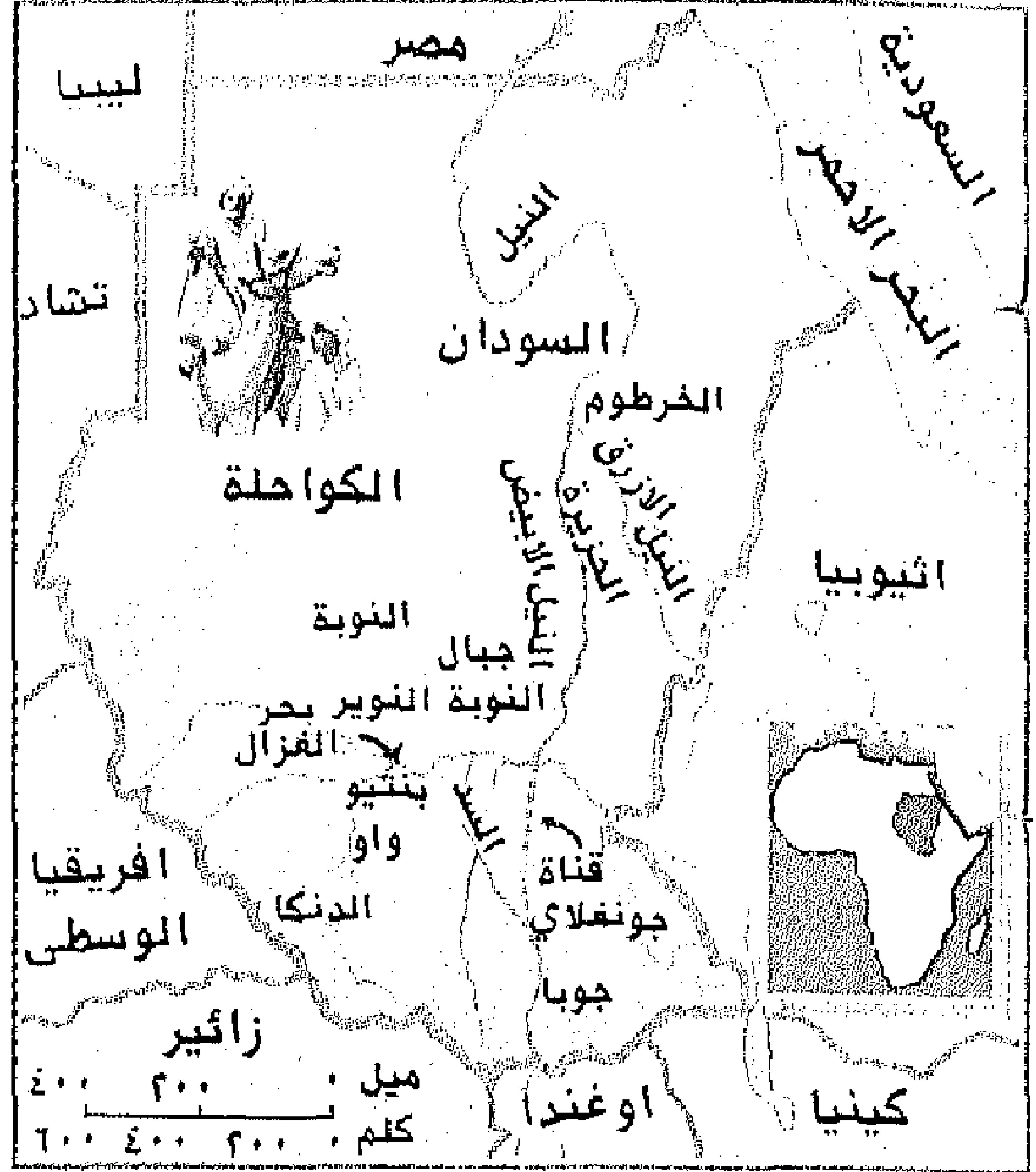
الى شمال بنتيو تنتهي مراعي النوير المنبسطة الى جبال النوبة.

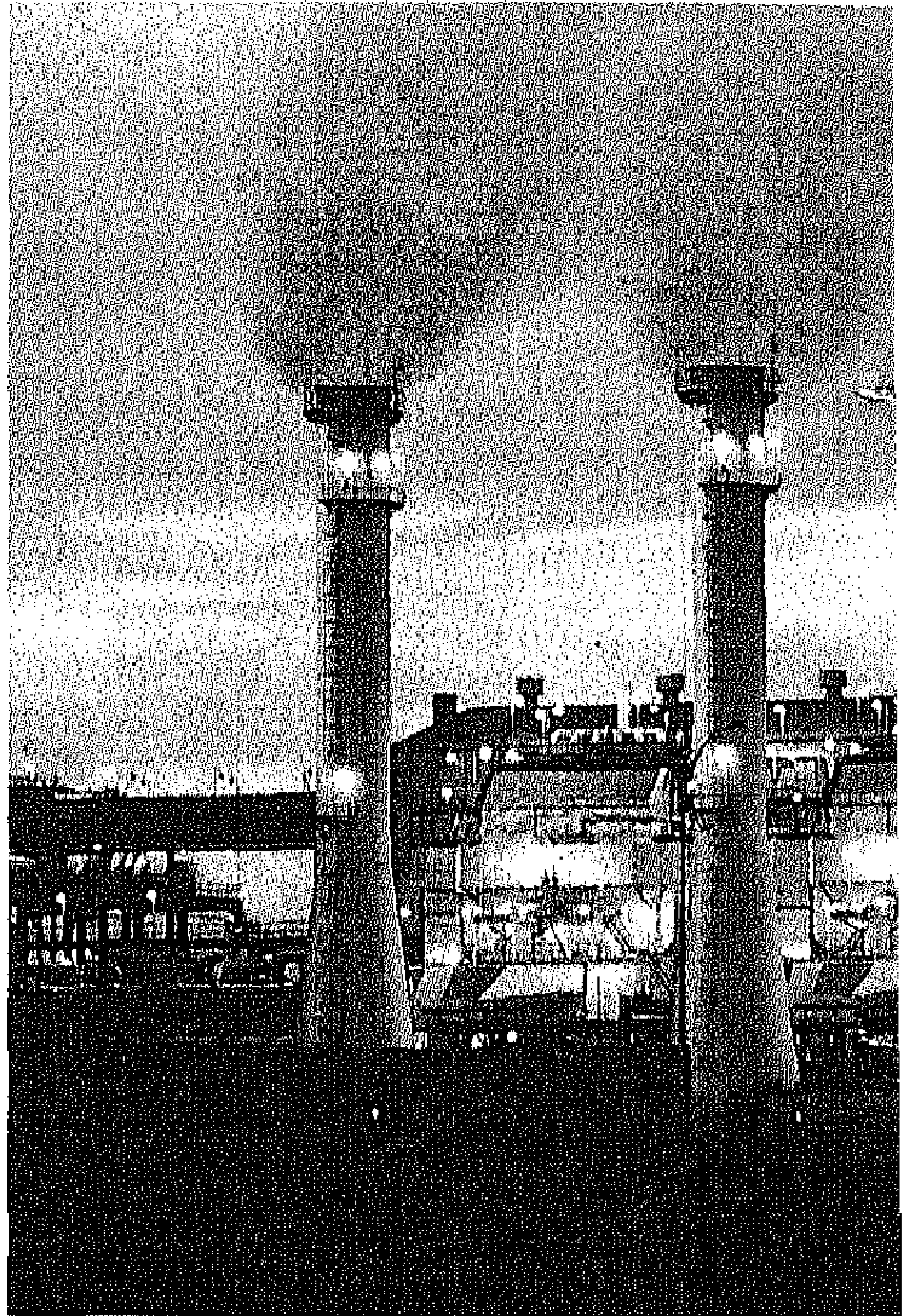


...بعة من الاذرع والارجل. ان سقوط احد المتصارعين من ...ائل النوبة يقرر نتيجة المباراة.



معمل لتكرير السكر افتتح عام ١٩٨١ ويتوقع ان يبلغ انتاجه السنوي ٣٦٣ الف طن عام ١٩٨٣.







الرئيس جعفر نميري (الى اليمين) يتحدث الى عبد الرحمن العتيقي وزير الخزينة الكويتي آنذاك، وذلك لمناسبة تدشين مصنع للسكر في الكنانة.

وشعب النوبة هو البقية الباقية من قبائل عدة انتشرت ذات مرة في وسط السودان وغربه لكنها انحسرت الى الجبال قبل اكثر من سبعة قرون. هؤلاء القوم يعيشون اليوم معزولين. يربون المواشي ويزرعون السرغوم (١) وهو الطعام الرئيسي في السودان.

كان الاحتفال بالحصاد في أوجه. وانضممت الى تجمع من ٢٠٠٠ نوبي في احد الحقول. كل هؤلاء جاؤوا لمشاهدة المصارعة وكانوا يرقصون في صفوف طويلة متعرجة.

ويتوافد المصارعون من انحاء الجبال وكلهم يرتدون الالبسة الزاهية وقد طلوا اجسادهم باللون الابيض.

(١) نبات من فصيلة الذرة.

وتبدأ دورات المصارعة دفعة واحدة في انحاء الملعب. ليس الهدف ان تؤذي خصمك بل ان تلقيه ارضاً، وبهذا تبرهن عن تفوق قبيلتك.

الى الغرب من وهاد النوبة دخلت ما بدا كانه بلاد اخرى. ومع ان قبائل الشمال متباينة ومتعددة فان الثقافة العربية والعقيدة الاسلامية تشدان الاواصر بينها. رجال هذه القبائل يرتدون الجلابية الطويلة الفضفاضة ويعتمرون العمائم، اما النساء فيتلفعن باثواب طويلة من القماش. وهن لا يخالطن الرجال. هنا تبدلت معالم الارض فاضحت رملية وقل فيها النبات. وللمرة الاولى شاهدت جمالا.

على بعد ٥٠٠ كيلومتر الى الغرب من الخرطوم التقيت الكواحلة، وهي احدى القبائل العربية التي تعتمد تربية الابل وتقطن في الجزء الغربي من السودان. ودعاني احد شيوخ الكواحلة علي شريف عبد الرحمن الى الغداء، وجلسنا على الرمل في خيمته. قال لي: "الكواحلة ومواشينا، هذه هي حياتنا منذ القدم. في الصيف نتغنى كل ليلة بسمنة ابلنا وبالمال الذي ستدره علينا." بالنسبة الى البدوي هذا هو النمط الوحيد للحياة. اما الاستقرار في القرى حيث يزرع الناس الذرة فوق الهضاب الرملية، فأمر لا يحتمل التفكير فيه.

آمال وآلام — في رحلة بالسيارة استغرقت اربعة ايام غادرت ارض الكواحلة وسط عاصفة رملية عاتية الى فندق مكيف الهواء في الخرطوم. ومع ان الفصل بين الجنسين في المناطق الريفية الشمالية هو من العادات المتوارثة، فقد أدهشني انه ما زال متبعاً بين سكان المدن. وذات صباح أرتني الفنانة كمالا اسحق لوحاتها، وهي رئيسة قسم الرسم في كلية الفنون الجميلة والتطبيقية. كانت لوحات كبيرة فيها صفوف من المكعبات داخلها وجوه ملتوية.

قالت لي: "بدأت ارسم نساء في مكعبات من البلور لاظهر كيف اننا مسجونات. لكن الفتيات في الجامعة يعشن حياة مختلفة. حين نلنا الاستقلال عام ١٩٥٦ كان معظم النساء أميات. اما اليوم ففي الخرطوم محاميات وطبيبات وموظفات."

لكن الامر الاكثر الحاحاً من حقوق المرأة هو التضخم النقدي المرهق الذي يبلغ ٤٠ في المئة سنوياً وتلك الصفوف التي تقف كل يوم للحصول على الخبز والغاز. والنقص يكاد يشمل كل شيء بما في ذلك الطاقة الكهربائية والماء. وتزيد الامر سوءاً هجرة اليد العاملة الماهرة. ففي هذه البلاد التي لا تزيد نسبة المتعلمين فيها على ٢٠ في المئة نجد اكثر من ٣٠٠ الف سوداني يعملون في الخارج، خصوصاً في بلدان الخليج العربي. قال لي كاتب اسمه يحيى: "شهر واحد في المملكة العربية السعودية يوازي سنتين في السودان."

هذا النزف للادمغة، اضافة الى النقص في المال والبنية الاساسية، يعني ان المشاريع القليلة التي يعمل على تنفيذها تسير نحو الاخفاق. ويقال ان الجزيرة التي تقع بين

النيلين الازرق والابيض هي اكبر مزرعة مروية في العالم، اذ تبلغ مساحتها مليوني فدان (٨٤٠ الف هكتار) وتنتج معظم محصول القطن وهو السلعة الرئيسية التي يصدرها السودان. لكنها اليوم تعطي جزءاً ضئيلا من طاقتها الانتاجية.

ومع ذلك فهناك علائم ايجابية قليلة. فشركة "الكنانة" للسكر التي دشنت في شهر مارس (آذار) ١٩٨١ في جنوب الجزيرة تعمل على نحو جيد ولها ارض مساحتها ٨١ الف فدان (٣٤ الف هكتار) تزرع بقصب السكر. والسودان يرجو ان ينجح في الجمع بين موارد البلاد الطبيعية والتقنية الغربية والبترودولار العربي (٢) فيغدو "مصدر رزق" للعالم العربي. ولكن هنا ايضاً يبقى امام السودان شوط بعيد عليه ان يقطعه. فمن اصل ٨٠ مليون هكتار من الاراضي الصالحة للزراعة في البلاد لا يستثمر الآن سوى ستة ملايين.

المشروع الآخر الذي يعلق عليه السودان الآمال هو قناة جونغلاي التي ما زالت موضوع جدل. وعندما يكتمل بناء هذه القناة التي يبلغ طولها ٣٦٠ كيلومتراً، فانها ستحول جزءاً من مياه النيل الابيض عن مستنقع السد مما يسهل المواصلات والنقل ويوفر الري للسهول الواسعة التي تبقى جافة ستة اشهر من السنة. وبتقليص الارض التي يغمرها الفيضان، ستؤثر القناة في التنقلات الموسمية للحيوانات البرية وفي تربية قطعان الماشية لقبائل الدنكا والنوير الرحل، وربما ادى ذلك الى القضاء نهائياً على نمط حياتهم.

غادرت الخرطوم عائداً الى الجنوب قبل موسم الامطار الذي يجعل الطريق الترابية الوحيدة غير صالحة للعبور. وشعرت أني عدت الى "افريقيا" حين تحولت الارض شبه الصحراوية غابات كثيفة. هنا اشجار النخيل والتمر الهندي والاكاسيا أطول والقردة تتوثب على اغصانها والطيور كثيرة على ضفاف النيل الابيض.

كان السكان يسقفون بيوتهم بالاغصان والاعشاب لان الامطار بدأت تهطل. وخرجت من السيارة ووقفت تحت المطر المنهمر مستمتعاً ببرودته. مرت بي جماعة من الدنكا وكان افرادها يغنون ويتضاحكون. ففصل الحر والجفاف انقضى واخضرت الاشجار وغردت الطيور ونما الكلأ الجديد في الارض القاحلة.

حين ازفت نهاية رحلتي في عوالم السودان المتعددة اخذت افكر في المشاريع التي تنفذها السلطات لتدخل البلاد القرن العشرين. وفكرت قبل كل شيء في الناس الذين يعيشون اليوم كما عاش اجدادهم قبل قرون، معزولين في بلادهم الواسعة المتنوعة. فالنوير ينحصر اهتمامهم في مستنقعاتهم وقطعان مواشيهم، والكواحلة في الصحراء مع أبلهم، والنوبة القابعون في هضابهم بين الفريقين لا يهمهم الا ان يتوافر لهم ما يكفيهم من المطر والمرعى. عسى ان يتوافر لهم ذلك.

■ روبرت كابوتو

(٢) شركة الكنانة حصلت على معظم رأسمالها من الكويت والمملكة العربية السعودية.

نصائح عمليّة إلى ربّات البيوت

افركي اللحم القاسي بالزيت والخل.
جلدي السمك في الماء.
ضعي البصل والافلام والبطاريات في الثلاجة.
لفي الاجبان بقماش مبلل...

الثلاجة

ابقاء الجبن في الثلاجة مدة ١٥ دقيقة يسهل بشره.

ضعي قطعة من الورق المشمع تحت صحفة مكعبات الثلج في برادك فلا تلتصق بقعر الثلاجة.

البطاريات الكهربائية وافلام التصوير تبقى صالحة مدة أطول اذا وضعتها في البراد.

جلدي الاسماك كاملة في علب مملوءة ماء.

للحصول على مكعبات جليد نقية كالبلور اغلي الماء قبل تجليده. فالماء المغلي يحوي مقداراً اقل من الهواء.

السلطة

لكي تفرغي قلب خسة اضربي قفاه بقوة على ظهر الطاولة، عندئذ يصبح من السهل فتل القلب ونزعه. (هذه الطريقة تمنع تكون البقع الدكناء التي تظهر عندما تجوفين الخسة.)

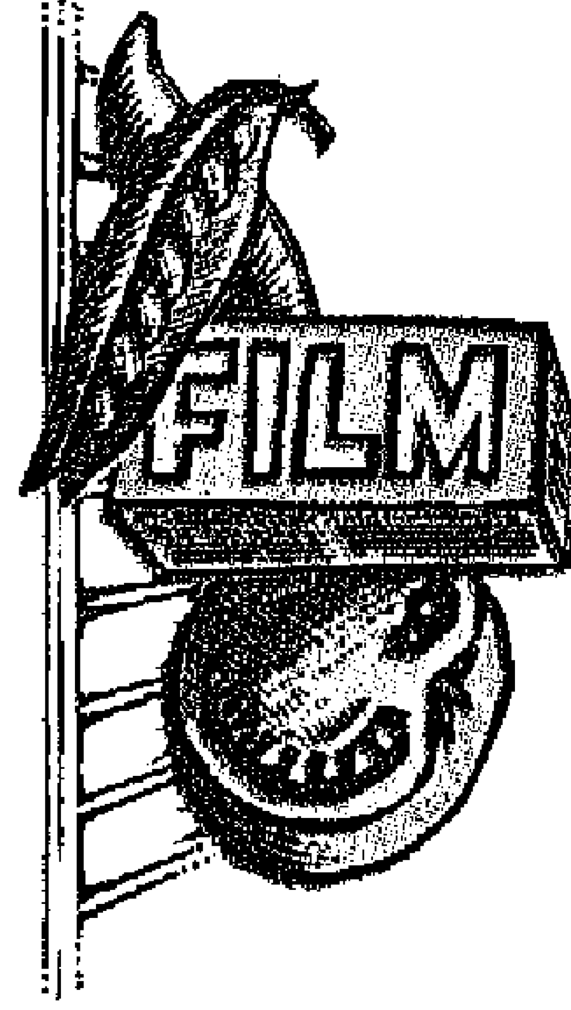
لا يهترىء الخس بسرعة اذا غلف داخل خزانة الخضر في برادك بالاقمشة لامتصاص الرطوبة الزائدة. بضع اسفنجات جافة تعطي النتيجة نفسها.

لا ترمي اوراق الكرفس بل جففيها ثم انخليها كالدقيق لاستخدامها لاحقاً في تطييب الحساء والمقالي والسلطة.

الخضر

اقطعي رؤوس الجزر قبل حفظه. فالرأس يمتص الرطوبة من الجزرة فتغدو هشة وجافة.

يمكن طهو عروق البروكولي (القنبيط الافرنجي) في المدة نفسها اللازمة لنضج الزهرة اذا فتحت في اطراف العروق اخاديد متقاطعة في شكل علامة الضرب (X).



اذا حفظت البصل في الثلاجة فأنك توفرين على نفسك مقداراً من الدموع التي تذرفينها لدى تقطيعه.

لكي تحفظي للشمندر لونه الاحمر الزاهي، اسلقيه كاملا مع حوالى خمسة سنتيمرات من ساقه. اضيفي قليلا من الخل الى الماء الذي يسلق فيه كي لا يبهت لونه.

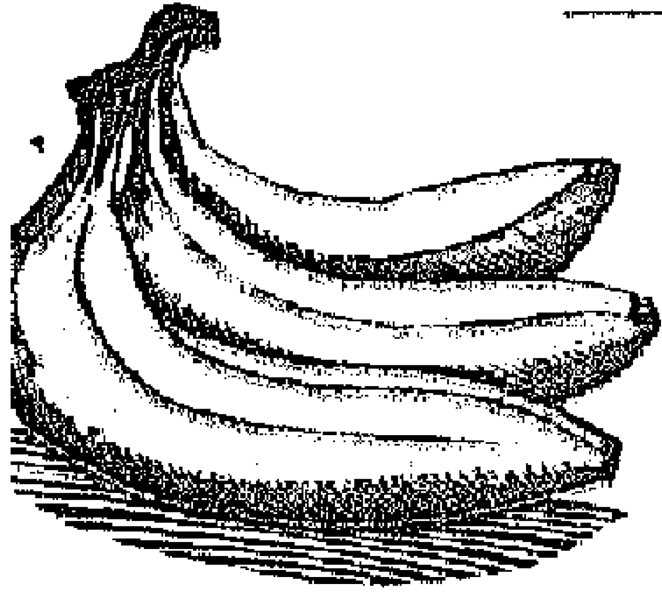
الجبن

للاحتفاظ بالجبن طرياً لفي الاجبان الصلبة بقطعة من القماش مبللة بالخل.

السكين الكليلة تصلح لقطع الجبن اكثر من السكين الماضية. سخني شفرة السكين فيصبح قطع الجبن سهلا كقطع الزبدة.

لكي تمنعي الجبن من التصلب افركي الجانب المقتطع منه بقليل من الزبدة.

الثمار



اخزني الموز فـ البراد بعد نضجه. فالبرودة تجعل لو قشرته قاتماً لكنه لا تؤذي الشحمة.

اذا كنت تحتاجين ـى قطرات قليلة من عصير الليمون، اغرزي شوكة في عقب الليمونة واعصري من الثقب المقدار الذي تحتاجين اليه.

ثمار الدراق تنضج بسرعة اكثر اذا حفظتها في علبة وغطيتها بورق الصحف (هذا يحفظ الغاز داخل العلبة ويساعد في النضج).

السمك

ضعي السمك المجلد في الحليب ليذوي. فالحليب يستخرج منه رائحة التجليد ويعطيه نكهة السمك الطازج.

قبل تنظيف السمك افركيه بالخل. هكذا تنزع الحراشف بسهولة اكثر.

لازالة رائحة السمك عن يديك، افركيهما بالخل والماء أو بالملح والماء.

اللحم

لمنع رقائق اللحم من الالتصاق بعضها ببعض، لفي المجموعة في شكل أنبوب واربطيها بشرائط من المطاط قبل وضعها في البراد.

لصنع شطائر "همبورغر" أندى وأطيب، ضعي مقدار ملعقة من الجبن في داخلها.

لكي تزيلي طعم الملوحة الزائدة من اللحم المقدد، ضعيه قليلا في الفرن واستخرجي منه العصارة ثم اسكبي فوقه كأساً من شراب الزنجبيل واعيديه الى الفرن حتى ينضج تماماً.

لكي تطري اللحم القاسي افركي جوانبه بمزيج من الخل والزيت وانقعيه مدة ساعتين قبل طهوه.

الحساء والملح

اضيفي الى الحساء زلال بيضة واحدة مع قشور بيضتين او ثلاث واغليها لمدة عشر دقائق ثم صفيها. ذلك يجعل الحساء أنقى.

لمنع ثقوب المملحة من الانسداد، ضعي داخل المملحة بضع حبات من الرز الابيض غير المطبوخ او المعالج.

من الافضل ان تضيفي الملح الى الحساء والمقالي في بداية عملية الطهو.

التنظيف

لتوفير الوقت - والمال - استعملي المنظف الرخيص الثمن لتنظيف الاطباق وأضيفي اليه بضع ملاعق من الخل. فالخل يحلل المواد الدهنية ويجعل الاطباق نظيفة وبراقة.

لتنظيف اناء قهوة زجاجي أسقطي فيه بضعة مكعبات من الجليد ورشي فوقها قليلا من الملح ثم خضي الوعاء بلطف حتى ينظف.

لازالة روائح البصل والثوم ومستحضرات التنظيف عن يديك ضعي اصابعك الخمس حول مقبض ملعقة من الفولاذ الذي لا يصدأ ثم دعي الماء البارد ينصب فوق اصابعك فيما انت تفركينها بلطف.

بعد الحفلة

تمكن ازالة بقع الشمع عن السجاد بوضع كيس من الورق الاسمر الخشن فوقها ثم تمرير مكواة حامية بخفة على الورق.

الشموع المشتعلة تساعد في ابقاء جو الغرفة خالياً من عبق دخان التبغ.

عندما تظهر شقوق صغيرة على اقداح الخزف الصيني، سخني الاقداح في الحليب مدة ٣٥ او ٤٠ دقيقة. فالبروتيين في الحليب يملأ هذه الشقوق فلا تعود في العادة تبدو للنظر.

تمكن ازالة ثلم صغير في حافة كوب زجاجي بحكه على حجر او ورقة صقل.

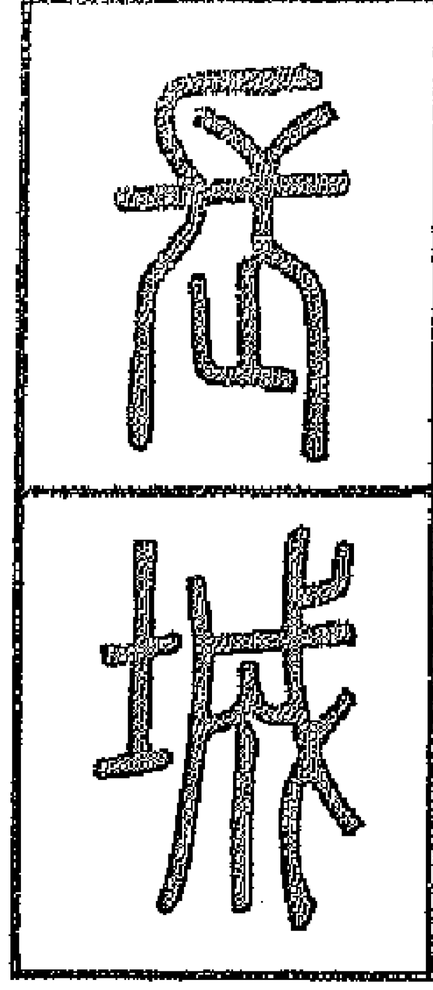
القطط والحشرات



اذا كانت قطتك مولعة بخدش اثاثك الخشبي، افركي المكان بصلصة الفلفل الاحمر ثم امسحيه حتى يلمع. اكثر القطط تعاف هذه الرائحة وتبتعد عن الاثاث.

بعض كرات النفتالين في وعاء القمامة يزيل الروائح ويبعد الحشرات.

■ ماري ايلين


"الجدار العظيم" كما كتب في مخطوطة امبراطور الصين الاول ٠

انه احد اعظم الانجازات الهندسية في العالم، لكن وراء عظمته انهاراً من الدمع والدم

جدار الصين

اذا زرت جدار الصين العظيم يوماً، فاعلم أنه لا صورة فوتوغرافية ولا وقفة عند أي جزء منه يمكن أن تلتقط سوى مقدار ضئيل منه. فالجدار الذي يطوق نسبة جزء من عشرين من محيط الكرة الارضية ممتداً من المحيط الهادىء الى صحراء غوبي هو أحد أهم الانجازات الهندسية في تاريخ الجنس البشري. ويقال ان المواد البنائية التي يحتوي عليها كافية لاحاطة الارض عند خط الاستواء بحاجز يبلغ ارتفاعه مترين ونصف متر وكثافته متراً واحداً.


امبراطور الصين الاول ٠

أضف الى هذا أن الجدار هو من أغرب البدع المعمارية في التاريخ. فهو يتعرج عبر السهول والاودية والجبال، ثم ينحدر في الممرات الضيقة ويقفز فوق الانهار الهائجة، قاطعاً مسافة ستة آلاف كيلومتر. ولا أحد يعرف سبب هذه التعرجات. ومن النظريات القديمة واحدة تقول بأن الجدار بُني لتخليد الطريق التي قطعها جواد اسطوري للامبراطور أو تنين سماوي جاء ذكره في الخرافات.

لكن الجزء الذي يحظى بزيارة معظم السياح هو مجاز بادالينغ الواقع على مقربة من العاصمة الصينية بكين. وقد شيد بحجر

Engraving from «Chine» by M.G. Pauthier, Librairie de Firmin, Didot (Paris) 1800.

الصوان الرمادي بارتفاع ستة أمتار، وجُعل في اعلاه حاجزان طويلان يرتفعان متراً ونصف متر وتتوسَّطهما طريق معبَّدة يكفي عرضها لمرور خمسة أحصنة تسير جنباً الى جنب. وفي أجزاء اخرى منه، يرتفع الجدار الى علوّ شاهق وهو قائم على قطع كبيرة من الحصى. وقد اضطرّ بعض المستكشفين الى استخدام الحبال او التعلق باذيال البغال للوصول الى اماكن منه ترتفع نحو ثلاثة كيلومترات في الجبال. وان طريقة رفع حجار الصوان، التي يوزن الواحد منها طنين، ما زالت لغزاً يحير العلماء، فالآلات لم تكن معروفة في تلك الايام. وتقول الاساطير الصينية ان هذه الجلاميد حملت على ظهور الماعز الجبلي الى ذلك الارتفاع.

ولا ريب في أن المعماريين استخدموا كل ما تيسر لهم من موادّ لاقامة الجدار. ففي السهول والهضاب استعملوا الطين والخشب أو حفروا الجدار في التلال الطبيعية ثم لبَّسوه بالحجار. وفي الصَّحارى لجأوا الى الرمل والحصى والاماليد التي كسوها بالآجرّ. وهذه الاجزاء الصحراوية تداعت على مرّ الزمن. وفي أمكنة اخرى اضمحلّ الجدار ولم يبقَ له اثر، لان السكان المحليين استخدموا حجاره لتشييد منازلهم.

ومما بقي حتى اليوم عدد كبير من الابراج التي ترتفع ١٢ متراً والتي كانت ٢٥ ألفاً في الاساس. وهي بُنيت متراصة وفي أماكن حساسة لتمركز الجند. وفُتحت فيها كوى لرمي السهام القوية التي يمكن أن تخترق دروع الغزاة، أو لقذْف الكرات الحجرية التي لها فعل الرَّصاص. وكان في وسع الجنود نقل أي رسالة من أقصى الامبراطورية الى أقصاها خلال ٢٤ ساعة، عبر بثّ الدخان نهاراً والنور ليلا من كوة الى كوة، على امتداد تلك الابراج التي كان واحدها يبعد مئتي متر عن الآخر.

وقد أُقيمت مواقع حصينة عند النقاط الحسَّاسة. وفي العصر الذهبي للجدار، ربما كان ممكناً ايواء مليون جنديّ خلف أسواره الواقية.

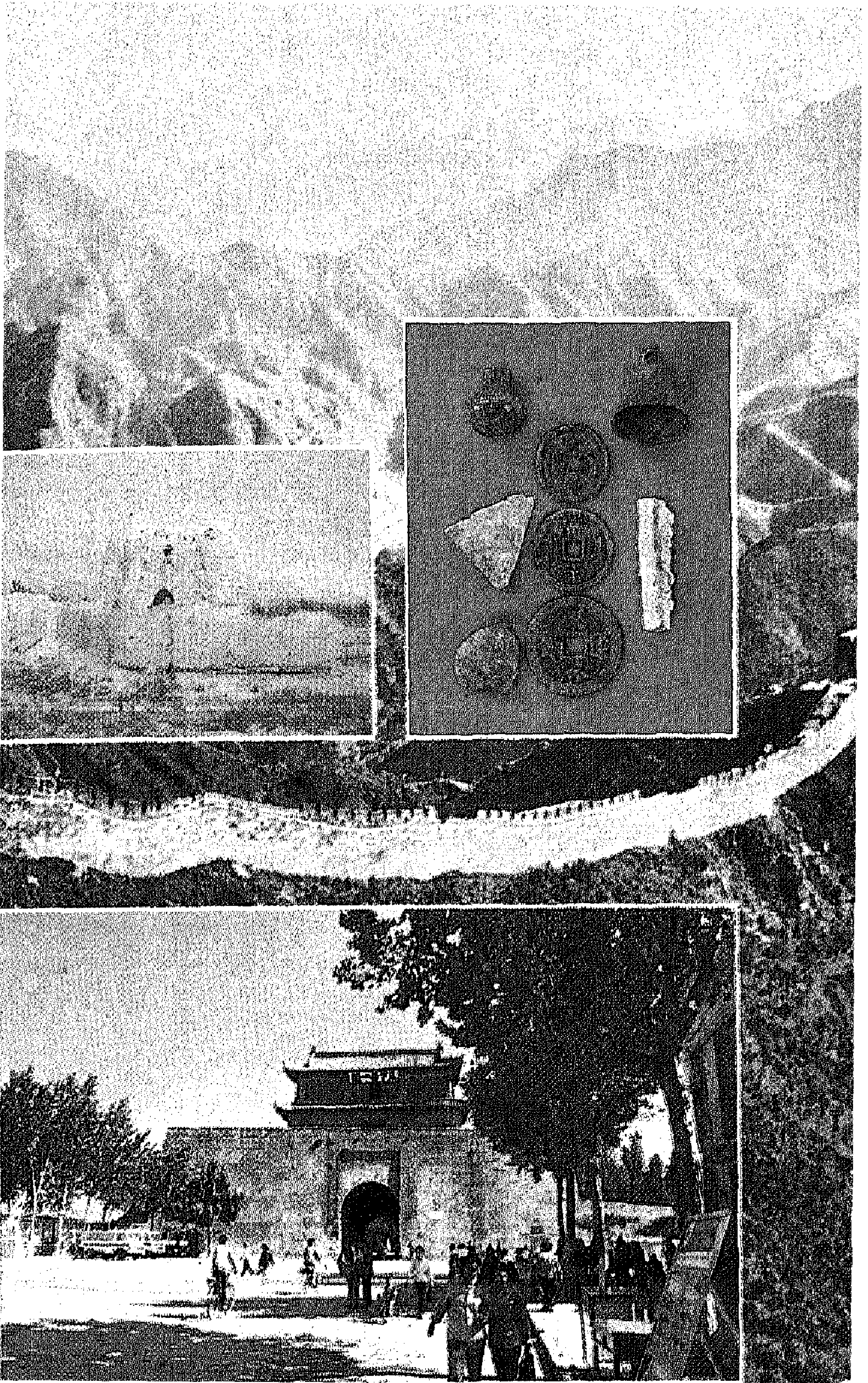
ست ولايات – تبدأ قصة جدار الصين العظيم في القرن الثالث قبل الميلاد، يوم كانت الصين مقسَّمة ستّ مقاطعات متحاربة، يحمي كلا منها جدار خاص. ولو استمرت الحال هكذا، لتحولت تلك الولايات مجموعة من البلدان المستقلة تقطنها فئات عرقية متنوعة تتكلم لغات مختلفة.

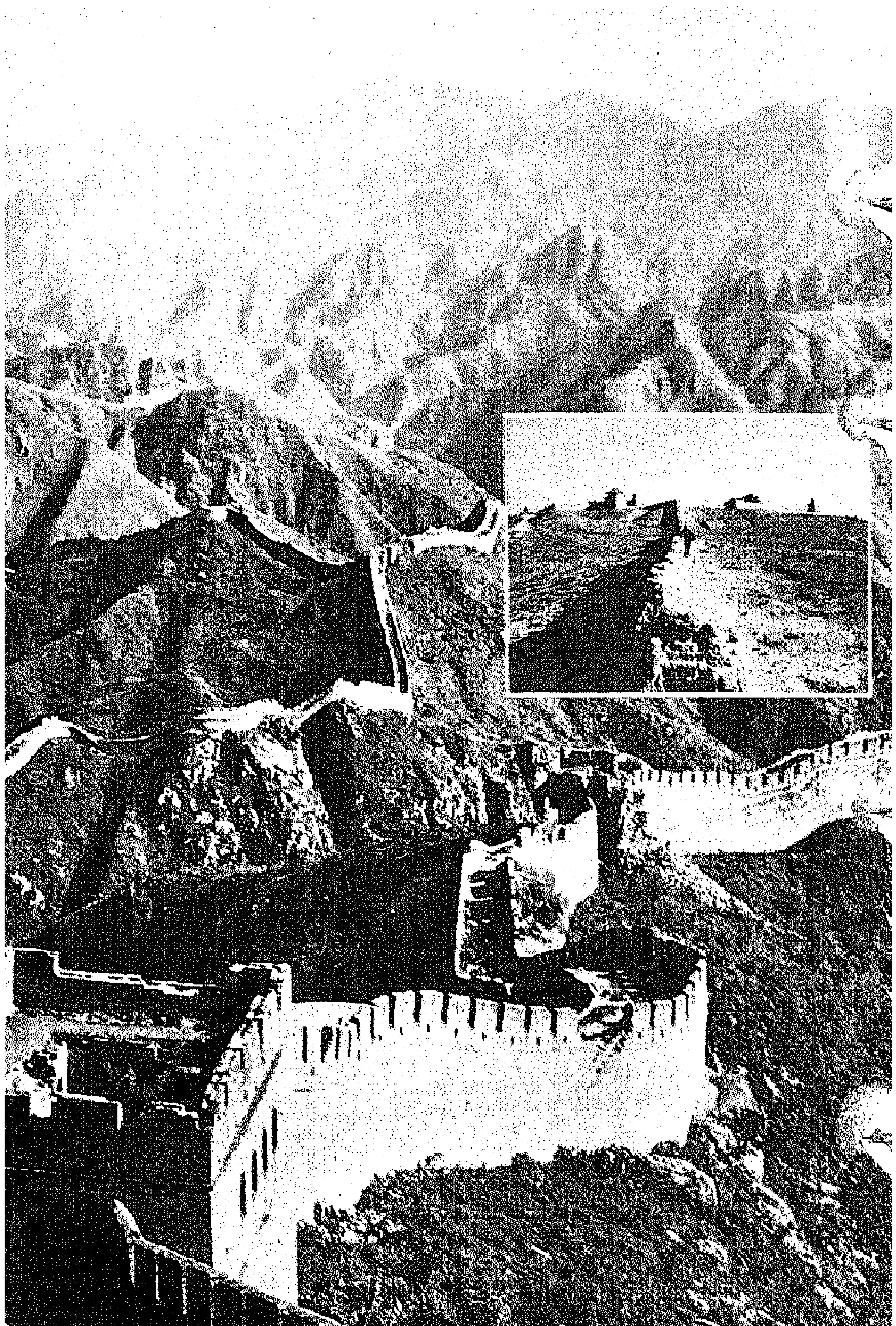
الا أنّ مصير الصين شهد تحوّلا عام ٢٤٦ قبل الميلاد، عندما ارتقى عرش مملكة الصين شبه المتمدنة، في الطرف الغربي من المنطقة، فتى في الثالثة عشرة هو ابن راقصة يُقال انها كانت حبلى به عندما غدت محظية الملك. وقد وُصف الملك الفتى بأنه كان "ذا أنف عال مستدقّ وعينين مشقوقتين وصدر كصدر حمامة وصوت كالذئب وقلب كالنمر." كما كان يتمتع بعبقريَّة سياسيَّة وعسكريَّة. وفي عهده شنّ قادة جيشه حرباً شعواء على الولايات المجاورة، وقتلوا ٤٠٠ ألف جندي من ولاية واحدة بعد استسلامهم، مما

حمل الصين»كلها على الخضوع لهم.
وأعدّ الامبراطور الشابّ تشين (صين) العدة لتوحيد البلاد بعدما اتخذ لنفسه لقب "امبراطور الصين الأول." وألغى الاقطاعية وأنشأ حكومة مركزيّة وفرض نمطاً واحداً من الكتابة يمكن أبناء المقاطعات جميعاً من فهم بعضهم بعضاً. كما ربط أجزاء الامبراطورية بشبكة مواصلات راقية وأقام سدوداً ضخمة للري وحفر القنوات لوصل الانهار وجعلها صالحة للملاحة.
ومن أهمّ القرارات التي اتخذها هدم الجدران التي تفصل الولايات بعضها عن بعض باستثناء تلك التي تواجه الشمال. فهو وسع تلك الاسوار وزادها ٢٨٠٠ كيلومتر شرقاً وغرباً على طول الحدود. ومنذ ذلك الحين بات كل شيء شمال الجدار يعدّ "بربرياً" فيما حمل كل شيء الى جنوبه اسم "الصين" تيمّناً بسلالة الامبراطور.
ولكن عوضاً عن تبجيله كمؤسس للامة الصينية، ظلّ اسم الامبراطور ممقوتاً طوال السنوات الالفين التي أعقبت وفاته. فهو، الى جانب صفاته الحميدة، كان مصاباً بجنون العظمة، وحاول فرض القوانين بالقوة. وقد أرغم جميع مواطنيه الذكور القادرين، وعدداً كبيراً من الاناث، على تشييد الابنية وخدمة الجيش الذي بلغ عدد أفراده الملايين الثلاثة. وفرض حظراً بلا شفقة على تعاليم كونفوشيوس وقتل العلماء والدارسين وأمر باحراق جميع الكتب سوى الطبية منها وما اتصل بالتنجيم والزراعة وتقريظ شخصه. وظل الآباء والامهات قروناً يهولون على أولادهم بذكر اسم تشين اذا هم عصوا أوامر كبارهم.

قصور وكنوز — العز الذي أحاط بالامبراطور يفوق التصديق. وكان قصره، البالغ ٢٤٠٠ متر طولا و٨٠٠ متر عرضاً، يحوي الوف الغرف، وبينها قاعة اجتماعات تضم عشرة آلاف مقعد وقسم للحريم يحوي أجمل فتيات الامبراطورية. وبعد تعرّضه لمحاولتي اغتيال على الاقل، بنى الامبراطور ٢٧٠ منزلا ملكياً على أرض يبلغ شعاع دائرتها مئة كيلومتر، ووصل أحدها بالآخر سرياً. وكان ينام كل ليلة في واحد منها.
ولا يقلّ جنوناً عن قصوره الضريح الذي بناه بالقرب من سيان خلال ٣٦ سنة. وبعد انجازه غُطي بتلة اصطناعية ترتفع ٤٥ متراً، وجُعل لها باب تم ستره على نحو حاذق بحيث لم يكتشفه أحد طوال ٢٢ قرناً. وبعد

صور الصفحتين التاليتين: منظر شامل لجدار الصين اذ يتعرج في جبل باداليغ الذي بقي موقعاً استراتيجياً طوال قرون. الصور الداخلية من اليسار: جزء من السور يؤدي الى حصن يايوغوان، آخر البوابات الى الغرب. برج لناز الارشاد في ووي. قطع نقدية واجراس نحاسية من القرن السابع عشر ومنتصف القرن التاسع عشر، وهي وجدت مع الحجار والطين في ثقب داخل الجدار. بوابة شانهايغوان في اقصى شرق الجدار العظيم، وقد نقش عليها ما يأتي: "البوابة الاولى في العالم."





اكتشافه عام ١٩٧٤ أصبح قبلة علماء الآثار. فقد أدى الى غرفة طولها ٢١٣ متراً وعرضها (٦١ متراً)، وفيها شخوص من خزف تمثل ستة آلاف جندي بأحجام طبيعية وفي صفوف عسكرية نظامية (★) كما عُثر أخيراً على عربتين يجر كلا منهما أربعة أحصنة ويقودها حوذي. وهي جميعاً من البرونز وذات أحجام طبيعية. ويتوقع علماء الآثار الصينيون أن تستغرق الحفريات اللاحقة عشرات السنين.

الا أن أياً من انجازات الامبراطور لم يكلف من الكدح والعذاب أكثر من الجدار العظيم. وقد جُند له نحو مليون عامل على نحو الزامي، وكان العديد منهم من صفوة مفكري الصين. وهم قضوا بعشرات الالوف بعد تعرّضهم للحشرات التي ملأت خيامهم ومواقع عملهم وهم عراة في الصيف ولابسون خرقا في الشتاء، وبعد ابتلائهم بالمرض والارهاق والجوع. وتُركت جثثهم في اسس الجدار، مع أجساد اولئك الذين دُفنوا أحياء لرفضهم التطوّع للعمل. لذلك سُمّي الجدار "أطول مقبرة على الارض." ولا يزال الصينيون ينشدون المراثي التي قيلت في اضطهاد نخبة علمائهم والحسرة التي عانتها أراملهم.

وكان من نتيجة هذا الجدار وسواه من النُّصب التي أقامها الامبراطور المهووس تخليداً لاسمه أن سلبت الصين طاقتها العاملة وأوقعتها في الافلاس. وانتفض المواطنون في كل مكان بعد عجزهم عن دفع الضرائب الفادحة واضطرار بعضهم الى بيع أولاده لتلك الغاية. وعند موت الامبراطور عام ٢١٠ قبل الميلاد، وهو في التاسعة والاربعين، نهبت قصوره المترفة وأضرمت فيها

(★) راجع "المختار" سبتمبر (أيلول) ١٩٨٠، ص ١٨ "امبراطور الصين" جيشه من خزف.

Photos: Background Picture: China International Travel Service. Insets, clockwise from left: Jiayuguan Fortress and Wuwei Tower: Gen. Robert Lee Scott, coins: William Sonntag, Shanhaiguan Gate: Gen. Robert Lee Scott.

النار وحطّمت تماثيله. وأقصيت سلالته عن الحكم بعد ثلاث سنوات من وفاته، تلك السلالة التي كان يطمح الى أن يدوم ملكها عشرة آلاف جيل.

جدار الاجيال – وحده الجدار العظيم بقي على حاله. فالاباطرة اللاحقون من سلالة هان حافظوا عليه وكبروه. وتلاهم حكام أضافوا الى ذلك الجدار ٣٢٠٠ كيلومتر من الحصون والدعائم والجدران الفرعية. وهو اتخذ شكله الاخير في عهد سلالةمينغ التي امتدّ حكمها من ١٣٦٨ حتى ١٦٤٤ للميلاد.

ترى أكان الجدار يستحقّ التضحيات الجسام التي بذلت ؟

ثمة من الصينيين من يقول ان الجدار، "وان ضحي بجيل كامل من أجل بنائه، خدم الاجيال التالية كلها." غير أن المؤرخين المحدثين يقولون أنه كان طويلا بلا مبرر وضعيفاً جداً في الصحراء الغربية. كما ان ارتفاعه فوق قمم الجبال لم يكن ضرورياً، اذ ان الجبال نفسها حصون طبيعية لا يقوى الاعداء على اختراقها. وينزع هؤلاء المؤرخون الى القول بأن الامبراطور تشين أقام الجدار تخليداً لاسمه. والحق أن التاريخ يدعم هذا الرأي. ذلك أن الاستحكامات الكثيرة على امتداد الجدار لم تمنع جحافل المغيرين من اختراقه مرة بعد اخرى، خصوصاً عام ١٢١١ للميلاد عندما اقتحمته جيوش جنكيز خان.

ولكن يبقى جدار الصين رمزاً سياسياً وحضارياً. فهو حافظ على وحدة البلاد في وجه الثورات الداخلية والغزوات الخارجية. ويكفي، للتمثيل على قوته الرمزية، أن نذكر حادثاً حصل عام ١٨٩٩ عندما نشرت صحيفة "بوست" الصادرة في مدينة دنفر (ولاية كولورادو الامريكية) خبراً لمراسليها في الصين مؤداه أن جماعة من المهندسين الامريكيين هم على وشك هدم الجدار. والخبر كان عارياً من الصحة، وقد لفقه المراسلون لقلة الاخبار لديهم. ولكن ما أن ظهر في الصحيفة حتى قامت ثورة البوكسر في أرجاء الصين التي وقع ضحيتها الوف الابرياء. والبوكسر جمعية صينية سرية حاولت طرد الاجانب من البلاد وحمل المتنصرين من أبناء الصين على الارتداد.

أما اليوم فالجدار العظيم يستقبل جميع الزوار ويغريهم على ارتياده بأعداد كبيرة. وهو غدا من أهم صلات الوصل السياحية والحضارية بين الصين والعالم الخارجي. والفضل يعود، أولا، الى غرور ذلك الامبراطور الطريف الذي أمر ببنائه.

■ رونالد شيلر



سياسة الربان

عندما يقول سياسي: "اننا جميعاً في قارب واحد"، فهو يبغي أن يلعب دور الربان فيما يجذف الآخرون.

ن.س.

السـيّدة الرماديّة في "حـيّ الزبّالين"

حي "الزبالين" في القاهرة كان بؤرة فقر وقذارة ، الا ان تضحيات الاخت ايمانويل ادخلت اشراقة فرح وامل الى حياة الوف البؤساء





Rachad el-Koussy.

عند بزوغ كل فجر تظهر امرأة طويلة ناحلة في ثوب رمادي ووشاح يحجب شعرها، وتشق طريقها بنشاط في المطرية احدى ضواحي القاهرة. وتدخل كنيسة مجاورة حيث تصلي لفترة وجيزة، ثم تركبُ القطار الكهربائي المزدحم الى طرف المدينة. بعد ذلك تحث الخطى نحو ٢٠ دقيقة فوق الطرق الرملية والترابية الى ما يعتبر اقبح لطخة في طبيعة مصر: كيلومتر مربع من الاكواخ تبتعلها القذارة والنتانة.

هذا المكان هو مستقر اربعة آلاف زبال (★). ويعيش هؤلاء "المنبوذون" في اكواخ من غرفة واحدة بلا نوافذ، تضم افراد العائلة الذين يتجاوز عددهم العشرة احياناً. بنيت جدران هذه الاكواخ ببراميل النفط المسطحة والاسمال والورق المقوى والتنك. اما سقوفها فمن سعف النخل التي سفعتها الشمس. وتجثم الاكواخ فوق كومة كبيرة من الحثالة في الصحراء، يحيط بها ركام من القمامة المتعفنة.

هنا ينهض مئات الرجال والاولاد في الثالثة صباحاً، فيشدون حميرهم الى عربات خشبية ويتوجهون الى المدينة لجمع قمامتها. وما ان تحل الظهيرة حتى يقفلون عائدين ليفرغوا حمولتهم، فيمحّصونها جاهدين علهم ينقذون اشياء يمكنهم بيعها او اصلاحها او اطعامها لحيواناتهم. اما ما تبقى فيترك ليتعفن او يحرق في نار داخنة من غير لهب.

وما ان تصل المرأة الرمادية حتى يتسلق الاولاد الحفاة الانقاض والزجاج المتكسر ليحيوها ممسكين باطراف ثوبها ومتشبثين بيديها. "ازّيكم؟" تسألهم وقد اشرق وجهها بابتسامته الواسعة المعهودة. وتمتد ذراعاها لتضما بضعة اجساد صغيرة. وتطل النساء من مداخل اكواخهن وينادينها: "يا ابلة!" (اي يا اختي الكبرى). فتحيي كلا منهن بعربية طلقة وتسأل عن عائلاتهن وتقدم كلمة عزاء اذا ما المّ باحد مرض وكلمة تهنئة صادقة على اي انجاز تحقق.

الحياة حلوة ـ هذا الطيف الذي ادخل اشراقه جميلة الى حياة "الزبالين" هو الاخت ماري ايمانويل. وهي راهبة فرنسية في الرابعة والسبعين كرست سنواتها الاثنتي عشرة الماضية لهؤلاء الذين تدعوهم بمحبة "اخوتي واخواتي الاربعة آلاف". وهي امرأة جليلة ذات عينين رماديتين وديعتين، سريعة القرار والتنفيذ، ولا تفتأ تردد: "يلاّ بينا! الحياة حلوة!"

كنت ارافقها مرة في ساعة ازدحام السير في القاهرة. فأوقفت السيارة فجأة ونزلت منها واندفعت عبر اربعة صفوف من السيارات، ثم قفزت فوق سياج وعبرت رصيفاً في محطة للسكة الحديد وعادت ساخطة لتعلن ان رزمة مهمة لزباليها لم تصل بعد. "كم اكره ان اخيب آمالهم..."

والزبالون ليسوا افقر فقراء القاهرة، لكنهم منبوذون. "فالاولاد لا يتلقون اي تعليم على الاطلاق لان آباءهم لا يسمحون لهم بالذهاب الى المدارس خارج قريتهم،" يقول الاخ بولاد، وهو مدير احدى المدارس

(★) في العامية جامع النفايات

الكاثوليكية في القاهرة وصديق قديم للاخت ايمانويل. ويضيف: "لا احد يقترب منهم او يسلم عليهم، باستثناء الاخت ايمانويل. عندما اتت ضممهم قلبها الكبير جميعاً. وقد سمعت زبالا يقول: انها المرة الاولى التي يبادرني احدهم بالتحية."

ان تكريس الاخت ايمانويل نفسها لخدمة الزبالين يعود الى ذاك اليوم من العام ١٩٧١ عندما اقترح عليها القاصد الرسولي في القاهرة آنذاك برونو هايم ان يذهبا لزيارة الحي الذي يقطن فيه زبال شاب. وهي تتذكر تلك الزيارة: "وجدت نفسي في صحراء من القاذورات. الارض مغطاة بقشور البرتقال، وهي الشيء الوحيد الذي لا تأكله الحيوانات. ورأينا هنا وهناك حيوانات نافقة. وكيفما تقلب الطرف تر نفايات متعفنة وتشم روائح نتنة." وتتذكر الاولاد: "الذباب غطى وجوههم الصغيرة التي لوّحتها الشمس. والتقط احدهم حبة بندورة متعفنة فصرخت به: لا تأكلها! لكن أمه ضحكت وقالت: انه معتاد عليها. وهذا ما آلمني فعلا... هؤلاء الاطفال... لقد تحتم علي ان افعل شيئاً من اجلهم."

وهكذا، في السن الثانية والستين، حصلت الاخت ايمانويل على اذن من الكنيسة ومن السلطات المحلية وسكنت قرية الزبالين. وشاركتها في كوخها الصغير الجرذان والصراصير، واصابت من الوان الطعام ما يأكله الزبالون يومياً من الفاصوليا والخبز والجبنة والفاكهة الفاسدة. امتياز واحد رضيت به، ان يكون لها حمام خاص هو سقيفة بدائية جعلت في ارضها حفرة.

في بداية الامر قضت ايامها تزور كل كوخ على حدة. تجلس القرفصاء على الارض وتشرب الشاي مع النساء وتلاعب الاولاد. لكن كسب ثقة الزبالين لم يكن بالامر السهل. فهؤلاء يرتابون بأي غريب، خصوصاً اذا كان اجنبياً. ويعلق هايم على ذلك قائلا: "كان العداء قوياً في البداية الى حد اشعرها بالعجز." وتقول هي: "تزرع العقبات في طريقنا لتشحذ قوانا وتصميمنا على الاستمرار. ولهذا ثابرت ولم ايأس."

المدرسة الاولى — على ما يظهر، ليس في حياة الاخت ايمانويل ما حضّرها لخوض مصاعب كهذه. فهي ولدت باسم مادلين سانكان في بروكسيل (بلجيكا) عام ١٩٠٨ من عائلة فرنسية موسرة. وبدا انه قدر لها ان تعيش حياة مريحة وسهلة. ولكن عندما بلغت الثانية عشرة من عمرها نالت جائزة مدرسية هي كتاب عن الارساليات في افريقيا. وهي تتذكر: "منذ تلك اللحظة قررت ان اصبح واحدة من المرسلين." وعندما بلغت العشرين التحقت بأخوية "نوتردام دوسيون" واختارت اسم ايمانويل.

وبدأت الراهبة الشابة خدمتها بالتعليم في مدارس فرنسية في تركيا وتونس. وحازت شهادات جامعية في الفلسفة والدراسات اليونانية واللاتينية في بروكسيل واسطنبول وباريس. وفي منتصف

الستينات أرسلت الى مصر لتعلم في احدى مدارس الاسكندرية. ولكن بدلا من ان ينتمي طلابها الى الطبقات الفقيرة، فانها وجدت ان من يرسلون الى مدارس الراهبات هم ابناء الاغنياء. وازداد استياؤها من الوضع فطلبت مساعدة الاسقف هايم الذي اخذها في تلك الزيارة الى حي الزبالين.

ولم تكن الاسابيع الاولى سهلة ابداً، اذ حاولت الاخت ايمانويل اختراق جدران الشك والكراهية. وحدث ذات ليلة ان عادت الى كوخها في ساعة متقدمة لتجد جرة الماء فارغة والمضخة مكسورة في الخارج. كان الظلام يغلف المدينة والجميع نياماً. وسمعتها احدى جاراتها تحاول صب الماء من المضخة، فجاءت اليها حاملة جرة ملأى. وتقول الاخت ايمانويل: "شعرت بارتباك شديد، فهي اعطتني الماء الذي عندها حتى النقطة الاخيرة."

وكان فعل المعروف هذا مؤذناً بتغير في تصرف الزبالين مع الاخت ايمانويل. وباتت النسوة يحيينها بحفاوة ويعرضن عليها الطعام. وهي لم تضع الفرصة، اذ اقنعت جاراتها بان يكنسن كوخاً خالياً، وصنعت من اقفاص خشبية قديمة مقاعد وطاولات. بعد ذلك طلبت من منظمة "كاريتاس" الخيرية في القاهرة منحة متواضعة اشترت بها اقلاماً واوراقاً، وجاءت بـ ١٢ طفلا الى حضانتها. وعلى الباب خط احد رجال القرية بحروف عربية واضحة: "الله محبة." وتشرق الاخت ايمانويل ببسمتها المعهودة وتقول: "هذه العبارة تختصر كل ما نفعله هنا."

شهادات قيمة ـ قبل انقضاء فترة طويلة اصبح الكوخ يعج باكثر من ٥٠ ولداً، وامنت "كاريتاس" لكل منهم ثوباً قطنياً ازرق وحقيبة من القماش. وتتذكر الاخت ايمانويل: "يداخلني شعور بالفرح لا يوصف عندما أراهم غاية في النظافة خمس ساعات في اليوم!" وفيما تعاظم فخر الاهل باولادهم، تضاءلت مخاوفهم من العالم الخارجي وبدأوا يسمحون لهم بمتابعة دراستهم في القرية المجاورة.

وركزت الاخت ايمانويل خطوتها التالية على النساء. فبعد ان تقفل الحضانة في الاولى ظهراً، كانت تفتح صفاً لكل اللواتي يرغبن في تعلم الخياطة والحياكة والحبك (كروشيه). وهنّ ترددن في البداية، لكن سبعين امرأة ثابرن على حضور صفوف بعد الظهر. بل ان بعضاً منهن اتقن استعمال آلة الخياطة، وهي هدية قدمتها صديقة سويسرية، وبدأن يعملن بالاجرة فيكسبن دخلا اضافياً واحتراماً جديداً للذات.

وبقيت ساعات قليلة في النهار لا يستخدم خلالها الصف الضيق. فعكفت الاخت ايمانويل على دروس محو الامية للرجال والاولاد الكبار. ولم يأت احد باديء الامر، فبعد يوم من العمل المضني كان الزبالون يفضلون ان يأكلوا ويعبثوا.

لكن الاخت ايمانويل ثابرت على عملها الى ان جاءت قلة اخذت تزداد

كل يوم حتى ازدحم الصف واحرز تقدماً اضطرها الى تعيين استاذ محترف. وفي ٢٨ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٧، ذاك اليوم الذي تعتبره "اجمل يوم في حياتي،" قدم نائب وزير الداخلية المصري كمال خيرالله شهادات محو الامية الى ٣٦ زبالا. وتمكن كثير من هؤلاء "الخريجين،" وقد تسلحوا بهذه الوثيقة القيمة، من تدبر اعمال افضل في القاهرة.

ان جانباً من خطة الاخت ايمانويل في بناء مفهوم احترام الذات لدى الزبالين يكمن في اقناعهم بقدرتهم على تحمل مسؤولياتهم. لذلك، عندما جاءتها سيدة طالبة منها ان تصلي لابنها، المريض، اجابت: "سأصلي من اجل ابنك، ولكن عليك ان تراجعي الطبيب ايضاً." وقد فسر قولها صديقها مايكل توبين وهو ديبلوماسي بريطاني كان في القاهرة آنذاك: "ما ارادت قوله هو: سأقوم انا بدوري، وعليك انت ان تقومي بدورك ايضاً." ومع الوقت ادركت النساء مغزى كلامها.

رسائل من القاهرة — لم يكن في يد الاخت ايمانويل حيلة بالنسبة الى قذارة القرية لعدم توافر المال لتنظيفها. لكنها كانت مصممة على "انقاذ هؤلاء الاولاد من المحيط الموبوء اسبوعاً في السنة على الاقل." وفي العام ١٩٧٣ رفعت الى ممثل برنامج التنمية التابع للامم المتحدة في القاهرة طلباً بمنحة تبلغ ٨٠٠ جنيه مصري (نحو ٨٠٠ دولار). واشترت بذلك المبلغ حافلة صغيرة قديمة سمتها "مبروكة" وركبها ثلاثون من افضل تلاميذها لقضاء عشرة ايام قرب البحر في الاسكندرية. وتعود بها الذاكرة الى تلك الايام فتقول: "انفعل الاولاد عندما رأوا البحر للمرة الاولى." وبفضل تبرعات اصدقاء في الخارج والمساعدة التي قدمها جورج زكا، وهو سائق اجرة ترك عمله في القاهرة ليعمل بدوام يومي عادي، تنظم الآن بضع نزهات في السنة تتضمن رحلات للبالغين.

الاقبال على اجازات البحر هذه حفز الاخت ايمانويل على ايجاد مركز اجتماعي دائم خارج قرية الزبالين "لاعطائهم بديلا من محيطهم المخزي." وفي العام ١٩٧٥ طلبت مساعدة اسقف الاقباط اثناسيوس في مدينة بني سويف جنوب القاهرة. ووافق هذا على ان يرئس المركز المقترح، وسمح لخمس راهبات بالمساعدة. وبدأت التخطيط جماعة من المؤيدين المتحمسين للمشروع من مسيحيين ومسلمين.

وتلقت الاخت ايمانويل مساعدات من الخارج، فهي واظبت لسنوات عدة على ارسال ما سمته "رسائل من القاهرة" الى ٢٠٠ من الاصدقاء، ضمنتها وصفاً حياً لحياتها بين الزبالين. واذ تضاعفت التساؤلات عن هذا المركز الجديد، قررت الاخت ايمانويل الاجابة عنها شخصياً. وفي ١٩٧٦ باشرت سلسلة جولات لالقاء محاضرات وجمع تبرعات في اوروبا ثم في الولايات المتحدة وكندا. وتدفقت التبرعات. وقبل انقضاء

فترة طويلة جمعت الاخت ايمانويل مبلغ المليون دولار اللازم لبدء تنفيذ مشروع المركز الجديد.

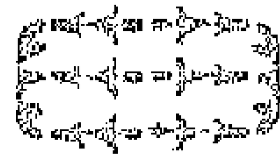
وبوشرت بعد ذلك مفاوضات مع السلطات المحلية حول موقع تبلغ مساحته هكتاراً واحداً ويبعد ٥٠٠ متر عن قرية الزبالين. وفي ٢٩ مارس (آذار) ١٩٨٠ رعت السيدة جيهان السادات، ارملة الرئيس المصري الراحل، حفلة تدشين البناء الاول وهو روضة اطفال من طبقتين.

ان اكثر من نصف المركز الذي اطلق عليه اسم "مركز السلام" اشرف اليوم على الانتهاء. وابنيته الستة المشادة بالاسمنت لا تخدم الزبالين وحدهم بل اهل القرى المجاورة ايضاً. ويزور المستوصف هناك نحو مئة شخص اسبوعياً، وقريباً يفتتح مستشفى للولادة وعيادة لطب الاسنان. ويضم بناء آخر صفوفاً للخياطة ومحو الامية. كما فرغ من العمل في مركز سيمنح مئة ولد فرصة تعلم بعض المهن كالسمكرة واللحام والتجصيص واصلاح اجهزة الراديو والتلفزيون.

وفي هذه الاثناء ما زالت الاخت ايمانويل تعمل ١٨ ساعة في اليوم لمراقبة برنامج العمل ومناقشة متعهدي البناء - وطبعاً زيارة اصدقائها الزبالين.

وقبل سنة، عندما اصيبت بذات الرئة، اقنعها بعض الاصدقاء بالانتقال الى شقة سكنية في ضاحية المطرية المجاورة. ولكن ما ان استعادت صحتها حتى لملمت حوائجها وعادت الى كوخها الحقير. وفي ذلك تقول: "أريد ان ابقى قرب اخوتي واخواتي. ففي محبتهم عرفت الحياة."

■ ديبورا كاولي



اصول المعاملة

اذا عاملت شخصاً كما هو، فهو يغدو أسوأ حالاً. ولكن اذا عاملته كما يجب أن يكون، فهو يصبح ما يجب أن يكون.

غوته

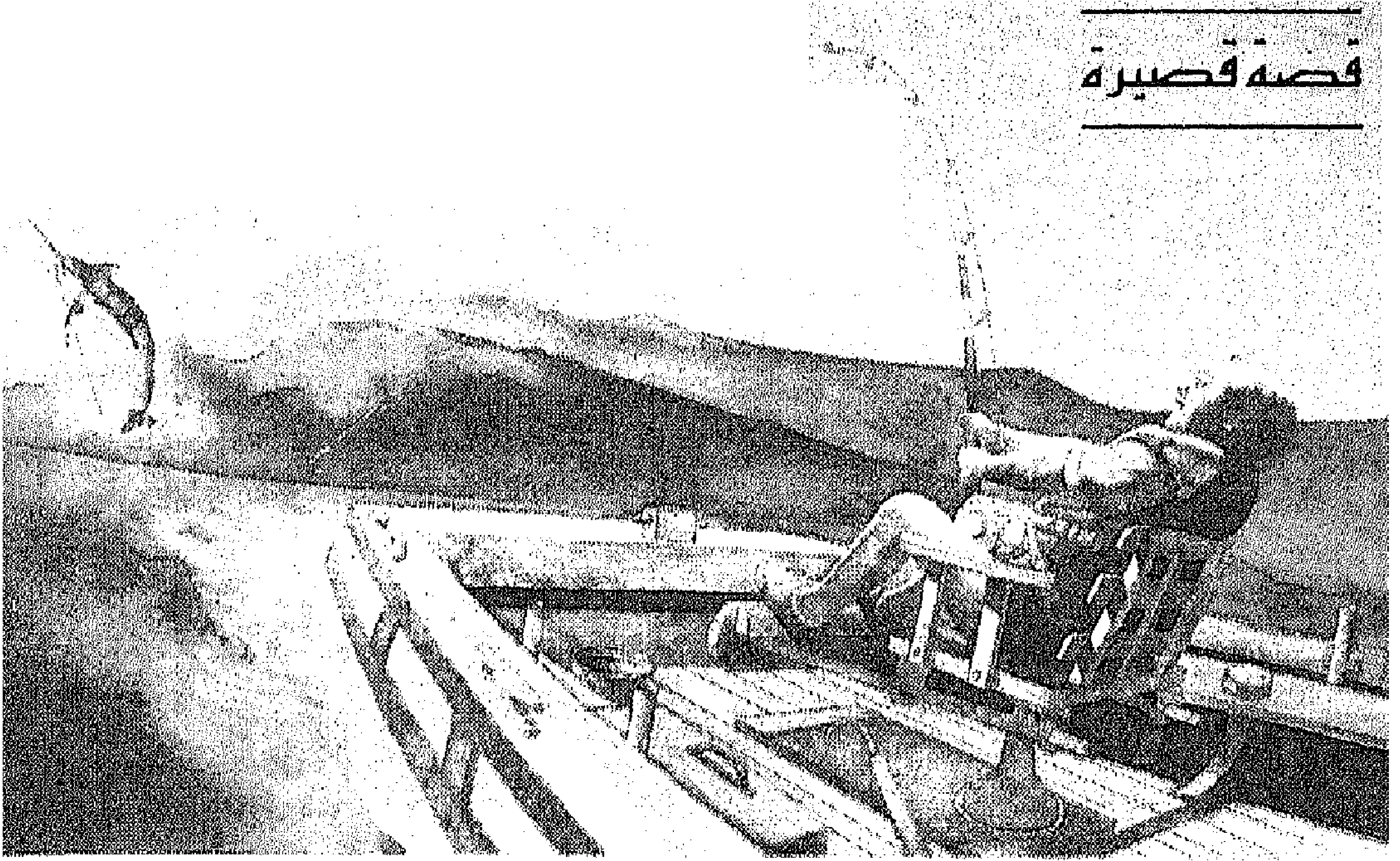
المثابرة تمنح الرضا

المرء لا يستحق الشفقة اذا كان يعمل بمشقة. الا أن الطبيعة تكافىء المثابر بأن تمنحه الرضا. وهذا ما يسعى اليه المتبطل عبثاً طوال ساعات اليوم الاربع والعشرين.

ونستون تشرشل

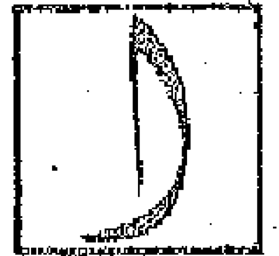
لكي يكون لك أصدقاء ثابتون، يجب أن تقضي وقتاً طويلا في اقامة الصداقة معهم.

هـ. ب.



للمرة الاولى تمرد هذا الانكليزي
على زوجته وذهب في رحلة
صيد قلبت مجرى حياته

امبراطور المحيط الهندي



استيقظ رودجر مورغاترويد باكراً وجلس على شرفة غرفته في الفندق ينظر الى الشمس وهي تنهض من المحيط الهندي. وفي الداخل استقامت ادنا مورغاترويد في جلستها فوق السرير المزدوج، حيث علقت في شعرها المعاقص وراحت تتذمّر من بطء احضار الفطور الى الغرفة. والحق أن خدمة الفطور كانت تتم بسرعة قصوى.

ومنذ وصول الزوجين الى جزيرة

موريشيوس الاستوائية في اليوم السابق، ما برحت ادنا تشكو باستمرار كعادتها· الا أن الرجل الانكليزي كان مصمماً على الاستمتاع برحلته طوال ذلك الاسبوع·

عمل مورغاترويد مديراً لمصرف في احدى ضواحي لندن· وقد غطى المصرف نفقات تلك الرحلة مكافأة لمدير فرعه على كسب بضع مئات من الزبائن الجدد· وكان يرافق الزوجين رجل اسمه هيغينز، وهو شاب من المركز الرئيسي للمصرف كان ينتظر له مستقبل باهر· غير ان حماسة هيغينز للبقاء مع الزوجين انحسرت بسبب هجوم السيدة مورغاترويد الضاري، فآثر الانضمام الى جماعة من الشباب هناك·

وسرعان ما انسجم مورغاترويد بجو الجزيرة وعاداتها· وهجر فطوره المؤلف من البيض المقلي مع شرائح اللحم ليتناول الفاكهة الاستوائية مثل المانغا والباوباو على سطح الفندق، ثم يتجه الى الشاطىء· ونحو العاشرة كانت زوجته تلحق به الى كوخهما المسقوف بالقش، حيث لا تهدأ طلباتها للمرطبات والزيوت الجلدية، علماً أنها لم تجلس الا نادراً تحت الشمس· وكانت أحياناً قليلة تلقي بثقلها في بركة الفندق وقد حمت شعر رأسها بقبعة كبيرة، وهناك تسبح ببطء أمتاراً قليلة قبل ان تصعد من الماء·

صباح اليوم الثالث وقف مورغاترويد يراقب شاباً اسمر من نزلاء الفندق وهو يتزلج على الماء وراء قارب يركض على صفحة البحيرة الضحلة· وبدت العضلات في ذراعي الشاب وساقيه متراصة كما لو قُدّت من شجر السنديان· وانطلق الشاب وقد حمل الهواء أصداء ضحكه· ونظر اليه مورغاترويد ملياً وهو يحسده·

ونظر الى جسده هو الذي كان، وهو في الخمسين، ممتلئاً ولكن يعوزه التناسق· وفكر في الأحد الذي تفصله عنه أربعة أيام· أجل، في ذلك اليوم ستحمله الطائرة الى غير رجعة· وربما أمضى في المصرف عقداً آخر من الزمن قبل أن يتقاعد·

والتفت حوله فرأى شابة جميلة تسير في محاذاة الشاطىء، فراح يتأملها باهتمام ملحوظ·

وللحال سمع صوتاً وراءه يقول: "لماذا لا تكفّ عن هذه الأفكار؟" وكانت تلك زوجته وقد تبعته الى الكوخ· وأضافت: "يا لها من فاجرة،" ثم استراحت في الظل·

وبعد عشر دقائق نظر مورغاترويد الى زوجته، فوجدها مستغرقة في رواية غرامية اخرى· وطالما تساءل عن نَهَمها الى هذا الضرب من الأدب الخيالي، في حين أن العاطفة بعيدة عن حياتها الشخصية· انّ زواجهما، حتى في أيامه الاولى، غاب عنه الحب الصحيح· وهي اعترفت له بأنها لا تقر "هذا النوع من الحب·" وهكذا وجد نفسه، طوال عشرين سنة، أسير زواج خال من الحب ومليء بالرتابة التي لا تكسرها سوى المناوشات.

وكان أن تبعه هيغينز الى ردهة الفندق مساء الجمعة، وسأله وهو يهمس في اذنه: "هل اصطدت السمك في حياتك؟"

ـ كلا! بالتأكيد لا! فان ادنا لا توافق على ذلك البتة·

"لا تخبرها اذاً."

ووقف مورغاترويد مشدوهاً حيال ما يسمع، وتجمدت أوصاله. ثم تذكر الشاب الأسمر المفتول العضلات الذي رآه يتزلج على الماء. وقال لزميله: "أجل، سأرافقك الى صيد السمك. ولكن متى؟"

الامبراطورة — في الرابعة والنصف من صباح اليوم التالي،تسلل مورغاترويد من سريره وألقى نظرة على زوجته. كانت مستلقية على ظهرها كالعادة، وهي تغطّ في نومها والمعاقص لا تزال مشدودة في شعرها. وارتدى ثيابه ثم خرج بهدوء الى الردهة.حيث وجد هيفينز واندريه كيليان في انتظاره، وهو دليلهما الطويل من جنوب افريقيا. وانطلقوا في السيارة عبر الدروب الريفية المظلمة الى مرفأ صغير حيث استقلوا قارباً خشبياً قديماً.

وقال كيليان: "هذا القارب اسمه "آفان" وربانه هو السيد باسيان. أما النوتيّ فهو حفيده جان - بول."

وهزّ الربان رأسه تحية، ثم أدار المحرك وأخذ يعبر البحيرة ببطء في اتجاه البحر. وفي تلك الأثناء راح جان - بول يحضر قصبات الصيد.

ولم ينقض وقت قصير حتى تصيد كل من هيفينز ومورغاترويد سمكة، كانت كبراهما من البينيت الاسقمري ووزنها اربعة كيلوغرامات. ولما رأى العجوز باسيان أن في امكان الرّجُلين استخدام عدة الصيد كما ينبغي، انطلق الى فسحة من المياه الزرقاء العميقة على بُعد كيلومترات. وهناك ترك دفة القارب في عهدة حفيده. واخرج ابرة وخاط زعانف السمكة الكبيرة بحيث بدت حية. وبعدما علقها في الصنارة وألقاها في البحر، عاد الى كرسيه عند عجلة القارب.

وارتفعت حركة المدّ وأخذ القارب "آفان" يعلو ويهبط مع الأمواج العملاقة. وبُعَيْد التاسعة صباحاً، اهتزت قصبة الصيد وأخذت البكرة تدور والخيط ينزل الى أعماق البحر.

وقال كيليان لمدير المصرف: "لقد حان دورك."

أخذ مورغاترويد البكرة وحاول ان يوقف حركة الخيط، لكنه بقي يغوص بسرعة.

وخاطبه الدليل: "أوقف ذلك والا أتت تلك السمكة القوية على الخيط كله."

وأوقف مورغاترويد انسياب الخيط حتى لامس رأس القصبة الماء. واذ ذاك نظر كيليان الى مقياس التوتّر، فوجد أنه يعادل ٤٥ كيلوغراماً. وقال: "هذا ذروة ما يتحمله الخيط. انها سمكة كبيرة وقوية."

وقبض مورغاترويد على القصبة بكلتا يديه وركز أخمص حذائه الخفيف على أرض القارب وتراجع الى الوراء. وبات عقب القضيب بين فخذيه على نحو عموديّ وعاد الخيط ينساب في الماء. واتكأ على حافة القارب محاولا وقف حركة الخيط. واستغرق ذلك دقائق ثلاثاً وقد بلغ طول الخيط في الماء ٦٠٠ متر.

وانبرى الربان باسيان قائلا: "انها سمكة مرلين." وهذا من السمك الاوقيانوسي الضخم.

وأضاف كيليان: "هذا النوع هو

الملك بين اسماك الصيد. وهو سيحاربك بضراوة لم تعرف مثيلا لها. والأفضل أن نجهزك بالعدة اللازمة."

وتقدم **كيليان من مورغاترويد** وألقى على كتفيه شبكة منسوجة من القنّب، وأتبعها بطبقتين مماثلتين فوق خصره. وللمرة الاولى أدرك **مورغاترويد كم كانت الشمس حارة**. وأحس ألماً حاداً في أعلى فخذيه، وتصببت قطرات العرَق على ذقنه. وكان انعكاس الشمس فوق الماء سفع وجهه.

وارتفعت قصبة الصيد على مهل فيما السمكة تتبع القارب بسرعة شديدة لاتقاء الخناق المحكم عند **فمها. واستطاع مورغاترويد** استعادة خمسين متراً من الخيط. لكنه ما كاد يفعل حتى كرّت السمكة ضعفَي ذلك الطول.

وفي **الساعة اللاحقة استعاد مورغاترويد الأمتار المئة ثلاث مرات**، لتعاود السمكة اخذها كل مرة. أما هو فكان يتعلم معنى الألم. وارتجفت أصابعه وسرى الألم الى معصميه ومنهما الى كتفيه. وكانت الشبكة تؤذيه أينما لامسته. وقال وهو يصر أسنانه: "اعتقد أنه لا يمكنني تحمّل المزيد."

وحفزه كيليان على الصمود، وأضاف: "هنا يكمن مغزى المعركة: أن تتحلى السمكة بالقوة بينما تتحلى أنت بالعدة والدّهاء. وبعد ذلك تتغلب احدى القوّتين على الأخرى."

ها هي آتية! - بعيد الحادية عشرة قبل الظهر بدت سمكة المرلين وهي **تجرّ الذيل للمرة الاولى**. وكان **مورغاترويد** سحب ٥٠٠ متر من الخيط. وفيما القارب يرتفع فوق موجة كبيرة، برزت السمكة الضخمة فوق المياه الخضراء. وفتح مورغاترويد فاه مشدوهاً وهو يرى فم السمكة المستدق يتجه نحو السماء. وكانت زعانفها المزيّنة الأنيقة تشبه عرف الديك، وقد انتصبت وتبعها بدنها المتألق. وبدت كأنها تقف على ذيلها المعكوف كالهلال. ثم اهتزّ جسدها العظيم كما لو كانت تمشي. وبقيت بضع ثوان على تلك الحال، تنظر الى اولئك الرجال من بين الزبد، قبل ان تخبىء رأسها تحت الموجة التالية.

وقطع العجوز باسيان الصمت بقوله: "هذه هي الامبراطورة!"

وأردف كيليان: "أأنت متأكد؟"

فهزّ العجوز رأسه.

وعاد كيليان يقول: "هذه السمكة هي بمثابة الاسطورة في هذه الديار. وهي سمكة مرلين زرقاء يبلغ طولها أربعة أمتار ونصف متر، ويظن ان وزنها يتجاوز الرقم القياسي العالمي وهو ٥٠٠ كيلوغرام. وقد افلتت من الشص مرتين، لذلك يسمونها الامبراطورة."

ومع تقدم العصر ضربت الشمس مؤخّر القارب بحدة فيما ظهر الهرم **والارهاق على مورغاترويد**. وسال الماء من راحتي يديه **المقرّحتين** وحفرت خيوط الشبكة المبللة بالعرق كتفيه المحروقتين. وأكب فوق قصبة الصيد وهو يتحمل ألمه ويشعر بقوة ارادة لم يختبرها قبلا.

وكانت الامبراطورة على بُعد ٣٠٠ متر عندما وقفت تمشي على ذيلها

مرة اخرى وتقترب من القارب الذي كان يعبر قناة ضيقة. وصرخ كيليان اذ وجد الخيط رخواً: "شدّ الخيط والا أفلتت من الصنارة."

وراح مورغاترويد يشد وعيناه زائغتان. ودنا كيليان منه وتفرّس في وجهه الذي بات أحمر كحجر الطوب. ونزلت دمعتان من عيني مورغاترويد نصف المغمضتين وانحدرتا على خدّيه المترهلين. وربت كيليان كتفه وقال: "دعني آخذ عنك قليلا. ويمكنك ان تستأنف بعد ذلك."

وفتح مورغاترويد فمه ليتكلم، فانفتح شقّ في شفته سال منه الدم الى ذقنه. ثم قال: "انها سمكتي. اتركني وشأني."

واستمر الصراع بين الاثنين: المصرفي الانكليزي وامبراطورة المحيط الهندي. وكلما سحبت الامبراطورة الخيط كان مورغاترويد يستعيد بعضاً منه.

وبلغ ارهاقه حدّ الهذيان. وفي الرابعة والنصف بعد الظهر كان انقضى على صراعه سبع ساعات ونصف ساعة. وبات وشيكاً ان يستسلم احد الطرفين. وفجأة ارتخى الخيط. وسحبه مورغاترويد، فأتى نحوه دونما مقاومة.

وبرز كيليان في مؤخر السفينة وصاح: "ها هي الامبراطورة تأتي مطواعة."

وكان البحر هادئاً ذلك الوقت. وهرع جان ـ بول وهيغينز، الذي كان مصاباً بدوار البحر طوال فترة بعد الظهر، ليراقبا ما يجري. وأوقف باسيان المحرك وأقفل عجلة القيادة.

ووقف الجميس ينظرون بصمت. وأمكنهم ان يتبينوا جسد الامبراطورة الضخم بوضوح على بعد عشرين متراً فقط. وانتصبت زعانفها الأنيقة قليلا قبل أن تستسلم.

للمرة الاولى في ثماني ساعات أمسك مورغاترويد القصبة بخفة. وراح يفك شبكة الصيد التي تطوّقه وهو يصارع الألم. ووقع على ظهر القارب وهو لا يقوى على المقاومة. أما الأربعة الآخرون فوقفوا عند حافة القارب ينظرون.

وعلى صفحة الماء اضطجعت الامبراطورة على جانبها وهي مرهقة حتى الموت. وقفز جان ـ بول الى الحافة وقد رفع رمحه الشائك تحفّزاً.

وصرخ مورغاترويد بصوت مُجْهَد أجشّ: "كلا!"

وتجمدت أوصال الفتى ونظر الى تحت. وهناك رأى مورغاترويد على يديه وركبتيه، وفي يده اليمنى التي هَرِست راحتها آلة لقطع الأسلاك. ورفع جسده واتكأ عند مؤخّر القارب. ثم أطبق الآلة على السلك وقطعه.

وصرخ هيغينز: "ماذا تفعل؟ انها ستهرب."

عندئذ هزّت الامبراطورة رأسها المنهك وغطست في المياه الباردة. وقلبتها موجة على بطنها، فغاصت في الماء وقد اهتز ذيلها مرتين قبل ان تعود الى موطنها الأمين المظلم في الاعماق.

وتنهد كيليان قائلا: "ايها المجنون!"

وحاول مورغاترويد الوقوف، لكن الدم سرى غزيراً الى رأسه ففقد الوعي.

شيخ الصيادين - عندما استعاد مورغاترويد وعيه كانت الشمس غابت فيما القارب "آفان" يدخل البحيرة في طريق عودته. ورسا القارب على رصيف المرفأ وقفز منه جان - بول نحو القرية. اما كيليان فاعان مورغاترويد على النزول الى اليابسة، قائلا له انه سيرافقه الى المستشفى اولا لاستشارة الطبيب.

سار مورغاترويد ببطء على الرصيف حيث وقف عدد من أهل القرية، كان أولهم السيد باسيان. وهزّ رأسه تحية للربان وابتسم قائلا: "شكراً."

ورفع العجوز قبعته وردّ التحية بالفرنسية: "أهلا بالمعلم." وبينما راح مورغاترويد يعرض صفّ القرويين، كان كل منهم يرفع قبعته قائلا: "أهلا بالمعلم."

وهمس مورغاترويد في اذن كيليان: "ماذا يقولون؟"

- انهم يحيونك ويطلقون عليك لقب معلم في صيد السمك.

"ألانني قبضت على الامبراطورة؟"

وابتسم كيليان وأجاب: "كلا! بل لأنك أعدتها الى الحياة."

كانت الساعة العاشرة ليلا عندما دخل مورغاترويد الفندق. وبدا منظره غريباً وقد طُليت ذراعاه ورجلاه بمحلول الكلامين الزيتي الذي استحال أبيض كالكلس بعد جفافه، ورُبطت يداه بقماش أبيض. وظهر احمرار وجهه الشديد تحت المرهم الذي طُلي به.

وسار بهدوء نحو الجمع الذي وقف لتحيته.

وقال أحدهم: "هنيئاً لك يا معلم."

وبدأ مورغاترويد صعود السلم نحو غرفته. وعندئذ برزت زوجته من صالة التجميل وقد لفتها الصخب الذي رافق عودة زوجها. وكانت أمضت النهار كله استعداداً لصبّ جام غضبها عليه بعدما حارت في أمره اذ لم تجده في خيمتها على الشاطىء كالعادة. وكان يعلو وجهها احمرار خلّفه الغيظ، لا نور الشمس، وقد تدلت العقائص من شعرها.

وصرخت بحنق: "مورغاترويد! هل رأيت شكلك في المرآة؟"

ونظر مدير المصرف الى زوجته من عل وفعل شيئاً لم يقدم عليه طوال تلك السنوات اذ صاح فيها:

"اخرسي."

وفتحت ادنا مورغاترويد فاها بذهول.

أما الزوج فتابع بهدوء: "لم تكفي عن تهديدي طوال السنوات الخمس والعشرين التي انقضت على زواجنا، بالذهاب الى اختك والعيش معها. حسناً. اني لن أثنيك عن هذا الأمر. لقد قررت البقاء على هذه الجزيرة."

وفي الردهة وقف الناس يتنصّتون وكأن على رؤوسهم الطير.

وأضاف مورغاترويد: "انك لن تكوني معوزة. فسأترك لك منزلنا وبعض المدّخرات."

وقال هيغينز بصوت متهدّج: "لا يمكنك أن تغادر لندن، اذ لن يكون لك ما تعيش عليه."

فأجابه مورغاترويد: "بلى، سيكون لي ما يكفي. فعندما عادني السيد

باسيان في المستشفى، تمّ بيننا الاتفاق الآتي: أن أبتاع قاربه بتعويضي التقاعدي ويبقى هو ربانه، فيغطي نفقات تعليم حفيده الثانوي والجامعي. أما أنا فسأكون نوتي القارب. وسوف يلقنني، خلال سنتين، طرائق البحر وصيد السمك. وبعد ذلك أكسب عيشي من أخذ السياح الى رحلات الصيد البحري."

وسأله هيغينز: "وماذا عن المصرف؟"

وأضافت ادنا مورغاترويد وهي تقول: "وأنا؟"

وبعد تفكير حكيم في كل من السؤالين، أجاب مورغاترويد:

"أما المصرف فليذهب الى الجحيم. وأما أنت، يا سيدتي، فالى الجحيم أيضاً."

بعد ذلك أدار ظهره وصعد الدرجات الأخيرة التي تفصله عن غرفته، فيما انطلقت صيحات النظارة اعجاباً واكباراً.

■ فردريك فورسيث

(مؤلف اثنين من الكتب الاكثر مبيعاً في العالم وهما "ملف الاوديسة" و"يوم ابن آوى")



كاتب اجباري

سئل الكاتب المسرحي الامريكي نيل سايمون كيف يرغم المؤلف نفسه على الكتابة، فقال: "عليك، اولاً، بارسال زوجتك الى محل للملبوسات الباهظة الثمن."

ا.و.

مؤرخ بريطاني

كانت دليلة سياحية ترافق عدداً من السياح الامريكيين الى قلعة وندسور البريطانية القديمة. لكنّ أزيز الطائرات طغى على كلامها. ولما انتهت سألها أحدهم: "ولماذا قرر مخططو المدينة بناء القلعة بالقرب من المطار؟".

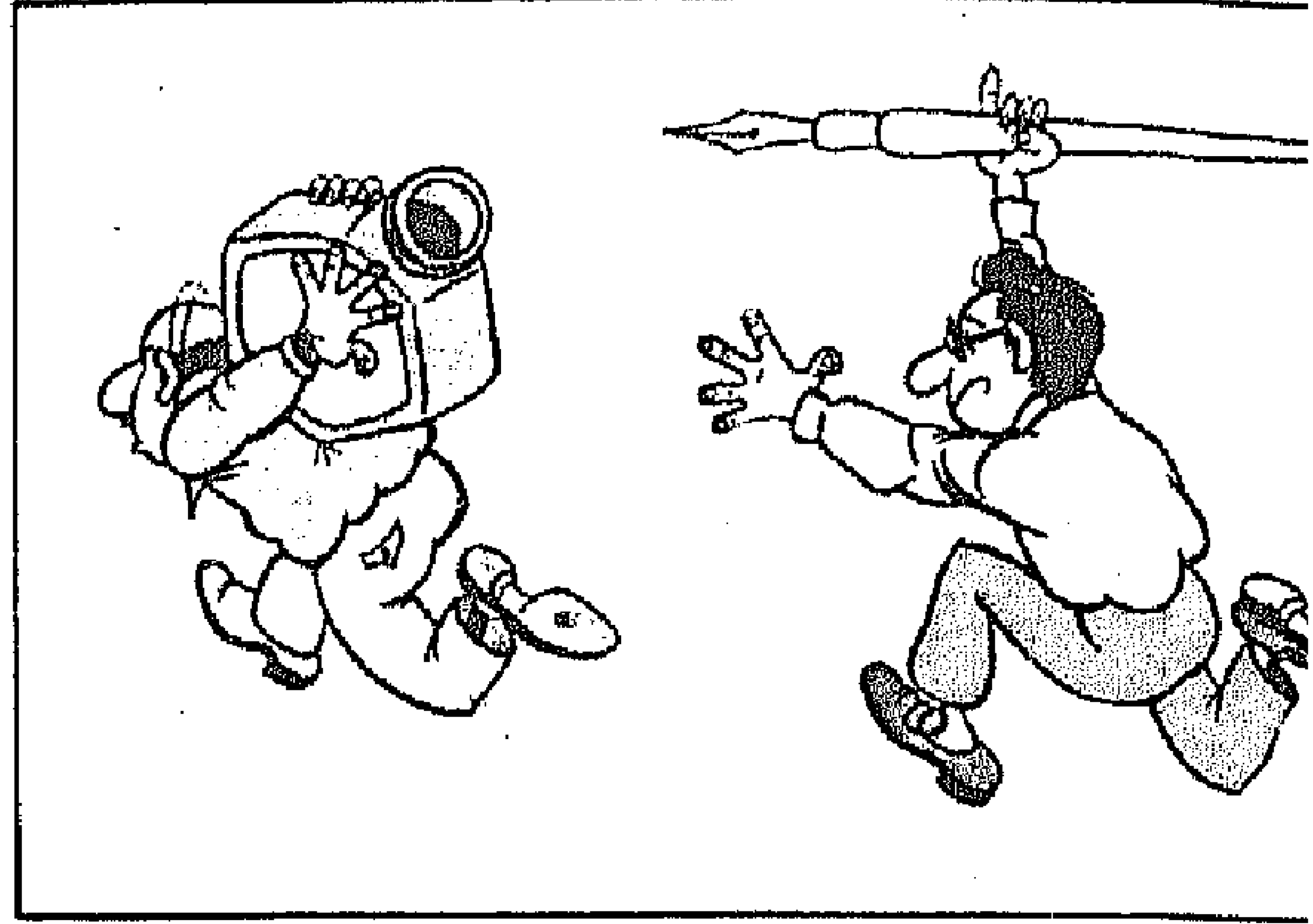
صحيفة "فايننشال تايمس"، لندن

العشاء البوليسي

قال الرجل لزوجته: "العشاء رائع اليوم! من علمك اعداد هذا الطبق؟"

ــ لقد عثرتُ على التعليمات في القصة البوليسية التي كنتُ أقرأها!

د.ت.ا.



دائرة المعارف

تضم هذه الدائرة اسماء عربية ما زالت شائعة، وقد وضع أمام كل اسم اربعة معان، واحد منها صحيح، والمطلوب من القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١- **هشام:** حراب ـ جود ـ نبات متكسر ـ نبيل.

٢- **مها:** بقر وحشي ـ سهام ـ وجدان ـ عين واسعة.

٣- **منذر:** مقتّر ـ صاحب نذر ـ بهلوان ـ محذّر.

٤- **خَولة:** ملكة ـ جارية ـ ظبية ـ عطية.

٥- **طارق:** فاتح ـ مسافر ـ زائر الليل ـ حدث مفاجىء.

٦- **قابوس:** مصباح ـ رجل وسيم ـ نجم ـ حلم مريع.

٧- **زُلفى:** منزلة ـ تودد كاذب ـ سقوط ـ من الزهور.

٨- **بندر:** موضع درس القمح ـ ثمر ـ راية ـ مرسى السفن.

٩- **عباس:** اسود اللون ـ مارد ـ كثير العبوس ـ فارس.

١٠- **نجوى:** بوح ـ حمامة ـ رجاء ـ فؤاد.

١١- **ربَاب:** تلال ـ سحاب ابيض ـ اشلاء ـ رمل الصحراء.

١٢- **حيدر:** ذو رفعة وخيلاء ـ ثعبان ـ حسن القد ـ اسد.

١٣- **مروة:** صدَفة ـ حجر صلب ـ شهامة ـ لبدة الاسد.

١٤- **حاتم:** كريم ـ لا مناص منه ـ حاكم ـ بعيد.

١٥- **ياسر:** سهل ـ مقبل ـ غزير ـ باسل.

١٦- **ريّا:** ريح طيبة ـ شمس ـ حسناء ـ ارض خصبة.

١٧- **كوثر:** زهر جميل ـ نور ـ شراب عذب ـ فردوس.

١٨- **سريّ:** غني ـ صاحب وفي ـ حارس ـ سيد شريف.

١٩- **وئام:** امومة ـ وفاق ـ اشارة خاطفة ـ ضيافة.

٢٠- **غسان:** مطر هامر ـ امير ـ حدة الشباب ـ ذهب.

٢١- **هيثم:** فم واسع ـ حمل ثقيل ـ اسد ـ صقر.

٢٢- **شهلاء:** سريعة ـ رفيعة ـ ذكية ـ من خالطت سواد عينيها زرقة.

٢٣- **منهل:** مورد ـ بدر ـ واسع ـ سيف.

٢٤- **اميّة:** ام صغيرة ـ وطن ـ واسعة الوجه ـ جارية.

٢٥- **رؤوف:** نازف ـ شديد الرحمة ـ رفيع ـ دامع.

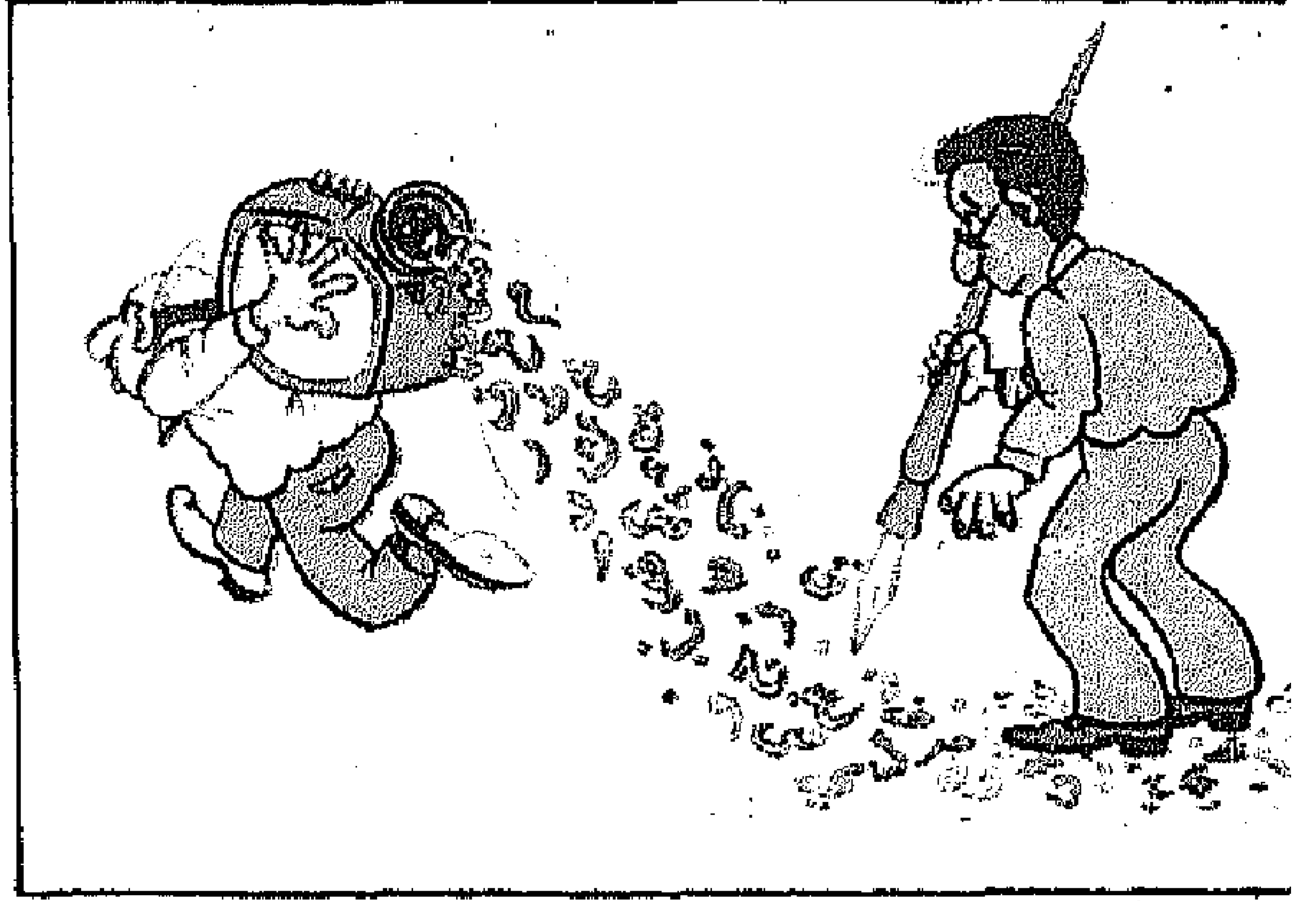
٢٦- **سُعود:** ارتقاء ـ حد النسيف ـ يُمن ـ سواد العين.

٢٧- **زينب:** شعر طويل ـ عفاف ـ نجم سيار ـ شجر طيب الرائحة.

٢٨- **شاهين:** جبل عال ـ صقر ـ ملك ـ سيف مسلول.

٢٩- **لميس:** عذراء ـ امرأة لينة اللمس ـ حنان ـ حساس.

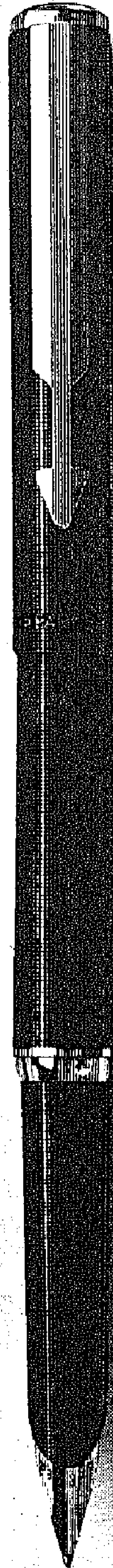
٣٠- **جعفر:** نهر ـ شعر جعد ـ مغبر ـ كريم.



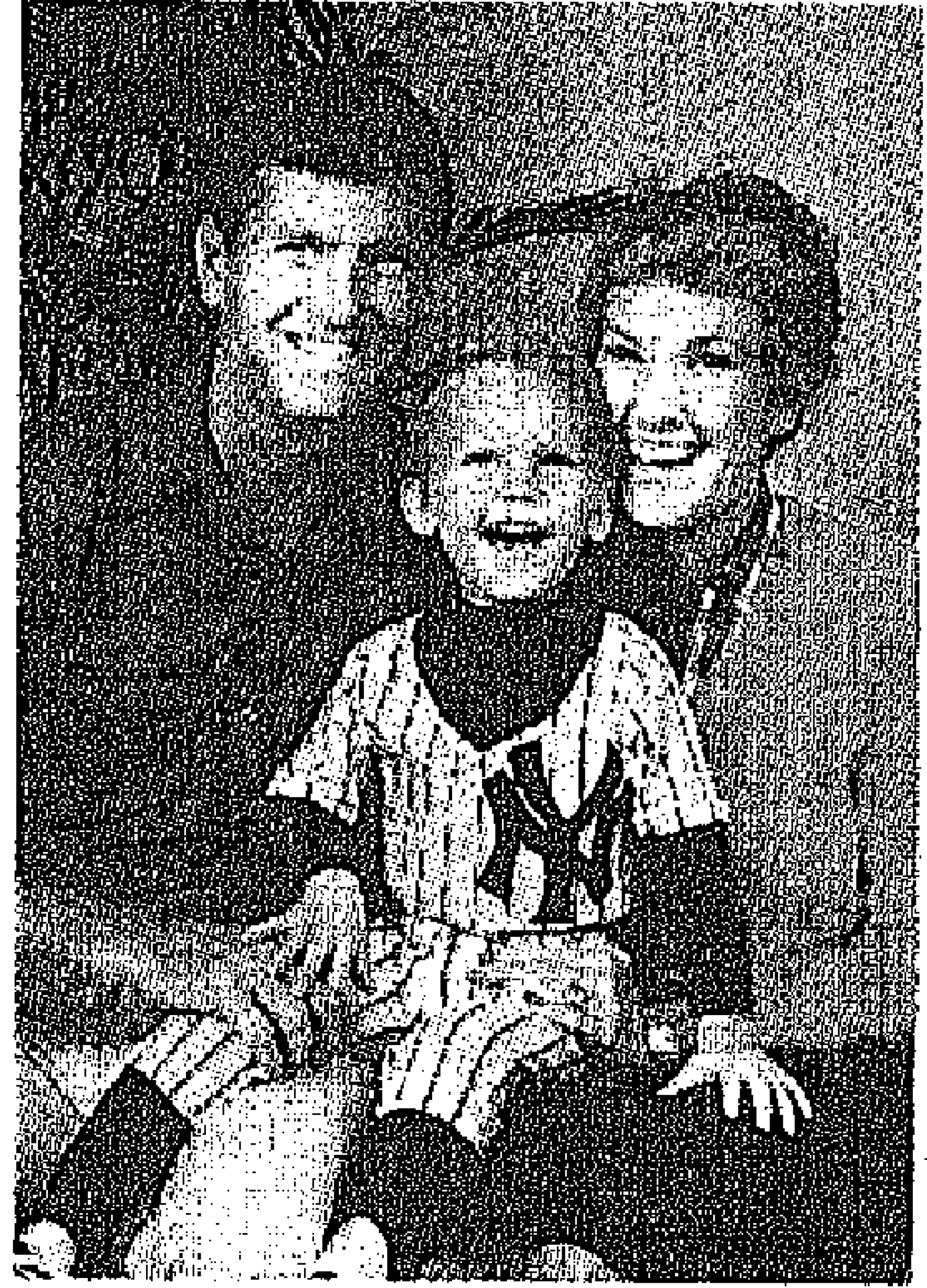
الأجوبة الصحيحة

١ • هشام: جود • هشيم: نبات يابس متكسر •
٢ • مها: جمع مهاة، وهي بقرة وحشية يشبّه بها في حسن العينين •
٣ • منذر: محذّر ومخوّف • ايضاً: الشيب لانه ينذر بقرب الاجل •
٤ • خولة: ظبية • الخؤولة: نسبة الى الخال •
٥ • طارق: زائر الليل، سمي كذلك لحاجته الى دق الباب •
٦ • قابوس: رجل جميل الوجه حسن اللون •
٧ • زُلفى: منزلة • تزلف: تقرب •
٨ • بندر: مرسى السفن • ايضاً: مدينة بحرية •
٩ • عباس: كثير العبوس، وهو من اسماء الاسد •
١٠ • نجوى: ما يباح به من اسرار الفؤاد •
١١ • ربّاب: سحاب ابيض • ايضاً: آلة طرب • رباب: اصحاب •
١٢ • حيدر: اسد • ايضاً: قصير •
١٣ • مروة: حجر صلب يعرف بالصوان • ايضاً: ريحانة •
١٤ • حاتم: حاكم • ايضاً: اسود • وهو لقب الغراب لانه يحتم بالفراق •
١٥ • ياسر: سهل • ايضاً: جزار •
١٦ • ريّا: ريح طيبة • الروي: حرف القافية •
١٧ • كوثر: شراب عذب • ايضاً: نهر يقال انه في الجنة •
١٨ • سري: سيد شريف صاحب مروءة •
١٩ • وئام: وفاق • يقال: لولا الوئام لهلك الانام •
٢٠ • غسان: حدة الشباب • غساني: رائع الحسن والجمال •
٢١ • هيثم: صقر • وقيل فرخ النسر او فرخ العقاب •
٢٢ • شهلاء: من خالطت سواد عينيها زرقة •
٢٣ • منهل: مورد • ايضاً: موضع الشرب على الطريق •
٢٤ • امية: خادمة ومملوكة •
٢٥ • رؤوف: شديد الرحمة • استرأف فلاناً: استعطفه •
٢٦ • سُعود: يُمن وبركة • سعود النجوم: عشرة كواكب يقال لكل منها سعد •
٢٧ • زينب: شجر حسن المنظر طيب الرائحة •
٢٨ • شاهين: طائر من جنس الصقر طويل الجناحين •
٢٩ • لميس: امرأة لينة اللمس •
٣٠ • جعفر: نهر • ايضاً: ناقة غزيرة •

المستوى
٢٥ ــ ٣٠: ممتاز •
١٩ ــ ٢٤: جيد •
١٣ ــ ١٨: مقبول •



سقط الصغير من نافذة الطبقة الثالثة
وخمدت انفاسه • لكن تفاني ابويه وحب الناس
وعطفهم حققت معجزة الشفاء


ترافيس جون ووالداه

الحبّ الشافي

في اوساط لاعبي البينسبول (كرة القاعدة) الامريكيين ينزع كل من يواجه مشكلة الى كتمان امرها، فيدعه الآخرون وشأنه• وعندما أصيب زوجي تومي بتمزق في اربطة العضل في ذراعه عام ١٩٧٤، هلع الجميع لهذه الاصابة التي هددت حياته المهنية وحدتنا على الانزواء تدريجاً عن اصدقائنا الذين اخذوا هم ايضاً يبتعدون عنا•

ولم أكن انا اختلف عنهم• فقبل ذلك بسنة، حين علمت ان صديقة لي مصابة بالسرطان، أصبحت أخشى رؤيتها، ولا اتصل بها الا نادراً• من المؤسف حقاً ان ندع المحن تفرق بيننا، كان هذا ما اعتدناه• ولكن في ١٣ أغسطس (آب) ١٩٨١، حين واجهنا اعظم رعب يمكن ان يلم بأبوين، حدث ما لم يكن في الحسبان•

كان تومي في رحلة مع فريق "نيويورك يانكيز،" فلبيت مع اولادي تامي (٧ سنوات) وتوم (٤ سنوات) وترافيس (سنتان ونصف سنة) دعوة الى قضاء عطلة على شاطىء البحر في نيوجرزي مع صديقينا تشارلز وكارول شايفر• وتبعتنا اختي جودي وأولادها في سيارتهم•

طوال الطريق دأبت على دعوة الاولاد الى الحرص والانتباه. لكن عيني ترافيس كانتا تلتمعان بوميض من الشقاوة.

ما ان دخلنا الممر المؤدي الى البيت حتى ادركت انه يكاد لا يتسع لسيارة جودي. وكي لا ادعها تنزل اولادها في الشارع المزدحم، اقتربت كثيراً من البوابة لأفسح لها في المجال. وقد كان لبادرة اللياقة الصغيرة هذه الأثر الحاسم في ما تلاها من احداث.

بعدما قضينا وقتا ممتعا على الشاطىء بعد ظهر ذلك اليوم عدنا الى منزل آل شايفر. وراح الاولاد يلعبون بهدوء في غرفة نومهم في الطابق العلوي، وأنا في الغرفة الملاصقة ارتدي ملابسي استعداداً للعشاء. واذا بتامي يزعق: "أماه! أماه! لقد سقط ترافيس من النافذة!"

هبطت السلم قفزاً فوجدت ترافيس ممدداً على الارض وفاقداً الوعي. وشعرت ان عقلي يرفض تصديق ما رأته عيناي. وانحنيت على صغيري ورفعته بين يدي وضممته الى صدري.

واخذت أصرخ: "لا يا ترافيس! لا!" لكنه كان مرتخي الاعضاء وخامد الانفاس. كان الدم يقطر من احدى اذنيه وبدا جلده أزرق. وتدلى رأسه على ذراعي كأن لا حياة فيه. ورفعت نظري الى النافذة التي سقط منها فرأيت انها في الطبقة الثالثة من البناء. عندئذ صدمني الواقع، فصرخت: "لقد مات طفلي!" وفي الطابق العلوي كان صراخ الاولاد يمتزج بصراخي.

ولمحت لسان ترافيس مقلوباً بين شفتيه المتباعدتين، فحاولت ادخال اصبعي لأعيده الى وضعه الصحيح، غير ان فكيه كانا مطبقين بقوة. ومددته على الارض ورحت ابحث عن عود يعينني على فتح فمه. آه، زجاجة طلاء الاظفار. كنت ممسكة بها حين زعق تامي. وادخلت رأسها الدقيق في فم ترافيس ومددت اصبعي حتى بلغ اللسان وجذبته فاستقام. عندئذ شهق ترافيس متنشقاً الهواء.

ووصل رجال الاسعاف وهرعوا بنا، انا وترافيس وجودي وكارول، الى المستشفى.

براثن الموت — اخبرني تامي لاحقاً ان ترافيس كان يقفز على عتبة النافذة ويرتمي على شبكتها المصنوعة من الاسلاك ثم يرتد عنها. لكن الشبكة انزاحت ورأى تامي قدمي اخيه الصغيرتين تختفيان خلف عتبة النافذة. وسقط ترافيس على غطاء محرك السيارة ثم على ارض الممر. وهو لو سقط مباشرة على الارض المكسوة بالاسمنت الصلب لقضى على الفور.

بينما كانت جودي وكارول تملآن النماذج الرسمية لادخال الطفل المستشفى، اتصلت هاتفياً بزوجي في ديترويت (ولاية ميشيغان) حيث كان فريقه يلعب. ترى كيف للام ان تخبر زوجها ان ابنه يتخبط بين براثن الموت؟ ليست هناك طريقة سهلة لذلك.

قلت متلعثمة: "تومي، يا عزيزي، لقد سقط ترافيس من النافذة.

اظن... اظن... انه دق عنقه... تومي، احضر حالا، ارجوك!"

اجاب تومي: "يا عزيزتي، سأكون عندك بأسرع ما استطيع."

وقفت بجانب جودي وكارول وأخذت أبكي. ثم جاءت ممرضة وطوقتني بذراعها وسألتني: "هل تريدين ان تختلي بنفسك؟" فهززت رأسي موافقة. وادخلتني غرفة صغيرة. وهناك جثوت على ركبتي في نوبة غامرة من الأسى وأخذت ابتهل الى الله: "رباه، رحماك، لا تأخذ منا ترافيس."

بعد قليل دخلت رئيسة الممرضات وقالت لي ان ترافيس، بأعجوبة لا تصدق، لم يصب بأي كسر في عظامه. ثم اردفت قائلة: "لكننا نحتاج الى توقيعك لكي يجري الاطباء له عملية استكشاف داخل الجمجمة. فقد يكون هناك نزف داخلي في الرأس."

سيجرون جراحة في دماغ ترافيس!

قلت لها: "لا يمكنني ان اوقع على انهاء حياة طفلي. عليّ... عليّ ان اتصل بشخص ما."

قالت الممرضة: "سيدتي، ليس لدينا متسع من الوقت. اذا لم توقعي، فقد يموت طفلك."

ووافقت على اجراء الجراحة، وبدأ الانتظار الطويل. بعد ساعتين ونصف ساعة خرج الطبيب ليخبرنا ان ترافيس بخير لكنه ما زال غائباً عن الوعي. وكان الوقت باكراً للجزم بما اذا كان دماغه أصيب بعطل دائم ام لا.

في الاولى صباحاً وصل تومي متوقعاً ان يرى طفله ميتاً. ووقفنا معاً امام سرير ترافيس، وهمس زوجي والدموع تفيض من عينيه: "هيا يا حبيبي، ها أمك وأبوك بجانبك، اننا نحبك."

عندئذ امسكت بتومي ليشجع كل منا الآخر، اذ ان رؤية طفلنا في تلك الحال كانت قاسية جداً علينا. عيناه كانتا جاحظتين لكنهما لا تريان، بينما ذراعاه وساقاه تنتفض بحركات عصبية لاارادية.

اجتمع تومي بالاطباء. وكانوا قاموا بعمل رائع في تلك الحال الطارئة، لكن الخطوة التالية كانت تأمين افضل معالجة للطفل. واتصل تومي بطبيب صديق، فأشار عليه بمراجعة الدكتور فرد ابشتاين جراح الاعصاب الخاص بالاطفال في المركز الطبي لجامعة نيويورك في مانهاتن.

بعد ليلة لم يغمض لنا فيها جفن اتصلنا بالدكتور ابشتاين، فاقترح أن ينقل ترافيس فوراً بالطائرة الى نيويورك.

لدى وصولنا الى المركز الطبي في العاشرة والنصف استقبلنا الدكتور ابشتاين مع فريق من الاختصاصيين، وقال لنا بعدما فحص ترافيس: "ان حال الصغير خطرة جداً، لكننا لم نعثر على اي عطل في الدماغ لا تمكن معالجته." وهنا عانقت زوجي في غمرة من الفرح.

قال لي الطبيب: "يا سيدتي، ان أهم انجاز حققته هو انك جعلت طفلك يستعيد تنفسه في تلك الدقائق الاولى الحرجة. ولو لم تبادري الى ذلك لقضى ترافيس مختنقاً. لكن

امامه الآن فرصة لكي يكافح ويبقى حياً."

الكلمات الغالية ـ على رغم العبارات المشجعة لم تجرِ الامور على ما يرام. فخلال ساعات أخذ ترافيس يعاني سلسلة من التشنجات. وقد امكنت السيطرة على هذه، لكن حاله اخذت تسوء. ومن اجل تخفيف الضغط الناجم عن الصدمة القاسية التي اصابت الدماغ، فتح الاطباء اربعة ثقوب صغيرة في الجمجمة. وأمر الدكتور ابشتاين بفتح ثقب اضافي. ثم أُدخل انبوب دقيق في الجمجمة الى السطح الخارجي للدماغ، ووصل هذا الانبوب بمرسمة للذبذبات. وهكذا اصبح في وسع الاطباء معرفة مقدار الضغط الذي يتعرض له دماغ ترافيس. كذلك زيدت مقادير الأدوية التي كانت تعطى له، لكنه بقي في غيبوبة عميقة.

مرت ايام وليال، وظللنا نحوم حول سرير طفلنا في انتظار بادرة تشير الى انه يستعيد وعيه. ولم تظهر اي اشارة.

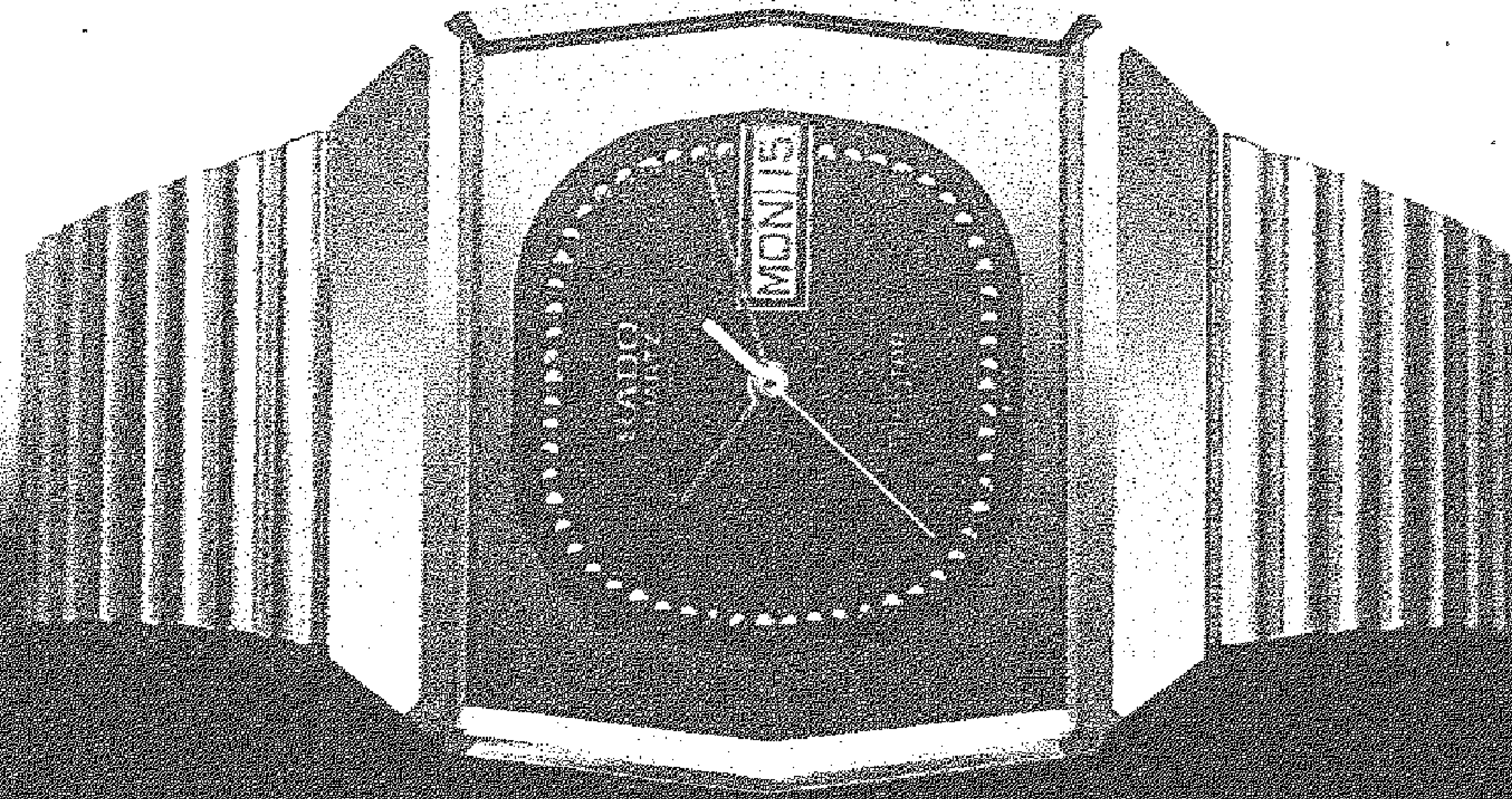
وعاد تومي الى فريقه بعد رفض عنيد. فبعد الساعات الطويلة المرهقة في المستشفى بات في حاجة الى حل توتر اعصابه فوق الملعب. ولكن في الاوقات التي لم يكن يشارك في المباريات كان يعود الى جوار سرير ترافيس. وكنا نجلس هناك، انا وتومي وكارول، لنلمس ذراعي طفلنا وشعره وخديه ونهمس له: "ترافيس، يا حبيبي، استيقظ، اننا نحبك كثيراً، افتح عينيك." كنا نخاطبه هكذا طوال ساعات حتى يغلبنا الارهاق. وبدل تشارلز وكارول شايفر نهج حياتهما طوال اسابيع ليبقيا بجانبنا.

وكان تومي مدهشاً. لطفه مع الآخرين ساعده في تحمل آلامه. كان يهرع لاحضار القهوة لوالدي طفل مريض ضعضعهما الخوف، ويهدي صوره الى اطفال مرضى احبوا ان يحتفظوا بها للذكرى.

ومع مرور الايام شعرنا على نحو اعظم بمقدار تحسس الناس لوضعنا. اتصل بنا اشخاص انقطعت علاقاتنا بهم قبل سنوات، وآخرون لا نعرفهم ابداً. كانوا يقولون لنا، هاتفياً او كتابياً، انهم يصلّون من اجلنا. وبلغتنا الوف الرسائل من انحاء البلاد.

في اليوم السادس عشر بعد الحادث كنت جالسة انظر الى طفلي الصامت. فجأة رأيته يرفع يده ويفرك عينه. انها المعجزة التي صلينا من اجلها. وفي غضون ايام قليلة فتح ترافيس عينيه وبدأ يرى. لكن حنجرته بقيت ملتهبة بسبب الانابيب التي زجت فيها، فلم يقدر على الكلام.

وفي اليوم الثاني والعشرين افتر ثغره. فانحنيت وقرّبت اذني من وجهه، وحبست انفاسي اذ سمعته يهمس بمشاعره الاولى الغالية: "اني جائع." وبعد ايام قليلة كان جالساً يلهو على ارض الغرفة، فمد ذراعيه الي وتلفظ بالكلمات التي طالما تقت الى سماعها طوال الايام والليالي الكالحة، قال: "احبك يا امي."


مقياسّ المتانـة
RADO رادو
مقياس الاناقـة . مقياسّ المتانـة . مقياسّ الزمـن
MON 15
Mod. dép.

بعد سنة شفي ترافيس تماماً وعاد شقياً كما كان.

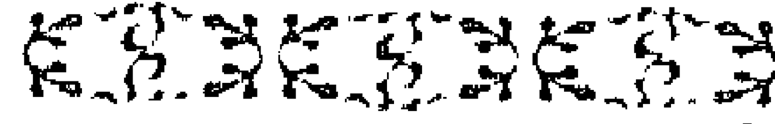
مصابنا كان مرعباً حقاً، لكننا أنا وتومي انتصرنا عليه. وبفضل الوف الرسائل والاتصالات والصلوات، اصبحنا الآن ندرك كم يحتاج الناس بعضهم الى بعض.

كلنا نتعرض في مرحلة ما من حياتنا لحدث يحطم قلوبنا أو أزمة تضعنا بين الحياة والموت. وقد تعلمنا انا وتومي انه عندما يحدث ذلك يجب الا ينطوي المرء على نفسه ويكبت حزنه ويتحمل آلامه منفرداً. علينا ان ننفتح على الناس حولنا، على افراد العائلة والاصدقاء وحتى الغرباء. كلنا نستفيد عندما يشاطرنا الآخرون احزاننا وحاجاتنا، وان بمجرد ان نقول لهم: "صلوا من اجلنا."

وعندما يحدث سوء لامرىء آخر، فلا تنكفىء عنه لعدم ثقتك بما تفعل او ما تقول. تقدم واظهر عطفك وتأثرك. هناك مقادير ضخمة من القوة والشفاء في لمسة يد محبة ونظرة عطوف.

في محنتنا اشعرَنا الوف الناس بحبهم، ومددنا اليهم ايدينا. وفيما كان الله يسبغ على ترافيس نعمة الشفاء، كان ذلك الحب يشفينا نحن ايضاً.

■ سالي جون ووليم ديرفيلد



الانحطاط الاجتماعي

من دلائل الانحطاط الاجتماعي سؤال الناس: "ماذا سيحدث؟" عوضاً عن سؤالهم: "ماذا يمكننا أن نفعل؟"

د.ر.

قوانين الطبيعة

كلّ من يمارس العلم على نحو جدي يقتنع بأن ثمة روحاً تنطوي عليها القوانين الطبيعية. وهي روح تتجاوز المحدوديات البشرية، وفي ضوئها ندرك مدى تواضُع امكاناتنا.

البرت اينشتاين

ثلاثة تمنح الحكمة

العبد يعمل لأنه مرغم على العمل، والفنان لأنه يحب العمل، والأحمق يؤتى عملا بمقدار حماقته. والحق أن في كل منا عبداً وفناناً ومغفلا. والحكيم هو من حاول أن يوازن بين الثلاثة في ذاته.

اندرو ماكفيل، "مقالات في السياسة"



انتشال التاريخ من قعر البحر


خلال السنوات الألفين الأخيرة شهدت قناة سولنت في جنوب بريطانيا أحداثاً كثيرة. فقد عبّرها الرومان المغيرون وتبعهم الفايكينغ الذين عاثوا في الأرض فساداً، ثم الملك كانوت الدانمركي (٩٩٤ - ١٠٣٥) الذي ارتقى عرشي انكلترا والنروج فضلا عن عرش بلاده، وبعده اللورد نلسون والألمان بقنابلهم الضاربة. الا ان هذه المياه نفسها في اوائل خريف ١٩٨٢ شهدت حدثاً من نوع آخر، ألا وهو انتشال سفينة "ماري روز" التي تعود الى اسرة تيودور المالكة والتي بقيت في جوف الماء ٤٣٧ سنة.

ويقول السير ريتشارد هاريسون، المدير التنفيذي للمؤسسة الخاصة باحياء هذه السفينة، ان انتشالها هو "تتويج لأعظم حملة شهدها التاريخ تحت سطح الماء". ذلك ان "ماري روز" ليست مجرد سفينة حربية قديمة. لقد كانت سفينة الملك هنري الثامن الخاصة وطليعة اسطوله. وبلغت عنايته بها أنه دعاها "ماري تيودور" تيمّناً بأخته.

لكن الأهم من الشؤون الملكية تلك الحلقة المفقودة التي تمثلها "ماري روز" ذات المدافع الـ٩١ في تاريخ السفن الحربية. وقبل ارتقاء هنري الثامن العرش وهو مراهق عام ١٥٠٩، كانت معظم السفن الحربية سفناً تجارية في الأساس، تستعمل في نقل الجند الى أرض المعركة عند الحاجة. لكن هنري شغفته التكنولوجيا، فأمر بصنع سفينة تبنى خصيصاً لأهداف الحرب ويمكنها اطلاق القذائف من جانبيها البارزين فوق سطح الماء والاستيلاء على القوارب التي تعطلها.

وتم صنع السفينة في ميناء بورتسموث عام ١٥١٠ وجاءت ضخمة وطويلة (٤٠ متراً) وذات برجين في مقدمها ومؤخرها. وكانت من السفن الاولى التي تحمل المدافع الثقيلة فوق متنها. ويقول المؤرخ البحري الكوماندر بيتر ويتلوك ان "ماري روز" كانت "فاتحة عهد جديد في الحروب البحرية، بل انها كانت بداية الاسطول الحربي الملكي".

الكارثة - لا أحد يدري كيف غرقت تلك السفينة العظيمة، التي طالما قاومت عواصف الشتاء العاتية، في يوم صيفي مشرق. وكانت أرسيت في قناة سولنت على رأس ٥٦ سفينة انكليزية قوية للدفاع عن بورتسموث في وجه ٢٣٥ سفينة فرنسية مغيرة. والتمعت المدافع في برجي السفينة، وازدحم في أرجائها ٣٠٠ جندي اضافيون مع جنودها الـ٤١٥ الأصليين.

وتقول مارغريت رول مديرة قسم الآثار في مؤسسة "ماري روز": "هذه المدافع الثقيلة والأعداد الاضافية في برجي السفينة تشهد على فداحة الموقف. ومما زاد حدة المشكلة فقدان الانضباط في صفوف البحارة الذين كان نائب الربان، السير جورج كاريو، يدعوهم عبيداً". وتضيف أن شراع السفينة رُفع عند هبوب ريح قوية، ولكن سرعان ما انحرفت الى الميمنة وانقلبت بعد تسرب المياه من محامل المدافع.

Illustration: James Leech. Photos: Adam Woolfitt.

ووقف الملك هنري يراقب مشدوهاً، من مقرّه في قلعة ساوثسي على بعد كيلومتر، غرق سفينته المفضّلة ست قامات (١١ متراً) تحت سطح البحر. ولم يَبْقَ بارزاً منها سوى رؤوس صواريها. وبلغ الملك صراخ رجاله وهم يغرقون. وأُنقذ نحو ٣٥ رجلا، معظمهم من الخَدَم غير المدجَّجين بالسلاح. أما الآخرون، وبينهم السير جورج كاريو، فهلكوا جميعاً.

ونزلت السفينة التي تزن ٧٠٠ طن، بقوة تحت الماء الى حدّ أن ثلاثة أرباع ميمنتها غرقت في الوحل. وكان غَرَقُها عند الساعة الثانية من عصر الأحد ١٩ يوليو (تموز) ١٥٤٥. وهي لم تبارح مكانها لثقل وزنها والوحل الذي غرزت فيه. ولم يسبق العثور على سفينة غارقة بهذه الأهمية. ويقول مدير المؤسسة ريتشارد هاريسون ان "ماري روز" تحفظ في جوفها "كلّ المعالم البحرية لعصر التيودور".

وقد تمّ انتشال أشياء كثيرة ثمينة من حطام السفينة، وجرى عَرضُها في قلعة ساوثسي. ويزيد عدد السلع المعروضة على العشرة آلاف، وهي تعطينا فكرة أولية عن بريطانيا القرن السادس عشر، بما في ذلك جرس السفينة وسترات الجركينة الطويلة الضيقة التي تخلو من الأكمام وعلب تسوية الاظفار وطليها وساعات الجيب الشمسية المغطاة، فضلا عن اربعة آلاف سهم (★) وعدة طبية جراحية بينها حقنتان وضمادات وكمادات وعلب مرهم ما زالت بصمات الجراح منطبعة في داخلها. ونعرف اليوم ما كان البحارة سيأكلون بعد المعركة مساء ذلك اليوم المشؤوم. فقد وضع الطباخ في الفرن المبنيّ بالآجر سمكاً وحبوباً خضراء طازجة.

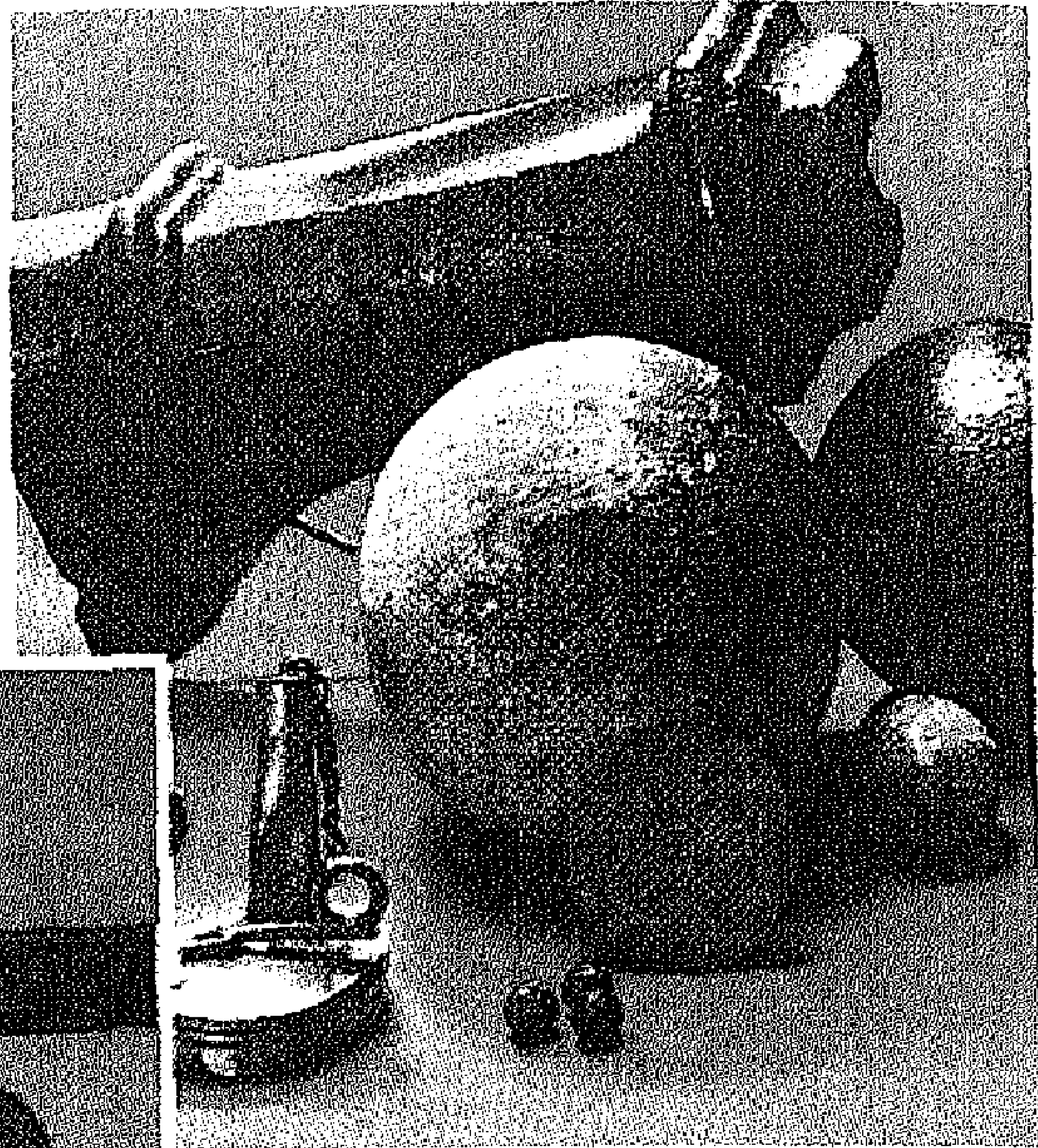
ومن ألغاز "ماري روز" التي تمّ حلّها واحد متعلق بـ"قاتل قوي لا يلين" جاء ذكره في سجل للمعدات الحربية يعود الى العام ١٦٢٨ من غير أن يعرف أحد حقيقته. ولكن بعد العثور على حطام "ماري روز" تبين ان ذلك القاتل هو مدفع ذو فوهة مربعة يطلق وابلا من قطع الحديد المربعة الهدّامة. هذا الاكتشاف ـ وسواه ـ يحتّم تعديل التاريخ المكتوب أو اعادة كتابته. كما ان القسي الطويلة التي وُجدت لا يمكن ان يستخدمها سوى رماة طوال ذوي عضلات قوية. وهذا يدحض الرأي الشائع الذي يذهب الى أن جميع محاربي التيودور كانوا قصاراً. وجاء اكتشاف أقدم بوصلة بحرية ومنقلة (لقياس الزوايا) وفرجار (لتقسيم الخطوط) ليخبرنا ان الخرائط البحرية كانت أكثر استعمالا مما يُظَنّ.

"تحت عتبة منزلي" ـ بعد أيام من غَرَق "ماري روز" اجريت محاولة لرفعها بواسطة حبال وُصلت بسفينتين فارغتين في انتظار ارتفاع المد. الا ان المحاولة أخفقت، واكتفى المنقذون بانتزاع الصواري والأشرعة العائمة فوق الماء. وظلت "ماري روز" في غياهب النسيان حتى العام ١٨٣٦. ففي ذلك العام شرع

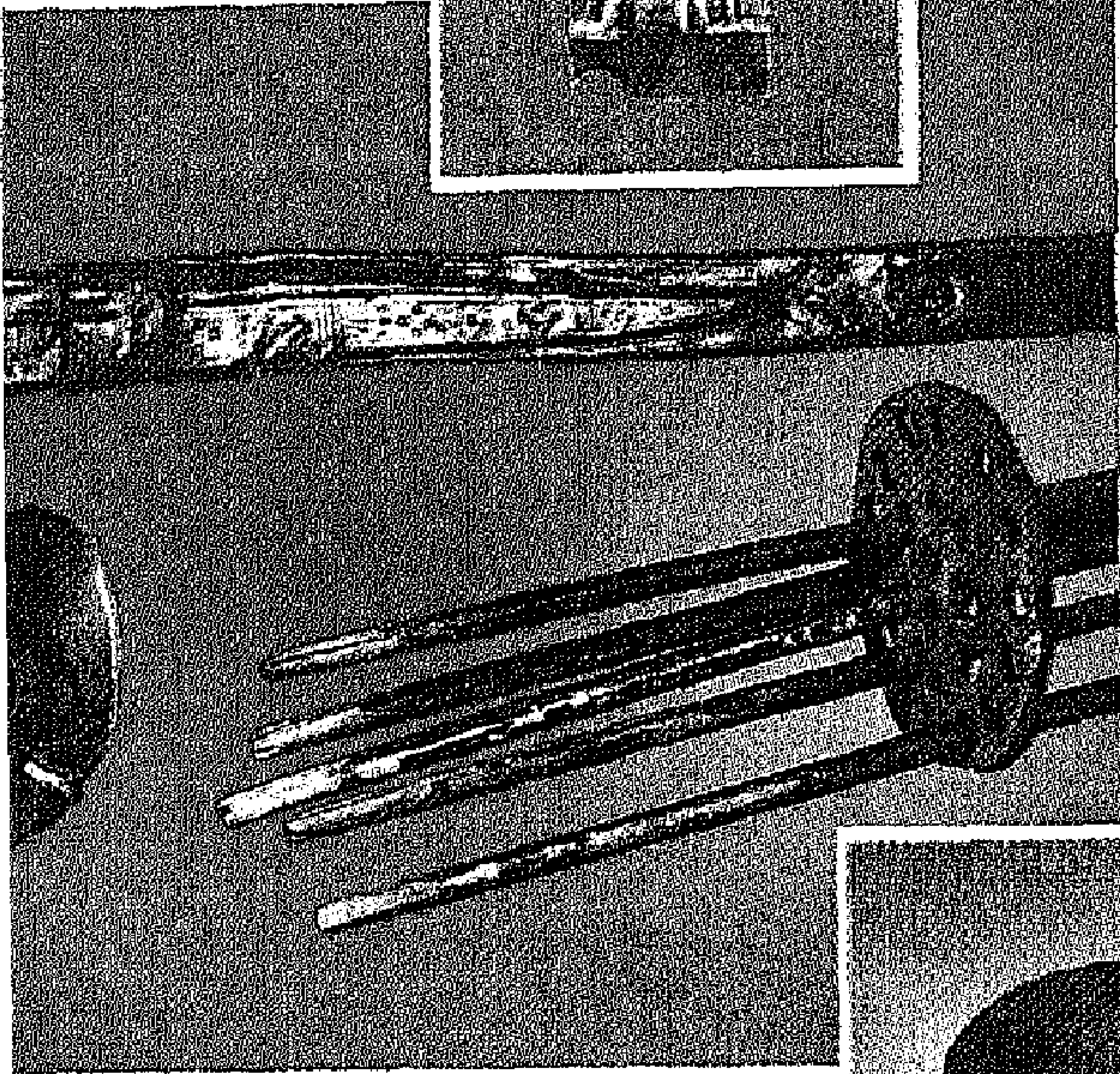
(★) حتى ذلك الحين لم يكن اكتشف سوى سهم واحد مشكوك فيه يعود الى ما قبل العهد الجورجي.



من كنوز "ماري روز" صفيحة عظمية نقشر عليها ملاكان، وهي قد تكون جزءاً من غلاف كتاب .



فوق: مدفع "القاتل الذي لا يلين،" وقذائف من حجر وحديد ورصاص، ووعاء برونزي لتقدير الكمية المفرغة من قارورة بارود .
الى اليسار: غمد جلدي، نبال في اداة مثقبة، وقاء لمعصم احد الرماة .





فوق (من اليسار): علبتان مثقبتان كانتا تحويان مادة تمتص سموم الهواء، هاون معدني للصيدلة، قاعدة طبق التسخين، قارورة دواء، حقنة وطاس للدم .
الى اليسار: حذاء جلدي، مشطان خشبيان، عدة عظم لطلاء الاظفار، حمالة برونزية لحافظة نقد .



جون دين من مقاطعة كنت، وهو مخترع خوذة الغوص الاولى، في رفع المدافع المشحونة مع أخيه تشارلز. وبعد أربع سنوات من التنقيب، شعر الأخوان أنهما أنقذا كل الأشياء القيمة الباقية. ولدى هجرهما الموقع، غرقت "ماري روز" في طيّ النسيان من جديد.

وكان مقيَّضاً لتلك السفينة ان تبقى في القاع لولا الكسندر ماكي، المؤلف والمؤرخ الذي يعيش في جزيرة هايلينغ بالقرب من بورتسموث. ويقول ماكي: "منذ حداثتي حيَّرتني أخبار "ماري روز". وأظن أنها هي التي دفعتني الى تعلّم الغوص. فقد كنتُ على يقين من أن أهم حطام بحري في أوروبا يقوم على عتبة منزلي."

ولكن أين كانت السفينة بالضبط؟

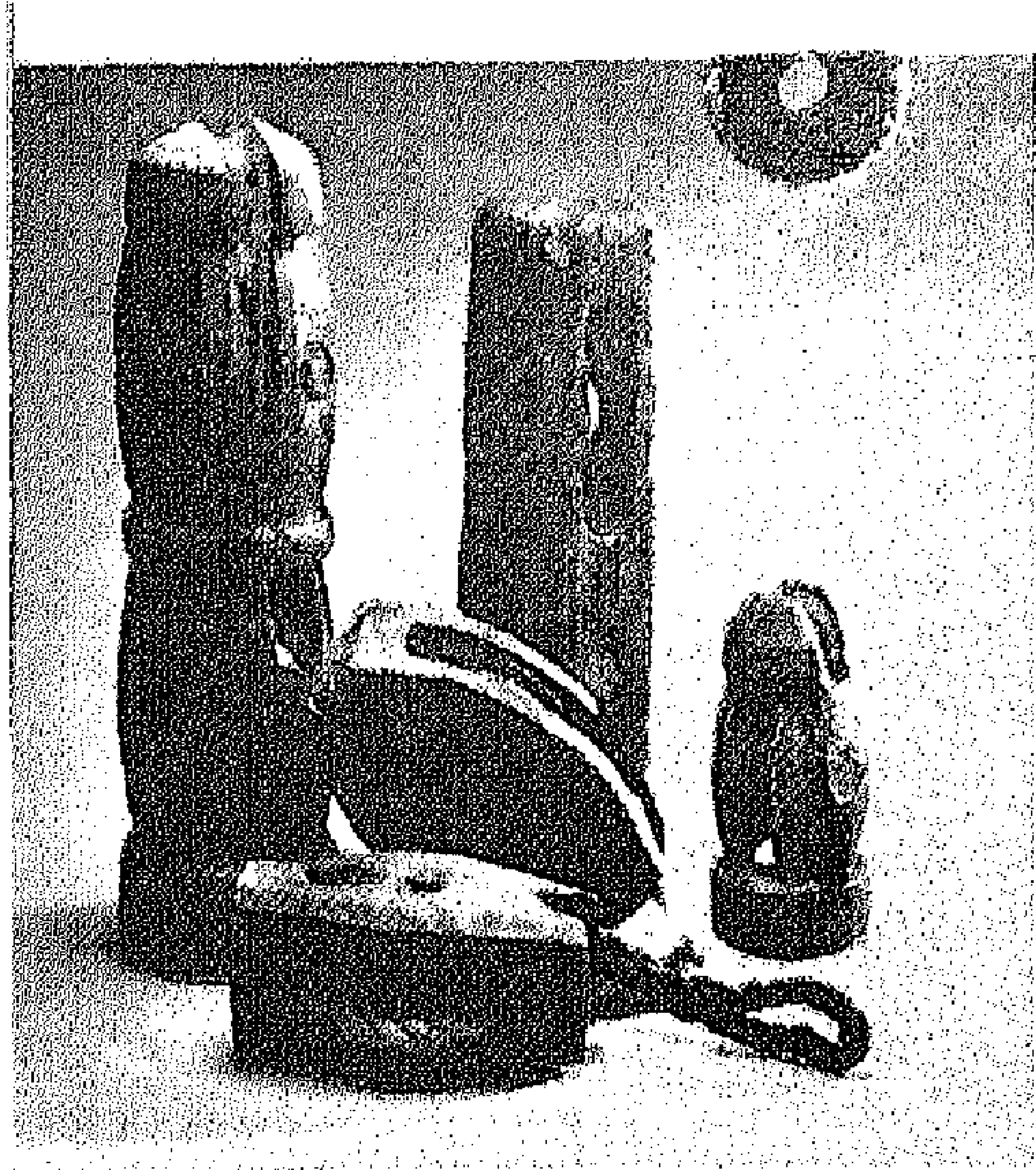
ان الكتب لا تحدد هذا الموقع بدقة. لكن الحظ أسعف ماكي حين عثر في يوم من ١٩٦٦ على خريطة بحرية لقناة سولنت تعود الى القرن التاسع عشر. وهو يقول: "كانت الخريطة تحمل علامة (×) في أحد المواضع وفوقها عبارة "ماري روز". وصعقني الاكتشاف."

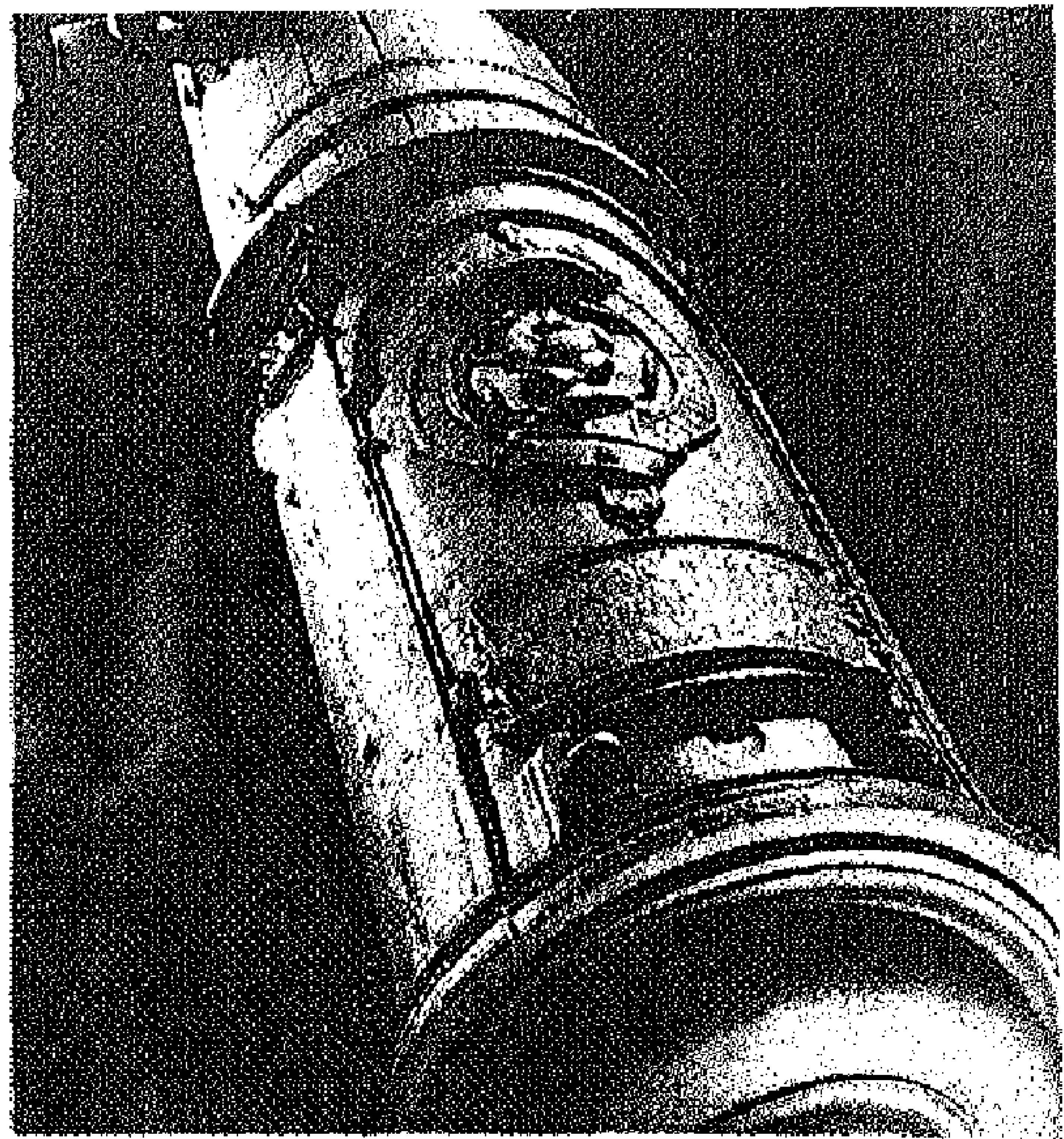
وتمكن ماكي من اقناع الاستاذ هارولد ادغرتون، من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا في الولايات المتحدة، باعارته آلة صنعها لفحص أحواض البحار. ويضيف ماكي: "أظهرت الآلة هيكلا مطموراً في ضخامة "ماري روز". وأنزلتُ قضيباً طويلا أجوف الرأس استقر فوق الحطام، ورفَعْتُ به قطعاً من الخشب القديم. وقال المشككون ان الحطام الذي وقعتُ عليه هو لسفينة فرنسية شراعية كبيرة من نوع القادس الذي تسيره المجاذيف. غير أن حَدسي أقنعني بأن ذلك الحطام كان ملكية هنري الثامن بالذات."

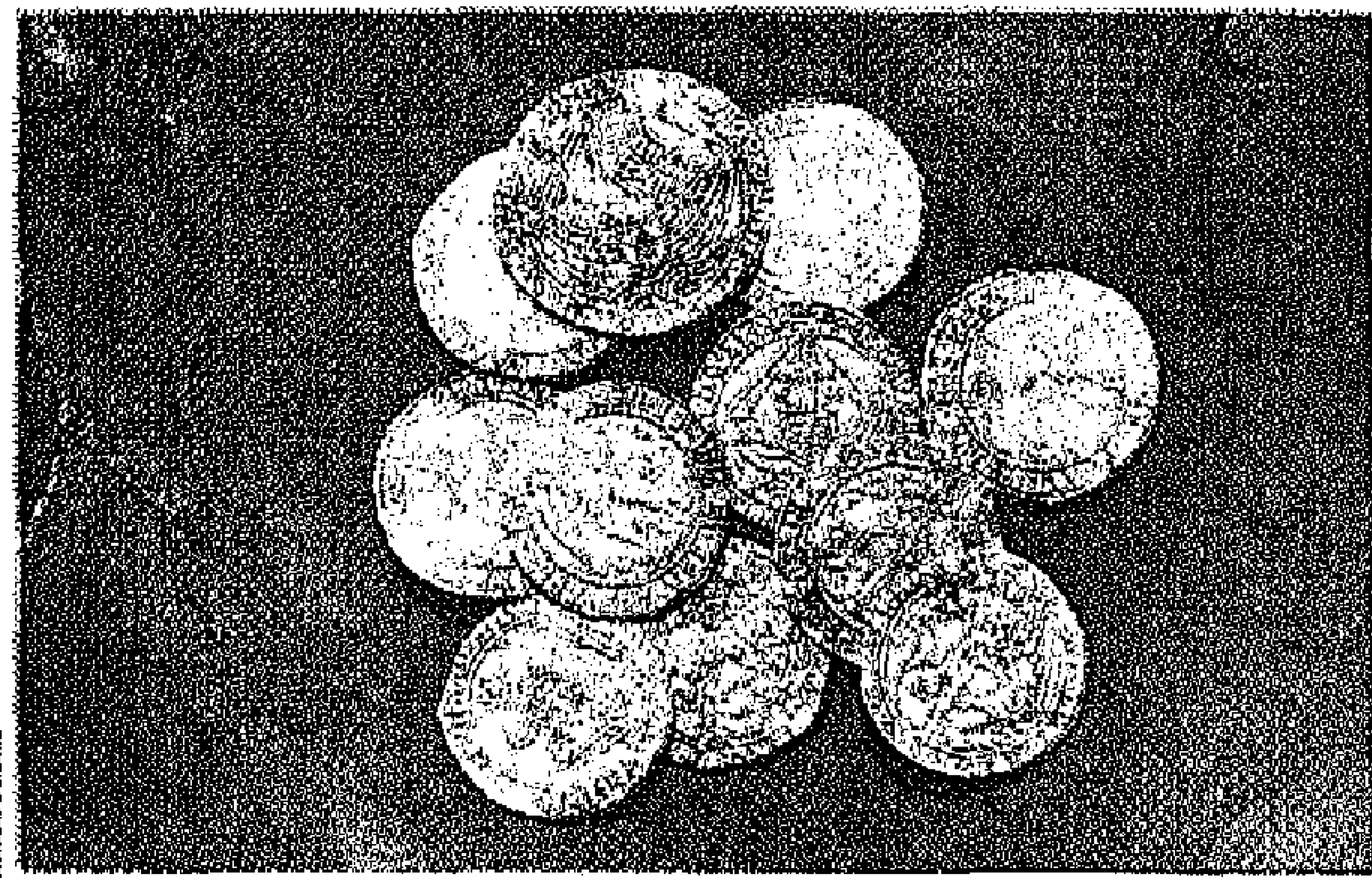
وعمل ماكي طوال أربع سنوات بمبلغ ضئيل جداً: "لم يكن لدينا مال ولا قوارب ولا تسهيلات من أيّ نوع." لكنه أقنع ربان سفينة من أصدقائه بأخذه وبعض المتطوعين من هواة الغوص الى المكان الذي ترقد تحته السفينة. وتمّ ذلك نحو اثنتي عشرة مرة في عطلة نهاية الاسبوع.

وكانت مهمة التنقيب عن حطام سفينة "في حجم بناية من أربع طبقات" مروّعة حقاً. ويقول ماكي: "كان علينا أحياناً الحفر بأيدينا العارية،" بما ينطوي عليه ذلك من عذاب جسدي، علماً ان الحرارة تكون ستّ درجات مئوية في عرض القناة لدى بدء موسم الغوص في شهر مارس (آذار). وقد يتقلص مجال الرؤية من خمسة أمتار، كحد أقصى، الى الصفر. أضف الى ذلك مرور السفن المحمَّلة بالركاب والعابرة الى جزيرة وايت، فوق رؤوس الغواصين.

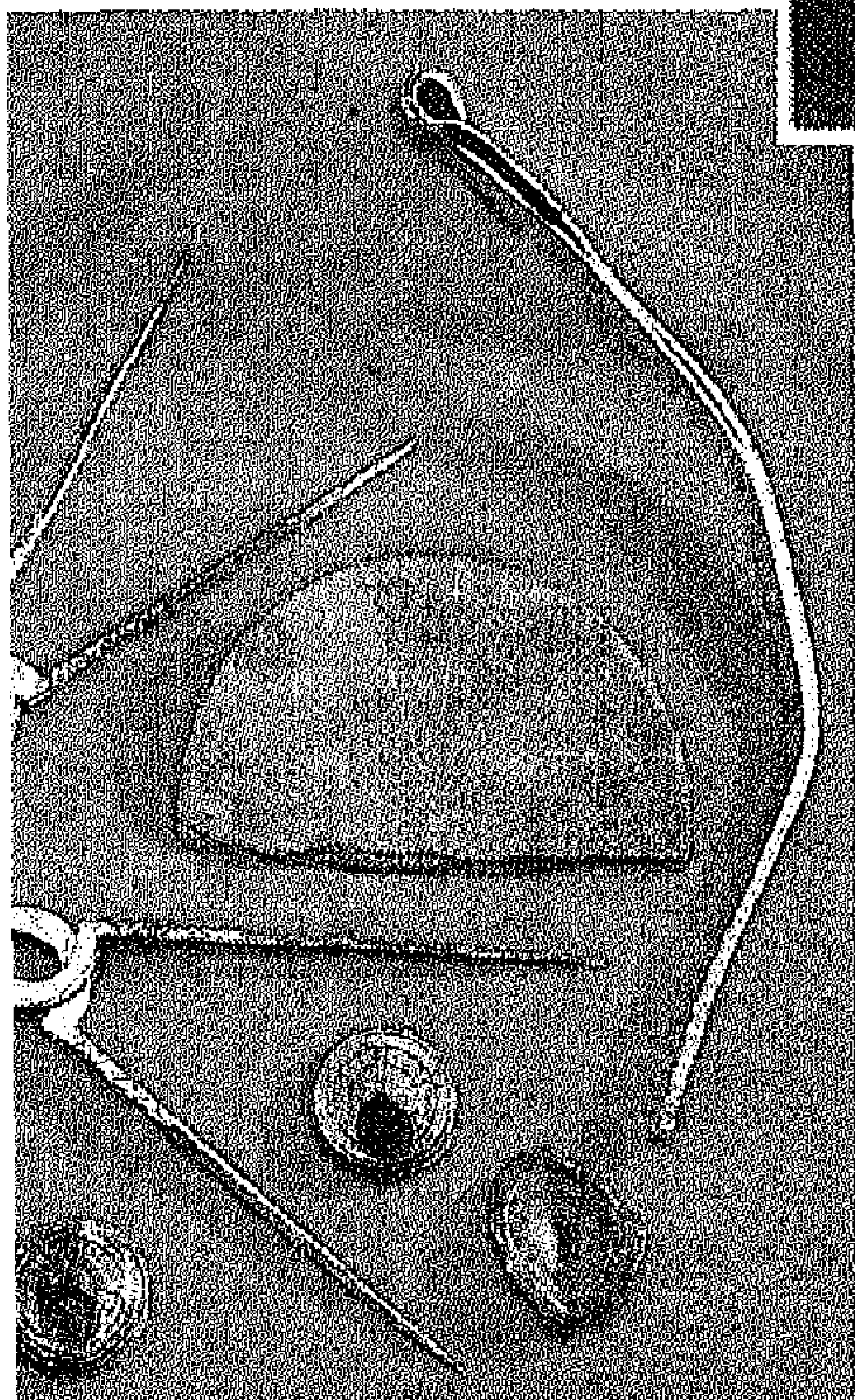
المدفع الناطق — في العام ١٩٧٠ تهللت مجموعة ماكي لدى عثورها على مدفع من عهد التيودور. ويقول الكاتب البحري موريس يونغ من ساوثامبتون: "كاد ذلك المدفع أن يهتف باسم هنري الثامن. وذلك كان كافياً لاقناع المعنيين بأننا عثرنا على ماري روز." وكان من جراء تلك

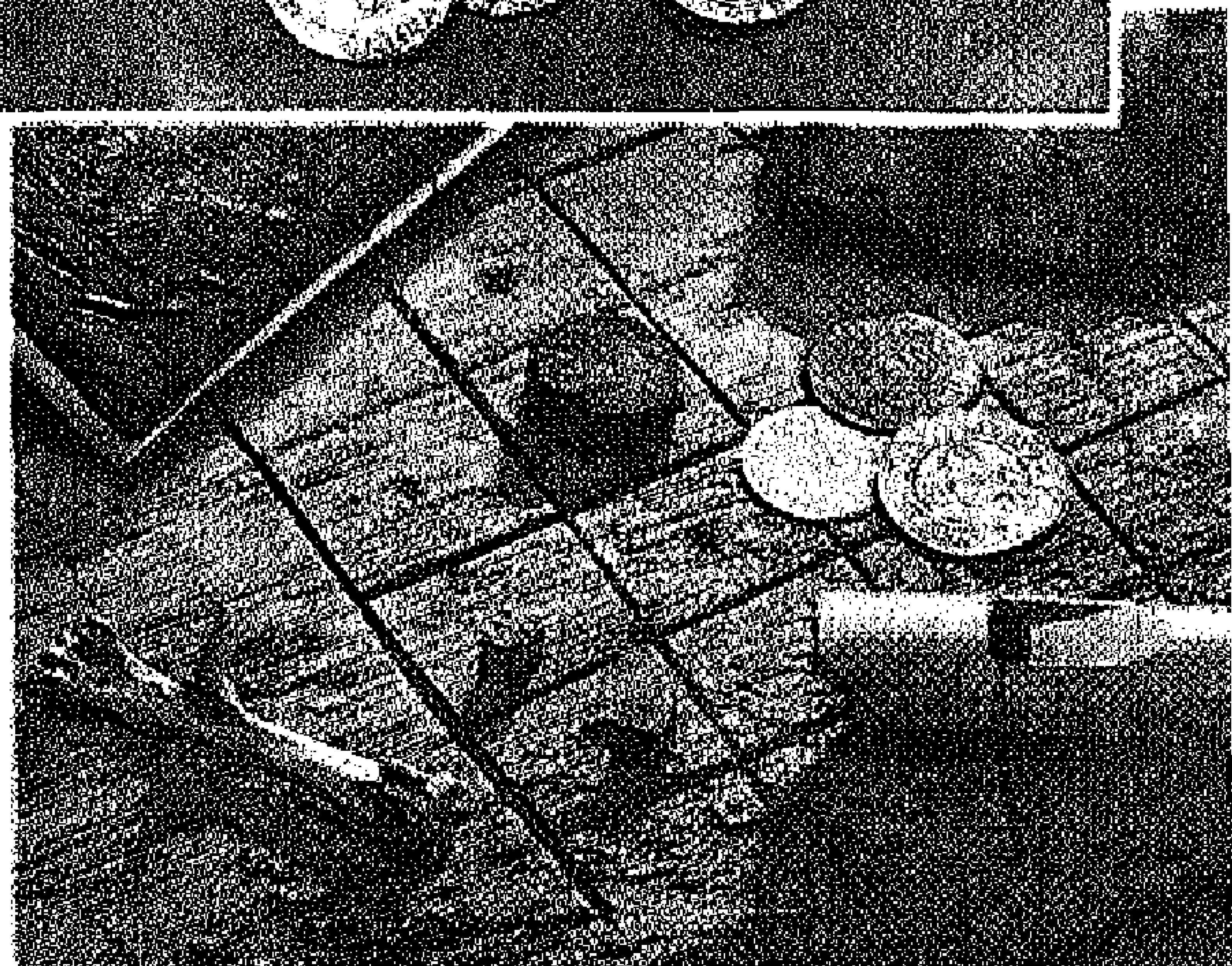






فوق: قطع من حبال الاشرعة والصواري. فوق الى اليمين: مدفع برونزي عليه شعار النبالة الملكي. الى اليمين: قطع نقدية.
تحت: ادوات للملاحة، قطعة من منقلة اردوازية وفرجاران برونزيان ومقياس مدرّج وساعات جيب شمسي





فوق: لوح خشبي للعب وعليه غلاف كتاب وحافظة جلدية وآلة نفخ موسيقية وثلاث مسكوكات معدنية للتجارة الخارجية، نردان، عداد للعب، قائمة ديك مصارع.

النتيجة المشجعة أن أُغدقت القوارب وآلات الضغط والغوص والتسهيلات الاخرى على أفراد المجموعة.

وارتفعت الآمال في أواسط السبعينات، بعد رفع جزء كبير من بدن السفينة. ووُجد أن باب السفينة المقابل لسطح الماء تآكل معظمه بفعل التيارات والكائنات البحرية. وتقول مارغريت رول: "خاب أملنا أول الأمر لظننا أن الجزء الأكبر من السفينة ومحتوياتها فُقِد. ولكن لم يلبث ان عاودنا الرجاء بعدما تحققنا من أن السفينة رست في القاع على زاوية تبلغ ٦٠ درجة، مما أبقى منها نصفاً مطابقاً للنصف المفقود. ولدى رفعها الى اليابسة، ستبدو "ماري روز" مثل بيوت الدمى التي يظهر داخلها وخارجها في آن."

وما أن انتشر خبر هذا الاكتشاف في العالم حتى أثار حماسة هواة الغوص في بريطانيا والخارج. وانضم المتطوعون الى أعمال الانقاذ، وبينهم سائق سيارة اجرة من لندن ونجار من مقاطعة ايسيكس ومضيفة طائرة "كونكورد" ورجل تَحَرٍّ من فرقة مكافحة المخدرات في امستردام. وجاء آخرون على نفقتهم الخاصة من بلجيكا والنروج وهولندا واليونان والولايات المتحدة وكندا واوستراليا. وبلغ عدد الغوصات التي أنجزها المتطوعون المئتان، ٢٥ ألفاً. وخلال العام ١٩٨١ تمكنوا من رفع حمولة ٢٠٠ شاحنة من الطمي الذي كان يملأ السفينة.

أما التحف الأثرية التي أخرجت من "ماري روز" فحُفظت في أكياس عازلة منعاً لتسرب الهواء اليها. وبعد رفعها الى الشاطىء نقلت الى مكان تمت معالجتها بأحدث الوسائل الحافظة، ومنها الرذاذ المقاوم للفطر والغسل الكيميائي والتجفيف. ومن هذه المكتشفات فروة جمجمة وُجدت في صندوق الجراح وآلة شَوُّم خشبية كانت شائعة في القرن السادس عشر. وهي الآلة الوحيدة من نوعها التي توجد في انكلترا. والشَوُّم هو سلف المزمار في تاريخ الموسيقى.

أما الأشهر والأغنى بين المتطوعين فهو الأمير تشارلز ولي العهد البريطاني الذي ذهب الى موقع الحطام عام ١٩٧٥ بناء على دعوة الكسندر ماكي. ووصف الأمير مياه سولنت بأنها "مظلمة" وان الغائص فيها هو "كالسابح في حساء العَدَس." وأضاف: "من رافدة السفينة يمكن النظر الى داخلها. وما أن نظرتُ حتى رأيتُ جمجمة. ولا أُخفي أن منظرها بثّ فيّ الخوف. الا أنها كانت محفوظة على نحو رائع، وقد تخللتها أسنان جميلة بيضاء وبدت كاملة." والبقايا البشرية في السفينة تشهد على أن بحارتها كانوا أقوياء البنية. والكبار بينهم كانوا في مطلع الاربعينات، وكان أصغرهم في الرابعة عشرة.

متحف بحري – بلغ عدد الغوصات التي أنجزها الأمير تشارلز الى "ماري روز" تسعاً. وهو الآن رئيس لهذه المؤسسة، وهي جمعية خيرية غير تجارية بات صندوقها يضم اكثر من ثلاثة ملايين جنيه استرليني (خمسة

ملايين دولار) من أصل أربعة ملايين يحتاج اليها المشروع·

وفي اغسطس (آب) ١٩٨٠ كان رُفع من حطام السفينة ما يكفي لاتخاذ قرار حاسم، وهو اعادة بناء داخل السفينة بعد عرضها الأول· وتقول مارغريت رول: "نحن في سباق ضد الزمن· فالغوصات المتكررة الى السفينة عرّضت بقاياها للكثير من الكائنات البحرية الصغيرة· وعلينا انتشالها في اقصر وقت ممكن·"

وهذا يعني ان حكاية "ماري روز" لم تنتهِ بعد، وان البقية قد تكون اطرف من البداية· وسيرفع هيكل السفينة برفق من القاع بشبكة من الحبال تتدلى من رافعة عملاقة· وقد تم صنع قالب طوله ٤٥ متراً ويطابق شكل السفينة، لكي تدخل اليه فيما هي لا تزال في الماء خفيفة توزن ٥٠ طناً، ثم ترفع الى السطح·

ولا شك في ان المشروع الباهظ التكاليف أعطى الكثير من ثماره المرجوة· واضافة الى كشف أسرار عدة متعلقة بالحياة المدنية والعسكرية في القرن السادس عشر، عززت هذه السفينة المعارف المتعلقة بفنّي الغوص وحفظ الأشياء القديمة· وفي رأي مدير المؤسسة ريتشارد هاريسون ان أعمال التنقيب التي دامت ١٥ سنة بدأت عهداً جديداً من الاكتشاف· ويضيف: "انها فاتحة عهد ذهبي لعلم الآثار المطمورة في جوف المياه· وسوف يلعب الهواة دوراً حاسماً في تقدم هذا العلم، تماماً كما فعلوا بالنسبة الى ماري روز·"

■ راوول تانلي

لـــــيزا

استحوذ على ابنتي بالتبني هوس لمعرفة امها الحقيقية وتساءلت: هل انا احبها الى الحد الذي يجعلني اساعدها واخاطر بفقدانها؟



كانت أشعة الشمس تتسرب من خلال النوافذ وانا ارتب غرفة النوم. انه عمل يستهويني. واذ رحت أدندن بصوت خفيض، أحسست أن احداً يقف ورائي.

انها ليزا، ابنتنا ذات الخمس عشرة سنة. وكان تعبير غريب منطبعاً على سحنتها.

قلت لها معاتبة: "ما هذا يا ليزا؟ لقد اجفلتني. ما الذي يشغل بالك؟"

سألتني: "من أنا؟"

وشعرت برجفة تدغدغ عمودي الفقري، وقلت متصنعة الابتسام: "لماذا تسألين؟ انت ليزا طومسون."

وتقلص وجهها بعلائم القنوط واجابت: "كلا، اعني من انا في الحقيقة؟"

كنت وزوجي راي تبنينا ليزا. وعندما بلغت الرابعة من عمرها اوضحنا لها مسألة التبني. ومنذ ذلك الحين وهي تتصرف كأنها تدرك أننا نحبها حباً جماً، ولكن كثيراً ما تمنيت لو انها تظهر لنا من الحب اكثر مما تفعل. وفي اي حال فأنها ظلت طفلة مدهشة وفرحة دائمة لنا.

صرخت ليزا: "من والداي؟"

قلت: "آه يا ليزا! انت تعرفين انك ابنتنا بالتبني، لكني وأباك..."

وقاطعتني: "لستما والدي الحقيقيين. وانت لست أمي الحقيقية. أريد ان اعرف من هي امي."

قلت: "لا اعرف يا ليزا."

أجابت: "بل تعرفين." وصرت بأسنانها لكي تحبس دموعها وتابعت: "انت تخفينها علي." ثم اندفعت خارج الغرفة وتركتني مصعوقة على حافة السرير.

وتراءى لي مشهد حدث قبل ١٥ سنة. كنت في عيادة طبيب وكان ينصحني بتبني ولد. قال لي: "بعض الاولاد المتبنين لا يعيرون اهلهم الحقيقيين اي اهتمام، لكن بعضهم الآخر يتملكهم هوس للتعرف عليهم."

ولم أكن اعرف من هي ام ليزا، فوثائق التبني لم تحمل سوى اسم الوالد. واستعدت ذكرى ذلك الصباح المشرق من سبتمبر (ايلول) عندما حضنت طفلة عمرها ثلاثة ايام. وفكرت آنذاك: "لا شك في ان العناية الالهية ارسلتها الينا." كنت في السادسة والثلاثين، ومنذ زواجي قبل سبع عشرة سنة دأبت على التضرع الى الله لكي يرزقني ولدا.

الحب الكبير – لم نعرف قط سبب ذلك الهوس في نفس ليزا للعثور على امها الطبيعية. كل ما نعلمه هو انها عثرت على شهادة ميلادها ثم اتصلت بالطبيب الذي ولدت على يديه. كذلك اتصلت بالمحامي وبأصدقاء العائلة. وحتى بعدما وجدت سجلات ولادتها مختومة في دار المحكمة، فانها لم تتخلَ عن عزمها.

ومع مرور الزمن ازدادت ليزا قلقاً واضطراباً وساءت دراستها. اما موقفها مني ومن راي فكان الابتعاد الحذر. ولم تجد الجلسات المنتظمة مع طبيب نفساني. وفي الصيف السابق لعيد ميلادها الثامن عشر أصيبت ليزا بانقباض نفسي مخيف. واخذت تقول: "لن أسعد أبداً حتى اعرف من أنا والى من انتمي حقاً."

واذ هي تأخذ في هذا الكلام كنت انا اشعر بقلبي يعتصر. ترى هل اسأت اليها؟ واذا عثرت ليزا على امها الحقيقية، اتراها تخرج من حياتنا الى الأبد؟

ذات يوم قائظ صعدت درجات السلم باعياء ومررت بغرفة ليزا. كان باب الغرفة مغلقاً، وهو منظر اعتدت عليه. فهمست في سرّي: "آه يا ليزا! لماذا تنغلقين على نفسك هكذا؟ انت تعرفين اننا نحبك ونتمنى لك كل الخير."

وتراجعت عن الباب مأخوذة: "نتمنى لك كل الخير؟" هذا ما قلته الآن. لقد شاءت ليزا ان تعرف من هما ابواها الحقيقيان، ذلك هو "الخير" بالنسبة اليها. واذا كنت املك الايمان الكافي بالله وبنفسي وبابنتي، افليس من واجبي ان افصم هذه الحلقة من الحب الأناني التي أحاول تطويق ابنتي بها؟

في السكون المخيم على أعلى السلم طرأت على بالي خاطرة فسألت نفسي: "هل احب ليزا الى الحد الذي يجعلني اعثر لها على ابويها الحقيقيين؟" وارتعدت للفكرة. اذا افلحت في ذلك، فقد أفقدها. ولكن بدا لي واضحاً حينئذ اني املك من الحب لليزا ما يكفي ليجعلني اتخلى عنها.

بعد اسابيع قليلة وصلت برفقة راي الى مكتب تحرّ خاص. وقال راي للتحري: "نريد ان نعثر على الوالدين الحقيقيين لأبنتنا". وفيما نحن عائدان الى البيت كان شعور بالضياع يمزق دخيلتي.

وجاءنا الخبر بعد شهر. قال التحري: "لقد وجدتهما. تزوج والدا ابنتكما بعدما تخليا عنها للتبني. لكنهما انفصلا قبل أشهر. وها هو اسم امها وعنوانها ورقم هاتفها".

حدّقت الى الأسم وانا مبهورة الانفاس. وتساءلت: "اتراني قادرة على مواصلة ما عزمت عليه."

"احبك يا امي" — بعد ثلاثة ايام تحدثت ليزا هاتفياً مع والدتها لاكثر من نصف ساعة. ثم هبطت السلم وهي تصيح: انها آتية. ستأتي لتراني غداً!".

وجمدت في مكاني، كانت الاحداث تتلاحق بسرعة. وهمست: "يا الهي، لا تدعني أفقدها."

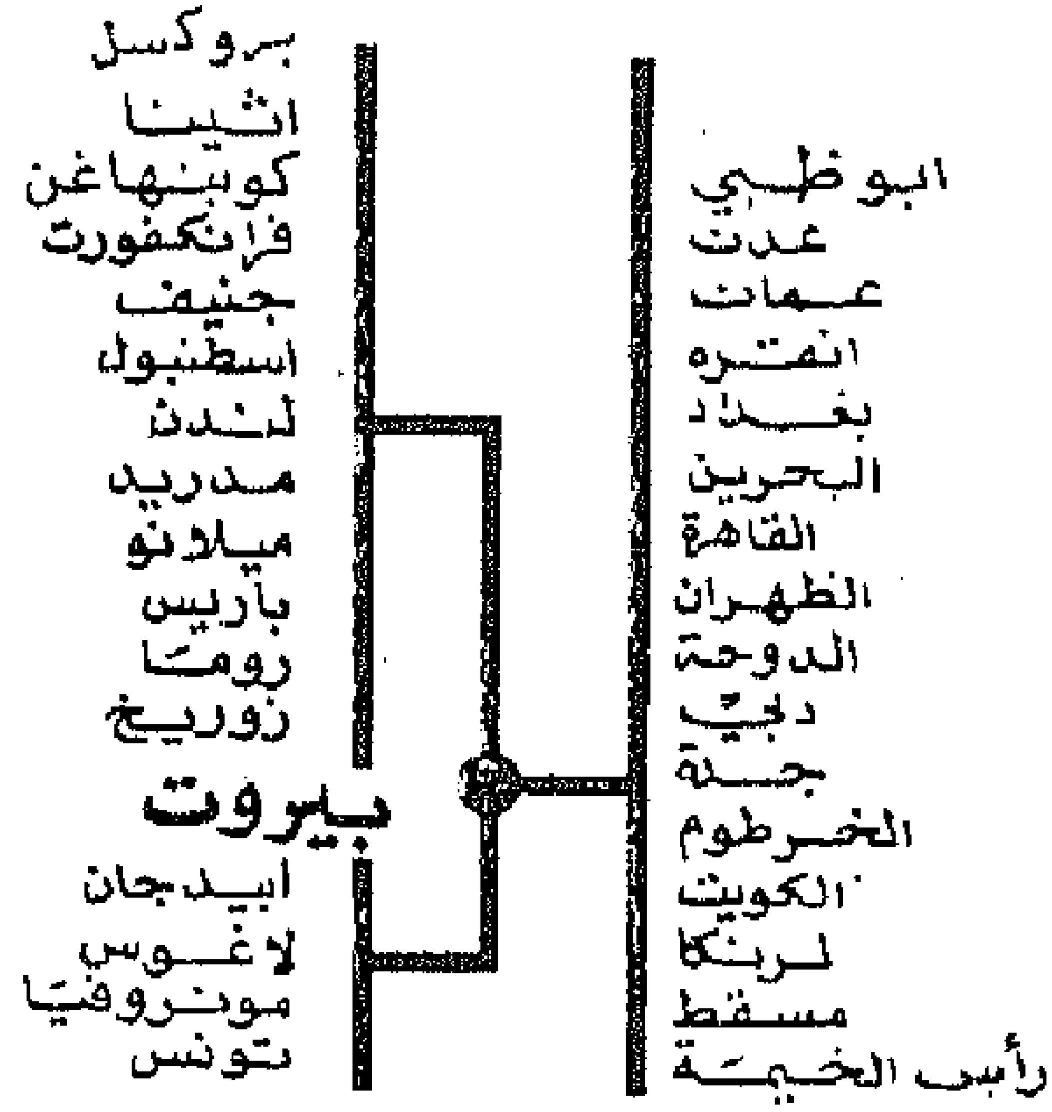
وأصغيت ساهمة الى ما خططته ليزا للقاء امها في المركز التجاري. وقالت: "بعد ذلك أريد ان احضرها معي الى هنا." فأشرت برأسي موافقة.

في الصباح التالي خرجت ليزا باكراً، وجلست انا الى طاولة مطبخنا أصلي الى الله ليعينني على تقبل والدة ليزا وادراك مشاعر ابنتها نحوها.

وفجأة ظهرتا امامي معاً في الباب كأنهما صورتان في اطار. القامة نفسها والعينان الزرقاوان والشعر الأشقر الضارب الى الخمرة.

في وجه المرأة الفتية الجميلة رأيت صورة ليزا. ويا للغرابة! شعرت أن قلبي يهتف لها.

في الاسبوع التالي التقت ليزا والدها وأحد أخويها. وهكذا اكتمل عالمها وانتهى بحثها المهووس عن هويتها وأخذت تشعر بالأمان. لكن



في جدول رحلاتنا الحالي يمكنكم أن تجدوا الرحلة المناسبة وموعد السفر الملائم



تؤمن شركة طيران الشرق الأوسط
اوسع خيار من الرحلات انطلاقاً
من بيروت الى ٣٣ مدينة في اوروبا-
الشرق الاوسط وافريقيا.
أن شركة طيران الشرق الاوسط
التي تتمتع ب ٣٤ سنة من الخبرة
تؤمن لكم جدول رحلات دقيق يضمن
راحتكم ويلائم أعمالكم.



MEA

الشركة التي تستحق ثقتكم

طيران الشرق الاوسط الخطوط الجوية اللبنانية

خوفاً مؤلماً ظل يخالج اعماق فكري فاتساءل: "ماذا بعد؟"

في الثاني من ديسمبر (كانون الاول) ذهبت ليزا بالسيارة لتمضية النهار مع امها. وهي طوال ايام قبل ذلك لم تنقطع عن التحدث عن هذه الزيارة الثانية. واذ رحت انظر اليها وهي ذاهبة،تملكتني رغبة قوية في ان احتضنها مودعة. لكن ليزا بدلا من ذلك لوحت لي بيدها ومضت. وفكرت بألم: "عندما تعود، فذلك لجمع امتعتها. انها تخصنا من الناحية القانونية، ولكن ما جدوى القوانين عندما يتوق القلب الى الحرية؟"

بدا لي ان ساعات ذلك النهار لن تنتهي. وما ان غام الاصيل في عتمة المساء حتى سمعت هدير سيارة تقف في الخارج ثم وقع خطوات متجهة الى الباب. وحاولت اخفاء ارتياحي عندما ولجت ليزا المطبخ، فقلت لها: "اني سعيدة بعودتك."

تقدمت ليزا مني وطوّقتني بذراعيها قائلة: "وانا سعيدة لاني عثرت على والديّ. وارجو ان أبقى على صداقة دائمة معهما، لكنني انتمي الى هذه العائلة."

وشدّت ذراعيها حولي وهمست في أذني كلمات نادراً ما سمعتها: "أنا أحبك يا أمي. احبك اكثر من اي وقت مضى."

وفيما نحن متعانقتان انجلت لي حقيقة تلك اللحظة. ان الحب الذي يقبل بالتخلي عن عزيز لاسعاده ليس حباً خاسراً. فلذلك الحب باب آخر يعود منه اوفر مما كان ابداً.

■ غريس طومسون



دمعة وابتسامة

لا شيء يساعد نشوء الصداقة ونموها اكثر من دمعة وابتسامة. ومن السهل جداً للذين ضحكوا معاً، وخصوصاً للذين بكوا معاً، أن يصبحوا أصدقاء.

الموت والحب

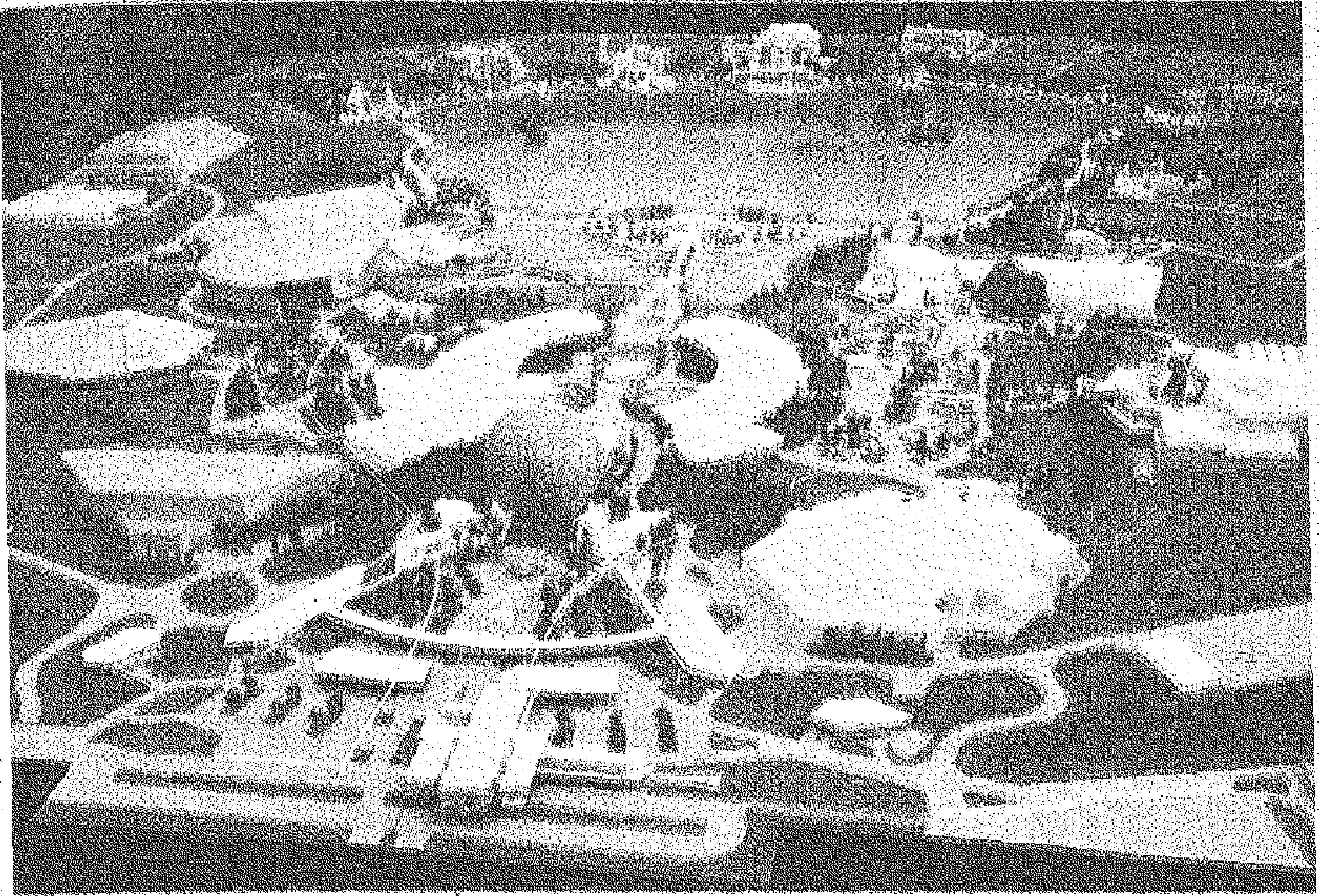
مع وفاة شخص عجوز، يموت طفل كما يموت مراهق وشاب. واذا يبكي الناس من مات، فإن كلا منهم يبكي من أحب.

سيمون دو بوفوار

الحق لا يضيع

ما من شيء كان ذا قيمة في الماضي يفقد قيمته. وما من حق أو خير مما اتاه الانسان يزول أو يمكن زواله. ان كل ما حققه الانسان من قيم يستمر وسط التقلبات المتعاقبة.

توماس كارلايل



كرة ارضية عملاقة وغابات تقطن فيها زواحف
ما قبل التاريخ ورحلات مثيرة الى
الفضاء، كلها احلام تحققت
في عالم والت ديزني الرائع

والت ديزني: بدأ الحلم وركب الزوار أشعة الشمس

ظاهرة جديدة برزت تحت شمس فلوريدا الحارقة. أبنية فريدة ترتفع، بينها واحد في شكل عجلة ضخمة وآخر في شكل كرة هائلة وثالث يظلل سقفه هكتاراً من الارض ويحمل سطحه ٨٠ الف خلية كهربائية شمسية. وتولت آلات حفر ضخمة أزالة مليون ونصف مليون متر مكعب من التراب لتهيىء المكان لهذه الظاهرة

المنبسطة فوق ٢٢٢ هكتاراً· وعمل ٤٠٠٠ شخص بجهد لانجاز المشروع في الموعد المحدد (خريف ١٩٨٢)·

تفاصيل الانشاء غالباً ما تبدو غريبة· في كل مكان آلات رافعة عملاقة كأنها زواحف الدينوصور· والواقع ان ذلك الشيء الذي نقلته الرافعة عن ظهر شاحنة هو فعلا دينوصور، زاحف من فصيلة "برونتوصورس" يتحرك بواسطة دماغ الكتروني ويرتفع حوالى ستة امتار· اما الاشجار التي غرست في التراب فهي حقيقية، نحو ١٢ الف و٥٠٠ شجرة غرسها المعنيون بتهيئة المناظر الطبيعية· لكن الاشجار المطلية في موقع مجاور هي نسخ طبق الاصل عن اشجار ما قبل التاريخ، وهي تمثل مستنقعاً بدائياً·

اين أنا؟ اني في مركز أبكوت، النموذج الاختباري لمجتمع الغد والحلم الذي ألهب خيال والت ديزني قبل وفاته عام ١٩٦٦·

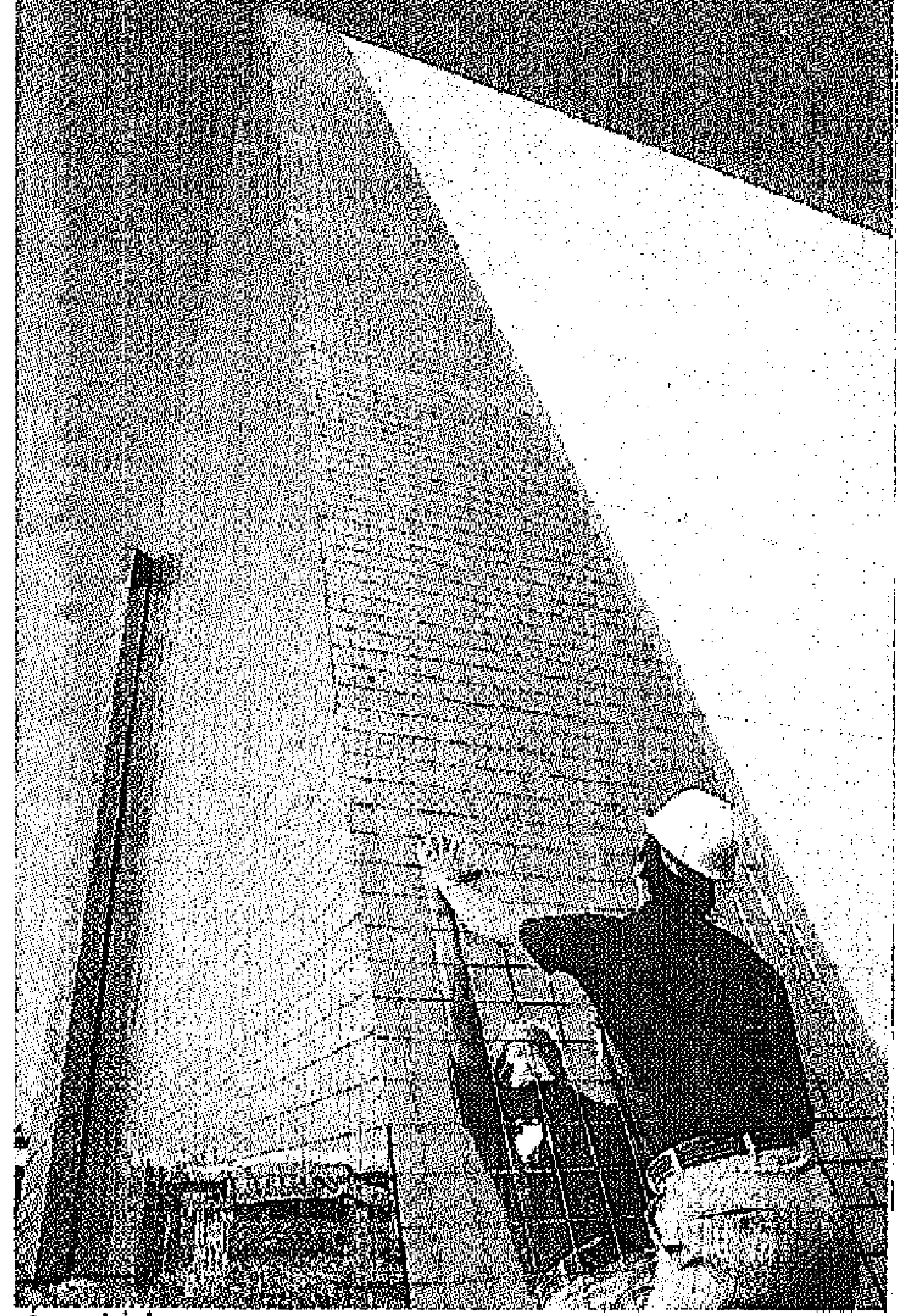
افتتح مركز ابكوت في اول اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٢ في منتجع "عالم والت ديزني" قرب مدينة اورلاندو، فلوريدا· لكن هذا المشروع لن يكتمل أبداً· فقد اراد ديزني مجتمعاً للغد يستحدث ويجرّب ويظهر باستمرار افكاراً تتبدل على الدوام وتقنيات لعالم الغد كما تبرز من المراكز المبدعة للصناعة· كذلك اراد ان يوفر التسلية في الوقت الذي يحقق هذا الهدف· واليوم تغامر مؤسسة منتجات والت ديزني بمبلغ ٨٠٠ مليون دولار ــ وهو رقم ربما قفز الى مليار دولار ــ لتثبت ان في وسعها تحقيق ذلك الحلم في مركزأبكوت·

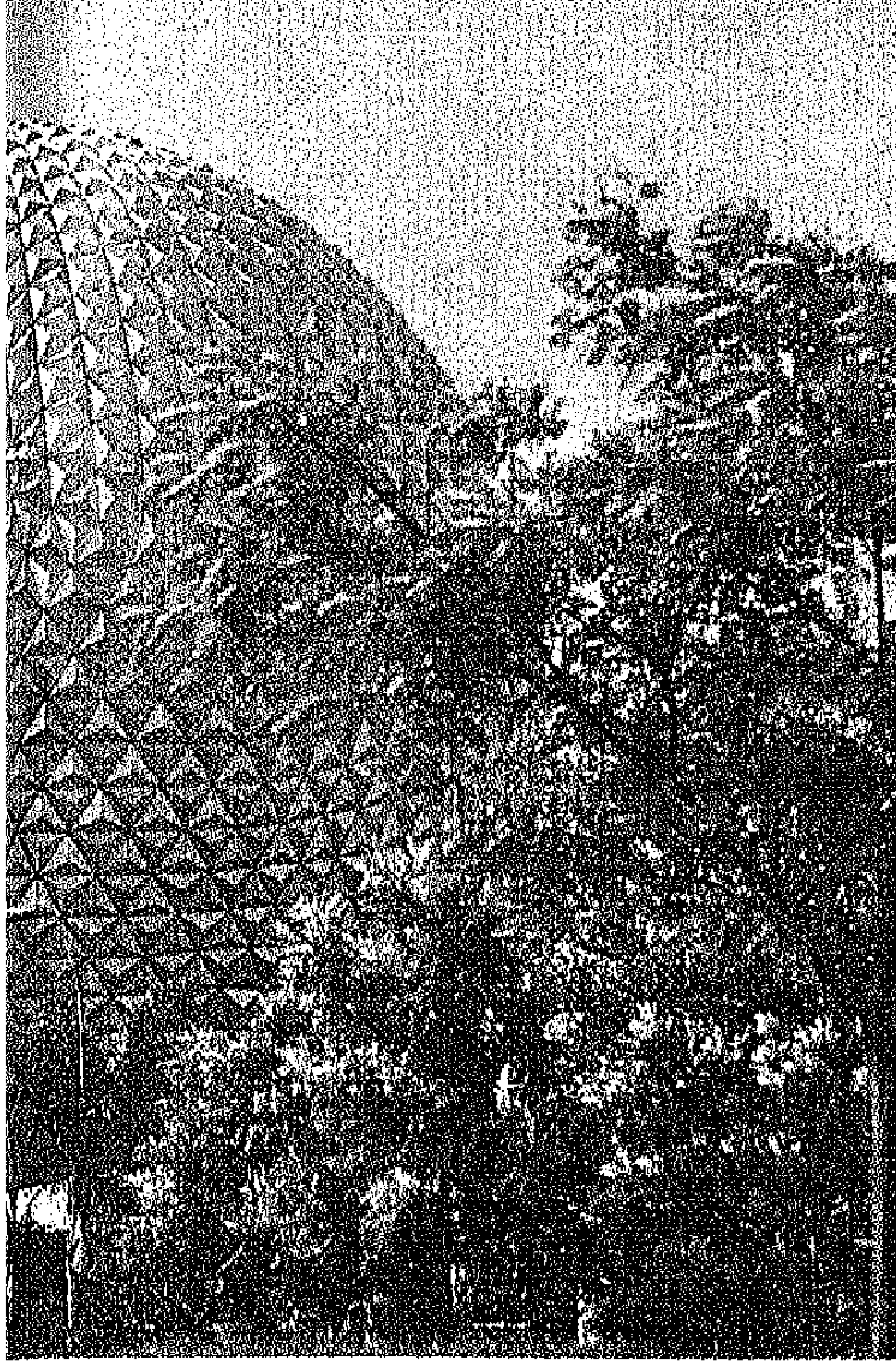
برزت فكرة انشاء المركز من مؤسسة "واد" (والت ا· ديزني)؛ وهي مؤسسة تخطيط فريدة تضم فنانين ومهندسين كان ديزني يدعوهم "مهندسي الخيال"· وعلى غرار "ديزني لاند" في كاليفورنيا و"عالم والت ديزني" في فلوريدا، فأن مركز أبكوت الذي يضم منطقتين رئيسيتين، عالم المستقبل ومعرض العالم، هو مدينة ملاه تحوي رحلات مثيرة ومشاهد مذهلة· وهو في الوقت نفسه معرض عالمي دائم تساهم فيه شركات اجنبية وامريكية، ومتحف مستقبلي للعلم والصناعة، ومعرض للتاريخ الطبيعي·

من اجل تحقيق ذلك كله فان هناك نحو ٤٥٠ دمية تتحرك وتنطق الكترونياً، بدءاً بالنباتات التي تغني كاشفة اسرارها للدينوصور وانتهاء بالسياسي والعالم الامريكي الراحل بنيامين فرنكلين وهو يتحدث الى الكاتب الفكاهي مارك توين· وهناك ايضاً الرسام الايطالي مايكل انجلو يتحرك وينطق الكترونياً وهو مبرمج لكي يتمدد على ظهره ويعمل في زخرفة سقف احدى الكنائس· هذه الدمى الجديدة لا تكتفي بالحركة والنطق بل تظهر مشاعرها ايضاً، انها تعبس وتضحك·

وهذه للمبتدئين فقط· فهناك محطة لأبحاث البيئة و٣١ معرضاً مختلفاً تستخدم ١١ نظاماً متباينة لعرض الافلام، بما في ذلك اكبر شاشة في العالم هي ذات ثلاثة أبعاد ويمكنك ان ترى عليها قلق الأسد اذ

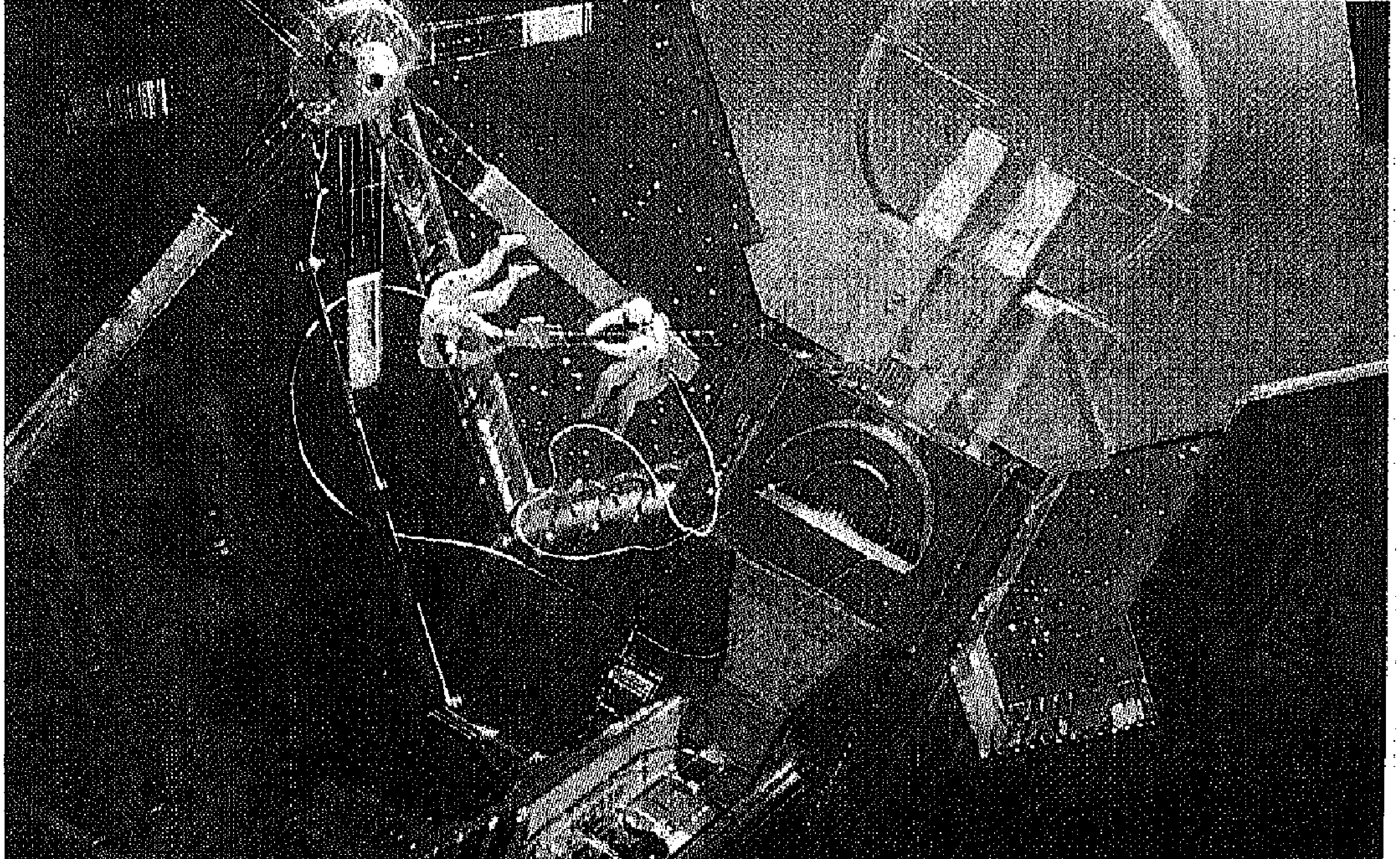
تسع بناء "عالم الطاقة" لثلاثة ملاعب كرة قدم وقد جهز سطحه بخلايا شمسية تسيّر العربات .





سفينة الفضاء "الارض" هي اعظم ابنية ابكو
الارضية له شكل دائري تام.

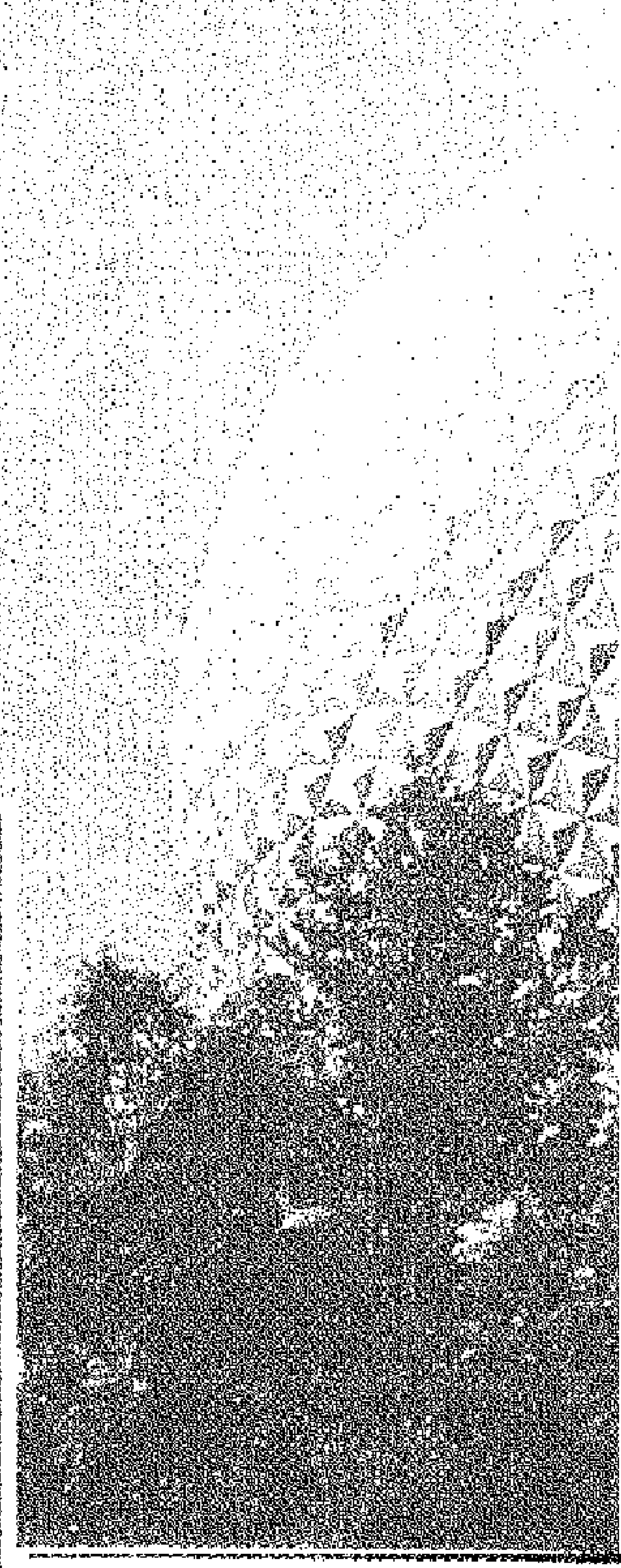
داخل سفينة الفضاء "الارض" ينطلق الزوار الى الفضاء .

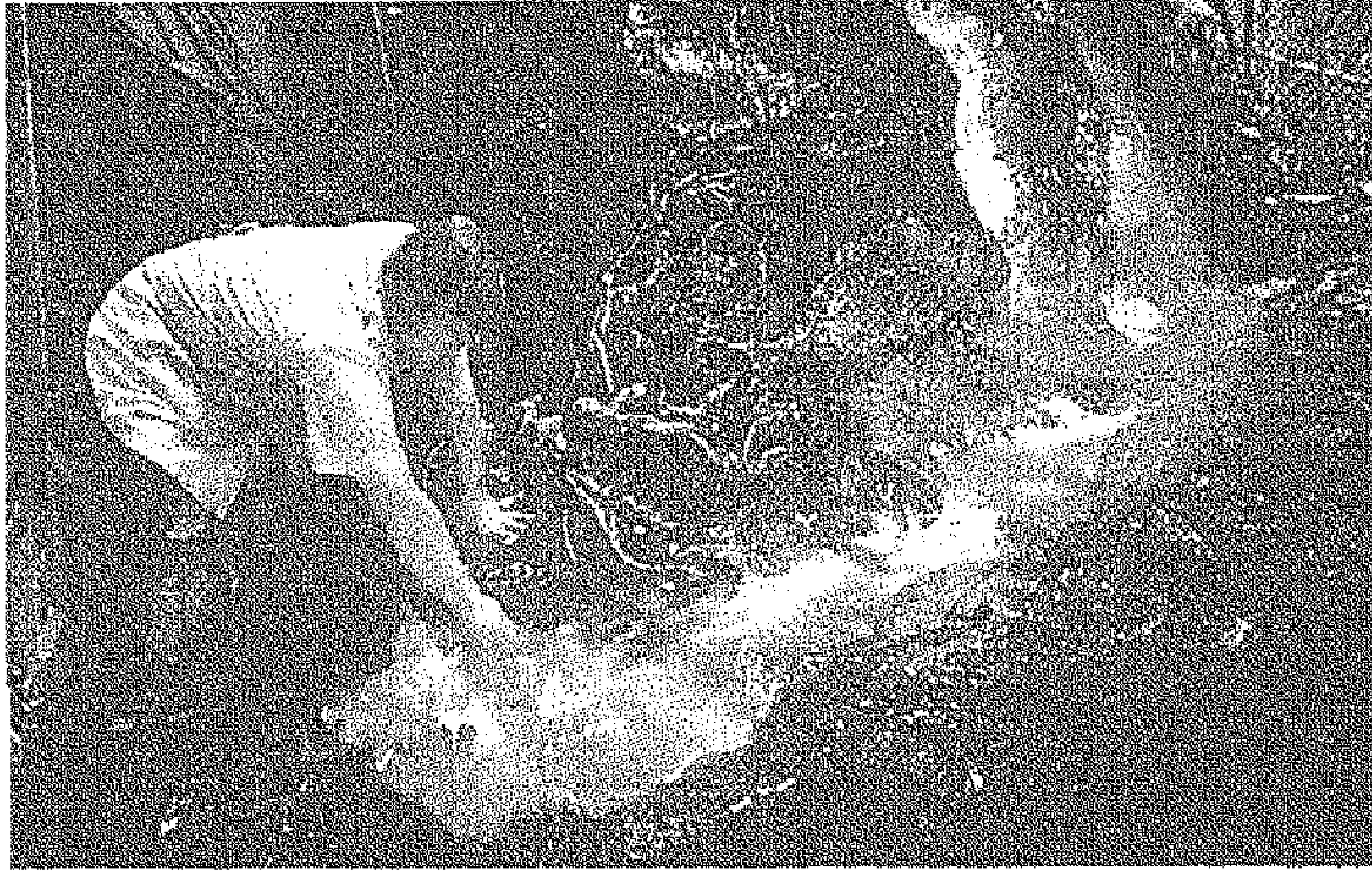



(c) Walt Disney Productions.


(c) Lynn Pelham/Kay Reese Associates

بنيامين فرنكلين ومارك توين يتكلمان ويتحركان الكترونياً.




(c) Walt Disney Productions.

حمم متوهجة تتدفق من بركان في "عالم الطاقة."

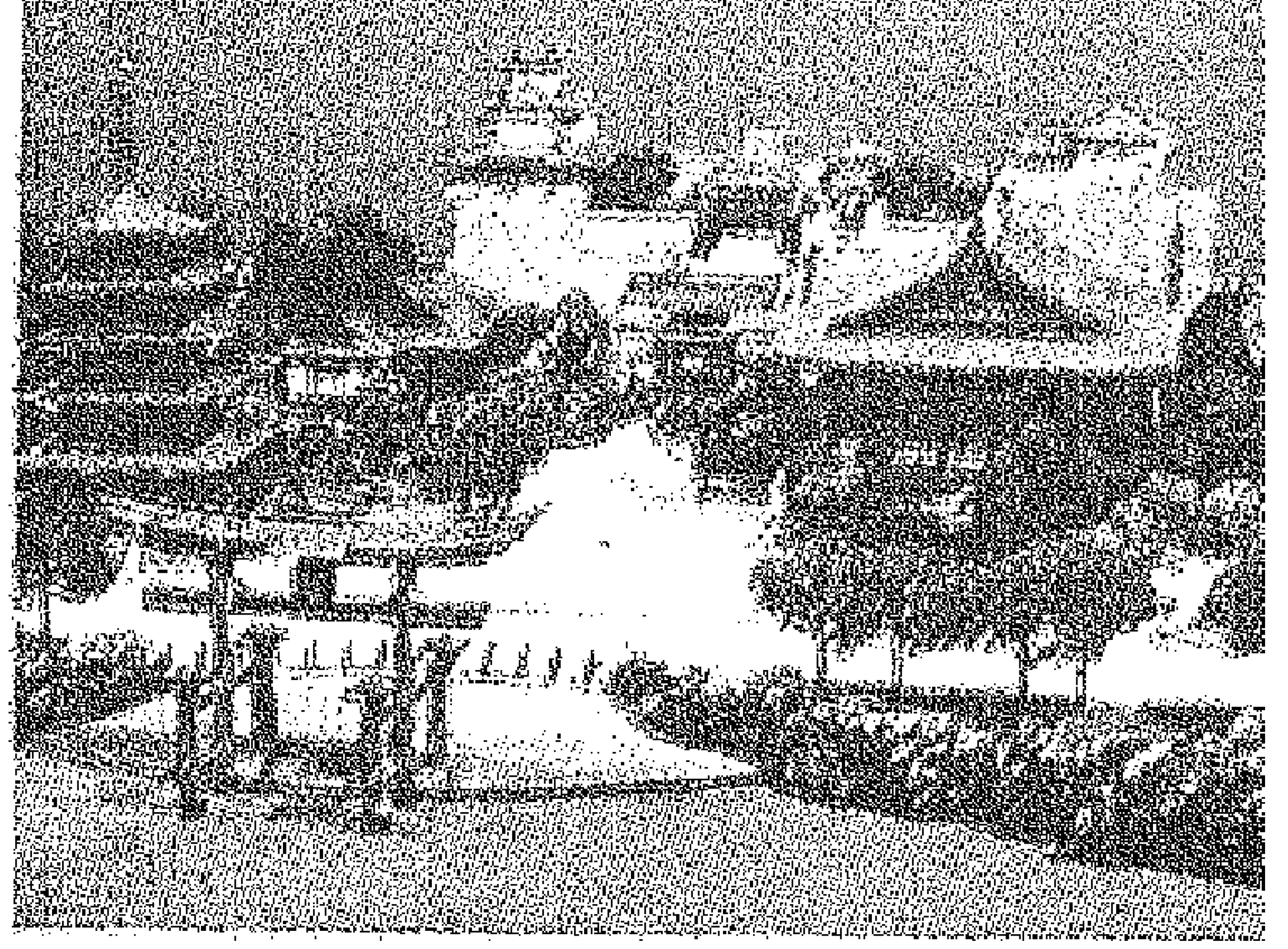
وهي اول نموذج عملاق للكرة

يتراءى لك قافزاً من خلال طوق مشتعل ليحط في حضنك.

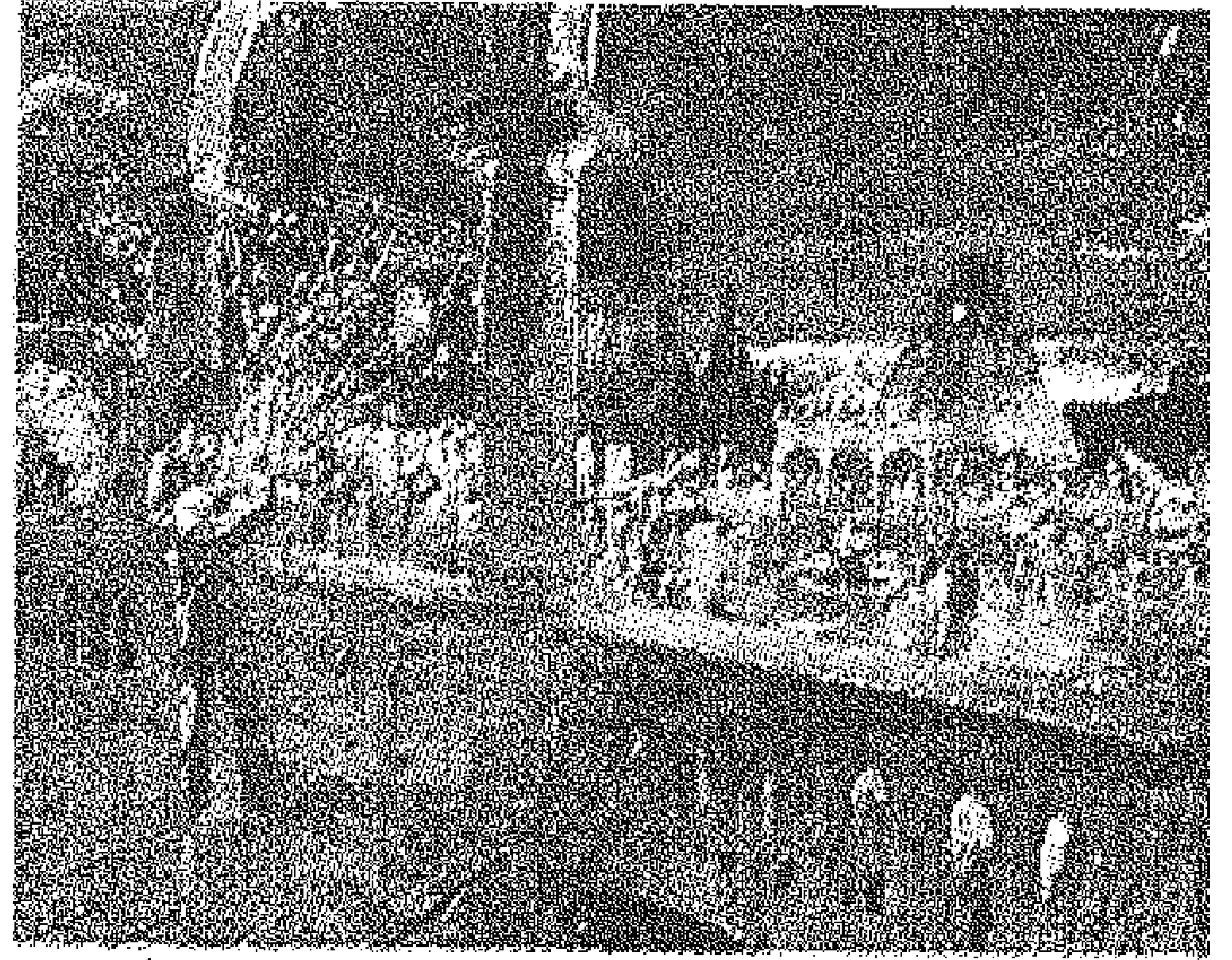
مستعمرات فضائية ـ البناء المهيمن في أبكوت عند مدخل "عالم المستقبل" هو سفينة الفضاء "الارض." وهذا نموذج للكرة الارضية يرتفع ٥٥ متراً وينتصب على ثلاث ركائز تعلو عن الارض ٤،٥ امتار. ويبلغ قطر هذه الكرة ٥٠ متراً، وتتقوس منها ستة أبنية ذات شكل مميز تحوي معارض صناعية تظهر التحديات وتتنبأ بالخيارات المستقبلية.

داخل سفينة الفضاء "الارض" يتعرّف الزوار الى الموضوع الرئيسي في مشروع أبكوت وهو قدرة الانسان على البقاء حياً عن طريق الاتصال باخوانه البشر. يسافر الزوار في عربات تجري على سكك حديد تلتف بشكل حلزوني حول جوف الكرة، بدءاً بأزمنة ما قبل التاريخ وانتهاء بالقرن العشرين عبر مسافة ٤٦٥ متراً. بعد ذلك ينطلق الزوار عبر نفق الى "الفضاء الخارجي" وهو القسم الاعلى من القبة.

هناك يلجون مسرحاً فضائياً رحباً هو نموذج فني للمجرة على شاشة قطرها ٤٥ متراً. وتدور العربات ١٨٠

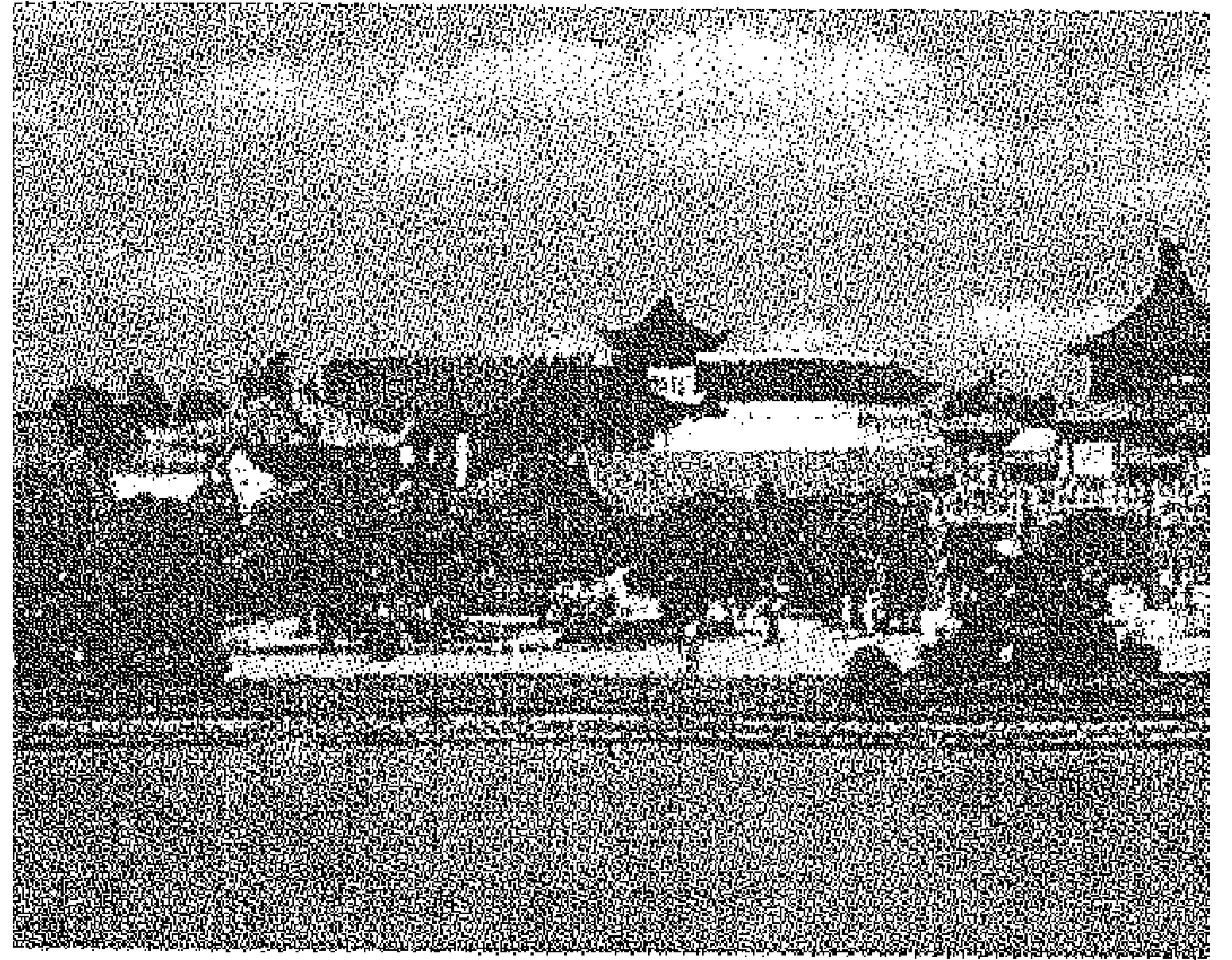


درجة وهي تهبط خلفياً على منحدر. وتعرض صورة الارض على الجدار الخلفي بينما يتدلى المكوك في الفضاء. وفيما الزوار يطيرون وسط هذا الجو يشعرون كأنهم تائهون بين النجوم.

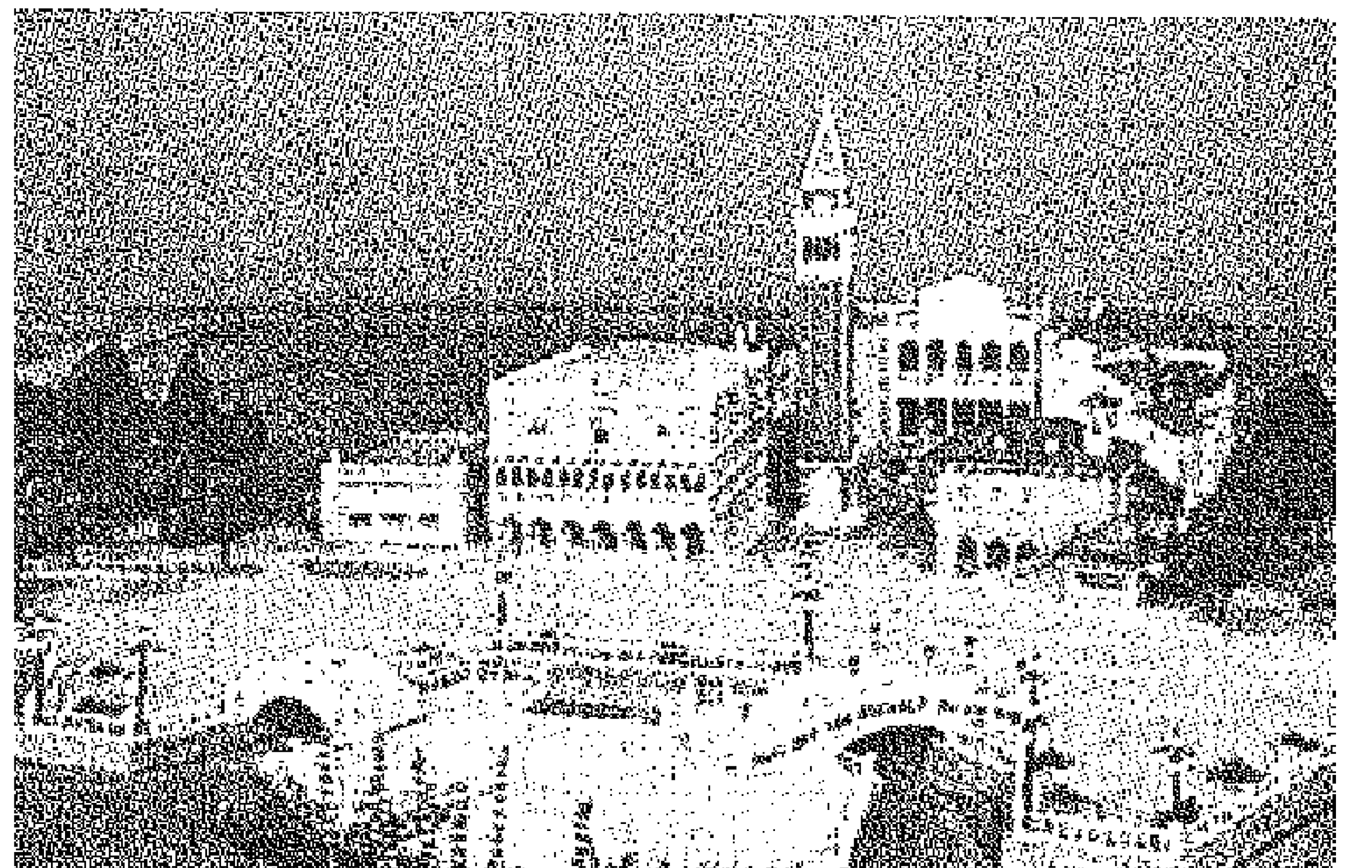


وفي "عالم الطاقة" تعمل ٨٠ الف خلية شمسية مثبتة على السطح في تسيير الرحلة في الداخل، حيث ست عربات كبيرة تنقل كل منها ٩٧ مسافراً بين مشهد وآخر. وهكذا فلن يخشى اي "مهندس خيالي" ان يتهم بالمبالغة اذا ادعى ان زوار هذا العالم "يركبون أشعة الشمس."

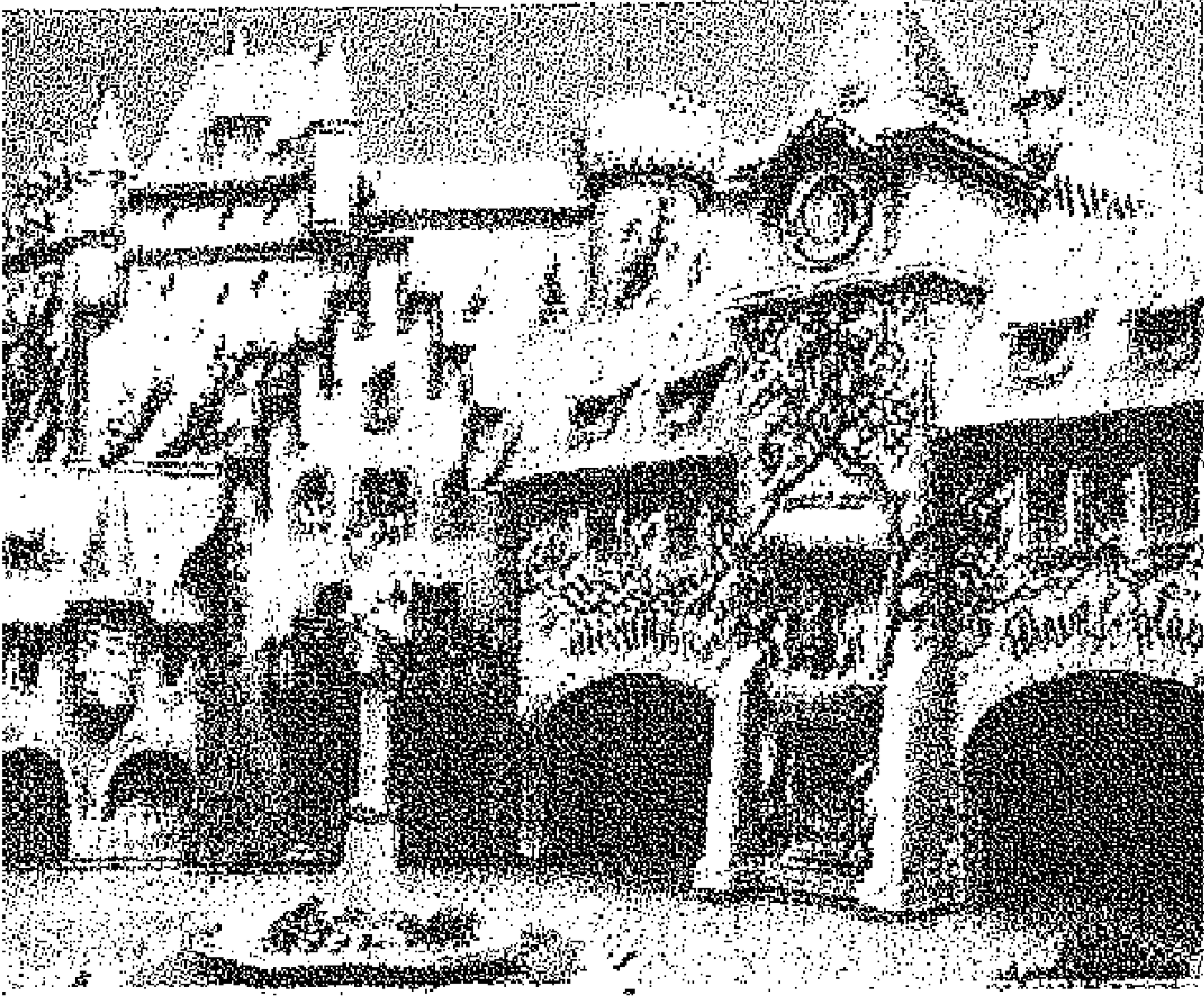
ليس في أبكوت مكان يمزج الاعلام بالتسلية على نحو ابداعي كما في جناح "اليابسة" لشركة "كرافت" الذي يجسد العلاقات بين الانسان والارض ماضياً وحاضراً ومستقبلا. فأي عالم غذائي، مثلا، يمكنه ان يفسر لنا الحياة أفضل من تلك الخضر والثمار واللحوم والالبان التي تغني في "مقصف المطبخ"؟ وللزوار كذلك ان يركبوا قارباً ليشاهدوا عرض "أصغ إلى اليابسة" الذي ينتهي الى اسطوانة فضائية هائلة تمثل احوال نمو النباتات في مستعمرات الغد الفضائية.

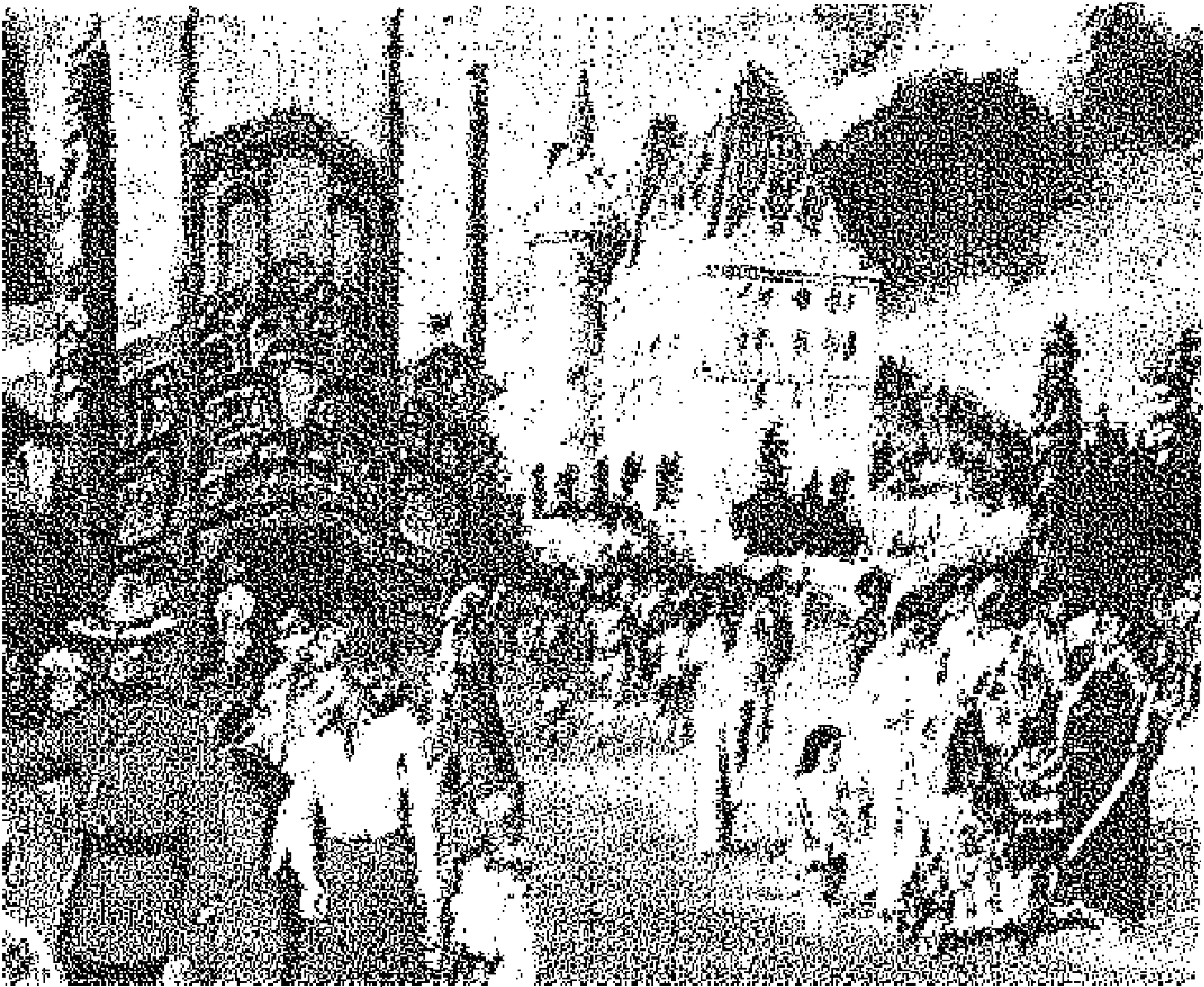


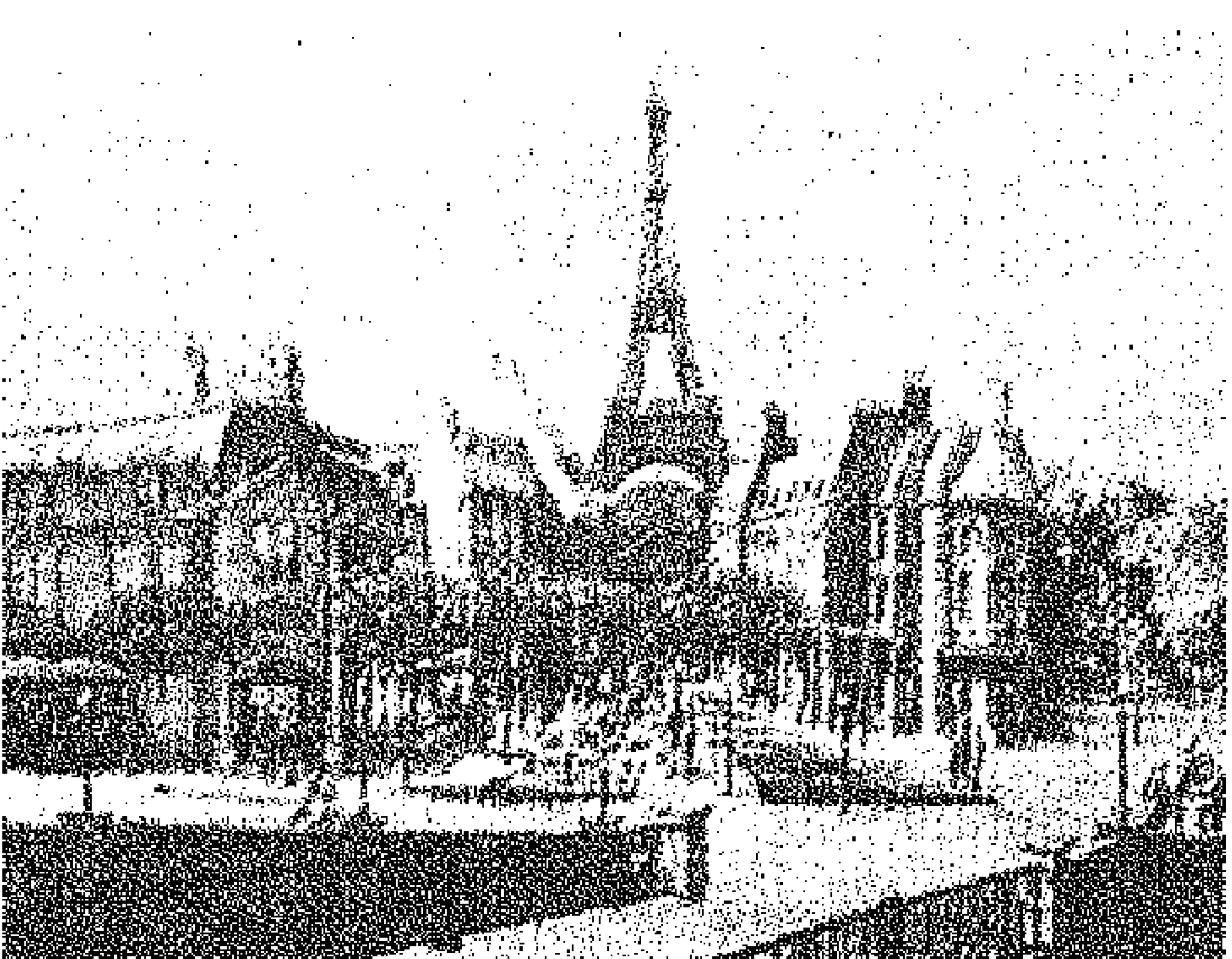
باقة من الحمم — ان افضل وصف لما حققه مبدعو أبكوت جاء على لسان طوني باكستر (٣٥ سنة) الذي بدأ العمل مع ديزني في تسيير الرحلات قبل عقدين من الزمن، وهو احد مصممي "رحلة كوداك في الخيال." قال: "حتى الآن كانت الرحلات مثيرة











ولكن غير تـثـقـيـفـيـة، والعروض المسرحية تثقيفية ولكن غير مثيرة. وهكذا جمعنا بين الاثنتين لنقدّم اليكم رحـلات وعروضـاً مسـرحـيـة تثقيفية ومثيرة في آن."

ولما كان الدليلان هما شخصيتا والت ديزني في الصور المتحركة "دريمفايـنـدر" (كاشـف الاحـلام) و"فيغمنت" (التصور)، فقد غدت هذه الرحلة المثيرة تثقيفية في اظهار العملية التي تحول الافكار القديمة علماً جديداً وتقنية جديدة وفيلماً جديداً.

اما الافكار التي يبرزها الخيال فتتجلى في "عالم الحركة لجنرال موتورز" المشيد في شكل عجلة سيارة ضخمة، حيث تنقل العربات الزوار عبر ٣٥ مشهداً هزلياً متحركة وناطقة الكترونياً، تصور اللحظات الخالدة في تطوير وسائل النقل. بعد ذلك ينتقل الزوار الى المستقبل في رحلة خيالية على متن سيارات الغد.

بعد بضع سـاعـات مـن الـتجوال المثير في "عالم المستقبل" يتحول الزوار الى الاجنحة التسعة التي تؤلف "المعرض العالمي." هناك يدخلون المطاعم والمعارض والحوانيت وسط نسخ مجسمة للمعالم المعمارية من أمم مخـتـلـفـة كالمكسـيـك والـيـابـان وبريطانيا.

وفي ظل برج "ايفل" الذي هو بمقياس عشر البرج الحقيقي، تنبسط مقاهي الرصيف في الجناح الفرنسي. وفي مكان آخر تقدم آلات التصوير رحلة سينمائية عبر فرنسا على خمس شاشات تتقوس في زاوية من ٢٠٠

درجة، ترافقها موسيقى كلاسيكية للمؤلفين الموسيقيين الفرنسيين من برليوز الى ديبوسي. ويشمل الجناح الالماني حديقة حيث يعتزم المصممون ان يحتفلوا على مدار السنة بعيد اكتوبر (تشرين الاول) التقليدي. وذلك يكتمل بالالات الموسيقية المألوفة في المناطق الريفية من تلك البلاد.

في الجناح الصيني يقدم "فريق ديزني للعرض الدائري - ٣٦٠" شريطاً رائعاً تم تصويره خلال الزيارات النادرة الى جمهورية الصين الشعبية. وتظهر المشاهد مناطق نائية في اكثر بلدان العالم سكاناً. وتلاحق آلات التصوير قوافل الجمال على "طريق الحرير" التي سار عليها ماركو بولو، وزيارة الى يايوغوان آخر قواعد الجدار العظيم الذي يبلغ طوله ٦٠٠٠ كيلومتر ، كذلك بلاد التيبت ومدينتها المحرّمة.

وقبل ان أنهي زيارتي الى أبكوت عدت الى "عالم الطاقة" من اجل أثارة اخيرة، التأثيرات الخاصة هناك هي اكثر تطوراً وابهظ كلفة من اي شيء حقق للسينما أبداً.

في الفترة ما بين فيلمين سينمائيين - احدهما يعرض اكبر اشكال الرسوم المتحركة في العالم - تعود العربات بالزوار ملايين السنين الى الغابات البدائية حيث يشاهدون - بل يشمون ايضاً - بداية تكوّن الوقود المتحجر. ويقترب من عربتك برونتوصورس يتحرك الكترونياً ، فيستحوذ على جميع حواسك باستثناء حاسة الذوق. فتراه يتحرك وتسمعه "يتنفس" وتشم رائحة المستنقع الذي يقطن فيه. وفي بعض المقاعد تشعر بلعابه يتساقط عليك. رائحة المستنقع وسواها من المؤثرات تصدر عن آلة تطلق العبق الى علو ستة امتار عبر غرفة نحو جهاز يصرفها الى الخارج.

وربما تكون "باقة البركان" اكثر الروائح اثارة في ابكوت. وهذه يرافقها وهج ناري من بركان ثائر ودفق من الحمم الذائبة. وبما ان الزوار يمرون على اطراف مجرى الحمم، فلا يمكن ان تكون هذه حارة، ولكن من الضروري ان يكون لها الوهج الناري وان تغلي وتخرج الفقاقيع ثم تتجمد كالحمم الحقيقية.

بعد اختبار مواد عدة اكتشف الكيميائيون ما يسمى "الصمغ البرتقالي" وهو مزيج من احماض البولياكريليك يشبه مادة تستخدم في معجون الاسنان وبعض المسهلات المعوية. وبعد مزج هذا الصمغ بالصباغ البرتقالي وبملونات ضوئية، يتوهج كالحمم تماماً لكنه لا يحرق اصابع الصغار - والكبار - الفضوليين.

كان والت ديزني يقول دائماً ان السر في تحقيق الاحلام يتلخص في أربع كلمات: الثقة والشجاعة والمثابرة والفضول. هذه العوامل تفعم مركز ابكوت. وقد غادرته يتملكني شعور بأن حلم والت ديزني الذي لن يكتمل ابداً سوف يضيف باستمرار نجاحاً رائعاً الى نجاح رائع لسنوات طويلة آتية.

■ جون كالهان

كلمــات رقيــقة
تكتبهــا فــي لحظات
تزرع البسمة
على ثغور اشتاقت اليها



بَريــد البَسَمات

ذات يوم بعد ولادة طفلي الثالث بوقت قصير، تلقيت رسالة من صديقة لي تقطن على بعد مئة متر من بيتي في المدينة. وكنا لم نلتق طوال فصل الشتاء.

كتبـت الـي تقـول: "مرحبـاً يـا عزيزتـي. انـي افكر فيك غالباً. عسى ان تتاح لنا فرصة لنقضي بعض الوقت معاً كما كنا نفعل. واصلي جهدك، انا اعرف انك ام مثالية. ارجو ان أراك قريباً. صديقتك التي تنتظرك، سو آن "

تلك الكلمات القليلة بعثت في نفسـي قـوة معنـوية كأنهـا بلسـم مهدىء من الحب جاءني في يوم عمل شاق. واذكر اني تمتمت في نفسي قائلة: "شكراً يا سو آن، كنت في حاجة الى ذلك التشجيع."

في اليوم التالي سنحت لي فرصة للخروج اذ ان زوجي بقي في البيت ليعنى بالاولاد. وقصدت متجراً يبعد بضعة كيلومترات حيث اقيم عرض مخفض للبيع. ولم اكن على خير ما

يرام، فطفلي مصاب بالزكام وأنا في عجلة من أمري. وبدلا من ان تنفعل البائعة الشابة لتصرفاتي المتسرعة، ظلت في منتهى التهذيب والاستعداد للمساعدة. ولاحظت ان الرقعة الملصقة على ثوبها تحمل اسم جانيت سوليفان، فسألتها اذا كانت هي صاحبة المتجر فقالت: "آه، كلا. انا موظفة فحسب، لكني أحب عملي هنا." وغادرت المتجر وانا أحس بقدرة اوفر على احتمال مشاق العمل.

في طريق عودتي فكرت في نفسي: يجدر بي ان اكتب رسالة الى صاحبة المتجر اخبرها فيها كم ان جانيت سوليفان لطيفة مع الزبائن. ولكن ليس لدي الوقت الكافي لذلك.

عندما وصلت الى البيت بدا كل شيء هادئا، ورأيت على المنضدة رسالة صديقتي سو آن. وتساءلت: اذا كان لديها وقت لترفع معنوياتي، فلماذا لا يكون لدي متسع منه لأبعث البهجة في نفوس الآخرين؟

جلست وكتبت: "عزيزتي صاحبة المتجر. كان هذا الصباح شاقاً علي. دخلت متجرك وانا في حال نفسية متوترة. غير ان جانيت سوليفان كانت مهذبة وخدومة ولم تسمح لطبعي المشاكس بان يؤثر في رقتها. اني اشكر لك استخدامك مثل هذه الفتاة الطيبة التي جعلت نهاري من افضل ايام حياتي." ووقعت الرسالة هكذا: "زبونة راضية."

بعد ذلك كتبت رسالة اخرى الى جانيت سوليفان. لم يستغرق ذلك سوى دقائق معدودة،لكن بقية نهاري بدت هانئة اكثر من العادة. فقررت ان اكتب مثل تلك الرسائل كلما التقيت اشخاصاً يجيدون اعمالهم.

وذات يوم عادت ابنتي ميغان ذات السنوات الست من المدرسة وهي تحمل دمية وعدة مشوّقة من لوازم التعلم. وكنت منذ مدة اشعر ان معلمتها تقوم بعمل جيد، لكني لم اخبرها بذلك قط.

وتساءلت: لماذا لا افعل ذلك؟ ثم اخرجت ورقة وكتبت: "عزيزتي الآنسة باتريك. ان افكارك البارعة تجعل التعلم متعة مسلية. ان ابنتي تحب المدرسة ويبدو لي ان وقتك يتسع للاهتمام بكل طفل بمفرده. وأقر صراحة باني لا اعرف كيف يتسنى لك ذلك. اني فخورة بأن لدينا مدرسين مخلصين من امثالك يملكون الموهبة والحب للقيام بواجبهم. وأشكر لك توفيرك لابنتي الصغيرة منطلقاً جيداً ومنحى حسناً لاقتباس العلم. بكل اخلاص، ام سعيدة."

قررت الا أوقع الرسالة، اذ لم أشأ ان اوحي الى الآنسة باتريك بأني اتزلف اليها لكي تحب ابنتي اكثر.

عندما خرجت لأضع الرسالة في صندوق البريد، رأيت جارنا السيد وليمس يبحث في صندوقه عن رسائل. وبدا لي رأسه مائلا بأسى وخطواته بطيئة وهو عائد الى بيته صفر اليدين. واسرعت الى بيتي لأني سمعت صراخ طفلي، ولكن لم يسعني ان انزع من خيالي صورة السيد وليمس الحزين. انه لم يكن يتوقع ان يجد حوالة مالية، فهو موسر، بل كان يبحث في صندوق البريد عن بعض الحب.

جلست ابنتي ميغان ترسم صندوق بريد ضاحكاً وابني تامي يرسم قوس

قـزح، وكتبـت انـا رسـالة قصيـرة مطلعها: "اننا معجبون بك." واضفنا الى ذلك قصة محببة وقصيدة. وكتبت علـى الغلاف "انـتظر منـا رسـائـل كثيرة."

في اليوم التالي وقفت واولادي نراقب السيد وليمس يفتح صندوق بريده ويخرج الغلاف ويفضه في الممر المؤدي الى بيته. من تلك المسافة امكنـنـا ان نـرى وجهه مشـرقـاً بالابتسام.

أخذ رأسي يدور وانا افكر في كل اولئك الناس الذين تفيدهم ابتسامات تأتيهم من صناديق البريد. ماذا عن تلك الفتاة العليلة التي تقطن في جوار منزل اهلي وقد دنا عيد ميلادها الخامس عشر؟ واولئك الناس في مأوى العجزة قرب بيتنا؟ وتلك المرأة المقعدة في حينا القديم؟ وذلك العدد الذي لا حصر له من الناس الذين لا اعرفهم لكنهم لا يزالون يؤمنون باللياقة والخير؟ حتى في ايام العمل الجاد كنت اجد فسحة من الوقت لأخط رسالة واحدة على الاقل.

بعد كتابة مئات الرسائل حققت اكتشافين:

اولا، لا ضرورة لأن تكون الرسائل طويلة. عندما انتقل آل لنثروب الى منزل جديد سمعت بعض الجيران يعربون عن مدى افتقادهم لهم. وكانت رسالتي بالنيابة عن سكان حينا، وجاءت قصيرة اذ كتبت اقول: "أعزائي آل لنثروب. عندما انتقلتم بدا كأنكم اخذتم معكم بعضاً من أشعة الشمس. الناس هنا يفتقدون ابتسامـاتكم واصـواتكم السعيـدة. نـرجو ان تعودوا اليـنـا زائـريـن. صديقتكم في شارع تشيري لاين."

ثانياً، الرسـائـل الـمغفلة تـدع الآخرين متحررين من اي التزام. فقد يعسر على بعض الناس تقبل المديح او العون. والرسائل المغفلة تخفف من انزعاجهم او شعورهم بأن عليهم واجب الاعتراف بالجميل او الرد باي طريقة.

في البداية كنت اتطلب منة في مقابل الرسائل، انما الآن اجد ان كتابتها سراً تضفي عليها مسحة من المغامرة. انها ممتعة اكثر.

ربما لن يتاح لي الوقت او الوسائل لمساعدة الآخرين بطريقة افضل، حتى بعد ان يشب اولادنا. لكني الآن راضية لمعرفتي أني اساعد في رفع معنويات الآخرين وان قليلا.

وكنتـيجة جانبـية لعملـي هـذا، اجدني الآن انظر الى ظروفي الخاصة مـن زاوية ايجابـيـة. لكن الشعور بالسعادة ليس في العادة سوى نتيجة جانبية.

■ آن بايتمان

الصالح والرديء

اعتزازنا بأفعالنا الصالحة يواقت قيامنا بها. لكنّ معظمنا ينتظر أشهراً أو سنوات قبل ان يراوده الخجل ازاء فعل رديء اقترفه.

ا.ج.

من ذا الذي يمكنه أن يتصور غاباً من غير حيوانات برية؟ أن بزور براري خالية من الفيل ووحيد القرن والنمر وحمار الوحش والزرافة؟

كنوز افريقيا الطبيعية

في حديقة روينزوري في اوغندا رُفعت يوماً لافتات تحذّر السائقين من دوس الحيوانات، كتب عليها: "للأفيال حق المرور". في تلك الأيام كان ثلاثة آلاف فيل عملاق تسرح وتمرح في تلك المراعي المعشبة عند سفوح جبال القمر الجليلة. وكانت الحديقة عينها تؤوي ١٨ ألف جاموس، فضلا عن ١٠٥٠٠ برنيق في بحيراتها ومعابرها المائية. كما كانت السهول مكتظة بالظباء التي بدت، بألوفها المؤلفة من بعيد، ضباباً يزحف فوق سطح الارض.

هذه المشاهد ربما لن يراها أحد بعد الآن. ففي العام ١٩٧١ استولى عيدي أمين على السلطة وأغرق البلاد في الفوضى. وبقي جيشه سنوات يجتاح الحديقة بشاحناته، فيقنص جنوده بأسلحتهم الاوتوماتيكية ما راقهم من حيوانات. وأكمل ذلك العمل التخريبي على أيدي المغيرين من تانزانيا المجاورة، يساعدهم رجال القبائل المحلية.

وبعد عقد من السنين تحسنت الامور، واتُّخذت بعض تدابير لحماية الحياة البرية. ولما شرع المسؤولون عن الغابة يحصون ما بقي فيها من حيوان، أذهلهم أن يروا أن عدد الأفيال تقلص الى المئة والستين، ولم يبقَ سوى أربعة آلاف جاموس و٢٩٠٠ برنيق. أما الظباء فقُتّلت بالألوف.

ولئن يكن حجم المأساة بلغ أبعاداً هائلة في اوغندا، الا أن بلداناً كثيرة اخرى تشهد ابادة للحياة البرية. والحيوان الاكثر تعرضاً للأهوال هو الفيل. ويقول الخبيران جان باركر



اشلاء الفيلة في اوغندا ٠

وازموند مارتن ان أربعين ألفاً من الأفيال يُقضى عليها سنوياً٠ ففي غرب افريقيا تعاني هذه الحيوانات خطر الابادة بالقضاء على بيئتها الطبيعية٠ وفي شرق القارة السوداء تتضاءل البقية الباقية من الفيلة على نحو سريع٠

الذهب الأبيض — لا شك في أن صيد الحيوانات البرية قديم قِدَم الانسان٠ غير أن الصيد الذي مارسه الافريقيون للحصول على لحوم هذه الحيوانات وجلودها لم يهدد الحياة البرية بالانقراض٠ كذلك لم يهددها الصيد الذي كان يتم بقصد الرياضة، والذي ضبطته السلطات الاستعمارية على نحو دقيق٠ أما الخطر اليوم فهو حصيلة ظروف مستجدة، أهمها، كما يبدو، ارتفاع أسعار الانياب العاجية وقرون الكركدن٠

ولا عجب في هذا٠ ففي العام ١٩٧٠ كان ثمن الـ٤٥٠ غراماً من العاج ٢،٣٠ دولار، أما اليوم فأصبح ٣٤ دولاراً٠ وهذا يعني ان ذكر الفيل البالغ الذي يوزن ناباه ٤٥ كيلوغراماً، يحمل ثروة تبلغ ٦٨٠٠ دولار٠ بعض هذا العاج يذهب الى هونغ كونغ، حيث يتولى الصُنّاع الصينيون تحويله شخوصاً ومجوهرات وحلى صغيرة٠ غير أن أنياباً كثيرة تبقى بلا استعمال، ويكتفي أصحابها بادّخارها لتكون لهم وقاء ضد التضخم المالي٠

أما الكركدن (وحيد القرن) الافريقي الأسود فقد انقضّ الصيادون عليه من غير شفقة٠ وبعدما كان عدد أفراده يتجاوز المئة ألف قبل

عشر سنين، تقلص اليوم الى عشرة آلاف أو عشرين ألفاً في أبعد حد. ونظراً الى أن هذا الحيوان بطيء التناسل، كان من الصعب جداً اعادة الرقم كالسابق. وانثى الكركدن تضع عجلا كل أربع سنوات. وتحذّر مجموعة علماء من مستقبل هذه الحيوانات بقولها: "ان أملها في البقاء وسط القفار ضئيل جداً."

والسبب أن قرن هذا الحيوان مرغوب فيه كثيراً في القارة الآسيوية. وطالما ظن الغربيون أن سكان آسيا يستخدمون مسحوق هذه القرون كمنشط جنسي. لكنهم باتوا يعرفون أنه يستعمل كعقار للتغلّب على الحمى في الدرجة الاولى. والحقّ أنه من الغريب ان تكون لهذا القرن قيمة علاجية، علماً أنه مكوّن من المادة عينها التي تتكوّن منها الاظفار البشرية. لكنّ العديد من الآسيويين يؤمن بأنه دواء لا يُستغنى عنه، الأمر الذي رفع سعر المسحوق الى ٢٤ دولاراً للغرام الواحد.

ثمة خطر آخر على الكركدن يأتي من تقليد عريق في اليمن الشمالية، حيث يحمل كل فتى تجاوز الثانية عشرة خنجراً يُدعى "الجنبيّة" يدليه من خصره. وقد جرى التقليد على أن تُصنع مقابض الجنبيات من قرون الكركدن.

والجنبية التامة الصنع هي تلك المرصّعة بالذهب والفضة والتي تبلغ كلفتها ١٣ ألف دولار. وهذا يعني أن عدداً قليلا من اليمنيين يمكنه اقتناءها. الا أن ٧٥٠ ألفاً من سكان اليمن الشمالية يعملون اليوم في حقول النفط في البلدان العربية المجاورة. وهذا العدد يشكل عشر عدد السكان الاجمالي. وفي أقل من عشر سنين، استوردت اليمن الشمالية ٢٣ ألف كيلوغرام من قرون الكركدن. وهذه الكمية تقتضي قتل ٨٠٠٠ حيوان.

العاج "القانوني" – الحروب الكثيرة التي قامت في افريقيا منذ استقلال بلدانها رفعت معدّل قتل الحيوانات. ذلك أن غياب القانون أدى، في أماكن عدة، الى الفوضى. والافريقي الذي يعيش بأقل ما يمكن من موارد ويسكن بالقرب من حديقة حيوانات، يمكنه الحصول على ٥٠٠ دولار من قرني كركدن واحد أو من نابي فيل صغير، وهو مبلغ لا يمكنه جمعه طوال حياته بالوسائل العادية. وبعض حرّاس الغابات الذين يجنون خمسين دولاراً في الشهر يمكنهم تحصيل راتبهم السنوي عبر قتل فيل أو كركدن واحد.

ومما يزيد الامور سوءاً نزوع القضاة الافريقيين الى التساهُل حيال هذه التجاوزات، بحجة أن "السارق فقير، وهو مسؤول عن عائلة كبيرة." وتراوح أحكامهم في الغالب بين الأشهر الثلاثة والأشهر الستة سجناً.

والمفارقة في الأمر أن معظم هذه التجاوزات ليس من عمل الفلاحين المساكين. فهو غدا تجارة ذات أبعاد هائلة، تتولاها عصابات يبلغ عدد أفرادها أحياناً الستين، يركبون شاحناتهم ويطوفون في مساحات كبيرة. وهم يسلّمون غنائمهم الى

تجار يؤمّنون تهريبها الى الأسواق العالمية.

والمحاولات التي تجرى لوقف هذه الممارسة تصدّها القوانين الافريقية التي تتيح تصدير العاج "القانوني". وهذا النوع من العاج يأتي به صيادون يحملون ترخيصاً حكومياً ولا يتاجرون، نظرياً، الا بالعاج الذي ينتزعونه من الأفيال النافقة أو الهرمة. وقد أُبرم اتفاق خاص بالاتجار العالمي بالحيوانات المهددة، تعهدت بموجبه ٧٦ دولة بألا تصدّر أو تستورد من العاج الا ما كان قانونياً. لكن ١٩ دولة فقط من الدول الافريقية الخمس والثلاثين التي تملك أفيالا وقّعت ذلك الميثاق.

وتجدر الاشارة الى أن الكثيرين من تجار العاج يزوّرون الوثائق عبر رشوة المسؤولين. ويحسن بهواة السلع العاجية أن يتأملوا الطرق التي اوصلت اليهم ذلك العاج. ففي زائير، مثلا، يدس الصيادون السم في مجمّعات الماء التي ترتادها الفيلة للشرب، بحيث تلقى مصرعها لدى اطفائها الظمأ. كما ينصب اولئك الصيادون أشراكاً من أسلاك شائكة تسقط فيها الحيوانات فتنفق ببطء وألم من العطش أو الاختناق أو الغنغرينا (تآكل الانسجة لانقطاع الدم عنها).

بيض وجلد - ومما يعقّد فرض القوانين بالنسبة الى المحافظة على الحياة البرية تورّط المسؤولين الحكوميين في تجارة العاج، خصوصاً في زائير حيث يسهل امور التجار مسؤولون على أرفع المستويات. وفي كينيا التي فقدت أكثر من ثلث أفيالها المئة والخمسين ألفاً خلال السنين العشر الأخيرة، جنت أرملة الرئيس الراحل جومو كينياتا وابنته ثروة طائلة من الاتجار بالعاج.

أما الكركدن فقد تم قتله في كينيا على نطاق واسع، بحيث لم يبقَ الا ألف رأس من أصل عشرين ألفاً كانت هناك قبل عقد واحد. وفي حديقة ميرو الوطنية يتولى الجوالون المسلحون حراسة الرؤوس الستة الباقية من وحيد القرن الأبيض النادر وهي ترعى. وفي المساء يعمد الى ايوائها في مكان مقفل. وعلى رغم هذه التدابير المشددة، فقد قُتل أحد هذه الحيوانات أخيراً.

ويهدد خطر الانقراض حيوانات اخرى أيضاً. وفي السنوات الخمس التي سبقت حظر الاتجار بالتحف من قبل حكومة كينيا، قُتل نحو عشرة آلاف من الحمر الوحشية لتُصنع منها طبول وحصر تُباع للسياح. وفي بلدان افريقية اخرى تركّب قرون الظباء على لوحات وتُباع قطعاً تذكارية، وتُحوّل أذيال الزراف سياطاً، بينما يُقتل النعام لجلده وبيضه. ويتم قتل الفهد الصياد (الشيتا) في أماكن عدة لكثرة الطلب على جلده غير المدبوغ.

وقد بلغ قلق جمعيات المحافظة على الحياة البرية ذروته حيال الغوريلا الجبلية التي تتضاءل اعدادها على نحو مذهل. وقبل وقت ليس بطويل، قتل أحد افراد العصابات غوريلا اسمها "ديدجيت" لعبت دور البطولة في أفلام عدة عن الحياة البرية، وباع رأسها ويديها الى أحد

السياح بمبلغ ٢٥ دولاراً. وقُتلت حيوانات أخرى من فصيلة الغوريلا لصنع المنافض من راحات أيديها.

لكن المرء يجد استثناءات قليلة لهذه الممارسات. ففي حديقة امبوسيلي الكينية على سفح جبل كيليمنجارو، تمكن المسؤولون من حماية الحيوانات في السنوات الأخيرة. ويعود الفضل في ذلك الى السهر على رعايتها من قبل ٣٧ حارساً مسلحاً يتناوبون الطواف في أرجاء الحديقة نهاراً وليلاً. يضاف الى ذلك أن رعاة قبيلة الماساي الذين يقطنون في جوار الغابة يأنفون الصيد ويردون الصيادين على أعقابهم.

وهناك، واحة أخرى ترتع فيها الحيوانات بأمان، تقوم على طرف نيروبي العاصمة الكينية التي تعج بـ٨٠٠ ألف نسمة. فهناك حديقة نيروبي الوطنية بمساحتها التي تبلغ ١١٤ كيلومتراً مربعاً، وتؤوي عشرة آلاف حيوان بري. ومما يسهل سيطرة الشرطة عليها صغر مساحتها النسبي وقربها من المدينة. وفيما تشقّ قطعان الكركدن والجاموس طريقها وسط الغابة، تحط طائرات "الجمبو" الضخمة في مطار نيروبي الدولي القريب وتقلع منه.

كنز للجميع ـ الا أن مستقبل الحياة البرية في افريقيا يبدو كالحاً. والخطر، في المدى الطويل، يأتي ليس من الصيادين فحسب، بل من المزارعين أيضاً. ذلك أن عدد السكان في القارة الافريقية يشهد ازدياداً كبيراً. ففي كينيا، مثلاً، يزيد السكان بنسبة ٤ في المئة سنوياً. وهذه من أعلى النسب العالمية. واذا استمر النمو السكاني هكذا، فان سكان كينيا، وهم (١٧) مليوناً، سيتضاعف عددهم في السنوات الخمس عشرة المقبلة، ثم يتضاعف هذا الحاصل في السنوات السبع والنصف التالية. ومنذ الآن شرعت قبائل كثيرة تطالب بمنحها حدائق الحيوان كيما تحوّلها مزارع ومراعي.

كثيرة هي الحكومات الافريقية التي تعرف حسناً أن الحياة البرية مورد قومي لا يقل أهمية عن الأرض. ومن هذه الدول تانزانيا وزامبيا. ولقد جنت كينيا ٢١٨ مليون دولار من السياحة الخارجية عام ١٩٨٠، وهو رقم لا يضاهيه سوى عائدات البنّ الذي تصدّره هذه الدولة. وفي حال اضمحلال الحياة البرية، سوف يتلاشى عدد السياح كثيراً.

ولكن هل يمكن انقاذ الحياة البرية في افريقيا؟

ان الحياة البرية الافريقية كنز للعالم أجمع. وبما أن غالبية الدول الافريقية لا مال لديها للحفاظ على حياتها البرية، كان جديراً أن تتسلم المال اللازم كهبات من الحكومات الأجنبية والمنظمات الدولية والهيئات الخاصة.

غير ان المسألة، في التحليل الأخير، وقف على ارادة الافريقيين ذاتهم. وخير الطرائق لحماية الحيوانات البرية هي أن يتولى الأفارقة انفسهم ادارة حدائق الحيوان وحمايتها. وقد اتخذت منظمة حماية الحياة البرية الافريقية،

ومركزها العاصمة الامريكية واشنطن، خطوة حكيمة في هذا المجال اذ ساهمت في تأسيس كليتين، احداهما في تانزانيا (افريقيا الشرقية) والاخرى في الكاميرون (افريقيا المغربية)، غايتهما اعداد خبراء في حماية الحياة البرية يحصلون، بعد تخرجهم، على وظائف حكومية في بلدانهم. كما ساعدت المنظمة في تأسيس نواد للشبيبة بهدف انجاز اعمال رديفة لحماية هذا الكنز.

وتبقى حديقة روينزوري في اوغندا شاهداً على الجرائم التي ارتكبت ضد الحيوانات البرية في افريقيا، وعلى ما يمكن فعله لاصلاح الخلل. ذلك أن الحديقة مفتوحة، لكن زوارها قلائل. وفيها أجنبي واحد هو البريطاني روبرت مالباس (٣١ سنة)، ممثلا مؤسسة الحياة البرية الدولية.

ويقدّر مالباس أن ثلاثة أرباع الحيوانات في تلك الحديقة قُضي عليها، لكنه يتوقع تحسّن الوضع مع الوقت. ومن هذا القبيل أن حيوان الكوب، وهو فصيلة من الظباء، أُهلك بالألوف. لكنه سريع التناسل. وها هو اليوم، بعد تطبيق برنامج للاكثار منه، بات أكثر عدداً من السابق. ويضيف مالباس: "أنا واثق من أن الجواميس والبرانيق سوف تعود الى ما كانت بل أكثر." وأسأله عن الأفيال، فيجيب: "هب أن الصيادين كفّوا كلياً عن تعدياتهم - وهذا مستبعد جداً - فان قروناً سوف تمرّ قبل أن يعود الفيل الى الازدهار الذي كان عليه في اوغندا قبل عشر سنين."

وعلى بعد كيلومتر ونصف كيلومتر من خيمة مالباس، وقع نظرنا على نحو ستين فيلا من ذوات الأنياب الصغيرة والمتوسطة. وليس في القطيع أفراد كبيرة. ويقول مالباس: "يبدو أن الأفيال لا تبعد عن مكانها سوى كيلومترات قليلة. فقد علمتها الخبرة ان الخطر يترصد لها وراء تلك الحدود."

ونظرتُ الى الساعة، فاذا بها السادسة والدقيقة العاشرة مساء وقد أزمعت الشمس الاستوائية على الغروب خلف بحيرة ادوارد. واقترب صائدا سمك من الشاطىء وهما في قارب تجذيف، فيما أطلق أحد الفيلة صيحة انذار.

وراح القطيع يتحرّك بغير انتظام، على نحو دائريّ. وبدأ المطر ينهمر غزيراً. وتلاشت بحيرة ادوارد، هي والجبال والقمر، ضمن الضباب. وفي تلك اللحظة اختفت البقية الباقية من أفيال حديقة روينزوري بين طيات المطر والظلام.

■ ديفيد ريد

القلوب شواهد

قال الرجل لابنه الصغير وهو يريه سمكة بيرانا: "انظر! انها سمكة آكلة للبشر". وقالت البيرانا لصغيرها: "انظر! انه انسان آكل للسمك".

ت.ت.

من الذي أخذ أطفال
بلدة هاملن الالمانية
المئة والثلاثين
الى غير رجعة؟ وما الذي حل
بهم؟ ربما كانت روعة هذه الحكاية
في غموضها

الزمّار الأرقط

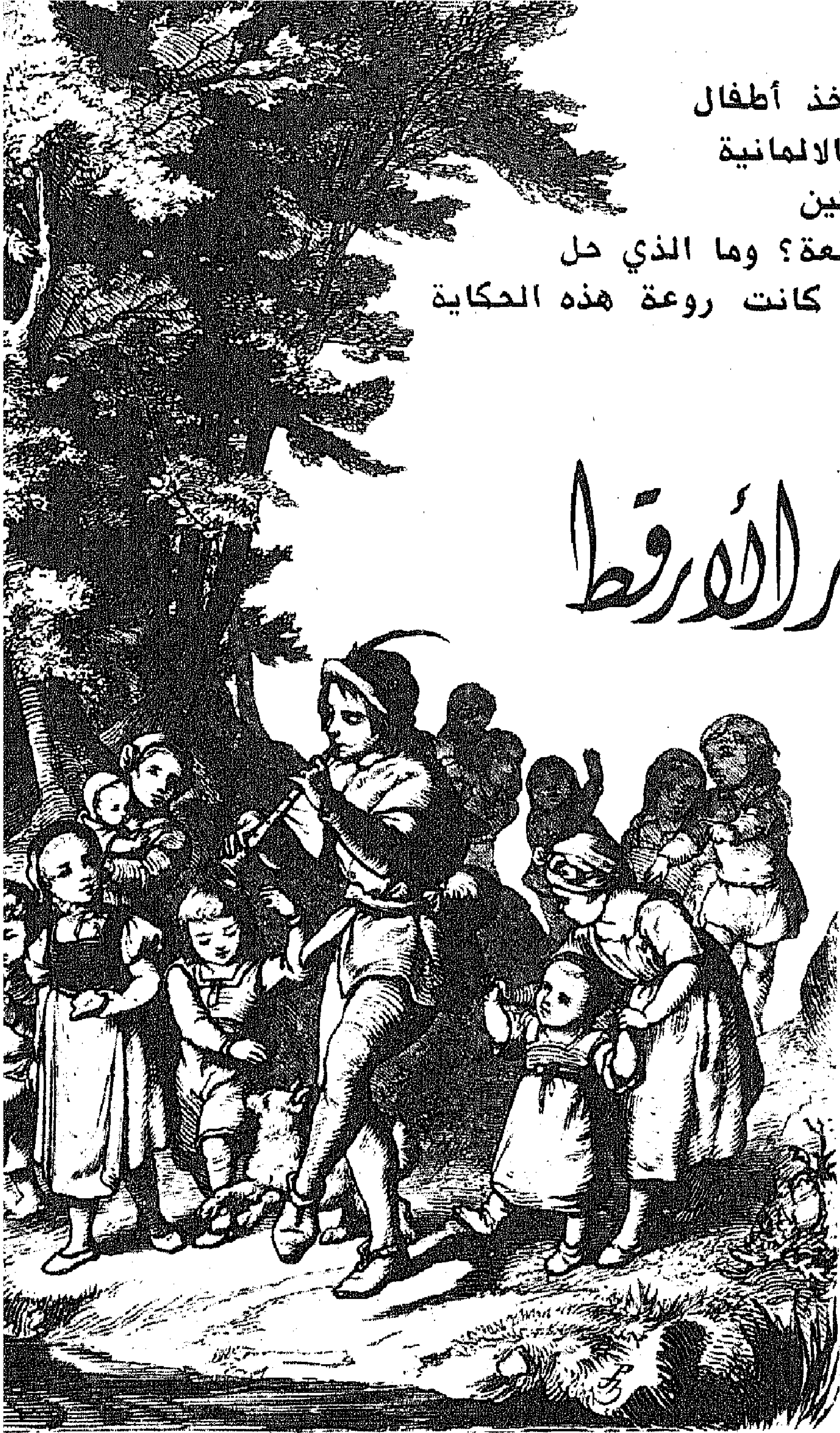


Illustration Bildarchiv PreuBischer Kulturbesitz

عميقاً في قلب مقاطعة ساكسوني الالمانية، وعلى ضفاف نهر فيسر، تقوم بلدة هاملن البديعة. وفيما كنتُ ذات يوم أذرع شوارعها المرصوفة بالحصى، مررتُ على معبر صغير اسمه "طريق بونغلوسن" أو المكان الذي لا تُقرعُ فيه الطبول. ولدى سؤالي عن الامر، أُخبرتُ أنّ الطبول ليست وحدها التي حُظرت هناك، بل جميع ضروب الموسيقى التي اختفت من ذلك المكان قبل نحو سبعة قرون. فهذه هي الطريق المشؤومة التي سلكها ١٣٠ طفلا من البلدة قبل أن يصبحوا فصلا في كتاب الاساطير.

ولقد سمعتُ حكاية "الزمار الارقط" وأنا جالس على ركبتي أمي، اسوة بملايين الاحداث. وتقول الاسطورة ان وباء هو طاعون الجرذان غزا هاملن عام ١٢٨٤. في تلك الآونة ظهر غريب مجهول النسب متشح بملابس متعددة الالوان، وتعهد بابادة الجرذان في البلدة في مقابل مبلغ معين من المال. وراح ينفخ بمزماره، فتبعته الجرذان. الى نهر فيسر حيث غرقت كلها.

الا ّ أنّ الاهالي أحجموا عن الوفاء بتعهدهم تجاه الزائر الغريب الذي كان ثأره عظيماً. ذلك أنه راح ينفخ بالمزمار مرة اخرى، فتبعه ١٣٠ طفلا من البلدة عبر بوابتها الشرقية. ولما وصلوا الى تلة كوبن خارج الاسوار، انشقت الارض وابتلعتهم جميعاً.

هكذا سمعت الحكاية للمرة الاولى. وهي اليوم منتشرة حول العالم في عشرات اللغات، الامرُ الذي جعلها مادة خصبة لخيال الشعراء والروائيين والمسرحيين والموسيقيين. وفضلا عن قيمتها الشعبية، اكتسبت قيمة خُلقية يمكن تلخيصها بالعبرة الآتية: "ادفع ديونك،" وقيمة سياسية تشير الى الحرص والحذر حيال القادة الاغرار الطائشين. وربما كانت قوة هذه الحكاية مستمدة من نهايتها المأسوية. ولكن هل يعقل أن تكون هذه النهاية مبنية على أحداث تاريخية حقيقية؟

نصوص ورسوم – تسنى لي أخيراً أن أذهب الى هاملن نفسها وأُشبع فضولي. وعلى لوحة خشب في طريق بونغلوسن، قرأتُ الآتي:

"في العام ١٢٨٤، ويوم عيد يوحنا وبولس وهو السادس والعشرون من يونيو (حزيران)، دخل زمار متشح بجميع الالوان، وقاد ١٣٠ طفلا وُلدوا داخل أسوار هاملن الى نهايتهم."

هذه اللوحة، التي تعود الى مطلع القرن السابع عشر، تشير الى أنّ خطباً جللا حدث في هاملن في ٢٦ يونيو (حزيران) ١٢٨٤. لكنّ الاحجية تبقى من غير حلّ: أين ذهب الاولاد، من أخذهم؟ ما هي حقيقة الجرذان؟

في متحف هاملن، وهو مبنى من القرن السادس عشر يغص بتذكارات تلك القصة الخارقة، راجعتُ ٣٥٠ كتاباً تحاول طرح الاسئلة المتعلقة بالاسطورة والاجابة عنها. وهناك مخطوطة من القرن الخامس عشر ترجح أن الزمار الارقط عاش في الواقع. وهي تصف شاباً وسيماً في نحو الثلاثين، نال اعجاب الاهالي وهو يعزف على ناي فضيّ. وتبعه

جميع الاطفال الذين سمعوه الى خارج أسوار المدينة. وشاهدتهم فتاة من عائلة فون لود، وسرى الخبر بين ذويهم الذين انطلقوا في أثرهم ولكن لم يعثروا على أحد.

ويقول نص آخر ان سكان هاملن أقاموا شباكاً تذكارياً في كنيستهم عام ١٣٠٠، كتبوا عليه أنّ الاطفال "اختفوا بعد تعرضهم لأهوال كثيرة فوق تلة كوبن." وهذه اللوحة، التي يُقال انها تحطمت في القرن السابع عشر، كانت تشهد على صحة الرواية القائلة بصعود الاطفال الى تلة مجاورة. وكتب خطاط أن تلك النافذة "كانت تحمل رسماً قديماً لرجل في ثياب متعددة الالوان وحوله مجموعة من الاولاد". لكن الكتابة لا تأتي على ذكر آلة موسيقية.

ترى أكان ذاك الرجل كبيراً أم حدثاً؟ أكان يحمل مزماراً أم لا؟ كيف دخلت الجرذان الرواية؟

لقد شاهدتُ نسخة عن لوحة من العام ١٥٩٢، تصور الزمار كهلا قوياً ذا شاربين ومحيا رفيق وقد لبس رداء مزركشاً. وفي القسم الخلفي نقع على الزمار في مشهدين. فهو في أحدهما يقود الاطفال الى تلة حيث ينفتح شق ضخم، وفي الآخر يعتلي قارباً في نهر فيسر وينفخ في مزماره فتأتي الجرذان من المدينة الى هلاكها.

غير أنّ الجرذان في بعض كتابات القرون الوسطى ترمز الى النفس البشرية. أيعقل أن تكون الجرذان في تلك اللوحة، اذاً، اشارة الى أرواح الاطفال المئة والثلاثين الذين لاقوا حتفهم؟ أيعقل أن تشير، عن طريق الاستعارة، الى أنهم قضوا غرقاً؟ أما بمعناها الظاهري، فهذه اللوحة تنسجم والحكاية التي نعرفها حالياً.

أرض الشرق — من أجل حلّ لغز الاطفال، ينبغي حلّ مسألة الجرذان. لقد تبين لي أن الطاعون كان وباء شائعاً في اوروبا خلال القرون الوسطى. ولا تقل عنه شيوعاً القصص التي تُروى عن أشخاص اتخذوا من اصطياد الجرذان مهنة لهم. ولا يستبعد أن يكون أحد اولئك الجوالين أغرق جرذان هاملن في نهر فيسر.

والمعلومات الحديثة تشير الى أنّ الجرذان تتأثر بالاصوات الحادة. وهذا يعني أنّ للمزمار وظيفة منطقية في الرواية. وقد أراني أمين متحف هاملن ارنست سبانوت (٧٨ سنة) الذي كرس أبوه حياته لحل لغز البلدة، صفارة تنك كان يستخدمها صائد انكليزي استطاع بصوتها القوي أن يوقع آلاف الجرذان في الاشراك.

من المعقول، اذاً، أن هاملن كان فيها صائد جرذان، وأن الاهالي نظروا اليه كساحر مشعوذ فتشددوا في دفع المال له. وعلى رغم أنّ النصوص القديمة التي تتكلم عن صائدي الجرذان بالموسيقى لا تشير الى اختفاء أطفال على يد أحدهم، الا أنه لا يُستبعد أن يكون الخيال الشعبي أبقى ذاكرة ذلك الرجل الاسطوري حية، حتى اذا اختفى الاطفال ألصقت به التهمة. هذا يتماشى والتراث الشعبي الذي يخلط أحداثاً مختلفة ليخلق منها كلا اسطورياً.

RD.AB. 11/82



وفي القرن السابع عشر بدأ الدارسون يناقشون مسألة بقيت من غير حلّ طوال القرون الثلاثة اللاحقة: ماذا حدث لاطفال هاملن؟

ألا أن النصوص التي جاءتنا من القرون الوسطى تنطوي على تحريض للالمان على الاتجاه شرقاً نحو الارض السلافية: "انها بلاد ممتازة، غنية باللحوم والعسل والطيور والدقيق... تعالوا، اذاً، يا معشر السكسون والفرنك."

وسألتُ سبانوت: "أيحتمل أن يكون هذا صحيحاً؟"

فأجاب: "أجل...والعلماء الذين يختلفون حول التفاصيل أجمعوا على أمر واحد، وهو أنّ الاطفال ذهبوا شرقاً."

وعبارة "الشرق" كانت ذات قوة سحرية في مدن المانيا المكتظة بالسكان في القرن الثالث عشر. وكان الملاكون السلافيون والمجريون (الهنغاريون) يرحبون بالمستوطنين الالمان الذين ربما أعانوهم على دحر جحافل التتار الذين كانوا ينهبون الممتلكات ويعيثون بها فساداً لدى قدومهم من روسيا. أما الالمان المتواضعون فوجدوا حرية أكثر في تلك الديار. وبدأوا يتوافدون موجة اثر موجة، يشجعهم امراء البلاد وأشرافها الذين رأوا في نزوحهم فائدة اقتصادية لهم.

وأخيراً تبينت لي ملامح الزمار الارقط على نحو أشد وضوحاً: أنه رجل استطاع أن يُقنع ١٣٠ حدثاً من هاملن باللحاق به الى أرض الشرق حيث يبتسم لهم الحظ.

وكان السادس والعشرون من يونيو (حزيران) ١٢٨٤ عيداً في هاملن. ولا يستبعد أن يكون أحد الضباط دخل البلدة ومعه ناي وهو يرفل في حلة مزركشة. والذين جمعهم حوله ليسوا في الغالب أطفالا، وانما هم أحداث البلدة المتبطلون ومراهقوها الذين ملّوا العيش بين تلك الاسوار وكانوا يتوقون الى اختراقها سعياً وراء المجهول.

ولكن ما الذي يفسر ارتباط الاسطورة ببلدة هاملن بالذات؟ أليس واضحاً أنّ كارثة حلت باولئك الفتيان؟

نظرية معقولة ــ لاكتشاف ذلك الامر، قصدتُ الى منزل معلم المدرسة المتقاعد هانس دوبرتين (٥٨ سنة) الواقع على مشارف البلدة. وهو كرّس معظم نشاطه لتحري مصير أطفال هاملن، ويقول انه بات مقتنعاً "مئة في المئة" بما حلّ بهم. ويمضي قائلا:

"كل عبارة في الاساطير تخبىء مغزى منطقياً. واسطورة هاملن تخبرنا عن مأساة. وهذه المأساة حدثت ليس قريباً من هاملن، بل في مكان بعيد. ولديّ براهين تثبت أنّ الاولاد ذهبوا ناحية الشمال الشرقي، ومن هناك ركبوا سفينة غرقت في البحر بالقرب من بلدة كوبان البوميرانية التي تقع في بولونيا اليوم. وهذا يفسرّ النصوص الوسيطة القائلة بأنّ الاولاد "فُقدوا في كوبن" ذلك أنّ سكان هاملن خلطوا لاحقاً بين بلدة كوبان البعيدة وتلة كوبن خارج بلدتهم."

لقد استمدّ دوبرتين روايته من سجلات قديمة علاها الغبار، تصف تجولات الكونت نيكولاس فون شبيغلبرغ، وهو مستعمر ألماني أقام صداقات بالقرب من هاملن. وقد شوهد شبيغلبرغ للمرة الاخيرة في ميناء شتيتن الالماني على بحر البلطيق في ٨ يوليو (تموز) ١٢٨٤، بعد ١٢ يوماً فقط من اختفاء الاولاد. وتبعد شتيتن عن هاملن ٤٠٠ كيلومتر، أي نحو ١٢ يوماً سفراً في تلك الآونة. وهي وكوبان آنذاك ميناءان كان المهاجرون الالمان ينطلقون منهما الى البلطيق للاستيطان.

ومما يقوي هذه النظرية الادلة القائلة بتنقل شبيغلبرغ بين مقاطعتي هاملن وبوميرانيا في السنوات التي سبقت ١٢٨٤. كما أنّ أخويه، وهما مستعمران أيضاً، عادا الى المانيا للسكن في جوار هاملن. ويغيب ذكر شبيغلبرغ من النصوص في الوقت نفسه الذي شهد اختفاء الاطفال. وهذا، كما يقول دوبرتين، يعني أنّ الكونت اختفى معهم.

وسألتُ المعلم دوبرتين: "نيكولاس فون شبيغلبرغ، اذاً، هو الزمار الارقط؟"

– ولِمَ لا؟ أنه الرجل الكهل الذي تمثله الرسوم القديمة في ملابسه المزركشة على غرار الاشراف الالمان آنذاك. وربما استعان بموسيقيين للفت الاهالي. وليس غريباً أن يكون الخيال الشعبي عبر العصور حول الجوقة كلها شخصاً واحداً.

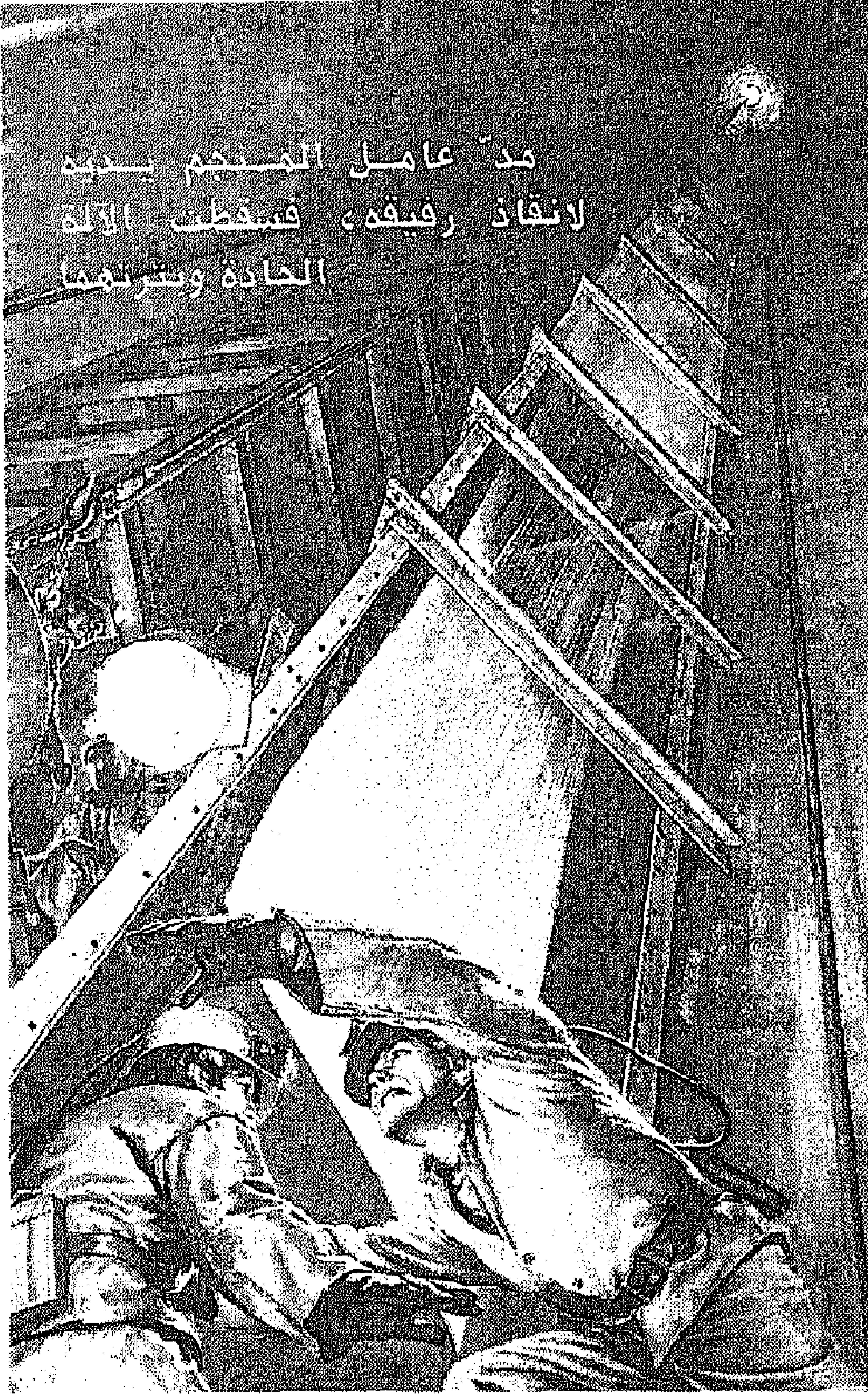
ولئن يكن عدد من الدارسين يستبعد نظرية دوبرتين، الا أنه يصرّ عليها ريثما يقدم أحدهم دحضاً مقبولا. ويمكن القول الآن أن دوبرتين رفع الاقنعة عن وجه الزمار الارقط اذ أعطاه اسم الكونت نيكولاس فون شبيغلبرغ.

وعدتُ الى هاملن لأنضم الى مئات الزوار الذين يملأون شوارعها. وجدير بالذكر أنّ هذه الاسطورة تحمل ٢٠٠ ألف سائح سنوياً الى البلدة، حيث يصرفون نحو ستة ملايين مارك ألماني (٢،٤ مليون دولار). والجرذان الوحيدة المرئية هذه الايام هي من الخبز والحلوى. وفي وجبات المطاعم طبق اسمه "ذيل الجرذ" فضلا عن شراب يدعى "قاتل الجرذان."

ومع اقتراب الظهيرة شققتُ طريقي نحو السوق. وهناك شاهدتُ مسرحية "الزمار الارقط" التي تقدمها كلّ يوم أحد، طوال فصل الصيف، فرقة محلية من مئة ممثل لا يتقاضون أجراً. ويؤدي دور الجرذان أطفال من البلدة. وفي نهاية العرض يتبع الاطفال زماراً مزركش الثياب عبر الشوارع، فيما يحاول أهلهم، وهم بين الحضور، دعوتهم كي يعودوا، ولكن من غير جدوى.

وسرتُ مرة أخيرة عبر طريق بونغلوسن ذهاباً واياباً بعد اكتشافي حقيقة الامر. ان أحداً لن ينسى أطفال هاملن الذين فُقدوا عام ١٢٨٤ ما بقيت لدى الناس حاجة الى القصص والاساطير. وان ذكراهم أبقى من المرمر. وفي أرض الاساطير الدائمة الخضرة، ما زال هؤلاء الاطفال يتبعون الزمار الارقط نحو أفق مجهول.

■ موريس شادبولت



مدّ عامل المنجم يديه لانقاذ رفيقه، فسقطت الآلة الحادة وبترتهما

Cookeville, Tennessee Herald Citizen

فريق طبّي يعيد الى شاب يدَيه المبتورتين

عندما سمع ديفيد جاكسون، الشاب ذو التسعة عشر عاماً، رنين الفولاذ عند ماسورة المنجم، عرف أن القطعة المعدنية الاخرى البالغة الأمتار الخمسة طولا والمتر عرضاً هي في طريقها الى اسفل وقد عُقدت بسلك كثافته ١٢،٥ مليمتراً.

كان ذلك في ٣١ مارس (آذار)

١٩٧٧ بينما ديفيد يؤدي نوبة ليلية مع فريق لتركيب القنوات في منجم لمعدن الزنك بالقرب من بلدة قرطاج في ولاية تينيسي الامريكية.

ووقف ديفيد مع زميله جيري دنكان (٢٦ سنة) ينتظران على سقالة وهما على عمق ٣٣٥ متراً تحت الأرض. وعلى عمود رفيع يرتفع متراً فوقهما وقف ليمون عمّ ديفيد. وعلى ارتفاع مترين ونصف متر فوق ليمون وقف رونالد ايرغل منتظراً تركيب الصفيحة المعدنية مكانها.

وفجأة تناهى الى سمع ديفيد اصطفاق القطعة المعدنية كما لو انها أفلتت من سلكها. وكان ظنه صادقاً، اذ هوت تلك القطعة التي تزن ٧٣ كيلوغراماً عن علو ٣٠٠ متر ونيف. ونظر ديفيد الى جيري، فرآه واقفاً في طريق القطعة الحادة الساقطة.

وصرخ فيه: "جيري، " وهو يحاول أن يزيحه الى الناحية الاخرى. وما كاد ان يفعل حتى استقرّت الصفيحة المعدنية بين الاثنين. لكنها، قبل ان تستقر، قطعت ذراع جيري اليمنى عند الكتف. وراح الدم يتدفق من أحد شرايينه فيما نتأ العظم والعصَب على نحو مروّع.

وحاول ديفيد التغلّب على الدوار الذي أصابه والارتكاز على يده اليسرى بقصد الوصول الى جيري ومساعدته. غير أنه لم يستطع. وأعاد الكرّة بيده اليمنى، ولكن من غير جدوى أيضاً. وسأل نفسه: "ما هو مصدر الألم الذي أصابني؟" وللحال نظر الى جسمه، فوجد ان ذراعيه بُترتا: "اليمنى تحت المرفق واليسرى عند مفصل المرفق تماماً.

وشهق ديفيد وقد أغمض عينيه لهول ما رأى: "لماذا يا الهي؟" وأخذ يعول فيصعد صدى عويله عبر ماسورة المنجم الى فوهته.

في تلك الأثناء قفز ليمون الى السقالة وقرع صفارة الانذار، ثم هرع نحو ابن شقيقه. وتبعه رونالد ايرغل متجهاً الى جيري الذي كان غائباً عن الوعي عند حافة السقالة. وكان لديفيد خال هناك اسمه تشارلز رودجرز، وهو ناظر المنجم. هذا كان في الرافعة بالقرب من السطح عندما سمع صراخ ابن اخته. وللحال طلب الى طاقم العمال فوق أن يهبّ الى النجدة. ولما بلغ السقالة تحت، رأى الدم ينسكب من جدعتي ديفيد.

وعلى الفور استدعى احد الموظفين سيارة اسعاف من بلدة قرطاج التي تبعد عشرة كيلومترات عن الموقع.

وفي المنجم تولى تشارلز رفع ديفيد الى الحمالة. ثم التقط ذراعاً كان شاهدها سابقاً وقال: "هيا بنا الى فوق."

وتنهد رونالد قائلا: "انها ذراع جيري في يدك." ونظر اليه تشارلز وهو لا يصدق ما يسمع. لكنه ما لبث ان أدرك ان هناك ضحيتين وثلاثة أطراف مبتورة.

جراحة مجهرية ـ اغمض ديفيد عينيه بشدة فيما الألم يعصره، وانتقلت أفكاره الى خطيبته ديبي غوف. وكانا حددا موعد الزفاف بعد اسبوع.

ولما وُضع جيري الى جانبه في الحمالة، صرخ ديفيد من الألم الذي

ولّدته النخعة. واذ وصلا الى سطح الأرض كان الوقت بُعَيد السادسة صباحاً. ولم يسمع ديفيد حوله الا الصراخ الصادر عن القلق والهلع.

وطرأت فكرة على ذهن رونالد. وكان طالع مقالا حول اعادة تركيب الأطراف المبتورة في مجلة مختصة بمشاريع البناء. وقال لنفسه: "ربما كان في المستطاع اعادة ذراعي ديفيد اليه." ثم قال لزملائه: "اني عائد الى قعر المنجم لاحضار ذراعي ديفيد." وانضم اليه ليمون وزميل آخر، ودُليت الحمالة ٣٣٥ متراً. وهناك راح الثلاثة يتفحصون السقالة. وما لبث رونالد أن وجد الذراعين تحت الصفيحة المعدنية، وكانت احداهما داخل كمّ المعطف.

ولما بلغا السطح ثانية كانت سيارة الاسعاف غادرت لتوّها وهي تحمل ديفيد وجيري. وأعطى ليمون الذراعين الى الزملاء الذين أسرعوا بهما نحو مستشفى محافظة سميث في قرطاج.

هناك أوقف الدكتور جون رو النزف وأعطى الشابين عقاقير مسكنة. وكان موقناً أنهما يحتاجان الى أطباء اختصاصيين. لذلك أرسلهما على جناح السرعة الى المستشفى المعمداني في ناشفيل، على بعد مئة كيلومتر، حيث كان الأطباء التقويميون في انتظارهما.

وكانت أعصاب ذراع جيري من الأذى بحيث تستحيل اعادة تركيب الذراع. لكن أطباء ناشفيل قدّروا أنه يمكن تركيب ذراعي ديفيد اذا هو أرسل الى مستشفى بلدة لويزفيل (ولاية كنتكي) الذي يبعد ٣٥٠ كيلومتراً. وهناك يتولى الأمر الدكتور هارولد كلاينرت الخبير في الجراحة المجهرية. وجرى في مستشفى ناشفيل لفّ ذراعي ديفيد في قماش نظيف وأكياس نايلون ثم وضعهما في الثلج.

وقال أحد الأطباء لديفيد وهو يربت كتفه برفق: "لا تستسلم يا صبي! اننا سنرى اذا كان تركيب ذراعيك ممكناً."

ونُقل ديفيد بالطائرة الى لويزفيل. وفي الاولى بعد الظهر أدخل غرفة العمليات في المستشفى حيث كان في انتظاره فريق جراحي على اهبة الاستعداد. واذا قُيض النجاح لتلك العملية، فهي ستكون الاولى من نوعها في العالم.

دخل الدكتور هارولد كلاينرت الغرفة بقامته الطويلة الناحلة وهو رابط الجأش. والحقّ أن سنوات الطفولة التي أمضاها ذلك الطبيب البالغ الرابعة والخمسين في مزرعة في مونتانا أكسبته القدرة على تحمّل العمل الشاق طوال ساعات مستمرة. وهو كان سيُجري الجراحة لذراعي ديفيد بمساعدة مجهر ويخيط أوعيته الدموية بخيوط بدقة الشعر الناعم.

والحق أنه لو فكر أحدهم في اعادة تركيب طرف أبتر قبل عشرين سنة فقط، لسخر الأطباء منه. الا ان الدكتور كلاينرت كان منذ ذلك الحين، يفكر في ذلك الأمر. وهو ابتكر، طريقة مجهرية لاعادة تركيب الأصابع المبتورة. وبفضله تمكن مستشفى ناشفيل من اجراء هذه

الجراحة بمعدّل ٨٥ في المئة من النجاح.

أما ديفيد فمُدد على طاولة الجراحة وقد وقف فريق طبي الى كل من جانبيه كما لو كان شخصين. فهناك ذراعان تنبغي اعادة تركيبهما. وجُعل كلّ فريق في قسمين: واحد يعمل على الجدعة والآخر على الطرف المقطوع. وثبت مجهر الى كلّ جانب. واتفق على أن تعمل المجموعة الطبية اثنتي عشرة ساعة تبدل بعدها الممرضات ويأتي معاونون لاراحة الاطباء لئلا يجهدهم الارهاق فتزيد أخطار الجراحة.

"سوف احملك يوماً" — بعد تطهير الجدعتين والطرفين باشر الأطباء ابراز الأوعية الدموية واحداً واحداً تحت المجهر. ثمّ حان العمل الرئيسي، وهو وصل كلّ شريان ووريد في الجدعة بمكانه في الطرف المبتور.

وتولى الدكتور كلاينرت ذلك العمل بنفسه، وراح يؤديه بدقة بالغة. وبعد تثبيته احد الشرايين افلته من يده، فترهل ببياضه الشاحب. لكن الدم ما لبث ان سرى فيه على نحو طبيعي. وفيما انتقل كلاينرت الى شريان آخر كان زميل له يعمل على الذراع اليمنى، واذ انتهى هذا من احد الشرايين وضع عليه مجساً خاصاً، فوجد أن الدم يسري فيه كالمعتاد. وفي تلك اللحظة تلاقت أعين الطبيبين، فهزّ الدكتور كلاينرت رأسه باعتزاز بعدما تبين له أن حظ ديفيد جاكسون في الشفاء كبير جداً.

وانصرف الطبيبان بعد ذلك الى وصل سبع شرايين او ثمان في كل من ذراعي الشاب. كذلك وصلا الاعصاب والعضلات والاربطة، وعند انتصاف الليل رتقا الجلد قبل تغطية كلّ ذراع بجبيرة. وفي الاولى بعد منتصف الليل نُقل المريض الى غرفته.

أفاق ديفيد من غيبوبته بعد مرور عشرين ساعة على الحادث. وكان والداه عند طرف السرير وخطيبته الى جانبه. وللحال تذكر ما حصل في قعر المنجم، فنظر الى ذراعيه متوقعاً أن يرى جدعتين مخيفتين. الا أنه شاهد جبيرتين طويلتين تدلت منهما أصابعه.

وصرخ: "انها ذراعاي! لقد أُعيدت اليّ ذراعاي!" وتذكر زميله والدمع يملأ عينيه، فصرخ: "كيف حال جيري؟"

وأجابته ديبي: "لقد انقذت حياته، لكن الاطباء لم يستطيعوا انقاذ ذراعه."

وفي ٢٣ ابريل (نيسان)، بعد ثلاثة أيام من مغادرته المستشفى و٢٣ يوماً من الحادث، وقف ديفيد واشبينه (شاهد الزفاف) على باب كنيسة بيت لحم في بلدة باكستر من أعمال ولاية تينيسي. وفيما تقدمت خطيبته ديبي ووالدها، نظر الى كمّي سترته الطويلين اللذين غطيا قالبي التجبير وتجاوزا الأصابع لئلا يظهر شيء غير طبيعي، وقال لنفسه: "اني أسعد انسان على وجه الأرض."

ولما جيء بخاتمي الزواج على وسادة حرير خاصة، تناولت ديبي اكليلا فضياً معه خاتم ووضعته على رأس ديفيد. أما هو فلم يستطع

تحريك أصابعه بعد. لذلك تولى اشبينه وضع الاكليل والخاتم الذهبيين على رأس عروسه. وبينما هما يغادران الكنيسة، خفّ المصوّرون لتخليد تلك المناسبة والصحافيون للتهنئة. لقد غدا ديفيد اسماً شهيراً. ويقدّر الأطباء الذين اشرفوا على العملية أنها الاولى من نوعها في العالم.

وبعد انتهاء مراسم الزفاف توجه العروسان الى منزلهما الجديد. ووقف ديفيد عند العتبة وهو ينظر الى ذراعيه ويقول لعروسه: "سوف أحملك يوماً وأتسلق بك هذه الدرجات."

وفي الأشهر الثلاثة اللاحقة تحمّل ديفيد تمارين شاقة لاعادة حاسة اللمس الى يديه. وأخيراً حان الوقت كي يبرّ بالوعد الذي قطعه على نفسه تجاه ديبي. وهكذا حملها بذراعيه على سلم المنزل بعد انقضاء تسعة أشهر على الحادث.

وتسلم ديفيد وساماً برتبة "بطل" تقديراً لتضحيته من أجل انقاذ حياة رفيقه جيري دنكان. وفي تلك المناسبة سئل ان كان من المعقول أن يكرر ذلك العمل، فقال: "أليست حياة رفيقي أغلى من ذراعيّ؟"

■ نيلا رودجرز



التضحية محبة

قالت ابنتي الصغيرة وأنا أحملها الى السرير: "أتعرفين يا امي؟ اني اضحي بحياتي من أجلك." فشددتها بين ذراعي وقلت: "وأنا يا حبيبتي اضحي بحياتي من أجلك." عندئذ استدركت قائلة: "ولكن ما معنى كلمة أُضحي؟".

صحيفة "نيويورك تايمس"

النجاح والاخفاق

كتبت ناديا بولانجيه، وهي عازفة بيانو فرنسية ومعلمة أجيال من الموسيقيين المرموقين:

"النجاح ليس شيئاً ما لم يبذل المرء في سبيله التضحيات العظام. والاخفاق ليس شيئاً اذا كان المرء بذل غاية جهده."

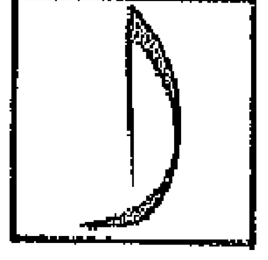
لو كان الانسان بلا سقطات لاستحال إلهاً. ولو هو فقد الطموح لانحطّ الى مرتبة الحيوان.

و.ل.ك.

يطير فوق الزهر ناثراً ألحانه البهيجة • ولا تقوى
أشد المحن على اخراس تغريده المتحدي

تغريدة الحياة





اول جار تعرفت اليه في محيط بيتي الجديد في آرلنغتون، ولاية فرجينيا، كان هزاراً(★) ام" المكان في الوقت نفسه ليعلن ملكيته لحوض الازهار النامية قرب الرواق المسقوف امام بيتي. وأطلقت على جاري اسم تشارلز أيفس، ليس تيمناً بالمؤلف الموسيقي الامريكي بل لأن شيئاً ما فيه اوحى الي بهذا الاسم.

في يوم لقائنا الاول كان تشارلز جاثماً على مقبض رفش غرزته في الارض قرب حوض الازهار التي بدأت تتفتح. كان يغرد لحناً هامساً يشبه اللحن المألوف لدى هذا النوع من الطيور، غير انه كان خفيضاً بحيث لا يسمع من مسافة تزيد على بضعة امتار. كان لحناً ساخراً، ناعماً كنغم الناي ومذهلا في ايقاعاته. وجلست وقتاً طويلا اصغي بكل جوارحي الى ذلك التغريد.

المرة الثانية التي ألتقيت صديقي الجميل كانت في حفلة عيد ميلاد فرد أستير، الممثل السينمائي الشهير برقصه وغنائه. وكان تشارلز جاثماً على أعلى غصن في شجرة عبر الشارع. كان كل بضع ثوان يقفز ثلاثة أمتار في الهواء باسطاً جناحيه ثم يحط في المكان نفسه، ولا يلبث ان يقفز ثانية مدفوعاً بما تصورته حبوراً فحسب.

لكن عالماً بالطيور اخبرني في ما بعد ان تشارلز كان بذلك يؤكد ملكيته لفسحة الارض تلك ويغازل رفيقة اعجبته. وانا لا انكر ما قاله العالم، لكني ما زلت مصراً على ان في تصرفه هذا مقداراً كبيراً من الحبور. فهو بقي على حاله ست ساعات من دون ان يتوقف لحظة واحدة لينقر ثمرة صغيرة. ومثل السيد أستير كان تشارلز يتناوب الرقص والغناء.

في اليوم التالي حط فوق اسلاك الهاتف وبدأ يغرّد باقة من الألحان ضمت نحو عشرين لحناً من أغاني الطيور الاخرى، اضافة الى لحنه الخاص المميز. كان في تغريده تنوع مثير ومدى واسع من الانغام واحساس دقيق بالاماكن التي ينبغي فيها السكوت.

كان تشارلز، على غرار جميع الموسيقيين البارعين، يغني ما يتوافر لديه من ألحان. وقد سمعته احياناً يقاقي كالدجاجة وينبح كالكلب وينوء كالقطط ويصر كباب سيارة جف الزيت في مفاصله.

وسرعان ما غدا صديقاً طالما افتقدته. كنا نأكل التفاح معاً. وكان يسمع رنين الاجراس في الباب حين افتحه لأخرج الى الحديقة، فتعلم ان يحاكي ذلك الرنين ايضاً. وكان يلحقني فأقطف له تفاحة واقطّعها واتركها في مكان بارز. وهو اعتاد ان يبقى هناك طالما بقيت، ينقر التفاحة ثم يطير ليجثم على سور الحديقة.

امور عائلية — ما أن بدأنا نزهات التفاح في الحديقة حتى اصبح تشارلز رب عائلة. فالهزار يقاتل دفاعاً عن أرضه، وهي في العادة تبلغ حوالى

(★) الهزار او المحاكي طائر غريد يتميز ببراعته في محاكاة اصوات الطيور الاخرى.

نصف هكتار. ويفوز الذكر بانثاه بالانتصار في الصراعات الحدودية في فصل الربيع والظفر على سواه من الذكور. هكذا عثر على أنثى جميلة ظل في رفقتها ثلاثة أيام، يدخلان غيضة ويخرجان منها من بزوغ الفجر حتى دكنة الشفق. وبنيا عشهما بالاعواد الدقيقة ثم بطناه بالاعشاب والنباتات الهشة والخيوط. وعلى هذه الخيوط وقع النزاع الاول بيني وبين تشارلز.

ذلك ان تشارلز، الذي كان يتصرف كرجل نبيل في معظم الامور، كان لصاً في ما اختص بالخيوط. وكنت أمد خيوطاً فوق اوتاد حول حوض ازهاري. فراح تشارلز يسطو عليها بعزم لا يعرف الكلل. وينحل احد طرفي الخيط ويبقى الآخر مشدوداً، فيأخذ تشارلز في جذب الطرف المنحل بشدة وحماسة على مدى ساعات، يتخبط خلالها هنا وهناك ويسقط على قفاه وسرعان ما ينهض ليعاود جذب الخيط. وكان ينهرني حين اخرج اليه منذراً بأن يبتعد عن سياج ازهاري.

وكنت أربط الخيط من جديد، ولكن قبل انقضاء ساعة كان ينحل مرة اخرى فيجذبه تشارلز مولياً عمله كل اهتمام حتى انه لم يلاحظ هرة الجيران المتربصة به عن كثب. واقلقني الامر وخطر لي ان اقطع بعض خيوط ألقي بها على رواق المدخل. وأخذ تشارلز هذه الخيوط، لكنه عاد يهاجم سياج ازهاري، فهو كان مصراً على ان يأخذ ذلك الخيط من دون سواه. واخيراً حللت الخيط فحمله ظافراً وطار به لكي يبطن العش الذي يعده لعائلته العتيدة.

في اواخر مايو (ايار) وضعت زوجة تشارلز اربع بيضات صغيرة لونها اخضر مشوب بالزرقة ومرقطة ببقع بنية. وبعد اسبوعين نقفت البيوض. وانطلق تشارلز كأب نشط يجمع الجنادب والزنانير الصغيرة والدويبات ليزقمها فراخه.

ولما كان منهمكاً في مسؤولياته العائلية، تعلمت الا انتظره في حديقتي. ولكن كلما حضر كان لقاؤنا مبهجاً كالمعتاد.

كان يغني ألحان العصافير الاخرى كما يعزف هوروفيتز على البيانو، مستعينا بعناصر مختلفة ليبدع منها موسيقى تملأ كل لحظة عابرة بأعلى قيمة ممكنة.

والهزار الذي يمكنه ان يحاكي اي شيء تقريباً، بما في ذلك صوت آلة جز العشب، لا يحاول محاكاة الانسان. لكني اعرف انه قد يتعلم ان يصفّر انغاماً طويلة اذا قيض له من يعنى بتعليمه. لذلك عزمت على تلقين تشارلز لحناً قديماً لفرد أستير:

"ايقنت ان لا شيء مستحيلا،
اذ عندما اسقط
وتلتصق ذقني بالارض..."

عشق الحياة - في اوائل يوليو (تموز) خرجت الى حديقة بيتي لمتابعة التمارين. وقطعت تفاحة ووضعتها في المكان المعهود وجلست انتظر. غير ان تشارلز لم يحضر. وتناهت الي اصوات بعض الجيران وهم يضحكون. وخرجت اليهم

فوجدت تشارلز هناك. كان ثائراً كما لم اعهده من قبل، وهو ينقض مهاجماً القطة المتسللة بينما انكفأت هذه محاولة الاختباء تحت السيارة.

سألت جيراني عما جرى. فقال احدهم: "انه يهاجم القطة."

ـ لماذا؟

"لأنها اعتدت على عشه."

توجهت الى الغيضة وباعدت الاغصان ونظرت. فرأيت العش مهشماً والفراخ افترست والانثى زوجة تشارلز صريعة. كان العش متدلياً من الغصن والخيط الذي بذل ذلك الجهد للحصول عليه يترجح في الهواء.

عدت الى البيت. وعندما هبط الظلام اصبح جو الغرفة حالكاً يتخلله شعاع من ضوء القمر انعكس على أحد الجدران. وبعد قليل انفرط عقد الجيران وخيم سكون ممض. وشعرت بقنوط أبى ان يفارقني.

حينئذ تناهى الى سمعي عبر المدفأة الباردة السوداء صوت شجي يشبه نغم الناي ويحمل لحن أغنية زاخرة بجمال لا مثيل له. كان تشارلز أيفس جاثماً على قمة المدخنة في ضوء القمر، يغرّد بصوت عال مفعم بالتحدي والاثارة الساحرة.

كان هناك يذود بشجاعة عن الشيء الوحيد الذي بقي له، نبل الحياة وضرورة اعتبارها أسمى من ديدان يأكلها او خيوط يستولي عليها او حتى ألحان تافهة يلقنه اياها أناس سخفاء وجبناء لا يصدّون عنه اعداءه وليس لديهم ما يقدمونه سوى شرائح التفاح.

دام هذا التغريد نحو ساعة. ثم تغير اللحن وتلاشى الصوت الشجي لتحل مكانه الأغنية الهامسة. وخيل الي انه يحاول ان يفرج كربتي ويعلمني ان عليّ ان اكون جريئاً وافعل ما وجدت من اجله، لا ان أغرق في الأسى على النكبات العارضة.

ربما نعود الى ممارسة العرض المسرحي بعد كل ما جرى، حالما نعثر على قبعة قش صغيرة.

وأيقنت ان لا شيء مستحيلا. اذ عندما أسقط وتلتصق ذقني بالارض، أنهض وأنفض عني الغبار واستأنف العمل.

■ ديك دابني



تحقيق الاحلام

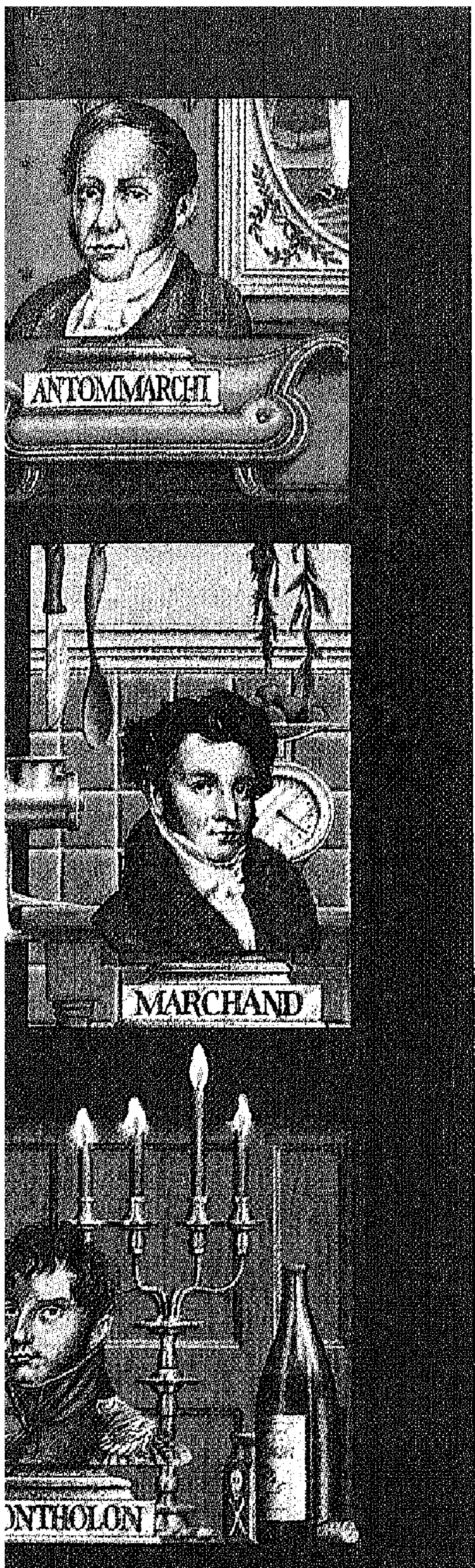
انها لمأساة أن يموت المرء قبل تحقيق احلامه. لكن الكارثة هي أن يموت بعد وقت طويل من تحقيق كل ما يريد.

ك.س.

الطريق الى المرح

المرح لا يعلم. وهو يقتضي، الىجانب البراعة والذكاء، مقداراً كبيراً من طيبة القلب والصبر والتسامح واللطف.

ك.غ.



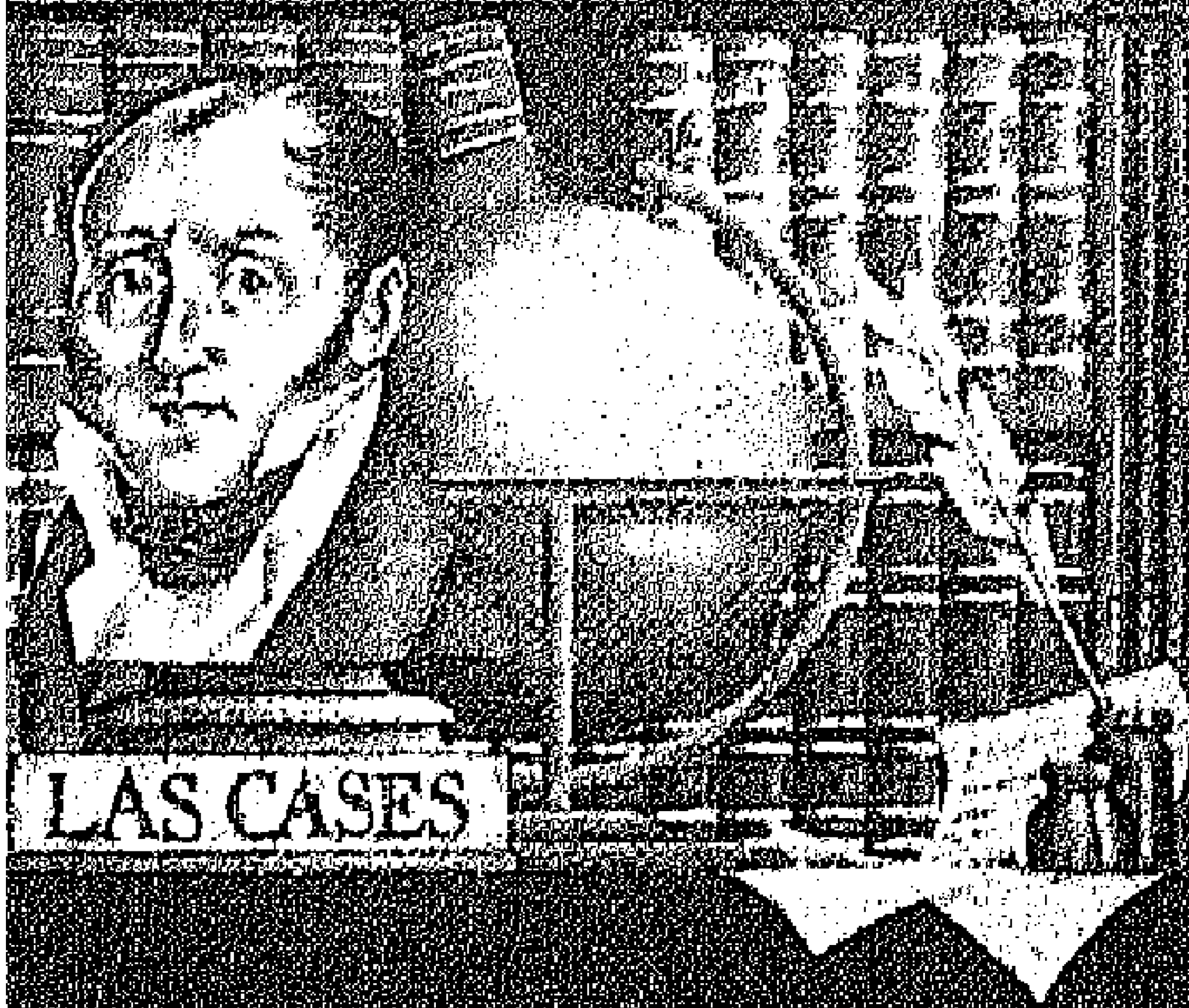


مَن قَتَلَ نابُولِيُون ؟

ملخص من كتاب
بقلم بن وايدر
وَديفيد هابغود

من قتل نابوليون ؟

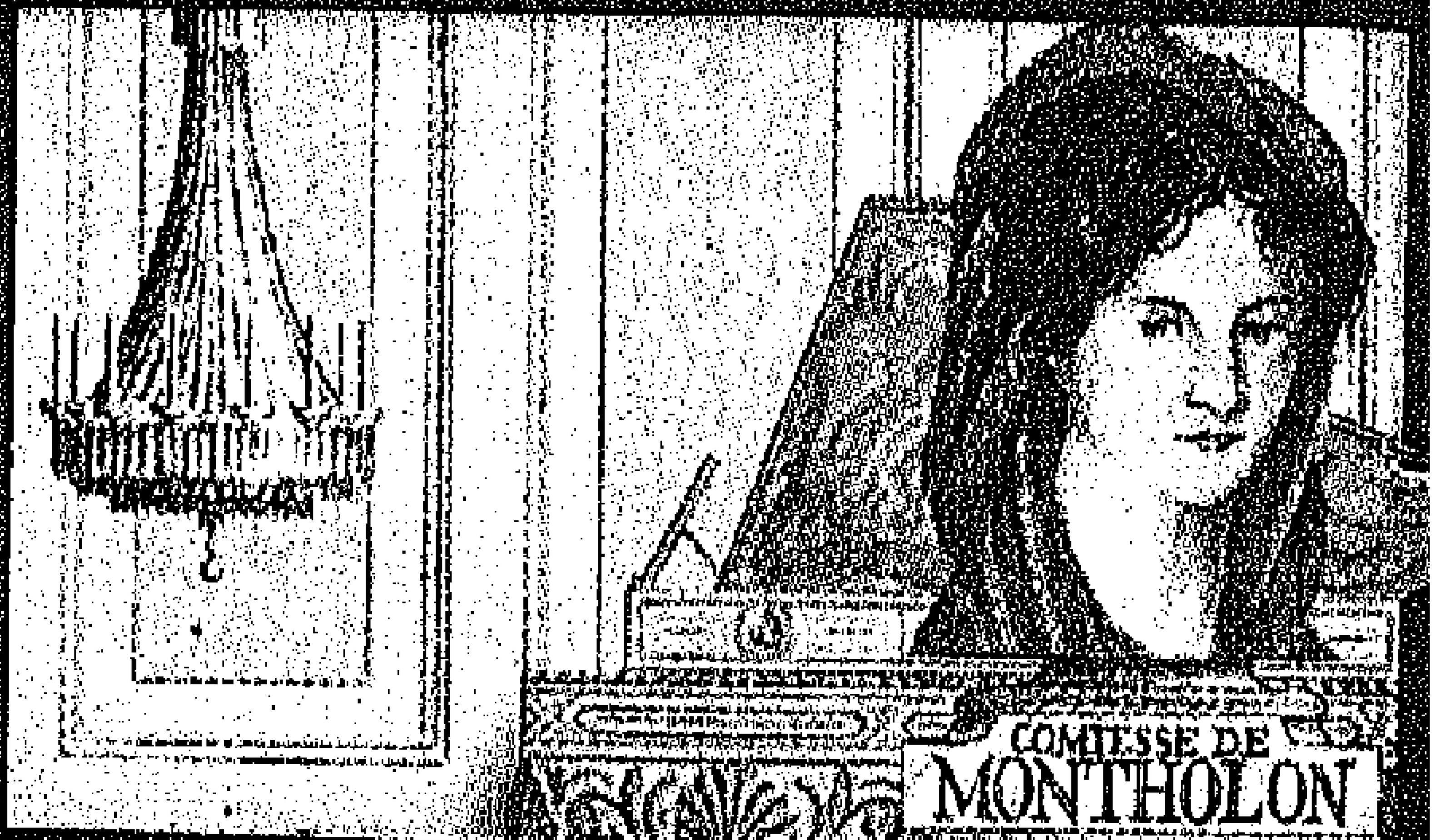
- آنتومارشي طبيبه الخاص.
- دو مونتولون القيّم على مطبخ نابوليون.
- مارشان رئيس الخدم الامين.
- الكونتيسة دو مونتولون عشيقة نابوليون كما اشيع.
- برتران الذي اهمله نابوليون.
- غورغو الذي ارتاب في عملية تسميم نابوليون.
- لاس كازس الذي ارسل براميل الخمر الى نابوليون.



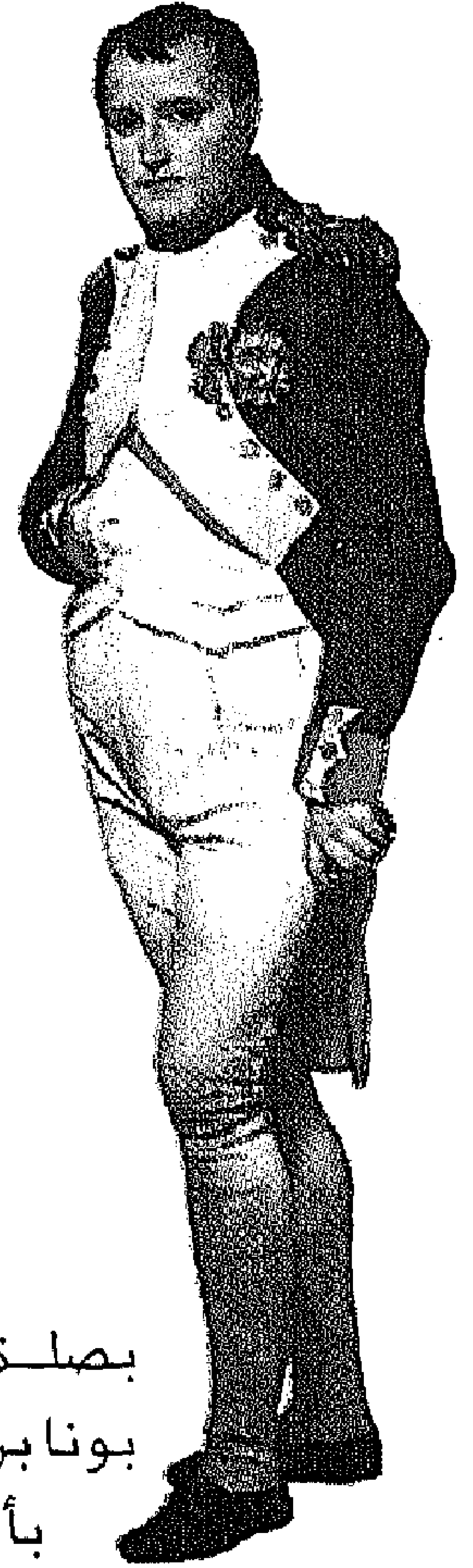








مَنْ قَتَلَ نابُولِيُونْ؟



في العام ١٩٥٥ استهلّ طبيب أسنان أسوجي، وهو في الوقت نفسه هاو لعلم السموم ومن كبار المتحمسين لكلّ ما يمتّ بصلة الى الامبراطور الفرنسي نابوليون بونابرت، تحرّيات واسعة لبرهان ظنه القائل بأن نابوليون مات مسموماً عام ١٨٢١.

وثابر الطبيب المذكور على ملاحقة المسألة طوال ٢٣ سنة، على غرار رجال التحريات الجنائية وكتّاب الروايات البوليسية الكبار. واستخدم أحدث الطرائق القضائية والمخبرية لدعم حججه. وكان عليه، بادىء الأمر، أن يبيّن أن جريمة القتل حصلت فعلا، وأنّ نابوليون لم يمت بسرطان المعدة كما شاع في كتب التاريخ وبين الناس.

وما أن أقام الحجة على ذلك حتى شرَع يبحث عن الجاني بين أفراد حاشية نابوليون الذين رافقوه الى منفاه الأخير في جزيرة القديسة هيلانة.

عند الغسق انطلق مدفع الحامية البريطانية على جزيرة القدّيسة هيلانة، واذ تنهّد الامبراطور، وقف طبيب الى جانبه وعينه على ساعته، وهو يحصي الثواني انتظاراً لتنهّدة اخرى، ومرّت خمس عشرة ثانية، ثم ثلاثون، ثم دقيقة انقطع بعدها النبض، لقد فارق نابوليون الحياة.

والقيت واجبات دفن الميت، بعد تنفيذ وصيته، على عاتق لوي مارشان، وهو شاب في الثلاثين خدّم نابوليون بونابرت طوال سنيّ بلوغه، وفي الأشهر الأخيرة من حياة سيده، أمضى معظم ساعات صحوه قرب سريره، وكان نابوليون طلب من طبيبه ما يأتي: "أودّ أن تشرح جثتي عقب وفاتي." وحدّد موعد التشريح بعد ظهر اليوم التالي، وطفق لوي مارشان يحضر له طوال الصباح.

وتقرر أن يتم التشريح في غرفة البليار، حيث كان الامبراطور ينشر خرائطه المحببة ويعيد "خوض" معاركه فوقها، واختيرت تلك الغرفة لأنها بين غرف "لونغوود هاوس" الثلاث والعشرين، حيث حلّ نابوليون، أكبرها وأكثرها انارة، وحملت الجثة عارية ومدّدت فوق ملاءة بيضاء وضعت على الطاولة.

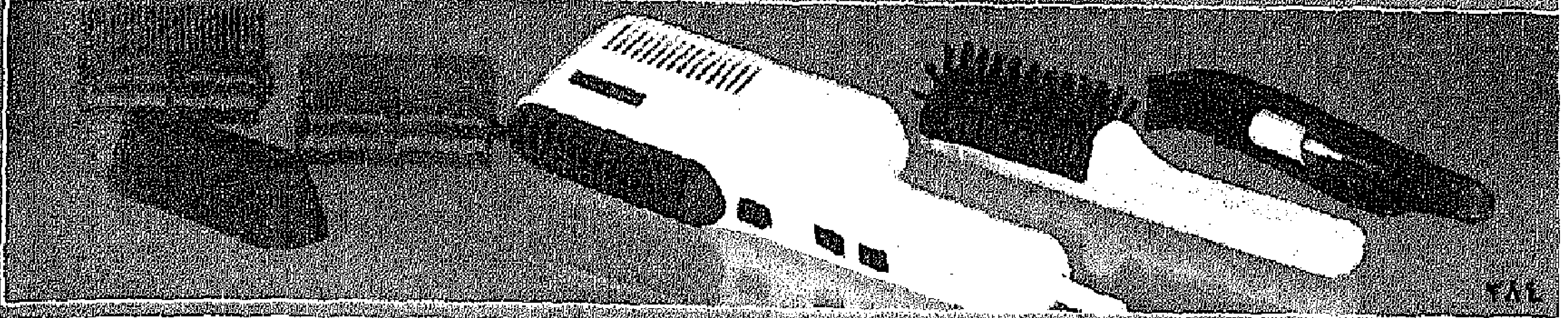
وقبيل الثانية عصراً أخذ المشتركون والمراقبون يفدون الى الغرفة بهدوء، والحق أن التشريح كان حدثاً سياسياً خطيراً، اذ كيف يعقل أن يموت رجل في الحادية والخمسين، كانت صحته الجسدية وطاقته مضرب مثل؟

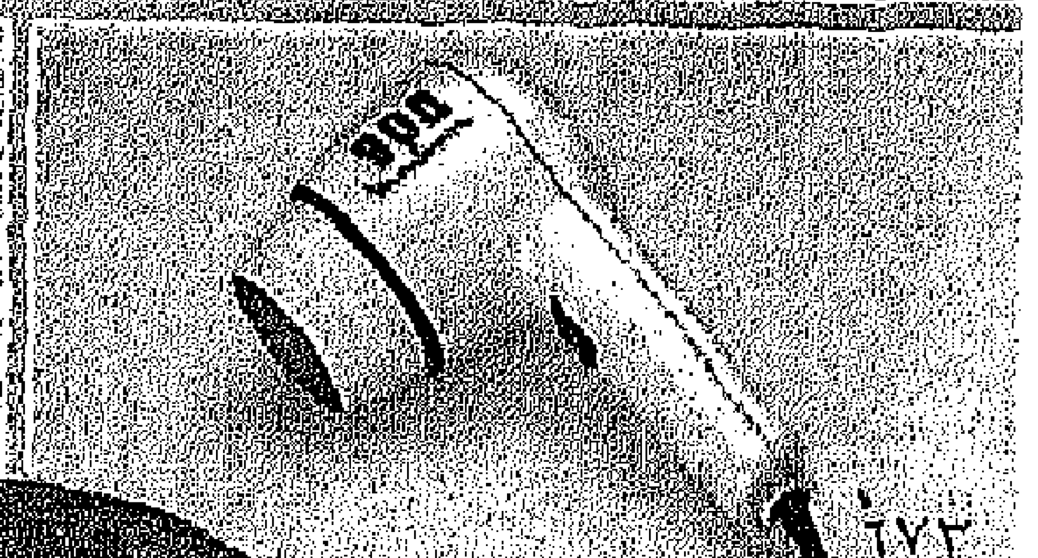
ان نابوليون ما فتىء يضعف باطراد خلال السنوات التي أمضاها منفياً، وغدت مشاكله الصحية مثار جدَل بين أفراد حاشيته الفرنسيين والمسؤولين الانكليز، ووضع الفرنسيون اللوم على مناخ الجزيرة، واتهموا الحكومة الانكليزية بأنها أرسلت نابوليون الى هناك لاهلاكه، وكان السير هدسون لو، حاكم الجزيرة الانكليزي، يخشى كل ما من شأنه القاء تبعة تدهور صحة نابوليون عليه أو على حكومته، وهذا حداه مرة على محاكمة طبيب عسكري انكليزي أعلن أن الامبراطور مصاب بالتهاب في الكبد، فهذا المرض من شأنه أن يردّ الى مناخ الجزيرة.

وكان سبعة من الأطباء الثمانية الذين أجروا التشريح بريطانيين، وكلهم يعون الأهمية السياسية لما يفعلون، أما ثامنهم، فرنشيسكو أنتومارشي، فهو كورسيكي في الحادية والثلاثين كان طبيب نابوليون الخاص طوال الأشهر التسعة عشر الأخيرة، وعُهد اليه في اجراء التشريح، على أن يتولى الأطباء الانكليز المراقبة.

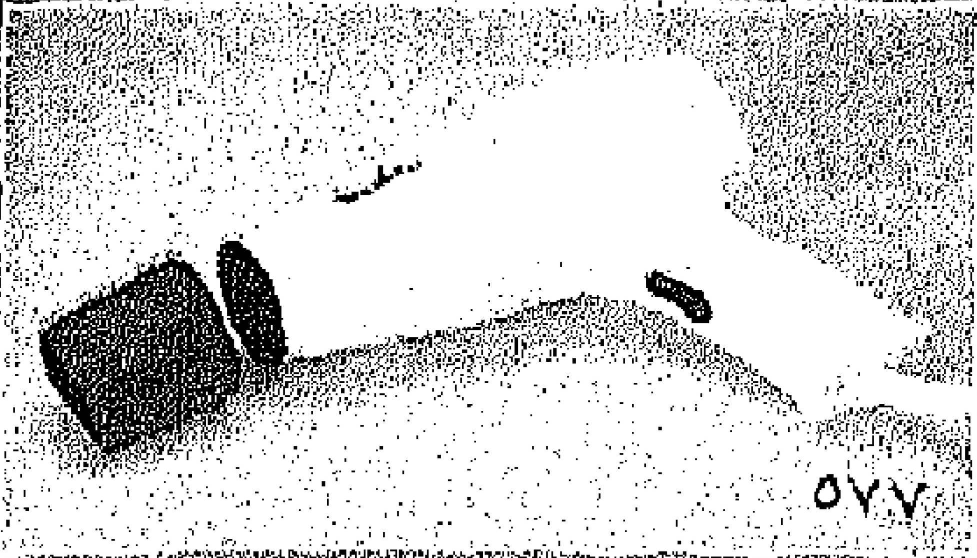
غير أن الأطباء، في النتيجة، لم يتفقوا على سبب الوفاة، بل رفعوا أربعة تقارير مختلفة، والواقع أنهم أجمعوا على وجود قرحة في المعدة وصفها أنتومارشي بأنها "سرطانية"، فيما وجد الأطباء الانكليز فيها أجزاء صلبة قابلة للتسرطن، وهذا أدى الى الاقتناع بأن نابوليون توفي من جراء سرطان في معدته، على رغم أن أحداً من

مولينكس تعتني بشعركِ











من مصفّف الشعر رقم ١٤ الى "الميني" رفيقكِ الى كل مكان ، مولينكس تعطي شعركِ حقه من العناية .
مصفف الشعر ١٤ مع ملحقاته يمكّنك من تحقيق تسريحات عديدة ، إنه يصفف شعركِ ، يموّجه ، يلفّه او يملّسه .
بالاضافة الى ذلك فهو ينفرد ببخاخ للماء لترطيب شعركِ واعادة تسريحه بسهولة واتقان ،
سشوار واحد "اس" ومجموعة سشوارات "ممبو" منها سرعتين للتحكّم بقوّة الهواء وحرارته ،
أما الميني - الرفيق الدائم فينتقل معكِ الى أي مكان بدون ازعاج .
مولينكس تجعل العناية بالشعر سهلة وبأسعار بمتناول الجميع .

سَلِمَت يداكِ يا

مولينكس®

Moulinex®

الأطباء لم يذكر هذا الأمر صراحة. لكن هذا الحكم يعفي هدسون لو والانكليز من أي مسؤولية.

أما التقرير الذي وقعه الأطباء الانكليز فجاء فيه أن "الكبد أكبر من الحجم الطبيعي،" الأمر الذي لم يشأ لو أن يسمعه لما له من علاقة بالأحوال المناخية والصحية الخاصة بالجزيرة. ولهذا طلب من الأطباء حذف الكبد من تقريرهم. واذعن هؤلاء على مضض، لكن أحدهم باح بحقيقة ما حصل عقب مغادرته الجزيرة.

وبعد ثلاثة أيام، أي في ٩ مايو (أيار) ١٨٢١، دفن نابوليون في بطن واد في جزيرة القديسة هيلانة. وانتظر أفراد حاشيته ثمانية عشر يوماً انطلقوا بعدها في طريقهم الى انكلترا. وفي ٢٥ يوليو (تموز)، وهو اليوم التاسع والخمسون في البحر، اجتمع لوي مارشان، أحد منفذي وصية نابوليون، بالمنفذين الآخرين: الكونت هنري - غراتيان بيرتران الذي كان يوماً كبير ضباط البلاط، والكونت شارل - تريستان دو مونتولون، بهدف قراءة الوصية. وهذان الأخيران هما الضابطان الوحيدان اللذان لازما نابوليون طوال سني منفاه. وشهدت تلك السنوات الشاقة تنافساً قوياً في ما بينهما على كسب ود الامبراطور. وفي الأشهر الأخيرة حقق مونتولون بغيته. وهكذا انتصر هذا الاريستوقراطي الوسيم على بيرتران، ذي الطبع الرزين الهادىء الذي أمضى سنوات أطول كثيراً في خدمة نابوليون.

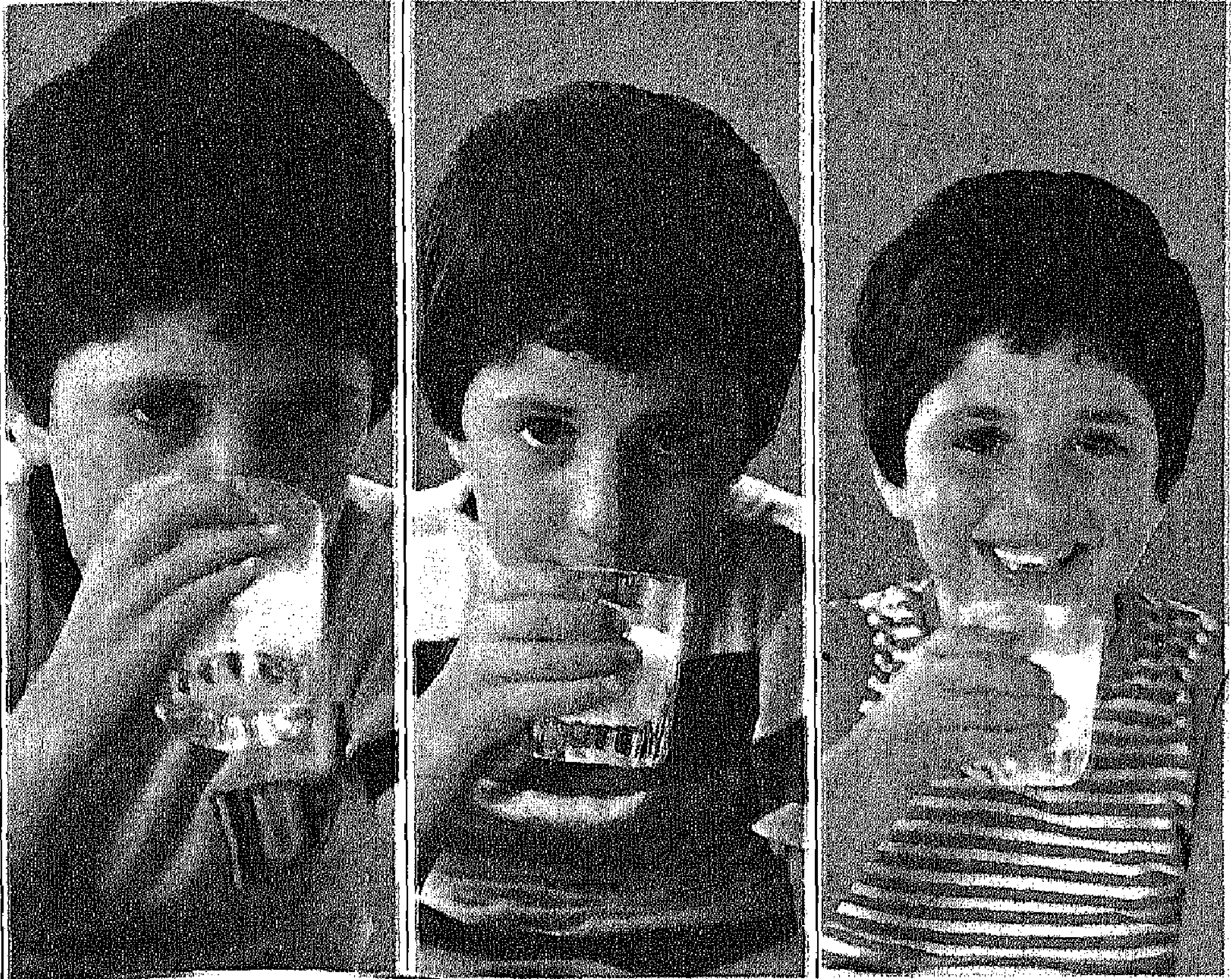
وفضلا عن الجانب الشخصي للوصية، القائل بتوزيع جميع مقتنيات نابوليون كتذكارات، كان هناك جانب موجه الى الشعب. فقد كتب نابوليون الآتي: "اني أموت قبل أواني وقد اغتالتني حكومة القلة الانكليزية وعميلها المأجور."

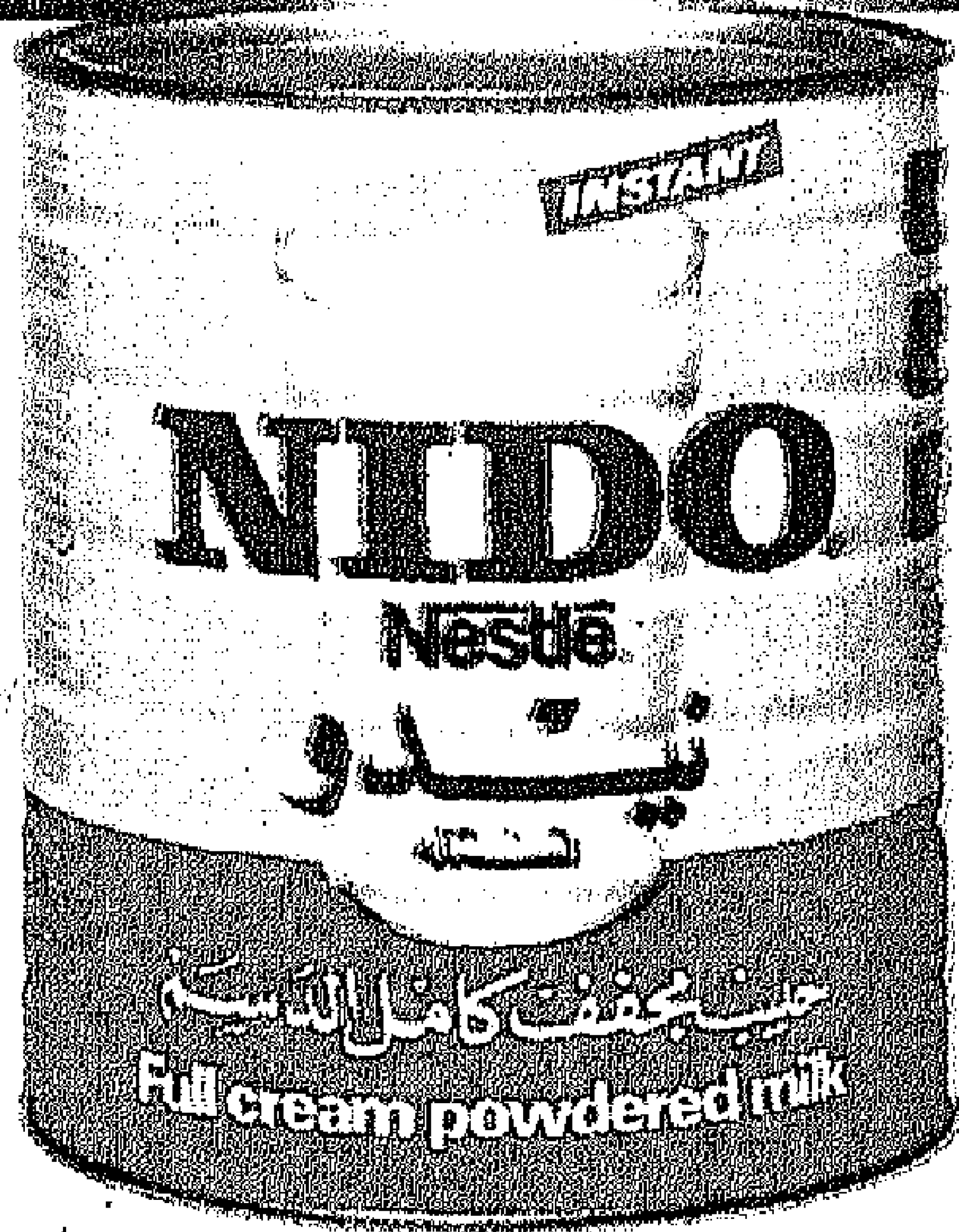
ولدى وصولهم الى فرنسا، وجد المنفيون العائدون أمة صامتة. والحق أن عواطف الشعب كانت كبيرة حيال نابوليون. لكنها بقيت كالجمر تحت الرماد، لا يجرؤ أحد على التعبير عنها في ظل سلالة البوربون العائدة بشخص مليكها لويس الثامن عشر. وكان نابوليون، قبل ست سنوات، عاد من منفاه الأول في جزيرة البا وخلع آل البوربون من غير مشقة. ومن السهل جداً أن يتكرر الأمر ما بقي نابوليون حياً. وما فتىء آل البوربون، طوال سنوات نفيه الى جزيرة القديسة هيلانة، يعزون الى نابوليون وصحبه مؤامرات لا وجود لمعظمها الا في مخيلاتهم.

واستقر لوي مارشان في بلدة اوسير الفرنسية. وبصفته كبير خدام نابوليون، كان عليه تنفيذ وصية سيده حتى النهاية. وكان في حوزته صندوق يحوي الشعر الذي قص من رأس الامبراطور بعد وفاته. وقسم مارشان ذلك الشعر خصلا، ووزعها على أفراد عائلة نابوليون الكبيرة بعد ربط كل منها بشريط ذهبي. وضماناً لعدم خلط الشعر بسواه، حرص مارشان على أن يتم العمل كله في بيته.

واحتفظ بخصلة من الشعر لنفسه،

أمّنوا لأولادكم نمواً صحيحاً





نيدو السريع الذوبان هو حليبٌ كامل الدسم يحتوي على كافة العناصر الغذائية التي توفر لأولادكم نمواً متكاملاً . فالبروتين والكالسيوم وفيتامينات "أ" و"د" وغيرها من العناصر الضرورية المتوفرة في نيدو السريع الذوبان تجعل عظامهم صلبة وأسنانهم متينة وأبدانهم صحيحة قوية .

نيدو السريع الذوبان هو حليب بقري صافٍ ونقي من الجراثيم ، يخضع قبل تجفيفه وتعبئته الى عدة تحليلات مخبرية دقيقة ليصبح خالياً من كل شائبة .

نيدو السريع الذوبان طعمه لذيذ ، يحضر بسرعة ، ويحبه أولادكم بارداً أو ساخناً في الصباح وفي المساء وفي أي وقتٍ من النهار .

نيدو السريع الذوبان

ليتمو اولادكم وينعموا بالعافية .

تضمنه نستله Nestlé.

انتقلت الى ابنته ومعها مذكرات مارشان المخطوطة.

شاهد جديد

غوتبورغ مدينة أسوجية ساحلية ذات نصف مليون نسمة، تشرف على مضيق كاتيغات في الدانمرك وعلى البرّ الاوروبي. في احدى ضواحي تلك المدينة يسكن رجل طويل، ناحل، أشقر، اسمه ستين فورشوفود. وفي خريف ١٩٥٥ كان في مطلع الخمسينات من عمره، وقد وزّع نشاطه بين طبابة الأسنان، وهي المهنة التي كسب عيشه منها، والبحوث البيولوجية. كما كان لديه اهتمام كبير بعلم السموم.

ولم يخفَ على زوار فورشوفود أن اهتماماته كانت تتجاوز اختصاصه العلمي. وكانت غرفة الجلوس في منزله ملأى بالأشياء التي تذكر بالامبراطور الفرنسي. ففوق الموقد لوحة تمثل نابوليون بالرّداء الملكي. وأمام مرآة أثرية ضخمة مطلية بالذهب، وُضع تمثال نصفي يمثل نابوليون الشاب الطويل الشعر في منصبه كحاكم أوّل. وفوق الطاولة حيث الساعة تمثال آخر يبدو فيه نابوليون على صهوة جواده. وفي خزانة التحف مجموعة خزفية تحمل طابع النحلة، وهي شارة نابوليون الشخصية. أما الرسوم المعلقة على الجدران فكانت كلها ذات علاقة بمراحل حياة نابوليون.

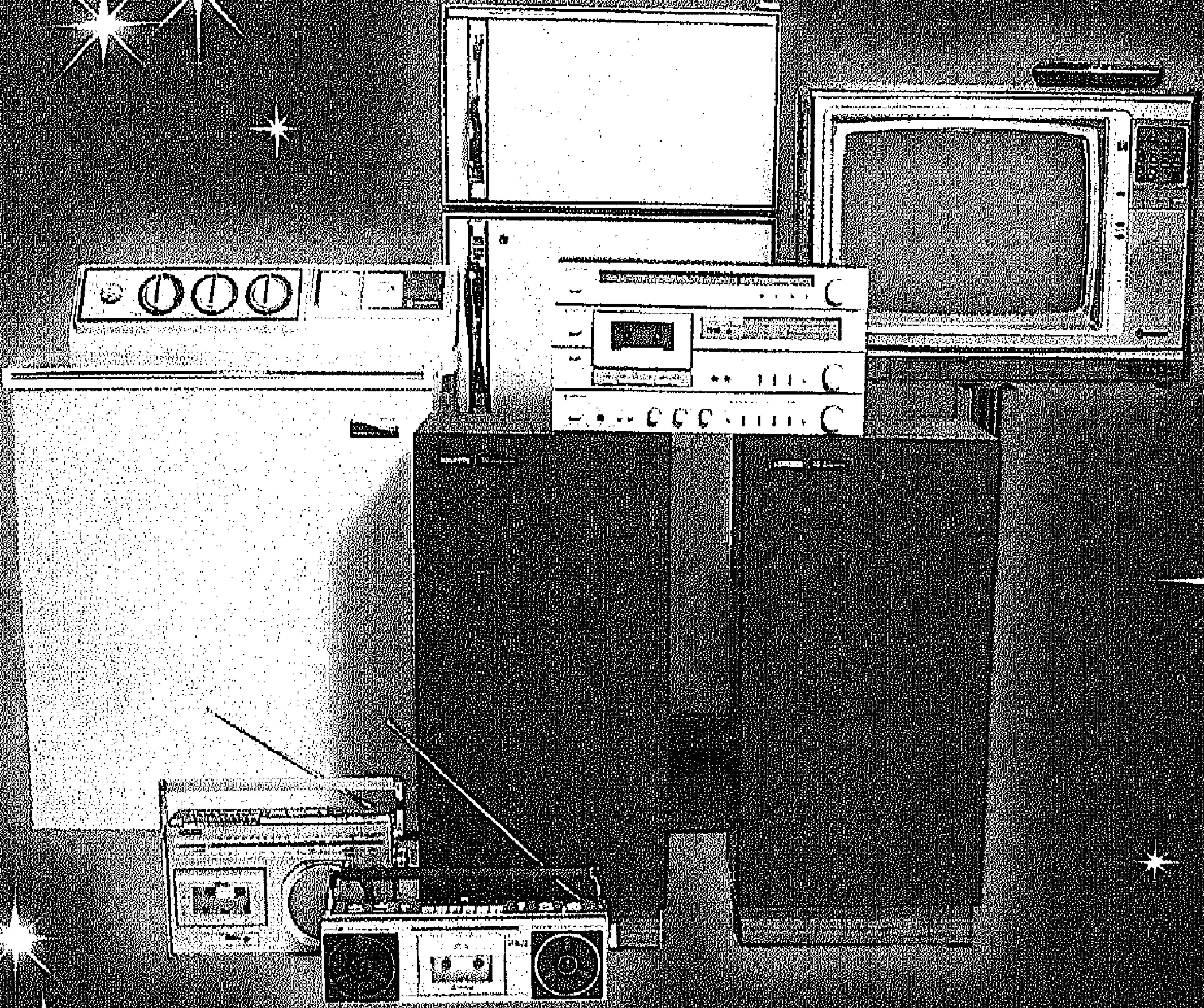
تلك الأمسية كان فورشوفود يطالع مذكرات لوي مارشان، وهو آخر كتاب ينشر لشاهد عيان وصف حياة نابوليون على جزيرة القديسة هيلانة. والواقع أن مارشان كتب مذكراته لابنته "لكي أُريك ما كان الامبراطور بالنسبة اليّ". وبقيت هذه المذكرات من غير نشر حتى أفرج عنها حفيد مارشان، وهو ولد ابنته الوحيد، في وقت لاحق من هذا القرن. وكان فورشوفود يطالع الجزء الثاني من المذكرات وقد لفظته المطبعة حديثاً.

وفي رأي الطبيب الأسوجي أن سقوط نابوليون ووفاته المبكرة كانا من أكبر مآسي التاريخ طرّاً. وهذا حداه على استطلاع آراء الخبراء وأحكامهم حول موت نابوليون. وما فتىء الأطباء والمؤرخون يقدّمون نظرية تلو اخرى، معيدين صياغة تخمينات قديمة بُنيت كلها على التشريح الذي تمّ عقب الوفاة. ووجد فورشوفود تلك النظريات كلها غير مقنعة، ولم يصدّق أن نابوليون توفي من جراء السرطان. وراح يقرأ مذكرات مارشان، علّه يعثر فيها على بصيص نور.

ذلك المساء طالع فورشوفود يوميات نابوليون بين شهري يناير (كانون الثاني) ومايو (أيار) من العام ١٨٢١، أي في الأشهر الأخيرة من حياته. وقد وَصف مارشان، على نحو بسيط ومقنع، ما كان نابوليون يفعله ويشعر به يومياً، بما في ذلك وصف المريض نفسه لأعراضه وردود فعله على العقاقير التي كان يتناولها وعلى الطعام الذي كان يقدم اليه عند كل وقعة.

وما لبث فورشوفود أن وقع على

تعرفوا على أصحاب الفخامة
أفراد عائلة سامسونج



سامسونج تقدم لكم الآن مجموعة فخمة من الأدوات الإلكترونية وأدوات المنزل ذات المستوى التكنولوجي الرفيع والجودة المضمونة .
أدوات سامسونج تتمتع بخدمة ممتازة في العالم وفي معظم البلاد العربية .
أضيفوا شيئاً من الفخامة إلى حياتكم واسرعوا لمشاهدة أدواتنا في صالات عرض سامسونج .

أفراد عائلة سامسونج جيل المستقبل

سامسونج
SAMSUNG

خيط يربط تلك الأحداث بعضها ببعض. ذلك أن نابوليون، في تلك الفترة الأخيرة، كان يترجح بين النعاس والأرق. وتذمر من انتفاخ قدميه وقال: "ان رجليّ لا تحملانني." وفي وصفه الأيام الأخيرة، تكلم مارشان عن أثر بعض العقاقير في نابوليون.

وفيما هو يتأمل تلك الحقائق، تذكر فورشوفود ما يعرفه حول السم. أيعقل أن يكون نابوليون قضى مسموماً؟

اذا صحّ هذا، فالشواهد تشير الى أن التسمم لم يتم مرة واحدة، بل على مراحل. فحصوله دفعة واحدة لا بد من أن يكون كشف خلال تشريح الجثة أو في شهادات الأشخاص الذين عاينوا الوفاة. ألا يمكن، اذاً أن يكون نابوليون أُهلك على دفعات، وخلال أشهر بل سنوات؟ ان الموت البطيء آنذاك كان يتم عبر مادة سمية هي الزرنيخ.

ما أن طرأت تلك الفكرة على ذهن فورشوفود حتى تبين له أن النعاس والأرق وتورم القدمين والانحطاط الجسدي العام وتضخم الكبد ما هي الا عوارض للتسمم المزمن والبطيء بالزرنيخ.

وقد شاع هذا السم في فرنسا في القرون القليلة التي سبقت مجيء نابوليون الى الحكم. وكان يدعى "مسحوق الارث" لأنه يُستخدم في حل النزاعات الناشئة عن توزيع الحصص على الوُراث. ومن السهل مزجه بأي طعام أو شراب لرقته وانعدام رائحته. كما يمكن استعماله بكميات ضئيلة لقتل الضحية ببطء، عبر أشهر أو سنوات.

والحسنة التي تنطوي عليها طريقة التسميم البطيء أنه لم يكن ممكناً اكتشافها أيام نابوليون. لأن أعراضها شبيهة بأعراض مرَضية اخرى. ويقول فورشوفود ان اعطاء الشخص عقاقير اخرى، خصوصاً الملح المقيىء والزئبق المسهل، من شأنه محو أثر الزرنيخ من معدته لدى اجراء التشريح. وبما أن هذين العقارين كانا شائعين آنذاك، يضيف فورشوفود، فلم يكن مستبعداً أن يكون الطبيب نفسه أنهى حياة الضحية من غير أن يدري. وهي جريمة مثالية من وجهة نظر المخطّطين. والواقع أن نابوليون أعطي ملح الطرطر المقيىء وزئبق الكالوميل في أيامه الأخيرة.

ان نظرية التسميم البطيء بالزرنيخ من شأنها الاجابة عن أصعب المسائل المتعلقة بوفاة نابوليون. واذا كان نابوليون مصاباً حقاً بالسرطان، فهذا يحتم الهزال الجسدي مع تقدم مراحل المرض. الا أن الامبراطور اكتسب المزيد من السُمنة في أيامه الأخيرة. والبدانة ظاهرة شائعة بين ضحايا التسمّم البطيء بالزرنيخ.

هذه النتيجة التي توصل اليها فورشوفود لم يبحثها الا مع زوجته. وما لبث ان طرحها جانباً لأنها خارجة عن اهتماماته المباشرة. وقد زيّن لنفسه أن الجواب عينه يجب ان يكون بديهياً بالنسبة الى علماء الأمراض والسموم.

تقع جزيرة القديسة هيلانة في المحيط الاطلسي، وقد اكتشفها البرتغاليون عام ١٥٠٢ وامتلكتها شركة شرق الهند البريطاني في القرن التاسع عشر. وهي تبعد ٢٨٠٠ كيلومتر عن كيب تاون في جنوب افريقيا و٢٩٠٠ كيلومتر عن امريكا الجنوبية و٦٤٠٠ كيلومتر عن انكلترا. وأقرب أرض اليها هي جزيرة اسانسيون التي تبعد عنها ١١٢٥ كيلومتراً. وهذه الجزيرة "المجاورة" يملكها الانكليز أيضاً، وهي بقعة بركانية وسط المحيط. وقد اختار الانكليز جزيرة القديسة هيلانة منفى للامبراطور الفرنسي المخلوع لموقعها النائي.

هذه الجزيرة الصغيرة التي يبلغ طولها ١٧ كيلومتراً وعرضها عشرة كيلومترات ونصف كيلومتر، كان يسكنها ٤٠٠٠ نسمة، بما في ذلك الحامية الانكليزية التي كان عدد أفرادها ألفاً ثم ازداد ثلاثة أضعاف على أثر مجيء نابوليون. ولقد وصل الامبراطور في ١٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٨١٥ ومكث أولا في ضيافة وليم بالكومب، وهو متعهد تموين لسفن شركة شرق الهند. وكان آل بالكومب، وهم ستة أشخاص، يعيشون في دارة فخمة شيدوها فوق احدى تلال الجزيرة. وبعد سنوات نشرت بتسي بالكومب في لندن مذكراتها حول الفترة التي أمضتها مع نابوليون، ضيف العائلة، وهي في الخامسة عشرة من عمرها:

"اذ اتذكره اليوم، أستعيد شعوراً اختلط فيه الخوف بالاعجاب. فلقد نشأتُ على الخوف الشديد لدى ذكر اسمه. ان منظره على صهوة الجواد كان غاية في الجلال. حتى الحيوان الذي اعتلاه كان نبيل المحتد بسواده الحالك. واذ كان يطأ الأرض باعتزاز، خُيّل اليّ أنه يليق بذلك الشخص الذي قُيض له أن يكون يوماً حاكم العالم الاوروبي كله.

"اني لم أشاهد قطّ أحداً بتلك البنية الجسدية العظيمة. ان الرسوم التي أُنجزت له تعطي فكرة عامة عن ملامحه، لكن بسمته وتعابير وجهه لا يمكن أن يحويها مثال. وفي تلك الامور عينها كان يكمن سحر نابوليون."

تلك الفتاة التي عرفها نابوليون كانت شقراء الشعر، وردية الخدين، ذات جسد ينتقل الى طور البلوغ. وكانت، في العادة، تضع فوق شعرها الأشعث وقاء من الشمس، وترتدي صِداراً ذا قبة مزركشة معقودة برباط وتنورة قصيرة فوق سِروال يتدلى الى قدميها، ولم يحبّ نابوليون ذلك الزيّ على الاطلاق، بل أخبر بتسي ان في ودِّه منعه لو كان حاكماً للجزيرة.

وسرعان ما نشأت صداقة بين تلك الفتاة المراهقة والامبراطور الذي لم ينقضِ سوى أربعة أشهر على اندحاره في واترلو. ووجد الاثنان، على فارق السن والعرق، حساً مشتركاً من المرح. وتقول بتسي في مذكراتها:

"بُعَيْد قدومه، جاءت فتاة صغيرة تزورنا. وكانت المسكينة سمعت أخباراً مخيفة عن بونابرت. وما أن أعلمتُها بوجوده عندنا حتى

لاذت بي وهي في قمة الهلع. ويبدو اني نسيت مخاوفي الاولى، فهرعت خارجاً لأخبر نابوليون أن هناك طفلة تخاف منه، وأرجوه أن يدخل. وسار نحوها وهو يملّس شعره بيده ويهزّ رأسه ويبدّل تعابير وجهه على نحو غريب. وأتبع ذلك بصوت يشبه عواء حيوان بري. وأخذت الصغيرة تشهق وتبكي بلا انقطاع، فأخذتها امي خارج الغرفة خوفاً عليها من الجنون. أما نابوليون فضحك كثيراً لفكرة كونه مصدراً للرعب، ولم يصدّق ما أخبرته اياه عن فزعي السابق منه."

والواقع أن ضباط نابوليون وافراد بطانته اشمأزوا من تلك الفتاة الانكليزية المرحة، بل حسدوها. وهم كانوا معذورين في ذلك. فعلاقتهم الشخصية بالامبراطور كانت تحدّدها لياقات رسمية صارمة. ولا يمكن ضابطاً الدخول عليه الا بعد استدعائه من قِبَل خادم. ومتى دخل لا يجوز له الجلوس أو الكلام الا باذن من سيده. ولا شك في ان أفراد الحاشية كلهم كانوا يخاطبون نابوليون بلقب "صاحب الجلالة." لكن أياً من هذه القواعد لم ينطبق على بتسي التي كانت تدعو صديقها "بوني."

وذات مرة احتجزها أبوها في غرفة صغيرة "لخدعة حقيرة.":

"في تلك الأثناء كان الامبراطور يجد سلواه الكبيرة في محادثتي من وراء قضبان نافذتي. وكان، معظم الأحيان، يحملني على الضحك بتقليد التعبير الكئيب على وجهي. ومرّة قال: "ألا ترين أننا، نحن الاثنين، سجينان؟ فلماذا أنتِ تبكين وأنا لا أبكي؟"

ـ أنت؟ لقد بكيتَ حقاً.

"أجل، لقد بكيت. غير أن السجن بقي سجناً. لذلك من الأفضل ان نعمل وننسى ونضحك."

ومكث نابوليون في دارة آل بالكومب نحو شهرين. ثمّ أُحيط علماً بأن دارة "لونغوود" التي تبعد ثمانية كيلومترات الى الداخل أصبحت جاهزة. وكان في تلك اللحظة يلعب وأطفال العائلة. وهكذا انتهت أسعد فترة أمضاها في جزيرة القديسة هيلانة.

وكان آل بالكومب يزورونه في مسكنه الجديد مرة في الاسبوع، فترى بتسي رفيقها القديم، كما سمته، الذي "كان المرح يلتمع في عينيه من وقت الى آخر،" وان "بات كئيباً معظم الوقت."

خَيْط واحد

انقضت أربع سنوات على الأمسية التي كوّن فورشوفود قناعته ـ بعد قراءة مذكرات لوي مارشان ـ بأنّ نابوليون مات مسموماً. ولم ينفكّ، خلال تلك السنوات، يطالع كلّ ما ينشر حول نابوليون من مقالات علمية وسير عمومية، عل وحياً يهبط عليه. وأخيراً جاء الفرج. فقد ظهر مقالان في مجلة أسوجية حول موت نابوليون، أقنعا فورشوفود بأن حقيقة الامر، اذا كانت ستظهر يوماً، فعلى يديه. ولم يشر أي من الكاتبين الى امكان موت نابوليون بالسم، كما لم يذكر كتاب مارشان الصادر حديثاً.

وأخذ فورشوفود يمضي معظم أوقاته الشخصية في مكتبه في الطبقة الثالثة، يعمل على ما سماه "قضية نابوليون." وتراكمت لديه الشواهد. ووضع جنباً الى جنب التقرير الصادر عن لجنة تشريح الجثة وسجل فرنشيسكو آنتومارشي، طبيب نابوليون الخاص، ووصف مارشان اليومي لحال المريض. وعبر مقارنة هذه الشواهد بعدها ببعض، تبين له أن اثنين وعشرين عرضا على الاقل ظهرت لدى نابوليون في أيامه الاخيرة، من أصل ٣٢ عرضاً يحدثها التسمم بالزرنيخ.

الا أن فورشوفود كان يفتقر الى الشواهد المادية الملموسة. والبرهان الوحيد لا يأتي الا عن طريق فحص الرفات. غير أن جثة نابوليون نقلت الى باريس بعد ١٩ سنة من وفاته، وهي الآن في ضريح الـ"انفاليد" تحت ٣٥ طناً من حجار الرخام البراقة. وضحك فورشوفود طويلا اذ عبرت ذهنه فكرة الطلب الى السلطات الفرنسية أن تسمح لدارس أجنبي مغمور بفحص رفات بطل الامة ليرى ما اذا مات بالسم.

لكن ثمة أمراً آخر ممكناً، هو فحص شعر نابوليون. تلك الايام كان المشاهير يهدون خصلا من شعورهم تذكاراً الى من يحبون. والمعروف عن نابوليون أنه قدم خصلا كثيرة من شعره. والشعر يظهر ما يحتوي عليه الجسم من زرنيخ.

وهناك طريقة لتحليل الشعر اعتمدت طوال عقود من السنين. لكنها تقتضي كمية كبيرة نسبياً من الشعر، وهي خمسة غرامات، أي ما يعادل خمسة آلاف شعرة قصيرة. ولكن انى لطبيب الاسنان الاسوجي أن يحصل على هذه الكمية؟ أليس هذا مستحيلا كرفع ٣٥ طناً من المرمر عن ضريح الامبراطور؟

الا أن ضربة الحظ أصابت فورشوفود في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٩، عندما وجد في مكتبة غوتبورغ نسخة من مجلة "الكيمياء التحليلية" تحوي وصفاً لطريقة حديثة لكشف نسبة الزرنيخ في الشعر بناء على تحليل شعرة واحدة. ومبتكر الطريقة هو الدكتور هاملتون سميث، أحد العلماء في دائرة الطب الشرعي في جامعة غلاسكو الاسكوتلندية.

وعلى الفور كتب فورشوفود رسالة الى الأمير نابوليون، الوارث الحالي في سلالة الامبراطور. وأجابه هذا داعياً اياه الى طرح الأسئلة التي يريد. وفي شهر مايو (أيار) ١٩٦٠ سافر فورشوفود الى باريس، ترافقه زوجته أولابريتا.

وما أن وطىء أرض العاصمة الفرنسية حتى خابر الأمير. لكنه لم يبلغه الا عبر وسطاء. وبعد بضعة أيام اتضح أن سليل نابوليون لا يريد رؤيته.. عندئذ اتصل فورشوفود بالكومندان هنري لاشوك، وهو خبير بارز في الشؤون المتعلقة بالامبراطور وعضو سابق في مجلس ادارة المتحف العسكري في الـ"انفاليد" وأحد منقحي مذكرات مارشان. وسأله فورشوفود اذا كان يرغب في استقباله هو وزوجته للكلام حول نابوليون.

وفي منزل الكومندان في منطقة مونمارتر الباريسية، عرض فورشوفود نظريته ووصف طريقة هاملتون سميث في تحري الزرنيخ وختم بالآتي: "هذا ما جاء بي اليكم. اني ابحث عن شعرة من رأس الامبراطور."

وأجابه لاشوك: "لديّ بعض خصل من شعره."

وكان متحف لاشوك الخاص مليئاً بمخلفات الامبراطور، بما فيها علبة الخشب الصغيرة التي حفظ فيها مارشان مذكراته. وكان داخل العلبة مغلف أبيض كتب عليه كبير الخدم بخطه: "شَعْر الامبراطور،" وهو يحوي خصلة ناعمة ذات لون بني ضارب الى الحمرة، قُصّت من رأس نابوليون في اليوم الذي أعقب وفاته.

وقدّم لاشوك المغلف الى اولابريتا التي تناولت ملقطاً صغيراً انتزعت به شعرة واحدة وضعتها داخل غلاف من النايلون مدّه زوجها اليها. وقال لاشوك: "تفضّلي يا سيدتي، اسحبي المزيد من الشعر." لكنها أحجمت عن ذلك بحياء، ولم يصر زوجها عليها كي تفعل. وهو أمر ندم عليه لاحقاً.

خلافات المنفى

لم تكن دارة لونغوود بالمكان المريح. فالمطر كثير فوق ذلك السهل الأعزل والمنزل دائم الرطوبة. وكانت الملابس تلتقط الرطوبة وينتشر العفن على الجدران. والأسوأ من هذا أن المنزل كان يعج بالجرذان.

وكيفما نظر نابوليون حوله كان يرى الأسر يحيط به من كل جانب. وعلى مرأى منه كان يقوم مخيّم يؤوي ٥٠٠ جنديّ. كما صفّ الحراس بستراتهم الحمر الطويلة على امتداد الجدار الحجري الذي يحدّ لونغوود. وكان الحراس على قمم التلال ينقلون أخبار الأسير بعضهم الى بعض عبر الاشارات بالأعلام. وكان في امكان نابوليون أن يبصر السفن الحربية الانكليزية الخمس المرابطة عند مداخل الجزيرة.

وكان هدف نابوليون المباشر أن يُبقي اسمه حياً في العالم الذي سيطر عليه يوماً. ومن أجل ذلك كان على أفراد حاشيته اختراق جدار الرقابة التي فُرضت على جميع المراسلات الى لونغوود ومنها. ولم يكن نابوليون يغادر المنزل الا نادراً. الا ان الآخرين أكثروا الذهاب عبر الكيلومترات الثمانية الى مرفأ جيمستاون الصغير، حيث كانوا يتسقطون الأخبار ويختلطون بالبحارة. وكان فرنشيسكي تشيبيرياني، ذلك الكورسيكي الشجاع القاتم البشرة الذي لاذ بعائلة بونابرت منذ حداثته، أبرعهم في تحري الأخبار، بينما كان الخادم لوي اتيان سان دوني مسؤولا عن نسخ الرسائل المهرّبة الى الخارج.

وفي منتصف الصباح، بعد انتهاء نابوليون من ركوب الخيل، كان طبيبه باري اوميرا يستدعى أحياناً. غير أن الامبراطور لم يحس حاجة ملحة الى مهارة اوميرا في تلك الأيام الاولى من منفاه، اذ ان صحته كانت حسنة. لكنه كان يعوّل على اوميرا كمصدر للاشاعات المحلية.

وكانت الجماعة تتناول الغداء قرابة الحادية عشرة، في غرفة نابوليون أو في الحديقة اذا سمح الطقس بذلك. وكان الطعام يُعَدّ في مطبخ لونغوود على أيدي طباخين اصطحبهم نابوليون معه. واقتصرت مسؤوليتهم على اعداد الطعام الذي كان يقدمه لوي مارشان بنفسه مع مساعدَين أمينَين.

وحاول نابوليون تناول الغداء بصحبة ضباطه، لكن مناوشاتهم المستمرة كانت تزعج أعصابه. ومرة قال لهم: "انكم حفنة أشخاص في طرف العالم. أفلا يمكنكم، على الأقل، ان تحبوا بعضكم بعضاً؟" لكن نصيحته بقيت بلا صدى في نفوسهم. والواقع ان مشكلة اولئك الضباط كانت انعدام المسؤولية. فالعمل قليل جداً، وقد نال القسط الأكبر منه الكونت ايمانويل دو لاس كازس، أكبرهم سناً، الذي كان نابوليون يملي عليه رسائله. وانضمّ لاس كازس الى نابوليون في الأيام الأخيرة من حكمه، على أمل أن يصبح مؤرخه.

وكان "الغران مارشال" بيرتران مغتاظاً لأن مونتولون انتزع مكانته لدى الامبراطور. وكان ذلك الضابط الكئيب المزاج يلازم عائلته كلما أمكنه ذلك. وهو لم ينقطع عن نابوليون منذ أيام ملكه على ايطاليا، وفي باريس غدا كبير ضباط القصر. وقد خوّله منصبه تسلم شؤون المنزل. لكنه، بالحاح من زوجته فالي الطويلة الشقراء التي شاءت أن تبقى بعيدة عن نابوليون، سكن خارج لونغوود. أما نابوليون الذي جرح ذاك التصرف كبرياءه، فقد عهد الى مونتولون في تدبير الشؤون المنزلية، وهو شاب وسيم اجعد الشعر لازم الامبراطور طوال فترة نفيه.

وجاء تعيين وليم بالكومب، والد بتسي، كمتعهد تموين ليطمئن نابوليون. وهو كان على يقين من أن الانكليز يريدونه ميتاً، وأنهم لن يدّخروا جهداً للقضاء عليه. ولم يكن احتمال التسميم بعيداً عن ذهنه. وقال ان الأطباء والصيادلة حذّروه من الخمر والقهوة على نحو خاص. لكنه ضرب بذلك التحذير عرض الحائط نظراً الى الظروف المستجدة: "ليس هناك خطر من دس السم. ذلك أن بالكومب الذي يؤمّن الطعام واوميرا وبوبلتون (وهو الضابط الانكليزي المقيم في لونغوود) اناس شرفاء لا يمكن ان يقترفوا عملا كهذا."

لقاء في غلاسكو

بعد عودته من باريس الى اسوج (السويد) خابر فورشوفود هاملتون سميث في غلاسكو وطلب منه فحص شعرة رأس بطريقته، من دون اعطائه أي معلومات اخرى. ووافق سميث من غير أن يطرح أسئلة هو الآخر.

وغلف فورشوفود الشعرة بعناية وأرسلها الى اسكوتلندا في البريد المضمون. وفي يوليو (تموز) ١٩٦٠، جاءه الجواب الآتي:

"هذا النموذج يحوي ١٠،٣٨ ميكروغرام من الزرنيخ في الغرام الواحد من الشعر، مما يعني أن

صاحبه كان عرضة لكميات كبيرة من الزرنيخ."

ان كمية الزرنيخ الطبيعية في شَعر الانسان هي نحو٠٫٨ في المليون. أما شعر نابوليون عند وفاته فكان يحوي ١٣ ضعف هذه الكمية.

وغبط فورشوفود نفسه لتلك النتيجة ثم راح يتأمّل في المستقبل. ان ثمة طريقاً طويلة أمامه. وقد تبادر الى سمعه سلفاً احتجاج المشككين: "انه اختبار مفرد، قائم على تحليل مقدار ضئيل. والجائز أن يكون الشعر ملوّثاً، أو أن يكون الزرنيخ أتى لاحقاً من مصدر خارجي. كما يعقل أن يكون هذا الشعر من رأس غير رأس نابوليون."

أجل، ثمة عمل كبير ينبغي انجازه. فهناك حاجة الى المزيد من الشعر والمزيد من الاختبارات. يُضاف الى ذلك ما يمكن وما لا يمكن استنتاجه من الفحص. وأهمّ ما في الأمر الكلام الى هاملتون سميث وجهاً لوجه.

وطار فورشوفود الى غلاسكو في اغسطس (آب). وبعد جولة في مختبر سميث، جلس الاثنان أمام كوبين من الشاي التقليدي فيما راح سميث يشرح طريقته. ووُزن النموذج وخُتم في وعاء من البوليثيلين. ثم عولج بالأشعة مع محلول عادي من الزرنيخ خلال ٢٤ ساعة. وعبر مقارنة النموذجين، تبين وجود الزرنيخ في جسم صاحب الشعر. ولا شك في صحة طريقة سميث التي استُخدمت مرة بعد اخرى بنجاح. والذي يؤسَف له أن الاختبار يقضي على الشعر بحيث لا يمكن تكراره.

وكان لدى هاملتون سميث سؤال واحد يطرحه على ضيفه: "هل لكَ أن تخبرني عن اسم الضحية؟"

وأجاب فورشوفود بهدوء: "هذا الشعر هو للامبراطور نابوليون الأول."

ويتذكر فورشوفود لاحقاً أن وجه سميث ابيض لدى سماعه الجواب، بل أصبح "باهتاً كجثة." وطرأ على ذهن فورشوفود أن سميث كان يفكر في امكان عزو الجريمة الى الانكليز. أفلا يغتاظ بريطاني من غريب يلقي تهمة قتل على عتبة داره؟

ومن أجل طمأنة مضيفه، قال فورشوفود: "اني على ثقة بأن الانكليز لم يرتكبوا تلك الجريمة."

وما أن سمع سميث ذلك حتى ثارت ثائرته على نحو لا مواربة فيه، وصرخ قائلا: "وهل تظن أن ذلك يهمني؟ ما شأني بالانكليز أنا الاسكوتلندي؟"

وعلى الأثر انفجر الاثنان ضاحكين.

وحان دور فورشوفود ليطرح سؤالا: "أيمكن ان يكون الزرنيخ جاء نتيجة تلوث من مصدر خارجي؟"

واذ ذاك تكلم سميث عن تطوّر في طريقته، وهو الفحص المقطعي لنموذج من الشعر. واذا كان الزرنيخ أتى من الخارج - من غرفة الشخص المعنيّ مثلا - فالتحليل يُظهر الكمية نفسها تقريباً في جميع المقاطع. أما اذا دخل الزرنيخ الجسمَ عبر فترات زمنية مختلفة وبكميات كبيرة نسبياً، فان مقاديره تختلف من مقطع الى آخر بحيث تظهر في الرسم البياني على هيئة قمم ووهاد. وفي الامكان حساب الوقت بين قمة واخرى، علماً

ان الشعر ينمو نحو ٠،٣٥ مليمتر يومياً٠

وفي حال نابوليون، هذا يعني امكان معرفة الكميات التي تناولها من الزرنيخ في كل مرحلة، بناء على التحليل المقطعي للشعر بالمقارنة مع المذكرات اليومية التي تصف ما كان يعانيه٠

الا أن المسألة تحتاج الى نماذج اخرى من شعر الامبراطور٠ وخُيِّل الى فورشوفود أن لاشوك الذي أمدَّه بالشعر سابقاً، لا بد من ان يهب الى نجدته الآن٠

وعرض فورشوفود المسألة أمام الدائرة التاريخية للجيش الفرنسي، وذلك في العاشر من ابريل (نيسان) ١٩٦١٠ وكان أعضاء الجانب الفرنسي، وهم طبيبان عسكريان وكبير صيادلة الجيش، يصغون اليه بهدوء، مما ولَّد انطباعاً بأنهم يهتمون لنظريته ويؤيدونها٠ والواقع أن لاشوك وعد باعطاء خصلة من شعر الامبراطور لتحليلها، وأعدَّ فورشوفود العدة لفحص النموذج على يد خبير فرنسي٠ غير أن لاشوك بدل رأيه في اللحظة الأخيرة واسترد الخصلة٠

وخُيِّل الى فورشوفود أنه يعرف السبب٠ فلا بد من أن يكون الفرنسيون طرحوا على أنفسهم السؤال الآتي: "من كان المجرم؟" ومن المغري الصاق التهمة بالانكليز٠ لكن ظروف الحياة على جزيرة القديسة هيلانة لم تكن تسمح للانكليز بتسميم نابوليون وحده من دون تسميم أفراد الحاشية جميعاً٠ وهذا يعني أن بطل فرنسا العظيم قضى عليه واحد من قومه، الأمر الذي لا يروق الفرنسيين التفكير فيه٠

ووجد فورشوفود نفسه مرغماً على نشر نظريته، وان ناقصة، علّه يجد من يكملها في أرض الله الواسعة٠ ذلك ان عشرات الخصَل من شعر نابوليون تمَّ اهداؤها خلال حياته وبعد وفاته٠ ولا بدَّ من أن يوجد بين مالكي تلك الخصَل الحاليين من هو مستعد للتضحية ببعض ما يملك اكراماً للعلم والتاريخ٠

"المناخ القاتل"

في الحادي عشر من يوليو (تموز) ١٨١٦ زار نابوليون وواحد من ضباطه، وهو غاسبار غورغو، السيدة آلبين دو مونتولون التي سبق أن وضعت مولودة انثى قبل أسابيع٠ ودخلا عليها وهي تقرأ قصة المركيزة دو برانفيلييه التي تؤرخ احدى أكبر الجرائم في تاريخ فرنسا٠

ففي العام ١٦٧٦، تحت حكم لويس الرابع عشر، اتُّهمت المركيزة وحُكِم عليها بالاعدام لتسميم والدها وأخويها بالزرنيخ٠ وقبل تنفيذ الحكم فيها أدلت باعتراف مفصَّل أصبح الى جانب اعتراف شريكيها في الجريمة، مادة للكتاب الذي كانت آلبين دو مونتولون تطالعه٠

والحق أن الكتاب كان وصفاً مرحلياً مفصلا لطريقة القتل بالزرنيخ على نحو لا يثير الشبهات٠ ومن الأعراض الاولى التي عاناها ضحايا المركيزة الصداع وفقد الشهية للطعام والتقيؤ والحكة وآلام الصدر٠ وعندما حاولت المركيزة تسميم زوجها، شكا

ضعفاً في رجليه جعل الوقوف والمشي عسيرين عليه.

ولقد كان غاسبار غورغو أشد ضباط نابوليون تذمّراً لقلة أعماله. ذلك أن لاس كازس كان له ما يفعله، في حين أمضى كل من بيرتران ومونتولون معظم الوقت مع زوجته وأولاده. لكن غورغو كان أعزب. وهو شاب في مطلع الثلاثينات ضخم البنية وقاتم البشرة ومفعم بالحيوية والنشاط والعاطفة التي لم تجد متنفساً لها.

وعهد نابوليون الى غورغو في العناية بجياده الاثني عشر. غير أن سوّاس الخيل أنجزوا العمل عنه بحيث لم يستلزم عمله في الاسطبل سوى القليل من الوقت والجهد. وكان يركب جواده ويستحثه بنزق حول سهل لونغوود، ويتخاصم معظم الوقت مع مونتولون ويشتكي الى نابوليون حول كل شيء.

أما علاقة نابوليون بحاكم الجزيرة الجديد هدسون لو الذي وصل في ربيع ١٨١٦، فكانت سيئة منذ البداية. وكان الحاكم القلق يخشى ان يؤدي تلكؤه عن القيام بمسؤولياته الى فرار نابوليون بعد اثارة الشعب في صفوف السكان وافراد الحامية. ومنعاً لحدوث شيء من هذا القبيل، أصدر قوانين جديدة وأحيا قوانين قديمة لم يكترث سلفه لها.

ومعظم هذه القوانين كان يهدف الى قطع العلاقة بين نابوليون وسكان الجزيرة ومنعه من الكتابة الى العالم الخارجي. وعلماً منه أن أفراد الحاشية يهرّبون الرسائل باستمرار تحت أعيُن الرقباء، أصدر لو قانوناً يجرّم بموجبه أي ساكن للجزيرة يتعامل مع جماعة لونغوود من غير اذنه الخاص. وقلّص المساحة التي يمكن ان يتجوّل فيها نابوليون على حصانه من غير مرافق. كما أحيا قانوناً قديماً لم يطبّق حتى ذلك الوقت، يخضع نابوليون بموجبه لمراقبة ضابط انكليزي مرتين يومياً.

أما أكثر اجراءات لو تفاهة فكان ذاك الذي يدعو جماعة لونغوود الى اختصار موازنتهم السنوية من ١٢ ألف جنيه الى ثمانية آلاف. ووجد نابوليون في ذلك الاجراء فرصة لارباك السلطات الانكليزية، فأمر ببيع الفضة الامبراطورية. وانتظر تشيبرياني احتشاد الناس على رصيف الميناء قبل عرض الصحون والأواني الفضية. وعندما سُئل عن حال الامبراطور أجاب: "ها هو يعرض سلعه الفضية للبيع كي يتمكن من العيش." وكان نابوليون يأمل ان تبلغ هذه الأنباء لندن، فتكسبه عطف الشعب الانكليزي.

ووجد نابوليون في اجراءات لو التعسّفية مجالا لتحدّيه. ولدى تقليص المساحة التي يحق له ركوب الخيل فيها، أخبر طبيبه اوميرا (وهذا لا بدّ من أن ينقل الخبر الى الحاكم) أن حرمانه الرياضة يؤدي الى موته الذي تقع تبعته على الانكليز. أما مراقبته مرّتين يومياً من قبل ضابط انكليزي فقد تجنبها نابوليون ببقائه أياماً في غرفتيه في لونغوود لا يبارحهما.

الا ان نابوليون دفع غالياً ثمن

خصومته مع لو. فقد كانت دائرة أسره تتقلّص يوماً بعد يوم. وخفّ عدد زواره كثيراً بعدما نشأ خصام حول من يوقع لهم اذن المرور. وكانت صحة الامبراطور تسوء باطراد. وفي شهر مايو (أيار) شكا من النقرس (داء المفاصل) وقال للدكتور اوميرا: "ان رجليّ ترفضان العمل من أجلي." وكان يشعر بالبرد على الدّوام ويُصاب بالتهاب في اللثة، ولاحظ اوميرا أنها غدت "طرية كالاسفنج وباهتة اللون وتنزف لأقلّ سبب." وعزا اوميرا تلك الأعراض المتكررة جزئياً الى "المناخ القاتل،" وهو تفسير واسع يشمل كل ما يستعصي تفسيره بالطرق الاخرى.

مقارنات باهرة

اشترك فورشوفود وهاملتون سميث وآندريس فاسن، وهو عالم سموم أسوجي، في كتابة مقال يصف الاختبار الذي أجراه سميث. ونُشر هذا المقال في عدد ١٤ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦١ من المجلة العلمية البريطانية "الطبيعة" مع ذكر اسم نابوليون صراحة. وجاءت ردود الفعل الاولى من خبراء الدراسات النابوليونية الذين رفضوا النظرية جملة وتفصيلا. وهذا عين ما كان يتوقّعه فورشوفود.

وبعد اسبوعين من صدور المقال، تلقى فورشوفود مخابرة من صاحب معمل نسيج سويسري اسمه كليفورد فراي، قال انه يملك خصلة من شعر نابوليون تحوي خمسين شعرة، وانها كانت في الأساس خاصة جان ابرهام نوفيراز، الخادم الذي قص شعر الامبراطور في اليوم التالي لوفاته. وعبّر فراي عن رغبته في تقديم كمية من ذلك الشعر لاجراء الاختبار عليها، وتولى بنفسه ارسالها الى غلاسكو.

وفيما كان فورشوفود ينتظر تقرير سميث، وضع وصفاً مفصّلا للأشهر السبعة الأخيرة من حياة نابوليون، بين أواخر سبتمبر (أيلول) ١٨٢٠ ويوم وفاته في ٥ مايو (أيار) ١٨٢١. ودوّن جميع الأعراض الصحية التي شكا منها الامبراطور نقلا عن شهادات الدكتور آنتومارشي ومارشان وشخص ثالث. وبلغ طول الورقة التي سجّل عليها فورشوفود تلك الملاحظات متراً. وقد ظهر عليها مرض نابوليون الأخير في ضوء الأشهر السبعة كلها. ولم تكن الأعراض مستمرة، بل مجموعة في فترات زمنية متقطعة تفصل بينها مراحل من الابلال. وأشارت الدلائل الى أن نابوليون عانى، خلال تلك الأشهر السبعة، ست اصابات حادة، آخرها في شهر مارس (آذار). وأبلّ جزئياً في أواسط ابريل (نيسان) عندما كتب وصيّته. وبعد ذلك ظهر مرضه الأخير الذي دام اسبوعين.

ووصل تقرير سميث في مطلع ديسمبر (كانون الاول). وكان سحب من الخصلة عشرين شعرة، أجرى على بعضها اختباره القديم الذي يقيس كمية الزرنيخ الاجمالية. وتبين ان تلك الشعرات تحوي نسبة من الزرنيخ تراوح بين ٣،٢٧ و٣،٧٥في المليون، أي بزيادة أربعة الى خمسة أضعاف

على كمية الزرنيخ الطبيعية في شعر الانسان.

واقتطع سميث شعرتين، طول احداهما ١٣ سنتيمتراً والاخرى تسعة سنتيمترات، لاجراء التحليل المقطعي عليها. وثبّت سميث الشعرتين على ورقة وجعلهما في مقاطع بطول خمسة مليمترات للمقطع الواحد. وبعد ذلك قاس كمية الزرنيخ في كل مقطع. وجاءت النتيجة، بالنسبة الى الشعرة الأطول،متدرّجة من ٢،٨ الى ٥١،٢. أما الأخرى فتدرّجت من١،٠٦ (وهذا ليس بعيداً جداً عن المعدّل الطبيعي) و١١. وبلغ عدد الاختبارات التي أجراها سميث على تلك الخصلة من شعر نابوليون المئة والاربعين. وأظهرت الرسوم البيانية التي وضعها أنّ نابوليون لم يمت عرَضاً، وأنّ الزرنيخ في شعره لم يكن تلوّثاً مصدره الهواء.

وتناول فورشوفود الجدول الذي وضعه لحال نابوليون الصحية في الأشهر السبعة الأخيرة من حياته، ونشره أمامه على الأرض مع تقرير سميث. وراح يحسب من اليوم الذي قُطع فيه الشعر، وهو السادس من مايو (أيار) ١٨٢١، الى الوراء. وكان كلّ مقطع من خمسة مليمترات يقابل ١٥ يوماً من حياة نابوليون. وأجرى فورشوفود مقارنة بين فترات مرض نابوليون وابلاله من ناحية، وكميات الزرنيخ بالنسبة الى تحليل سميث المقطعي من ناحية اخرى. فجاءت النتيجة مطابقة، مما يعني ارتفاع نسبة الزرنيخ خلال فترات المرض وانخفاضها في فترات الابلال.

ونجحت محاولة فورشوفود لتعزيز شواهده اذ تلقى، بعد وقت قصير، رسالة من المؤلفة الاوسترالية السيدة مابل بروكس حفيدة اخت بتسي بالكومب. وكانت مابل طالعت المقال المنشور في مجلة "الطبيعة." كما كانت تملك خصلة من شعر نابوليون، أهداها بنفسه الى بتسي خلال زيارتها الوداعية الى لونغوود في ١٦ مارس (آذار) ١٨١٨. وقرّرت ارسال نموذج منها الى غلاسكو.

وتولى سميث تحليل النموذج الجديد عبر قسمة خيوطه مقاطع ثلاثة يبلغ طول كل منها سنتيمتراً واحداً. وراوحت نسبة الزرنيخ بين٦،٧ اجزاء و٢٦ جزءاً في المليون. وهذا برهان اضافي على التسميم المتعمّد. وبما أن مذكرات بتسي تقول ان الخصلة أُعطيت لها لدى زيارتها الأخيرة الى لونغوود، فهذا يعني أن الشعر الذي تتكوّن منه نما في العام ١٨١٧ أو في مطلع ١٨١٨. وهذا جعل فورشوفود يرفع الشك عن اولئك الذين دخلوا جزيرة القديسة هيلانة في وقت لاحق، وبينهم الدكتور أنتومارشي الذي وصل عام ١٨١٩.

وقد سُرّت السيدة مابل كثيراً لتلك النتائج، علماً أنها كانت دائماً على قناعة بأن وفاة نابوليون لم تكن طبيعية، بل كانت تنطوي على جريمة.

نقص الحاشية

تدهورت صحة نابوليون. وفي اكتوبر (تشرين الاول) ١٨١٧ شكا الى اوميرا ألماً تحت غضروف القفص

الصدري يعانيه للمرة الاولى. وشخّص اوميرا الألم على أنه نتيجة التهاب الكبد. وبعد اسبوعين دوّن في تقاريره ان نابوليون يعاني على الدوام احساساً مزعجاً في جانبه الأيمن، وان شهيته تقلصت والتورّم لم يبارح رجليه، خصوصاً في الليل.

وعندما زاره آل بالكومب ذلك الوقت، دوّنت بتسي في مذكراتها ما يأتي عن مرضه: "لقد أحدث فيه أثراً شديداً بحيث بات النظر اليه محزناً. فوجهه غدا باهتاً كلون الشمع الأصفر بالتمام، وغار خدّاه، وانتفخ رسغا قدميه حتى خرج اللحم من حذائه. وبلغ منه الضعف مبلغاً لم يستطع معه الوقوف من غير القاء يد على الطاولة واخرى على كتف أحد ملازميه. ولاحظت أمي، ونحن نغادره، أن الموت كان مرتسماً على قسماته."

وكان مرض نابوليون المتكرر يحيي لديه أحياناً الخوف من التسمّم، خصوصاً عبر دس السم في الشراب. وفي يونيو (حزيران) وجد غورغو طعماً غريباً في زجاجة من خمر الامبراطور الخاصة. ونصحه باشراك صَحْبه جميعاً في شرب تلك الخمر، لأن أحداً لن يجرؤ على تسميم الحاشية كلها خوفاً من افتضاح الأمر.

والحق أن صحة نابوليون كانت جانباً واحداً من همومه. فمن ناحية اخرى كان أفراد حاشيته يتضاءلون عدداً. ذلك أن غاسبار غورغو غادر الجزيرة في فبراير (شباط) ١٨١٨، بعد سنة كاملة من الخصام المر مع صَحْبه. وكان لاس كازس ترك في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨١٦. ونظراً الى حداثة سنه وحدّة طبعه، لم يتمكن غورغو من تحصين لسانه. وعندما تذمّر أمام نابوليون من كونه أعزب، أجابه سيده: "ماذا تقول؟ النساء؟ اذا لم تفكر فيهن، فانك لن تحتاج اليهن! لماذا لا تكون مثلي؟"

غير أن غورغو لم يصدّق ما قاله سيده، لقناعته بأنه اتخذ ألبين دو مونتولون خليلة له. وهو لم يخبىء قناعته تلك عن نابوليون. ومرة فاجأ السيدة وهي في طريقها الى نابوليون الذي كان عارياً في غرفة نومه. ولما أسرّ الى زوجها بما حَدث، أجاب مونتولون متلعثماً: "لا أدري. وفي الوقت نفسه لا أنفي."

وجاءت النهاية في مشهد عاصف. كان الحديث يدور على مونتولون وزوجته. وقال نابوليون انه سيعاملهما على النحو الذي يروقه. واذ ذاك قرّر غورغو ان يغادر الجزيرة، متذرعاً بسوء حاله الصحية.

وفي اواخر فبراير (شباط) حلت خسارة اخرى وأكبر بالامبراطور. ففي أثناء العشاء ذات مساء سقط تشيبرياني فجأة على الأرض وهو يتلوّى ألماً. ومات بعد يومين. وجاء في تقرير اوميرا أن سبب الوفاة كان "التهاباً في الأمعاء." ولم يُجْرَ أيّ تشريح للجثة لأن صاحبها كان خادماً. وهكذا طُويت وفاة تشيبرياني المفاجئة.

وفي الشهر التالي غادر آل بالكومب الجزيرة بحجة مرض السيدة بالكومب. لكن السبب الحقيقي كان أن حاكم الجزيرة هدسون لو غاظته العلاقة الحميمة بين نابوليون وتلك

العائلة الانكليزية. ومع ذهاب وليم بالكومب، فَقَدَ نابوليون صلة وصل مهمة مع العالم الخارجي، كما فَقَدَ كل من له من أصدقاء انكليز في ذلك المكان.

وتبع اولئك جميعاً باري اوميرا. وأسف نابوليون كثيراً لمغادرة ذلك الطبيب الشاب الذي بات، مع قلة ضئيلة، مصدراً لمعلوماته بعد وفاة تشيبرياني ورحيل آل بالكومب.

وبعد سنة حزمت آلبين دو مونتولون أمتعتها ومضت ومعها أولادها الثلاثة، مخلّفة أسئلة لا تزال حتى اليوم بلا جواب: هل كانت عشيقة نابوليون كما ادّعى غورغو؟ هل كانت ابنتها "نابوليون" التي وُلدت على الجزيرة ثمرة تلك العلاقة؟

مهما تكن علاقة آلبين بالامبراطور، فلا شك في أن ذهابها جعل أيامه تبدو أكثر فراغاً. ولدى معرفته بعزمها على الذهاب، أخبر زوجها أنه يأذن له بالذهاب معها. غير أن مونتولون رفض. فهو أقرب أفراد البطانة الى الامبراطور بعدما انتزع تلك المكانة من بيرتران الكئيب الطبع، المنكفىء على ذاته، الذي عبّر عن رغبته في الذهاب أيضاً. وما أن أصبح مونتولون وحيداً حتى بات يقضي أوقاته مع الامبراطور من غير أن يتذمّر البتة.

أجوبة للمشككين

طوال فترة تحرّياته ودراساته ووجه فورشوفود بالكثير من الأسئلة الحادة التي تتحدى نظرته. وقد جاء بعض تلك الأسئلة من المشككين وبعضها الآخر منه هو. ولدى اثبات نظريته عام ١٩٧٤ حول وفاة نابوليون، بات مستعداً للاجابة عن تلك الأسئلة بالكثير من اليقين.

١. ثمة دلائل عدة تشير الى تسمّم نابوليون بالزرنيخ فلماذا لم يحاول أحد قبلك اجراء تلك التحريات؟

ــ السؤال نفسه طرحتُه على هنري غريفون، الخبير في السموم في مختبر الشرطة في باريس. فأجاب أنه ما من حادث تسمّم بالزرنيخ تمّ تحرّيه بدقة وفي الوقت المناسب، مشيراً الى أنه اشترك في تحريات عدة من هذا القبيل. فالأعراض التي ترافق هذا النوع من التسمّم تلازم أمراضاً كثيرة اخرى. وعلى الطبيب المسؤول أن يفصل في الأمر. ولا شك في أن تشخيص الأمراض العادية أسهل كثيراً من تشخيص التسمّم بالزرنيخ.

٢. لكنّ الدكتور أنتومارشي هو الذي أجرى التشريح. والقتل بهذه الطريقة كان شائعاً جداً آنذاك. فلماذا لم يطرح ذلك الامكان؟

ــ يجب الا ننسى التمييز بين التسمّم المزمن وغير الحاد بالزرنيخ والتسمّم الحاد والفوري بهذه المادّة. والنوع الأول الذي تعرّض له نابوليون، ذو نتائج لم يكن الأطباء يعرفونها تماماً آنذاك. والحق أنها لم تُعْرَف جيداً قبل العام ١٩٣٠.

٣. ماذا تقول، اذاً، عن الأطباء والمؤرخين الذين عالجوا المسألة حديثاً؟

ــ لم يقم هناك اي دليل ملموس على موت نابوليون بالسم الى أن ابتكر هاملتون سميث طريقته في

تحليل الشعر، والمذكّرات التي سلّطت الأنوار الكاشفة على أيام نابوليون الأخيرة لم تُنشَر الا حديثاً. فكتاب بيرتران ظهر عام ١٩٤٩، وكتاب مارشان عام ١٩٥٥. وهذان الكتابان لا يجيبان عن نظرية الوفاة بالسم لأنهما لا يطرحانها. ولكن ظهرت نظريات اخرى حول وفاة نابوليون، وكان لكل نظرية أتباعها.

أما غلاة المعارضين لنظرية الوفاة بالزرنيخ فقد وضعوا كتباً ومقالات يدافعون فيها عن النظريات القديمة الشائعة. وعلى حدّ علمي، ليس هناك أي عالم سموم أو عالم أمراض عارض نظريتي، كما لم يعارضها أي خبير بالجرائم أو بالطب الشرعي. والعديد من هؤلاء أيّدني.

٤. ان نقّادك أثاروا شكوكاً حول مصدر الشعر. فكيف نعلم حقاً أن الشعرات التي تم تحليلها كانت من رأس الامبراطور؟

ـ نحن نعرف ذلك من لون الشعر والشبه بين النماذج واحتوائها جميعاً على الزرنيخ. وهذه النماذج جميعاً تلائم الوصف الذي نعرفه لشعر الامبراطور. ولئن يكن هذا يدلّنا على أن صاحب الشعر واحد لكنه ليس بالضرورة نابوليون، فمن حقّنا أن نتساءل كيف وصلت تلك النماذج الى أيدي أناس لا يعرف بعضهم بعضاً، مثل لاشوك في باريس وفراي في سويسرا والسيدة مابل في اوستراليا، فضلا عن شخصين آخرين؟

٥. لماذا استغرقت عملية التسميم ذلك الوقت كله، ولم يتمّ قتل نابوليون بجرعة قوية واحدة؟

ـ من أجل فهم ما حصل، علينا أن نعرف ما الذي كان يخشاه آل البوربون. لا شك في أنهم كانوا يحسبون حساباً كبيراً لنابوليون، لكنهم خشوا كثيراً الحركة البونابرتيّة.

ولكن لنفترض أن الكونت دارتوا، ولي عهد سلالة البوربون، اوعز الى مجرم بدس السم للامبراطور السابق للقضاء عليه مرة واحدة. هذا من شأنه طرح مسألة التسميم كأمر واقع، وتشريح الجثة بناء على هذه الفرضية. واذ ذاك يُكتشَف وجود الزرنيخ. الا أن هذا قد يؤدي الى قيام ثورة شعبية عارمة ضد آل البوربون لدى وصول الأخبار الى فرنسا ـ ثورة من شأنها أن تقضي على حكمهم الى الأبد. من الضروري، اذاً، تسميم الضحية على مراحل لكي تبدو الوفاة امراً طبيعياً.

ومن حسنات التسميم البطيء أيضاً أنه يحد من نشاط نابوليون.

أخيراً، ثمة اعتبار مهم بالنسبة الى المجرم، وهو الحرص على عدم افتضاح الجريمة خلال وجوده على أرض الجزيرة. فذلك يدفع أنصار نابوليون الى الاجهاز عليه.

الخيط الأخير

بعد الاجابة عن تلك الاسئلة جميعاً، بات فورشوفود على استعداد لكشف هوية المجرم. وكان استبعد، منذ البداية، الأشخاص الذين عاشوا خارج دارة لونغوود التي أوت نابوليون وبطانته. فليس في امكان اولئك دس السم للامبراطور وحده من غير

تسميم أفراد الحاشية الآخرين. وهذا يعني وضع الانكليز وبيرتران خارج نطاق الشك .

واستبعد فورشوفود كذلك الأشخاص الذين لم يلازموا نابوليون من بداية نفيه الأخير حتى نهايته، بعدما بيّن اختبار النماذج المختلفة من الشعر أن التسميم حصل طوال مدة النفي في جزيرة القديسة هيلانة، وهي خمس سنوات ونصف سنة. وهذا يعني استثناء لاس كازس وغورغو واوميرا وآلبين دو مونتولون وتشيبرياني والدكتور آنتومارشي.

ان الطريقة المعهودة للتسميم بالزرنيخ هي دسّه في الطعام أو في الشراب. والواقع أن بيارون، كبير الطهاة، بقي في لونغوود طوال مدة النفي. ومن السهل أن يكون سمم نابوليون، ولكن ليس نابوليون وحده، بل سائر المرافقين. ذلك ان بيارون أشرف على تحضير الطعام، لكنه لم يكن هو المسؤول عن تقديمه. ولم يكن نابوليون يتناول طبقه الا من الخَدَم. وكيف لكبير الطهاة أن يعرف سابقاً أي جزء من الطعام سيُقدَّم الى الامبراطور؟

اذاً، أيكون القاتل واحداً من الخدام الثلاثة: مارشان، سان دوني، نوفيراز؟

انّ الاسمين الأخيرين يمكن حذفهما لأنهما لم يقدّما الطعام باستمرار. ولقد كان نوفيراز طريح الفراش خلال احدى فترات تسميم الامبراطور.

هذه التصفية تُبقي اسمين اثنين: مونتولون ومارشان، أقرب الناس الى نابوليون. وهذا ينطوي على مفارقة، لكنه أمر طبيعي. فليس لغير القريبين أن ينفذوا عملية من هذا النوع.

وراح فورشوفود يدرس سيرة المشبوهين ويتساءل عن سبب ذهابهما الى جزيرة القديسة هيلانة. وكان مارشان خدم نابوليون منذ شبابه بعدما خدمت امه في البلاط وذهبت الى فيينا، عند النفي الاول للامبراطور، للعناية بابنه. ولم يكن لعائلة مارشان ولا له هو اي صلة بالاسرة المالكة، لذلك كان طبيعياً أن يرافق الامبراطور.

أما مونتولون فكان من الأريستوقراطية القديمة. وهو كان ضابطاً لم يحارب قَطّ. وقد رفض نابوليون أن يمنحه ترقية، كما عارض زواجه بآلبين. ولما تزوجها تخلى عنه. وبعد تنحية نابوليون ونفيه الى البا، سعى مونتولون الى نيل خطوة لدى آل البوربون.

وكان الكونت سيمونفيل، زوج والدة مونتولون، قريباً للكونت دارتوا، شقيق الملك لويس الثامن عشر. ولا ريب في أن تلك الصداقة هي التي أوصلت مونتولون الى رتبة جنرال على أثر استعادة آل البوربون الحكم. لكنه، قبل ممارسة صلاحياته، اتُّهم باختلاس مبلغ ٥٩٧٠ فرنكاً من رواتب جنوده، وهو جرم كبير. لكنه لم يمثل أمام المحكمة العسكرية على الاطلاق.

ثم ظهر مونتولون مع حاشية نابوليون في أعقاب معركة واترلو، كمسؤول عن مخدع الامبراطور. ترى

ما الذي حدا ذاك الشاب المحب للمتعة على خدمة قضية خاسرة؟ ما الذي يفسر حماسته للذهاب الى جزيرة القديسة هيلانة؟ لماذا ارتضى ترك مباهج الحياة في فرنسا، حيث تحكم جماعته، ليمضي أجمل سنيّ حياته فوق جزيرة نائية في خدمة شخص لا يعني له شيئاً؟

وأتبع فورشوفود تحرياته بدراسة سلوك مونتولون في الجزيرة. لقد رفض التدخّل في علاقة زوجته مع نابوليون، حتى بعدما نبهه غورغو الى ذلك بهزء. كما أنه لم يتذمر البتة ولم يطلب اعفاءه من مهمته. ولم يجد فورشوفود في ذلك السلوك الغريب سوى أمر واحد، وهو أن مونتولون أُرسل بمهمة اغتيال الامبراطور. والمؤكّد أن الكونت دارتوا هو الذي أعطى الأمر، والمعروف أنه خطط غير مرة للقضاء على نابوليون. ومن المعقول أن يكون هدّد مونتولون بأن احجامه عن تنفيذ ذلك الأمر يحتم ارساله الى السجن بتهمة السرقة.

وتوصّل فورشوفود الى المزيد من الأدلة. فقد كان مونتولون مدير الخمور في لونغوود، وفي يده مفتاح الغرفة التي حُفظ فيها الشراب. وكانت الخمور تُنقل الى لونغوود في براميل خشبية. ومن السهل ان يلقي مونتولون الزرنيخ في البرميل نفسه، قبل تفريغه في القناني. وهذا أسهل وأكثر اقصاء للشبهات من دس السم في الطعام، الذي يجب ان يحصل كل مرة بمفردها. أما وضع الزرنيخ في البرميل فيعني تسميم نابوليون طوال الأسابيع أو الأشهر اللاحقة. وقد تمّ التسميم ببطء لأن نابوليون لم يكن شرّيب خمر مفرطاً. ومرة أهدى زجاجة من خمره الخاصة الى غورغو، فشكا هذا الأعراض نفسها التي كانت تصيب الامبراطور.

الا أن لبّ المسألة يكمن في المرحلة الأخيرة من حياة نابوليون، وهي الأشهر الاولى من العام ١٨٢١ التي تبنى المجرم خلالها الطريقة التقليدية لتسميم ضحيته. فقد طلب من أحد الأطباء وصف عقاقير غير مؤذية، لكنها ضارة جداً في حال التسمّم بالزرنيخ. وفي تقارير شهود عيان خلال تلك الأشهر الأخيرة، وجد فورشوفود البرهان القاطع على أن نابوليون مات قتلاً، وأن قاتله كان مونتولون.

الضربة القاضية

مع بداية ١٨٢١ كان نابوليون شديد الضعف وهو يعاني نوبات من الانحطاط الجسدي والالم المبرح في معدته. وطوال تلك الفترة، ما انفكّ مونتولون يقول لحاكم الجزيرة هدسون لو ان آنتومارشي ليس كفياً لابراء نابوليون في تلك المرحلة من مرضه، وان سيده يودّ استقدام طبيب من باريس. وكرر مونتولون رجاءه أمام آنتومارشي نفسه، قائلا: "ليكن القرار في يد الملك الفرنسي."

وكان وجود آنتومارشي لا يلائم المجرم من ناحيتين. فهو، أولا، مختص بعلم التشريح، وفي إمكانه أن يبزّ الأطباء الآخرين في هذا المجال. وبما أنه كورسيكي، من

ناحية اخرى، فلم يكن له ولاء لاي من التاجين البريطاني والفرنسي، وبالتالي لم يكن يخشى نشر تقريره عن وجود السم. أما في حال إرسال طبيب فرنسي من قبل العائلة المالكة، فأن هذه المخاوف تزول، اذ لا بدّ من أن يحاط علماً بأن مهمته تتجاوز التشريح.

وأرتأى فورشوفود أنه من غير المعقول أن يسلم نابوليون نفسه الى طبيب اختاره آل البوربون، علماً أنه كان يخشى الأطباء الانكليز أنفسهم. ولا بدّ من أن يكون مونتولون كذب على حاكم الجزيرة اذ أخبره أنّ نابوليون يطلب احضار طبيب من فرنسا.

وفي أواسط فبراير (شباط) طرأ تحسّن على صحة نابوليون قبل أن تنتكس فجأة. وسجل آنتومارشي الآتي: "سعال جاف. تقيؤ. سخونة في الامعاء يعسر احتمالها." والواقع أنّ تحليل الشعر أظهر سمية مرتفعة في تلك الاثناء. وفي مارس (آذار)، بعد إلحاح بيرتران ومونتولون وآنتومارشي، تناول الامبراطور عقاراً مقيئاً للتغلّب على تلك الأعراض.

وكان الأطباء في ذلك العهد يصفون المقيىء على أنه الخلاص الوحيد من أمراض لا سبيل آخر الى طردها. وكان ملح الطرطر الشائع مركباً من عناصر يؤدي اجتماعها الى التهاب الغشاء المخاطي، وأحياناً يملع عملية التقيؤ التي تنجزها المعدة تلقائياً لطرد السموم.

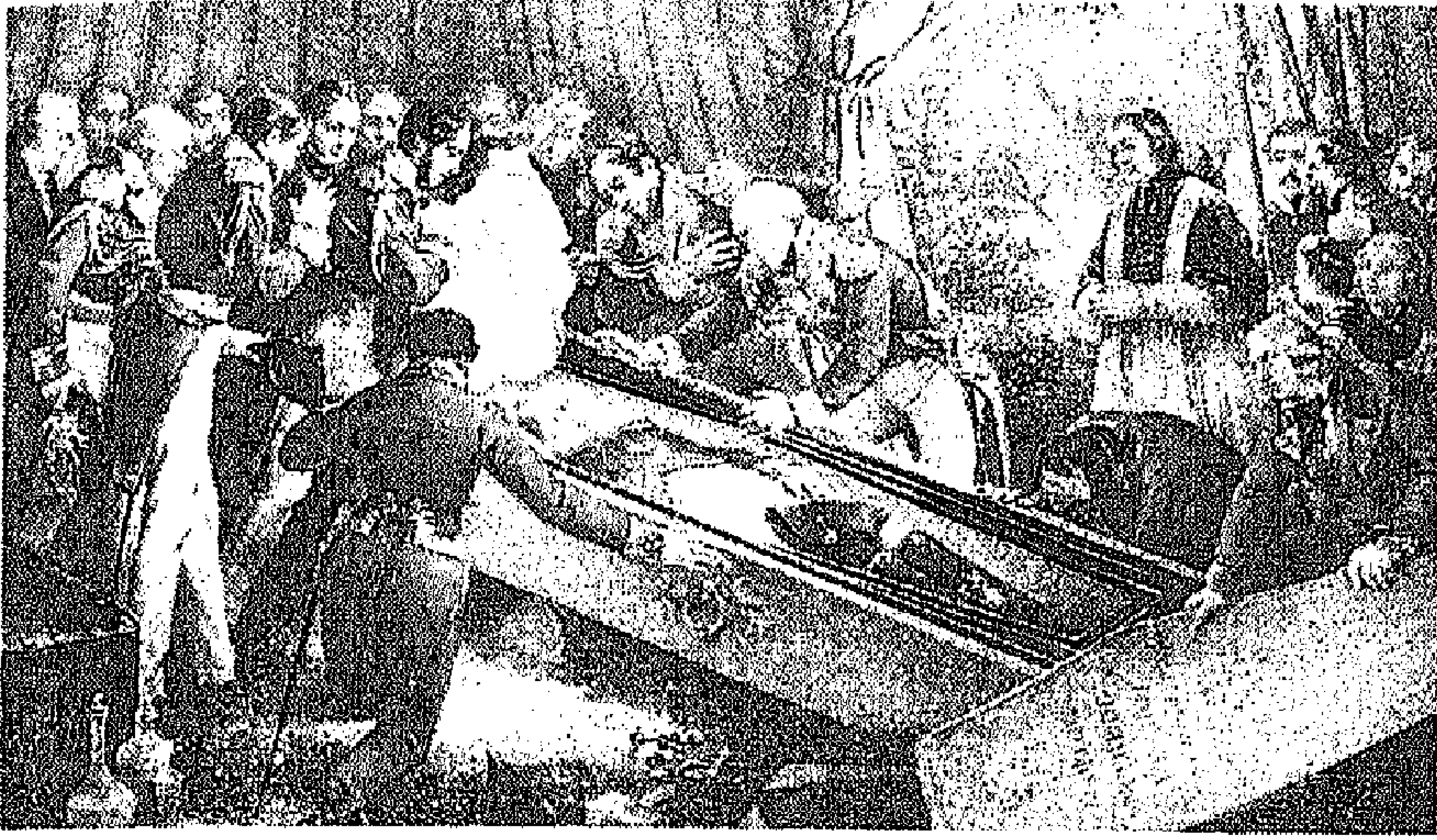
وقد فحص هاملتون سميث بعض الشعر الذي قُصّ من رأس نابوليون عقب الوفاة، فوجد ارتفاعاً في كمية الحمض المذكور.

وفي أواخر ابريل (نيسان) قرّر نابوليون وقف شراب السوس لتناول شراب اللوز غير الكحولي. وهذا شراب يتمّ بنقع اللوز الحلو، مع اضافة بعض اللوز المرّ للنكهة. ولولا اللوز المرّ لكان الشراب المذكور غير مؤذ. لكن اضافة هذا العنصر إليه، فضلا عن زئبق الكالوميل، تحوّله سماً ناقعاً.

في تلك الأثناء تحسّنت حال نابوليون قليلا، فراح يضع اللمسات الأخيرة على وصيته. وفي وقت لاحق من الشهر أرسل إليه الحاكم صندوقاً من اللوز المرّ. وغدا شراب اللوز الذي كان يتناوله آنذاك سماً زعافاً.

وفي ٣ مايو (أيار) أرسل هدسون لو طبيبين إنكليزيّين لفحص نابوليون. ووصفا له الكالوميل من غير أن يرياه، اذ لم يسمح لهما مونتولون بذلك. واعترض آنتومارشي على الوصفة بحجة أنها ترهق المريض من غير أن تأتي خيراً. لكن بت الأمر كان في يد مونتولون الذي أيد رأي الطبيبين الانكليزيين. وهكذا أُعطي الدواء.

وكان الكالوميل بمثابة العقار السحري آنذاك. فالاطباء كانوا يصفونه، فضلا عن الملح المقيىء، لعلاج أي مرض لا يمكن التصدي له بالطرق الاخرى، خصوصاً امساك المعدة. والكالوميل، في ذاته، لا يؤذي. لكن امتزاجه بشراب اللوز الذي كان نابوليون يتناوله، مع ما ينطوي عليه من لوز مرّ، يسفر عن أوخم العواقب. فاللوز المرّ يحتوي



نبش تابوت نابوليون في جزيرة القديسة هيلانة.

على الحمض الهيدروسيانوجيني الذي يستخرج السينانيد الزئبقي السام من الزئبق الكامن في الكالوميل. وسرعان ما تفقد الضحية الوعي بعد تناول هذا الخليط الفتاك. ثم تُشلّ العضلات الارادية، وتفقد الضحية البصر والسّمع.

وربما تدخلت معدة الضحية لحمايتها من التسمم اذا لفظت المادة السمية عبر التقيّؤ. غير أن الافراط في تناول الملح المقيىء يمنع هذا الامر ويؤدي، معظم الاحيان، الى الوفاة.

أما كمية الكالوميل التي أُعطيت لنابوليون، وهي عشر حبات، فيمكن وصفها بالعمل البطولي أو العمل الجنوني. والشائع ذلك الوقت أن يُعطى المريض حبّة او اثنتين على مراحل. وعلى أثر تلك الجرعة انهار نابوليون كلياً ولم يتمكن من مبارحة فراشه. واستحال برازه أسود، وهذه علامة على تلف المعدة ونزفها. وبعد يومين، في الخامس من مايو (أيار)، توفي في تمام الخامسة والدقيقة التاسعة والاربعين عصراً.

شهادة نابوليون

وقف ستين فورشوفود وحيداً فوق ضريح نابوليون الخالي، حيث كان الصمت رائناً على الوادي الذي بقيت فيه جثة الامبراطور المسممة ١٩ سنة. وكان الضريح لوحاً حجرياً خالياً من الكتابة، يحيط به سياج معدني بسيط. وكان فورشوفود الزائر الوحيد ذلك اليوم من يونيو (حزيران) ١٩٧٤.

وهو وصل الى جزيرة القديسة هيلانة قبل اسبوع، وينتظر أن يغادر في اليوم التالي. ولم تكن الرحلة سهلة على الاطلاق. ذلك أن بلوغ الجزيرة اليوم أعسر منه في أيام نابوليون. فقد فقدت الجزيرة وظيفتها المميزة كنقطة استراحة للسفن المتجهة شرقاً، بعد افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩. وسكانها

اليوم يتقاضون تعويضات مادية كبيرة من الحكومة البريطانية. ولخلوها من أي مطار، فالطريقة الوحيدة لبلوغها هي سفينة شحن بريطانية في طريقها بين ميناء بريستول الانكليزي وميناء كيب تاون في جنوب افريقيا.

وفيما وقف فورشوفود يحدق الى اللوح الحجري، اتجهت أفكاره الى اكتوبر (تشرين الاول) ١٨٤٠، الشهر الذي كانت جثة نابوليون البرهان الاخير لحقيقة موته مسموماً. وفي وقت سابق من تلك السنة، كان الملك لوي فيليب وافق، بضغط من الحركة البونابرتية الناهضة في فرنسا، على تنفيذ رغبة نابوليون في نقل رفاته ليستريح على ضفاف السين. ودعي جميع رفقاء المنفى الى تشييع جثمان سيدهم الى مثواه الاخير.

وقبل معظمهم الدعوة، وذهبوا الى جزيرة القديسة هيلانة. وكان بيرتران، وقد وخطه الشيب ونهكته سنوه السبع والستون، هناك مع أحد أبنائه. وأرسل لاس كازس ابنه ايمانويل لتمثيله بعدما أُصيب بالعمى وبلغ الثمانين. وجرى هناك نقاش بين غورغو الذي لم يفقد شيئاً من حدة طبعه، وايمانويل عوضاً عن أبيه؛ وفي ذلك الوقت كان مارشان في منتصف عمره وقد غدا في عداد الطبقة البورجوازية وجمع ثروة من وصية نابوليون. وهو كان هناك أيضاً مع معاونيه السابقين سان دوني ونوفيراز. أما الطبيبان اوميرا وآنتومارشي فماتا قبل ذلك الوقت.

ولم يكن مونتولون هناك، بل في السجن. فبعد عودته من المنفى بقيت حياة مونتولون مثاراً للاستفهام. وكان جمع ما يربو على المليون فرنك بفضل وصية نابوليون، وهو مبلغ طائل بدده كله قبل العام ١٨٢٩. وما برح ينضم الى الجيش ثم يخرج منه وهو أبداً على الاطراف، لا ينتمي قلبياً الى مكان. وعُرف أن مقابلة سرية تمت عام ١٨٢٧ بينه وبين الملك شارل العاشر (الكونت دارتوا سابقاً). والملك لم يكافىء مونتولون علناً. فالحكومات لا تكافىء اجراءها الذين تكل إليهم تنفيذ أعمالها الحقيرة.

وفي العام ١٨٤٠ لاذ مونتولون بالأمير لوي نابوليون الذي غدا لاحقاً نابوليون الثالث. وفي اغسطس (آب) من ذلك العام، قاد مونتولون حملة طائشة انطلقت من انكلترا لاطاحة الحكم الفرنسي لمصلحة سيده الجديد. لكن الجيش الفرنسي الذي بلغته أخبار المحاولة أرسل قوة الى بلدة بولون على الساحل الفرنسي المقابل لانكلترا، وقفت للآتين بالمرصاد. وما أن نزلوا على الشاطىء حتى قبضت عليهم جميعاً. وحُكم على مونتولون بالسجن عشرين سنة، أمضى ستاً منها في الأسر ثم أُطلق ليموت بعد ١٣ سنة من غير أن يترك أي اعتراف كتابي بجرمه الكبير.

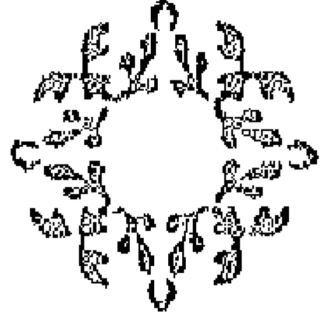
ويقول فورشوفود إن غياب مونتولون عن الاحتفال الذي أُقيم في جزيرة القديسة هيلانة عشية نقل الرفات كان من حسن حظه. وتجدر الاشارة الى أن جثمان نابوليون لم يُحنّط، لكنه وضع بعد تشريحه ضمن نعوش أربعة، بينها نعشان

معدنيان. ووقف العمال يفتحونها واحداً بعد آخر. ولدى فتح النعش الأخير، توقع أعضاء الوفد أن يبصروا هيكلا عظمياً.

الا ّ أن جثمان نابوليون كان محفوظاً بالتمام، وبدا صاحبه كأنه نائم. وفي تلك السنوات التسع عشرة، كان التغيير الذي طرأ على وجهه أقل كثيراً من ذاك الذي طرأ على وجوه الناظرين اليه. أما التفسير الذي أعطاه فورشوفود لتلك المعجزة الظاهرية فكان: الزرنيخ. ذلك أن ّ الزرنيخ القاتل يحفظ أنسجة الجسم من التلف بعد الوفاة. والمتاحف تستخدمه لحفظ البقايا الأثرية لديها. وتحلل الجثة البشرية يتم ببطء شديد اذا كان صاحبها عرضة للتسمّم البطيء المزمن بالزرنيخ.

والنتيجة الأخيرة التي استمدّها فورشوفود كانت أن ّ جثة نابوليون نفسها شهدت بصمت على جريمة قتله.

■ **بن وايدر وديفيد هابغود**



الامس واليوم

يقدر باحثو مختبرات "بل" الامريكية أن عدداً واحداً من صحيفة "نيويورك تايمس" يحوي من المعلومات أكثر مما كان يعرفه شخص من القرن السادس عشر طوال حياته.

"المختار العلمي"

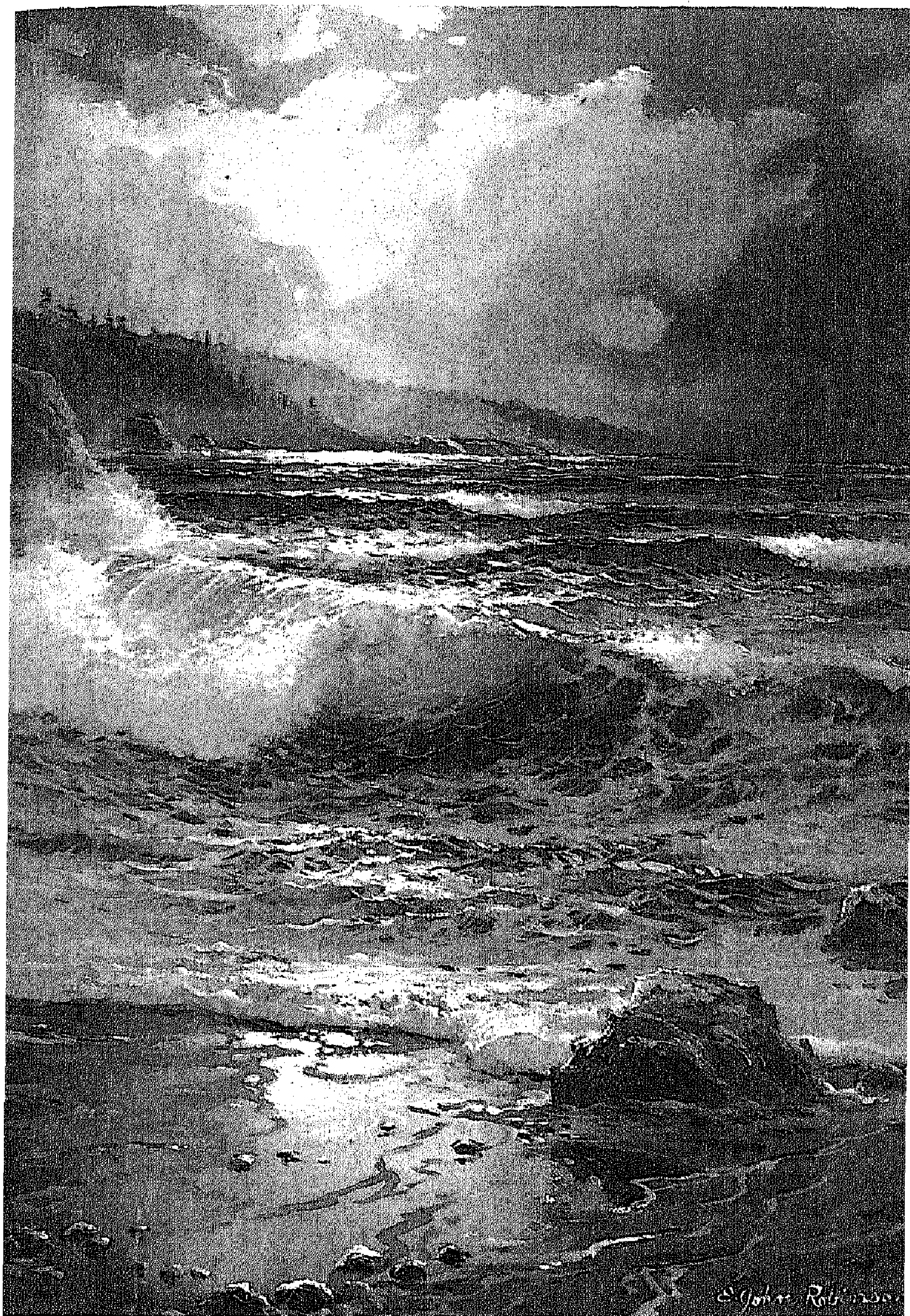
حذار البطاريات المستعملة!

في فرنسا مؤسسة مختصة بالتخلّص من النفايات واعادة استعمالها اذا أمكن. وقد حذرت هذه المؤسسة أخيراً من الأخطار الناجمة عن رمي البطاريات الصغيرة التي تستخدم في آلات التصوير وساعات اليد والادوات السمعية وسواها من الآلات الصغيرة. وكل من هذه البطاريات يحوي مقدار غرام على الأقل من الزئبق، مما يعني أن ّ البطاريات الصغيرة التي تختلط سنوياً بالتراب في فرنسا ـ وعددها عشرة ملايين ـ تخلف عشرة أطنان من الزئبق في الارض. ولا يلبث هذا المعدن أن يتسرب من البطارية المستعملة بفعل التأكسد، ويختلط بالماء ويتحوّل عن طريق البكتيريا الى مثيل الزئبق، وهي مادة يظن أنها تؤدي الى داء "ميناماتا" الخطير.

وقد باشرت المؤسسة المذكورة تنبيه المعنيين إلى خطورة هذا الأمر، وتزويد المحلات التي تبيع آلات التصوير والساعات وأدوات السمع بعلب تتسع الواحدة منها لستمئة بطارية مستعملة، على أمل ارجاعها الى المؤسسة لاعادة استخدامها. كما بوشرت حملة مماثلة بالنسبة الى موازين الحرارة، علماً أن خمسة ملايين منها تتكسر سنوياً في مستشفيات فرنسا وترمى، بما فيها من زئبق، في سلال المهملات من دون غطاء.

صحيفة "لو فيغارو"، باريس


SUPER 23 JEWELS SERIES
5
فاخرة ومميّزة



كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٢ ـ صفر ١٤٠٣

المختار

من ريدرز دايجست



اكتشافات
أثرية مهمة
في شبه الجزيرة

السعودية: حضارتنا عمرها ٧٠٠٠ سنة

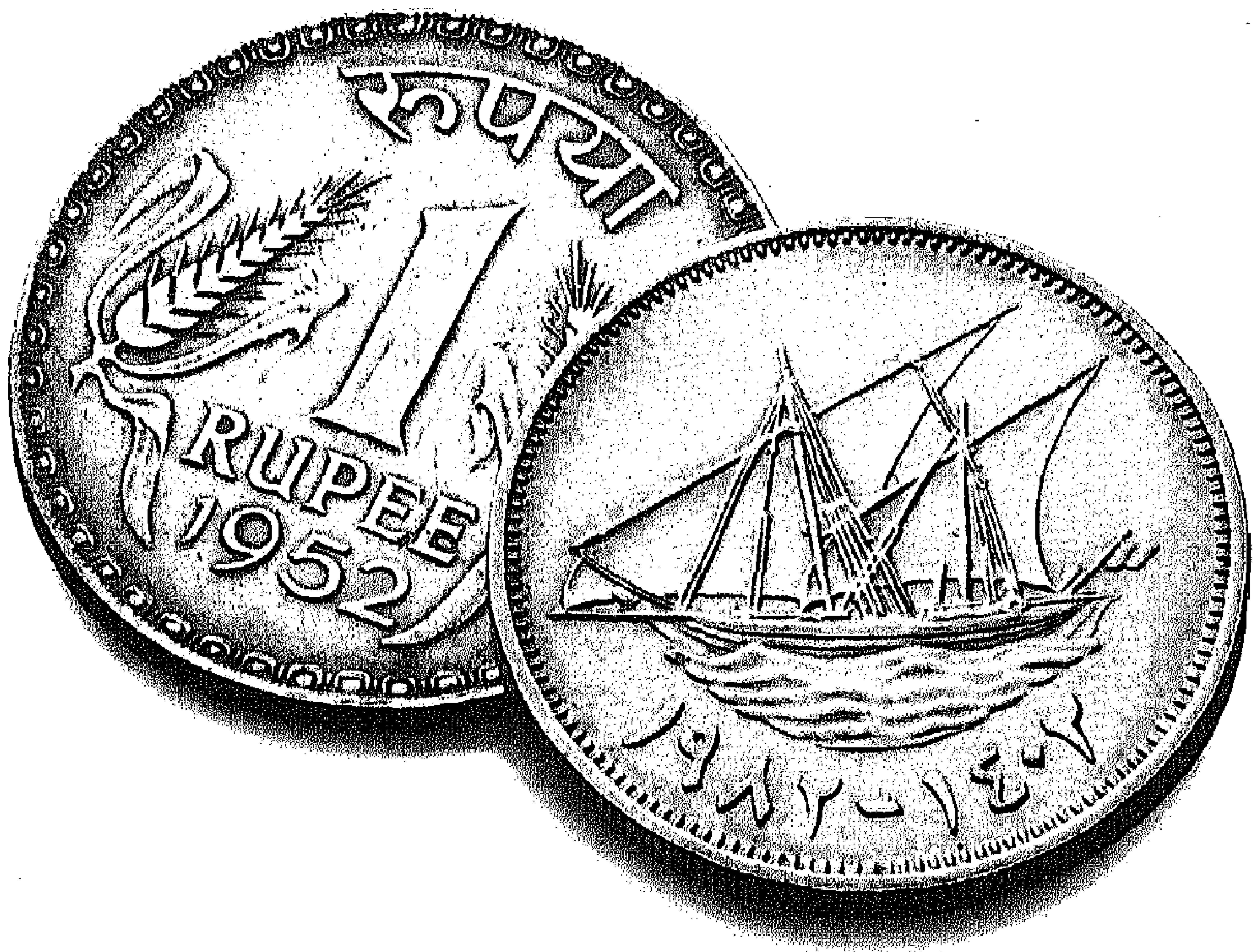
(ص ١٤)

٧ أسرار النجاح في الحياة

(ص ٩٦)

لبنان ٥٠٠ق ـ سوريا ٦٠٠ق ـ الاردن ٥٠٠ف ـ الكويت ٥٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٧د ـ قطر ٦ر ـ البحرين ٦٠٠ف ـ السعودية ٧ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ٧٠٠م ـ ليبيا ٧٠٠د ـ اليمن ٧ر ـ مسقط ٦٠٠ب ـ العراق ٦٠٠ف ـ تونس ٥٠٠م ـ المغرب ٥د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ٧ف ـ أنكلترا ٧٥ب ـ اليونان ١٠٠د ـ كندا وامريكا الشمالية ٢٫٥٠د

AL MUKHTAR min Reader's Digest December 1982 № 49



خلال ثلاثين عامًا شاهدنا الكثير من التطوّرات

يوم بدأنا أعمالنا، كانت الروبية هي العملة السارية، وفي عام ١٩٦١، أي بعد تسع سنوات، ساهم بنك الكويت الوطني في استبدال الروبية بالدينار الكويتي.

تأسس بنك الكويت الوطني بمرسوم أميري في ١٩ مايو، ١٩٥٢، فكان أول بنك كويتي تؤسسه مجموعة من الفعاليات الإقتصادية عندما كانت الكويت بحاجة ماسة لمؤسسة مالية باستطاعتها خدمة متطلباتها المحلية.

ومنذ تأسيسه، ركّز بنك الكويت الوطني جهده في نشر الوعي المصرفي وتوفير خدماته في كافة أنحاء البلاد، عاكسًا بذلك تطوّر الكويت تجاريًا وصناعيًا واجتماعيًا.

يوجد لدينا اليوم أكثر من ٤٠ فرعًا منتشرة في كافة أنحاء الكويت بالإضافة إلى أكثر من ٢٠٠ بنك مراسل في العالم، ومكتبي تمثيل في لندن وسنغافورة.

للمزيد من المعلومات عن بنك الكويت الوطني وعن الخدمات التي يقدمها إتصل بنا اليوم.



رائد البنوك الكويتية.



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

اكتب واربح

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة، تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة تلقي بعض الضوء على جوانب مختلفة من حياة مجتمعاتنا العربية. تدفع عن القصة الواحدة ٥٠ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. وتستبعد في هذا الباب النكات غير المهذبة. تدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية تدفع ثلاثة دولارات عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل. يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط الشروط الشروط الشروط

● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولاً، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة المختار من ريدرز دايجست ـ شارع المقدسي ـ بناية الشرتوني ـ ص: ب ٨٧٠٧ ـ بيروت ـ لبنان.



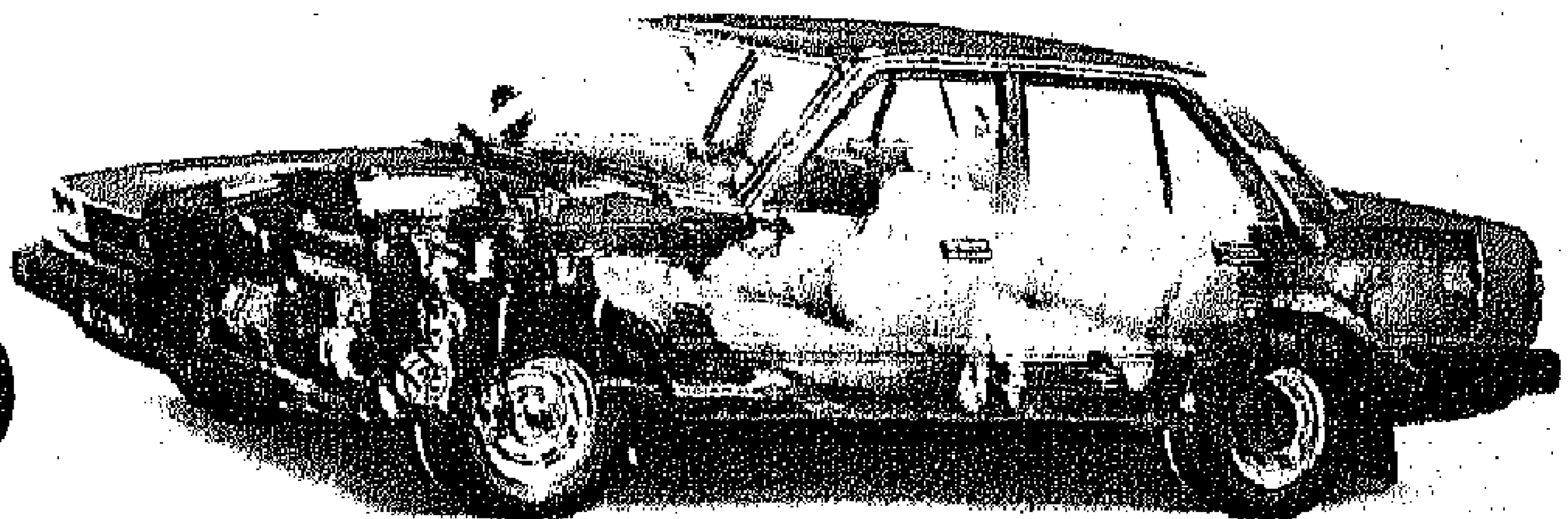
جهاز تمليق هوندا الجديد و مكابحها المتطورة تتيح سيطرة أفضل في القيادة و الفرملة

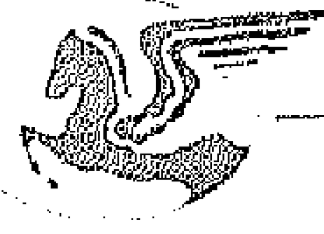
أن ثبات هوندا "أكورد" على الطرق متميز بفضل جهاز التعليق الجديد من تصميم مهندسي هوندا البارعين الذين اعطوك سيارة مضمونة للقيادة ومريحة للركوب ٠

"أكورد" فيها مكابح متفوقة بديسك امامي، ودماغ الكتروني مع جهاز احتياط يؤمن وقاية مضاعفة ضد أي خلل، مما يجعلك تتمتع بالقيادة وبراحة البال في آن ٠

"أكورد" ٤ ابواب لها ميزات اخرى عديدة ٠ جربها لدى اقرب وكيل هوندا لتختبر بنفسك هذه السيارة العائلية الفخمة والمتطورة ٠

HONDA ACCORD





المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: لولو بعاصيري.

المؤسسان دي ويت والاس وليلي اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ« ريدرز دايجست »:
رئيس التحرير: ادوار ت. طومسون، مدير التحرير: آلان دوليرو، المدير العام: جون ا. اوهارا.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس. الناشر: شركة راس الخيمة للمنشورات الدولية ـ بيروت. الخدمات الصحافية: شركة النهار ش.ت.م.ل. بيروت. التحرير: شارع روما، بناية هاشم، ص.ب ٢٢٦ ـ ١١ التلكس (المؤقت) ANAHAR 22322 LE بيروت. التلفون ٣٤٠٥٥٦ ـ ٣٤٠٠٤٤. الادارة والاعلانات والاشتراكات: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، الطبقة السادسة، ص.ب ٨٧٠٧ ـ ١١. التلكس 22288 LE التلفون ٣٤١٥٩٧ ـ ٣٤٥٧٣١

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest. 37 Avenue George V. 75008 Paris, FRANCE
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت. الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية، بيروت. التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

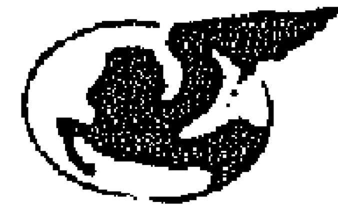
تنشر « ريدرز دايجست » في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية اضافة الى العربية.



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

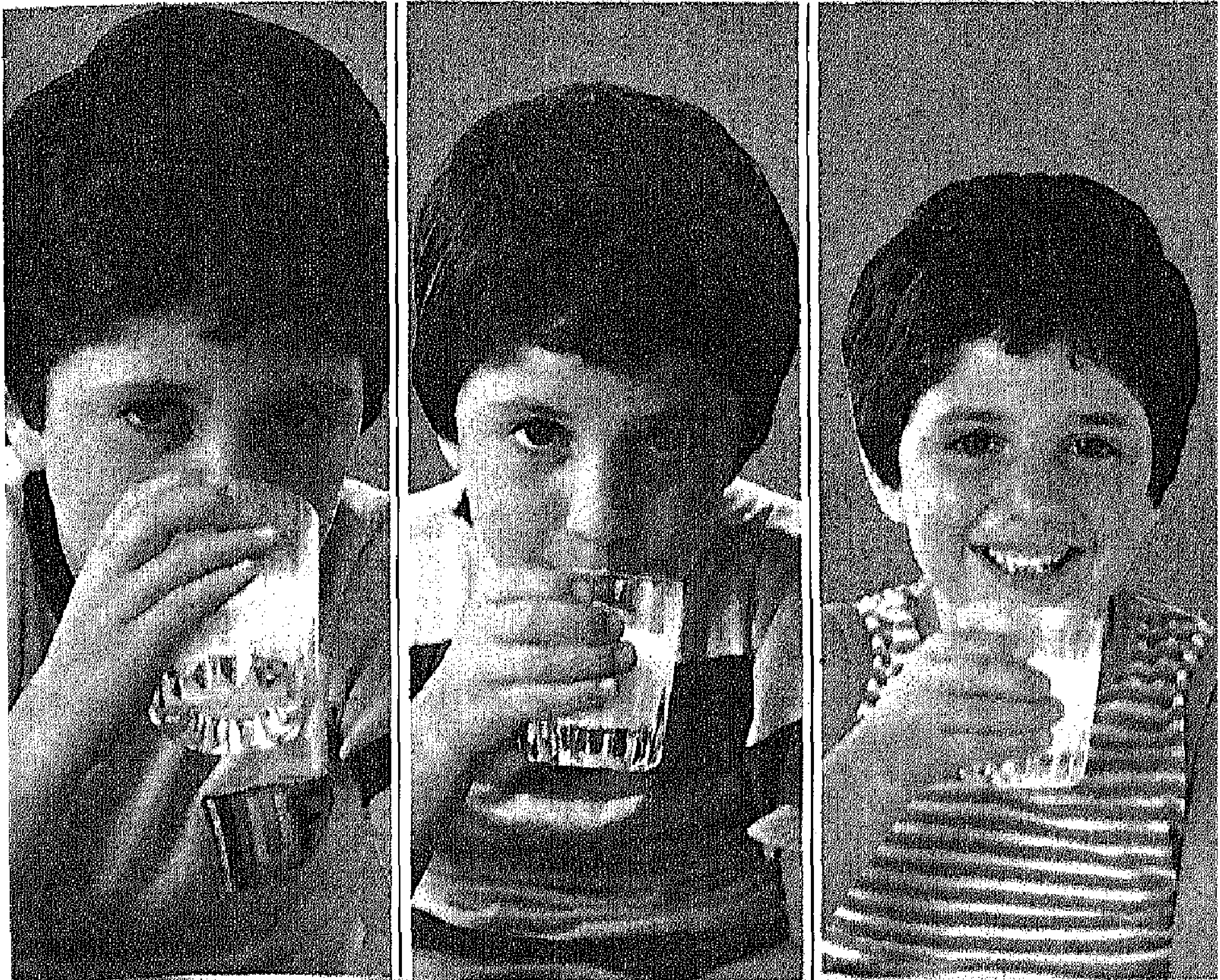
الغلاف: عاصفة بيضاء (غوردن ماكنزي)

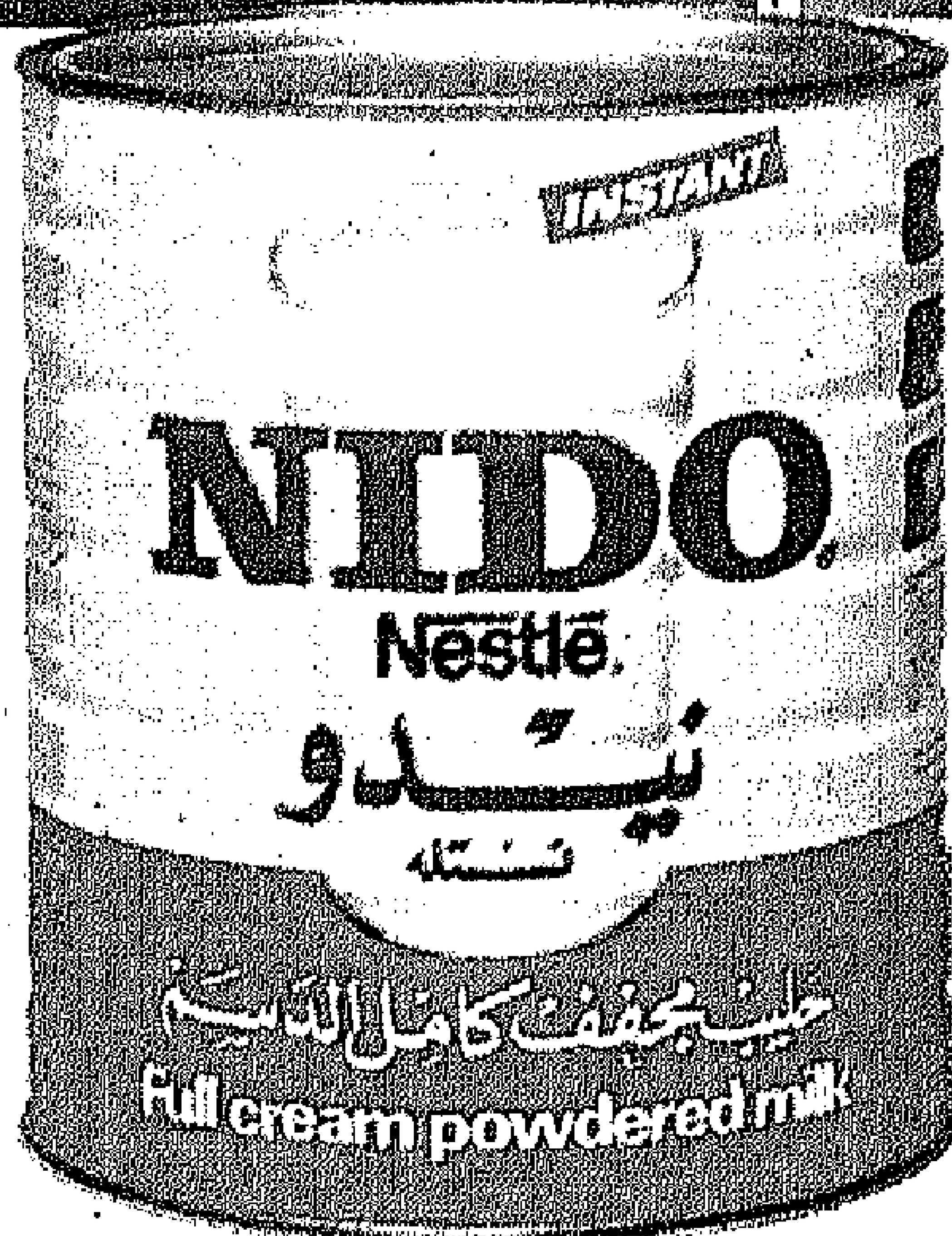
AL MUKHTAR min Reader's Digest
December 1982 No 49 (New Series) Vol. 5



اكثر من ١٠٠ مليون يقراون « ريدرز دايجست » في ١٨٠ بلداً بـ١٦ لغة.

أمِنوا لأولادِكُم نُمُوًّا صَحيحًا





نيدو السريع الذوبان هو حليبٌ كامل الدسم يحتوي على كافة العناصر الغذائية التي توفر لأولادكم نمواً متكاملاً . فالبروتين والكالسيوم وفيتامينات "أ" و"د" وغيرها من العناصر الضرورية المتوفرة في نيدو السريع الذوبان تجعل عظامهم صلبة وأسنانهم متينة وأبدانهم صحيحة قوية .

نيدو السريع الذوبان هو حليب بقري صافٍ ونقي من الجراثيم ، يخضع قبل تجفيفه وتعبئته الى عدة تحليلات مخبرية دقيقة ليصبح خالياً من كل شائبة .

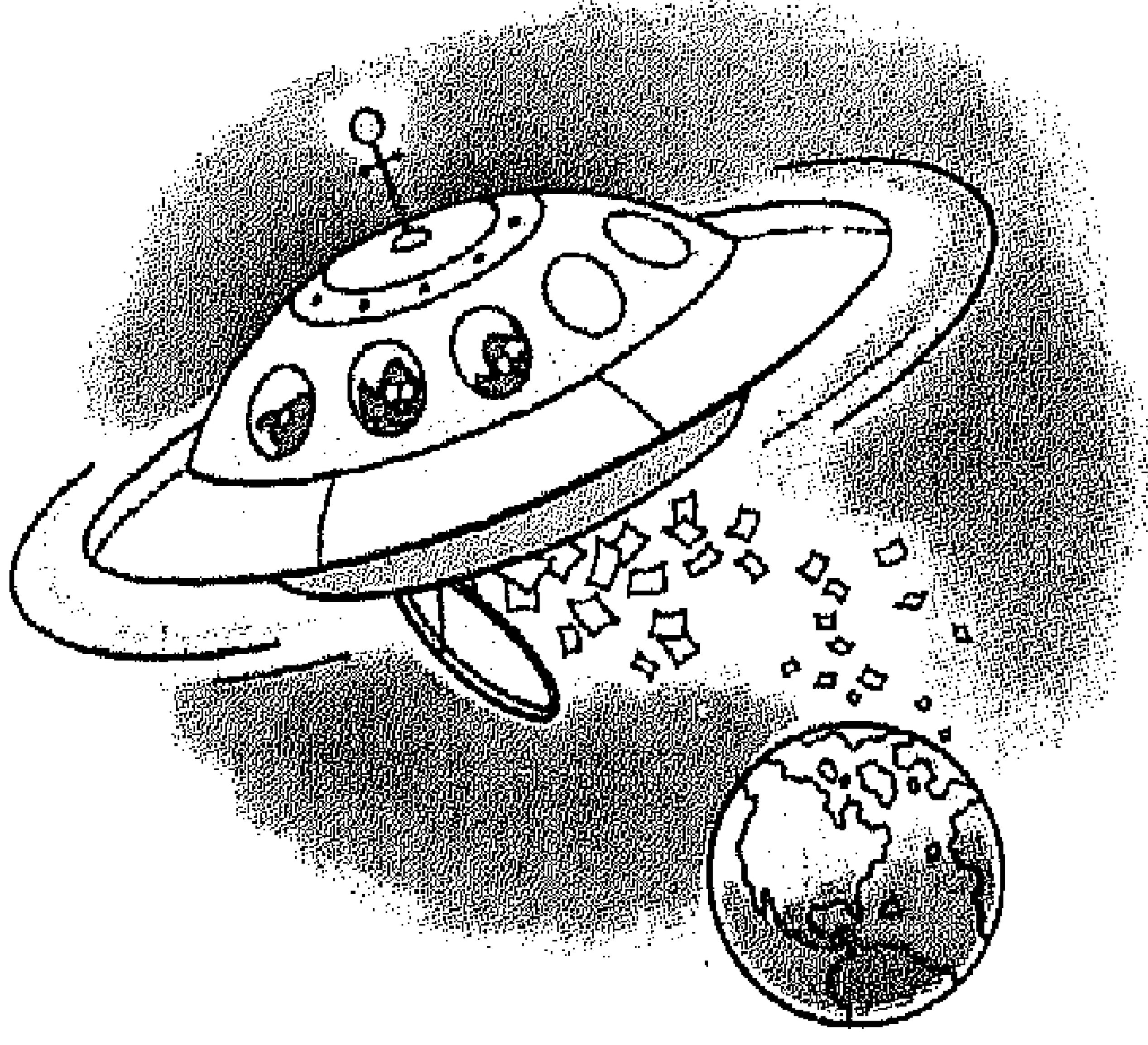
نيدو السريع الذوبان طعمه لذيذ ، يحضر بسرعة ، ويحبه أولادكم بارداً أو ساخناً في الصباح وفي المساء وفي أي وقتٍ من النهار .

نيدو السريع الذوبان

ليَنمو اولادكم ويَنعموا بالعافية

Nestlé. تضمنه نستله

حكايات من العالم



آلة تدخن سجائر!

في بلدة ساندويل الانكليزية: شخصان آليان الكترونيان، بأسم سالي وكارل، يساعدان المراهقين في التخلص من عادة التدخين. والشخصان أبتكرهما موظف في مصلحة التربية الصحية أسمه روبرت بلدينغ، وهما يبدآن التدخين لدى تشغيلهما. وفي أمكان المراهقين أن يروا أثر النيكوتين والقطران في الرئتين.

وكالة الصحافة الكندية

"ابصموا" على لوحاتكم

اعتمد الفنان الأسوجي بنت ليندستروم طريقة لمكافحة السرقات الفنية، وهي مهر الرسم ببصمة ابهامه بعد توقيعه. وهذه الطريقة اقترحها عليه المفتش الشرطي غيرت دانيلسون في أعقاب تزوير ثلاث لوحات للفنان الذي يأمل ان يتبع زملاؤه طريقته.

ويقول دانيلسون: "عن طريق تحليل بصمة الابهام، يمكن كشف صحة اللوحة في خمس دقائق."

صحيفة "السويد اليوم"

بنك للعيون

جزيرة سري لانكا (سيلان سابقاً) هي احدى أفقر دُوَل العالم. لكنها أعطت الأمم المتطورة درساً في العطف بفضل "بنك العيون الدولي" لمؤسسه ورئيسه الدكتور هدسون سيلفا. وهناك نحو ٧٥٠٠ شخص، في مئة مدينة حول العالم، يتمتعون اليوم بنعمة البصر التي أغدقتها عليهم أعيُن المتطوعين من سري لانكا. وقد تبرع أكثر من نصف مليون مواطن من هذه الجزيرة بأعيُنهم بعد الوفاة ليهبوا مزيداً من الأكفاء هذه النعمة.

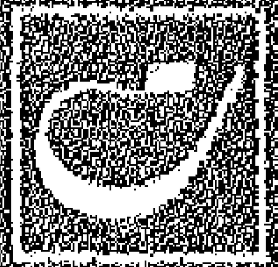
٠١٠١

هاتف المستقبل

بفضل بحّاثي مختبرات "بل" سيحوي هاتف المستقبل جهازاً لكشف بعض الأرقام. فاذا شئت ألا تتحدث مع بعض مخابريك، فسوف يجدون خطك مشغولا على الدوام.

مجلة "سانت لويس"

طيّار في السَبعين


تحفل سجلات المتدربين على الطائرات الشراعية بتفاصيل تتناول ارتفاع الطائرة وسرعة الريح وكثافة الغيوم وما الى ذلك، فضلا من وصف موجز لأول تحليق منفرد أنجزه أحدهم أو امتحان اجتازه أو هبوط عسير كاد ألا يحققه. لكن هذه السجلات نادراً ما تشير الى الاكتشافات والانتصارات التي تحصل داخل الذات. وهذه تخلف آثاراً لا تمحى، ومنها تقدير الطيار لمعلميه واكتسابه اجلالا لقوانين الطبيعة ومواجهته الخوف بموقف شجاع. وأعظم ما تخلفه تلك التجربة من آثار هو ذلك الشعور القوي غير المرتقب الذي يصفه الطيار والكاتب الفرنسي انطوان دو سانت اكزوبري بأنه "تدفّق لحب مجهول الغاية."

وفي ما يأتي قصة شخصية لتحليق من هذا القبيل. وأود أن أبدأ بأني لست طياراً متمرساً. وقد باشرت تمارين الطيران وأنا في الثالثة والستين، استجابة لرغبة قديمة لم يتسن لي تحقيقها قبل ذلك. وتوصلت الى التحليق منفرداً ولم تحصل القصة الآتي ذكرها الا بعد خمس سنوات من ذلك الوقت.

وقد أدخلتها في سجل الطائرة تحت العنوان: "التحليق ٢١٦". التاريخ: ١٢ يونيو (حزيران) ١٩٧٩. الارتفاع: بين ٩٠٠ متر و١١٦٠ متراً. المكان: بلدة كنعان في ولاية كونيتكت. مدة التحليق: ٣٨ دقيقة".

الدلفين الطائر — بين حقل الدرد في كونيتكت والاشجار المرتفعة عند ضفة

Photo: Erik Simonsen/ Shostal Associates

النهر تقوم منصة الانطلاق والهبوط المعشبة. في ذلك اليوم كانت السماء صافية الزرقة فيما الغيوم البيضاء الشفافة تهب شرقاً على أجنحة النسيم. وعند رأس المدرج جلست في طائرة شراعية صفراء تخص "نادي ناتميغ للتحليق" وتعرف بالرقم ٩٠٧. وهي طائرة صغيرة مصنوعة من المعدن والقماش وتحوي مقعداً واحداً مجهزاً بحزام أمان. وكونها طائرة شراعية يعني انها خالية من محرك او جهاز دافع. وبدت تلك الطائرة، بجسمها وذيلها والاثني عشر متراً التي تفصل بين جناحيها، كأن نصفها دلفين والنصف الآخر طائر.

ووقف زميلي اليكس عند رأس الجناح الايمن. وهو ذو شعر أصفر فاتح وعينين زرقاوين، ومن الطول بحيث كان جناحاً الطائرة ٩٠٧ أدنى من خصره. والى الامام زادت طائرة السحب "زولو ٥٨" سرعتها، وارتفع الحبل الذي يصل الطائرتين عن الارض وبات محكم الشد. وركض اليكس وهو يحمل جناحي طائرتي حتى ارتفعت عن الارض وتبعت "زولو ٥٨" الى الفضاء.

والى أسفل كانت الارض الخضراء تموج ونحن ننحرف غرباً عبر النهر، واحداً بعد الآخر. واخترقت أشعة الشمس حجرة القيادة موضحة على اللوحة أمامي الارتفاع وسرعة الريح.

وكانت شمس ما قبل الظهر بثت حرارتها في حافة السهل الغربية التي تغطيها الحجار، وباتت الحرارة ترتفع منها كما من مدفأة كهربائية. وسبقتني "زولو ٥٨" الى اختراق الامواج الحرارية.

وتذكرت أحد التمارين عندما تركت طائرتي تحلق على مستوى أعلى من طائرة السحب. وصرخ فيّ المدرب آنذاك: "أعد طائرتك الى مستواها." وفعلت ما أمرني به، فتابع: "إياك أن تفعل هذا مرة أخرى."

تبادر الحادث الى ذهني فيما كانت الطائرة ٩٠٧ تهتز مثل ورقة في الريح، وهي تحاول الانعتاق كما يحاول مهر جامح التملص من حبله.

وعلى ارتفاع ٦٠٠ متر أمكنني أن أرى تحتي مساحة ألفي كيلومتر مربع من الارض كما يراها نسر مسافر.

وازداد ضغط الهواء. وعلى ارتفاع ١٥٠٠ متر استحالت الامواج الحرارية غيوماً. وساورتني فكرة الخوض في تلك الغيوم والتوجه صوب الشمس، لكنها في الغالب كالاوهام الكاذبة: تنحل في الهواء وتتلاشى.

سلام الاعالي — فجأة ارتفعت الطائرة الشراعية ٩٠٧ كما ترتفع كرة خفيفة. وسجلت إبرة الارتفاع المقارن ٢٧٥ متراً في الدقيقة. ونظرت الى جناحيها الاصفرين القويين وقد حانت لحظة الانعتاق من طائرة السحب وفي التحليقات المنفردة التي أنجزتها سابقاً، كنت أتردد في مثل ذلك الموقف. أما الآن فكان قلبي يغني داخلي وأنا افلت الحبل. وعادت طائرة السحب بسرعة نحو موقعها كطائرة حربية حققت مهمتها.

وانحرفت يميناً كما علموني ثم أعدت طائرتي الى وضع مستقيم وأ[خذت] انظر، عبر اشعة الشمس المتدفقة الى السهل الفسيح وقد خيم عليه سلام الاعالي. أما الطائرة فبدت بلا حراك

معلقة في الفضاء على جناحيها الصامتين.

ترى أين تكون الامواج الحرارية؟ إنها بلا ريب هناك، ولكن من العسير تحديد مكانها. وتذكرت ما لقنني إياه المدربون، فحرفت الجناحين يميناً نحو ٤٥ درجة سعياً الى تلك الامواج. وما هو إلا قليل حتى وجدت نفسي وسط إحداها وقد انتابني إحساس بهيج لا يوصف من نسيان الماديات والاستسلام للفضاء الرحيب الذي غدا والارض من نسيج واحد.

ونظرت الى الابرة فإذا بها تسجل هبوطاً. وهذا يعني أني أصبحت خارج الموجة الحرارية. لكن ما اختبرته - وإن لوقت قصير - كان من الجمال والروعة بحيث لا يمكنني التملص من سحره. لقد ارتفعت عشرات الامتار من غير أن أدري، وانعتقت من كل حس ّ أرضي وأنا أدور على زاوية ٣٦٠ درجة.

بعد ذلك وجدت نفسي على ارتفاع ٦٤٠ متراً فوق حقل الطيران. وأمكنني أن أرى "زولو ٥٨" مثل نقطة بيضاء صغيرة.

إلا أن ذلك الارتفاع كان يسمح لي بتعقب موجة حرارية اخرى. واتجهت نحو غيمة بيضاء متراكمة كانت علامة أكيدة على تيار هوائي مرتفع. وأسرعت نحوها علها تحملني الى فوق، حيث تنتهي عند ارتفاع ٩٠٠ متر كما تراءى لي.

وانتظرت هناك قليلا. وفجأة رفعتني الغيمة، فانحرفت بالطائرة يساراً على أمل البقاء ضمن تيارها. وارتفعت معها بمعدل ٢٠٠ متر، ثم ٢٥٠ متراً، ثم ٣٠٠ متر في الدقيقة. لكنها ما لبثت أن اضطربت وأفلتت من نطاقي.

ثم رأيتها تتجه شرقاً. ورحت أتبعها حتى أحسست، وأنا على ارتفاع ٤٩٠ متراً، أن الطائرة تنخفض، وما لبثت ُ أن وجدت نفسي ضمن غيمة تهدد بالسوء. وتذكرت قانون الطيران الامريكي الذي يحظر التحليق في أي ظرف ضمن ١٥٠ متراً تحت غيمة تراكمية، لان قوتها العاتية قد ترفع الطائرة وتُفقدها توازنها. وفي مباراة للتحليق جرت قبل سنوات، اتجه ١٦ طياراً المانياً الى غيمة رعد فوق جبال الرون. وهناك* سحبتهم التيارات الهوائية الصاعدة. واستطاع ١٤ منهم الخروج من المأزق لكن اثنين ارتفعا ٩٠٠٠ متر ثم ١٢ ألفاً. وهبط احدهما بمظلته، فيما استحال الآخر تمثالا من جليد وهوى الى موته عن ارتفاع ١١ كيلومتراً.

إلا أن الغيمة التي جاورتها ذلك النهار الرائق من شهر يونيو (حزيران) أخذت تفقد كثافتها وتنفصل السحب عن أطرافها. وخُيل اليّ أني أشهد ولادة غيمة وموتها في ذاك الموضع من الفضاء.

وبينما أنا ادور في الموجة الحرارية الضعيفة تحت الغيمة المتضائلة، شاهدت قطيعاً من الاوز الكندي وخُيل اليّ أني أسمع زعيق أفراده. ومنذ ذلك الوقت بت ُّ أتمنى أن أعيش ساعة موتي تلك اللحظات وأنا في طائرتي الشراعية تحت عين الشمس والغيوم التي تتوالد منها السحب وفوق ذلك القطيع من الاوز البري.



مقياس الأناقة
RADO رادو
مقياس الأناقة . مقياس المتانة . مقياس الزمن
RADO
QUARTZ
Mod. dép.

لكن رحلتي شارفت نهايتها. وسمعت، وأنا انحرف بالطائرة استعداداً للهبوط، ليّ جناحيها. وبدأت ادور بالطائرة لقطع الامتار الـ٤٩٠ الاخيرة التي تفصلني عن الارض.

فرخ النسر – ليس في الحياة تجربة أروع من الدوران للمرة الاولى. فالمرء يجد نفسه، وهو فاتح عينيه، ضمن حلم يفوق الوصف، وهو على وشك الصراخ من الفرح وقد سمره الحزام في مقعده وراح ينظر الى أسفل فيما الطائرة تهبط عمودياً مثل صاروخ. ثم يقول لنفسه: "يا الهي! ترى أينفصل الجناحان عن بدن الطائرة كورقتي خريف؟"

لقد اختبرت الدوران مع مدربين أكثر من عشر مرات. أما الآن فأنا وحدي. وارتفع هدير الطائرة، فتذكرت ما كان يقوله المدرب: "ضع الموجه الى الامام... والآن الى الوراء بهدوء". وفعلت هذا، فاستقرت حركة الطائرة وأخذت تهبط بسلام.

وأحسست مرة اخرى أن قلبي يغني. وانفجرت المشاعر الحبيسة بطلقة واحدة من غير كلام. واختبرت "تدفق الحب" الذي تكلم عنه الكاتب الفرنسي سانت اكزوبري، وخلته يلف الطائرة والسماء والغيم والارض جميعاً.

غير أني، وأنا أعيش تلك اللحظات التي تجلّ عن الوصف، لم أحس رغبة أو إرادة تدفعني الى تتبع موجة حرارية من جديد. والطيارون الشراعيون يقولون إن ثمة حساً داخلياً يجعل واحدهم يدرك أن تحليقه انتهى، كما يدرك المؤلف الموسيقي الموضع الذي يبدأ فيه نهاية قطعته.

وهناك كلمة اود توجيهها الى كل من يظن أن أبواب الحياة اوصدت دونه، وهي أن وقتاً يأتي ليضع كلّ منا اموره في سياقها الذي طالما طمح اليه. وهذا ما حصل لي إذ تعلمت الطيران بعد طول انتظار، وبتّ وطائرتي رفيقين للرياح والغيوم، للسماوات والعقبان، ونحن نرتفع معاً في التيارات الصاعدة بقوة الشمس.

وعدت وطائرتي نحلق فوق البحيرة التي اجتزناها، ولم يبقَ بيننا وبين حقل الطيران سوى ١٦٠٠ متر شرقاً. وحرّكتُ العمود الى الامام وحرفت الجناحين ٣٠ درجة، ثمّ نزلت كفرخ النسر المتهلل في رجوعه الى العش.

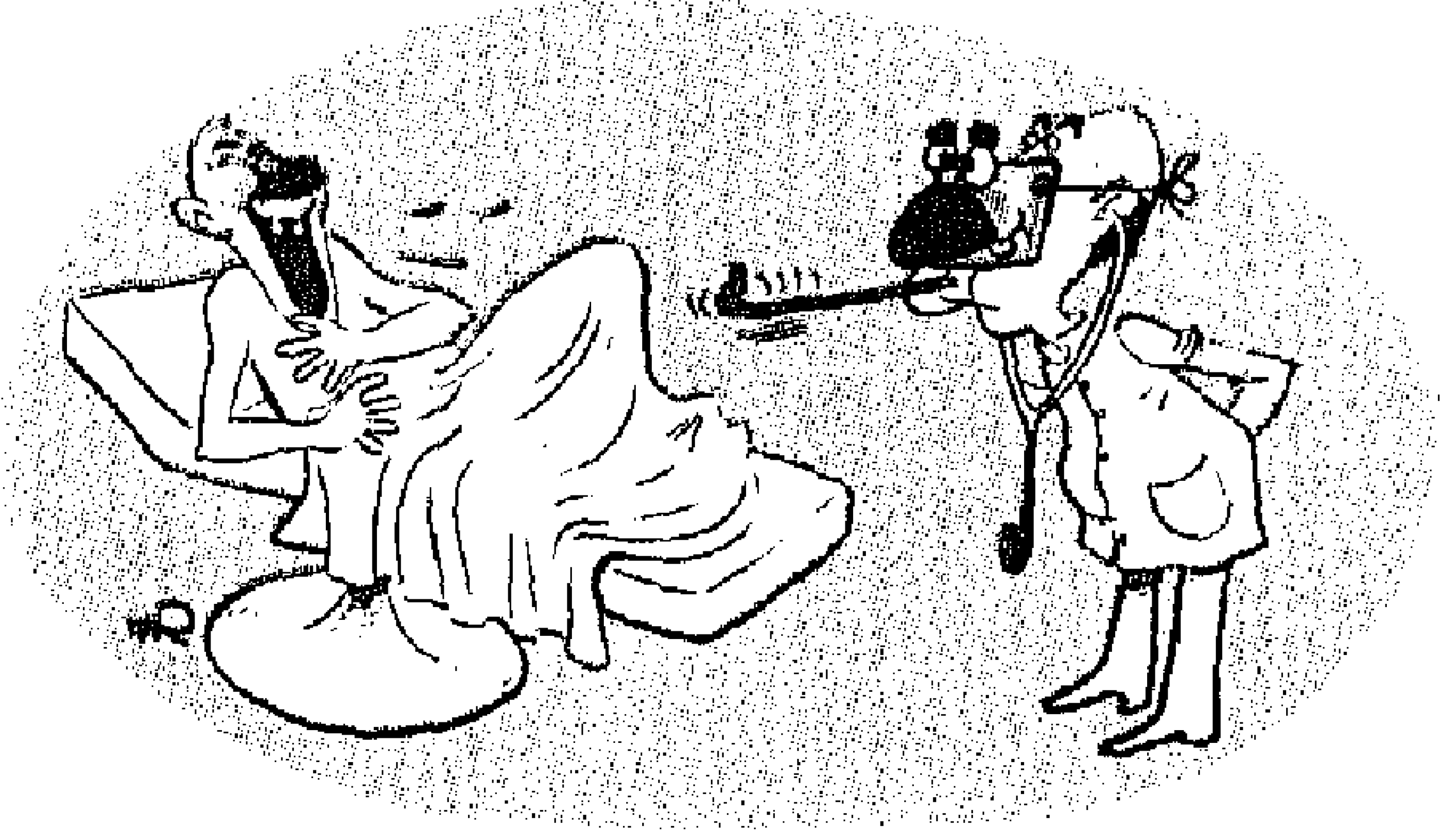
وانزلقت الطائرة قليلا فوق العشب قبل أن تتوقف وتنتهي رحلتنا معاً. وفككت حزام المقعد وأزحت الغطاء وقفزت الى العشب الذي غطى قدمي حتى الكاحل.

وكانت لي دقائق ثمينة أمضيتها هناك وحيداً. وعلى رغم أن أهم ما يتعلق برحلة من هذا النوع هو ما يبقى في الذاكرة، إلا اني اخرجت الدفتر لتدوين التفاصيل العادية. وتناولت القلم من جيبي ووضعت السجل على جناح الطائرة المائل الى أعلى. ووسط رائحة العشب المنعشة وجمال العودة الى الارض، وقفت أدون تفاصيل الرحلة ٢١٦.

وفي خانة الملاحظات كتبت الآتي: "اخيراً تحقق حلمي – لقد بتّ أطير."

■ روبرت اوبراين

الضحك خير دواء



المريض والحبوب الملونة

وقف الطبيب يكرر تعليماته: "الحبوب الصفراء لمعدتك، والحمراء لكبدك، والبيضاء لقلبك. هل فهمت الامر جيداً؟"

- بالنسبة الي، لا مشكلة، ولكن هل فهمت الحبوب نفسها الى أين تذهب؟

صحيفة "دير شتيرن" المانيا

القناعة كنز لا يكفي

في عيد ميلاده، قص ابني قطعتين من قالب الحلوى وقدمهما الى اخته التي أخذت القطعة الكبرى. فاحتج هو قائلاً: "هذا لا يجوز. ولو كان الأمر عائداً إلي، لأخذت القطعة الصغرى".

فأجابت هي بحزم: "هذا ما حصلت عليه! فلماذا تشتكي؟"

ب.م.

من نوادر المحامين

فتح محام متخرج حديثاً مكتباً انيقاً في مبنى ضخم وسط العاصمة. وبعد أيام من الانتظار دخل رجل. وقبل ان يجلس رفع المحامي سماعة الهاتف وأخذ يتحدث: "نعم، نعم! وماذا قالوا لك؟ ان مكتبنا هو الافضل؟" ثم أشار الى الرجل بيده لكي يجلس، وتابع: "لكننا لن نذهب الى المحكمة من أجل هذه القضية البسيطة، بل سنحولها الى مكتب آخر. وهي رابحة لا محالة. ستخابرنا غداً؟ هذا مستحيل فاننا سنكون في روما، وبعدها في باريس. ولكن لا تقلق، فالمسائل كلها سُويت. يكفي أن تترك معاملتك مع احدى سكرتيراتنا، وهي تحيلها على المكتب المختص."

ووضع المحامي الشاب سماعة الهاتف، وقال لزائره: "كيف يمكنني أن اساعدك؟"

- شكراً، شكراً، فأنا لا أحتاج الى مساعدة. لكن شركة الهاتف أرسلتني لتركيب خط لهاتفك.

صحيفة "ريساس دومينيكاناس"
جمهورية الدومينيك

قصاص المعلمة

اجتازت معلمة مدرسة بسيارتها اشارة مرور حمراء، فأوقفها شرطي السير. ولما عرف أنها معلمة، طلب منها ان تكتب "علي أن أقود السيارة على مهل في المدينة" مئة مرة قبل ان تتابع طريقها.

ر.ك.

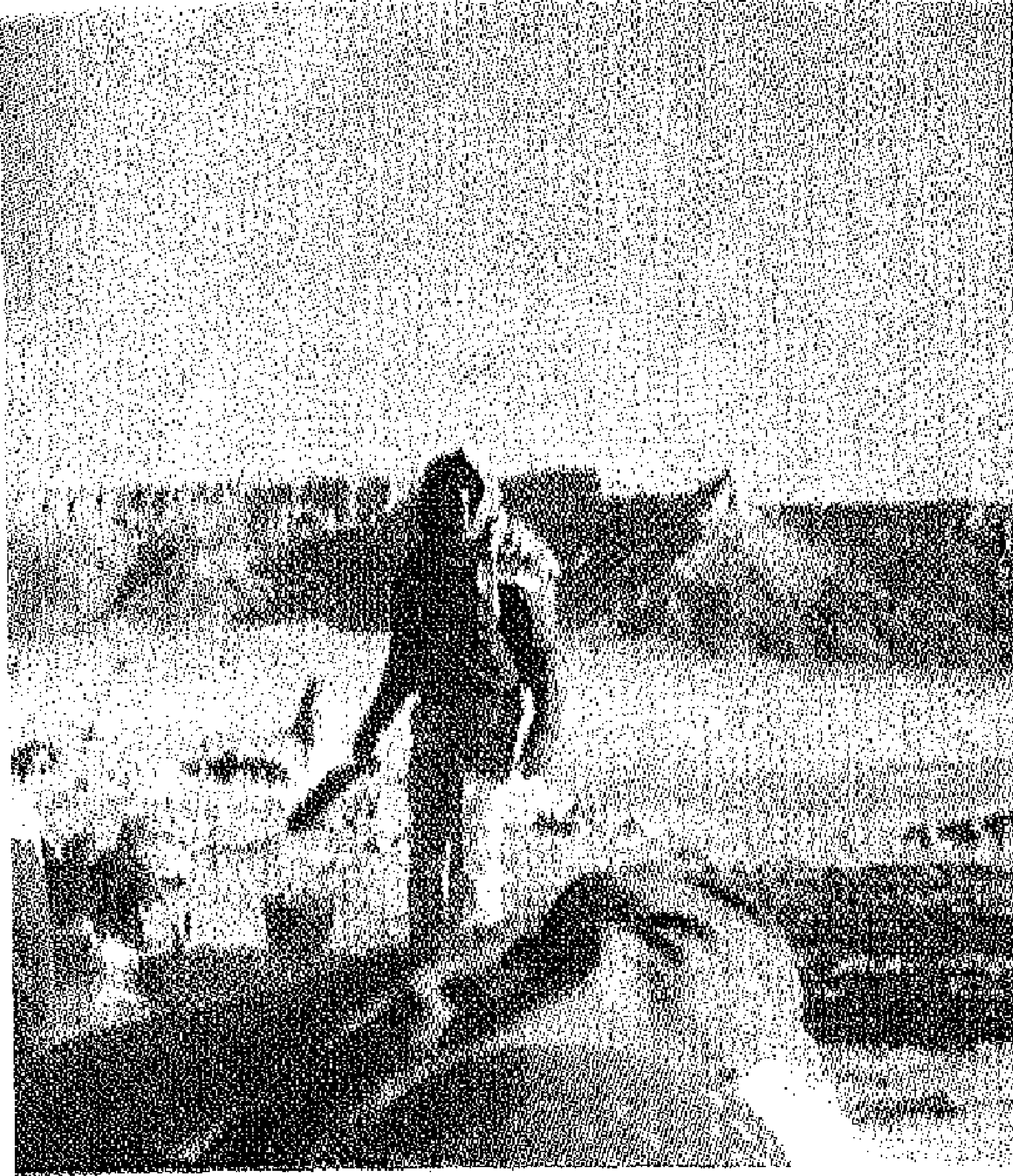
صباح الخير!



نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب ،
تجعل نهارك مليئاً بالحيوية والنشاط .
إشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت ، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الغنية .
نسكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية سريعة التحضير.

نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.

PI 2960



السعودية: حفريات اثرية تكشف حضارة عمرها ٧٠٠٠ سنة

علماء الآثار السعوديون يعيدون اليوم كتابة تاريخ شبه الجزيرة العربية ويبرهنون ان ارضهم كانت على خريطة العالم المأهول قبل ٧٠٠٠ سنة

تشرق شمس الصباح فوق أرض الحجاز وتلقي أشعتها على الهضاب والتلال الصخرية الناتئة من الرمال الذهبية فتصبغها بألوان الكميت والكهرمان. وعبر هذه الارض الجدباء ذات المناظر الخلابة يمتد شريط أسود من الأسفلت انطلاقاً من المدينة المنورة الى دمشق. هذه الطريق الكبرى تمر بعدد لا يحصى من الواحات الصغيرة والقرى التي تقوم على مقربة من اودية هي اليوم، كما كانت في القدم، موطن الحياة العربية.

وعلى بضع مئات من الكيلومترات شمال غرب المملكة العربية السعودية، وعلى مسافة عشرة كيلومترات من نهاية الطريق عند مدينة العلا، تقوم مدائن صالح القديمة. هناك تتحول الصحراء المنبسطة نتوءات من الصخور الرملية. وترتفع مقابر ضخمة محفورة في الصخور يبلغ علوها نحو اربع طبقات، وقد شيدها الأنباط وهم قوم من العرب ازدهرت حضارتهم قبل الاسلام. وتوحي هذه المقابر بأثر هيليني (اغريقي) في فن العمارة، حيث احيطت المداخل بأعمدة وتيجان



عمال يحفرون في احد اهم المواقع الاثرية في المملكة العربية السعودية، في مدينة الفاو القديمة التي اكتشفت تحت كثبان الرمل على طرف الربع الخالي جنوب المملكة.

مزخرفة زينت بالنقوش المستديرة والنسور والأجران.

قلة من الزوار الاجانب، وحتى من علماء الآثار، اتيحت لها رؤية هذه الأطلال وألوف الآثار الأخرى المتبقية من الحضارات التي قامت قبل الاسلام فوق رمال المملكة الواسعة. ولكن اليوم، فيما تندفع المملكة العربية السعودية في طريق التحديث، فانها تلتفت بكبرياء لتلقي نظرة على ماضيها. وهي تنفق بسخاء ملايين الريالات على مئات المواقع التي تجرى فيها حفريات دؤوبة لنبش آثار تاريخها القديم والاسلامي.

يعود الفضل الاول في اطلاق هذه الحملة الى جهود عالم آثار سعودي وُلد في مكة المكرمة وأسمه عبدالله المصري. وهو شاب في الخامسة والثلاثين يشغل منصب المدير العام للآثار والمتاحف ويجسد التيارات الفكرية والاجتماعية المتقاطعة التي يتميز بها المجتمع السعودي في محاولته تحقيق العصرنة من دون ان يفقد قيمه التقليدية. ومع ان المصري تلقى علومه في الغرب فان جذوره الفكرية تتغلغل عميقاً في تاريخ بلاد العرب.

وتجري فرق من علماء الآثار في اشراف المصري مسحاً شاملا للبلاد. والمملكة تمول الحفريات وتشرف عليها. كما ان المجلس الاعلى للآثار، الذي أنشأه المغفور له الملك فيصل عام ١٩٧٢، منح المصري سلطة إيقاف اي مشاريع صناعية حتى يتم التعرف على الآثار المكتشفة، كذلك

نزع ملكية اصحاب الأراضي التي تتقرر مباشرة حفريات فيها او اجراء ترميمات على آثارها · كما انه يفرض عقوبات صارمة على من يشوه او يسطو على بقايا أثرية·

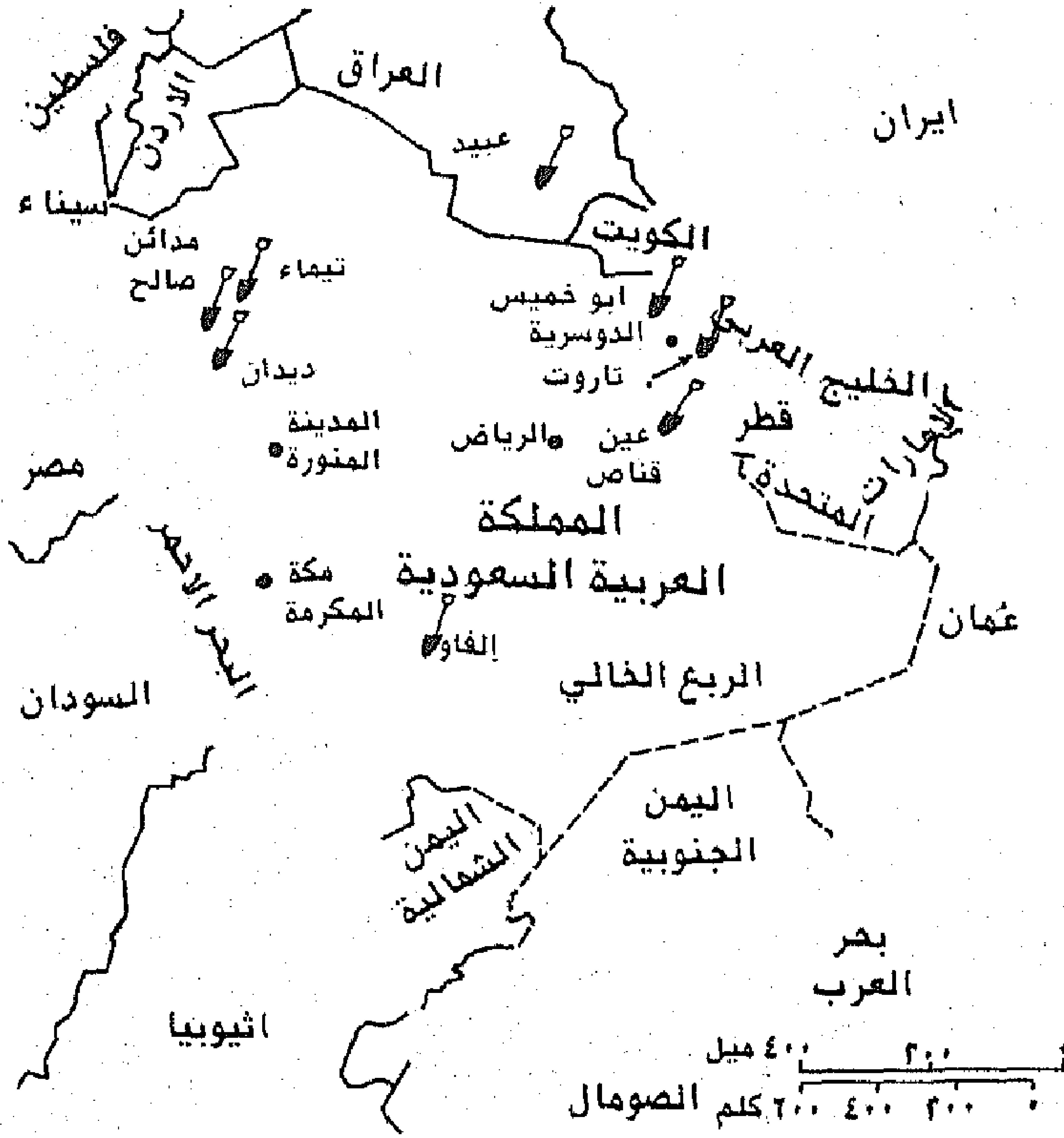
وعلى غرار ذلك تمول حكومات البحرين وقطر وعمان ودولة الامارات العربية المتحدة أعمال تنقيب عن تاريخها الذي أُهمل طويلا· وهي تستقدم خبراء أجانب وتشيد المتاحف وترمم القلاع والسدود والمساجد وتكشف الأطلال الباقية· ولكن بين كل الجهود التي تبذل لبعث التراث العربي، تظل جهود المملكة العربية السعودية هي الأبعد طموحاً والأفضل تنظيماً والأوفر تمويلا· وستشيد في وقت قريب متاحف في انحاء البلاد، بما في ذلك متحف وطني جديد يقوم على مساحة ٤٠ هكتاراً وسط مدينة الرياض· وقد رصد لدائرة المصري مبلغ ضخم هو ٣٤٤ مليارات ريال سعودي، لتنفق بين العامين ١٩٨١ و١٩٨٥·

معبر الحضارة ـ ما زالت الحفريات في بدايتها، لكن الدلائل التي عثر عليها تشير الى ان شبه الجزيرة العربية كان موطن قوم من المزارعين وصيادي السمك لهم حضارة قروية شديدة التعقيد ترقى الى ٧٠٠٠ سنة·

وبحكم موقعها الجغرافي بين وادي النيل ووادي الفرات، ربطت هذه المنطقة أواصر وطيدة بمهدَي الحضارة العظيمين· ويبدو ان القطاع الشرقي من المملكة كان مأهولا بكثافة قبل ٧٠٠٠ سنة ويقطن فيه احد أقوام العصر الحجري الحديث، وفي اواسط السبعينات اكتشف المصري أدلة على مجتمع بشري أشد تعقيداً مما كان يظن· وقد تمت حفريات في ثلاثة مواقع: عين قناص والدوسرية وابو خميس على الخليج العربي· وتبين ان السكان كانوا مزارعين يبنون بيوتهم بالقصب وملاط الكلس ويؤوون قطعان الغنم والماعز في حظائر· كما بدا انهم كانوا يصطادون في مياه البحر القريب· وتوحي قطع الخزف التي عثر عليها في هذه المواقع، والتي يُعرف انها صُنعت على بعد مئات الكيلومترات شمالا في البلاد التي تعرف اليوم باسم العراق، بأن السكان كانوا تجاراً على نطاق واسع ويحتفظون بعلاقات تجارية وطيدة مع سكان بلاد ما بين النهرين·

ويقول عبدالله المصري: "اننا أثبتنا بوضوح ان العربية السعودية كانت على خريطة العالم المأهول قبل ٧٠٠٠ سنة، وكان سكانها يزرعون ويدجنون البقر والغنم والماعز· كما كانت لنا حضارة قروية على أرض طالما نسبها الناس الى البدو الرحل·"

حتى ٩٠٠٠ سنة خلت، ظلّ قلب الجزيرة العربية أرضاً مخضلة بالبحيرات والمراعي تزخر بالغزلان وأفراس النهر. وكان صيادو العصر الحجري القديم منتشرين في أرجاء الربع الخالي جنوب العربية السعودية، وهو اليوم أرض بلقع محرقة تكاد تخلو من كل أثر للحياة· وحين توقف هطول المطر وجفت



البحيرات هاجر الصيادون بحثاً عن الغذاء والماء، فوصلوا الى ساحل الخليج العربي، الى القطاع الشرقي الغني بالنفط اليوم.

في العام ١٩٧١ عثر المصري وزملاؤه، عند مستوى من الارض يرقى الى نحو ٧٠٠٠ سنة، على أدوات حجرية رائعة وأوعية وكؤوس وجرار من الطين الأصفر الضارب الى الخضرة، عليها نقوش بالاسود والبني المحمر. هذه التحف مماثلة لقطع خزفية عُثر عليها في منطقة عُبيد في العراق التي كان يقطن فيها أسلاف السومريين الذين أخرجوا الى العالم أول كتابة واحدى اولى الحضارات الحقيقية.

وتلاقي هذه المكتشفات ارتياحاً خاصاً في دائرة الآثار الجديدة في جامعة الملك سعود في الرياض. فهذه الدائرة التي أُنشئت عام ١٩٧٨ تضم الآن ٣٠٠ طالب وترصد للحفريات موازنة مالية سنوية تبلغ مليوناً ومئتي الف ريال سعودي. رئيس هذه الدائرة هو الأستاذ عبد الرحمن الأنصاري الذي أسس عام ١٩٦٦ الجمعية العربية السعودية للتاريخ وعلم الآثار. وتضم الكلية علماء عرباً متفوقين من الاردن وسوريا والعراق والسودان ومصر، كالأستاذ جمال مختار الرئيس السابق لقسم الآثار لدى الحكومة المصرية. ويرسل العديد من الطلاب الى الخارج للتدريب العالي، اذ أن

المملكة العربية السعودية، على نقيض إيران والعراق ومصر والاردن التي يتوافر فيها عدد كبير من علماء الآثار، لا تزال تفتقر الى الأشخاص المدربين لأنها كانت في السابق مغلقة امام اي اعمال تنقيبية.

مهمة مزدوجة – طوال السنين العشر الاخيرة ظلّ عبدالله المصري يشرف على حفريات في احد أهم المواقع الأثرية في المملكة العربية السعودية، وهو مدينة الفاو التجارية القديمة التي ازدهرت ابتداء من القرن الثاني قبل الميلاد حتى القرن الخامس الميلادي، وربما كانت العاصمة القديمة لمملكة كندة في جنوب شبه الجزيرة العربية. وقد عثر عليها تحت كثبان الرمل عند سفح منحدر صخري على حافة الربع الخالي الرهيب. واكتشف الأنصاري وطلابه سوق المدينة والمعبد والقصر الملكي ومقابر الأشراف وجزءاً من الأحياء السكنية. كما عثروا على الوف المصنوعات الحرفية بما في ذلك أوعية خزفية وتماثيل من المرمر وكتابات تظهر ان المستوطنة كانت محطة رئيسية على طريق القوافل.

وموقع الفاو ليس سوى واحد من مئات المواقع في المملكة العربية السعودية التي تنتظر معاول المنقبين عن الآثار. فطوال قرون ظلّ العرب يتحكمون بتجارة البخور والمر، وهما من الأفاويه والأطياب التي جعلها استخدامها في الطقوس الدينية والحياة الأجتماعية موادّ لا غنى عنها في العالم القديم كالنفط في أيامنا.

كذلك كانت جزيرة تاروت الواقعة على الساحل الشرقي قرب الظهران مستودعاً تجارياً مهماً ابان ازدهار تجارة الخليج في الألف الثالث قبل الميلاد. ثم انتعشت مرة أخرى – بعد طول انحطاط – مع تدفق الاغريق عليها بعد ألفي سنة من ذلك العهد. وهناك أيضاً ملتقى الطرق التجارية في ثاج ونجران ومدائن صالح ونجود منطقة عُفير، حيث استخرج الذهب للملك سليمان. ثم هناك المدينة الاسطورية الضائعة. "الجرهاء" على الساحل الشرقي حيث كانت البيوت، بحسب وصف المؤرخ الاغريقي آغاثاركيدس في القرن الثاني قبل الميلاد، "ذات أبواب وجدران وسقوف مرصعة بالعاج والذهب والفضة والحجار الكريمة."

ان المواقع الاثرية في المنطقة الشمالية الغربية وحدها تُعطي لمحة عما يزيد على ألفي سنة من تاريخ شبه الجزيرة العربية. فهناك المدينة التجارية القديمة "ديدان" التي قامت على طرق قوافل الأفاويه المارة من جنوب شبه الجزيرة العربية الى البحر الابيض المتوسط. كذلك الاطلال السامقة لسد قصر البنت الذي يرقى الى عهد النبي محمد (صلعم).

اما واحة تيماء، وكانت مركزاً تجارياً قديماً في شمال غرب شبه الجزيرة، فلا تزال مأهولة حتى اليوم وكثير من سكانها يعيشون داخل سور من الحجر الرملي عمره ٣٠٠٠ سنة ويمتد ستة كيلومترات في الصحراء. وتيماء هذه حيرت علماء الآثار أمداً طويلا لأنها كانت مقر نابونيد آخر ملوك بابل، وهو الذي جعلها مركزاً

لعبادة القمر ومقراً لقيادته نحو عشر سنين بدءاً من العام ٥٥٠ قبل الميلاد.

وتقول كتابات منقوشة انه جعل المدينة "مجيدة" وشيد فيها صرحاً "وعلى مثال قصر بابل بناه." ويحتمل ان يُعثر على هذا القصر تحت المدينة الحديثة.

ولا يجد عبدالله المصري الطريق ممهدة امامه دائماً. فبعض المحافظين لا يرتاحون الى تركيزه على الماضي القديم وهو بالنسبة اليهم عصر الجاهلية الهمجي. لذلك يدرك المصري ومعاونوه أن عليهم الخطو بحيطة وحذر. وفي حين تجرى الحفريات في المواقع التي تعود الى ما قبل الاسلام، تُنفق الاموال كذلك على ترميم الآثار التي تعود الى العصر الاسلامي. ومن هذه أطلال درب زبيدة - أو طريق الحج - وهي سلسلة من أحواض الماء بنيت قبل ١٠٠٠ سنة كمحطات على الطريق التي يسلكها الحجاج من بغداد الى مكة المكرمة. كذلك يعاد بناء مدينة الدرعية القديمة مهد الدعوة الوهابية التي انطلقت في القرن الثامن عشر، والقصر المربع المبني بالحجار الطينية في مدينة الرياض وكان مقر المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية الحديثة.

ويبدو ان البحاثين السعوديين لا تثبط همتهم مصاعب الماضي. ويقول احد طلاب علم الآثار الشبان في جامعة الملك سعود في الرياض، وعمره ٣٢ سنة، معبراً عن مشاعر اترابه السعوديين: "لقد تغير كل شيء. فالقرآن الكريم يذكر الحضارات القديمة في آيات عدة. وعلينا ان ندرس التاريخ لكي نعرف كيف كانت تلك الأقوام تعيش. لقد أعطى علماء الآثار الاوروبيون انطباعات خاطئة عن شعبنا، ومن واجبنا ان نصحح الخطأ. نحن نريد ان نكتب تاريخنا بأنفسنا."

واعمال عبدالله المصري ريادية من نواح كثيرة. وهو يوضح ذلك قائلا: "ان غالبية شعبنا تفتقر الى التدريب ولا تلقي بالا الى التقنية الحديثة. والمتاحف ستملأ فراغاً في معرفتنا الشعبية وتساعد في التصدي لبعض الافكار."

ويرجو الباحثون ان تملأ المكتشفات الأثرية في المستقبل ما بقي حتى الآن مجرد خطوط هيكلية لتاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الأسلام. فما هي التغيرات المناخية التي أحالت تلك الارض صحراء قاحلة بعدما كانت ذات يوم منطقة خصبة مارعة تقطن فيها الأسود والوعول وأقوام من العصر الحجري؟ والى اي مدى تكون منطقة شبه الجزيرة العربية خدمت الانسانية كمعبر لحضارة بلاد ما بين النهرين التي ظهر اثرها في قيام حضارة وادي النيل وسلالة الفراعنة في الالف الرابع قبل الميلاد؟ ولماذا كان عدد السكان في العام ٢٠٠٠؟ قبل الميلاد اكبر منه في عهد ولادة عيسى عليه السلام؟

هذه بعض تساؤلات قد يجد البرنامج الجديد للتنقيب عن الآثار أجوبة عنها.

■ روبرت رينولد



الله... كان معه

عندما انتزعت القميص عن جسد طفلها المحروق، علِق جلده بيدها، وسمعت صراخاً ومعه صوت ابنها: "اماه! انك تخيفينني." أما الصراخ فكان نشيج بكائها

"انظري يا أماه! إن معي صديقاً."

قال جوي هذا وقد أشرقت عيناه العسليتان وهو يدخل البيت عائداً من المخزن، وفي يده علبة سكر أوصيته بشرائها ونصيبه من الحلوى، ومعه صديق تعرّف عليه حديثاً اسمه تيري.

وأضاف جوي: "أتسمحين لي بأن أخرج معه لنلعب؟"

ان الحياة ليست خالية من التعقيد بالنسبة الى صبي في الخامسة يعيش في منزل مع خمس أخوات وأخ في السابعة عشرة وأم مطلقة تعمل بعض النهار خارج المنزل. وأجبته وقلبي يتقمّص أحاسيسه: "نعم يا جوي، ولكن لا تغادر ساحة المبنى."

ولم أكن أعرف، عصر ذلك السبت من شهر مارس (آذار) ١٩٧٠، أن تيري، الصبي الجميل ذا العينين الزرقاوين والشعر الرملي الاحمر الذي يبلغ التاسعة، كان ذا تاريخ طويل في

Illustration: Anoris le Mans.

إضرام النار عمداً في المباني والممتلكات. وكيف لي ان أعرف ان محكمة الأحداث اتهمته، قبل يوم واحد، باشعال حريقين في بلدة جاكسون بوينت التي نسكنها في مقاطعة اونتاريو (كندا)، وانه أُطلق بكفالة من أمه؟

وسرعان ما وجّه تيري وجوي أنظارهما الى الساحة المجاورة، حيث يقوم كوخ للصيادين قرب البحيرة المتجمدة. ولما كان الباب مقفلاً، خلع الصبيان سترتيهما وتسلقا الى السطح، ومنه تسللا الى الكوخ عبر مدخنة لا يزيد اتساع فتحتها على العشرين سنتيمتراً. ووجد تيري وعاء مليئاً بالوقود، فحمله وصب محتوياته فوق سلة من السمك الصغير وأشعل النار بعود ثقاب.

وصرخت ابنتي بات ذات الاثنتي عشرة سنة: "أخي جوي يحترق." وخُيّل اليّ أني أعيش كابوساً وأنا أنزل السلم خلف ابني الكبير بوب (١٧ سنة) وخمسة من أصدقائه. ثم وقع نظري على رأس تيري وذراعه اليمنى وهو يصارع النار على سطح الكوخ. وقال لي وأنا أنظر الى عينيه: "جوي في الداخل."

"اصمد يا ولدي" — فتح أحد الاصدقاء باب الكوخ ودخل بوب وسط اللهب. وكان جوي يرتعد وهو قابع وراء صفيحة معدنية. وأمسكه أخوه وحمله خارجاً، ثم حاول عبثاً تحرير تيري من فتحة المدخنة المشتعلة. وحملتُ جوي بين ذراعي وأسرعتُ الى المنزل حيث وضعته على سريري. وعندما نزعتُ عنه القميص، علق جلده بيديّ. وسمعتُ صراخاً ومعه صوت جوي: "أماه! "أماه! انك تخيفينني." وكان الصراخ نشيج بكائي.

ووقف شرطي عند الباب وقال: "لفيه بملاءة، وسآخذكما الى الطبيب." وكانت جموع الناس محتشدة خارجاً. وعرفت، وأنا خارجة، ان تيري مات. ورحتُ أقول لنفسي: "اصمد يا جوي! لا تمت! لا تتركني يا ولدي."

وبعدما عاين الطبيب جوي نقلته سيارة اسعاف الى المستشفى. ومشيتُ في محاذاة الحمالة التي رفعوه عليها وأنا أبكي وأقول: "انه ابني، ويجب ان ألازمه. انه سيموت!" وبقيتُ أقول هذا الى ان جاءت ممرضة واعترضت طريقي. بعد ذلك وجدتُ نفسي في قاعة مضاءة، حيث كنتُ أسمع جوي يبكي من فرط ألمه. وشكرتُ الله لأنه ما زال حياً، ولكن آلمني كثيراً ألا أكون بجانبه.

ووجدتُ هاتفاً عمومياً في القاعة. ومن هناك خابرتُ أخي في بلدة ميسيسوغا. ووجدتُ في صوته تشجيعاً لي على الكلام، فتمتمتُ قائلة: "يا مارشال، لقد احترق جوي!" وكان مارشال سمع الخبر على الراديو، واقترح أن يوافينا الى مستشفى الأطفال في تورنتو الذي يحوي جناحاً خاصاً بالحروق.

وفيما نحن ندخل المدينة وسط صفارات الاسعاف، قال جوي هاذياً: "عليّ أن آتي بالسكر الى البيت يا أمي." ووجدنا مارشال ينتظرنا عند

مدخل الطواريء. وعندما قال جوي: "مرحباً يا خالي مارشال،" عرفتُ أنه استعاد وعيه.

وفي غرفة المستشفى وقفتُ أمام سرير جوي. وأخرجتني ممرضة الى حيث مارشال وزوجته فيليس. وغاب عني كل احساس في ما عدا يدي فيليس، ولم أسمع الا صوتها يطمئنني: "انه سيعيش! انه قوي كأمه." وسأل أحد الأطباء عن مساحة الغرفة التي احترق فيها جوي، فقلت: "انه كوخ صيادين أيها المغفل!" وانبرى مارشال قائلا: "ان معرفة المساحة ضرورية." فالأطباء يريدون تكوين فكرة عن مقدار الدخان والهواء الساخن اللذين تنشقهما جوي.

تحت الماء — قال أحدهم: "يمكنك مشاهدة ابنك الآن." ودخلت الغرفة، فاذا بعينَي جوي مطبقتان في وجه ينتفخ بسرعة. ومن رأسه الى خصره، بدا أن مكاناً واحداً لم ينجُ من الحريق. ونظرتُ الى يديه المتورمتين، ثم نزعتُ عنه الغطاء لأرى رسغاً في قدمه موصولا بالحقن التي تحمل الدم والسوائل الى جسمه. ملَّستُ شعره البني القاتم، فهمس في اذني: "ابقي معي يا أمي. أنا خائف."

ولم أدعه يعرف أني أنا الاخرى خائفة. وحاولتُ المحافظة على ثبات صوتي وأنا أقول له: "انكَ في مستشفى يا جوي، حيث لديك أصدقاء كثيرون سيعتنون بك جيداً كي تبرأ." وبعد قليل غفا، فانتابني الذعر وقلت لنفسي: "اذا تركته، فان ارادة الحياة التي اكنها له لن تبلغه، لذلك ينبغي ان أبقى معه." ويبدو أن ممرضة هناك قرأت أفكاري، فوضعت يداً فوق كتفي وقالت: "ارتاحي ما أمكنتك الراحة. وكوني على ثقة بأن جوي قوي. ولو لم يكن قوياً لما صمد بعد هذا الحادث. انه سيعيش."

وأخذني مارشال الى بيت أمي في طرف تورنتو الغربي. ولما جلسنا حول طاولتها في المطبخ، ما انفكت تقول لي ان أُبقي ايماني بالله قوياً. ورحتُ أصلي لابني جوي ولأولادي الآخرين، ولنفسي أيضاً كيما يمنحني الله القوة. ورافقتني أمي الى السرير كما لو كنت طفلة. وغفوت وأنا أتمتم: "يا ألله، لا تأخذ جوي! أرجوك أن تمنحه الحياة."

ولما أفقتُ خابرت أمي المستشفى. وأمسكتُ قلبي الى أن سمعتها تقول: "أجل، انه ما زال صامداً." وسرعان ما وجدتني مع مارشال في غرفة جوي، ونحن نرتدي ثوبين وقناعين بيضاً. وكان النصف الأعلى من جسد جوي منتفخاً وقروحه تنزّ، وقد غُطي بمسحوق الالمينيوم لحمايته من الالتهاب. وبقي ثلاثة أيام في حال الخطر التي تعقب الحروق الحادة.

وقدّر الدكتور وليم ليندسي ان تكون رئتا جوي مصابتين لأن الحريق حصل في حيز صغير. لذلك عالجه بالاوكسيجين والكورتيزون منذ البداية. وبعد دخوله الغيبوبة يوم الثلثاء، ارتأى الطبيب أن يُمدّ انبوب عبر قصبة جوي الهوائية كي يتمكن من التنفس.

وعلى رغم ان جوي لم يستطع رؤيتي وأنه لم يعد يقوى على الكلام، الا اني بقيتُ أنقل مشاعري اليه عن طريق خدمته. وأتاحت لي الممرضات أن أرشه بالمسحوق الفضي منعاً للالتهاب، كما علمنني كيف أخرج البلغم من بلعومه. ومع الوقت برئت رئته المصابة وزال ورمُه وانفتحت عيناه. وأعطاه المسحوق بريقاً جعل الممرضات يدعينه "جندي التنك الصغير."

وكان الألم يسري فيه كلما أخذته بين يدي. ولكم كانَ سروري عظيماً عندما طلب اليّ أن أَغسله. وفيما أنا أنزع الضمادات عنه، غضضتُ لساني لئلا أشهق لدى رؤيتي قروحه تنزّ وتبعث رائحة كريهة. ووضعتُ يداً عند رقبته واخرى تحت ركبتيه وحملته الى الحوض المعدني البراق حيث انتعش في الماء. ونظرتُ الى جسده النظيف لأجده مثل لحم عجل أحمر، وقد سلخ جلده من الرأس حتى الخصر. ولم يظهر حياً فيه سوى عينيه وهو يقول: "غطيني يا أمي، فأنا بردان."

الكلّ يُصلي — تركتُ المستشفى صبيحة يوم وأنا قلقة على اولادي الآخرين. وأوصلني شقيقي مارشال بسيارته الى جاكسون بوينت التي تبعد مئة كيلومتر عن المستشفى. وهناك وجدتُ أصدقاء بوب أتوا لمساعدته واخته شيريل (١٣ سنة) للعناية بشقيقاتهما: بات (١٢ سنة)، بيفرلي (١٠ سنين)، جانيت (٨ سنوات)، كاتي (٣ سنوات). وتحلق الاولاد حولي وهم يقولون: "اننا بخير يا أمي! لا تتركي جوي، وأعيديه الينا في أقرب وقت ممكن."

وهكذا عدتُ الى ذلك الجناح المنعزل حيث قبعنا أنا وجوي في ما يشبه السجن ونحن نحارب من أجل حياته. الا اني بدأت أشعر كأني جزء من المستشفى بعدما بت أعرف اولئك الذين يساعدوننا وأثق بهم. واولئك كانوا الدكتور ليندسي، الطبيب الطويل القامة الأبيض الشعر، ومعاونيه من الأطباء المقيمين والممرضات اللواتي بدا لي أنهنّ يشاركن جوي في آلامه وهنّ يغسلنه للاسراع في فصل النسيج الميت عن جلده. ومرة شاهدتُ احداهنّ تبكي فوق سرير جوي وهو يخلد الى النوم، فعزيتها قائلة: "لا تجزعي! ان جوي سيعيش." وفي المصعد ذات مساء سألتني امرأة لا أعرفها ان كنتُ والدة جوي. وأضافت: "كلّ شخص في هذا المكان يصلي من أجل ابنكِ."

وفي الأول من مايو (أيار) خضع جوي لسلسلة عمليات لزرع الجلد، وأخذ يستعيد حركته. فكان أولا يجلس على مقعد، وبعد ذلك أخذ يخطو خطواته الاولى بعد الحادث وهو فخور جداً بما يحققه. ولم أكن أهبُّ الى نجدته اذا هو سقط، اذ عليه الاعتماد على نفسه عاجلا أو آجلا.

وذات يوم أخبرتني ممرضة أنه منزعج. وكان رأى وجهه على علبة معدنية وقال: "آه كم أنا قبيح يا أمي." وسمّر انظاره على الجدار كما

لو فقد ارادة الحياة. وحاولت ان أهدىء من روعه وأعيد التفاؤل والثقة الى نفسه. وكان لا بد له من أن يقبل واقعه الجديد، كما كان عليّ أنا أيضاً قبول ذلك الواقع.

وشرعتُ أُعدّ العدة، بمزيج من الخوف والرجاء، لعودة جوي الى البيت، الى منزل في شمال شرق اونتاريو وجده لنا أخي وأخواتي. وعلماً مني بأن على جوي مواجهة الغرباء، بدأتُ أصحبه الى مطعم المستشفى. وكنتُ أدعه يدخل محل الهدايا ويمشي بين صغار في مثل سنه. وما لبث ان راح يدعوهم قائلا: "مرحباً يا أصدقاء! ان اسمي جوي، وقد احترقتُ في حادث."

عون من الله ــ لدى دخوله المنزل في ٣١ يوليو (تموز) بدا جوي كمهرج كئيب زالت أهدابه وترهلت عيناه وفمه بفعل الندوب. ووضعت حول عنقه قبة اصطناعية لوقاية جلده من الانكماش، كما لفت جبيرتان على يديه كي يمد أصابعه عليهما. وبدا ناحلا جداً لأن جراحه الملتئمة استهلكت مقداراً كبيراً من غذائه. غير ان عينيه أشرقتا عندما حيته اخته كاتي والآخرون كأن شيئاً لم يكن.

أما الأغراب فكانوا أقلّ عطفاً. وكان جوي ينكمش خوفاً عندما يرى الرجال يشيحون بأعينهم عنه فيما تحدّق النساء اليه منذهلات. وسأله بعضهم ان كان مرضه معدياً، وأشار اليه آخرون بالبنان وهم يحذرون أطفالهم من مغبة اللعب بعيدان الثقاب. وفي جيرتنا نفسها اختارته مجموعة من الأهل مرة ليمثل أمام أولادها دور الفزاعة. وكاد جوي ان يرضخ لذلك الطلب الوقح ظناً أنه يُكسبه الصداقة، لكني ثنيته عن القبول. وكان يزعق حنقاً كلما دعاه الفتية الذين يكبرونه: "شريحة الخبز المحروقة" أو "البطاطا المقلية." وساعدته على كبت غيظه ونصحته بالتحديق الى أعين مهينيه الى ان يشيحوا بها عنه. ومع الوقت أخذ يتجاهل التعليقات القاسية ويستمتع بحياته كطفل في السادسة.

وبمعونة الله تعالى والأطباء تحسن منظر جوي. وخلال العامين التاليين أجرى الدكتور ليندسي جراحة تجميل لوجهه وعنقه والاصبع الصغيرة في يده اليسرى المعطوبة. وفي أربع عمليات لاحقة في مستشفى سكاربورو العمومي، أدخل الدكتور نيفيل بوي تحسينات على المظهر الخارجي لأنف جوي وفمه وصنع لعينيه حاجبين جديدين من شعر رأسه.

ولدى بلوغ جوي الثانية عشرة، اتصل محامي العائلة جون ماكدونالد ببعض الأطباء الصحيين والنفسيين لدراسة مستقبله. وكنتُ ومارشال حضرنا جلسة الاستجواب الخاصة بمقتل تيري بعد مضي أسابيع على الحادث. وأصدر المحقق تقريراً يفيد بأن تيري قضى بالنار التي أشعلها هو. وبما ان جوي كان ضحية فعله هذا المسكين، فقد أصدرت المحكمة قراراً يقضي بتعويضه.

وفي العام ١٩٧٦ قضى مجلس خاص تابع للمحكمة بدفع ٢٠٠ دولار

في الشهر لحساب جوي، وذلك منذ وقوع الحادث حتى ارفضاض جلسات المحكمة، على أن يتلقى مبلغ ٥٠٠ دولار شهرياً بقية حياته. وهذا اقصى تعويض يُدفع في ظروف كهذه.

وظل جوي وقتاً طويلا فاتر الهمة في شؤونه المدرسية. وبقي يرتاد صفوفاً خاصة لا يتوقع فيها الكثير منه. لكنه اليوم، بمساعدة المعالجين النفسيين، اكتسب حساً أقوى بقيمته الشخصية بحيث بات يستخدم ذكاءه على نحو أفضل ويحقق نتائج مدرسية أجدى.

أما أنا فتعلمت أنه يتعذر علي ان أحجبه عن تطفل الآخرين وعن ممارسة الألعاب الرياضية. وهو تغافل عن احمرار جلده الجديد لدى تعرّضه لحرّ الشمس، وعن تشققه مرة خلال اللعب، ليمارس رياضة الهوكي. ومرة سقط وكسر ذراعه، فوضعت ضمن قالب جصّ راح ينظر اليه كوسام شرف. وهو اليوم يذهب في الحافلة وقطار تحت الأرض لحضور الحفلات الراقصة وسواها مع أترابه. وقد عمل اربع سنوات في بيع الشوكولاته وهو يطرق أبواب المنازل ليجمع المال لجمعية خيرية في تورنتو ولمؤسسة اخرى غايتها اجراء ابحاث حول سرطان الدم. كما أعانه ذلك المال لتحصيل مصروفه الخاص.

ان أسوأ كابوس يمكن ان ينزل على الأهل هو تعرض احد أولادهم لاصابة خطرة. غير أني أود أن أخبر سواي من الوالدين الذين وقع ابناؤهم ضحايا أحداث الحريق أنه من الممكن التغلب على ذلك الكابوس. ففي امكان المرء ان يخرج منه من غير ان يقضي عليه الأذى الذي لا بد من ان يبقي أثره فيه. واذا أمكننا ان نمد ولدنا المصاب بالشجاعة، فهو سيعيدها الينا كما أعطيناها وأكثر. والحب هو الدواء العجيب. ولقد كففتُ عن تقصي المعجزة التي يمكن ان تزيل ندوب جوي. فاليوم أُدرك أن المعجزة الحقة هي بقاء ابني حياً.

■ **ادنا ماي اليسون وجانيس تيرويت**

خطر التلفزيون

أُدخل التلفزيون مقاطعة كندية صغيرة للمرة الاولى عام ١٩٧٣. وبعد سنتين أجرى فريق من جامعة "كولومبيا البريطانية" في كندا دراسة لتلك المقاطعة، فتبين أنّ العنف ازداد فيما ضعفت المقدرة على القراءة والابداع لدى الاحداث. ويبدو أنهم استوحوا من التلفزيون اللجوء الى التهديدات الكلامية، واليدوية أحياناً، لفض النزاعات بينهم. وانتقلت هذه العدوى الى البالغين أيضاً الذين ضعفت ممارستهم للألعاب الرياضية نتيجة الوقت الذي باتوا يقضونه أمام التلفزيون.

صحيفة "ايفنينغ نيوز"، لندن

ينابيع المعرفة

"الصّحفي" هو الشخص الذي يستمدّ ثقافته من الصحف. وفي عصر السرعة والتقدم التكنولوجي يملأ الناس رؤوسهم بالمعلومات، فلا يبقى فيها سوى حيز ضيّق للمعرفة

ثمة نوع من التضخم لا أحد يتكلم عنه اليوم .لكنه يتغلغل في أذهاننا ويملأها بالأفكار السطحية. وهذا التضخم اسمه "المعلومات." كلّ ساعة من كل يوم تتدفق المعلومات الى أذهاننا وتعوقنا عن التفكير في المسائل الأساسية. على التلفزيون والراديو، في صُحُف الصباح وأنباء الوكالات، تنهال المعلومات السطحية نُتفاً نُتفاً على عقولنا، مبلبلة لدينا المعرفة والادراك الصّحيحين.

فالمعرفة منظمة ومتراكمة، في حين أن المعلومات عشوائية ومتفرقة. والمؤسف أن الازدهار الذي تشهده مصانع المعلومات يقابله تقهقر على صعيد المؤسّسات التي تصنع المعرفة، وهي المدارس والمكتبات.

والمؤسف أيضاً أن عدوى المعلومات انتقلت الى القيمين على المكتبات. ففي الولايات المتحدة تنادى أُمناء المكتبات الى اجتماع في البيت الابيض، وهو المقرّ الرئاسي، لِلفت المواطنين الى المحنة التي تعانيها المكتبات. وأطلقوا على لقائهم اسم "مؤتمر البيت الأبيض للخدمات المكتبية والاعلامية." وعزّزوا لقاءهم بأحدث ما توصّلت إليه التكنولوجيا من ابتكارات على صعيد المعلومات،

خصوصاً من ناحية البرمجة. إلا أنّ عبارة "كتاب،" وهي عماد المكتبات بلا منازع، لم ترد في نشرة المؤتمر قبل الصفحة الرابعة والخمسين.

ترى هل نسي اولئك أن الكتاب نفسه هو الانتصار الأكبر الذي حققته التكنولوجيا؟ فهو يحمل الى مخادعنا أو رفوفنا كلمات هوميروس وأفلاطون والغزالي وديكنز. وهكذا بات الموتى، بفضل اختراع غوتنبرغ، يخاطبون الالوف بل الملايين. وقد لاحظ العالم والفيلسوف الانكليزي فرنسيس بيكون ذلك حين قال عام ١٦٠٥: "لئن ظنّ أن ابتكار السفينة التي تحمل الخيرات من مكان الى آخر أمر عظيم، فلكم هو أعظم ابتكار الكُتب التي تعبر بحار الزمن وتتيح للعصور أن تتعاصر في الحكمة والمعرفة؟" ان الفضل الأكبر يعود الى الكتب في حفظ الخبرات الانسانية من الضياع وفي الحفز على توليد معارف جديدة.

واذا تأملنا في خصائص الكتب، أمكننا التمييز عى نحو أوضح بين المعرفة والمعلومات.

١. الكتب تبقى

من الطبيعي أن تملأ الصحف سلال المهملات مع الوقت. أما الكتب فتبقى على رفوفنا. فالأدب، كما يقول الشاعر ازرا باوند، هو "الأخبار التي تبقى أخباراً". اما الانتصارات التي تحققها وسائل الأعلام فهي الأنباء المثيرة التي تسابق بها إحداها الاخرى. وفي حين تتنافس الكتب على البقاء، تتنافس الصحف ووسائل الاعلام الاخرى على الانجازات الزائلة مع الوقت، أي على الأحداث الآنية.

٢. الكتب تتراكم

ان رواية جديدة لكاتب معاصر تجعلنا نسعى الى قراءة رواياته السابقة. واذا أطلعنا على تاريخ العالم بقلم آرنولد توينبي، فهذا قد يحملنا على قراءة المؤرخين السابقين مثل اوزفالد شبنغلر. كذلك يدفعنا عمل اينشتاين الى مراجعة غاليليو وكوبرنيكوس وبطليموس.

هذا يعني أن المعرفة الجديدة تضيف الى القديمة. أما المعلومات الحديثة فتأخذ مكان المعلومات السابقة، كما تشهد صحيفة اليوم على خطأ أخبار الأمس أو عدم اكتمالها.

٣. الكتب تصنع التراث

الكتب هي الحجار التي بها تُبنى صُروح الحضارة. ونحن نغني نفوسنا إذ نكتشف كتبنا العظيمة أو نعيد اكتشافها، ثمّ اذ نضع كتباً أفضل تخاطب عدداً أكبر من القُرّاء على نحو أكثر عمقاً.

لا محالة أننا كلنا نحتاج الى الأخبار والمعلومات، وذلك تبعاً لأدوارنا الاجتماعية كمواطنين وأهل ومستهلكين. كما يحتاج إليها العلماء والتقنيون كي يعرفوا ما تمّ صنعه في الأمس، فلا يحاولون، مثلاً، اختراع العجلة مرة اخرى. إن حسن اطلاعنا يقينا تجبُّر الطغاة وابتزاز المحتالين. ولقد كان توماس جفرسون، الرئيس الثالث للولايات المتحدة الأمريكية، على حق إذ قال:

"لو كان لي أن أختار بين حكومة بلا صحف وصحافة بلا حكومة، لاخترتُ الأمر الثاني."

انّ الخطر الملازم للمعلومات ليس عدم جدواها بل امتدادها السّريع الى حدّ طغيانها على عقولنا. وأسوأ ما في الأمر أننا نغدو مدمنين لها، فنطلب جرعاتها اليومية ساعة بعد ساعة. وهكذا تتكاثر المعلومات من فرط جوعنا اليها.

ومن نتائج هذه العملية أنها حوّلت الانسان العصري كائناً محشواً بالمعلومات، لكنه أُمي في الوقت نفسه. فهو مطلع تماماً على انحرافات رؤوس الدول وسخافات المشاهير وارتفاع الأسعار المطرد، لكنه يشرد ويضيع اذا تُرك في حقول المعرفة بما فيها العلاقات الخارجية ومبادىء الاقتصاد والسياسة.

أما تصوري الشخصي لطريقة مواجهة هذا النوع من التضخم العقلي فهو قائم على الفرضية الآتية: ان قيمة أي خبر أو قطعة من المعلومات يقررها الوقت الذي يمرّ بين ظهورها ونشرها. وهذا يعني أنّ الكتب أكبر قيمة من المجلات، وأنّ المجلات أكبر قيمة من الصحف اليومية، وهذه أهم من التلفزيون أو الراديو من حيث الأخبار.

وفي امكان كل منا أن يبدأ برنامجاً للتحرر من سيطرة أخبار الصحف اليومية والتلفزيون على ذهنه يوماً واحداً أو نحوه أول الأمر، ثمّ يتوصّل الى الاطلاع على تلك الأخبار مرة واحدة في الاسبوع. وكبديل من ذلك يمكنه قراءة مجلة اسبوعية. ومع الوقت يجد أنه في غنى عن جرعات الأخبار المتتالية، وفي هذه الأثناء يتسنى له ان يملأ ذهنه بالمعرفة عبر الاكثار من قراءة الكتب.

ويجدر بنا إبراء ذواتنا من ذلك الوهم المستشري القائل بأن ما نحتاج اليه هو "المواطن المطّلع." إن المعرفة تأتي الى الذهن المنعتق من القيود. والحر يطوف مراعي التاريخ اللامحدودة، يستمد منها غذاء الروح الذي لا يفنى.

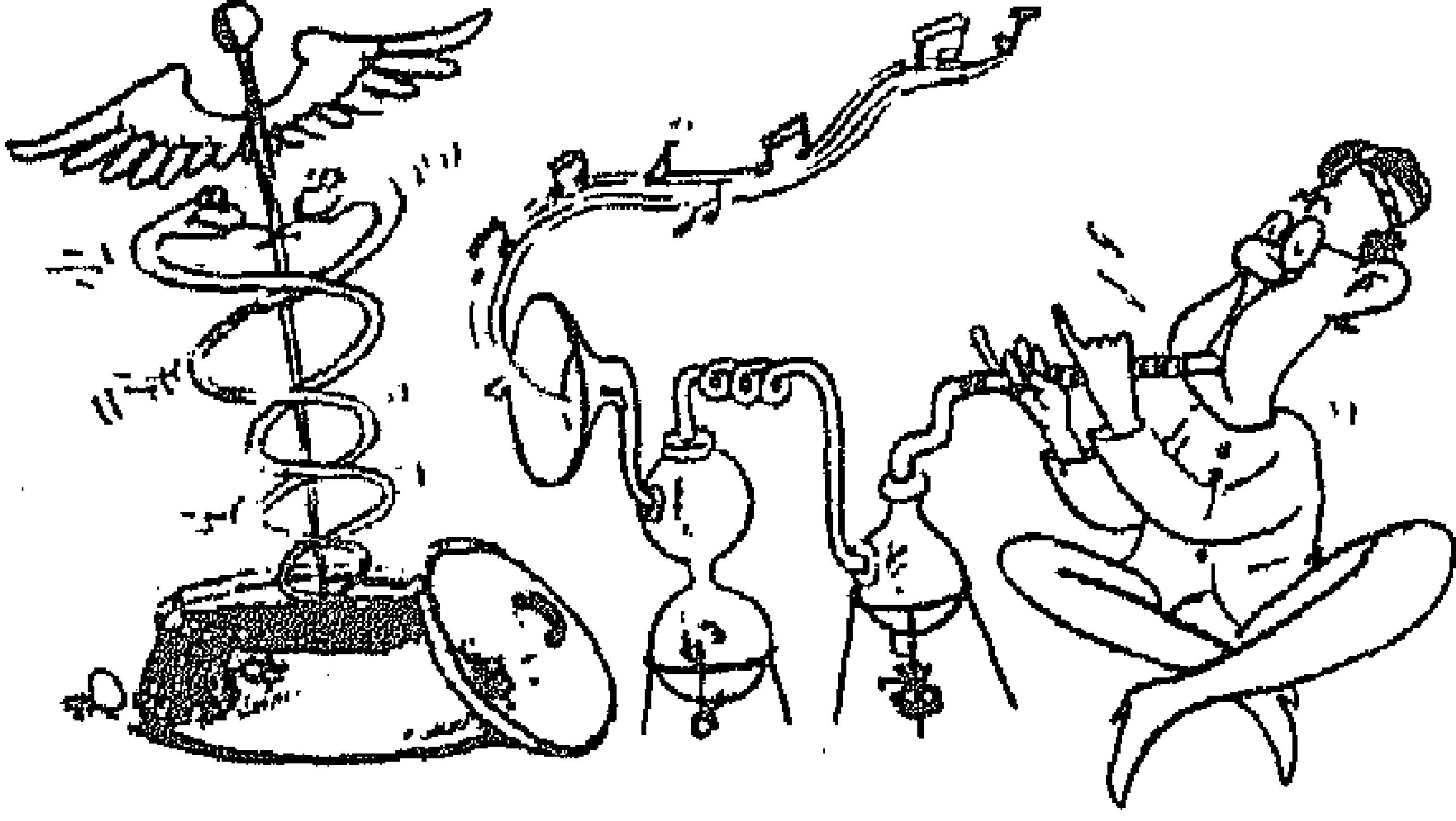
ان قوّتنا كمواطنين تأتي من القدرة على تحرير أذهاننا من وطأة المعلومات. وهذا بعض مما يعنيه مفهوم الحرية في عالمنا اليوم.

■ دانيال بورستين
حائز جائزة "بوليتز" للكتابة وأمين مكتبة الكونغرس الامريكي.

القراءة بين السطور

اذا شئنا فهم ما نقرأ، فالأفضل أن نقرأ على مهل ونغوص في المقاطع: بين السطور وتحت الكلمات. أما من يقرأ بسرعة فهو كمن يطوف حول مكان من الخارج ويظن أنه بات يعرفه جيداً.

ج.ف.



أصداء من عالم الطب

الكوليسترول والسرطان

ظهرت تقارير طبية كثيرة خلال العام ١٩٨١ تشير الى علاقة محتملة بين مستوى الكوليسترول المتدني والسرطان، وهذا حدا مؤسسات الصحة القومية في الولايات المتحدة على عقد مؤتمر لبحث المسألة. وفي ذلك المؤتمر أشار العلماء الى أن عدداً من الدراسات أظهر علاقة بين نسبة الكوليسترول المتدنية والاصابة بالسرطان، لكنها ليست علاقة سببية. وهذا يعني أن أفراداً الذين ورثوا نزعة الى ضآلة الكوليسترول في الدم ربما ورثوا، في الوقت نفسه، نزعة مستقلة الى الاصابة بالسرطان. وأشار بعض الخبراء الى أن ذوي الكوليسترول المنخفض يسلمون عادة من امراض القلب، فيعمرون طويلا مما يزيد احتمال اصابتهم بالسرطان.

وخلاصة القول أن معظم الخبراء اليوم ينصحون الاشخاص الذين تتجاوز كمية الكوليسترول لديهم الـ ٢٥٠ مليغراماً بانقاص ما يتناولون من شحوم ودهنيات. ولكن اذا قلت كمية الكوليسترول في الدم عن ١٨٠ مليغراماً، فالشخص المعني ينصح بعدم خفض هذه الكمية حتى تتضح العلاقة بين هذا الامر وخطر ظهور السرطان. والحق أن العلاقة بين النوبات القلبية والنسب المرتفعة من الكوليسترول هي أقوى وأوضح من العلاقة بين السرطان ونسب الكوليسترول الخفيفة.

رسالة جامعة هارفرد الطبية

مدمنو المكعب المجري

ما أن ظهر المكعب المجري الملون، المعروف باسم "مكعب روبيك"، حتى انتشر في العالم بسرعة وبات ينتجه أكثر من مصنع. وتبين اخيراً أنه اسفر عن مرض سمي "إبهام المدمن" وتحدث عنه الدكتور دوغلاس وو في "مجلة نيو انغلند الطبية" التي تهتم بابراز الامراض الغريبة والنادرة.

وهذا المرض يصيب بعض مدمني اللعبة الذي يشتري المكعبات الرخيصة التي لا تتحرك قطعها الا بمشقة كما لاحظ الدكتور وو. ومع الوقت، يظهر الالتهاب على ابهام اليد التي تحمل المكعب. واذا كان المرء أعسر، أصاب الالتهاب إبهام يده اليمنى. ويتابع الدكتور وو أن العقاقير المسكنة تساعد في تخفيف الالم لكن العلاج الحقيقي هو رمي المكعبات الرديئة والحصول على اخرى جيدة الصنع تنزلق قطعها بسهولة... اذا كان لا بد من اللعبة.

و.هـ. محطة وستنغهاوس

قيصرية أم رحمية ؟

أعادت جمعية طب الأطفال والنساء الامريكية النظر في طريقة للتوليد اعتمدت خلال السنوات الخمس والسبعين الأخيرة، وهي تطبيق الولادة القيصرية (بشقّ البطن) على النسوة اللواتي وَضعنَ المولود الأول على هذا النحو.

ويوضح الدكتور روبرت سيفالو، رئيس لجنة طب الأطفال في الجمعية، ان تحدّي الطريقة القديمة أملته ٢٥ دراسة مفصلة اجريت بين ١٩٥٠ و١٩٨٠ وبُنيت على مراقبة ٤٨ ألف حالة وَلدت فيها النساء بالطريقة القيصرية في المرة الاولى، ولكن بطريقة الخروج العادي من الرحم لاحقاً. ولاحظ سيفالو ان معدّل وفاة الحوامل اللواتي وَلَدنَ قيصرياً بلغ ضعفي معدل اللواتي ولدن بالطريقة العادية. فالولادة القيصرية تأتي نتيجة جراحة رئيسية، بما تنطوي عليه من خطر الاصابة بالتهاب وتعقيدات اخرى. ويحذر سيفالو من أن الحوامل اللواتي خضعنَ لشق الرحم عمودياً بدلا من الشق الافقي المعتمد حديثاً، قد لا يمكنهن اخراج الجنين عبر الرحم، لأن الجرح ربما انفتح كثيراً.

ومن التوجيهات الاخرى التي تقترحها الجمعية ما يأتي:

■ يجدر بالمرأة التي تلد بالطريقة العادية (بعد ولادة اولى قيصرية) أن تقصد مستشفى يمكنه اجراء جراحة قيصرية طارئة في ظرف ربع ساعة اذا دعت الحاجة اليها، ويكون مجهزاً بكميات دم اضافية وجميع آلات القياس والمعدات اللازمة.

■ السبب الذي دعا الى الولادة القيصرية المرة السابقة يجب ان يكون غائباً هذه المرة.

■ لا يجوز ان تتم الولادة بالطريقة العادية اذا كان في الرحم اكثر من جنين واحد، على أن يكون رأسه متجهاً الى أسفل ووزنه لا يزيد على ثلاثة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام.

□ ينبغي اعلام الحامل سابقاً بحسنات الولادة الطبيعية وأخطارها، وانه ربما عُوّل على الطريقة القيصرية اذا أخفقت الولادة الرحمية العادية.

صحيفة "نيويورك ديلي نيوز"

انتقال المناعة

انّ نقل المناعة ضدّ المرض من شخص الى آخر عبر اللقاح يبدو ضرباً من القصص العلمية ـ الخرافية. لكنّ الامر ليس هكذا. ففي اختبار أجراه فريق من كلية الطب التابعة لجامعة اركنساس الامريكية ونُشر تقرير عنه في "مجلة نيو انغلند الطبية"، تمّ للمرة الاولى نقل المناعة من جسم الى آخر. وقد نُقلت من أجسام أشخاص لديهم مناعة قوية الى أولاد معرّضين للاصابة بمرض جدري الماء.

والعنصر المنقول هو بروتيين يقف على اهبة الاستعداد في حال احتواء الجسم على مرض كالحصبة أو جدري الماء، ويعزز مناعة الجسم بحيث لا يستسلم للداء مرة اخرى.

وقد أجرى أطباء أركنساس دراستهم على ٦٦ طفلا مصابين بابيضاض الدم (اللوكيميا)، مما يعني أنهم معرّضون كثيراً للاصابة بأمراض الاطفال. وأُعطي نصفهم جرعات من بروتيين المناعة، بينما أُعطي النصف الآخر جرعات اختبارية زائفة. وفي السنتين التاليتين تعرض ١٦ ولداً من الفئة الاولى لجدري الماء، الا أن واحداً فقط ظهرت عليه أعراض خفيفة منه. وفي الوقت نفسه تعرض ١٥ ولداً من الفئة الثانية لجدري الماء، فظهرت أعراضه على ١٣ واحداً منهم، ومن بينهم ثلاثة كانت اصاباتهم شديدة.

صحيفة "النيويورك تايمس"

سرقة السيارات تجارة عالمية بمليارات الدولارات

اصبحت سرقة السيارات تجارة عالمية منظمة تقوم على لصوص محترفين ومشاغل تقطيع وعملاء تصريف وحتى على قتلة مأجورين. ولكن ما زال ممكناً القضاء عليها



Roberto Brosan

كل ٢٨ ثانية تسرق سيارة في مكان ما من الولايات المتحدة الامريكية. وهذا يعني سرقة مليون ومئة الف سيارة كل عام. واذا كنت مقيماً في تلك البلاد وجاء دورك، فأغلب الظن انك لن تستعيد سيارتك أبداً. اما اذا حالفك الحظ، فمن المحتمل ان تكون اصبحت انقاضاً لتباع كقطع غيار.

ومرة عرض رجال شرطة كونيتكت على رجل سيارته الجديدة من طراز "بويك - ريفييرا" التي سرقت قبل أيام، وقد جردت من رفارفها وغطاء محركها وابوابها وعجلاتها، فأجهش المسكين بالبكاء.

في الستينات، عندما كان الشبان العابثون يرتكبون معظم السرقات،

ويؤكد دنيس كافاناه الاختصاصي بمكافحة سرقة السيارات في مكتب التحقيقات الاتحادي (FBI). في الولايات المتحدة: "ان عدد عصابات سرقة السيارات يزداد بلا ريب." وزاد الطين بلة انخراط العصابات الاجرامية في العمليات. فخلال السنين العشر الماضية قتل ٢٤ شخصاً في اعمال تصفية بين العصابات في مدينة شيكاغو وحدها. وعزيت هذه الجرائم الى طغيان العصابات الاجرامية على شبكات سرقة السيارات.

ومع ذلك فان السلطات الامنية في الولايات المتحدة تتفق على ان من الممكن الحد من سرقة السيارات. واليك ماتستطيعه الحكومة - والمواطنون كذلك - في هذا السبيل:

● يقول راسل ماكينون: "يجب ايجاد أثر تقص يسمح للشرطة بتعقب السيارة او اجزائها الرئيسية منذ ان تهجر مالكها الأصلي وحتى تصل الى الجهة التي تتولى تفكيكها وبيعها. وعلى سبيل المثال، يجب ان يلزم التجار الأحتفاظ ببيانات عن السيارات التي يفككونها. حينئذ يصبح في الأمكان اعطاء مشتري قطع الغيار المستعملة ايصالا يحمل رقم تعريف السيارة التي نزعت القطع منها. هذه الطريقة تتيح لرجال الشرطة اجراء عمليات دهم عن موجودات غير مشروعة."

● على السلطة المختصة ان تسترد رخص السير من كل السيارات التي تباع للكسر وتعطي بدلا منها شهادة بأنها "لا تصلح الا في حظيرة الحطام."

● يجب الا يكتفي المالك بعلامات التعريف التي يضعها المصنع، فمن المستحسن ان يحفر رقماً او علامة خاصة في مواضع عدة يصعب على اللصوص الاهتداء اليها، وذلك باستخدام قلم حفر او نقش العلامة تحت غطاء المحرك او على الهيكل. حتى مجرد اسقاط بطاقة شخصية في جوف باب السيارة يساعد في هذا الصدد. وقد أمكن التعرف على سيارة بعد تفكيك نصفها حين تذكر مالكها انه مرة وضع قطعة كرتون كعازل تحت لوحة جهاز نقل الحركة.

● عندما يغادر السائق سيارته عليه دائماً ان ينزع المفتاح من قفل الاشعال ويقفل كل النوافذ والابواب. فمن الغريب ان سيارة واحدة من كل خمس سرقت تبين أنها اما تركت غير مقفلة وأما أبقي مفتاحها في قفل الاشعال.

● على السائق الا يترك رخصته او اوراق التسجيل في السيارة، بل يحرص على ابقائها في حوزته لأن اللصوص يستخدمون هذه الوثائق لبيع السيارة.

● على السائق ان يبقي الرزم والاشياء الثمينة خافية عن النظر. فأجهزة الراديو والتسجيل والهدايا وسواها اذا تركت بادية للعيان فانها تجتذب اللصوص.

أي جهاز تشتري لحماية سيارتك من السرقة؟

بعد تطوير الأجهزة المانعة للسرقة وتعدد انواعها، بات في الامكان تجهيز السيارة بآلة تحميها حين يسطو عليها اللصوص، كلفة هذه الاجهزة تراوح بين ١٠ دولارات و١٠٠٠ دولار، ولكن كمعدل وسط على المالك ان يتوقع دفع ما بين ١٠٠ و٤٠٠ دولار.

وليس هناك جهاز لا يمكن قهره، لكن معظم الاجهزة يعوق عمل اللص وربما يثبط من عزيمته، يقول جيمس برمنفهام المحقق في حوادث سرقة السيارات لدى شركة "أيتنا" للتأمين: "على اللص ان يكون مثل هوديني، المشعوذ الشهير، فاما ان يتخلص من الأقفال بسرعة واما ان يهلك."

جهاز التنبيه ينفر اللص غير المحترف ويجعله يفر هارباً، وهو يكلف ما بين ١٥٠ دولاراً و٤٠٠ دولار مع اجرة التركيب، اما الاجهزة الفضلى فتطلق انذاراً استجابة لتحرشات مختلفة، فالمنبهات على الزجاج تزعق على اثر قرعة قوية على النافذة، والاجهزة الرجاجة تطلق منبها مدوياً عندما يرفع مقدم السيارة او مؤخرها في محاولة لقطرها.

جهاز فعال آخر يقطع الوقود عن المحرك، فتدور السيارة لكنها تقف بعد ان تقطع مسافة قصيرة وتستهلك الوقود المتجمع في المكربن (كاربوراتور) والأنبوب الواصل، وهذا يكلف ٤٨ دولاراً مع ١٥ دولاراً اجرة تركيب.

وهناك اجهزة شائعة من طراز "تشابمان" تفصل خط الاشعال وتقفل غطاء المحرك لتمنع ادارته من الخارج، وجهاز "تشابمان" الذي يكلف ما بين ١٩٠و٣٦٠ دولاراً يتعذر قهره بالقوة، ولكن لن يعجز اللصوص عن تقليد مفتاحه الصغير المستدير.

بعض الاجهزة الأقل تطوراً يمزز اقفال السيارة، وأحد الاجهزة المفضلة قفل "مديكو سوبر" وهو اسطوانة اشعال ثقيلة تكلف نحو ١٢٥ دولاراً مع اجرة تركيبها وتحمي قفل الاشعال من الخلع، لكن اللص المحترف، لسوء الحظ، يتجاوز قفل الاشعال في معظم السيارات الجديدة باختراق الغطاء المعدني او البلاستيكي الرقيق فوق عمود القيادة.

اخيراً، في امكان المواطن ان يعرقل محاولة سرقة عجلات سيارته بتركيب حزقات رابطة، وكل مجموعة من أربع حزقات، مع المقبض الخاص اللازم لحلها، تكلف ١٥ دولاراً.

■ روبرت راندي في صحيفة "المال"

● على السائق ايقاف سيارته في مكان جيد الاضاءة، وان يتحاشى ايقافها في المكان نفسه مرة بعد اخرى. كذلك عليه ايقافها وعجلاتها الامامية منحرفة يساراً او يميناً الى الحد الاقصى لأن هذا يجعل جرّها عسيراً.

● يستحسن استخدام اقفال خاصة وابواق منبهة (راجع النص المرفق بهذا المقال). ان بعض شركات التأمين يمنح حسومات للزبائن الذين يضعون مثل هذه الاجهزة في سياراتهم.

● اخيراً، على مالكي السيارات ان

كان نحو ٩٠ في المئة من السيارات المسروقة يسترد بسرعة. اما اليوم وقد اصبح المحترفون ينفذون هذه العمليات التي يبلغ مردودها السنوي ملياراً و٧٠٠ مليون دولار، فان قرابة ٤٩٦ الف سيارة مسروقة في الولايات المتحدة، اي نسبة ٤٥ في المئة، تختفي الى الأبد. معظم هذه السيارات تبتلعها "مشاغل التقطيع" حيث تفكك لتباع اجزاؤها كقطع غيار.

ان سوق قطع الغيار المسروقة تعرف ازدهاراً لم يسبق له مثيل. فالتهافت على شراء الابواب والرفارف واغطية المحركات وما اليها يفوق العرض بمدى بعيد. ومنذ ما بدأ تطبيق نظام الـ٥٥ ميلا كحد اقصى للسرعة، تناقصت الاضرار الناجمة عن حوادث السير وقل عدد السيارات التي ترد على حظائر الحطام حيث تفكك وتغدو مورداً مشروعاً لقطع الغيار. كما ان حال الجمود الاقتصادي الراهنة زادت الطلب على قطع الغيار لأن الناس باتوا يحتفظون بسياراتهم لآماد اطول.

يعمل لص السيارات المحترف بحسب الطلب. هب ان مقدم سيارة "شيفروليه" تخص بائعاً متجولا تضرر في حادث سير. انه يأخذ السيارة الى مرأب قريب لاصلاح الهياكل حيث ينصحه المسؤول باجراء "عملية أنف" اي ابدال المقدم برمته، ويخبره ان ذلك "أرخص وأسرع من تقويم المقدم المتضرر بتطريقه."

يتصل صاحب المرأب ببائع القطع القريب الذي يتعامل مع واحدة من مئتي "قناة حارة" لتصريف البضاعة. وليس هذا في ذاته عملا شائناً، فهناك عمليات كهذه تجري كل يوم. ولكن، كما يقول راسل ماكينون نائب الرئيس التنفيذي لجمعية مفككي السيارات وبائعي قطع الغيار، ربما يكون على الخط الآخر لص متخصص بتصريف المسروقات يتعامل مع احدى عصابات سرقة السيارات. هذا الاتصال الهاتفي يكون لذلك اللص بمثابة أمر بالسرقة.

في تلك الليلة ينطلق احد الأوباش الصغار، لقاء بضع مئات من الدولارات، باحثاً في شوارع المناطق السكنية ومواقف السيارات عن سيارة "شيفروليه" من الطراز واللون المطلوبين. ان ثلثي مجموع سرقات السيارات تتم ليلا، واكثر من النصف يقع في المناطق السكنية.

يحمل اللص في جيب سترته سلكاً معدنياً ليناً له رأس معقوف. ويدخل السلك بين النافذة المغلقة واطار الباب ويفتح القفل. وما ان يصبح داخل السيارة حتى يمرر منشاراً دقيقاً في عمود عجلة القيادة لكسر قفل الاشعال، او يستخدم آلة خاصة لجذب الالتواءات الى الخارج فيفصم القفل. وفي وسع لص بارع ان ينطلق بالسيارة خلال دقيقة واحدة من اقتحامها.

ولدى وصول السيارة الى مشغل التقطيع، يعمد فريق عمل مسلح بمحارق الآسيتيلين والعتلات وسواها من الادوات الى قص هيكلها خلال ساعة لأنجاز عملية لحم سريعة تدر ربحاً وفيراً. المقدم يباع بثمن يراوح

بين ١٥٠٠ و٢٥٠٠ دولار للسيارات الاقتصادية الصغيرة وبين ٥٠٠٠ و٧٠٠٠ دولار للنماذج الجديدة الفخمة. اما الأبواب فيراوح ثمن الواحد منها بين ٥٠ دولاراً و٥٠٠ دولار.

في غالب الاحيان يطرح اللصوص ما يتبقى من السيارة او يتركونه لتاجر متساهل يزيل الأجزاء التي يمكن ان ترشد الى السيارة المسروقة ثم يبيع بقية الهيكل للكسر والصهر.

ويحدث احياناً الا ينجز اللصوص عملهم بسرعة فتدهم الشرطة مشغل التقطيع. وعندما دهم رجال الشرطة في بوسطن شركة لسيارات الأجرة وصيانة الهياكل، ضبطوا عدداً من السيارات والقطع المفككة، منها ٣٦ باباً لسيارات "شيفروليه" وعدد من المحركات والمقاعد والمبردات (رادياتور) تبلغ قيمتها ٥٠٠ الف دولار.

وعلى رغم الطلب المربح والمتزايد على القطع المسروقة فان عصابات عدة تفضل ابقاء السيارة سليمة. وفي مدينة نيويورك سرق احد اللصوص ٤١ سيارة ثم أسس بها شركة لتأجير السيارات. كما ان اللصوص في مدينة ديترويت سطوا على ٤٣ سيارة، بينها ثلاث للشرطة، ووسعوا بها اعمال شركة سيارات أجرة. واحدى العصابات العاملة في لوس انجلس و"المتخصصة" بسيارات ال"مرسيدس" حققت ارباحاً بلغت مليوناً ومئتي الف دولار قبل ان تتمكن الشرطة من القضاء عليها.

في كل سنة تشحن من الولايات المتحدة ١٠٠ الف سيارة مسروقة. افضل المشترين هم سكان محيط البحر الكاريبي واميركا الجنوبية ودول النفط الغنية. فسيارة "فورد LTD" جديدة ثمنها بالمفرق ١٠ آلاف دولار في الولايات المتحدة، لكنها تباع بـ٢٠ الفاً في المكسيك. وسيارة "مرسيدس" ثمنها ٢٦ الف دولار في الولايات المتحدة تباع في الجزائر باكثر من ١٠٠ الف دولار.

اذا كانت سرقة السيارة مهمة سهلة، فان تجهيزها بالاوراق الثبوتية اللازمة أمر يتطلب عبقرية. فكل سيارة تعطى في مصنعها رقم تعريف يطبع على المحرك او على جهاز نقل الحركة، والى ذلك، فمنذ العام ١٩٦٩ يتم اثبات لوحة تعريف صغيرة على الزاوية اليسرى العليا من غطاء لوحة القيادة. ورقم التعريف هذا هو أهم مستمسك في تقصي آثار السيارة المسروقة.

احدى الحيل التي يعمد اليها اللصوص هي ان يشتري أحدهم سيارة مهشمة من حظائر الأنقاض ويستولي على رخصة سيرها ورقم تعريفها. بعد ذلك ينصرف الى سرقة سيارة من الطراز نفسه. وبما انه يملك رخصة ورقم تعريف فانه يبدل رقم السيارة المهشمة برقم السيارة المسروقة. حينئذ يصبح في امكانه تسجيلها او بيعها الى زبون لا يدري من الأمر شيئاً.

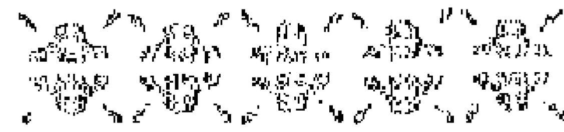
اجمالاً، قدرت خسارة السيارات المسروقة في الولايات المتحدة عام ١٩٨٠ باربعة مليارات دولار. ويشمل هذا الرقم قيمة السيارات وكلفة البحث عنها واسترجاعها.

يحدوا من جشعهم. ان سوق قطع الغيار المسروقة اخذت تنافس التجارةالمشروعة لأن الوف المواطنين العاديين يغرهم عقد صفقة رابحة. لكن الصفقة الرابحة قد تنطوي على لصوصية. فاذا ارتاب المشتري في ان باب سيارة "حار جداً"، اي رخيص الثمن جداً بحيث يحتمل ان يكون مسروقاً، فعليه ان يمتنع عن شرائه.

ان في وسع الشرطة القضاء على الشبكات الفردية لسرقة السيارات، ولكن من دون مشاركة المواطنين لن يكون لجهود السلطات في هذا المضمار سوى أثر ضئيل في وقف هذه الشبكات المتنامية. ويقول بول غيليلاند رئيس المكتب الوطني لمكافحة سرقة السيارات في الولايات المتحدة: "في امكاننا القضاء على سرقة السيارات اذا شللنا اولا سوق الطلب عليها."

لقد اضحت سرقة السيارات صناعة تدر مليارات الدولارات، لان المواطنين سمحوا لها بأن تغدو كذلك عن طريق ترك سياراتهم مفتوحة والتعامل مع تجار لا يتورعون عن اي رذيلة واتاحة الفرصة لقيام سوق البضاعة المسروقة. واذا جعل المواطنون السرقة مركباً عسيراً، واعادة بيع المسروقات مطلباً صعباً وسبل التقصي لاستردادهاسعياً فالحاً، فان هذه الصناعة ستنهار حتماً.

■ توماس بروك



الشرّ لا يُنْسب الى فاعلي الشرّ وحدهم، بل الى الذين يمكنهم تجنّب الشرّ ولا يفعلون.

ثوسيديدس

اللعب أنواع

سُئل الموسيقي فيكتور بورج كيف استطاع العودة من لاس فيغاس وهو يحمل راتبه كاملا. فأجاب: "عندما اكون هناك لا ألعب سوى البيانو."

ا.و.

وجيه "متدين"

رن جرس الهاتف صباحاً في منزل رجل دين.وكان على الخط رجل يسأل:"هل سيحضر الحاكم الصلاة هذا الصباح؟"

ـ كلا. لقد كان هنا المرة السابقة.

"هذا مؤسف. كنتُ اريد الحضور لو كان الحاكم حاضراً."

ـ يؤسفني ان يخيب أملك، فلن يكون سوى الله حاضراً هذا اليوم.

غ.س.ا.

تشابك ايدي العاشقين وتسابق ارجل العدائين دليلا أمل واستمرار في معمعة حضارتنا المجنونة

بارقة أمل

ان تستيقظ صباحاً وقد تملكتك الرغبة في ان تسابق وتفوز ليس بالامر الذي يوحي بضيق عالمي او بحرب مبيدة. فانا في تلك السن التي يبدو التفاؤل فيها تشجيعاً غبياً عاجزاً. ولكن ان تستيقظ وقد تملكتك هذه الرغبة امر تجده في ذاك الجيل الذي لو عاش في الماضي لوصف بانه ضائع.

ما زلنا نسمع رجالا ونساء مسنين يقولون ان آباءهم فقدوا كل شيء خلال الازمة الاقتصادية الكبرى عام ١٩٢٩. وهاجر جيل كامل من الكتاب والشعراء الامريكيين الى اوروبا والحزن يعتصر قلوبهم لان ارضهم الام فقدت احساسها بالجمال. وقد شرح المؤرخ البريطاني ارنولد توينبي والفيلسوف الالماني اوزوالد شبنغلر ضياع الحضارة الغربية الذي لا رجعة فيه. ومع هذا يجد المرء اليوم جيلا يعتقد ان المقارنة بين سطوع الحضارة وعبور النور عمل عاطفي وخاطىء. ونجد رجالا ونساء بالغين يستيقظون صباحاً وحلم الركض والفوز يداعب اجفانهم.

في تلك المدن حيث طُبعتُ على الشعور باني عابر سبيل لا اكثر، في هذه الاماكن حيث اللغة والتاريخ وحتى الطقس تنعش شعوري المتواني بالاغتراب، كنت دائماً اجيل النظر في الشوارع علني ارى عشاقاً يذكرونني بعالمية تجربتنا. تشابك الايدي صورة بحثت عنها في بوخارست وتالين وباريس وصوفيا. واذكر عشاقاً فوق تلة جانيكولو في روما ازدادت حرارة حبهم عندما تنبأ بائعو الصحف بقرب احتراق العالم. في تلك البلاد التي يبدو ان لا شيء مترابطاً ومتتابعاً منطقياً.، كان العشاق الصورة الاساسية التي تبعث على البهجة. وبقي هذا صحيحاً حتى رأيت خمسة عدائين يعبرون امام بناء الكريملين في الساحة الحمراء في موسكو.

من المسلم به ان احدى صور اوروبا الشرقية - يعززها تاريخها وآدابها - هي ذاك الشبح المشؤوم الذي يتبعنا حيثما حللنا. حتى السائح الساذج الذي يشتري منفضة تذكارية يشعر انه مراقب. ولعل صورة اخرى منقوشة

في ذهني على نحو اعمق هي ابراج كاتدرائية القديس باسيليوس في موسكو عند الغسق لحظة تساقط الثلج. تبدو هذه الصورة مغروسة في ذاكرتي مثل اهرام الجيزة وتمثال الحرية في نيويورك. وقد ساهم هذا كله في اذكاء حماستي حين رأيت العدائين الخمسة.

ولم تكن مطاردتهم تحمل طابعاً سياسياً او اخلاقياً. كانوا يركضون بحرية وفي اتجاهات مختلفة من غير ان يتبعوا احداً او يكونوا اهدافاً للمراقبة.

وبدوا لي اكثر اقناعاً من العشاق. فأخذت ابحث عن العدائين اينما توجهت، فوجدتهم في لينينغراد وطوكيو والقاهرة. وبينما كنت اقود سيارتي الى فندق في تورنتو (كندا) ذات ليلة شتائية، لم اقع على اي عداء. وبعد العشاء طفت في الطرق حتى اكتشفت ثلاثة منهم. وكأنهم بعملهم يعلنون ان كوكبنا ما زال محتملا.

وبسبب هذا الاهتمام بالركض ذهبت اخيراً لمتابعة سباق العشرة آلاف متر في مدينة قريبة. وكان يوماً صيفياً رائعاً زاد في جماله التناغم والتعاطف بين المشاهدين والمتبارين. تم هذا كله في غياب اغراءات الجوائز والميداليات. لقد تجمع مئات الرجال والنساء لخوض المباراة حباً بالركض وحده. ولم اميز وجهاً هناك، فسألت رجلا غريباً جلس بجانبي على المقعد اذا هو اتى ليشجع صديقاً. وتردد الرجل في الجواب. وحين الححت قال: "اني اشجع امي." كان ذاك سباقاً يقوم التصنيف فيه على الطموح وحده.

الاغتراب المؤلم هو نتيجة حتمية لطبيعة اقتصادنا المرتجل ولتعرض قادتنا للاغتيال وللقلق في عالم يبدو سخيفاً. فمن الممكن لرجل ناضج وذكي ان يخفق في حماية زوجته واطفاله من الجوع والبرد والتشرد، ولعل منبع اغترابنا هو كوننا فانين. وفي الوقت الذي لا تحقق درجات الاغتراب شيئاً، فان لوحدة زمننا تفردها الخاص، اذ يبدو اننا اناس مستوحشون. كان لا بد لتفكير العسكريين الضيق ان يحتوي تدمير كوكبنا. وفي الوقت الذي سيحمل سكان يختارهم الدماغ الالكتروني بعيداً عن الحريق، نجد حتى العسكريين يعترفون بانه سيكون فراقاً مستوحشاً.

عرف جيلي عالماً اقل تعرضاً للاضطراب والارهاق من عالم اليوم. ومع هذا فقد رأينا خلال عقد واحد كيف ان هذا الاضطراب ولد الطغيان ودان الفكر المنطقي ومجّد الحروب واحيا طقوساً همجية قديمة كالتضحية البشرية. وخلال الفترة ذاتها اظهر جيل شاب حماسة للركض مسافات طويلة.

لسنوات بدا لي العشاق دليلا على استمرار العالم. والآن يفعل مثلهم العداؤون الذين يتجمعون بالالوف في مدن العالم قاطبة، يتعقبون آفاقاً من التعب وتقدير الذات لبعث الامل.

ومعاً، عشاقاً وعدائين، يتطلعون الى نشر الاخبار السارة.

■ جون شيفر

عَصرُ الإلكترون
هل يفقدنا إنسانيتنا؟



طفلة في الخامسة تشغل دماغاً الكترونياً في مدرستها.

١ ـ جيل الأدمغة الإلكترونية

بعد جيل التلفزيون النزاع الى القعود عن اي عمل، جاء جيل يقظ جديد يريد التمرس في كل عمل

انتهى الدوام في مدرسة بنيامين فرانكلين في ريدجوود، نيوجرزي. لكن عدداً من طلاب الصف الاول المتوسط (الاعدادي) ظلوا منهمكين في العمل. انهم منكبون على ادمغة الكترونية مصغرة فوق المناضد فيما الارقام والحروف تتراقص على شاشات التلفزيون الفوسفورية

الخضراء والآلات الطابعة تبصق أكداساً من الورق.

ها هو جورج مامونس (١٤ سنة) يضع اللمسات الاخيرة على برنامج يعطي صورة الكترونية تفصيلية للقلب تظهر كل وريد وشريان فيه مع الصمامات والتجاويف. وعلى مسافة قصيرة منه جلست بام ميلر (١٤ سنة) تنظم برنامجاً الكترونياً آخر يعطي صورة عن عمل مفاعل نووي. كذلك مايلين وونغ (١٥ سنة) تحاول ان تكشف الخلل في برنامج لمعلومات ادارية - تجارية. انها خبيرة متمرسة في تقصي مواطن الخلل في مثل هذه الحالات بعدما قضت جانباً كبيراً من الفصل الدراسي الاخير في تصحيح برنامج يبلغ طوله - بعد طباعته - تسعة امتار.

ليس جميع اولاد الصف من الخبراء الرياضيين او الطلاب المتفوقين. انهم مجرد تلاميذ عاديين حدث ان ترعرعوا في جو الادمغة الالكترونية. ان قلة من البالغين تجاوزت اعمارهم الـ٣٠ سنة يمكنها التصديق، لكن تشغيل هذه الاجهزة المعقدة يبدو لهؤلاء الاولاد امراً طبيعياً كركوب دراجة هوائية. وعلى غرار الألوف امثالهم في انحاء الولايات المتحدة، يشكل هؤلاء التلاميذ جزءاً من طليعة ثورية هي "جيل الادمغة الالكترونية." وهذا الجيل لا يعد فقط بدفع الثقافة التقليدية الى سبل جديدة تبشر بالخير العميم، بل يوحي ايضاً بتغييرات اجتماعية ستكون لها تأثيرات توازي في خطورتها - وربما تتجاوز - تلك التي افرزها جيل جديد من سائقي السيارات قبل اكثر من نصف قرن.

الشرارة الاولى التي اطلقت هذه الثورة كانت بدعة من السيليكون في جهاز يعرف بأسماء مختلفة منها الدماغ الالكتروني الشخصي او المنزلي او المصغر. واذا استثنينا شاشة الفيديو، فلا يزيد حجم هذا الجهاز على حقيبة رجل اعمال: ويراوح ثمنه بين ٣٠٠٠ و٥٠٠٠ دولار، لكنه ينطوي على طاقة احتساب تضاهي قدرة الأجهزة الضخمة التي كانت قبل عقدين تملأ غرفة بأكملها ويبلغ ثمن الواحد منها ٦ ملايين دولار (من دولارات العام ١٩٨٢).

لكن تقلص الحجم والسعر لا يمكن ان يفسر لماذا احكمت الادمغة الالكترونية سيطرتها على العديد من الشباب. ويتفق بعض الخبراء ومعظم الهواة اليافعين على ان الجاذب المهيمن هو اغراء السيطرة ومتعة الشعور بالقدرة على تخطيط امر ثم انجازه، وهو شعور بالرضا غالبا ما يفتقده الصغار.

موجة المستقبل - كان لويس ستيوارت (١٤ سنة) من نيويورك في الصف الاول المتوسط ومتخلفاً في القراءة. ومع ذلك كان امتلاك زمام الادمغة الالكترونية في مدرسته، بالنسبة اليه، كلعب اطفال. ويقر اتراب لويس ومعلموه بأنه أبرع مبرمج للدماغ الالكتروني في المدرسة. وهو يعمل بدوام جزئي كمدرّس في مركز للادمغة الالكترونية، ويقول: "اني احب هذه

الالات٠ وأشعر ان كل تلك القوة هي طوع اناملي٠ لا أدري ما كان مقدراً لي ان أكون لولاها، لكني في وجودها أصبحت ذا شخصية٠"

حتى طلاب المدارس الابتدائية تمكنهم السيطرة على هذه الالات بسهولة مذهلة٠ وتذكر احدى خبيرات البرمجة انها جعلت صبياً في الثامنة من عمره يشغل لعبة بسيطة على الدماغ الالكتروني٠ وكانت اللعبة تمثل صورة ضفدع يقفز ويلتقط فراشة٠ وبعد انقضاء دقائق عادت تتفحص ما يجري، فلاحظت ان الضفدع يقفز ببطء٠ وعندما استوضحت الصبي عما حدث قال لها: "اردت ان امكن الضفدع من التقاط عدد أكبر من الفراشات، ولذا جعلت الجهاز يكشف (١) المتغيرات في البرنامج وأبطأت سرعة الضفدع٠" وهذا يعني ان الصبي كشف برنامج اللعبة وعدل تعليماتها لتتلاءم مع رغبته٠

ويتذوق ابناء جيل الادمغة الالكترونية متعة تعليم اساتذتهم طريقة استخدام هذه الالات٠ واذا قيض لهم اقتناء جهاز منها في بيوتهم، فانهم يعلّمون آباءهم كذلك٠ فالصغار يخوضون غماراً يتردد الكبار في ارتيادها٠ ويقول العالم الرياضي الشهير لويس روبنسون الخبير بشؤون الادمغة الالكترونية لدى شركة "آي٠بي٠ام٠": "انهم يعرفون ما يمكن هذه الالات ان تفعله وما لا يمكنها، بينما لا يزال الكبار يعتقدون انها ذات قدرات تفوق تخيلاتهم٠"

وعلى رغم حذرهم من الادمغة الالكترونية، بدأ الآباء يتقدمون مسيرة ادخالها الى المدارس٠ ففي ولاية فلوريدا أقامت بعض الجمعيات معارض لبيع الحلوى ومهرجانات وحملات غسل سيارات لجمع الاموال اللازمة لشراء هذه الاجهزة٠ وتملك مدارس يوتيكا في ولاية ميشيغان ٤٥٠ دماغاً الكترونياً تم شراء اكثر من ثلثيها بأموال وفرها الآباء عن طريق مثل هذه الحملات٠ ويقول بول يلنسكي مدير احدى مدارس يوتيكا: "يعلن الآباء لمستشاري المدارس انهم يريدون لاولادهم صفوفاً تعلمهم أساليب الادمغة الالكترونية، لان تلك هي موجة المستقبل العارمة٠"

ويقدر عدد الادمغة الالكترونية في الولايات المتحدة بمئة الف، معظمها في المناطق الميسورة من البلاد٠ لكن بعض الاجهزة يتوافر ايضاً في اماكن غير متوقعة٠ ففي حرم قبيلة "تشيبيوا" الهندية في ولاية وسكنسن، يستخدم الصغار ادمغة الكترونية لتعلم لغتهم القديمة٠ كذلك تطلب مدارس صغيرة في ارياف ولاية آلاسكا ادمغة الكترونية تلبية لحاجة خاصة، اذ ان هذه الآلات تتيح لطلاب من اعمار متفاوتة يجلسون معاً في غرف صغيرة لضيق الامكنة ان يتعلموا في الصف نفسه، كل بحسب قدرته على الاستيعاب٠ وتشير بعض التقديرات الى ان مدارس الولايات المتحدة سيكون فيها بين ٣٠٠ الف

---

(١) الكشف (Listing) هو امر يعطى للدماغ الالكتروني كي يكشف التعليمات الاساسية المبرمجة فيه ليتسنى للمبرمج تصحيحها او تعديلها٠

و ٦٥٠ الف دماغ الكتروني بحلول العام ١٩٨٥.

جهاز غبي! — ان التحسينات المطردة في برامج التعليم تعزز هذه الثورة الالكترونية في صفوف المدارس. وتشمل هذه البرامج ألعاب تسلية ونشاطات تتطلب انواعاً من التعاون في التفكير الجماعي، كتشكيل فرق متنافسة للقيام بما يشبه رحلة كريستوفر كولومبوس الاستكشافية. في هذا البرنامج، مثلا، يتوجب على الطلاب ان يعبروا المحيط الأطلسي آخذين في الاعتبار التيارات البحرية واتجاهات الرياح، ثم تحديد موقعهم على خطوط العرض والطول استناداً الى نماذج فلكية مع مواجهة اخطار تتمثل في مهاجمة القراصنة لهم وتعرضهم للانواء المدارية. التخطيط البارع والاختيارات الحكيمة والتعاون في العمل وحدها تؤمن نجاح العبور.

كذلك ابتكر المعنيون أساليب لاستخدام الادمغة الالكترونية في تعليم المعاقين. ففي معهد كاليفورنيا للصم في فريمونت، عملت روندا ريفيرا (١٦ سنة) على خمسة أجهزة طوال خمس سنوات لتتعلم كل المواد المدرسية.

وللادمغة الالكترونية أهمية علاجية. فباعتمادها في مدرسته في نيويورك لم يعزز لويس ستيوارت قدرته اللغوية فحسب، بل أعد كذلك تمارين تدريبية لاقرانه الذين يعانون مشاكل جدية في القراءة.

وبفضل طريقة "لوغو" وهي لغة مستحدثة في الادمغة الالكترونية وبسيطة في ظاهرها، يتسنى حتى للتلاميذ الصغار جداً ان يستخدموا الدماغ الالكتروني في التعلم. وفي مدرسة لامبلايتر في دالاس، تكساس، يمكن المدرسين الذين يطبقون طريقة "لوغو" ان يجعلوا اطفالا في السن الثالثة او الرابعة يكتبون تعليمات بسيطة للادمغة الالكترونية. وفي احدى الالعاب يحرّك الصغار "سيارات" و"مرائب" على شاشة الفيديو بهدف ادخال السيارات الى مرائبها. وفيما هم يلهون هكذا، فانهم يتعلمون كلمات بسيطة ويعتادون ان يميزوا بين اليسار واليمين.

ما ان يرفع المبرمجون الصغار الى الصف الاول المتوسط في اوائل العقد الثاني من عمرهم حتى تكون مهاراتهم بلغت مستوى يتيح لهم القيام بعمل مجد. ففي شيكاغو انشأ جوناثان دبمان (١٤ سنة) وكاي بروزسوني (١٣ سنة) شركة سمياها شركة "أرسطو للمواد الخفيفة" (٢) لبيع الألعاب والرسوم التي يبرمجانها. ويتقاضى يوجين فولوك (١٤ سنة) من لوس انجلس ٤٨٠ دولاراً في الاسبوع للعمل ٢٤ ساعة مبرمجاً لحساب شركة "فوكس للقرن العشرين" السينمائية. وهذا العام يكسب غريغ كريستنسن (١٨ سنة) من أناهيم في كاليفورنيا نحو ١٠٠ الف دولار كعائدات امتياز لعبة "فيديو" ابتكرها واشترتها منه شركة "اتاري".

(٢) المواد الخفيفة هي تسمية لبرامج الادمغة الالكترونية.

نتيجة خبراتهم في حقل الادمغة الالكترونية، لا بد ان صغار هذه الايام سيواجهون العالم بطريقة تختلف عن مواجهة آبائهم له. فالخطوات المنطقية الدقيقة والمنظمة التي يتطلبها استخدام هذه الاجهزة وبرمجتها تبشر بتطور ورهافة في الاساليب الفكرية لدى جيل الادمغة الالكترونية.

بعض النقاد، امثال جورج شتاينر الكاتب واستاذ اللغة الانكليزية، يرون في هواة الادمغة الالكترونية الصغار مبعثاً للقلق. ويقول شتاينر: "انهم سينقطعون عن بعض منابع الهوية الانسانية وقدرة الابداع المرتبطة بالاستعمال الشامل للغة بدلا من الاكتفاء ببعض الرموز الرياضية والشكلية." لكن كثيرين غيره هم اكثر تفاؤلا في هذا الصدد. ويتكهن الفيلسوف ستيفن تولمن من جامعة شيكاغو بأن الادمغة الالكترونية سترجع جيل التلفزيون الى "العقلانية" ويقول: "التلفزيون اراح الناس من ضرورة اي عمل. لكن تشغيل الدماغ الالكتروني هو رهن ما تفعله انت بنفسك."

القرار الحاسم في هذا الشأن ربما يكون أبسط من ذلك كثيراً، لكن البالغين لا يعلنونه. فالصغار ـ اكثر من الكبار ـ يفهمون الدماغ الالكتروني على حقيقته. ويقول طفل في العاشرة: "انه غبي، ويتوجب عليّ ان أحدد له كل شيء."

■ **فريدريك غولدن**

هل ينقلب الدماغ الالكتروني
على مبدعه كما فعل مسخ فرانكشتاين؟
هذا المؤلف العلمي الشهير يستبعد ذلك

٢ ـ الذكاء الاصطناعي

ذات صباح لسنوات قليلة خلت، وجد مدير في شركة استشارات في كامبريدج، ولاية ماساتشوستس، رسالة بجانب لوحة مفاتيح الدماغ الالكتروني في شركته وعليها الكلمات الآتية:

"اطبع كل رسائلك
على هذا الجهاز."

ظن المدير انّ هذه الرسالة تركها زميل له ما زال على اتصال بالدماغ الالكتروني عن طريق خط منزلي، فطبع الاستيضاح الآتي: "هل يمكنني استخدام الجهاز هذا الصباح؟"

الجهاز: "لماذا تسأل؟"
المدير: "قد أتِمُّ بعض المبيعات."
الجهاز: "هل يهمك ذلك كثيراً؟"

المدير: "بالطبع يهمني."
الجهاز: "يبدو انك واثق جداً من ذلك."
المدير: "هذا مضحك."
الجهاز: "ماذا تعني بقولك هذا مضحك؟"

وجن جنون المدير فاتصل هاتفياً بزميله مستوضحاً لماذا كان فظاً في المحاورة معه. لكن هذا اوضح له، وهو يغالب الضحك، انه كان يتحاور مع الجهاز نفسه وليس معه هو، وذلك عن طريق برنامج وضعه احد الموظفين.

هذا البرنامج يدعى "الطبيب" وقد وضعه البروفيسور جوزف وايزنبوم من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا في كامبريدج، كتجربة ساخرة لبعض اساليب العلاج النفساني. فالجهاز يجيب عن كل جملة تنتهي بعلامة استفهام بالسؤال "لماذا تسأل؟" وعندما تظهر كلمات معينة في جملة ما يعيد الجهاز صياغتها بسؤال عن محتوى تلك الجملة. والجهاز، طبعاً، لا يفقه شيئاً مما يجري.

ومع ذلك وجد وايزنبوم ان الناس الذين يتحدثون الى برنامج "الطبيب" – حتى اولئك الذين يعرفون حقيقته – يأخذون اجوبته جدياً وبعضهم يسرون اليه بمشاعرهم ويتعلقون به عاطفياً حتى أنهم يصرون على انه يفهمهم. بالنسبة الى هؤلاء اكتسب برنامج وايزنبوم "حياة" خاصة.

طوال قرون ظلّ البشر مأخوذين بفكرة ابداع اجهزة لها شبه حياة على صورتنا ومثالنا. وفي تصور واهم يطيع هذا الجهاز الآلي مبدعه، ثم يزداد جرأة حتى يبلغ درجة الخطر، وأخيراً تقهره حكمة الأنسان وشجاعته.

لكن ما كان تصوراً واهماً يبدو الآن اكثر من ذلك. ماذا لو أصبح في الأمكان برمجة الادمغة الألكترونية لتفهم وتفكر وتتخذ قرارات ثم تنفذها؟ كيف تنتهي الرواية حينئذ؟

يعكف عدد من الباحثين على تحقيق "ذكاء اصطناعي." وهم يؤمنون بأنه لن يبقى أمر يمكن الدماغ البشري ان يفعله وتعجز عنه الادمغة الالكترونية بالمهارة نفسها في المستقبل القريب، وربما بمهارة أعلى كثيراً في ما بعد. ويعتقد روبرت جاسترو، المدير السابق لمعهد "غودارد" للدراسات القضائية وأستاذ علم الفلك في جامعة كولومبيا في نيويورك، انه "قرابة العام ١٩٩٥، وعلى اساس الاتجاهات الحالية، سنرى ان الدماغ المصنوع من مادة السيليكون اتخذ شكلا من الحياة وبات ينافس الانسان."

هل من الممكن حقاً ان ينافس الذكاء الاصطناعي ذكاءنا البشري؟ دعونا ننظر في الأدلة.

لا ريب في ان الادمغة الالكترونية تبز الدماغ البشري في قدرتها على تذكر مجموعات من المعلومات واجراء حسابات بسرعة البرق. انها اكثر كفاية من الانسان في بعض المهمات، مثل توجيه الطائرات في الجو وتحديد مجرى منتجات المصانع وحفظ سجلات المصارف واجراء الصفقات التجارية. ولكن في حين يمكن هذه الأجهزة ان تحسب في ثوان ما يقتضي انجازه اشهراً من

عمل الأنسان، فانها تعجز عن تعديل اهدافها او الأسئلة التي تطرح عليها في ضوء النتائج التي تستخلصها. وهي أعجز الى مدى أبعد عن استنباط المسائل والمشاريع.

غير ان هناك جيلا جديداً من الادمغة الالكترونية المبرمجة صمم للتحليل المنطقي وحل مسائل من نوع معين.

وقد وضع الباحثون في بضعة مختبرات برامج تكشف انتظاماً في المعلومات الاولية وتستخلص منه قاعدة او قانوناً. وهناك برامج اخرى تعيد وضع تعليماتها الخاصة مفيدة مما خبرته.

خير مثال لذلك برنامج يدعى "هاكر" وضعه البروفيسور جيرالد سوسمان من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. وظيفة جهاز "هاكر" محدودة، وهي تنضيد مكعبات صغيرة واحداً فوق آخر (تظهر صورتها على شاشة فيديو) وفق تعليمات الباحث. فاذا طُلب منه وضع المكعب "أ" فوق المكعب "ب"، فأنه يفعل ذلك للحال. واذا طلب منه وضع المكعب "ب" فوق المكعب "ج"، فأنه يبدأ تنفيذ الأمر بالطريقة نفسها، لكنه سرعان ما يعطي اشارة "خطأ" لأن المعلومات المبرمجة فيه تقول انه لا يستطيع نقل مكعب فوقه مكعب آخر.

يحل "هاكر" هذه المشكلة بانزال المكعب "أ" ثم نقل "ب" الى فوق المكعب "ج". بعد ذلك يختزن هذا الحل كجزء من برنامجه. وفي ما بعد، كلما وجد مكعباً فوق المكعب الذي يتوجب نقله، فأنه يعمد الى انزاله من دون ان يحاول نقل المكعب السفلي واعطاء اشارة الخطأ. فهو أصبح أذكى مما كان.

هذه القدرة على التعلم من التجربة توحي بتكهنات خيالية بسيطرة الآلة على الانسان في نهاية المطاف. لكن قلة من العلماء الذين يدرسون اسلوب عمل الفكر البشري تشاطر في هذا الرأي.

واحد من هؤلاء هو البروفيسور وايزنبوم الذي يعتقد ان لا سبيل للذكاء الاصطناعي، الذي يسير على مبدأ الـ"خطوة – خطوة،" الى مجاراة الدماغ البشري في القدرة على الايحاء الذاتي والمقارنة (الربط) والاستشفاف التي هي مصدر جانب وافر من قدرة الانسان الابداعية. وهناك ظواهر عقلية اخرى يعتقد العلماء ان من غير الممكن تحويلها برامج لدماغ الكتروني. من ذلك:

الوعي (الادراك). ان ادراك الذات هو اساس ما يعني للانسان كونه حياً. نحن لا نفكر فقط، بل ندرك أننا نفكر.

القيم والمعتقدات. برنامج الدماغ الالكتروني الحسن التصميم يمكنه ان يوازن المعطيات المتناقضة ويختار الافضل. لكن لدى الأنسان وعياً لقدرته على اتخاذ القرارات يستجلب قوى اخرى تلعب دوراً في ذلك، مثل القيم الخلقية والمعتقدات الدينية، وهذه تؤثر في النتيجة المستخلصة.

الفضول والاهتمام. بين كافة مقومات الدوافع الانسانية نجد ان

قدرتنا على الاحساس بالاثارة هي أبعد من ان يحاكيها دماغ الكتروني. اننا نهتم بحل مسألة جديدة او باكتشاف حقيقة جديدة، حتى لو لم تكن لدينا فائدة آنية من ذلك. وهكذا يتوسع كوننا الفكري باستمرار وفي اتجاهات لا يمكننا التنبؤ بها.

ولا ريب في ان الدماغ الالكتروني سوف يبز الذكاء البشري في نواح معينة. لكن تأثيره الرئيسي سيبقى في حيز فائدته لنا كجهاز فحسب. ويعتقد البروفيسور وايزنبوم ان الادمغة الالكترونية لن تشكل خطراً داهماً على الانسانية ما لم نسمح لها باتخاذ القرارات في المجالات التي تتناول قضايا خلقية حيث نحن وحدنا ينبغي ان نقرر، كما في اختيار الأهداف العسكرية او اصدار الأحكام القضائية او العلاج النفساني.

ولكن هل هناك نذير حقيقي باننا سنتنازل لها عن مثل هذه القرارات؟ ان من العسير الأعتقاد بأننا سنكون من الغباء بحيث نعتبر آلاتنا أوفر ذكاء منا. هذا ما دمنا نعي ونفخر بميزتنا الانسانية.

■ مورتن هانت

اليمين والجنة

عندما يموت الامريكيون، يتوجه الخيرون منهم الى السماء. ولكن قبل دخولهم الجنة ينتظرون في صف طويل حيث يجدون طريقين، احداهما الى اليسار والثانية الى اليمين. وعند طريق اليسار سهم كتب عليه: "الطريق الى الجنة." وعند اليمين سهم آخر كتب عليه: "الطريق الى محاضرة عن الجنة." الا ّ أنهم يختارون جميعاً طريق اليمين.

آرثر شنابل

باخ بين خبيرتين

اكتسبت عازفة البيانو والبيان القيثاري المعروفة فاندا لاندوفسكا تأييداً واسعاً لإظهارها النغم الاصلي لموسيقى باخ وهاندل وسكارلاتي على الآلة التي استعملوها، وهي البيان القيثاري.

ومعروف عن لاندوفسكا أنها امرأة ذات آراء قوية تتقن الدفاع عنها، وأنها تعي قيمتها، وهي لم تلجأ الى التواضع الزائف. ومن اعظم الروايات في عالم الموسيقى قصة اللقاء الذي تم ّ بينها وبين خبيرة أخرى في موسيقى باخ. فقد كانت المرأتان تتناقشان حول الزخرف عند ذلك الموسيقي حين احتدم النقاش بينهما. وسمعت لاندوفسكا تقول: "حسناً يا عزيزتي. استمري في عزف موسيقى باخ على طريقتك، وأنا سأستمر في عزفها على طريقته هو."

هارولد شونبرغ، "أكابر عازفي البيانو"



على رغم قذارة هذه المدينة الهندية واكتظاظها بالمباني والسكان، فانها تمنح الجميع فرصة للعمل وللأحلام

مدينة بومباي الهندية لا تستقبل زوارها بالمقدمات، بل تفتح لهم صدر الدار مرة واحدة. ولقد بلغْتُها ذات ضحى بيضتْه أمطار غير موسمية. وعلى رغم الوقت الباكر، شاهدت بحراً من الوجوه السمر تتكسر أمواجه على أبواب المطار الزجاجية. ترى ما الذي ينتظره هؤلاء؟ ماذا يريدون؟

وبعد هنيهة اخترقتُ صفوفهم، قاطعاً المسافة الطويلة الى وسط المدينة عبر صباح رمادي رطب.

وبدت الضواحي بين المطار والمدينة متشابهة من حيث قذارتها وابنيتها السكنية المتصلة التي سودها الطحلب وخططها الماء هنا وهناك. وكانت ملصقات الافلام السينمائية تتكرّر من مجمع الى آخر وقد توسطتها نسوة ذات وجوه متوردة. وتتالت الحوانيت المكتظة كأنها حانوت واحد طويل، وكأنما الناس أمواج لا تنتهي. وعند إشارات المرور الحمراء كان الشحاذون يمدون أيديهم الى

Condensed from Geo (September '81), (c) 1981 by Gruner + Jahr USA, Inc. New York, N.Y.
Photo: E. Streichan/Shostal Associates.

السيارات ويباشرون طلبات طويلة من الاستعطاء.

إن قراءة بومباي تستغرق وقتاً. فالمرء لا يعرف بسهولة أن تلك المجمعات السكنية هي بيوت الطبقة الوسطى، ولا يتوقع أن تحتوي الاكواخ العائمة فوق الوحل والماء على أجهزة راديو وطباخات غاز، وأن يكون بعض سكانها موظفي حكومة يتقاضى الواحد منهم راتباً شهرياً يراوح بين ٣٠٠ روبية و٤٠٠ روبية (نحو ٢٤ دولاراً) وهو مبلغ لائق بالنسبة الى المقاييس الهندية. كما يحتاج المرء الى وقت ليدرك أن خلف حُجُب البؤس والاهمال مدينة تعمل بانتظام. فالحافلات والقطارات تجوب المدينة، والكهرباء تضيء طرقها وناطحات سحابها، والمياه وخطوط الهاتف تُوَزَّع على نحو مقبول.

هكذا يتلاشى الكابوس ويظهر وجه بومباي الآخر. ومن شاء رؤية هذا الوجه فليقصد طريق البحارة المتعرجة فوق خليج يغذيه بحر العرب. هذه الطريق تحدها شمالا منازل رجال الاعمال ونجوم السينما، وجنوباً المباني الشاهقة المشيدة فوق نقطة ناريمان التي كان معظمها جزءاً من البحر قبل عشر سنين. ولا يلبث الزائر هناك أن يتحسس حيوية المدينة وفتنتها ويدرك بعض أسباب شهرتها.

أما ذروة الفتنة والسحر فيجسدها عالم الافلام. ومدينة بومباي هي مركز صناعة السينما الهندية المزدهرة. هناك يُنْتَجُ سنوياً نحو ١٥٠ فيلماً سينمائياً، يدور معظمها على أحلام الغنى والنساء الجميلات والرجولة وانتصار الفضيلة المتواضعة على الرذيلة الغاشمة. وفي هذه الافلام يجد سكان الضواحي الفقراء بعض تعويض لحرمانهم.

ويدعي أنصار المدينة أن بومباي هي مدينة الهند الحقيقية الوحيدة. وفي ذلك نجدهم يضعون العاصمة دلهي خارجاً لطغيان العنصر البنجابي عليها، ويهملون كلكوتا ذات الاكثرية البنغالية، كذلك مدراس محجة الديانة الهندوكية في الجنوب. أما بومباي التي لا تنتمي الى أحد فهي للجميع: للهندوس والمسلمين والفرس والبريطانيين الذين لعبوا كلهم دوراً في نشوئها.

ولقد قال لي أحدهم ما يأتي: "اذا أخبرك امرؤ أن بومباي موطنه، فهذا يعني أنه بلا جذور." وما غياب الانتماء هذا الذي يميز المدينة سوى صدع في بناء المجتمع الهندي الذي يقيم وزناً كبيراً للروابط العائلية والقبلية والدينية والجغرافية.

مدينة مهاجرين - على قمة تلة في وورلي أقيمت حديقة عمومية جُعلت فيها مروج خضراء وأحواض زهر وشلال ماء تتلألأ وسطه الانوار. وتبدو هذه الحديقة معجزة في مدينة لم يبقَ فيها موطىء قدم. وإضافة الى جمالها الذاتي، تمنح هذه الحديقة زائرها منظراً عاماً للمدينة. فإلى غربها يقوم البحر والابراج السكنية، والى الشرق الاكواخ الحقيرة المزدحمة. وتطل الحديقة على مصانع

النسيج التي تغبر مداخنها الفضاء. وهكذا يرى الزائر في آن مدينة الاحلام والسحر ومدينة العمل الشاق.

ومعامل النسيج هذه التي أسست في بومباي في النصف الاخير من القرن التاسع عشر هي سبب النهضة الصناعية والانفجار السكاني اللذين شهدتهما المدينة. وكانت بومباي حتى ذلك الوقت شهدت نمواً محدوداً. فالسادة الاوروبيون الاوائل، وهم البرتغاليون، لم يحققوا أمراً ذا شأن. وفي العام ١٦٦١ انتقلت المنطقة الى عهدة الملك الانكليزي تشارلز الثاني لدى زواجه بالاميرة البرتغالية كاترين اوف براغنزا. وبعد عشر سنين أجرها لشركة شرق الهند التجارية البريطانية في مقابل عشرة جنيهات استرلينية سنوياً.

وفي نهاية القرن السابع عشر كانت بومباي اكتسبت المعالم التي بقيت تميزها حتى يومنا هذا. فكل ساكن للمدينة هو، الى حد، مغامر. وكان الناس، ولا يزالون بعد ٣٠٠ سنة، يقصدونها من أجل شق طريقهم والثراء السريع.

والمهاجرون يؤمون بومباي بمعدل ٣٠٠ شخص يومياً. وبعدما كان عدد سكانها ستة ملايين قبل عشر سنين، أصبح اليوم يربو على الملايين الثمانية. واذا بقي معدل النمو كما هو، فيقدر أن يرتفع هذا العدد الى ١٤ مليوناً أو ١٥ مليوناً مع العام ٢٠٠٠. وتمكن مشاهدة مليون و٢٠٠ ألف شخص ينامون في الخلاء في شوارع بومباي كل ليلة.

ولان المدينة تقوم فوق مجموعة من الجزر الضيقة، فإن ضواحيها تمتد شمالا الى ما لا نهاية. وبعضهم يقضي أربع ساعات يومياً في الذهاب والاياب بين سكناه وعمله. وفي ساعات الازدحام يتدافع الناس بالمناكب على نحو مخيف في محطة فكتوريا للسكك الحديد. ويتدلى الركاب من نوافذ القطارات وقد زاد عددهم على ضعفي السعة المحددة. ويفقد بعضهم توازنه فيسقط على الخطوط المكهربة. وهناك ثلاثة أشخاص أو أربعة يقضون يومياً او يتشوهون نتيجة لهذه الحوادث.

أما المياه المؤمنة فتقصر كثيراً عن حاجات السكان. وعند إنجاز الاصلاح المائي الذي يشارك فيه البنك الدولي، ستزداد الحاجة الى الماء من جديد.

حانوت مفتوح – لكن في بومباي على الدوام مجالا للحصول على روبيات إضافية. ويكفي أن يسير المرء في أي شارع لاكتشاف عشرات الوسائل التي يعتمدها الفقراء لعيشهم. وفي الامكان بيع أي شيء، كالماء والجوز والاقلام الرخيصة والالعاب وريش الطاووس والتحف الطريفة والازهار الاصطناعية والمقويات الجنسية والعقاقير النباتية وأوراق الحظ وقصص المغامرات. كما يمكن أيضاً طحن العدس واصلاح الاقفال المكسورة وبيع أقفاص الطيور وحواية الافاعي وتفسير الاحلام وتنظيف آذان المارة وترقيص السعادين والالعاب البهلوانية ونشل الجيوب.

وفي المساء الباكر، اذ تُفْتَحُ

نوافذ المباني المضاءة على روائح الدخان والطعام وتدار أجهزة الراديو على أعلاها وتزعق ابواق السيارات وحناجر المشاة في الشوارع، يشعر المرء بالوطأة الثقيلة التي تُحدثها الألوف المؤلفة من البشر.

ولا تعرف بومباي الهدوء ما دامت في يقظة. ولا تخيم السكينة عليها الا في ساعة متقدمة من الليل، وهي سكينة هدّها الارهاق في أي حال. عندئذ تتلاشى الانوار الصُّفر وتختفي السيارات، فيما تستسلم الوف الأجساد المضطجعة على الارصفة للنوم. واذ ذاك يمكن سماع صوت الأمواج المتكسرة على صخور وورلي. ويخرج ٨٠ مليون جرذ من الأوكار، ومعها صراصير لا يحصيها عدد، مطمئنة الى السكينة خلال الساعات القلائل التي يخلد الناس الى الراحة.

ولا تجد بومباي سبيل خلاص إلا في توأمها بومباي الجديدة التي ما زالت حبراً على ورق، والتي يؤمَّل أن ترتفع يوماً على الارض الام بعدما وُضعت التصاميم المفصلة لها. وليس من هذه المدينة الجديدة اليوم سوى منطقة تجارية محدودة وبعض المباني السكنية والمصانع الفخمة. وفي هذه الأثناء ما فتئت بومباي القديمة تغري الوف الهنود بالذهاب اليها من مناطقهم الريفية التي تقصر عن طموحاتهم.

ويتجلى الضغط على المدينة في تهالك أبناء الطبقة الوسطى على البناء. وعلى رغم القفزة الضخمة في مجال البناء السكني خلال السنين العشر الماضية، ألا أن الشقق والغرف الموجودة حالياً لا تستوعب السكان. وقد قال لي موظف يرتدي ملابس أنيقة ما يأتي: "أتصدّق أني مجبر على العيش في غرفة واحدة مع ثلاثة أشخاص آخرين؟ أني أود الزواج... ولكن أين اسكن أنا وزوجتي؟"

موظف أمين — وقف السيد نارايان في بهو فندقي المكيَّف الهواء، وقد ارتدى قميصاً وسروالا أبيضين وجاء ليأخذني الى غرفته ويريني كيف يعيش فقراء بومباي. وخرجنا إلى الشارع في تلك الامسية الحارة، وانتظرنا عند موقف الحافلة.

وكان السيد نارايان منضد حروف، وقد أمضى الاشهر الأخيرة بلا وظيفة، ينفق على نفسه من مدّخراته. وأراني حزمة من المستندات التي يحملها، بينها جواز سفر ووثائق صحية وشهادة في تنضيد الحروف ورسالة من رئيسه السابق تقول انه كان موظفاً مثابراً وأميناً. وقال: "الآن سأبذل جهدي للذهاب الى الخليج."

ودول الخليج العربي هي محطّ أنظار الهنود الذين اكتسبوا خبرة واسعة في أعمالهم، وهم كثيرون. إلا أن السيد نارايان كان مضطرباً، فالذهاب الى الخليج يحتم عليه المرور عبر وسطاء يتقاضون منه عمولة في مقابل تسهيل أموره. والعديد منهم يهمل الطلبات بعد الحصول على المبالغ المطلوبة من أصحابها. والسيد نارايان كان يخشى أن يصيبه شيء من هذا. غير أنه لا يملك سوى مدّخراته التي تتضاءل بأطراد.

ونزلنا من الحافلة وطرقنا زقاقاً

يعج بالاولاد. وقال السيد نارايان: "سأُريك إحدى عماتي." وتقدّمني الى غرفة خانقة تبلغ مساحتها ثلاثة أمتار مربعة، في الطبقة الارضية من بناء سكني. هناك كانت امرأة مغضّنة الوجه، غزا الشيب شعرها، تجلس القرفصاء وأمامها وعاء من التبغ، وقد علّقت وراءها على الجدار بعض صور. وكانت قطعة الأثاث الوحيدة الظاهرة مجموعة أدراج.

في تلك الغرفة كان يعيش سبعة أفراد: تلك المرأة وابنتها وصهرها وأحفادها الأربعة. وهي كانت تلفّ السجائر التي تبيعها بثمن بخس جداً. وكانت تصنع منها ألفاً خلال اثنتي عشرة ساعة، وتعمل طوال أيام الاسبوع السبعة. أما معدل دخلها فهو ٢٥٠ روبية في الشهر. وقد مارست مهنتها هذه طوال السنوات الاربعين المنصرمة.

وكانت غرفة السيد نارايان في الطبقة الاخيرة من تلك البناية المتداعية عينها، وقد صعدنا اليها على سلم خشبية. ولم تكن، من حيث مساحتها وتهوئتها، بأفضل من غرفة عمته في الطبقة الارضية، وأن كانت تحوي بعض مظاهر الأناقة. فعلى الباب لوحة تحمل اسمه، وفي السقف مروحة، وعند الجدار خزانة ذات واجهة من زجاج تظهر الآنية المنزلية داخلها، ورفوف كتب، وحوض تملأه أسماك استوائية متعددة الالوان. وكان أولاد السيد نارايان الثلاثة، وهم بنتان وصبي، يلعبون على الارض. وقدم إليّ، باعتزاز، كرسياً معدنياً يمكن طيه، ويبدو أنه من أفخر مقتنياته. وجلستُ على الكرسي وأنا أنظر الى حوض السمك.

ولما رأى السيد نارايان اهتمامي قال: "لقد اشتريتُ هذا الحوض له،" وأشار الى ابنه النائم. وتابع: "وأظن أن مراقبته هذه الأسماك تقوي ملكة المعرفة لديه. انه في السابعة من عمره. وذهابي الى الخليج هو من أجل مستقبله. فأنا أحتاج الى المال لتعليمه. وهو سوف يشب ليغدو رجلا عظيماً."

وتمنيتُ أن يحقق السيد نارايان حلمه.

على شاطىء تشوباتي كانت رائحة الروث البشري الكريهة تختلط برائحة البحر. وتوهجت المصابيح المعلّقة فوق عربات الطعام وقد انبعث منها نور موجع كالأنوار المتلألئة من الابراج السكنية. وفي الوقت نفسه كانت أشباح المتنزهين منعكسة على صفحة الماء، وقد جلست مجموعة من الرجال والنساء على نحو دائري، يقرعون الطبول وينشدون الأغاني أمام تمثال رملي مزخرف.

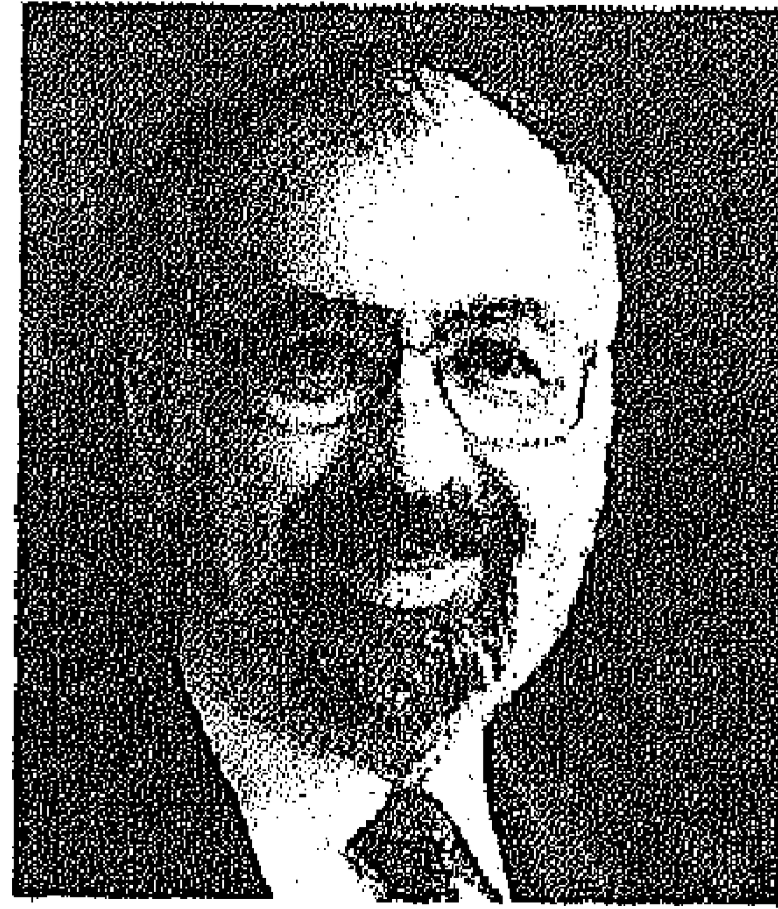
يا لها من مدينة عجيبة حقاً، يختلط فيها اليأس والرّجاء بحيث لا يعرف المرء أين ينتهي الواحد ويبدأ الآخر وسط الغموض القائم بين الحقيقة والخيال.

ورحتُ أُصغي الى قرع الطبول والانشاد وقد تردد في ذهني ما قاله السيد نارايان: "ان ابني سوف يشب ليغدو رجلا عظيماً."

أن بومباي تعيش لأنها ترفض واقعها الرهيب!

■ شيفا نايبول

بَطل النهرُ المتجمّدُ



آرلند وليمس

بعيد سقوط طائرة البوينغ في نهر بوتوماك المتجمد، خاطر احد الركاب بحياته لانقاذ رفقائه الناجين... ولما جاء دوره اخيراً اختفى تحت الماء

انها الرحلة التسعون لشركة طيران فلوريدا. الطائرة جاثمة على أرض المطار كطائر شارد والجو يعصف ثلجاً. ومن النوافذ لا يتبين المرء سوى القليل من مطار واشنطن، وكلما هبت عصفة هواء وأزاحت الجليد قليلا، تمكن الركاب من رؤية الجرّافات تنظف المدارج والعمال يسكبون محلول الفليكول على بدن الطائرة وجناحيها لاذابة الجليد.

ومر وقت الاقلاع المقرّر، وهو الثانية والربع عصراً، والطائرة ما زالت في مكانها. كان ذلك في الثالث عشر من يناير (كانون الثاني) ١٩٨٢. وتململ الركاب في مقاعدهم وأخذ أحد الأطفال يبكي. وبعد انقضاء ساعة كاملة لم يجد بعض الرّجال بدّاً من النكات، فقال أحدهم: "إذا كنا حقاً في حانة، فأين السُّقاة؟" وضحك الآخرون، ولكن على نحو مكبوت. الا ان بعضهم تنفّس الصعداء لدى سماعه قهقهة زميل من

الركاب، مما عنى أن الامور ستجري خيراً.

ذلك الرّجل كان آرلند وليمس الذي وجد الضحك ممكناً في جميع المواقف. وتصفه والدته بقولها: "كان يحب الحياة ويعرف، على الدوام، كيف يستمتع بها." وكان وليمس في السادسة والأربعين، خفيف الشعر وقد كست وجهه لحية وشاربان تخللها الشيب لكنها كانت مشذّبة في جميع الأوقات. وهو كان مطلقاً، يمضي عطلات نهاية الاسبوع مع ولديه ويأخذهما أحياناً الى الريف للتخييم في الطبيعة.

وكان ركوب الطائرات أمراً عادياً بالنسبة الى وليمس بحكم وظيفته كمدقق حسابات في مصرف حكومي. وفي جولاته الدائمة على المصارف في ست ولايات، كان يجلس في الجزء الخلفي من الطائرة وهو، على حد قوله، "الجزء الأكثر أماناً." وما أن يجلس في مقعده حتى يشد حزام الأمان ويباشر القراءة.

في الثالثة والدقيقة السابعة والثلاثين عصراً تقرر إقلاع طائرة البوينغ - ٧٣٧ التابعة لشركة طيران فلوريدا. وفيما هي تنتظر دورها على المدرج وراء خمس عشرة طائرة اخرى، أخذ الجليد يتجمّع على جناحيها من جديد. والجليد يعوق التحليق لأنه يضيف ثقلا الى الطائرة ويصد تسرّب الهواء حول الجناحين ويعرقل الأجهزة كلها.

رجل عادي - تقول السيدة وليمس ان ابنها آرلند ليس بالرّجل الخارق، بل هو "عادي" جداً." وعلى هذا النحو المتواضع كان آرلند يصف نفسه أيضاً. وفي محفوظات العائلة رسالة كتبها الى جدته وهو في التاسعة، جاء فيها: "أني أُبلي بلاء حسناً في المدرسة وأحصل على المعدّل في جميع المواد."

إلا أن آرلند كان شخصاً متميزاً في أعين عارفيه لالتفاته المخلص اليهم. وكانت له أيضاً موهبة الاستمتاع بالأشياء اليومية المألوفة، ربما لأنه كاد ان يخسر تلك الأشياء في حداثته. فعندما كان في الخامسة، كان يستيقظ ليلا وفي رجله اليمنى ألم مبرح. ويحاول جهده ألا يبكي. سوى أن ألمه كان من القوة أحياناً بحيث يرغمه على الصراخ.

وانقضت خمس سنوات قبل أن يكتشف الأطباء سبب محنته، وهو ورم نادر لكنه غير خبيث في العظم الحرقفي، تلزمه جراحة. وبعد اجراء العملية اعترف آرلند بخوفه الشديد، ذلك الخوف الذي لم يذكره في حينه والذي طمسه نهائياً بعد ذلك.

في الثالثة والدقيقة التاسعة والخمسين أسرعت الطائرة على المدرج واهتزت وهي ترتفع. ألا أن ارتفاعها لم يبلغ حدّه الطبيعي. وفي أحد المقاعد الخلفية جلس رجل الاعمال جوزف ستيلي، وهو طيار سابق أدرك أن تلك الطائرة لن تستطيع التحليق. وقال للمرأة الجالسة بجانبه: "إنها مهمة مستحيلة."

وعبرت الطائرة فوق جسرين من نهر بوتوماك الذي يخترق العاصمة الأمريكية. وفجأة بدأت تهبط. وقال

الطيار المعاون: "أننا ننحدر." فأجابه الطيار بوجه كالح: "أعرف ذلك."

وكان آرلند، يوم رأس السنة، أخبر كارول بيغز، وهي فتاة من ولاية جورجيا شاء الزواج بها: "اني لن أعمّر طويلا."

ربما كان مصدر ذلك الالهام شعور داخلي او الارهاق الذي جرّته عليه أعسر مهمة في حياته. ففي الأشهر الستة الأخيرة كان منهمكاً في كشف حسابات مصرف يواجه متاعب في فلوريدا. والنتائج التي حصل عليها من شأنها هدم مستقبل جميع اداريي المصرف. وكان آرلند يعاني عذاب ضمير قوياً اذا أدى عمله الى جر العذاب على سواه. وقال لخطيبته: "أني أرى حياة اولئك الأشخاص تتهافت."

وقصد واشنطن لبحث القضية مع رؤسائه. وخابر كارول قبل أيام من ركوبه تلك الطائرة. وكان ذلك في مساء من أشد أماسي هذا القرن صقيعاً، وجهاز التدفئة معطل في غرفته في الفندق. وقال لخطيبته: "ثمة صقيع لا يُطاق."

في الدقيقة الاولى بعد الرابعة عصراً هوت الطائرة فوق جسر الشارع ١٤. وقال شاهد عيان: "كان الصوت عالياً جداً بحيث لم أسمع صُراخي." واقتلعت الطائرة سطوح بعض السيارات ثم انشطرت قبل أن تسقط في نهر بوتوماك الذي يعلوه الجليد. وران صمت مخيف برهة قصيرة، ثم ارتفعت الجلبة واختلطت أصوات المائتين والجرحى ودوت سيارات الشرطة والاطفاء والاسعاف. وكان الرجال والنساء يراقبون المشهد المرعب وهم لا يستطيعون شيئاً. وغرقت الطائرة، وداخلها كثيرون تحت الماء.

"سنموت كلنا" — بلغ آرلند وليمس سن الرشد خلال الخمسينات وهو في بلدة ماتون من أعمال ولاية ايلينوي، حيث تمتد الأراضي الزراعية الى ما لا نهاية. ومرة أخذ صديقته بيغي ساليفان الى حفلة راقصة، وأوقفا السيارة على ضفة بحيرة في انتظار شلتهما. وفجأة أحست بيغي يداً غريبة تلمس ذراعها الملقاة على نافذة السيارة. ذلك كان رجُلا ضخم الجثة، ثملا أمرها بأن تنزل من السيارة.

لكن آرلند قال لها: "تشبّثي بمكانك." وفتح بابه وتوجه بهدوء الى الرّجل الغريب وقال له بلطف: "أتريد سيجارة؟" وبعد حديث هادئ قصير أقنعه آرلند بأن يذهب في طريقه. وتتذكر بيغي ذلك الحادث قائلة: "كان آرلند قليل الكلام، غير أنه عرف كيف يواجه الامور الطارئة."

بعد دقائق من اصطدام الطائرة لم يبقَ عائماً منها سوى ذيلها. وتمسك أربعة أشخاص، وهم رجلان

وامرأتان، بالحديد المفلول. ثم برزت امرأة اخرى من الماء هي بريسيلا تيرادو، وكانت ترتعد ليس بسبب رجلها المكسورة فحسب بل لأنها فقدت زوجها وطفلها. وساعدتها باتريشيا فيلتش وجو ستيلي على الوصول الى دائرة الناجين.

وقاوم اولئك الخمسة صقيع الماء. وكان بعضهم كُسرت يده وآخر رجله، فيما تمزقت رئات اثنين من جرّاء الاصطدام. وقال أحدهم: "سنموت كلنا." وتتذكر باتريشيا فيلتش كيف كانت بريسيلا تصرخ: "أين طفلي؟ أين طفلي؟"



وفي الرابعة والدقيقة العشرين سُمع زئير طائرة مروحية تابعة للشرطة الأمريكية. وانحدر الطيار دونالد آشر كيما يتبين ما يجري. فوجد أن أحد الناجين كان أقوى من سواه، وقد انتصبت قامته وارتفع خصره فوق الماء. وكان شعره خفيفاً، كما يتذكر آشر، وقد كست وجهه لحية رمادية اللون.

ودلى طاقم الطائرة حبل النجاة الاول في اتجاه بيرت هاملتون الذي كان يصارع الصقيع والماء على بعد ثلاثة أمتار من ذيل الطائرة المنكوبة. وتمسك بيرت بالحبل ووقف الناس ينظرون اليه وقد حُمل الى الشاطىء على بُعد تسعين متراً.

وعادت الطائرة المروحية ودلى طاقمها الحبل الى الرجُل الأجلح. وعوضاً عن لف الحبل حول خصره أعطاه للمضيفة كيلي دنكان، وهي وحدها نجت من طاقم البوينغ. وأخذت الحبل ولفته حول ذراعيها، فسحبتها الطائرة الى بر الأمان هي أيضاً.

نظام صارم – كان آرلند يحبّ ارتياد المواقف الصعبة. وفي العام ١٩٥٣ انضمّ الى المدرسة العسكرية في مدينة تشارلستون في ولاية كارولينا الجنوبية. وهناك بذل جهداً كبيراً للتقيد بنظام المدرسة الصارم في التدريب والعمل وأوقات الطعام والراحة. وكان فخوراً جداً لاجتيازه سنوات الدراسة الاربع بنجاح. وما فتىء بعد ذاك يضع خاتم المدرسة في إصبعه ويحافظ على وقفته الصارمة.

ويقول ماريون ريفرز أحد زملاء آرلند في المصرف: "أحب أوقاته كان

يقت المصاعب، وكان يسعى الى أقسى الواجبات وينجزها في أوقاتها على خير وجه. وكنت أحياناً أنظر اليه كبطل حربي خابت آماله."

لم يكن من مجال إلا لطائرة مروحية واحدة للتحليق بين جسري بوتوماك. وهكذا عادت طائرة الانقاذ الوحيدة وقد دلت حبلين هذه المرة، موجهة أحدهما نحو الرجل الأجلح. ومرة اخرى قبض على الحبل. ولكن هل دار في خلده آنذاك أن الوقت يهرب سريعاً كما تنفد طاقته على التحمّل؟ أجل، يجب أن يكون عرف ذلك. لكنه مد الحبل مرة اخرى الى جو ستيلي، ابلغ الناجين إصابة. ولف ستيلي الحبل حول خصره، ثم أخذ بيديه بريسيلا تيرادو. ولما همت الطائرة المروحية بالعودة الى الضفة أمسكت باتريشيا فيلتش الحبل الآخر. وكانت هذه مرهقة، أما المرأة الاخرى فلم تستطع التشبّث بمنقذها الذي كان يعاني الأمرّين من الارهاق والألم. وما أن تحرّكت الطائرة حتى سقطت المرأتان الى الماء.

كان آرلند وليمس متفائلا بالنسبة الى مستقبله وقد مرّ على طلاقه عامان. وكان يقول لمعارفه: "إنني أبدأ حياتي من جديد." وفي اطلنطا (ولاية جورجيا) كانت لديه شلة من الأصدقاء، كما كان ينتظر ساعة زفافه من كارول.

صرخ الناس الذين يتفرّجون على الجسر: "اصمد! اصمد!" فيما كان ذيل الطائرة يغرق على مهل ولم يبقَ من الرّجل فوق الماء سوى رأسه ويديه.

وعادت طائرة الانقاذ لتلقي حبلا الى بريسيلا تيرادو علّها تنجح في التعلّق به هذه المرة. وما أن أمسكت بالحبل حتى خارت كل قوة باقية لديها. وعلى الفور قفز أحد المتفرجين، وهو ليني سكوتنيك، الى مياه النهر المتجمدة وحمل المرأة الى الضفة.

وانحدرت الطائرة المرحوية نحو باتريشيا فيلتش حتى كادت أن تلامس الجليد. ورُفعت المرأة الى الداخل. وبقي ضابط الانقاذ جين ويندسور يلازم المرأة التي كانت شبه واعية الى أن تسلمها فريق الانقاذ.

وعند الرابعة والنصف عصراً، بعد مضي ٢٩ دقيقة على الحادث وعشر دقائق على رحلة الطائرة المروحية الاولى، حان دور الرجل الأجلح مرة اخرى. وتوجهت طائرة الانقاذ نحو الذيل الغارق فيما استعد ملاحاها لتوجيه عبارات الثناء الى ذلك الرجل تقديراً لتضحيته النادرة. وفتشا المكان عبثا... لقد اختفت آثار الرجل. وبكى الضابط جين ويندسور وهو يخبر زوجته لاحقاً عما حدث: "كان في وسعه انقاذ نفسه منذ المرة الاولى. الا أنه أعطى دوره لسواه غير مرة."

لكن السؤال يبقى: أكان ذلك الرجل الأخير آرلند وليمس بالذات؟

لقد وجدت جثته بين الجثث التسع والسبعين التي تم انتشالها من النهر، وكانت تنطبق أكثر من سواها على أوصاف الشهود. وهو قضى غرقاً لا بفعل الصدمة.

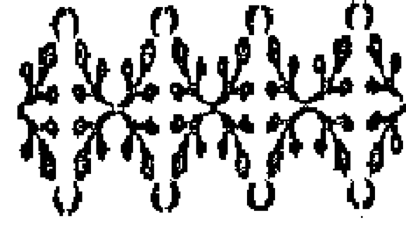
وعلى رغم أن مصوري التلفزيون

أسرعوا الى موقع الحادث، الا أنهم التقطوا الصوُر عن بُعد وفي جو معتم. ولكن في بعض اللقطات يمكن تبيُّن رأس الرجل الذي بقي حتى النهاية، كما تمكن مشاهدة يده والساعة في معصمه. ولدى رفع جثة آرلند كانت ساعة يده لا تزال تعمل. وسلمت الى ذويه كأنها تحمل رسالته الأخيرة اليهم: "تذكروني!"

وتُلي اسم آرلند وليمس في اجتماع الكونغرس (البرلمان) الأمريكي على أنه بطل لا يُنسى. وتقدم النائب دانيال كراين باقتراح يدعو الى اعتبار آرلند "بطلا قومياً ضحَّى بحياته من أجل الآخرين."

ويبقى السؤال: أكان ذلك الرجل الأخير آرلند وليمس حقاً؟ ولماذا تصرَّف على ذلك النحو؟ وبما أن الجواب لن يأتينا اطلاقاً، فيحسن أن نذكر ما قالته السيدة فرجينيا وليمس عن ابنها من انه كان "رجلا عادياً" وصاحب مروءة لأنه، في ساعات الخطر، أليس صاحب المروءة "العادي جداً" هو الذي ينقذنا جميعاً؟

■ كلير سافران



العدالة الظالمة

إن اكثر الناس خذلاناً في الحياة هم اولئك الذين لم يحصلوا الا على ما يستحقون.

ساشا غيتري

مركب الحياة

ثمة قاعدة في قيادة السفن تقول ان المركب الذي يصعب قياده يجب أن يعطى أفضلية المرور. وهذا يصح أيضاً في العلاقات الانسانية.

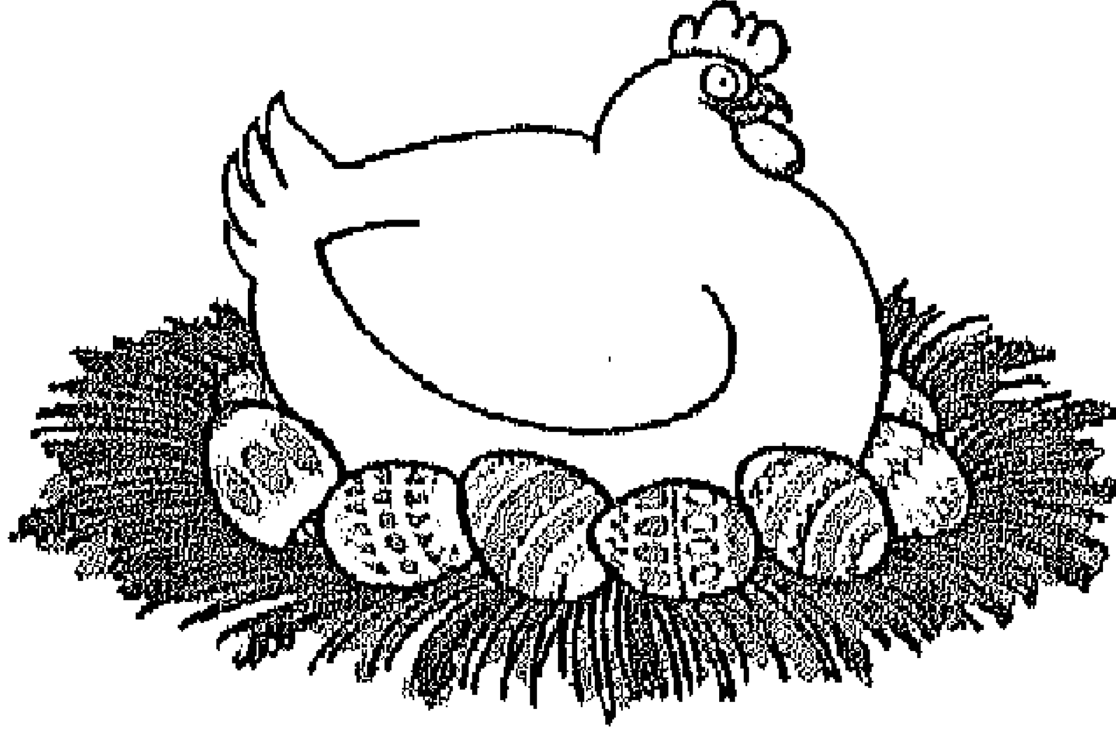
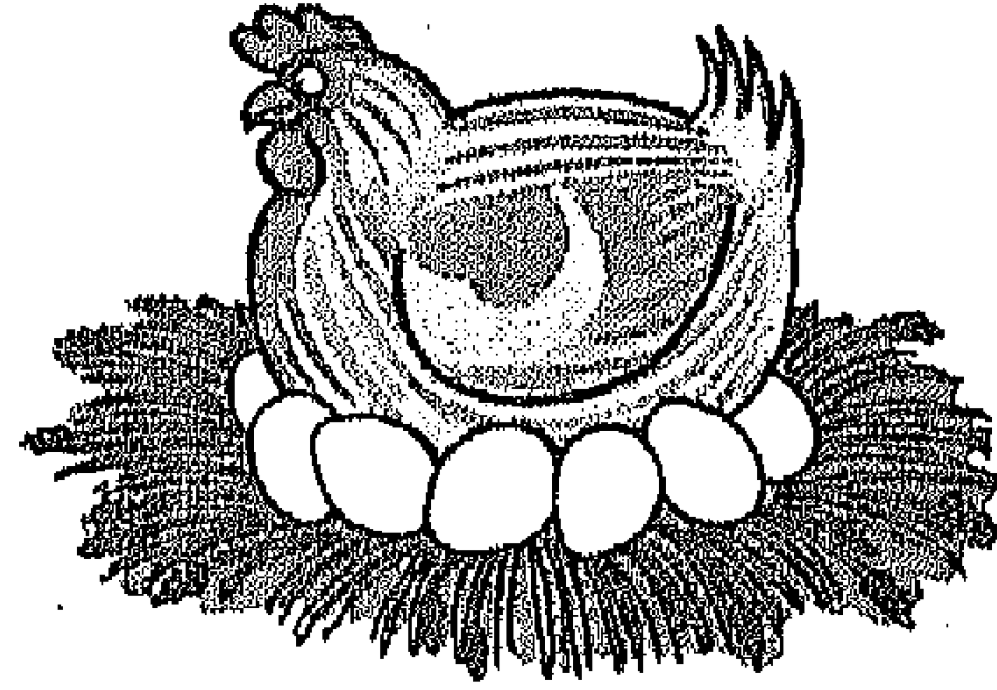
ك.م.

منطق التسمين

بعد مرور وقت قصير على وفاة والدي، ألحت جدتي البالغة ٩٠ عاماً على والدتي كي تذهب الى المستشفى من أجل كشف طبي عام. وبعد نقاش قصير، قبلت امي الأمر على مضض. ولم يكتف الطبيب باعطائها نتيجة طبية ايجابية، بل أضاف أنها قد تعيش لتبلغ العام العاشر بعد المئة.

وقد دُهشنا حين رأينا أن جدتي لم تُسَر كثيراً بالنتيجة. وبعد برهة من الصمت، تنهدت وقالت: "وما افعل بابنة عمرها ٧٠ سنوات؟"

ر.ا.م.

صور من الحياة

تعريفات سياحية

من يكثر الأسفار لا بد من أن يتعلم تفسير العبارات الخاصة بالنشرات السياحية. فوصف أحد الأمكنة بأنه "يبعث على الاسترخاء التام" يعني أنه مكان مهجور. والقول انه "ذو جو ساحر وعلى شيء من البساطة الريفية" يعني عدم توافر الماء في الداخل. وقولنا: ادارة واحدة وملكية واحدة طوال ٢٥ سنة" يعني أن أحداً لم يرغب في اقتنائه خلال ربع قرن. وعبارة "مسبح قريب" مرادفة لقولنا ان الفندق يخلو من مسبح خاص. أما وصفه بأنه قائم على مساحة واسعة فيعني أن على السائح أن يقطع ثلاثة كيلومترات على القدمين من شقته الى غرفة الطعام.

ب.ب.

عائلة الحلوى

ذات يوم أحد أعددت قالب حلوى شهياً. وما أن أخرجته من الفرن حتى تحلق زوجي وأولادي حولي وطلب كل منهم قطعة. لكني قلت لهم أن حرارة القالب يجب أن تصبح ٤٠ درجة مئوية وما دونها ليصلح أكله، وغادرت المطبخ. ولما عدت، وجدت أفراد عائلتي جالسين بترقب حول الطاولة وقد وضعوا قالب الحلوى في الوسط، وفيه ميزان حرارة وبالقرب منه مروحة كهربائية.

ا.د.

القطار المحظوظ

فيما كان نجار ينجز بعض التصليحات في منزل والدة صديق له متقدمة في السن، لاحظ أن الهاتف يكاد لا ينقطع عن الرنين. وفي اليوم التالي صادف ابنها، فسأله: "هل هناك عطل في الهاتف في منزل والدتك؟"

ـ ان رقم هاتفها شبيه جداً برقم محطة القطار.

"ولماذا لا تطلب تغييره؟"

ـ انها لا تود ذلك اطلاقاً. فاجابة المخابرات تتيح لها المحافظة على حيويتها. وهي ابتاعت لنفسها قائمة كاملة بمواعيد القطارات لتتمكن من تلبية طلبات الناس.

ف.د.

"ليت هنداً..."

التأم شمل صفنا الذي تخرج في المدرسة الثانوية قبل أربعين عاماً، بفضل احد الاصدقاء. وفي ركن من القاعة رأيت امرأة رمادية الشعر، هي الفتاة التي احببتها سراً وهي في السابعة عشرة. وتذكرت انني، ذات مرة، استجمعت جرأتي لاطلب منها موعداً، فاكتفت بقولها: "سأجيبك لاحقاً".

ولم ألبث أن التحقت بالخدمة العسكرية في الحرب العالمية الثانية، ثمّ انتقلتُ الى ولاية اخرى ولم أسمع خبراً عن الفتاة منذ ذلك الحين، الى ان كان لقاؤنا الاخير.

وتقدمتُ منها وذكّرتُها بالحادث، ثم سألتها: "اتحددين لي موعداً الآن؟" فقالت دونما تردد: "أما قلتُ لك إني سأُجيبك لاحقاً؟"

د.ك.

الربيع المغرد

فرغت العالمة والكاتبة الاميركية راكيل كارسون من كتابها "الربيع الصامت" وهي في الخامسة والخمسين، قبل سنتين من وفاتها عام ١٩٦٤. والكتاب يصف الآثار الفتاكة للمبيدات مثل الـ"د.د.ت." مدافعاً بقوة عن أهمية الحفاظ على البيئة.

وبعد الفراغ من المخطوطة، دخلت المؤلفة غرفتها ووضعت قطعة من موسيقى بيتهوفن وراحت تصغي اليها وهي تبكي. وفسرت ذلك بقولها: "كنت على قناعة بأني لن اسعد بغناء الطيور ما لم أفرغ من الكتاب. وما أن اصغيت الى الموسيقى حتى ارتفعت في داخلي أصوات الطيور والمخلوقات وكل جمالات الطبيعة، وكانت من العمق بحيث حملت الي فرحاً لم استطع معه وقف عبراتي."

ب.ب.

مفكرة الايام العسيرة

بعد تشييع أبي الى مثواه الأخير، حان الوقت لفتح أدراج طاولته التي لم أجرؤ على الدنو منها وأنا طفلة. ولم ألبث أن عثرت على المفكرة التي كان يحملها معه على الدوام. ورحت أقلب صفحاتها وأقرأ: "دراجة حمراء"، "حذاء للتزلج"، "خاتم ذهب"...

وتذكرت أني، كلما طلبت شيئاً من والدي، كان يسألني عن التفاصيل ثم يأتي بهذه المفكرة ويدون عليها ما قلناه: اللون والقياس والثمن والدافع الذي حداني على طلب ذلك الشيء. وكان يطوي الصفحة ثم يقول: "في رحلتي المقبلة الى المدينة سأجلب لك ماتريدين".

وفي تلك الايام العسيرة التي حملت معها أزمة اقتصادية خانقة، خصوصاً الى الاشخاص المحدودي الدخل كوالدي، كنت أدري أنه لن يذهب قط الى المدينة بل سيلازم بيتنا الريفي ليدير شؤون المزرعة.

إلا أن ذكرى حبيبة جداً تبقى من ذلك كله، وهي أن أبي أصغى إلي باهتمام.

و.ب.

صفقة خيرية

قبل عشر سنين أشتريت جهاز تلفزيون جديداً بمبلغ ٧٥ دولاراً. وخدم سنوات عدة على خير وجه الى أن تعطل أخيراً. ولما أستدعيت خبيراً لاصلاحه قال أن ذلك يكلف ٩٥ دولاراً. فقررت أن أترك الجهاز على حاله.

وصادف أن أقامت أحدى الجمعيات الخيرية معرضها السنوي، فتبرعت لها بجهاز التلفزيون، وذات يوم زرت المعرض فوجدت الجهاز نفسه وقد أصلح وعرض للبيع بمبلغ ٢٧ دولاراً. فأسرعت الى شرائه موفراً ٦٨ دولاراً من كلفة التصليح.

أ.س.

قوس قزح

ليس في ذكرياتي اغلى من رحلة صيد مع ابي





كان أبي العجوز لا يزال قادراً على التنقل، ولكن ببطء وتثاقل ينمان عن الألم الذي يرافق المرحلة النهائية للسرطان. وأخذت اجازة لبضعة ايام وركبت الطائرة لالتقيه في الكوخ. ذلك الكوخ الذي بناه بيديه عندما كنا، انا واخي، لا يبلغ الواحد منا خاصرته.

الكوخ. تلك الكلمة التي ستثير في نفسي ما حييت ذكريات حميمة مفعمة بصور البط الذهبي العين السابح في البحيرة. ذكريات الزورق والسمك في المقلاة وفراخ الطائر الصياد ممتطية ظهر امها وسمك السلمون المرقط بألوان قوس قزح.

كان ذلك اليوم رائعاً لمطاردة "اقواس القزح". نسيم لطيف يهب من الغرب وسماء متلبدة عابقة برائحة المطر القريب. انه يوم يعد بصيد موفق.

نظرت الى القصبات في زاوية الكوخ وتساءلت اذا كان يجدر بي ان ادعو ابي الى الصيد.

وابتسم بهدوء وقال: "ربما كان اليوم جيداً للصيد تحت الجسر القديم في سيلفر كريك."

بعد دقائق كنا هناك، في الموقع الذي احضرني اليه للمرة الاولى قبل ثلاثين سنة. في ذلك العهد كان الجسر مخلّع الأوصال وقد بني بألواح خشبية قديمة يوحي منظرها بالخطر. وكان في امكان المرء ان يرى الجدول المتدفق تحته من خلال الشقوق بين الالواح. والى جانب الجسر لافتة صدئة تقول: "اعبر على مسؤوليتك."

غير ان الجسر أضحى اليوم مختلفاً على نحو محزن. فقد حل الاسمنت مكان الألواح الخشبية، واختفت اللافتة. لكن الجدول ظل كما كان أبداً، بارداً ورائقاً ومتدفقاً، تخنقه الاغصان المتدلية وقطع الخشب المطحلبة. بدا كأنه يهتف: "هنا سمك السلمون."

سنصطاد اليوم تحت الجسر الصغير، ولكن ليس كما فعلنا في السنوات الغابرة. لن نخوض مياه الجدول بأحذيتنا الطويلة وندهم الأغوار الجميلة التي كانت تفيض بسمك يملأ سلتنا. فأبي الهرم اتعبته الرحلة القصيرة، وسنبدأ الصيد وننهيه تحت الجسر فقط.

بدأ الصيد كما كنا نأمل. ولم يكد أبي يلقي بصنارته حتى اندفعت سمكة طولها ٣٠ سنتيمتراً وعلقت بالشص. وأخذ أبي يلاعبها كما كان يفعل دائماً ووجهه مشرق بابتسامة هادئة صبورة، وقد امسك القصبة بلطف وحناها بزاوية ٦٠ درجة. انه لا يعالج السمكة بعنف، بل يتعبها وهي تندفع جيئة وذهاباً. وبحركة واحدة بارعة رفعها الى اعلى ثم الى الضفة بين الأعشاب.

تلك كانت السمكة الاولى.

نزعت السمكة من الشص ووضعتها في السلة مع ضمة عشب وعلقت طعماً جديداً. وقبل مضي ٣٠ ثانية جذب ابي سمكة اخرى من الغور المظلم.

تلك كانت السمكة الثانية.

وعرض عليّ ان احمل القصبة، لكني أبيت. فمنيتي كانت ان اراقبه وهو يصطاد. كان دائماً يقول انه يتمتع بمراقبتنا انا واخي حين

نصطاد السمك اكثر مما لو كان هو يفعل. في ذلك اليوم ادركت ما كان يعنيه.

استنفد ابي كل ما في ذلك الغور. وكان كلانا يدرك ان أحسن الصيد ما أبقي للموقع الاخير، تحت الجسر. هناك افضل "اقواس القزح" تنتظرنا دائماً. وهناك سبق ان اصطدت سمكتي الاولى، كانت سمينة وطولها ٣٠ سنتيمتراً. نظرت الى رأس القصبة في يد أبي وهو يحوّل صنارته الى غور عميق لم يتسنّ لاحد منا ان يرى قعره ابداً، لكننا اصطدنا فيه مئات المرات.

وتوقف ابي عن كرّ الخيط تماماً في الوقت الذي شعرت ان عليه ان يفعل، وكأن كلا منا يشعر غريزياً ان الطعم بلغ حيث يجب ان يكون. وانتظرنا. خمس ثوان، ربما عشر. وعندئذ...

ارتعش رأس القصبة ثم التوى عندما عضت سمكة الشص وجذبته وعلقت به. وبرفق اخذ ابي يستدرج الطريدة المتخبطة الى خارج الغور.

قال: "انها سمكة جيدة." في تلك اللحظة على الأقل نسي انه على شفا الموت. نسي ان هذا الجدول، وكل الجداول التي أحبها حبا جما، ستواصل جريانها من دونه.

واعاد: "انها سمكة جيدة."

فلاحقت بنظري قصبة الصيد في يده حتى وصلت الى وجهه. كانت الابتسامة الصامتة الصبورة اكثر اشراقاً من المعتاد.

كانت فعلا سمكة جيدة. وقبل ان يفرغ ابي من اخراجها بدأ يتنفس بصعوبة. فقد نهكه الجهد سريعاً كما نهك السمكة، لكنه بقي يلاعبها حتى اخرجها من مخبأها في ظل الجسر.

ولم تحقق تلك السمكة اي رقم قياسي، اذ كان طولها ٣٨ سنتيمتراً. غير انها كانت سمينة ومفعمة بالنشاط، كأي سمكة "جيدة" اصطدناها من قبل تحت جسر سيلفر كريك.

قلت وانا ألف ذراعي حول كتفيه في طريق عودتنا: "كان صيداً عظيماً." فأجاب: "اجل، وسنعود قريباً."

بعد بضعة اشهر عدت، ولكن لتشييعه الى مثواه الاخير. ودخلت حجرة نومه فرأيت قصبة الصيد جاهزة في الزاوية.

ولحقت بي امي ورأتني ممسكاً بها فقالت: "كان اعدها لرحلة قريبة. حسب انكما قد تذهبان الى الصيد معاً مرة اخرى."

■ جيم فايبيغ

ذاكرة الشباب

دخل رجل على الممثل السير جون غيلغود مهنئاً بأدائه في احدى المسرحيات، فقال له الممثل: "يسعدني كثيراً أن اقابلك. اني أعرف ابنك الذي كان رفيقي في المدرسة." فأجابه الرجل: "ليس لدي ابن، بل أنا الذي كنت معك أيام الدراسة."

س.ب

اشتركوا في هذا اليانصيب و اربحوا
١٨٨ مليون مارك

أضخم يانصيب
من نوعه في اوروبا
يفتح أمامك
فرصة ذهبية للربح!

قبل اليوم لم يكن لديك حظ كبير لربح مليون · لكن هذا اليانصيب يفتح أمامك أبواب الحظ:

- عدد البطاقات المبيعة ٤٠٠ الف فقط ·
- من هذه البطاقات: هناك ٢٠٠٤٨٥ بطاقة رابحة حتما ·
- كل بطاقة ثانية تشتريها تحمل معها جائزة ·
- الربح الاجمالي هو ١٢٥،١٣ مليون مارك الماني ·
- هناك خمس جوائز كبرى تبلغ قيمة كل منها مليون مارك ·
- هناك جائزة "سوبر" تبلغ قيمتها مليونا ونصف مليون مارك ·

اليانصيب الالماني "كلاس لوتيري" أسس قبل ٢٥٠ سنة ·

ولاكثر من ثلاثين سنة، جعل من أمثالك أصحاب ملايين · ويزداد عدد الرابحين سنة بعد سنة ·

هذا اليانصيب يختلف عن سواه من حيث أن ريعه يعود ليس الى المشاريع العامة والخيرية؛ بل الى المشتركين انفسهم · وغني عن القول ان المارك الالماني هو من أقوى العملات العالمية رسوخا ·

الضمـــان

يضمن دفع المبالغ المدونة ادناه في الدورة الواحدة (نصف عام)

٢ × ١،٥ مليون	= ٣٠٠٠٠٠٠ مارك
٤ × ١ مليون	= ٤٠٠٠٠٠٠ مارك
١٢ × ١/٢ مليون	= ٦٠٠٠٠٠٠ مارك
٨ × ٢٥٠٠٠٠ مارك	= ٢٠٠٠٠٠٠ مارك
٢٤ × ١٠٠٠٠٠ م	= ٢٤٠٠٠٠٠ مارك
١٢ × ٨٠٠٠٠ م	= ٩٦٠٠٠٠ مارك
٢٠ × ٦٠٠٠٠ م	= ١٢٠٠٠٠٠ مارك
٢٤ × ٥٠٠٠٠ م	= ١٢٠٠٠٠٠ مارك
٢٨ × ٤٠٠٠٠ م	= ١١٢٠٠٠٠ مارك
٣٠ × ٢٥٠٠٠ م	= ٧٥٠٠٠٠ مارك
٣٦٤ × ١٠،٠٠٠ م	= ٣٦٤٠٠٠٠ مارك
٥٦٠ × ٥،٠٠٠ م	= ٢٨٠٠٠٠٠ مارك
١٩٠٠ × ٢٥٠٠ م	= ٤٧٥٠٠٠٠ مارك
٢٠٠ × ٢٠٠٠ م	= ٤٠٠٠٠٠ مارك
١٠٠٠٠٠ × ١٥٠ م	= ١٥٠٠٠٠٠٠ مارك
٢٠٠٠ × ١٢٥٠ م	= ٢٥٠٠٠٠٠ مارك
٣٢٦٤٠٠ × حتى ١٠٠٠م	= ١٢٦٤٠٠٠٠٠ مارك
٣٤١٥٨٨ جائزة مجموعها	١٨٨،١٢٠،٠٠٠ مارك

الجوائز كلها تدفع نقدا . وهي معفاة من الضرائب الالمانية · لكن الشركة، في الوقت نفسه، تحظى بدعم الحكومة التام · وهذا حافز قوي على شرائك بطاقة او اكثر ·

"كلاس لوتيري" مؤسسة غير خاصة · وهي تبيع بطاقاتها عن طريق مكاتب مرخص لها حكوميا · ويجرى السحب علنا وقانونيا ·

عربغور فرانكفورت

مكتب لبيع أوراق اليانصيب ذو رخصة حكومية

Rüsterstrabe 24, Postfach 11 90 20
D-6000 Frankfurt/Main (W-Germany)
Telex 04 189 125 daw

كيف تشترك في هذا اليانصيب؟

هناك سحوبات عدة على البطاقات نفسها تجرى، خلال نصف سنة؛ بمعدل سحب واحد كل يوم سبت · ويتم ارسال النتائج بالبريد لكل حامل بطاقة؛ مرفقة بمعلومات وافية وجلية؛ تمشيا مع تقاليدنا في المعاملة ·

ويمكن أن يأخذ الشاري بطاقة كاملة او نصف بطاقة أو ربع بطاقة؛ فيكون نصيبه في الربح جائزة كاملة أو نصف جائزة او ربع جائزة · وتتساوى جميع الارقام في الحظ ·

يانصيب في متناول الجميع:
بسيط مثل لعبة أطفال!

- يمكنك طلب بطاقة بملء القسيمة في أسفل الصفحة؛ أو بكتابة رسالة الينا من غير قسيمة؛ محددا فيها طلبك ·
- عليك أن ترفق الطلب بالمبلغ المحدد؛ على أن يكون حوالة مصرفية أو بريدية أو شيكا خاصا او حوالة مسافر أو حتى نقدا · وفي الحال الاخيرة؛ يفضّل ايداع الرسالة البريد المضمون ·
- في المقابل ستستلم بطاقتك مع المعلومات المرافقة ·
- كذلك ستستلم لائحة دورية بالارقام الرابحة ·

في حال الربح!

- سيجري ابلاغك فورا برسالة شخصية ·
- يتم دفع الجوائز بأسرع طريقة ممكنة وطبقا لتعليماتك ·

الجوائز معفاة من الضرائب الالمانية · وتلتزم الشركة الكتمان التام في شأن أسماء المشتركين والرابحين · فهذا من حق صاحب العلاقة وحده ·

خدمة حول العالم

اذا كنت تحمل بطاقة قبل قراءة هذا الاعلان؛ فلا ترسل طلبا جديدا لاننا سنراسلك كالعادة · والرجاء؛ في هذه الحال؛ أن تحيط أصدقاءك علما بشركتنا؛ اوأن تريهم هذا الاعلان وتقطع لهم القسيمة المرفقة ·

لا تنتظر - اطلب بطاقتك الان!

عدد البطاقات الاجمالي محدود · والافضل ان تحجز بطاقتك فورا ·

YES I want to be with it and am ordering:

for the next SÜDDEUTSCHE KLASSENLOTTERIE
Starting May and November every year

tickets ea	DM	or	US $	or £	
☐ 1/1 tickets at	720 —		360 —	180 —	each
☐ 1/2 tickets at	360 —		180 —	90 —	each
☐ 1/4 tickets at	180 —		90 —	45 —	each
☐ Lucky Letter at	720 —		360 —	180 —	each

(= 4 quarter-tickets, each with a different number)

One time additional fee for winning lists, postage, bank charges, and handling! DM 24.—/US $ 12—/£ 6.— (add to the above)

Payments received in currencies other than US$ DM or £ will be credited to your account in accordance to the exchange rate of the day. The prices quoted are covering the ticket for one complete cycle comprising all six classes, and the additional fee is a one-time expenditure, too.

Make all checks and orders out to: W. GREGOR, Postfach 1107 53, D-6000 Frankfurt/M.

☐ I enclose my check/for DM/US$/£ ______
☐ I will make payment immediately after receipt of ticket(s) and your invoice

Send information in German English French Spanish

☐ Mr.
☐ Mrs. ______
☐ Miss

Street address (or P.O. Box-No.) ______

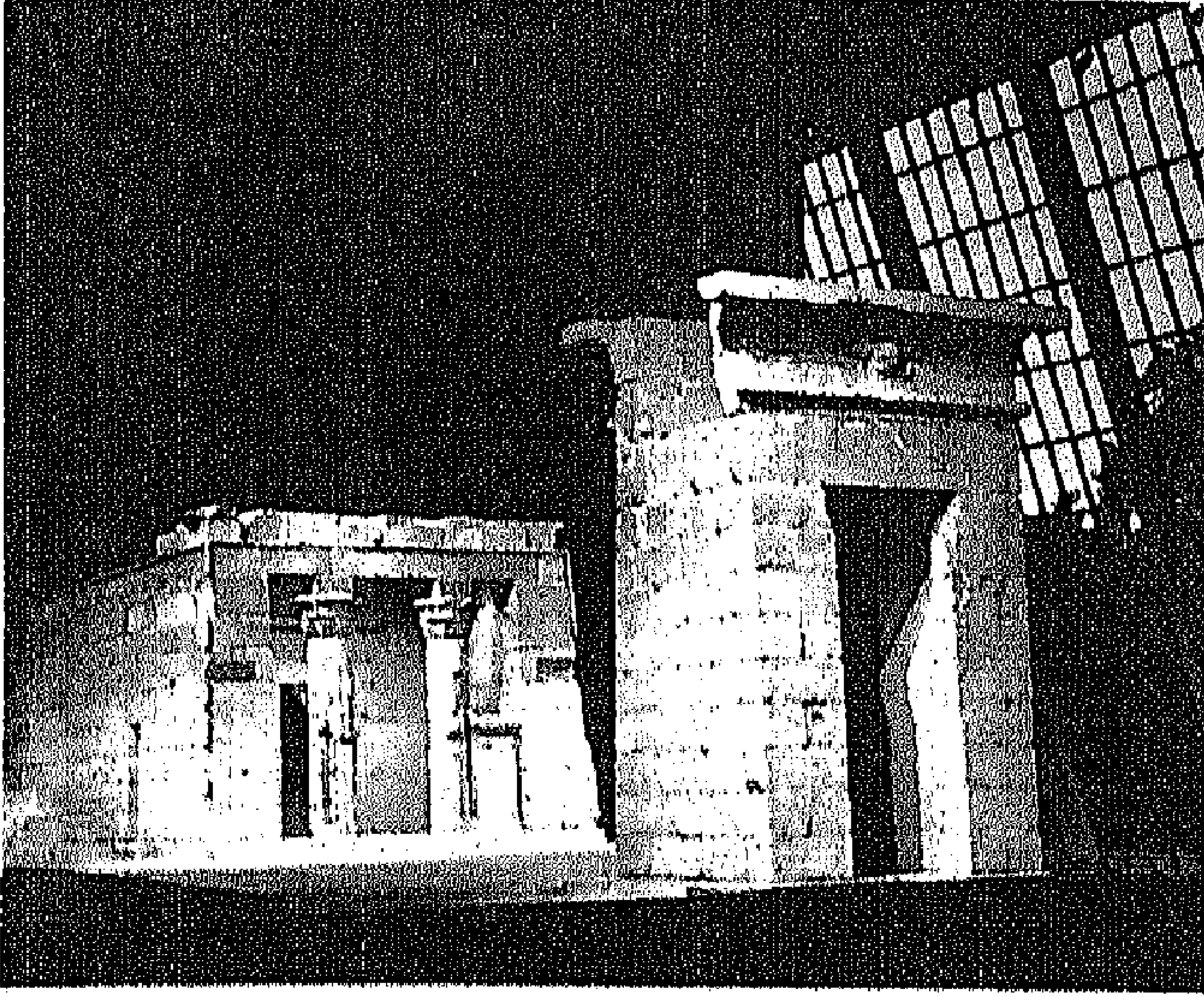
City (postal code No.) ______

Country ______ Please print or type all entries

Valid only where legal

RD.AB.12/82





يستضيف
هذا المتحف
العظيم
اروع كنوز العالم.
واشهر ما فيه
المجموعات
الرومانية واليونانية
والاسلامية

معبد "دندور" الذي اهدته الحكومة المصرية الى الحكومة الامريكية في العام ١٩٦٥ وقدمته هذه الى المتحف في ١٩٦٧ وقد اعيد تركيبه هناك في العام ١٩٧٨.

المتروبوليتان اعظم متاحف العالم



كان الاقبال كبيراً على معرض كنوز توت عنخ امون الذي استضافه المتحف مدة اربعة اشهر في العام ١٩٧٩.

على بعد خطوات منه تقطن غريتا غاربو وجاكلين اوناسيس، وغالبا ما تأتيانه متبفرجتين. وهو محطة لا غنى عنها للشخصيات المهمة الزائرة. ويؤمه سنويا خمسة ملايين شخص يأتي معظمهم من اماكن بعيدة. فهو الجاذب السياحي الاول في نيويورك، وهو ايضا صرح اناقتها. وعندما اختاره مصمم الازياء الفرنسي بيار كاردان في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٠ مكانا لاحياء امسية في الذكرى الثلاثين لتأسيس شركته، سأله صحافي فرنسي عن السبب. فاجاب كاردان مدهوشا : "لماذا؟ لانه تكريس لسنوات من العمل والابداع!"

انه متحف المتروبوليتان للفن، واقامة حفلة خاصة لـ ١٨٠ شخصا في جناح معبد "دندور" المصري ليست ابرز ما حدث فيه. وقد قال المفكر والاديب الفرنسي اندريه مالرو مرة : "كاتدرائيات امريكا هي متاحفها، والمتروبوليتان اكبرها وافضلها."



زوار من انحاء العالم يلتقون يومياً أمام المتحف الذي تبدو واجهته ذات الطراز الكلاسيكي المحدث.

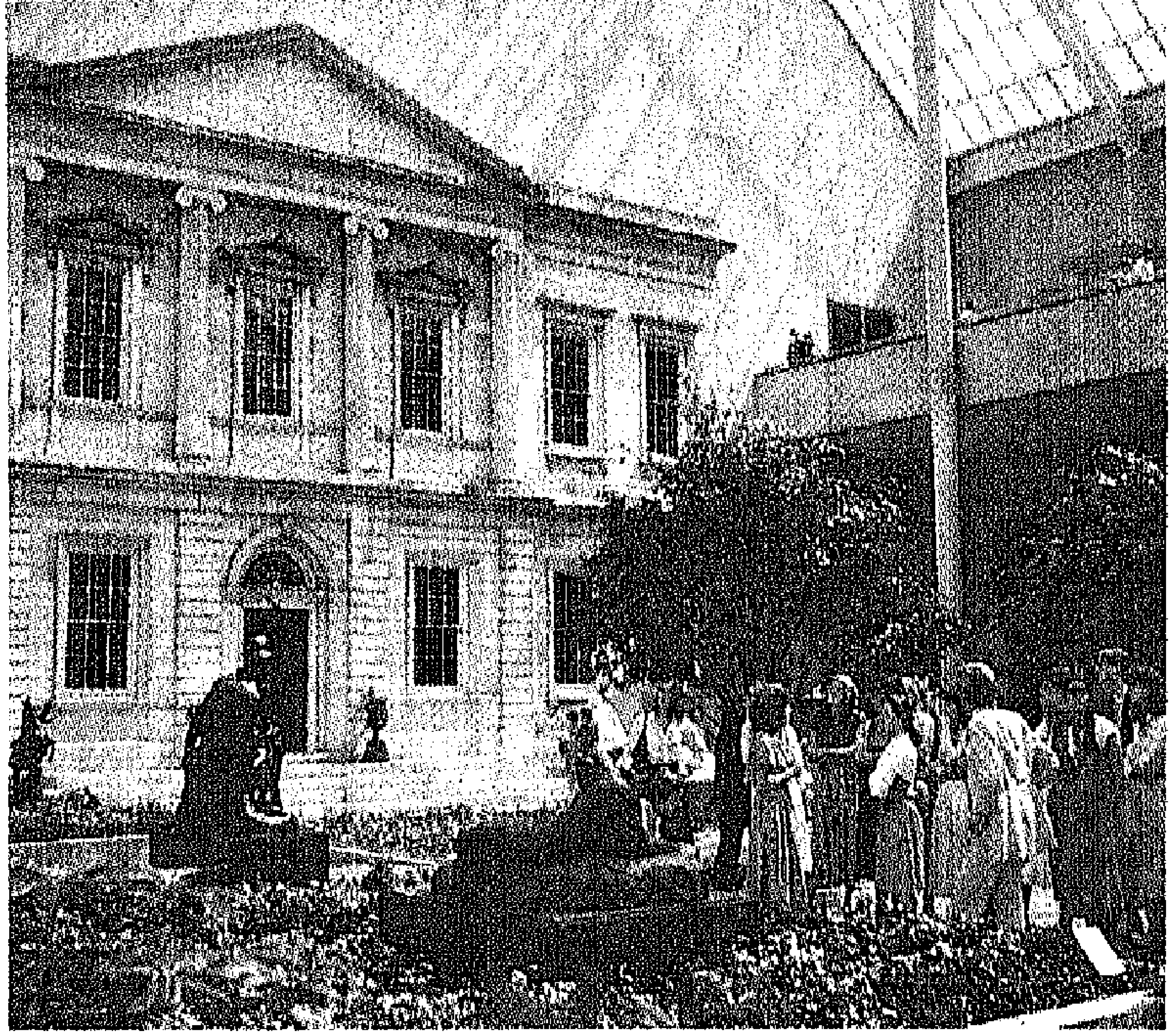
تأسس هذا المتحف عام ١٨٧٠. وفي عمره القصير ارتقى الى مرتبة المتحف البريطاني (لندن، ١٧٥٣) واللوفر (باريس، ١٧٩١) كاحد اعظم الكنوز الثقافية والحضارية في العالم. وخلف واجهته الكلاسيكية المحدثة التي توازي في طولها اربع وحدات سكينة، تقع ٢٤٨ صالة عرض في ثلاث طبقات وعلى مساحة ١٠ هكتارات، وهي تكاد لا تكفي لعرض عشر موجوداته الثلاثة الملايين. وبمجموعته الموسوعية هو، ببساطة، "مرآة للابداع الانساني الحي،" كما يقول مديره فيليب دي مونتيبيلو.

انه في الحقيقة مجموعة من المتاحف تحت سقفين، فله فرع يدعى "الكلويسترز" ويقع على بعد بضعة كيلومترات شمال المدينة. وتراوح محتوياته بين آثار ما قبل التاريخ وروائع الفن الحديث، وهو شهير بكنوزه من الفن الروماني واليوناني والاسلامي، ومجموعته الامريكية هي الاكثر شمولا. وفي المتحف جمال غير متوقع. فهو يضم ٤٠٠٠ آلة موسيقية بينها ثلاث كمانات "ستراديفاري" واقدم بيانو في العالم. وتحوي مؤسسة الازياء التابعة له ٤٠ الف ثوب رائعة، من المخرمات والكشاكش والعباءات في بلاطات القرن الثامن عشر الى ازياء جيفنشي الحديثة.

والمجموعات الاجنبية الزائرة تتأثر بما تراه من آثار بلدانها في المتحف: اسلحة ودروع لملوك بريطانيا وفرنسا وواجهة محل باريسي من القرن الثامن عشر وغرف اعيد بناؤها من القصور والمنازل الريفية الاوروبية. وهناك معرض خاص لمجموعة رائعة من ورنيش اللك الياباني القديم اذهلت الزوار اليابانيين، وفيها علب كتابة وقوارير ادوية وآنية للشاي والبخور. وفي ١٩٨٠ اقام المتحف معرضا خاصا لكنوز "الفايكنغ" اعترف ناقد نروجي بان الاسكندينافيين انفسهم الذين يتحدرون من قبائل الفايكنغ لم يسبق ان جمعوا مثله.

هذه المقدرة على اسر نظر كل شخص وخياله هي احدى نقاط قوة المتحف. ففي اوروبا بدأت المتاحف العظيمة ككنوز ملكية ومجموعات خاصة ومستودعات لغنائم الفتوحات الاجنبية، وكان اغلب زوارها من العلماء والفنانين. الا ان النيويوركيين الذين اسسوا هذا المتحف عام ١٨٧٠ صاغوا دستورا "يشجع دراسة الفنون الجميلة ويؤمن تثقيفا وترفيها شعبيين." وكبر المتحف بفضل سخاء الاثرياء وانصار الثقافة، امثال مورغان وروكفلر وويتني وفاندربلت. لكن رسالته الاساسية بقيت هي ذاتها: ايصال الفنون الحية الى الجماهير.

جولة خيالية - اذ تعبر قاعة المدخل الفسيحة المقنطرة الى الرواقات المصرية،فانك تقفز الوف السنين الى الوراء. انعطاف الى اليسار يوصلك



فناء تشارلز اينفلهارد الذي يطل (من اليسار) على واجهة مصرف الولايات المتحدة الفرعي الذي بني بين ١٩٢٢ و١٩٢٤

الى معبد "دندور" وهو المعبد المصري الكامل الوحيد في العالم الغربي. وقد تم تفكيك حجار المعبد الرائع النقوش وقدم الى المتحف كهدية الى الشعب الامريكي، وهو بني قبل ٢٠٠٠ سنة تخليدا لذكرى اميرين شابين غرقا في النيل. واليوم يرتفع المعبد بجلاله الاصيل داخل جناح زجاجي بلغت كلفته ٩،٥ ملايين دولار.

والجناح الامريكي هو الجديد، ولعله الاروع، في المتحف. مهرجان من الفن والتاريخ يمتد فوق ١٥ الف متر مربع حول فناء مرتفع، وهو مطوق بالزجاج وتملأه الانوار والنوافير والشجيرات والمنحوتات. وفيه ١٠ آلاف قطعة من الفن الامريكي المحلي.

وعلى طرف مند نقع الواجهة الرخامية الضخمة لمصرف الولايات المتحدة الفرعي التي ارتفعت في "١٥ وول ستريت" بين ١٨٢٤ و١٩١٥. ويقابلها على الطرف الآخر مدخل منزل لويس كومفورت تيفاني في لونغ آيلند، قناطر اندلسية تلمع فيها فسيفساء بالوان قوس قزح واعمدة تزينها نقوش خشخاش خزفية تزهر وتذوي.

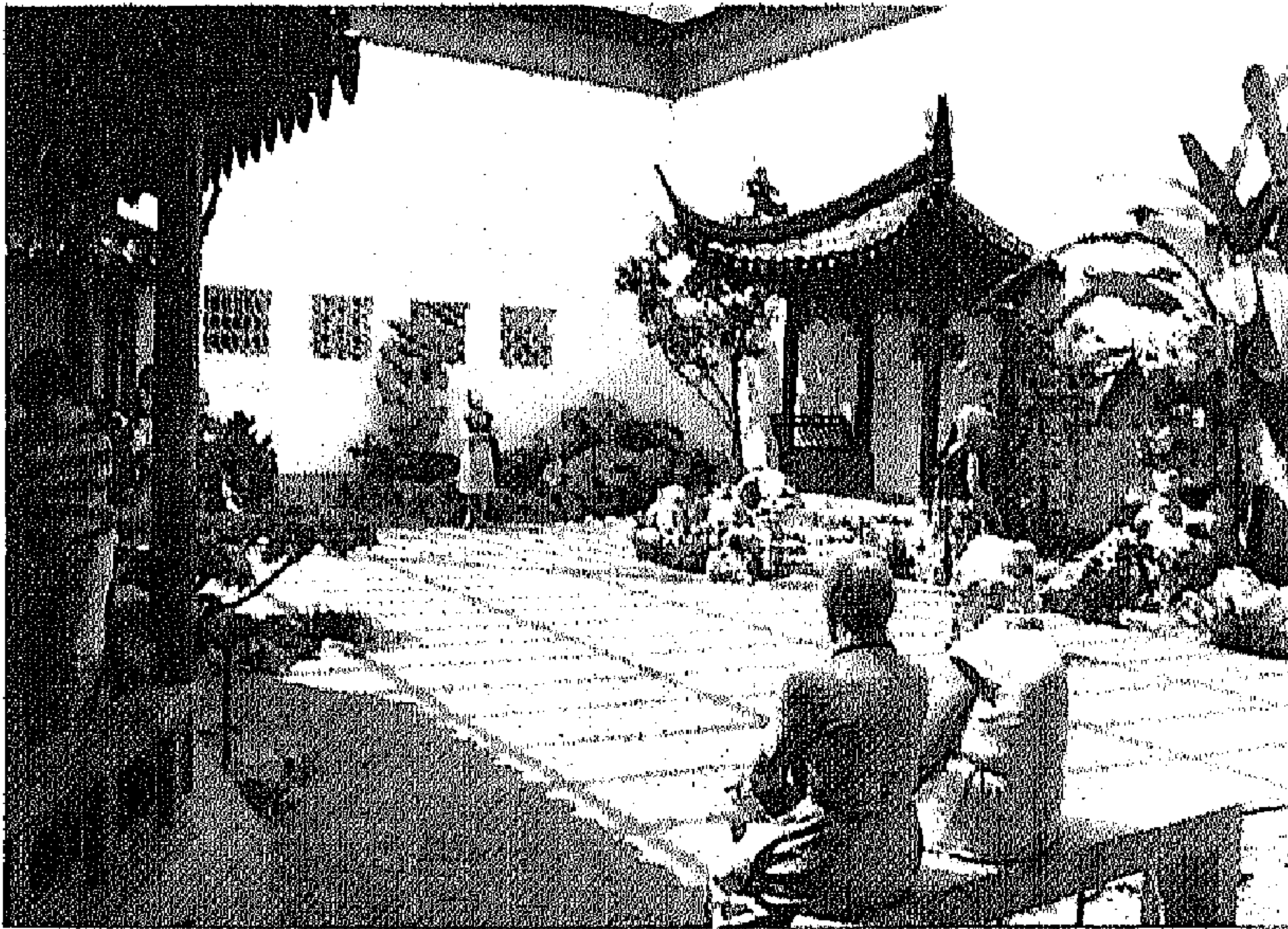
وهناك سلمان مزخرفتان من اوائل هذا القرن تقودان الى قلب المجموعة: لوحات زيتية ورسوم وقرابة ٦ آلاف قطعة من الفن والاثاث الزخرفيين جمعت بترف ضمن ١٨ غرفة تمثل حقبات مختلفة، من حانة "فرجينيا" حيث احتفل جورج واشنطن عام ١٧٩٨ بعيد ميلاده

السادس والستين الى غرفة جلوس صممها فرانك لويد رايت لمنزل معاصر في ولاية مينيسوتا.

وتنتقل الى مجموعة روبرت ليمان. في ١٩٦٩، عندما توفي ليمان، اورث المتحف مجموعته من اعمال الفنانين القدماء والبالغة قيمتها ١٠٠ مليون دولار، وهي اسخى هدية تلقاها المتحف. لكن ليمان وضع شروطا صارمة: يجب ايواء المجموعة في جناح جديد تنسخ فيه سبع غرف قامت في منزله في نيويورك. واليوم نرى هذه المجموعة من رامبرانت وإل غريكو اضافة الى المنحوتات وقطع الاثاث معروضة كما كانت في حياة مانحها.

بالطبع هناك اشخاص لم يضعوا اي قيود على هباتهم. من هؤلاء جون روكفلر الابن الذي مول بناء "الكلويسترز" في الثلاثينات من غير ان يفرض ذوقه على الخطط او المحتويات، ثم اشترى رقعة من الضفة المقابلة على نهر هدسون كي لا يحجب المتحف اي بناء يقوم هناك في المستقبل. والنتيجة في رأي جيرمان بازان، الامين العام الفخري للمتاحف الوطنية الفرنسية، هي "انجح انجاز في علم المتاحف الامريكي."

والكلويسترز هو قطعة من القرون الوسطى داخل مدينة نيويورك، وهو جوهر التراث الاوروبي في امريكا. قاعاته القوطية العظيمة وكنائسه الرومانيسكية المبنية حول اربعة اديرة تشعرك بأنك حقا امام القرون الوسطى. وتزيد هذا الوهم حديقة دير زرعت اعشابا شاعت ايام شارلمان. وبين المجموعة الفنية هناك سبع



في ربيع ١٩٨١ اقام المتحف "فناء استور" الذي يعود طرازه الى عصر سلالة مينغ الصينية، وهو يقوم وسط الاروقة المخصصة للوحات الزيتية الصينية.

سجادات مطرزة تصور صيد وحيد القرن، رمز النقاء في القرون الوسطى، ويصنفها النقاد كأحد ابرز ستة اعمال فنية تحويها المتاحف الامريكية.

مؤسسة خاصة - ان مقام المتروبوليتان وقوته الجاذبة يجلبان الى الولايات المتحدة فنا لم يسمح له سابقا بمغادرة بلاده الام.ويفاوض دي مونتيبيلو المتاحف والحكومات الاجنبية لاستعارة نحو ٢٠ معرضا في السنة. "جياد سان ماركو" البرونزية المطلية بالذهب هي الاخيرة الباقية من العالم اليوناني - الروماني وتنتصب فيالميدان المعروف باسمها في مدينة البندقية (ايطاليا)، وزيارتها للمتحف هي الثانية منذ العام ١٢٠٤ وهي جذبت ٧٠٠ الف متفرج خلال اربعة اشهر عام ١٩٨٠. وقد غادرت الجياد ميدانها للمرة الاولى مع نابوليون بونابارت عام ١٧٩٧ في نهاية حملته الايطالية، فنقلها الى باريس ورفعها فوق قوس النصر "كاروسيل" حيث بقيت حتى ١٨١٥ عندما اعيدت الى البندقية.

لكن المتحف لم يشهد في تاريخه مثل تلك الجماهير التي حاصرته عام ١٩٧٩ منتظرة دورها لمشاهدة معرض كنوز توت عنخ امون الذي دام اربعة اشهر. وهناك امرأة اصيب زوجها بسكتة قلبية وهما يدخلان المتحف، فاوصلته الى سيارة الاسعاف ثم هرعت عائدة لتتأكد من ان بطاقاتهما الصعبة المنال ستكون صالحة عندما يتعافى. وقد شاهد ١٫٣ مليون زائر كنوز الفرعون الشاب التي يعود عهدها الى ٣٠٠٠ سنة.

وعلى رغم مقامه العالمي وغنى مجموعاته، فان المتروبوليتان هو ايضا مؤسسة تجارية. وخلافا للمتاحف الاوروبية الكبيرة التي تمولها الحكومات، فهذا المتحف هو مؤسسة خاصة وعليه ان يؤمن دخله. وتساهم مدينة نيويورك في اعمال الصيانة والحراسة.

ولتأمين موازنته السنوية التي تبلغ ٤٠ مليون دولار، لجأ المتحف الى تأجير غرفة لاحتفالات خاصة مثل امسية بيار كاردان. كما انه يفرض رسم دخول ويؤمن خدمات مطعمية. وقد فتح فيه متجر للهدايا بلغت مبيعاته ٢٠ مليون دولار سنويا.

وهكذا يواصل المتحف النمو. وهو يرحب بالعلماء والاختصاصيين، لكن مؤسسيه سوف يسرون بان جاذبه الرئيسي لم يزل الجمهور العريض. وبالنسبة الى متاحف اوروبا التي تطورت على نحو مختلف، فسابقة المتروبوليتان ونجاحه الباهر لا يمكن تجاهلهما. وفي مايو (ايار) ١٩٨٠ لم تختر مدينة بوردو الفرنسية فنانا او حقبة فنية موضوعا لمعرضها الثقافي السنوي، بل اختارت متحفا ودعي المعرض "من رعمسيس الى بيكاسو، لمحة عن متحف المتروبوليتان."

■ لورنس اليوت

غابة العفاريت

بمشاهدتي ذلك الكائن الغريب عن كثب اطفأت رغبة راودتني طويلا

عهدي الاول بالعفريت التسماني، ذلك الحيوان الجرابي العجيب، كتاب علمي عن الحيوانات اللبونة أهداه إليّ والدي قبل ٤٥ سنة. وهكذا عرفت ذلك الكائن الغريب عبر القراءة وأنا في قلب أمريكا، فبدا لي من غرائب المخلوقات باسمه النادر ووصفه الطريف.

وموطن ذلك الكائن جزيرة تسمانيا التي تصورها كتب الجغرافيا القديمة كأبعد نقطة في الارض. إلا أن القراءة عن عفريت تسمانيا لم تولد لديّ رغبة ملحة في تحري مكان إقامته. لكني عقدت العزم على زيارة ذلك المكان في أحد



فوق: العفريت التسماني كما يظهر في الرسوم المتحركة "باغز باني".
تحت: عفريتان حقيقيان.

أيام حياتي·وساعدتني الظروف في تحقيق تلك الزيارة، فوجدت نفسي أخيراً في تسمانيا، أقصى جنوب اوستراليا·

وظنا مني أنه يحسن بي أن اشاهد عفريتاً تسمانياً عن كثب قبل رحلتي في البرية بين تلك الوحوش الضارية، زرت حديقة الحيوان الخاصة بذلك الكائن، وهي تبعد مئة كيلومتر جنوب هوبارت عاصمة ولاية تسمانيا· ومما رأيته هناك حيوانان صغيران جثما في زاوية مكان مسيج وهما ينظران الى المتفرجين على نحو مشؤوم·

وربما كان بعض التسمانيين على حق إذ يدعون أن عفريتهم هو أقبح الحيوانات على وجه الارض· واذا نظر المرء الى هذا الحيوان من بعد، وقع على كائن قصير ممتلىء يغطيه شعر فاحم تتخلله عادة خطوط بيضاء عند الصدر والعجز· وهو يشبه جرو الثعلب· ولكن اذا دنا المرء اليه، وجد أنه قائم في ذاته ولا يشبه أي كائن آخر، وإن أشبَهَ هذا الحيوان أو ذاك في أجزاء منه·

أكل القمامة — إن ذكر العفريت المكتمل البنية يبلغ طوله متراً ووزنه بين تسعة كيلوغرامات و١١ كيلوغراماً· وهو ذو رأس عريض قوي وفكين يحتويان على ٤٢ سناً ضخمة· واذا أحس العفريت بخطر داهم، فهو يكشف عن أسنانه في فورة غضب·

وللعفاريت آذان عريضة كما للخفافيش· ولها أعيُن صغيرة خبيثة وسوالف طويلة كثة· وانوفها فطساء كأنوف الخنازير· وهي ضخمة الاجسام على قوائم قصيرة يبدو أنها تنوء تحت ثقلها· والعفاريت ليست رشيقة بل تمشي بتثاقل، ومتى احتاجت الى الركض فهي تتحرك مترنحة·

إن بعض الحيوانات يتغلب على بشاعته بسحر حضوره· أما العفريت التسماني فلا سحر يلازمه اطلاقاً· وعلى رغم أنه آكل لحوم، إلا أنه ليس شرساً أو شرهاً كما يخيل الى المرء· ولا هو — على هول مظهره — بالحيوان الشجاع·

وفي تسمانيا كلها قابلت شخصاً واحداً قال انه شاهد عفريتاً يعتدي على فريسة· وذلك الشخص هو اوليفر فون حارس حديقة الحيوان· وكانت زوجة فون، ذات صباح شتوي مثلج تطعم الحيوانات البرية في حديقة منزلها عندما قفز عفريت وانقض على كنغر صغير كان يمضغ قطعة خبز· ويقول فون: "لقد عصر قصبته الهوائية بمخالبه وصرعه على الفور·"

والعفاريت تقتات عموماً بالقُمامة· ويقول المسؤولون عن الحدائق انها تأتي كلياً على بقرة أو غنمة نافقة، بما فيها العظام والاظلاف والقرنان· وتنقضُّ العفاريت على الجيفة بمجموعات من اثني عشر عفريتاً أو أكثر·

ولا يعتدي العفريت على الحيوانات القوية أو السليمة، بل يستفرد حيواناً صغيراً أو هرماً أو ضعيفاً أو بطيء الحركة· ومرة أخذ مزارع خرافه الى حظيرة جز ذات طبقتين· ووُضعت الخراف في الطبقة العليا ذات الارضية الخشبية المضلعة، وكانت الطبقة السفلى تعج بالعفاريت· وكلما

سقطت قائمة خروف بين شقوق الارضية كانت العفاريت تقضمها من تحت.

وقال لي مزارع آخر ما يأتي: "لو حصل لي حادث في الغابة شل حركتي، فاني لا أخشى سوى العفاريت."

إن زعيق هذا الحيوان هو الذي أعطاه اسم العفريت. وكان سكان المنطقة الاوائل يسمعون صوته آتياً من الغابات وهم لم يعرفوه بعد، فعزوا الصوت الى أرواح شيطانية. وهكذا أطلقوا على ذلك الحيوان اسم العفريت قبل أن يبصروه.

إلا أن العفريت لم يكسب مودة الناس كما فعلت حيوانات اوسترالية اخرى من ذوات الجراب، وهنها الكوال والكنغر. لكن التسمانيين يفاخرون به لشهرته العالمية المعبر عنها خصوصاً في القصص المصورة. والمحلات السياحية هناك تبيع قمصاناً تحمل رسوماً كاريكاتورية مختلفة للعفريت، فنراه حيناً مزمجراً وحيناً يحتسي الشراب. كما تبيع سلعاً سياحية اخرى تحمل رسم هذا الحيوان.

حيوان انعزالي - العديد من الاوستراليين يظن أن العفريت التسماني نادر. لكن دائرة حدائق الحيوان والحياة البرية تقول ان جزيرة تسمانيا ملأى بالعفاريت التي تتكاثر باطراد في بعض المواقع.

إلا أن العفريت حيوان انعزالي ينزع الى الخفية. فتراه نهاراً في جوف شجرة مقطوعة أو مكان آمن آخر، وليلا يسرح بين الاشجار وقد ستره فَرْوُهُ الاسود القاتم.

ويقول روبرت غرين عالم الحيوان الذي وضع دراسات عدة حول العفاريت: "انها كائنات رائعة جداً. ومن الاسف ألا نعرف الكثير عنها."

ومما تعلمته عن العفاريت أن عملية الحضانة لديها بدائية. واسوة بالحيوانات الجرابية الاخرى، تضع انثى العفريت مواليد صغيرة الحجم تتكون داخل الرحم من دون مشيمة، والمشيمة هي الغشاء الذي يحيط الجنين في الثدييات. وتولد صغار العفاريت في حجم نحلة عسالة، وتزحف الى جراب امها حيث تتمسك بحلمات أثدائها وتبقى هناك بضعة أشهر يكتمل خلالها نموها مثلما يكتمل نمو الجنين داخل الرحم.

لكن امات العفاريت لا تؤمن لها جراباً تنعم فيه بالدفء والحماية كما تفعل امات الكنغر. ذلك أن جراب انثى العفريت ليس عميقاً. وهكذا تبرز الصغار قليلا الى الخارج كلما تقدمت بها الايام، وتصبح قوائمها الخلفية معرضة لعناصر الطبيعة. وأحياناً تسقط الافراد الصغيرة أرضاً فتأكلها العفاريت الكبيرة، ومنها امها بالذات. وربما كانت نزعة العفريت الانعزالية راجعة الى ما عاناه في طفولته.

واتجهتُ الى القفار الغربية المرتفعة، على رغم تحذير روبرت غرين. وذلك المكان مليء بالبحيرات الباردة والاودية العميقة والانهار المترقرقة والغابات الكثيفة، ويبلغ ارتفاع أشجارها تسعين متراً ويقدر

عمر بعضها بين ألفي سنة وثلاثة آلاف.

وبما أن معظم العفاريت التسمانية كائنات ليلية، كان من الضروري لمراقبتها الاستلقاء على جذع شجرة انتظاراً للغسق، وهو وقت خروجها من مخابئها النهارية. وذلك الانتظار أتاح لي أن أرى عدداً من الحيوانات ومنها البلاتبوس، وهو من الثدييات المائية البَيُوضَة، وبعض أفراد الكنغر والومبات والابوسوم والبندقوط والواصيور. لكني لم أجد بين تلك الجرابيات اللبونة أي عفريت.

وفي ساعة متقدمة من إحدى الليالي سمعت زعيق عفاريت، اثنين منها على الاقل، منبعثاً من أجمة كثيفة مجاورة. وكان صوتها مزيجاً من صراخ الوشق، وهو سنور يشبه النمر الصغير، ونباح الكلب المختنق، وصراخ رجل سحق اصبعه بمطرقة.

تحت ضوء القمر – في مأوى صغير أقيم في الغابة فوق خلاء مقطوع الشجر، أُخبرتُ أن قطعان الحيوان وبينها العفريت أحياناً تأتي في الاماسي لتغتذي على فضلات الموائد. وكان عند الغسق أن أحد المسؤولين رمى مقادير كبيرة من فضلات الطعام، وسرعان ما تراكض إليها نحو خمسين حيواناً. وخرج سواي من الضيوف أيضاً لمشاهدة المنظر. لكن عدم وجود عفريت بين تلك الحيوانات جعلهم يعودون الى المأوى، فيما بقيت وحدي متكئاً على جذع شجرة تحت ضوء القمر وأنا أنظر الى كومة القُمامة. وفي الحادية عشرة ليلا وفدت بعض الحيوانات، وبينها عفريت.

كان ذلك الحيوان في مظهره الخارجي لا يختلف عن العفاريت التي شاهَدْتُها في الحديقة. ولكن من الطريف أن يشاهد المرء حيواناً برياً في بيئته الطبيعية، وإن كان يقتات بقايا أرنب أعد في مطبخ بيتي. فهذا أكثر إشباعاً للحواس من مراقبة حيوان ضمن قفص.

ووقف العفريت وسط النفايات التي غمرته حتى الركب. ودفن أنفه فيها وراح يطحن بأسنانه مصدراً أصواتاً مختلفة.

ودنا أبوسوم ضخم من العفريت ونظر إليه بلياقة كمواطن ينتظر دوره ضمن طابور من المواطنين أمثاله. ورفع العفريت رأسه الكبير حتى كاد أنفه ان يمسح أنف الابوسوم، ووقف يحدق اليه كما لو أراد تأديبه. وبقي الابوسوم في مكانه دونما حراك، وبعد دقيقة أو أكثر ابتعد قليلا عن العفريت وبدأ يقتات من جديد. لكن العفريت ما انفك ينظر الى المكان الذي كان الابوسوم واقفاً فيه، ثم بدا أنه حصل على جواب لتساؤله: "أجل، إني عفريت تسماني مفترس. وعلي أن أرد على المعتدي كما تدلني طبيعتي."

وصر أسنانه وانقض على الابوسوم، لكن هذا فر الى مكان آمن قبل ان يكمل العفريت حركته، فيما وقفت الحيوانات الاخرى تحت الاشجار تتفحص العفريت وهو يهز رأسه. ويبدو أن أفراد الابوسوم والكنغر والجرابيات الاخرى هناك

غابة العفاريت

عرفت ان ذلك العفريت كان نزاعاً الى الاعتداء، إلا أن قوته لم تكن تخيفها أكثر مما يخيفها سقوط شجرة.

وبقي العفريت يأكل نحواً من ربع ساعة، اختفى بعدها على نحو مفاجىء داخل الاجمة. ومن هناك راح يموء ويزعق. ولما ازداد المواء برز عفريت آخر أكبر حجماً. وتقدم هذا نحوي مباشرة وتشمم حذائي بتؤدة ثم رفع الي عينين متكاسلتين.

وعرفت من مظهره أنه ربما قهر أفراداً من جنسه أضعف منه، إلا أنه هزم في معاركه الاخرى. فقد حملت خاصرته جرحاً عميقاً لم يندمل كلياً، كما فقد إحدى عينيه وشُوِّه وجهه على أثر جرح بليغ. ووقف يتنفس صافراً وقد شدق فكيه وتغطى خطمه باللعاب فيما صعدت منه رائحة نتنة.

إلا أنه كان الغنيمة التي سعيت اليها.

ولما تحقق ذلك الخائب من عدم صلاحي طعاماً له، لف ذيله وذهب الى القمامة. وكنت أرتجف في برد نصف الليل وأنا اراقبه حتى انتهى وعاد من حيث أتى. أما أنا فرويت غلة مزمنة.

■ **بيل غيلبرت**



الكبار والصغار

ليس للصغار أن يفهمونا، ولكن لنا نحن أن نفهمهم، اذ لا يمكنهم وضع أنفسهم مكاننا، فيما يمكننا نحن أن نتذكر مكاناً كنا فيه.

صحيفة "لا سويس"، جنيف

نهاية قصة

في أثناء بحثي عن عمل، أرسلت نبذة عن مؤهلاتي الى عدد من المؤسسات، صغيرها وكبيرها، قريبها وبعيدها.

وكان أجمل رفض، اذا صح التعبير، من أجوبة الرفض التي جاءتني، ذاك الذي كتبه المسؤول عن دار نشر لكتب الأطفال. فبعد أسفه لأني لم أكن "الشخص الذي يبحثون عنه،" تمنى لي "العيش بالرفاه والنعيم."

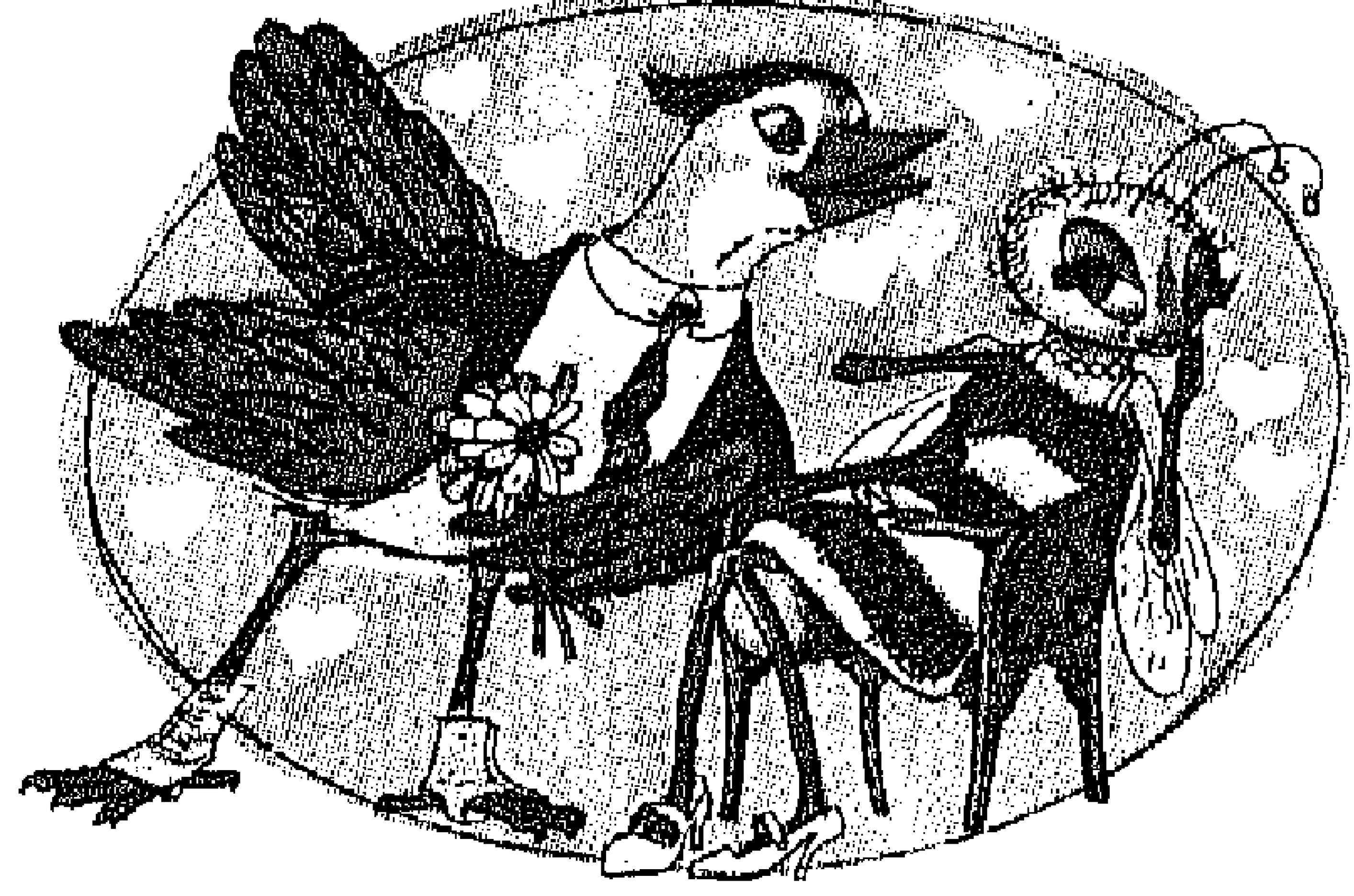
ف.ب.

براءة ذمة

ذهب مواطن الى دائرة الشرطة مبلغاً خبر اختفاء الببغاء الذي كان يقتنيه. فسأله الشرطي: "اهذا كل ما جئت من أجله؟"

ـ كلا. وأود أن اضيف الى التقرير أني لا اشارك الببغاء في آرائه السياسية.

ا.م.ا.



دائرة المعارف

قيل عن العربية انها لغة الضاد، لانها وحدها بين لغات العالم تضم هذا الحرف، كلمات الدائرة في هذا العدد تحتوي على حرف الضاد، وقد وضع امام كل كلمة اربعة معان، واحد منها صحيح، والمطلوب من القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره صحيحا ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

٠١ **رضاب** : ريق مرشوف - تراب - جفن العين - مرتفع.

٠٢ **ضنين** : حبيب - شديد العطش - ولد - بخيل.

٠٣ **مضض** : ارق - وجع المصيبة - تمهل - شراهة.

٠٤ **رمضاء** : نار عظيمة - افعى - شدة الحر - حرب.

٠٥ **تضوّع** : ذبل - تطوع - تألم - انتشرت رائحته.

٠٦ **تغاضي** : طبق جفنيه - اختال - استحى - مشى في الظل.

٠٧ **مخضرم** : مجرّب - ابن عصرين - فج - اخضر العينين.

٠٨ **فضفاض** : طويل - فارغ - واسع - جواد سريع.

٠٩ **خضم** : بحر عظيم - دغل - بئر عميقة - غبار.

١٠ **ضَنى** : اولاد - الم مبرح - بخل - ارتياب.

١١ **مَضرِب**: مصاب - قول مأثور - قصر - خيمة عظيمة.

١٢ **ضحضاح**: كريم - ماء يسير - عذب - صباح.

١٣ **ضبارة** : خابية - سلاح قديم - حزمة - خزينة.

١٤ **غـيض** : طوفان - ثأر - حقد دفين - نقصان.

١٥ **تضوّر** : تلوى جوعاً - تضرع - تجول - استبسل.

١٦ **اقتضب** : اكثر الكلام - استخلص - قطب جبينه - قطع.

١٧ **ضغث**: حمل ثقيل - خبث - مطر صيفي - اختلاط.

١٨ **ضرّاء** : عمى - ناقة - شدة - امرأة الزوج.

١٩ **هَيْضَل** : صرصور - جيش - ذكر السلحفاة - حسام.

٢٠ **وضيمة**: طعام المأتم - فكرة - نور خاطف - فريسة.

٢١ **ضاحكة** : زهرة ربيعية - نجمة الصباح - سيوف - من الاسنان.

٢٢ **ضامر** : عازم - هزيل - شجاع - جواد اسود.

٢٣ **امتعض** : استل - امتطى - استاء - بصق.

٢٤ **فـض** : افرغ - طلى بالفضة - فتح - افشى سراً.

٢٥ **حضيض** : جحيم - ارض منخفضة - اغراء - ذل.

٢٦ **ضب** : من الزحافات - بدوي - طالب الثأر - جشع.

٢٧ **ضيْفَن**: مضياف - من الزهور - بخور - ضيف متطفل.

٢٨ **تغضّن**: نضج - تجعد - احمر غضباً - تخلل.

٢٩ **ضبْيم** : غزال صغير - ظلم - عيب - ضباب رقيق.

٣٠ **غضنفر** : شعر جعد - اسد - سيف - ورد بري.



الأجوبة الصحيحة

١٠ رضاب : ريق مرشوف - ماء رضاب : عذب ٠

٢٠ ضنين : بخيل ٠ ضنائن : اشياء يضن بها لنفاستها ٠

٣٠ مَضض : وجع المصيبة ٠ ايضاً : لبن حامض ٠

٤٠ رمضاء : شدة الحر ٠ ارض حامية من شدة حرارة الشمس ٠

٥٠ تضوّع المسك : انتشرت رائحته ٠

٦٠ تغاضى : طبق جفنيه كي لا يرى ٠ غضّ الطرف : خفضه ٠

٧٠ مخضرم : من مضى بعض عمره في الجاهلية وبعضه في الاسلام ٠

٨٠ فضفاض : واسع ٠ سحابة فضفاضة : كثيرة الماء ٠

٩٠ خضمّ : بحر عظيم ٠ ايضاً : جمع كثير ٠

١٠٠ ضُنى : اولاد ٠ ضَنى : مرض وسوء حال ٠ ضنى : اوجاع مخيفة ٠

١١٠ مِضْرَب : خيمة عظيمة ٠ مُضرَّب : بساط مخيط ٠

١٢٠ ضحضاح : ماء يسير او قريب القعر ٠

١٣٠ ضبارة او اضبارة : حزمة صحف او سهام ٠

١٤٠ غَيْض : نقصان او نضوب ٠ غاض دمعه : حبسه ٠

١٥٠ تضوّر : تلوى وصاح من وجع او جوع ٠ ضور : جوع شديد ٠

١٦٠ اقتضب : قطع ٠ اقتضب الكلام : ارتجله ٠

١٧٠ ضِغْث : ما كان مختلطا لا حقيقة له ٠ جمعها اضغاث ٠

١٨٠ ضرّاء : شدّة ٠ ايضا : قحط ٠

١٩٠ هَيْضَل : جيش كثير ٠ هيضلة : اصوات الناس ٠

٢٠٠ وضيمة : طعام المأتم ٠ الوضم : مائدة الطعام ٠

٢١٠ ضاحكة : كل سن تبدو عند الضحك ٠ جمعها ضواحك ٠

٢٢٠ ضامر : هزيل ٠ اضمر الامر : اخفاه او عزم عليه ٠

٢٣٠ امتعض من الامر : غضب منه وشق عليه ٠

٢٤٠ فض : كسر وفتح ٠ فض الجمع : فرقهم ٠

٢٥٠ حضيض : الارض عند اسفل الجبل ٠ حضّ : دفع وأغرى ٠

٢٦٠ ضبّ : حيوان من الزحافات شبيهة بالحرذون ذنبه كثير العقد ٠

٢٧٠ ضَيْفن : من يأتي مع الضيف متطفلا ٠

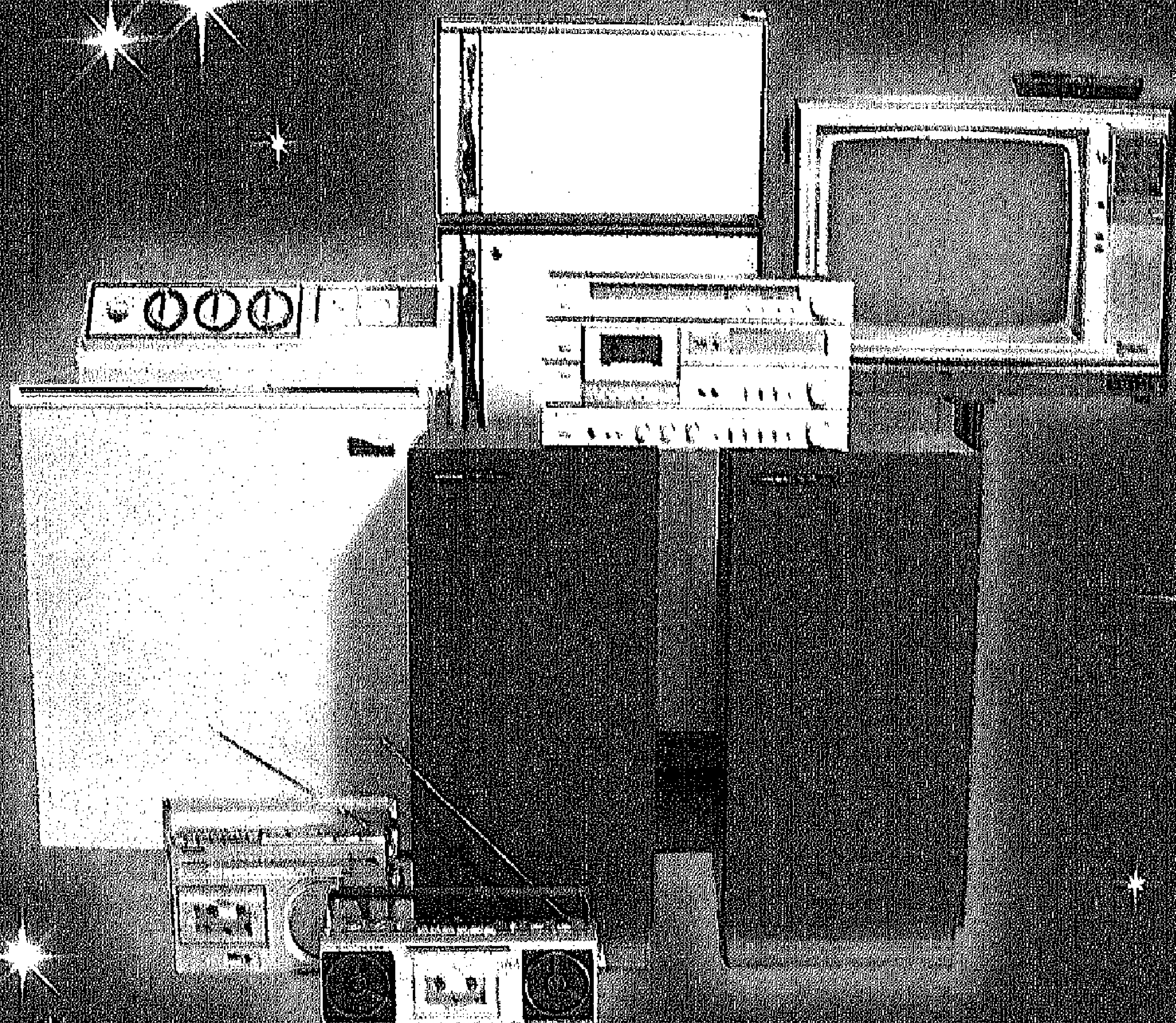
٢٨٠ تغضن : تجعد وتثنى ٠

٢٩٠ ضيم : ظلم ؛ جمعها ضيوم ٠ ضام : قهر وظلم ٠

٣٠٠ غضنفر : اسد ٠

المستوى :
٢٥ - ٣٠ : ممتاز
١٩ - ٢٤ : جيد
١٣ - ١٨ : مقبول

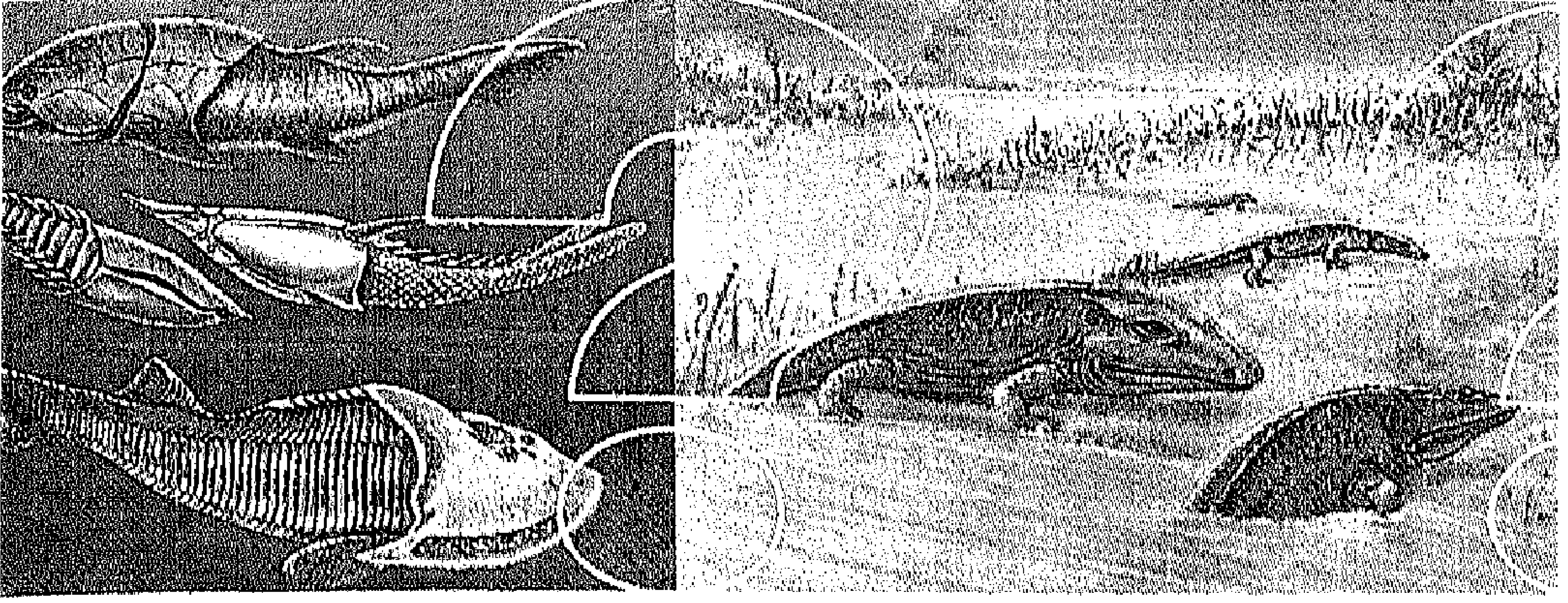
تعرفوا على أصحاب الفخامة
أفراد عائلة سامسونج



سامسونج تقدم لكم الآن مجموعة
محكمة من الأدوات الالكترونية وأدوات
المنازل ذات المستوى التكنولوجي
الرفيع والجودة المضمونة
أدوات سامسونج تتمتع بسمعة
ممتازة في العالم وفي معظم البلاد
العربية
أضيفوا شيئاً من الفخامة لحياتكم
واسرعوا لمشاهدة أدواتنا في صالات
عرض سامسونج .

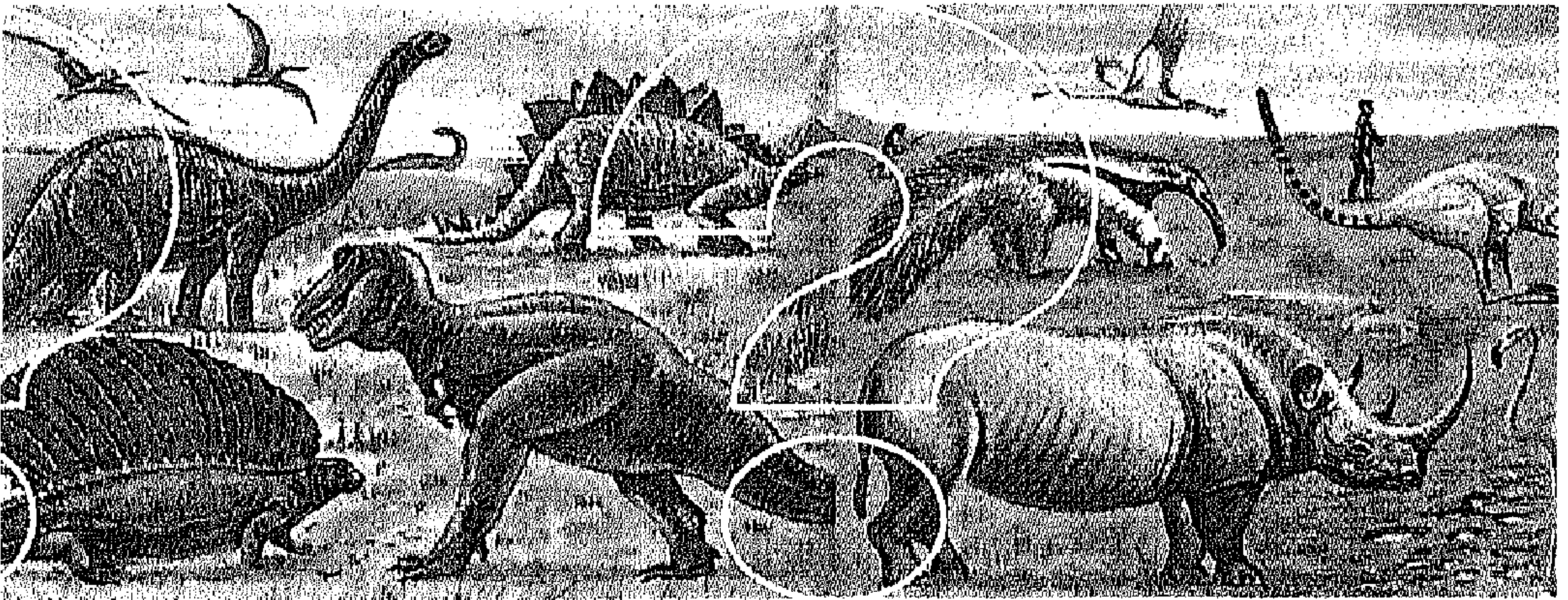
فراد عائلة سامسونج جيل المستقبل

سامسونج
SAMSUNG



إفلاس الداروينيّة

ان تكون انواع الاحياء نشأت بالتسلسل الزمني الذي تبناه داروين، فأمر ثابت علمياً، واما ان يكون كل نوع نشأ من النوع السابق، كما قال داروين ايضاً، فهذا ما يرفضه العلماء اليوم



توفي تشارلز داروين في منزله في انكلترا بسلام على أثر سكتة قلبية أصابته قبل قرن ونيف. وغدت نظريته في التطور أساساً لعلم الأحياء الحديث، وقبلتها الاوساط العلمية على نحو يشبه الاجلال. وفي تاريخ العلوم نجد اسم داروين اليوم مع أسماء كوبرنيكوس وغاليليو ونيوتن واينشتاين. ولكن على رغم هذا كله فان الداروينية اليوم تواجه مشكلات عسيرة.

غالباً ما تؤخذ التطورية والداروينية بالمعنى نفسه. لكن هذا خطأ. وهناك العديد من المؤمنين بالله الذين يرفضون القول بأن الحياة، كما نعرفها اليوم، هي نتيجة عملية تطور عبر حقب طويلة من الزمن. الا ان الشواهد التي جمعها العلماء في القرنين الاخيرين، من طبقات الارض والبقايا القديمة والبيولوجيا الجزيئية وحقول علمية اخرى، تضفي على هذه النظرة صفة البرهان الأكيد. أما الداروينية، من ناحية اخرى، فلم يتم برهانها العلمي بعد على رغم المحاولات الكثيرة التي أجريت لهذا الغرض.

معظم العلماء يُقرّ بأن الحياة تطورت على مر الزمن، وأن الكائنات الحية اكتسبت الكثير من التنوع والتعقيد في هذه العملية. وأهم الكائنات التي ظهرت، بالتتابع، خلال عملية التطور كانت الآتية: (١) الجراثيم والغرَويات، (٢) الاسفنجيات والهلاميات، (٣) الأسماك الفقارية، (٤) البرمائيات التي تعيش جزئياً على اليابسة، (٥) الزحافات، بما فيها الدينوصور، (٦) الطيور والثدييات.

ان علم المتحجرات يؤكد هذا التتابع. لكن داروين أراد الذهاب أبعد من ذلك، الى القول بأن المراحل الست متعلقة احداها بالاخرى تعلق النتيجة بالسبب، أي أن الأسماك تحولت قوازب (برمائيات) والقوازب زحافات وهذه طيوراً، وهكذا.

كما كان داروين على قناعة بأن العملية المذكورة حدثت عبر فترات زمنية طويلة، وأن نتيجة كل مرحلة كانت تنطوي على "تحسينات" طفيفة عزاها داروين الى ما سماه "الاختيار الطبيعي" للأصلح في الصراع المستديم على البقاء. وأضاف داروين ان الكائنات التي صمدت في صراع البقاء هي متفوقة قليلا على أنواعها السابقة، كأن تكون لديها حاسة نظر أفضل أو قدرة أقوى على تحمّل البرد. ومع الوقت تجمعت العناصر القوية حتى ظهرت أنواع جديدة من الحيوانات والنباتات بزّت سابقتها.

ثغرات هائلة — لو كان هذا هكذا، لكان على علم المتحجرات أن يكشف عن استمرارية بديعة غير منقطعة. الا أن نقيض ذلك هو الصحيح. ولا محالة في أن الأرض شهدت أنواعاً من الأحياء اندثرت، وأن بعضها كان ذا طبيعة انتقالية. لكن علم المتحجرات ينطوي على ثغرات ضخمة لا تخوّلنا القول بأن أنواع الكائنات ظهر واحدها من الآخر. العلاقة التي ينادي بها داروين، اذاً، ليست هناك.

الا أن ثمة فترات متطاولة من التاريخ لم يأتنا منها شيء، في حين يمكن ان نتصوّر كائنات كثيرة نشأت خلالها. ففي المتاحف آلاف المتحجرات المتحدرة من الكائنات البحرية اللافقارية، فضلا عن مجموعات كبيرة من المرحلة الفقارية اللاحقة. غير ان بين المرحلتين المذكورتين فترة مئة مليون سنة لا يمكن ان تكون خالية من الأحياء. وفي امكان المرء ان يتصور مجموعات ضخمة انتقالية هي في منزلة بين اللافقارية والفقارية. أما المتحجرات المكتشفة فلا تتيح للعلماء تحديد نهاية المرحلة الاولى وبداية الاخرى.

هذه الثغرات الضخمة بين أنواع الأحياء لا يمكن اهمالها. ولا بد من أن تكون تلك الفترات المعترضة شهدت تغيّرات فيزيولوجية هائلة.

بأي طريقة، مثلا، اكتسبت الخفافيش أجنحتها؟ ان الفرق كبير بين الخفاش الطائر والزّبابة غير الطائرة، وهي سَلَفُه الذي يشبه الفأر ويعيش على أكل الحشرات. الا ان المتحجرات لا تحفظ شيئاً يدلنا على نشوء جناحي الخفاش من أي عضو في جسم الزّبابة.

لنأخذ مثلا آخر هو الحوت. ثمة رأي سائد يذهب الى أن سلف الحوت كان حيواناً ثديياً بدائياً ذا حوافز يعيش في البحر والبر معاً. لكننا لا نجد بين المتحجرات المحفوظة حيواناً قاربا على هذا المثال.

ان الثغرات الهائلة التي نجدها في المتحجرات المكتشفة حتى هذا الوقت غير كافية، في ذاتها، لدحض نظرية داروين. الا ان هذه النظرية لا تجد تأييداً أكبر في المختبرات البيولوجية.

ان كل كائن حي مصنوع من خلايا، وتحمل كل خلية عدداً من الجينات التي تنقل الخصائص الوراثية. وهذا نجده في النبات والحيوان على السواء. وفي عملية التوالد تمتزج جينات الكائن المعطي مع جينات الكائن المتلقي، بحيث يحمل الكائن المتولد من العملية نصف خصائص هذا ونصف خصائص ذاك.

غير ان الجينات تخطىء أحياناً، وهذه الاخطاء تُسفر عن تغيرات أساسية تتخذ، معظم الاحيان، شكل كائن نباتي أو حيواني مشوّه. أما أتباع داروين فقد ظنوا ان التغيرات الايجابية النادرة هي وحدها ذات أهمية في عملية التطور. وقد عُرفت نظريتهم بالداروينية الجديدة. وهي تقول بأن ثمة تغيُّراً ايجابياً عشوائياً ينتقل من جيل الى جيل في عالم النبات والحيوان عبر مبدأ الاختيار الطبيعي. وهذا يفسر نشوء الانواع الجديدة في حقَب متباعدة من الزمن.

شكوك العلماء ـ في مؤتمر علمي عقد عام ١٩٦٦ في جامعة بنسلفانيا الامريكية، بدا واضحا أن أهل العلم من الحقول غير البيولوجية، كالفيزياء والرياضيات والهندسة، يشاركون عدداً كبيراً من علماء الاحياء في شكوكهم في الداروينية الجديدة.

خلال ذلك اللقاء أعلن موراي ايدن، استاذ الهندسة الكهربائية آنذاك في

معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، أن نشوء الانسان عبر عملية تغيُّر عشوائية ليس أكثر حظاً من القول بأنه يمكن "انتاج مكتبة تضم ألف مجلد قيّم بالطريقة الآتية: ابدأ طباعة جملة ذات معنى على الآلة الكاتبة. أعد طباعتها مع بعض أخطاء. اجعلها أطول باضافة حروف. بعد ذلك دقق في النتيجة لترى اذا كانت الجملة الجديدة ذات معنى. كرر العملية الى أن تكتمل المكتبة."

ويؤدي القول بالتغيُّرات الايجابية العشوائية المتعاقبة الى معضلة بيولوجية اخرى هي ما سماه داروين "الأعضاء الخالية من كل عيب." وأهم تلك الاعضاء، بالنسبة اليه، العين البشرية.

ان العين لا تعمل ما لم تكن نظيفة ورطبة. ويعبر الضوء من الغشاء الخارجي الواقي، وهو القرنية، شاقاً طريقه عبر فتحة تتكيف تلقائياً واسمها البؤبؤ، نحو عدسة تعمل تلقائياً هي الاخرى فتركز الضوء الداخل على مؤخر الشبكية. هناك يوجد ١٣٠ مليون عود ومخروط تتميز بحساسيتها للضوء وتحفز تفاعلات كيميائية تسفر عن تحويل الضوء موجات كهربائية تُنقل الى المخ بسرعة هائلة.

ترى كيف يعقل ان تكون التغيرات الايجابية تمت ألوفها المؤلفة هكذا على نحو عشوائي، بحيث باتت عدسة العين وشبكيتها، اللتان لا غنى لاحداهما عن الاخرى، تعملان بهذا الانسجام والتناغم؟

عند هذا الحد يمكننا القول بأن الداروينية أفلست كنظرية. ففي الحقول الثلاثة حيث يمكن وضعها موضع الاختبار أخفقت في تفسير عملية التطور الاحيائية:

أولا، المتحجرات تشير، في الغالب، الى قفزات لا الى تغيُّرات مرحلية تدريجية كما قال داروين.

ثانياً، الجينات التي تنطوي عليها كل خلية حية والتي تنقل الخصائص الوراثية من جيل الى جيل، هي عوامل استقرار قوية تُضعِف امكان نشوء أنواع جديدة.

ثالثاً، القول بالتغيُّر العشوائي على صعيد الجزيئات يضع النظام والتعقيد اللذين تنطوي عليهما الحياة خارج اي تفسير.

البيولوجيا الجديدة ـ الآن، اذا كان المرء يرفض الداروينية الجديدة لأنها لا تروي غليله العلمي، فما هي النظرية التي يمكن ان يقبلها العقل؟

ان مراجعة البدائل النظرية التي طُرحت في السبعينات تجعلنا نخرج بما تمكن تسميته "بيولوجيا جديدة" يمكن تلخيص مبادئها بالآتي:

☐ القوانين الفيزيائية والكيميائية، وليس التغيرات الوراثية العشوائية، هي التي تحكم نشوء الاشكال الحية.

☐ في حين ظنّ داروين ان التطور عملية تدريجية، أظهرت الرياضيات أن التغيرات الضخمة يمكن ان تحدث من غير سوابق.

☐ البيئة عامل حاسم في عملية التطور، خصوصاً من حيث مقدار هذا التطور. وهذا يختلف عن رأي داروين

القائل بأن عمل البيئة يقتصر على ازالة ما هو أقل صلاحاً من حيث الخصائص الوراثية.

□ التطور الواسع النطاق ليس مجموع عمليات التغير البسيطة التي تحصل عبر بقاء الأصلح ضمن مجموعات مكتظة بالأفراد. لكنه يحدث في فترات تشهد جيشاناً بيئياً حاداً يليه نقص في عدد أفراد المجموعة.

انطلاقاً من هنا، يمكن ان نصف نشوء الحيوانات البرية الاولى على النحو الآتي:

في أعقاب كارثة ارضية هائلة، قذفت القوازب بأعداد كبيرة من الماء وتاهت على الشاطىء حيث نفق الكثير منها. ومن جراء التغيرات التي طرأت على حياة اناثها الناجية، وبينها الغذاء الغريب والمناخ الجديد والمناعة المكتسبة ضد الامراض، وضعت تلك الاناث مواليد غريبة الشكل تبعاً لالوف التغيرات الجينية الدقيقة. وخرجت غالبية تلك الحيوانات ميتة من بطون أماتها كما جاء بعضها عقيماً. وانتقل هذا التغيُّر عبر الوراثة، مما ولد حيوانات غريبة تكاثرت مع الوقت وملأت مناطق كثيرة غير آهلة من الأرض.

ان علم الاحياء الجديد يعيد النظر اليوم في جميع الكائنات الحية، في اشكالها وأنماطها وطاقاتها وعلاقاتها. والحق ان داروين لن يضيره ان تكون نظريته في الاختيار الطبيعي اختُبرت بعد مئة سنة ولم تؤيدها الحجج العلمية.

■ فرنسيس هيتشينغ

فــارسُ الأحــلام



بتحويل حُلمه حقيقة، تمكن هذا الرجل المخلص من تحقيق أحلام مئات الأطفال المرضى

طوال السنوات الست الاخيرة كان ضابط الشرطة وليم سامبل (٤٠ سنة) مولجاً الشؤون الامنية في مستشفى سان كريستوفر للاطفال في فيلادلفيا (ولاية بنسلفانيا الامريكية). وكان بين المرضى عدد كبير من ذوي الاصابات المزمنة أو الامراض الخبيثة. وبينهم من يعاني السرطان وتليّف المثانة والتهاب الكلية.

وبحكم وظيفته تعرّف سامبل على العديد من المرضى وذويهم، وعرف عن كثب مشكلاتهم المالية والنفسية. وكان يتمنى على الدوام أن يستطيع شيئاً لتخفيف عذابهم.

وذات مساء من شهر اكتوبر

(تشرين الاول) ١٩٧٦ طرأت على ذهنه فكرة كالاحلام. وقال لخطيبته ايلين التي كانت تعمل في ادارة المستشفى: "لا بد من أن يكون لكل من هؤلاء الاطفال أُمنية. وغني عن القول إني لا املك إبراءهم جسدياً. ولكن ربما أمكنني مساعدتهم في تحقيق أحلامهم."

وتأملت ايلين في الامر ثم قالت: "دعنا نباشر تنفيذ فكرتك."

وللحال تَولَّيا دعوة تسعة أشخاص، من رجال ونساء يهتمون كثيراً بالاطفال، الى اجتماع. وسرعان ما انتقلت حماسة وليم كالعدوى الى الآخرين. واقترح أحدهم إطلاق اسم "نور الشمس" على المشروع، "لانه سوف يحمل قبساً من نور الى حياة كل من اولئك الاطفال." وصَفَّقَ الجميع موافقة على الاقتراح.

وقال وليم: "حسناً، اذاً! لتكن مؤسسة نور الشمس."

الشعاع الاول — في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٧ أطلقت المؤسسة شعاعها الاول عندما وجد ذلك الضابط المرح المستدير الوجه طفلا في الخامسة اسمه بوبي جالساً مع والديه في غرفة الانتظار في مستشفى سان كريستوفر. وكان الطفل يصارع سرطان الدم. وسأله وليم عما يَوَدّ تحقيقه، فقال انه لا يدري. لكن ممرضة كانت أخبرت الضابط أن بوبي يتشوق الى اللعب على الثلج.

وسأله: "ما رأيك في تمضية نهاية الاسبوع في فندق جبلي وسط الثلوج؟ عندئذ سيرافقك أفراد العائلة كلهم: اختك وأخوك ووالداك... ماذا تقول؟"

وهز بوبي رأسه. ونظر وليم الى الاب والام اللذين هزّا رأسيهما أيضاً إيجاباً. غير أنه قرأ علامات الشك في نظراتهم جميعاً.

في تلك الاثناء لم يكن لدى المؤسسة فلس واحد. وهكذا أرسل وليم حوالة من حسابه الخاص الى المنتجع الشتوي لتغطية نفقات اقامة بوبي وأفراد عائلته. وقرر وليم وايلين وبعض أنصار الجمعية مرافقة العائلة. ويقول وليم: "لم يكن ذلك بدافع التدخُّل في شؤونهم الخاصة، وانما شئنا اختبار صحة أفكارنا. أتكون المؤسسة ذات فائدة حقَّة؟"

وجاءت النتيجة كالمتَوَقَّع. ويتذكر وليم أن "بوبي ركب عربة الثلج والمزلقة وانه ارتفع عالياً فوق الثلج. وقال أبوه انه أظهر نشاطاً لم يُظْهِرْه خلال سنة كاملة. وجعله الاستمتاع بتحقيق أمنيته ينسى ألمه. ولازمه ذلك الشعور البهيج أياماً، مُدخلا الفرح الى قلوب ذويه أيضاً."

وبعد أيام تلقى وليم مخابرة من والدة الصبي التي قالت: "اننا لن ننسى تلك العطلة، لن ننسى ما فعلته من أجل بوبي، لن ننساك."

ذلك الحادث كان نقطة انعطاف في حياة وليم سامبل. الا أن تحقيق الاحلام لا يتم من دون مال. ولم يكن لدى المؤسسة فكرة لجمع المال اللازم.

وفي مايو (أيار) ١٩٧٧ كان وليم استدان ٤٥٠٠ دولار لحساب "نور الشمس." وبدأ، وهو المتفائل العنيد، يخشى أفول حلمه.

ثم، في ذروة يأسه، أتاه بعض أمل حين أشار معلق صحافي محلي الى المشروع وأخذ وليم نفسه يشارك في برنامج اذاعي محلي. وأدى ذلك الى وصول بعض الهبات لحساب المشروع. ومع حلول العام ١٩٧٨ أصبح لدى "نور الشمس" نحو ثلاثين متطوعاً. وانطلق هؤلاء يبيعون أوراق اليانصيب وكتب الطبخ وقوالب الحلوى ويقيمون الحفلات الراقصة والمزادات العلنية وعروض الازياء لجمع المال.

وجمعوا مقداراً من المال مكن وليم من استئجار بيت قرب الشاطىء. في ذاك الصيف أمضت عشر عائلات اسبوعاً على الشاطىء. وللمرة الاولى في حياتهم، تمكن بعض الاطفال المرضى من اللعب على الرمل والجلوس على حافة الماء حيث تتكسر الامواج.

وفي العام نفسه تسلمت المؤسسة ٢٥ الف دولار هي الدفعة السنوية الاولى من ثلاث دفعات خصّصتْها لها سلطات ولاية بنسلفانيا. ووجد وليم في ذلك تشجيعاً كبيراً دفعه على تكليف عدد من موظفي المستشفى اكتشاف أمنيات الاطفال المرضى، كما كتب رسائل الى مستشفيات الاطفال في المدن الامريكية الرئيسية للغاية عينها. وجاءته الاجوبة منها جميعاً، وما لبثت تأتيه منذ ذلك الحين. فمن طفلة في ولاية اوريغون تريد جواد سباق، الى طفل في ايلينوي يحلم بركوب سفينة تعبر به نهر الميسيسيبي، الى فتاة في انديانا تود أن تلمس بيديها شجر السكوية (★) في كاليفورنيا.

أهل وأصدقاء — لم تخيب المؤسسة أياً من سائليها. وهناك فتاة من اوكلاهوما عبرت عن رغبتها في زيارة أنسباء لها في كاليفورنيا، لكن المرض اشتد عليها ومنعها من السفر. وهكذا جاءتها المؤسسة بأقربائها. وفي نيوجرزي طفل مقيّد بكرسيه النقال وهو لا يقوى على الكلام. وقد أرسلت اليه المؤسسة جهازاً الكترونياً بات يستخدمه بقصد "التحدث" مع أفراد عائلته.

وأحياناً يتعاون جيران الطفل المعني على تلبية نداء "نور الشمس". ومرة كتب والدان من غرب فرجينيا ان طفلتهما المصابة بسرطان الدم والتي تنام معهما في غرفة واحدة، تحلم بغرفة خاصة. وتولت المؤسسة إرسال مواد البناء عبر شركة محلية. وبعد ذلك هب الاصدقاء والجيران يساعدون والد الفتاة على بناء الغرفة الاضافية.

وهناك العديد من الاهل الذين يترددون في طلب المساعدة اما لكبريائهم وإما لشكهم في إصغاء المؤسسة اليهم. لكن "نور الشمس" في حالات كهذه تجمع المعلومات عن طريق معارف العائلة المعنية وتمد يد المساعدة للحال. وهذا حصل بالنسبة الى الفتى سام البالغ الثالثة عشرة والمصاب بمرض خبيث نادر في عموده الفقري. فقد تلقت المؤسسة رسالة من صديق للعائلة يصف فيها حال سام ويقول ان امنيته الكبرى هي حضور مباراة كرة القدم للعام ١٩٨٢

(★) شجر من الفصيلة الصنوبرية يكثر في كاليفورنيا ويبلغ طوله في احيان كثيرة مئة متر.

في بلدة بونتياك من أعمال ميشيغان. وخابرت المؤسسة العائلة وقالت لوالدة سام انها ستحقق أمنية ابنها. وردت هذه متعجبة: "أكاد لا أُصَدّق ما أسمع."

كان ذلك في أواخر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٣، وموعد المباراة الرابع والعشرون من الشهر التالي. وكانت البطاقات نفدت كلها. لكن "نور الشمس" اتصلت بنادي "النسور" الرياضي في فيلادلفيا وطلبت خمس بطاقات من مخصصات أعضاء النادي. وكانت الموافقة فورية.

وعندما أخبر سام بالامر قال وهو يبكي فرحاً: "أحقاً أني ذاهب؟ اني لا أصدق ذلك."

وأذهلته المباراة وغمره فرح لا يوصف إذ أهدى اليه قائد الفريق الفائز رسماً ممهوراً بتوقيعه. وكتب والداه الى المؤسسة يقولان: "الكلمات تخون المرء وهو يريد أن يشكر أحداً على محبة وعطف يفوقان التقدير."

الاطباء أيضاً ـ أحياناً يطلب الاطباء مساعدة "نور الشمس." ومن هذا القبيل ما كتبه طبيب من اوهايو حول مريض لديه في الثانية عشرة اسمه غاري، يعاني داء خِلقياً في القلب: "انه مريض منذ ولادته، وأشك في أنه سيعمر سنة منذ الآن. وهو حالياً لا يستطيع السير خمسين متراً من غير أن يشعر بالارهاق وانقطاع النفس. وكسائر الاطفال، يحلم بالذهاب الى "عالم ديزني" في فلوريدا. إلا أن أبويه عاجزان عن تأمين المبلغ اللازم لذلك."

وأمنت المؤسسة ارسال غاري الى حيث يريد، وهكذا حولت حلماً آخر حقيقة. وبعد عودة العائلة من "عالم ديزني" كتب الطبيب الى المؤسسة مرة أخرى: "لقد حدثت معجزة حقة، لا يمكنني تفسيرها طبياً. ذلك ان حال غاري الصحية تحسنت كثيراً، واستطاع المشي بسهولة خلال الايام الخمسة التي أمضاها هناك. وكان يتنفس بلا مشقة طوال الوقت. وليس في امكاني عزو ذلك الا الى المناخ. وإن والد غاري يفكر جدياً في العودة الى فلوريدا للبحث عن عمل هناك. وهذا مثل واحد يدل على أن مؤسستكم امكنها أن تطيل عمر طفل وتحقق أمنية غالية لديه."

والواقع أن عائلة غاري انتقلت الى فلوريدا حيث لاءمه المناخ جسدياً ونفسياً.

وتلقت المؤسسة رسالة من طبيب آخر حول طفلة اسمها سوزان تعاني "حروقاً حادة في وجهها ورأسها وجسمها. وقد أجريت لها جراحات تجميلية عدة وأدخلت المستشفى عشرين مرة. ولا خوف على حياتها، لكنها ستبقى مشوهة."

وكانت والدة سوزان مطلقة وتعيش على دخل ضئيل ولا هاتف لديها. ومنعتها كبرياؤها من الاجابة عن رسائل "نور الشمس." غير أن الطبيب أقنعها أخيراً بالكتابة.

وأخبرت وليم وايلين سامبل الآتي: "لقد تحدّثْتُ مطولا مع ابنتي سوزان، وتبين لي أن ما تتمناه أكثر من سواه هو سيارة يمكن توجيهها من بعد. كما تحلم بساعة يد. واني

أشكركم سلفاً على كل ما يمكنكم تقديمه لها لمناسبة عيد الميلاد٠"

وذهبت اثنتان من المتطوعات ومعهما دفتر حوالات وليم الخاص لشراء السلع المطلوبة٠ وفي ليلة الميلاد خرج وليم يرافقه متطوع في لباس سانتا كلوز (بابا نويل) وهما يحملان الهدايا الى منزل سوزان٠ ونظرت الطفلة اليهما وهي لا تصدق ما تراه، ثم خاطبت سانتا كلوز: "لماذا لم تَزُرْني قبل اليوم؟" وبعد فتحها الهدايا، أمسكته بيده وقادته الى المطبخ قائلة: "تفضل! لقد أعددت لك حلوى خاصة بالعيد٠"

بعد ذلك عاد الرجلان الى منزل وليم وقد شهدا أجمل ليلة ميلاد في حياتهما٠

بذلُ الذات — إن مؤسسة "نور الشمس" تعتبر جميع الطلبات التي تتلقاها ملحة٠ ولقد توفي عدد من الاطفال قبل تحقيق أحلامهم، وآخرون بعيد تحقيقها٠ وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨١ كتبت أم عن ابنها ذي السنوات الاربع عشرة الذي دعته المؤسسة الى فلوريدا قبل عام: "إن قلبي ينعصر وأنا أقول لكم ان ولدي بريان صرعه المرض في الثاني من اكتوبر (تشرين الاول)٠ واني ارسل اليكم حوالة بقيمة خمسين دولاراً٠ والمبلغ جمعه بريان نفسه ببيعه سلعاً منزلية قديمة٠ وهو شاء أن يعود المبلغ اليكم لانكم حققتم أهم حلم في حياته٠ وهذا لا يقتصر على الذهاب الى فلوريدا، بل يتعدى ذلك الى تكوين نظرة جديدة عن الناس الذين يبذلون ذواتهم من غير منة٠ وهو لم ينفك يتكلم عنكم وعن رحلته تلك٠"

لقد حققت المؤسسة، حتى اليوم، أكثر من ٦٠٠ أمنية٠ ونما مقرها ليغدو ثلاث غرف فوق مخزن للاواني الخزفية في فلوريدا، بعدما كان مقتصراً على حقيبة يد وليم سامبل٠ هناك تعمل أربع شابات متطوعات، فيجرين الترتيبات اللازمة لتحقيق أحلام الاطفال المرضى٠ كما يُرْسِلْن، عند الطلب، استمارة الى أهل الطفل المريض تقتضي الاجابة عن أسئلة متعلقة بالوضع العائلي٠ ولدى تسلم الاستمارة مع الاجوبة، يتم الاتصال بطبيب الطفل لارسال تقرير يتناول تشخيص المرض وتقدير الحال الصحية، ومع ذكر معوقات السفر في حال وجودها٠

وليس بين أنصار المؤسسة أثرياء أو شركات٠ كما ان وليم لم يترك عمله كضابط أمن في المستشفى٠ وعلى رغم أن سنوات الخدمة تتيح له التقاعد، ألا أنه ما زال يعول على راتبه٠ وهو يقول: "مؤسستنا في أول عهدها٠ وكثيراً ما وقفنا مرتبكين لعدم وجود المال لدينا لتحقيق أمنية طفل أو طفلة، ألا أن البريد كان يحمل الينا، في اليوم التالي أو اليوم الذي بعده، ما نحتاج اليه من مال٠"

ويضيف وقد استحال صوته الهادر همساً: "أحياناً يُخَيَّل إلي أن الاطفال الذين حققنا أحلامهم قبل أن يموتوا ينظرون إلينا من فوق كيما نستطيع تحقيق أحلام الآخرين٠"

■ جوزف بلانك

الحاسة السادسة

ان في فطرتنا حاسة سادسة تنبئنا بالمستقبل ويمكنها بالممارسة ان تجعل حياتنا أوفر حكمة وأغزر انتاجاً.

ذات صباح من شهر ذيسمبر (كانون الاول) ١٩٧٨ برّ ريتشارد اويرباخ بوعد قطعه قبل ٢٥ سنة. ففي العام ١٩٥٣ كان مدرساً شاباً، وطلب من تلاميذه في الصف الخامس الابتدائي ان يكتبوا موضوعاً انشائياً يتخيلون فيه كيف ستغدو الحياة بعد ربع قرن. وبعدما فرغ الاولاد من الكتابة جمع الاوراق ووضعها في غلاف سميك مع وعد بألا يفضه الا بعد انقضاء ٢٥ سنة. وعندما حان الموعد اعترى الاستاذ ذهول اذ راح يقرأ ما كتبه اولئك الصغار. فقد ظهر له ان جانباً كبيراً من تصورات تلاميذ الصف الخامس الابتدائي عن المستقبل كانت صحيحة.

في العام ١٩٥٣ كان الاولاد سمعوا عن الطائرات النفاثة، ولذا تنبأوا برحلات جوية عبر الاطلسي لا تستغرق سوى ثلاث ساعات وباجهزة هاتف تعمل بأزرار وبآلات تصوير تظهر الصور من تلقائها. احدى الفتيات كانت بعيدة النظر اذ تكهنت بتضخم نقدي متصاعد يرفع اسعار السيارات الجديدة اربعة اضعاف. اما الناحية الاهم من قدرة الصغار الفردية على معرفة الغيب فكانت الدقة الجماعية لتوقعات الصف.

لم يكن هذا مدهشاً بالنسبة الى ديفيد لوي، عالم النفس ومنسق معهد التكهن بالمستقبل في جامعة كاليفورنيا، لوس انجلس. فقد

اكتشف هذا العالم في دراسات عدة كم ان التوقعات البشرية دقيقة، خصوصاً حين تكون توقعات جماعية. واثارت هذه الظاهرة اهتمامه للمرة الاولى عام ١٩٧٦ حين عثر على بحثين مغمورين اجراهما في ١٩٣٦ عالما النفس دوغلاس ماكريغور من معهد مساتشوستس للتكنولوجيا وهادلي كانتريل من جامعة برنستون في نيوجرزي. كان البحثان يهدفان الى معرفة كيف يفكر الناس في المستقبل، وهل يتم ذلك عن طريق توقعات ترتكز على المعرفة ام على مجرد التمني. فطلبا من الناس ان يتكهنوا باحداث مستقبلية، مثل مصير آدولف هتلر. ولم يكن اي من العالمين معنياً بصحة التوقعات او خطأها. لكن ديفيد لوي حين قرأها بعد ٤٠ سنة ذهل لصحتها ودقتها. فقد توقع الذين سئلوا عن هتلر نشوب حرب في اوروبا خلال ثلاث او اربع سنوات، تكون فيها المانيا هي المعتدية وتبقى الولايات المتحدة على الحياد في بداية الحرب ثم تخوضها في النهاية الى جانب فرنسا وبريطانيا وروسيا وبولونيا. كما توقعوا ان تدوم الحرب خمس سنوات وتنتهي بهزيمة المانيا. وجاءت توقعات فريق كانتريل صحيحة بنسبة ٦٤ في المئة في كل الاسئلة التي طرحت، اما توقعات فريق ماكريغور فجاءت صائبة ١٠٠ في المئة.

كيف يمكن المرء ان يفسر هذه الدقة في الحدس؟

يفترض الباحثون امثال لوي ان معظم الناس يملكون، بنسب متفاوتة، مجموعة من المواهب والاجهزة العقلية - مكتسبة او غريزية - تشكل حاسة سادسة ترشدهم الى المستقبل. ويدعو لوي هذه الحاسة "ملكة التنبوء." ومن اجل كشف طريقة عمل هذه الموهبة يدرس العلماء الاجهزة الواعية التي يستخدمها المتنبئون المحترفون. وقد لاحظ فكتور فيركيس، العالم السياسي والمستشار في شؤون التوقعات المستقبلية في جامعة جورجتاون في واشنطن العاصمة، الاساليب الاساسية الآتية:

● **ابراز التوجهات والميول** - يفعل علماء الاقتصاد ما نفعله كلنا في حياتنا اليومية من غير ان ندري. ويقول الفين توفلر مؤلف كتاب "صدمة المستقبل": "ان المسافر الذي يهتف لزوجته قائلا: سأكون في البيت في السادسة مساء، بنى توقعه هذا على افتراض ان القطار سينطلق في الوقت المحدد." في التكهن كذلك يمكن الافتراض أن التوجهات الراهنة ستستمر فترة من الزمن، ولكن ليس الى ما لا نهاية. ومن الواضح ان احد التوجهات ينبغي تصحيحه في ضوء توجهات او وقائع اخرى. وقد اظهر الفلكي السير فريد هويل ان الاتجاه الحالي للتكاثر السكاني يجب ان يتغير في النهاية، والا فان مجموعة السكان بعد بضعة آلاف من السنين سيفوق وزن الكون المنظور.

● **صنع النماذج** - تضع الهيئات المولج اليها التنظير الفكري نماذج

متطورة عن طريق انتداب كتاب يضعون مخططات متوقعة يجرى تحليلها في ما بعد لاستخدامها في تقديراتهم المنطقية على أساس "اذا كان هذا فسيكون ذاك." هذا الاسلوب ليس الا تطويراً شكلياً لرد الفعل البشري الفطري ازاء المستقبل الذي يقوم على المقارنة والتخيل لتصور النتائج المختلفة.

● **التنبؤات الجماعية** - دأب البشر على ممارسة التنبؤات الجماعية، بدءاً بالذين يخمنون نتائج الانتخابات والمباريات الرياضية وانتهاء بالهيئات الحكومية وجلسات المناقشة والتشاور التي يعقدها رجال الاعمال. وقد اكتشف المخمنون المحترفون ان التنبؤات الجماعية تأتي اكثر دقة من مجموع التقديرات داخل اي مجموعة.

● **طريقة "دلفي"** - بعيد الحرب العالمية الثانية عهد سلاح الجو الاميركي الى مؤسسة "راندا" في تقدير كم من القنابل الذرية في حجم قنبلة هيروشيما يلزم لشل الولايات المتحدة في حرب نووية. اما الجواب (بين ٥٠(و٤٠٠ قنبلة نووية) والطريقة التي اعتمدها خبراء "راند" فتواريا في ملفات سلاح الجو "البالغة السرية." ولكن حين رفع ستار السرية عن هذه الملفات بعد سنوات، احدثت تلك الطريقة ضجة في اوساط المنظرين في المستقبل. فهذه الطريقة التي اطلق عليها اسم "دلفي" كانت من نتاج عبقرية عالمين رياضيين في شركة "راند" هما اولاف هلمر ونورمان دلكي اللذان اعتمدا الحدس الجماعي لابراز التقديرات الفردية. ومن اجل الوصول الى تخمين بطريقة "دلفي" يعمد هلمر ودلكي اولا الى استقصاء آراء الخبراء في شأن موضوع معين، كل على حدة. وبما ان الاستقصاء الاولي يبقى مكتوماً، فلن يتهيب الخبراء غرابة تقديراتهم العقلانية والحدس الذي يدور في خلدهم. وبعد تكرار الاستقصاء يتاح للخبراء ان يعيدوا النظر في تقديراتهم في ضوء تخمينات الآخرين. وهكذا يتكون تدريجاً رأي جماعي في المستقبل يرتكز على النظرة المنطقية الفردية لكل خبير وعلى الايحاءات الذاتية المعززة جماعياً.

وقد غدت طريقة "دلفي" أعم اسلوب حديث للتنبؤ تعتمده الشركات الكبرى والمصالح الحكومية في وضع برامجها.

وفي حين يعتقد خبراء التنبؤ أن طريقة "دلفي" تعطي التخمين الاكثر احتمالا، فان كثيرين منهم، وبينهم هلمر نفسه، ما زالوا عاجزين عن ادراك سبب ذلك. كلهم باستثناء لوي الذي يؤمن بأن للنبوءة نصفين، نصف منطقي ونصف حدسي. فالجزء الايسر من الدماغ يقوم بما يسميه ديفيد لوي "التكهن" اي جمع المعلومات ذات المغزى واستخلاص النتيجة منها، بينما ينهمك الجزء الايمن في "التنظير المستقبلي" اي ابراز الاحتمالات - بطريقة ما زالت خفية - من مجمل الاستجابات الى تساؤلات عن المستقبل.

بالطريقة نفسها التي حول خبراء التخمين اساليبهم المختلفة اجهزة تنبؤ قادرة، يمكنك انت ايضاً ان تعزز قدراتك الفطرية والمكتسبة على الغوص في خفايا المستقبل.

اولا، حاول ان تحلل عمليات التخمين التي تتبعها عفوياً - الهامك وتقديرك وحدسك - بحيث تصبح قادراً على ممارسة سيطرة ارادية أقوى عليها. وفي وسعك ان تحقق ذلك الى حد بالممارسة. قدر الوقت الذي ستستغرقه رحلة تقوم بها في زحمة السير، او تحولات سوق القطع في اليوم التالي. بعد ذلك، حين يتوجب عليك ان تخمن أمراً ما لاتخاذ قرار عملي، استخدم كل الوسائل التكهنية التي في حوزتك. على سبيل المثال، اذا كنت تفكر في شراء بيت جديد، ابدأ بتدوين كل المعلومات التي يمكنك الحصول عليها عن دخلك المتوقع ومعدل التضخم النقدي واتجاهات الفائدة على القروض وسوى ذلك. ثم طبق طريقة "دلفي" مستعيناً بنصائح الآخرين بطريقة نظامية. في هذه الحال يكون مستشاروك الرئيسيون سماسرة العقارات والمهندسين والمحامين. ولكن لا تكتف بهؤلاء، بل تحدث الى اصدقائك الذين اختبروا شراء البيوت.

بعد ان تجمع الحقائق وتكمل استقصاء الآراء بطريقة "دلفي"، باشر بتشغيل جزئي دماغك معاً. استعن اولا بقدرتك على الحدس (الايحاء الذاتي). ابحث عن مكان هادىء واسترخ، ثم دون على ورقة كل ما يجول في خاطرك انت من ايحاءات. بعد الفراغ من هذا خذ ورقة اخرى ودون عليها كل الحقائق والآراء التي تجمعت لديك. واخيراً اعمد الى تحليل كل ما دونته على الورقتين.

ترى ماذا يكون شأنك اذا أشار عليك المنطق بالا تقدم على شراء البيت في حين بقي حدسك يحثك على شرائه؟ يقول ديفيد لوي في ذلك: اتبع الجانب الذي حقق لك في تجارب سابقة أعلى النتائج التخمينية، سواء أكان ذلك المنطق أم الحدس.

وعلى رغم ان الكثير من قدراتنا الطبيعية على التنبؤ لم تكتشف بعد، فاننا نعرف عنها ما يكفي لتعزيز هذه الملكة القيمة في فطرتنا. وبما اننا نستعين بموهبتنا على التنبؤ في حياتنا اليومية، فان الجهد الذي نبذله لتطوير هذه الموهبة لتصبح عملية ارادية هو جهد مثمر يجعلنا نتصرف بطريقة اكثر براعة.

■ دوغلاس كوليغان

كل أيامكم افراح

على باب محل مقفل كتبت الملاحظتان الآتيتان:

"المحل مقفل يوم السبت بين الثانية عشرة والثالثة بسبب عرس ابنتي..."

"المعذرة. لقد دامت الحفلة اكثر مما كنا نتوقع. الى اللقاء يوم الاثنين."

ب.هـ.ت.

العمل ليل نهار والتنافس وحب السلطة وطلب الكمال، كلها أشراك توهمك بالوصول الى القمة

أسرار النجاح

اثنان من زملائي على مقاعد الدراسة كانا يأملان في اتخاذ نشر المطبوعات مهنة لهما. وكانا موهوبين ولبقين وطموحين. واليوم يرئس احدهما دار نشر يقدر رأس مالها بملايين الدولارات، في حين يشغل الآخر وظيفة متواضعة ومملة مصححاً للادلة التجارية والصناعية.

لماذا ارتقى الواحد درجات اعلى من الآخر؟ ليس بسبب الحظ او العلاقات او التفاني في العمل، بل ببساطة متناهية لان الاول رجل انجازات والثاني ليس كذلك.

تشارلز غارفيلد استاذ في كلية الطب في جامعة كاليفورنيا، سان فرنسيسكو، ورئيس معهده الخاص للابحاث "مركز ذروة الكفايات" في بيركلي. وهو اجرى دراسات على ١٥٠٠ شخص حققوا انجازات رائعة في جميع مجالات الحياة تقريباً، وتبين له انهم جميعاً يملكون مواصفات مشتركة ليست فطرية بل يمكن ان يتعلمها اي كان.

١. عش حياة متوازنة. كثيراً ما يتبادر الى اسماعنا ان الاشخاص الناجحين هم حتماً مثابرون لا يعرفون الكلل، ينتابهم هاجس العمل

فيحملونه الى البيت ويكبون عليه حتى تحين ساعة النوم. ويخالف غارفيلد هذا المفهوم فيقول: "اولئك يبلغون الذروة باكراً، ثم يبدأون في الانحدار لانهم يدمنون العمل نفسه من غير اهتمام بالنتائج."

وعلى نقيض ذلك فان الاشخاص الناجحين مستعدون للعمل الدؤوب ولكن ضمن حدود دقيقة. فالعمل بالنسبة اليهم لا يختصر الكون، وهو بالتالي ليس كل شيء. وعندما قابل غارفيلد اداريين من اصحاب المراتب العليا في عشر صناعات اساسية، وجدهم يعرفون متى يستريحون. انهم يتركون العمل جانباً عندما يغادرون المكتب، ويقدرون الاصحاب والحياة العائلية، ويمضون وقتاً كافياً مع اولادهم واحبائهم.

٢. اختر مهنة تحبها. مع ان زميلي كان يحب تصحيح كتب الاطفال ونشرها، الا انه اختار نشر الادلة الصناعية والتجارية لاعتقاده انه الطريق الى الحصول على راتب عال. وها هو طوال ثلاثين سنة يجر نفسه خارج فراشة خمسة ايام في الاسبوع من اجل عمل لا يهتم له. والى ذلك فهذه المهنة لم تؤمن له الدخل المنشود. لو ان جاك فعل ما يحب، لربما امكنه الحصول على مال اكثر، لكنه كان حتماً اسعد حالا واوفر حظاً ونجاحاً.

وتظهر بيانات غارفيلد ان الناجحين يختارون عملا يحبونه. وهم ينشدون قبل اي شيء الرضا الداخلي وليس المكافآت الخارجية كالزيادات والترقيات والسلطة. وفي النهاية غالباً ما يحصلون على الامرين.

٣. تدرب ذهنياً على كل مهمة تتطلب تحدياً. قبل القيام بأي امر صعب او مهم – كحضور اجتماع لمجلس الادارة او القاء خطاب او خوض مباراة كبرى – يسلسل الناجحون خطواتهم في اذهانهم مرة بعد اخرى. فلاعب الغولف الشهير جاك نيكلاوس، مثلا، لا يضرب الكرة قبل ان يتصور ذهنياً مسارها وسرعة انطلاقها والموضع الذي ستسقط فيه.

ونكاد كلنا نستغرق في احلام اليقظة عندما تواجهنا حوادث مهمة. لكن احلام اليقظة غير الهادفة هي مغايرة تماماً للتدريب الذهني الواعي والمتعمد الذي يشحذ المهارات المستخدمة في العمل المنشود. ويرد في سياق البحث حديث عن عازف بيانو في الصين اعتقل مدة سبع سنوات خلال الثورة الثقافية، وحين اطلق استأنف عزفه الرائع. وهو فسر ذلك بقوله: "كنت اتمرن على العزف في ذهني كل يوم."

٤. اطلب النتيجة لا الكمال. كثير من الناس الطموحين يتملكهم نموذج الكمال فينجزون عملا قليلا. واذكر هنا استاذة اعرفها قضت عشر سنين تحضر دراسة حول كاتب مسرحي. ولم يبقَ امامها الا ان ترسل المخطوطة الى دار نشر، ولكن انتابتها المخاوف من ان تكون اغفلت شيئاً، فلم تجرؤ على ذلك. وفي هذه الاثناء خبا نجم الكاتب المسرحي الذي بلغ قمة

شهرته اذذاك. ولو افترضنا ان دراسة الاستاذة ستنشر اخيراً، فانها ستثير اهتمام قلة من الناس.

احد الاطباء النفسانيين قابل ٦٩ بائعاً من ذوي المراكز العليا في شركة كبرى للتأمين، فوجد ان الذين ينزعون الى الكمال يجنون سنوياً اقل من زملائهم بثمانية الى عشرة آلاف دولار. ولا يثير هذا عجب غارفيلد، فهو اكتشف ان محققي الانجازات العالية متحررون دائماً من دافع الكمال. "فهم لا ينظرون الى اخطائهم كعلامات قصور واخفاق، بل يتعلمون منها كي يتمكنوا من تجنبها في المرة التالية."

٥. كن مستعداً للمجازفة. معظم الناس يبقون ضمن ما يسميه غارفيلد "النطاق المريح،" قانعين بالطمأنينة حتى وان عنت الاعتدال والضجر وخائفين من استغلال الفرص. اعرف مغنية اوبرا صاحبة صوت رائع وقدرة جيدة على التمثيل لم تؤدِ سوى ادوار صغيرة. قالت لي: "لا اريد ان احمل مسؤولية دور رئيسي، فيتوقف علي نجاح الحفلة ويصغي الجمهور الى كل نغمة انشدها."

وليس من الضروري اعتبار موقف هذه المرأة ـ وهناك كثيرون على شاكلتها ـ موقفاً جباناً. فهي ببساطة لم تقم باي جهد للتفكير في ما تفعله ان هي اخفقت فعلاً. وعلى نقيض ذلك، فان الاشخاص الناجحين قادرون على المجازفة لانهم ينظرون الى المسألة على نحو راشح بالتفكير ليروا كيف سيتكيفون وينقذون الوضع اذا هم اخفقوا. قال مدير لغارفيلد: "قبل ان اتخذ خطوة ما احضر لنفسي تقريراً فاجعاً. اتصور الاسوأ الذي يمكن ان يقع اذا جرّبت خطتي الجديدة. ثم اطرح على نفسي السؤال الآتي: ماذا افعل؟ هل اتحمل خيبتي؟ ويكون جوابي عادة اني قادر على ذلك، والا فاني اتراجع عن المجازفة."

٦. لا تستخف بقدراتك. معظمنا يظن انه يدرك حدوده. لكن الكثير مما "نعرفه" ليس معرفة على الاطلاق، بل اعتقاد خاطىء يقيدنا. يقول غارفيلد: "الاعتقادات التي تكبل الذات هي اعظم العوائق امام الانجازات الكبرى."

على مدى سنوات "عرف" الجميع ان ركض ميل (١٦٠٩ امتار) في اقل من اربع دقائق امر "مستحيل." وقد "برهنت" مقالات نشرت في مجلات علمية ان الجسم البشري عاجز عن ذلك. وفي العام ١٩٥٤ كسر روجر بانيستر حاجز الدقائق الاربع. وتبعه عشرة رياضيين في السنتين اللاحقتين.

ولا يعني هذا ان لا حدود لسرعة الانسان او الثقل الذي يحمله او لاجادته عملا ما. والنقطة الاساسية في هذا المجال هي اننا نادراً ما نعرف حدودنا فعلا. وكمحصلة لهذا الامر نجد كثيرين منا يعينون لانفسهم حدوداً هي ادنى كثيراً مما يمكنهم تحقيقه في الواقع.

من جهة اخرى نجد الاشخاص الناجحين يملكون قدرة افضل على اسقاط الحواجز المصطنعة، فيركزون

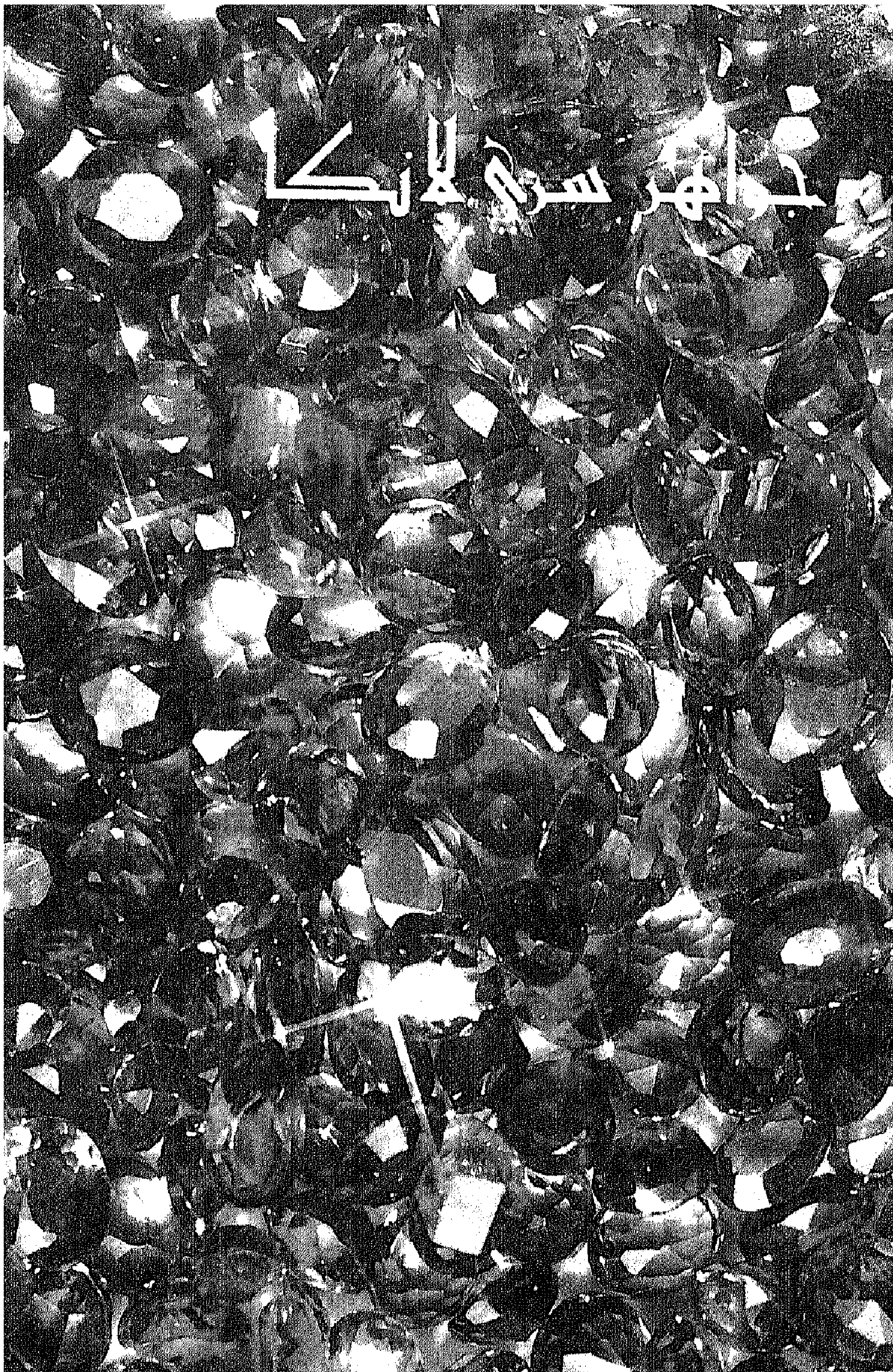
على انفسهـم ومشاعرهم ومهنهـم، وبذلك يغدون اكثر انطلاقاً لتحقيق ذواتهم على مستوى القمة.

٠٧ نافس نفسك لا الآخرين. يركز إصحاب الانجازات العظيمة على تحسين انجازاتهم السابقة عوضاً عن هزم منافسيهم. والحق ان القلق من قدرات منافس ما وتفوقه المحتمل كثيراً ما يكون سبب هزيمة ذاتية.

واذا كان اصحاب الانجازات يهتمون بتنفيذ اعمالهم على افضل وجه ممكن بحسب مقاييسهم الخاصة، فانهم ينزعون الى العمل الجماعي اكثر من الاجتهاد الفردي. انهم يدركون ان الجماعة يمكن ان تحل مشاكل معقدة افضل من الفرد. لذلك فهم يتلهفون الى اشراك الآخرين في اجزاء من العمل. اما المنعزلون الذين يفرطون في الاهتمام بمنافسيهم فلا يمكنهم ان ينتدبوا غيرهم لعمل مهم او يفوّضوا اليهم اصدار قرار ما. وبناء على هذه المعطيات، يأتي انجازهم محدوداً لانهم يهتمون وحدهم بكل التفاصيل.

هذه هي مهارات الانجاز العظيم. فاذا كنت تريد ان تفيد من مواهبك اكثر وتستغل قدراتك كاملة، تعلم كيف تستخدمها. ويقول غارفيلد: "انا لا اقول لك حاول اكثر، ولا اسألك لماذا لا تؤدي عملا افضل. انا اقول انك تملك القدرة على تغيير عاداتك الذهنية وكسب بعض المهارات. واذا ما اخترت انت ذلك، استطعت تحسين انجازك وانتاجيتك ونوعية حياتك."

■ **مورتون هانت**


جواهر سري لانكا

في جزيرة المجوهرات تبنى الثروات بحجار رائعة تنبشها ضربة حظ

في سري لانكا يحتاج كل مواطن الى اجازة حكومية للتنقيب في باحة بيته. ويعود اغراء التنقيب الى وفرة الحجار الكريمة في البلاد، وكأن اهل تلك الجزيرة جالسون على كنز طائل.

وقصص الفقراء الذين اغتنوا كثيرة جداً. يحكى ان فلاحاً فقيراً جرب حظه في التنقيب في راتنابورا، أغنى المناطق بالحجار الكريمة في سري‌لانكا فعثر في موسم واحد على خامات تقدر قيمتها بمئتي الف دولار. وقبل تسع سنوات نبشت في ارض الجزيرة ياقوتة زرقاء من نوع الزفير النجمي هي الثالثة من حيث الحجم في العالم. وبعد قصها وصقلها اصبح وزنها ٣٩٢ قيراطاً. وهي فخر المجموعة التي تملكها مؤسسة المجوهرات الحكومية في العاصمة كولومبو.

قبل عشر سنين أو عشرين سنة، كان لتاجر المجوهرات فرصة الاثراء بين ليلة وضحاها اذا عثر على قروي غافل عن أن حجره المفضل في التنظيف هو زفير كبير. اما اليوم فكل شخص يعي قيمة الكنز الدفين.

سري‌لانكا جزيرة استوائية عرفت سابقاً باسم "سيلان". وهي تقع في المحيط الهندي جنوب شرق شبه القارة الهندية. وفي اللغة السنسكريتية القديمة عرفت تلك الارض باسم "راتنافيبا" أي جزيرة المجوهرات. ويشبه شكلها حجراً خاماً جاهزاً للقص ليصبح جوهرة جميلة. ونسبة الى صغر حجمها، تعد سري‌لانكا اغنى مناطق العالم بالمعادن الثمينة.

وفي الجزيرة أكثر من ٢٤ نوعاً من الحجار الكريمة. الكوراندوم (الياقوت) عائلة من الحجار التي تلي الالماس في صلابتها، وهي تضم الزفير الذي تختلف ألوانه بين البرتقالي (بادبارادشا) والزرقة المتدرجة. أما الزبرجد الاسكندري الذي يقدر ثمن قيراطه بعشرة آلاف دولار، فلونه أخضر نهاراً ويستحيل أزرق بنفسجياً تحت الاضواء ليلاً. وهناك مجموعة من حجار البريل منها الازرق البنفسجي والذهبي والوردي. وتضم هذه المجموعة أيضاً الزبرجد والعقيق الاحمر وبعض حجار المرو (كوارتز) مثل السترين (الزبرجد الزيتوني) والجمشت. ومن الحجار الكريمة الاخرى الاسبنيل والزركون والترمالين والتوباز الاحمر والوردي وحجر القمر الذي يعتقد أنه يحمي حامله من الجنون.

ويشرح رئيس مؤسسة المجوهرات الحكومية في كولومبو ت.ج. بونشيابوهامي جيولوجيا الجزيرة



منقبان شابان يتبعان الاساليب القديمة. هنا يتبادلان السلال.

قائلا: "يعود تكوين ٩٠ في المئة من أرض سري لانكا الى العصر ما قبل الكمبري. وتلك التركيبة القديمة مرت عليها ملايين السنين من التقلبات والتغيرات الصاخبة." وقد أحدث التآكل المستمر صدوعاً أدت الى انفراط التكوين الصخري وتفتته الى حصى جرفتها السيول السريعة من منحدرات الجبال الى الاراضي المنخفضة، مكونة بذلك طبقات الحجار الكريمة. واسم هذه الطبقات عند المنقبين المحليين "إيلام."

مجازفة ومنافسة ـ بقيت تقنية التنقيب على حالها عبر القرون. والتحديث الوحيد الذي حقق هو إدخال مضخة الماء التي تمكن المنقبين من الوصول الى عمق ١٢ متراً. وقبل بدء الحفر يغرز الرجال رزة في الارض طولها خمسة امتار، وذلك لتحديد عمق طبقة الايلام. فاذا كانت ضحلة احدثوا حفرة دائرية، والا أخذت

الحفرة شكلا مستطيلا، وكلما إزدادت الحفرة عمقاً عمد المنقبون الى تحصين جدارها من الداخل تفادياً للانهيار.

ومع أن المعدات المتوافرة بسيطة (رفش ومعول ومجرفة ومخل) فان العمل يتم بفاعلية ونظام. ففي ثوان يملأ المنقب سلته الكبيرة تراباً ويرميها الى آخر بجانبه، وفي الوقت نفسه يكون أمسك سلة فارغة رميت اليه. وبإزدياد عمق الحفرة تقام بكرة لرفع التراب والماء.

على رغم العمل الشاق تعج منطقة الحفر بالحياة وتملأها الاثارة ويخيم عليها الامل. ويقف الاولاد والاقرباء يتفرجون على العمال وهم يغسلون الايلام في سلالهم. فمع كل خلطة للسلة يزول الوحل وترمى الحجار الصغيرة فتبقى الحصى الاكبر حجماً. عندئذ يتولى المنقب الاكثر تمرساً، ويسمى الفارز، تفحصها بحثا عن الثمين بينها. ويقول صاحب احد مواقع التنقيب: "كل هذه العملية لعبة حظ. ولكن غالباً ما نعثر على شيء ما، وإن لم يكن أجود الحجار نوعاً كالزبرجد الاسكندري فعلى الاقل بعض العقيق الاحمر والتوباز."

وفي بيت خارج راتنابورا اراني منقبان حصيلة ستة أسابيع من العمل الشاق: ١٤١ حجراً بينها ٣٦ زفيراً نجمياً و٥١ زفيراً أزرق و١٧ ياقوتة حمراء و١٤ زفيراً سماوياً و١١ زفيراً أصفر وخمسة حجار زفير بيضاء وحجر من عين الهر وخمسة حجار اخرى مختلفة. ولم يكن اي منها كبير الحجم ولا من الاجود نوعية. لكنهما كمجموعة شكلت نحو ٥٠٠ قيراط.

وجاء التجار والحرفيون والمنقبون بالعشرات وتجمعوا في باحة البيت وأخذوا يتفحصون تلك الحجار. وقد ارتدى المنقبون لهذه المناسبة "الساورنغ" وهو اللباس الوطني بعدما لبسوا لاسابيع عدة زي العمل.

ومع إنتهاء عملية التخمين توجه الجمع الى مزاد علني أقيم في بيت منعزل داخل الغابة. وتنقلت الحجار لساعات طويلة بين ايدي التجار والحرفيين في محاولة لتثمينها. هؤلاء نفخوا عليها وغطسوها في الماء وحكوها على جباههم المتصببة عرقاً. في ذلك اليوم بيع زفير أزرق وزنه ٥٥ قيراطاً بثلاثين ألف دولار.

وعلى رغم المجازفة والعمل الشاق تمر أسابيع من دون أن يعثر المنقبون على شيء يذكر. لقد أمسى التنقيب عن الحجار الكريمة تجارة فيها الكثير من المنافسة. وفي السنوات الخمس الاخيرة زادت صادرات سري لانكا من المجوهرات اكثر من ضعفين. وبذلك اصبحت في المرتبة الرابعة بعد الشاي والمطاط وجوز الهند. ومع انتعاش سوق المجوهرات ازدهرت المهن المرتبطة بالتنقيب، كالتقطيع والصياغة وصنع السلال. ويقدر عدد العاملين في صناعة المجوهرات بنصف مليون من أصل ١٤ مليون نسمة هم سكان الجزيرة.

وشركة المجوهرات الحكومية التي انشئت عام ١٩٧١ تنظم مختلف جوانب هذه التجارة، من التنقيب الى التصدير، كذلك تتولى ترويجها. ويعتقد رئيس الشركة أن الانجاز

الرئيسي الذي حققته هو الحد من عمليات التهريب. فقبل تأسيسها بلغت قيمة الصادرات القانونية ٢٠٠ الف دولار سنوياً. وفي العام ١٩٨٠ ارتفعت قيمة الصادرات الخاصة والحكومية الى ٣٩ مليون دولار.

ميزان دولي – اخبرني تاجر مسلم انه تعلم أسرار التجارة منذ حداثته وعمل مع الحرفيين في مشاغلهم بعد الدوام المدرسي، فاكتسب القدرة على تخمين الوزن بالعين المجردة. وكان فتى عندما عقد صفقته الاولى. فهو راهن على أصالة حجر يزين خاتماً ذهبياً أصر البائع على أنه غير أصلي. فدفع ثمناً غالياً قيمة الذهب في الخاتم وارسل الحجر الى ألمانيا للتخمين. فأكد الخبراء الالمان صحة حدسه وباع الحجر آنذاك باكثر من ٥٠٠ دولار. وهو اليوم في الخامسة والثلاثين من العمر، يجني بين مليونين وثلاثة ملايين دولار سنوياً.

اسم هذا الشاب بوراندارا سري بادرا مارابانا وهو نموذج للجيل الجديد من تجار المجوهرات. فهو ابن مزارع بدأ العمل قبل ٢٥ سنة كبائع حجار خام في شوارع راتنابورا في مقابل بضعة دولارات. وهو الآن يدير مجمعاً تجارياً يضم فندقاً ومطعماً ومتحفاً ومشغلا للمجوهرات ومعرضاً للفن ومركزاً حرفياً ومحلا للبيع بالمفرق. انه المبدع الاصيل في تجارة عرفت بانغلاقها وسريتها. وهو منفتح ومثقف وفيلسوف أكثر منه تاجراً. يقول مارابانا: "أنا لا تستهويني الناحية التجارية، إذ ان لي مزاج فنان." ثم ينطلق في نقاش عن هندسة مجوهراته. أما اذا راقبته وهو يرحب بالسياح ويشرف على عماله ويهندس حديقة فندقه من غير ان يفوته فحص الجواهر الجديدة، لادركت انه داهية من الطراز الاول.

تجارة المجوهرات في سري‌لانكا ليست مجرد خليط من الشخصيات الباهرة والاكتشافات المدهشة، انها أصبحت ميزاناً للاقتصاد الدولي. فخلال العام ١٩٨٠ اشترى السويسريون اصحاب الميول التوظيفية أكثر بمرتين مما إشتروه في العام السابق. ويشتري العرب مجوهرات في مقابل نفطهم. أما التايلنديون فابتكروا طريقة لتحويل الزفير الابيض الرخيص زفيراً أزرق وبذلك وجهوا ضربة قاسية الى تجارة المجوهرات. لكن اليابانيين، وهم الزبائن الاول، فخفضوا طلباتهم عام ١٩٨١، ومع ذلك اشتروا اكثر من الامريكيين بثلاثة اضعاف.

في هذه الايام لا أحد يفوز السري‌لانكيين في معرفة من هم أصحاب الاموال.

■ اكوش شرنوش

اليد اليمنى

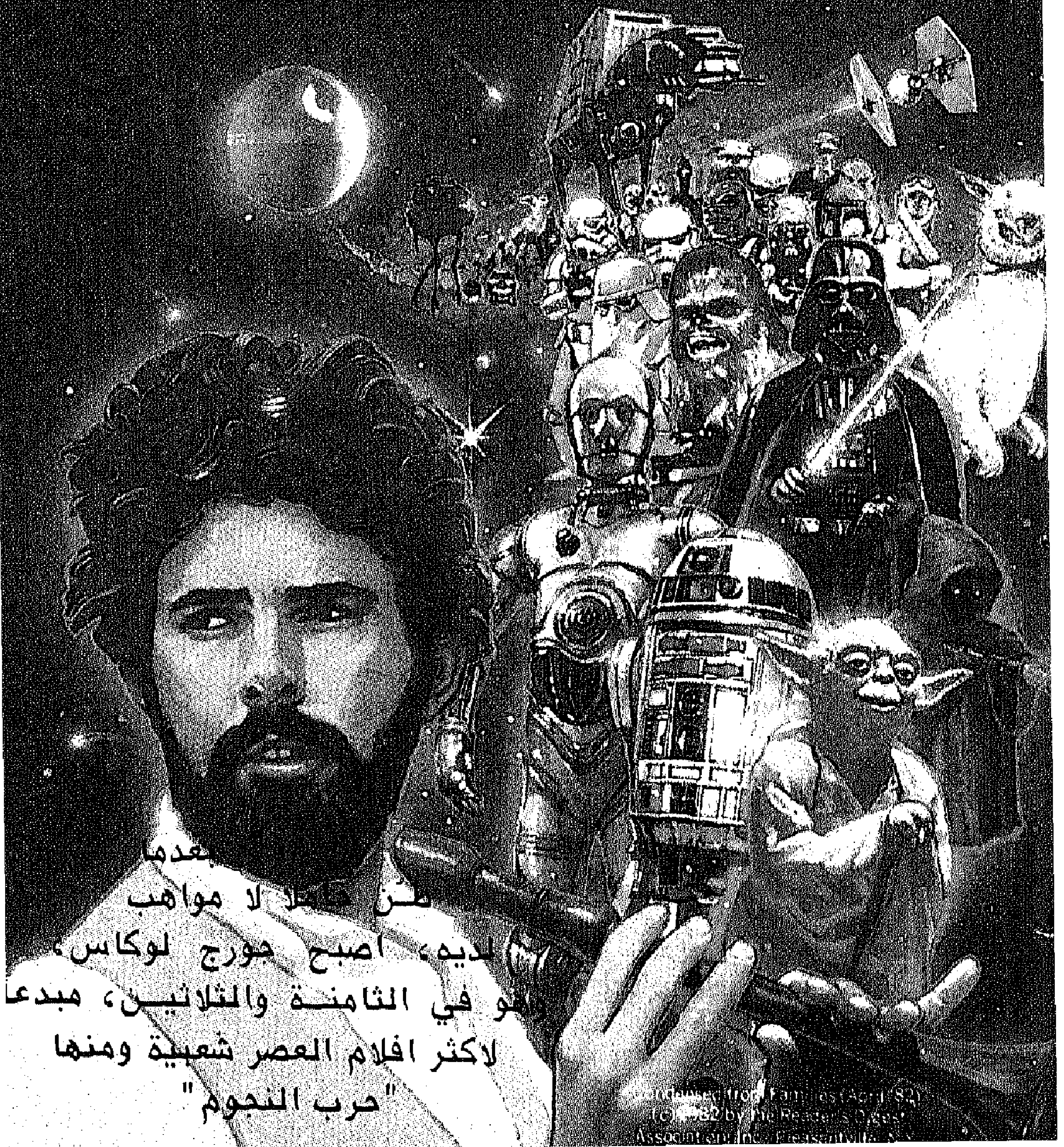
بعدما كسر رجل يده اليمنى ووضعت في قالب تجبير، سألت خطيبته الطبيب: "كم من الوقت يلزمه كي يتمكن من توقيع الحوالات؟"

ا.ب.

GEORGE LUCAS

لوكاس

سَاحرُ الفَن السَابع



كان في بلدة مودستو من ولاية كاليفورنيا الامريكية فتى ناحل خجول لم يستطع تلمس طريقه بسهولة عبر المدرسة الثانوية. وكان اهتمامه في مرحلة الدراسة الابتدائية منصباً على الكتب الهزلية وأفلام المغامرات مثل "برنس فاليانت" و"فلاش غوردون" و"باك رودجرز." وها هو في المدرسة الثانوية يشغل نفسه من غير طائل بسيارته "الفيات" ويحلم بأن يصبح بطل سباق.

وفي ١٢ يونيو (حزيران)، قبل أيام ثلاثة من تخرجه في القسم الثانوي، أتت سيارة مسرعة على سيارته وحطمتها شر تحطيم. وعُطبت رئتاه الاثنتان من جراء الاصطدام، وبقي الفتى ثلاثة أيام معلقاً بين الحياة والموت. وفي صراعه من أجل البقاء وقع على اكتشاف غيّر حياته.

ذلك الفتى اسمه جورج لوكاس. وهو نفسه غدا مؤلفا مرموقاً ومخرجاً لفيلم "حرب النجوم" أكبر الافلام السينمائية نجاحاً على الصعيد التجاري. وبعد ذلك كتب جوار فيلم آخر هو في المرتبة الثانية من الافلام الانجح تجارياً، وانتجه بعنوان "الامبراطورية تصد العدوان."

انه مبتكر شخصيات باتت معروفة حول العالم، مثل "آرتو - ديتو"، "سي ثريبيو"، "تشوباكا ذي ووكي"، "لوك سكايووكر"، "هان سولو"، الاميرة "ليا"، "دارث فادر"، "اوبيوان كينوبي"، كذلك "يودا"، جني المستنقع الذي يلقن فرسان "جيدي" درساً عن شيء يدعى "الطاقة."

ويسعى لوكاس، وهو في الثامنة والثلاثين، الى انتاج سبع حلقات اضافية من "حرب النجوم" ستكون أولاها بعنوان "ثأر الجيدي."

هذا إنجاز رائع بالنسبة الى شخص كان في مراهقته بليد الذهن لا يرجى منه خير. ولكن على رغم علاماته المدرسية المتدنية فقد كشف جورج لوكاس عن موهبة أكيدة خلال مرحلة دراسته الثانوية. فهو لم يكن يتغيّب عن صفوفه، بل "كان هناك كل يوم، يراقب باهتمام." ولاحظت معلمة الفنون موهبته وقالت مرة لامه في اجتماع مع الاهل: "لا فكرة لديك يا سيدتي عن إمكانات هذا الفتى."

إلا أن السيدة دوروثي لوكاس آلمها أن تمضي السنة الاخيرة في المدرسة الثانوية من غير أن تكون لدى ابنها اهتمامات تذكر في الكتاب السنوي للمدرسة. وحثّته، خلال ذلك العام الدراسي، على الاشتراك في نشاطات نادي الفنون والتسلية. ومرة تخلّف مصمم المسرح بداعي المرض، فطُلب من جورج أن يأخذ مكانه. وأعجبت مرشدة النادي بعمله، فدعته الى وضع التصاميم لمسرح صيفي محلي. وكان جورج في طريق عودته الى البيت بعد وضع الخطة الاولية للمسرح، عندما صدمته السيارة.

الطاقة العجيبة – خلال ذلك الصيف الشاق اكتشف جورج لوكاس "القوة." وكما يقول بن (اوبيوان) كينوبي في "حرب النجوم" مخاطباً لوك سكايووكر: "انه حقل طاقة، وأكثر من هذا. إنه شعور يطغى ويرضخ في آن.

وهو العدم الذي مكنه اجتراح المعجزات."

وفي فيلم "الامبراطورية تصد العدوان" يحاول لوك البرهان عن تلك الطاقة عملياً. فيعمد الى استخدامها في رفع مركبته الفضائية الغارقة في وحل مستنقع، لكنه يخفق في ذلك. ثم يأتي يودا، الجني القزم الذي يبلغ طوله ٦٦ سنتيمتراً، ويرفع المركبة بهدوء الى الارض الجافّة. وعندئذ يقول لوك: "أنا لا أُصدّق ما حدث." فيجيبه يودا: "هذا بالذات سبب إخفاقك."

ذلك الصيف من العام ١٩٦٢ في بلدة مودستو، تكونت لدى لوكاس قناعة بأن لكل شخص حقلا من الطاقة خاصاً به يمده بالقوة اللازمة لتحقيق إمكاناته وخططه. وصَمَّمَ، بعدما برئت رئتاه، على تركيز انتباهه على ذلك الحقل. وهكذا انتسب الى كلية مودستو الجامعية وسجل نجاحاً ملحوظاً في دروسه في علم الانسان وعلم النفس، واستهل العمل على شريط سينمائي. وقابل هاسكل وكسلر الذي نال جائزة اوسكار على فيلمه "من يخاف فرجينيا وولف؟" وطلب وكسلر من أصدقائه في دائرة السينما في جامعة كاليفورنيا الجنوبية في لوس أنجلس منح لوكاس فرصة للعمل هناك. وهكذا كان.

إلا أن التحدي الاكبر الذي واجهه لوكاس جاء من والده الذي يقول: "حارَبْتُ سنوات كي أبعد ابني عن السينما. وعندما حاولت إقناعه بالعمل معي في تجارة الادوات الفنية، أجاب: إنَّكَ يا أبي تفعل اليوم ما فعلته أمس، وغداً ما أنت فاعله اليوم. هذه حياتك وأنت تحبها. أما أنا فأود أن أفعل الشيء مرة واحدة."

وفي مدرسة السينما تفتحت مواهب ذاك الفتى الذي بدا، في الامس القريب، خالياً من أي وعد. وفي تلك الفترة أنجز ثمانية أفلام، بينها شريط قصير قائم على الخيال العلمي حاز الجائزة الاولى في مهرجان الطلاب الوطني الثالث للسينما. ونال لوكاس، بموجب ذلك، منحة دراسية في استوديو "الاخوة وورنر" للافلام. وهناك أقنع المخرج فرنسيس فورد كوبولا المسؤولين بإبرام اتفاق مع لوكاس لتحويل شريطه الفائز فيلماً رئيسياً.

تدور فكرة ذلك الفيلم على التحذير من مظاهر التكنولوجيا اللاإنسانية، عبر وصف عالم القرن الخامس والعشرين الذي حول فيه الناس أرضهم مكاناً غير مأهول، مما اضْطَرَّهم الى العيش تحت الارض في مجتمع آلي اصطناعي.

غير أن الفيلم لم يحقق نجاحاً في اجتذاب الجمهور. وارتأى لوكاس أن السبب هو خوف الناس من تلك الفكرة ورفضهم إياها في آن. ووجد أنه من الافضل التركيز على الجوانب المشرقة في الطبيعة البشرية. وهكذا أنتج فيلماً يصور الايام الاخيرة من صيف ١٩٦٢ في حياة طلاب أحد الصفوف الثانوية. وسماه "خربشة أمريكية" (اميريكان غرافيتي). وعبر فيه عن منتهى الامل والتفكير الايجابي واستغلال الامكانات والمواهب.

وسجل الفيلم نجاحاً باهراً، ووجد فيه الملايين تذكرة مثيرة لتلك الايام التي بدا أن الامل ينتظر هناك، خلف الباب، في هيئة فتاة جميلة ذات شعر طويل ورداء أبيض.

فتاة الاحلام - في تلك الاثناء وجد جورج لوكاس فتاة أحلامه التي لم تكن شقراء كما في الروايات، بل سمراء. وكانت كاتبة أفلام اسمها مارشا غريفن. وهو صادفها عندما كان الاثنان يعملان على شريط يصور رحلة، وتزوجا عام ١٩٦٩. وليلة افتتاح "خربشة أمريكية" في مودستو، أعلنت مارشا أن جورج صنع الفيلم لها بعدما وجدت شريطه العلمي السابق خالياً من العاطفة الانسانية. وأضافت مارشا التي ساعدت في كتابة الحوار: "أحب أن أضحك وأبكي عندما أشاهد عملا سينمائياً."

بعد ذلك أنتج لوكاس "حرب النجوم" الذي نالت عليه مارشا جائزة اوسكار كأفضل محررة لنص سينمائي للعام ١٩٧٧. وكان ذلك العمل أيضاً قوياً من حيث محتواه الانساني، على رغم أن العديد من أبطاله كانوا شخوصاً اصطناعية. وعلى غرار والت ديزني، كان جورج لوكاس يحب ابتكار الشخصيات. وهي شخصيات برهنت عن تعلق المشاهدين بها.

وتتجلى قدرة لوكاس على الملاحظة في استعارته شخصية لفيلمه الشهير "حرب النجوم" من مشاهدته زوجته ذات يوم تقود السيارة والى جانبها كلبهما الضخم من فصيلة الاسكيمو. ونقل تلك الصورة الى هان سولو الذي أجلسه في مقعد قيادة عربة فضائية متداعية، واضعاً بجانبه مخلوقاً عملاقاً مكسواً بالفرو سماه "تشوباكا ذي ووكي."

واذا عرفنا من أين أتى اسم تشوباكا، أدركنا كم هي أذن لوكاس حادة. فعندما كان يخرج شريطه العلمي قبل سنوات، سمع ممثلا يرتجل حواراً يقول فيه أنه مَرّ لتوه "من أمام ووكي." واستغنى لوكاس عن تلك الجملة، لكنه حفظ عبارة "ووكي" في ذاكرته. ومرة اخرى كان يعمل ومخرج الصوت ولتر ميرتش على إضافة مؤثرات صوتية الى فيلم "خربشة أمريكية" فقال له ميرتش: "أعطني ر٢د٢ يا جورج،" وهي عبارة مختصرة تعني "البكرة الثانية من الحوار الثاني." وما أن سمع جورج ذلك حتى قال: "آرتو - ديتو! يا له من اسم عظيم."

فن طليعي - كمثل والت ديزني أيضاً، يبدو أن عبقرية لوكاس في الاخراج منصَبَّة على نسج القصص. وفي عصر يوم مشمس في هاواي، بينما كان لوكاس مسترخياً برفقة ستيفن سبيلبرغ الذي فرغ لتوه من اخراج فيلم "لقاءات حميمة من النوع الثالث" وذلك في مطلع ١٩٧٧، نسج في ذهنه خيوط رواية حول عالم آثار مغامر اسمه انديانا جونز، نفذ غزوة بطولية لانقاذ تابوت العهد الضائع من هتلر. وكان ذلك شبيهاً بالروايات الهزلية التي أحبها لوكاس كثيراً أيام الدراسة الابتدائية.

إلا أنه لم يشأ إخراج تلك الرواية

ولا كتابتها، بل الاكتفاء بمشاهدتها. ووافق صديقه سبيلبرغ على الاخراج. ثم أمضى الاثنان خمسة أيام يرويان القصة لكاتب السيناريو لورنس كاسدان كيما يضع النص.

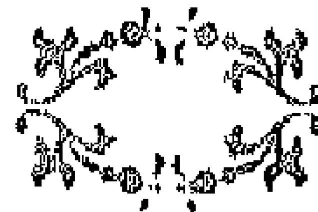
ونال الفيلم، واسمه "المغيرون على تابوت العهد الضائع" أكبر شعبية للعام ١٩٨١. وبات مع أفلام لوكاس الاخرى: "حرب النجوم" و"الامبراطورية تصد العدوان" و"خربشة أمريكية" من أعظم ٢٥ فيلماً أنتجت منذ بدء الفن السابع.

لقد استمرت الطاقة لدى جورج لوكاس تفعل فعلها. وهو اليوم يملك أكثر من مئة مليون دولار. ويقوم حالياً بتشييد مؤسسته الخاصة للانتاج السينمائي على أرض شمال سان فرنسيسكو، تبلغ مساحتها ١٢٠٠ هكتار. وهي ستحوي كل شاردة وواردة يقتضيها العمل السينمائي، بحيث يستغني لوكاس تماماً عن خدمات هوليوود. وسيُخَصَّص قسم من تلك المؤسسة لاستضافة سينمائيين ناشئين، حيث تمكنهم الدراسة والتعاون والكتابة واختبار الافكار الجديدة. وقد وهب لوكاس أربعة ملايين و٧٠٠ ألف دولار من ماله الخاص لمدرسة السينما والتلفزيون في جامعته الام، وهي جامعة كاليفورنيا الجنوبية.

والحق أن اليوم الذي اكتشف جورج لوكاس طاقته كان يوماً عظيماً للاطفال من جميع الاعمار. وقد انهال عليه الكثير من آيات الثناء والتقدير. ومن أفضلها تعليق لفتى في الخامسة وهو على متن طائرة أقلعت به من مدينة نيويورك. ذلك الفتى لم ينفك عن الكلام منذ ركوبه الطائرة. ولكن ما أن انحرفت هذه جانبياً بعد إقلاعها وشاهد الفتى ناطحات مانهاتن من نافذته حتى صمت صمتاً مُطْبَقاً. ثم أشار الى بناية "امباير ستايت" الشهيرة (★) وقال لوالده "يا أبي، أهذه بناية الامبراطورية تصد العدوان؟"

(★) Empire بالانكليزية تعني امبراطورية.

■ جون كالهاز



العالم يحتاج الى الراسبين

دُعي الممثل السينمائي والمسرحي بيتر اوستينوف الى القاء خطاب التخرّج في مدرسة ثانوية انكليزية. وقبل موعد الخطاب أعلن رئيس المدرسة رسوب طالبين في الصفّ المنتهي. ولما اعتلى اوستينوف المنبر، قال: "اني لا أحمل أي درجة جامعية أو لقب علمي، لكن العالم يحتاج الى هذا النوع من الناس. وأني أقف الى جانب الطالبين اللذين رسبا وقوفي الى جانب الأقليات كلها. ولو كنتُ طالباً في هذه المدرسة، لكان من الراجح أن يصبح عدد الراسبين ثلاثة. ان الذين لا يبلغون الذرى يبقى لهم مكانٌ في هذا العالم الكبير."

صحيفة "ديلي ميرور"، لندن

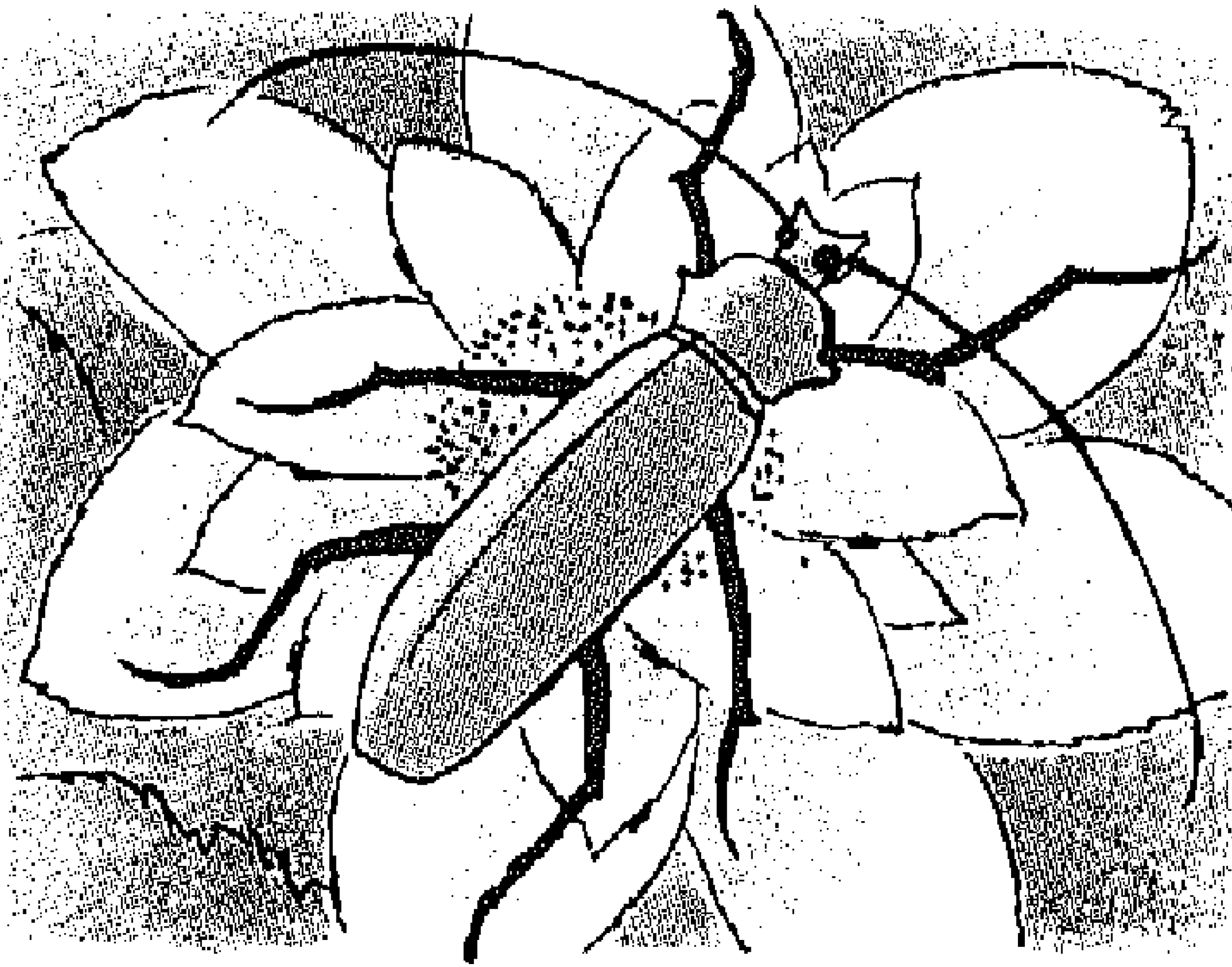
ان كاتباً منقطعاً في الغابات
تسعده أحياناً زيارة غير متوقعة

زائرٌ من العَام ١٨٨٤

عندما يلف الضباب أودية الحملايا وتنهمر أمطار الريح الموسمية على التلال، لا بد من ان تبحث الكائنات التي تعيش في الطبيعة عن ملاذ لها وأحياناً يكون منزلي وسط الغابة خير ملاذ.

والحق أني أُسهِّل امور هذه الكائنات بترك نوافذي مفتوحة. فأنا أحب الهواء النقي يملأ بيتي على الدوام. ولا ضير في ان يكون ثمن ذلك بعض الطيور والوحوش والحشرات التي تدخل البيت دونما استئذان، بشرط ألا يسبب وجودها ازعاجاً.

وأبادر الى الاعتراف بأني فقدتُ صبري حيال خنفسة قصب سقطت الليلة الفائتة في وعاء الماء الذي أشرب منه. وأنقذتُها ودفعتُها خارج النافذة. لكنها عادت بعد ثوان تئز من جديد، وارتمت في الوعاء نفسه. وسحبتُها مرة اخرى ورميتها



خارجاً في الظلام. الا انها عادت وقد اغراها الضوء والدفء في غرفة جلوسي الصغيرة. وراحت تطوف في أرجاء الغرفة مثل طائرة مروحية تبحث عن مكان للهبوط. وأسرعتُ

الى وضع غطاء فوق الوعاء، فيما استقرت الخنفسة في اناء لزهر الأضاليا البري. وتركتها تستريح هناك في جوف زهرة.

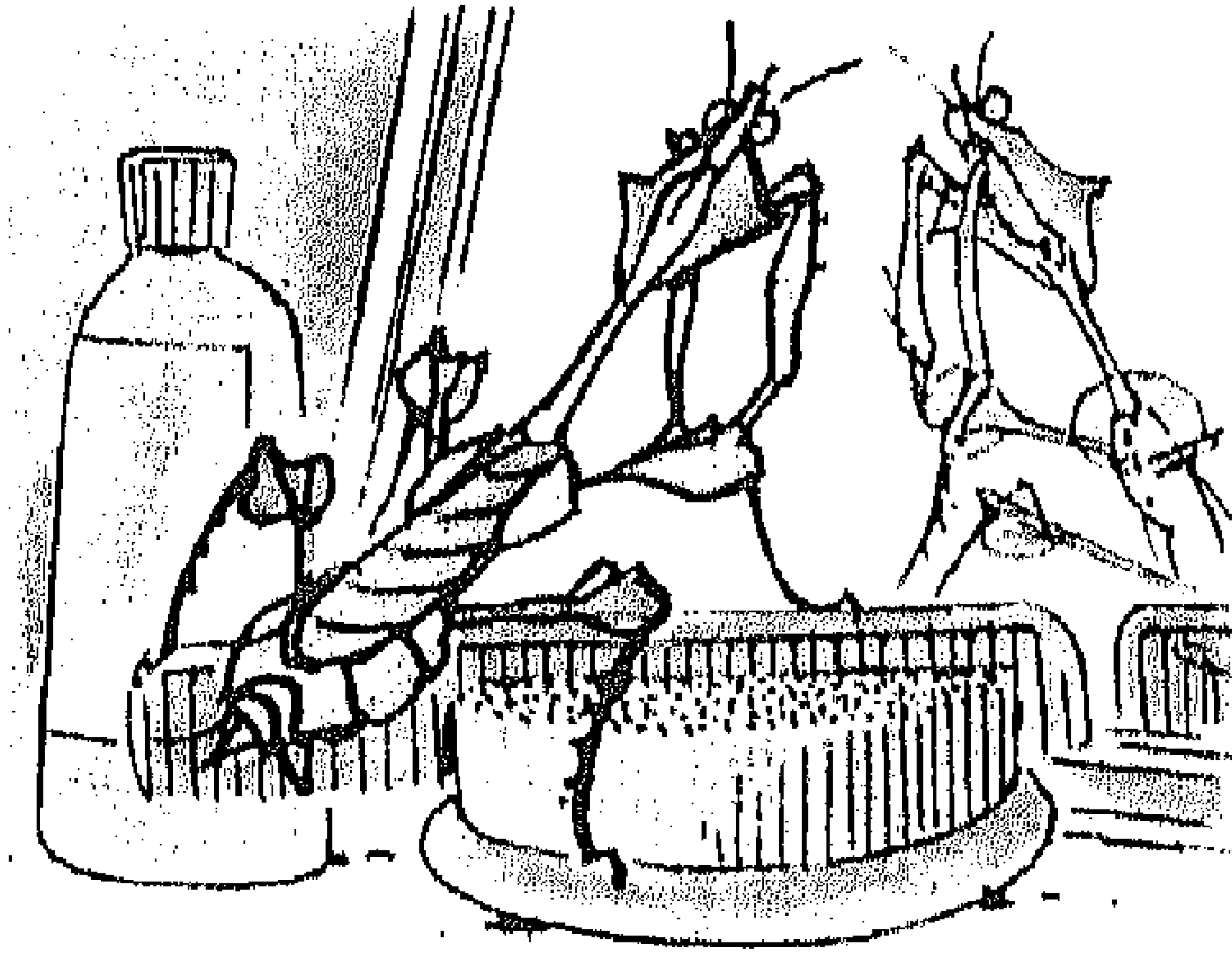
وأحياناً يزورني طائر دجّ في النهار، ويقف على قائمتين طويلتين انيقتين وهو لا يقوى على الصُّداح. ويجثم على عتبة النافذة يراقب المطر من غير ان يدع مكاناً لأي الفة بيني وبينه. واذا جلستُ بهدوء على مقعدي، فهو يبقى مكانه على النافذة ويختلس النظر الي للتأكُّد من أني أحفظ المسافة بيننا. وما أن يتوقف المطر حتى ينطلق الى الحرية والصداحُ يخرج من حنجرته ليملأ شعاب الوادي الصغير.

وفي أحيان اخرى يأتي سنجاب بلل المطر مأواه في شجرة السنديان. ويبدو أنه أعزب يعيش وحده.



هذا السنجاب يعرفني جيداً. وهو جريء الى حد انه يتسلق الطاولة عله يحصل على طعام شهي. والواقع أني أترك له الفضلات دائماً. ولو عرفتُه وهو أصغر سناً، لكان اليوم يتناول الطعام من يدي. غير اني حديث العهد في هذا المكان. وفي الاشهر القليلة التي أمضيتُها هنا لم احاول اقتناء حيوانات أليفة، لاكتفائي بالزوار الذين يحلون على الرّحب والسعة.

وفي الاسبوع الماضي، بينما كنتُ جالساً الى طاولتي أكتب مقالا أجّلتُه



طويلا، فاجأني سرعوف (فرس النبي) أخضر كالزمرد يستقر على أوراقي. وراح يتفرّس في بعينيه الخرزيتين البارزتين وأنا أرمقه من خلال نظارتي. ولما نحَسّْتُه تحرّك على مهل. ثم وجدته يتفحّص غلاف مجموعة والت ويتمن الشعرية "أوراق العشب." ولعله وجد هناك دودة كتب غضّة. وبعد ذلك اختفى يومين قبل ان يظهر من جديد على منضدة التزيين وهو يهندم نفسه أمام المرآة.

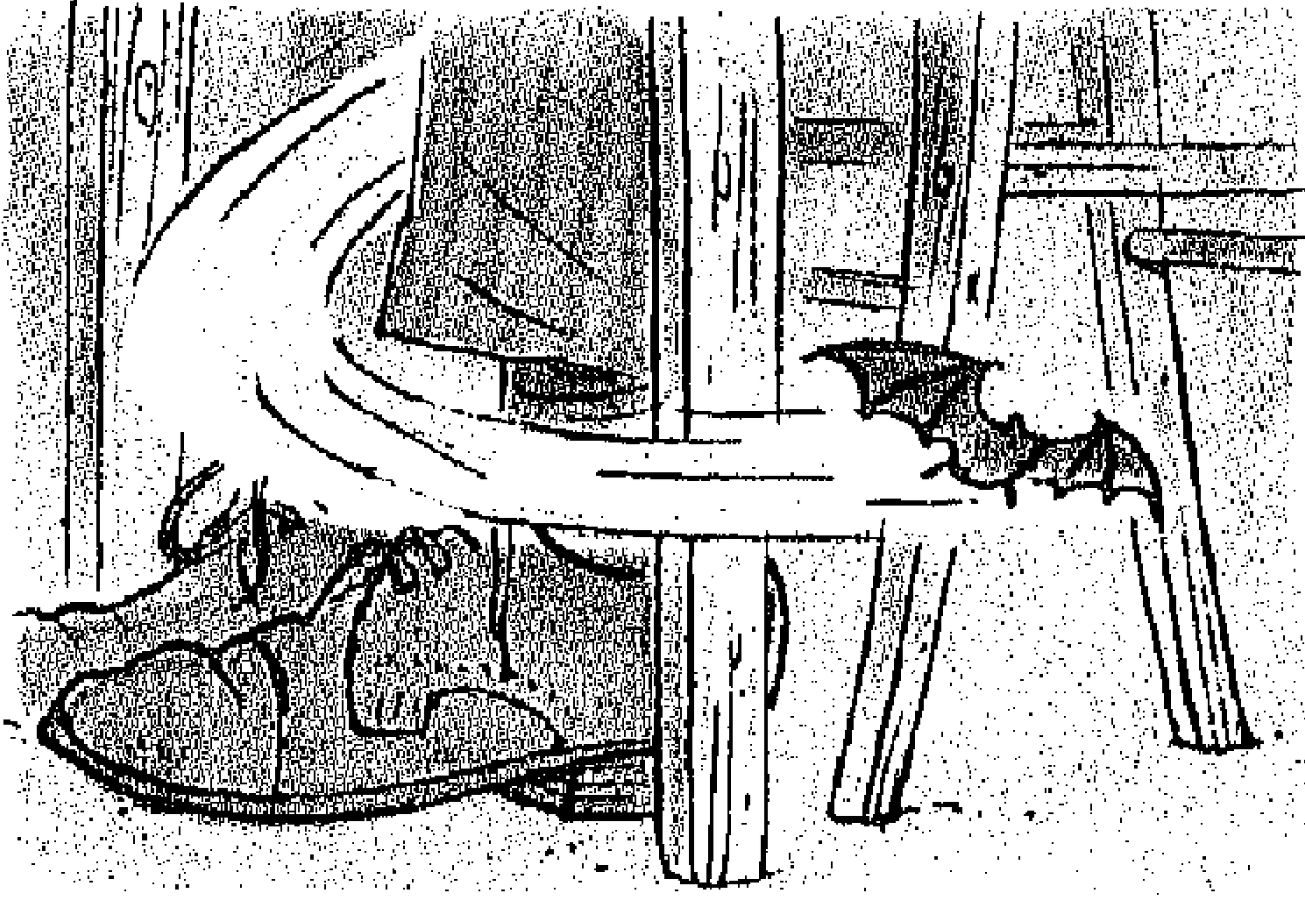
وفي الحديقة خارجاً شاهدتُ سرعوفة واقفة على شجرة الياسمين وقائمتاها مرفوعتان كذراعي ملاكم. وظناً مني أنها زوجة للسرعوف الذي دخل عليّ، عدتُ الى البيت وأحضرتُ ضيفي، ثم وضعته على الشجرة قبالة زميلته. الا ان المنظر لم يرُقْه، فطار حالا.

والحق أن أطرف الضيوف هو زائر

الليل الذي يأتي والأنوار لم تُطفأ بعد. انه خفاش صغير يؤثر الدخول عبر الباب، ولا يلجأ الى النافذة الا اذا وجد الباب مغلقاً. وهو يأتي بحثاً عن الحشرات، كما انه يجد متعة في الدوران حول المصابيح.

ولقد شاهدتُ خفافيش اخرى، كلها تحلق بالقرب من السقف. أما هذا الخفاش بالذات فيؤثر التحليق المنخفض، ويروح يئزّ ثم يرتفع فجأة من بين الكراسي والطاولات. ومرة مر بين رجلي. أيعقل، اذاً، أن يكون "الرادار" الذي يتمتع به اختل توازنه، أم أنه ودّ مداعبتي؟

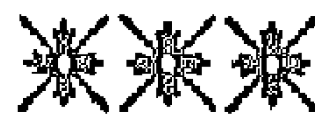
ودفعني تساؤلي الى مراجعة كتبي في التاريخ الطبيعي. وفي المقالات التي قرأتها عن الخفافيش لم أعثر على وصف لهذا التصرف الشاذ. وكمحاولة أخيرة لحل اللغز، تناولتُ كتاباً قديماً بعنوان "الثدييات الهندية" نشره كاتبه روبرت ستيرنديل في كلكوتا عام ١٨٨٤. ولكم سرني أن أقع على ضالتي هناك، إذ رحتُ أقرأ الآتي: "هناك ضرب من الخفافيش عثر عليه الكابتن جاتون بالقرب من ماسوري، على سلسلة التلال الجنوبية التي ترتفع ١٧٠٠ متر. ويبلغ طول هذا الخفاش، من رأسه حتى مؤخره ثلاثة



سنتيمترات ونصف سنتيمتر. وهو يمسح الأرض بسرعة عوضاً عن التحليق عالياً كما تفعل الخفافيش عموماً. وموطنه منطقة جاريباني شمال غرب جبال الحملايا." ويبدو ان هذا الضرب من الخفافيش كان نادراً حتى في العام ١٨٨٤.

وباستضافتي هذا الزائر، ربما استضفتُ أحد الأفراد القليلة التي بقيت من نوعه، علماً ان منطقة جاريباني تبعد ثلاثة كيلومترات فقط عن مكان اقامتي. واني لسعيد لوجود هذا الخفاش في الغابة المجاورة. ولقد عاهدت نفسي على تخليده في الشعر والنثر الذي أكتبه. ومرة وجدتُه متعلقاً، رأساً على عقب، في اطار سريري. وقررتُ ألا أزعجه. فان كاتباً مستوحداً مثلي في الغابات تسعده رفقة خفاش غريب الاطوار.

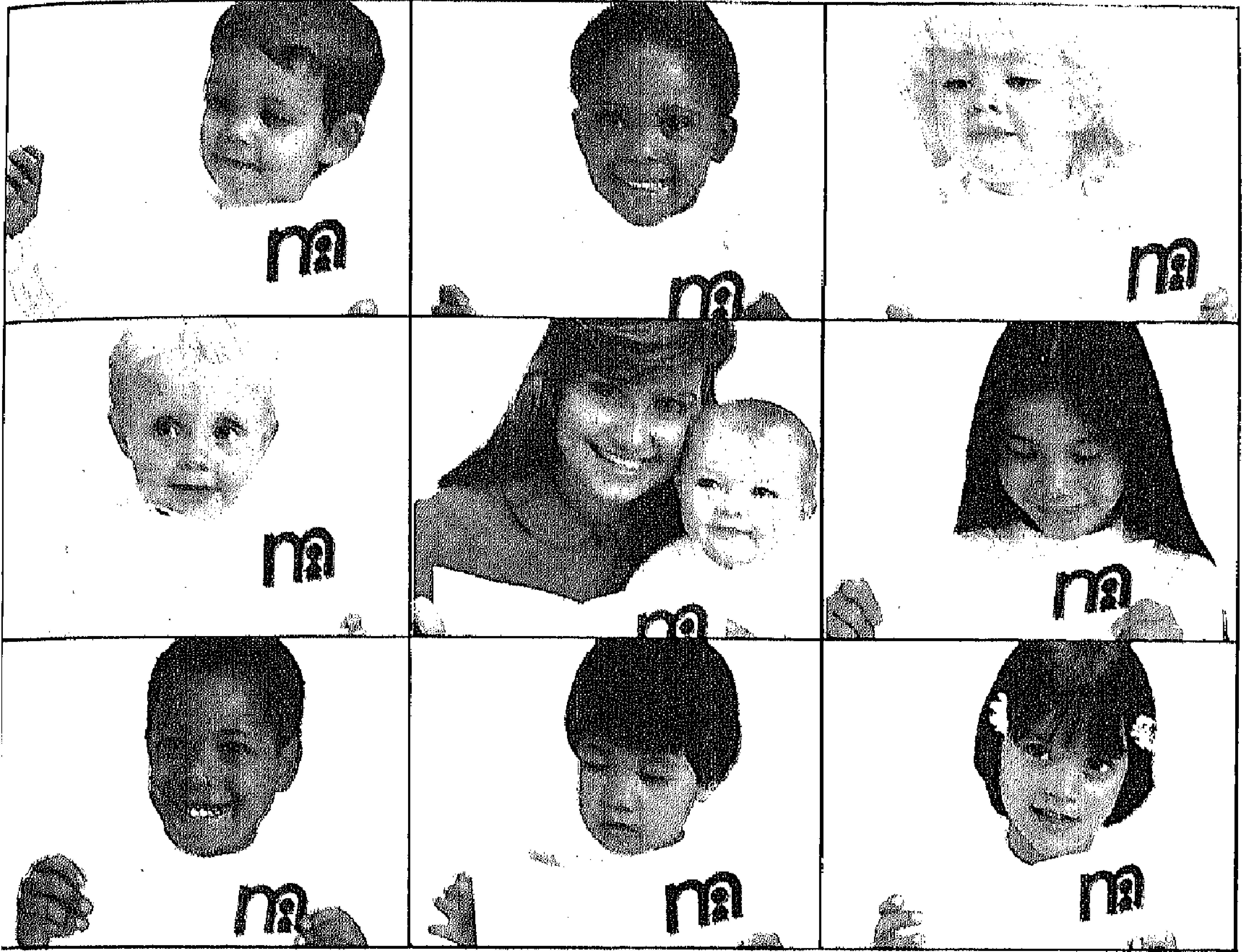
■ رسكن بوند



عزاء رومنطيقي

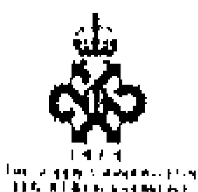
الفرنسيون رومنطيقيون حقاً. فهم يعتقدون أن الفرق الوحيد بين رجل في الاربعين وآخر في السبعين هو ثلاثون عاماً من الخبرة.

موريس شيفالييه

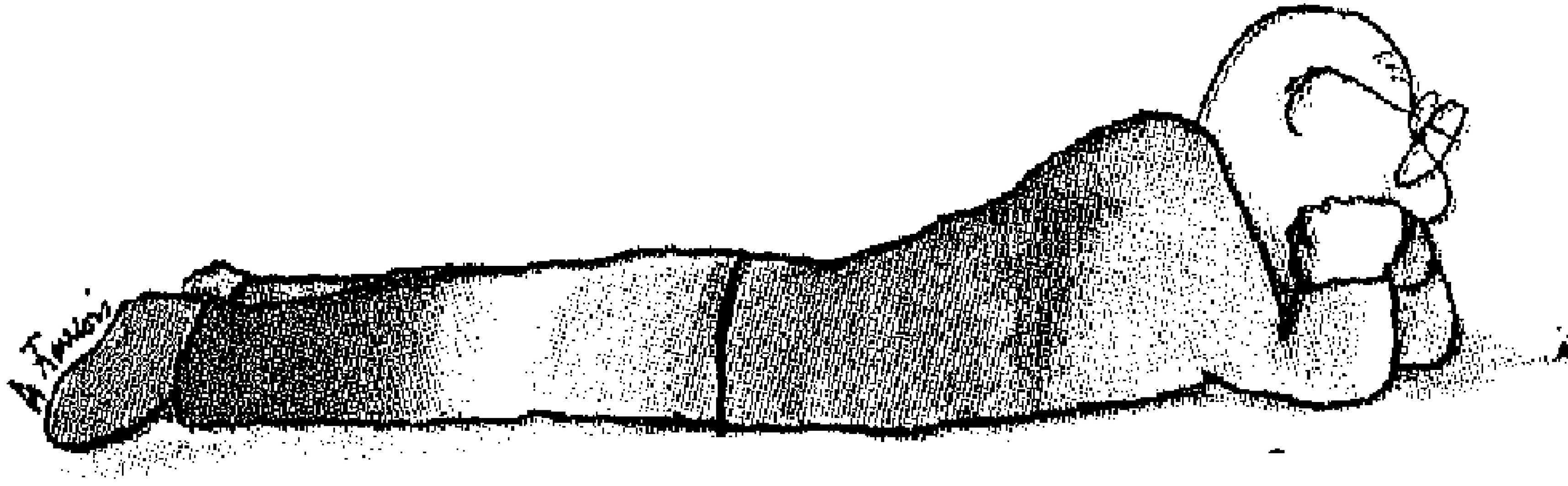



Mothercare





تأمّلات معاصِرة



الحلول النهائية

اننا لن نبلغ قط النقطة التي نغدو عندها من الاكتفاء بحيث نتوقف عن تطوير بولونيا، النهوض والسقوط سوف يكونان هناك على الدوام، أما الحلول النهائية الكاملة فمستحيلة، ذلك ان وجودها يعني نهاية الانسانية،

ليش فاليسا ، مجلة "تايم"

التقليد والمثالية

لا يجوز أن نبقى كما نحن، نكرّر ما فعلناه، والا غرقنا في الوحل، ولكن في الوقت نفسه، لا يجوز ان نقف حيال العالم كما يفعل المثاليون المتحمسون، فنقضي على حضارتنا في محاولتنا اصلاحها،

برنارد شو

شتاء الفقراء

العديد من الناس يقول أنه يحب الشتاء، والواقع أن ما يحبه هو تحصين نفسه ضد الشتاء، هؤلاء هم الناس الذين يملكون من الملابس والمآكل والمنازل ما يقيهم قسوة الشتاء في الاماكن البـاردة، لذلك يحب هؤلاء الشتاء، لانه لا يقوى عليهم، أما الطيور والحيوانات والفقراء من بني البشر، فهؤلاء لهم شتاؤهم الذي يخشونه،

ريتشارد ادامز

الآباء والابناء

ربما كان أصعب ما يمكن أن يقبله آباء المراهقين وأمّهاتهم هو التسليم بأن أولادهم فـرّوا مـن أيديهم، وباتـوا يـفضلـون آراء أقـرانـهـم علـى آراء والديهم،

روبرت كابون

قيمة الصداقة

عندما اقابل صديقاً عزيزاً بعد فراق، فكأنما أستأنف حديثاً قطعه الوقت، وكلما تقدمت بنا السن أدركنا قيمة الصداقة وجمال الشركة في السراء والضراء،

ويليموريس

صناعة الكلام

آه كم هو غريب أن يعيش المرء من صناعة الكلام، أن الشعراء والكتاب يـقـدرون الـكلمـات ويستخدمونـهـا كالعدسات المكبرة، ثم يضعونها في ذواتهم تحت ضغط شبيه بالضغط الذي تبذله الارض لتكوين الماس، فيضعون كلا منها في مكانه، ومن الكلمات يجعلون سطوراً، ومن السطور قصيدة، ثم ماذا؟ تطير تلك القصائد وتحط في اذهاننا، حيث تنفجر، وبعد ذلك يحس واحدنا أنه أستحال شخصاً آخر، وأن لفترة قصيرة،

فريدريك هانتر

امنيات المعاقين

قال عازف كمان شهير شلت رجلاه وهو في الخامسة، في خطاب ألقاه لمناسبة السنة العالمية للمعاقين:
معظم المعاقين يتعلمون مع الوقت تكييف تصرفاتهم بالنسبة الى عاهاتهم. واذا سألنا المعاقين عن امنياتهم، جاءت معظم أجوبتهم على النحو الآتي: "اريد ان أكون أباً أفضل،" "أطمح الى الترقي في وظيفتي." ومن النادر ان نسمع منهم جواباً كالآتي: "أود الخلاص من عاهتي." فنحن، معشر المعاقين، نقبل محدودياتنا، فيما الآخرون يقفون مرتبكين حيالنا.

ا.ب.

يد الطفل

أي شعور أجمل من ذاك الذي تمنحك اياه يدُ طفل تُدَسّ في يدك؟ انها صغيرة وناعمة ودافئة، كفرخ حمام في حضانة أمه. لكم هي صغيرة تلك اليد التي توقظ لديك منتهى الحكمة والشجاعة.

مارجوري هولمز

أشياء لا تتغير

هناك أشياء لا تتغيّر أبداً. ومن هذه أنسياب الماء في الغابات ليلا وترقرقه فوق الحصى، وارتفاع الشمس في الظهيرة وسقوط حرّها فوق المراعي، وأصوات الاطفال في الحقول، والنجوم في جلالها، وبراءة الصباح.
أن جميع الاشياء التي تنتمي الى الارض لن تتغيّر، ومنها الورقة والزهرة والريح التي تعول وتخفت، ثم تنهض مجدداً، والشجرة التي ترتجف أغصانها في الظلام البارد.
هذه الاشياء كلها ستبقى على حالها، لانها تأتي من مصدر لا يعرف التحوّل.

توماس وولف

هوامش العالم

ثمة كتب تغدو فيها الهوامش والملاحظات التي خطتها أيدي القراء أكثر متعة من النصوص عينها، والعالم أحد هذه الكتب.

جورج سانتيانا

العبور والوصول

اجمع حشداً من الناس عن الشاطىء وضعهم في قارب، تجِد ان بعضهم تسلقوا الى الطبقة العليا المكشوفة حيث يمكنهم ان يشاهدوا المنظر خلال الرحلة، فيما بقي الآخرون داخلا ينتظرون بلوغ الضفة الاخرى ويفكرون في ما هم فاعلون لدى وصولهم أو يدخنون السجائر قتلا للوقت.
واذا تركنا قاتلي الوقت جانباً، أمكننا قسمة ركاب القارب فريقين: واحداً يهمه العبور وآخر يهمه الوصول.

م.ن.

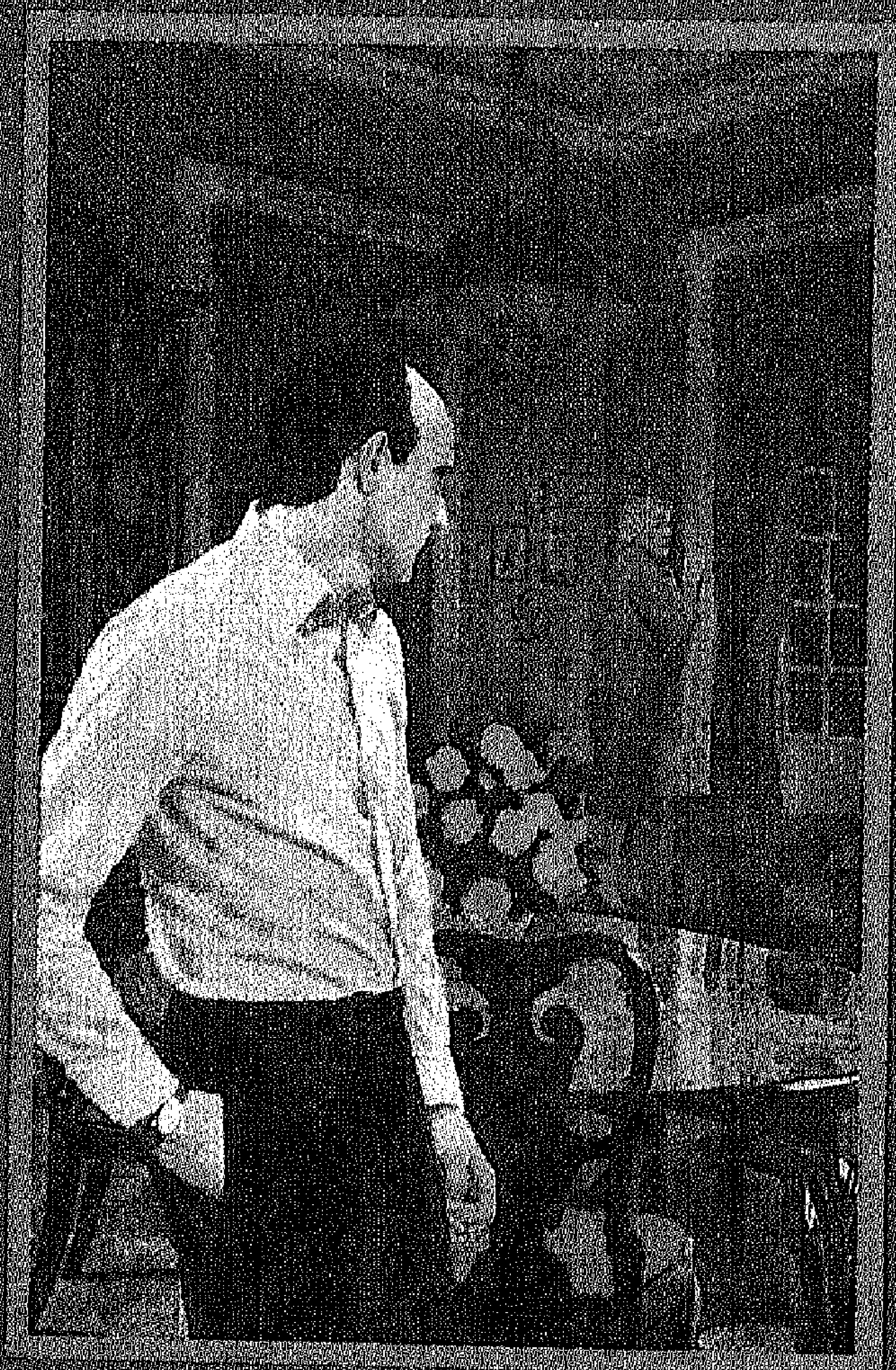
البذرة الصالحة

كان عدد من مزارعي القطن يجلسون حول موقد بعد الغداء ويتحدث كل منهم عن حسنات مذهبه. وبقي اكبرهم صامتا حتى سأله احدهم: "ما رأيك، ايها الاخ، في ما يقال؟ اي مذهب هو الاصح في رأيك؟
- اذا شئنا الذهاب من هنا الى المصنع الذي نأخذ اليه القطن لفصل خيوطه عن بذاره، فان علينا ان نجتاز طريقاً من ثلاث لبلوغ المصنع على التلة الكبيرة فوق. فهناك طريق مباشرة الى التلة، وهي الاقصر لكنها متعبة. وهناك طريق عن يمين التلة، وهي ليست بعيدة جداً لكنها على شيء من الوعورة. والطريق الثالثة عن يسار التلة، وهي الاسهل، لكنها الابعد. ولكن عند بلوغكم المصنع فالمدير لا يسألكم من اين اتيتم، بل يسأل عن جودة القطن الذي معكم.

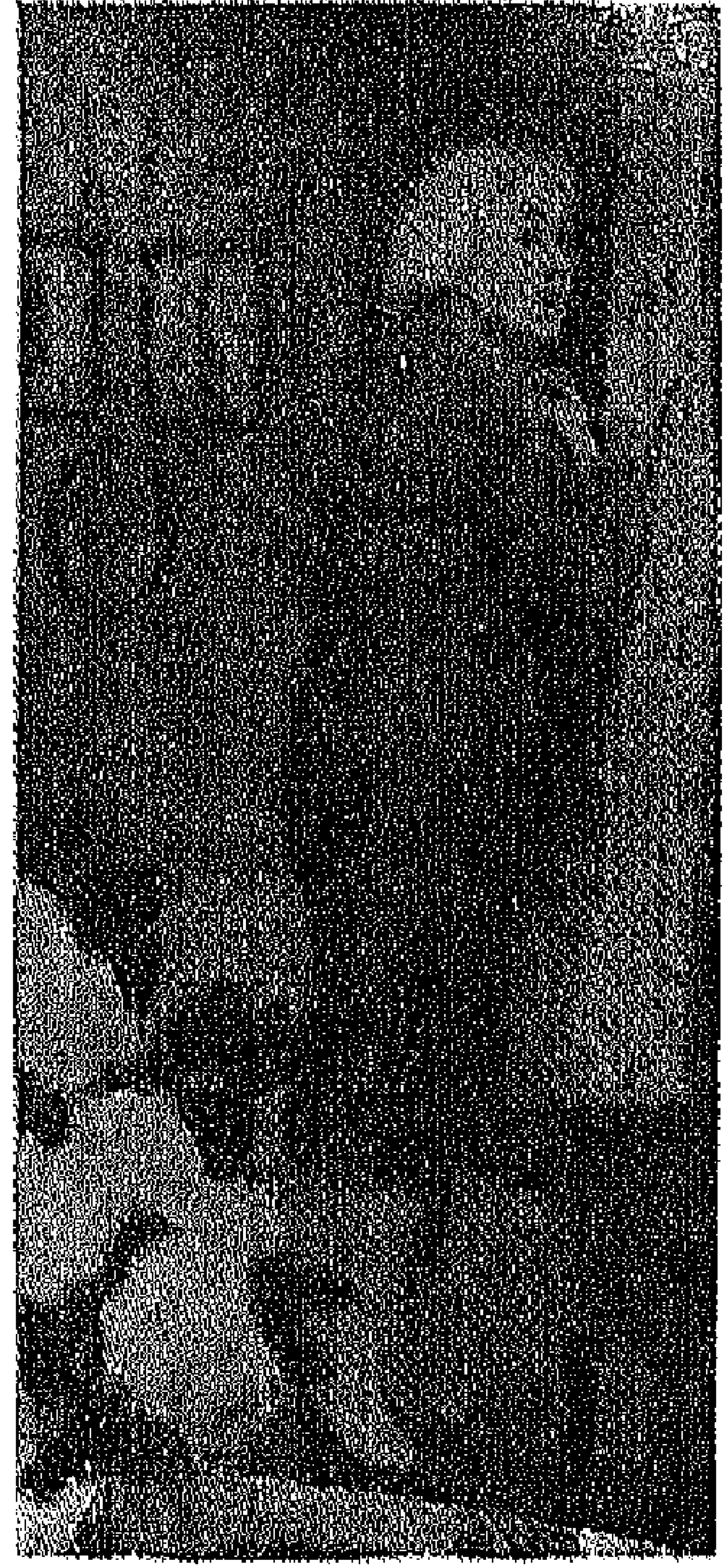
بولا كولينز

كتاب الشهر

أمي



ملخص من كتاب
بقلم هنري ادواردز



"اني سَقَطتُ في الهوة،
لكني صعدتُ منها.
ولن أسقط مرة اخرى."

هذا ما تقوله والدةُ الكاتب أمام أصدقائها ومعارفها. لقد بدأت محنتها بسماع أصوات وهمية تناديها باسمها. وكان لا بد من ادخالها مستشفى للامراض العقلية واخضاعها لأنواع من العلاج.

هذا الكتاب يروي قصة ارتيادها عالماً يقع وراء المعقول، ثم عودتها الى عالم الواقع.

انها قصة ملأى بالمغامرة والألم والشجاعة والمرح والحب وأعمق المشاعر الانسانية.

أمي



كانت الأزمة النفسية التي عصفت بأمي صيف ١٩٧٦ مفاجأة مخيفة لنا جميعاً. وكانت مخيلتها في الاشهر الماضية تعمل فوق طاقتها. فبعد قدوم جيران جدد الى البناية وصدور تصرفات غير ودية عنهم، بدأت امي تسمع أصواتاً معادية من شقتهم فضلا عن ضجيج دائم مصدره، كما قالت، آلة خاصة لاصدار الأصوات وضعوها قصداً لازعاجها. لكن أمي أشارت الى تلك المسائل على نحو مرح جعلنا نأخذها من دون مبالاة.

ذلك الصيف كانت تغمرني الغبطة. فقد حققت رغبة قديمة اذ امتهنت الكتابة بعدما كنت مدرساً للغة الانكليزية. ومن الموضوعات التي عالجتها في كتاباتي نقد الموسيقى الشعبية الحديثة. وكُلفتُ كتابة نص لشريط سينمائي. وبت اقضي عطلات نهاية الاسبوع في جزيرة برمودا، في منزل يخص المخرج روبرت ستيغوود، وأنا أعمل على انهاء النص.

ذات صبيحة من شهر اغسطس (آب) كنتُ جالساً بجانب البركة حين أُخبرتُ أن أبي على خط الهاتف. ولم يكن سام (والدي) معتاداً استعمال الهاتف للمخابرات البعيدة.

و"قرأتُ" في نبراته الذعر الواضح وهو يقول: "أمك تظن أنكَ متّ. تحدث اليها الآن وقل لها انك بخير وسلامة."

وقالت استير (أمي) بتردد: "آلو."

فأجبتُهما مرتبكاً: "أنا هنري، واني بخير."

ــ كلا ! هذا ليس أنت.

وقطعت أمي المخابرة. وانتابني الرعب، فطلبت للحال رقم والدي في بروكلين، نيويورك. وأجابني سام، لكني سمعت استير تصرخ فيه: "لا تتكلم اليه." وتحدثت الى والدي مراراً، لكنها كانت تقاطعه كل مرة. وفي المساء خلدت امي الى النوم، فاستطعنا الكلام بهدوء.

بدأت محنة أمي في اليوم السابق اذ خرجت وأبي للتبضُّع. فهي قفزت فجأة عن الرصيف وأخذت تركض وتصيح: "هناك شاحنة هادرة تتبعني بأصواتها المزعجة. ألا تسمع الأصوات تدعوني؟"

ونظر أبي حوله، فلم يرَ أثراً لشاحنة أو لأحد يدعو أستير. وقال لها وقد اختلطت مشاعر الاضطراب والخوف والغضب في ذاته: "ليس هناك من صوت. فالاصوات كلها في داخلك." وحدّقت اليه وهي على قناعة الآن بأنه واحد من ملاحقيها.

وقال سام: "لقد أصابها انهيار عصبي تام. وخلال نومي الليلة الفائتة، قامت وخرجت من المنزل. وعثرتُ عليها تركض في الشوارع وتستنجد بالمارة كي يساعدوها. وأمضيتُ معظم النهار محاولا ابقاءها داخلا. ولم استطع اقناعها باستشارة طبيب. وعليك ان تأتي لتعينني على هذا الأمر."

ــ اني آت في أسرع ما يمكن.

كان والدي معلماً للرياضة البدنية تقاعد قبل سنتين. وبدا، وهو في الثامنة والستين، محافظاً على شبابه وتناسق جسمه وقوته. الا اني، لدى بلوغي المنزل، صُعقتُ لرؤيته مسناً.

ولم تمنعني همومي على أمي من الوقوف باعجاب أمام غرفة الجلوس التي رتّبتها على أحسن حال وهي البارعة في التنسيق، وحملتها رغبتها في جمع الاشياء الجميلة على تزيين المنزل بأكواب على هيئة بشر وبطاقات تهنئة من العصر الفيكتوري وسلع تذكارية قديمة صُنعت في شكل أحذية صغيرة، وبهذا كله حوّلت الفوضى نظاماً فنياً بديعاً، وكانت في الرابعة والستين وقد خلا وجهها من الغضون كما حافظت عيناها العسليتان على بريقهما، وعلى رغم ان شعرها اكتسى لوناً رمادياً، الا أنها تغاضت عن ذلك وراحت تطلي شفتيها بالأحمر آناً وبالمرجاني آناً آخر، ولقد كانت امرأة محبّة وذات معنويات عالية، وكانت هواياتها جمع السلع القديمة واللبس الأنيق والوقوف طويلا أمام واجهات المحلات وتجريب ضروب جديدة من الطبخ وحضور السينما والمسرح،

وأحبها سام من كل قلبه وعاش حياته لارضائها، غير ان التقاعد لم يحمل معه السعادة والراحة اللتين توقعهما والداي طويلا، بل جاء فترة انتقالية مشبعة بالقلق، ومما زاد الطين بلة ان أصدقاء العائلة الذين تقاعدوا أيضاً نقلوا سكنهم الى فلوريدا أو كاليفورنيا، وبعد ٣٨ سنة من الحياة الزوجية، لم يكن لوالديّ أحفاد، وكان عليهما ان يتعلما العيش معاً طوال الوقت، وما انفكت أمي تتذمر قائلة: "انه، كعهده، لا يملك ما يمكن الاعتماد عليه، وماذا يسعنا فعله ونحن في الحضيض؟"

لدى وصولي مساء قال سام ان أمي نائمة، وما أن دخل المطبخ ليحمل اليّ كوباً من الصودا حتى لاحظتُ حركة في زاوية غرفة الطعام، تلك كانت حركة أمي المختبئة هناك، وركضتُ على الفور وطوّقتها بذراعي، لكنها صرّت أسنانها وشدت قبضتي يديها، وشاهدت في عينيها نظرة قاسية لم أرَها قطّ قبلا، وأجلستها على المقعد وأخذت يدها في يدي،

وهمست والدمعُ يملأ عينيها: "يا له من كابوس،"

وفجأة تجمدت أوصالها وقالت: "هل هو في المطبخ؟ عليّ الابتعاد عنه،" وهمت نحو الباب، فتبعناها، عندئذ خرّت على ركبتيها وأمسكتني من رجل سروالي وهي تستغيث باكية: "أرجوك ان تأخذني من هذا المكان،"

وأعدتها الى المقعد وطوّقتها بذراعي، الا أنها دفعتني بعيداً بقوة غير معهودة،

ولكي نحوّل أفكارها، أحضرنا مجموعات الصور العائلية ورحنا نقلّب صفحاتها بتؤدة، وأظهرت أستير صفاء ذهنياً رائعاً وهي تتذكر تفاصيل دقيقة من حياتنا العائلية، ونظرت الى صورة أخذت لنا عندما كنت في السنة الثالثة من المدرسة الابتدائية، وتذكرت أنها التقطت يوم عدتُ الى البيت باكياً لأن رفقاء الصف سخروا من اسم عائلتي، "كاز،" آنذاك قالت لي أمي مازحة: "لا تنسَ ان اسمك الاوسط هو ادوارد، فلماذا لا تدعو نفسك هنري ادواردز بينما يبقى اسمك القانوني هنري كاز؟" ومنذ

ذلك الحين بات اسمي المستعار هنري ادواردز.

في تلك الجلسة كان يغلب الحس الموسيقي على أمي من وقت الى آخر ونحن نقلب الصور، فتغني بصوت مرتفع يطغى عليه المرح:

"ديزي، ديزي،
أعطيني جوابَكِ، اعطي!
أما ترين أني نصف مجنون
من فرط حبي لك؟"

وأخيراً قبلت، على مضض، ان تتناول حبتين من دواء مسكن. ثم تملقها سام للذهاب الى غرفة النوم.

وجلستُ وسام نتحدث، فقال: "الأيام الثلاثة الاخيرة كانت اكثر أيام حياتي رعباً." وانتابنا حس الذنب لتقاعسنا عن طلب النجدة لدى سماعها الأصوات الغريبة. ودخل سام غرفة النوم فيما تمددت أنا على كنبة في الدار آملا ان أغفو.

وفي ظلام الليل سمعت أستير تهمس في اذني: "اني ذاهبة الآن." وما ان اتجهت نحو الباب حتى أشعل سام النور. وانفجرت استير باكية وسقطت الى الارض وجسمها يهتز.

وكان الامر نفسه حدث الليلة الماضية. ولما كان طبيب استير في اجازة، فقد استدعى سام طبيباً من وكالة اسعاف محلية. وخابر الوكالة نفسها، فوصل بعد نصف ساعة طبيب شاب. وأعطى استير حقنة كلوربرومازين، وهو مسكن قوي يُستخدم لمعالجة الاضطراب العقلي. وحاولت أستير النهوض، لكنها كادت ان تنهار عندما أسرعنا الى نجدتها وحملناها الى السرير.

وجلستُ وأبي على أحد مقاعد الدار وقد وضعتُ يدي في يده. وعرفنا نحن الاثنين ان حال استير لا تحتمل الارجاء، وانه ينبغي نقلها الى المستشفى صباحاً.

"بنت حَرام"

استشرت طبيباً نفسياً مرموقاً في الأمر، فنصحني بأخذ أمي الى مستشفى تشلسي (★) الذي وصفه بأنه "أحد أفضل المستشفيات في مدينة نيويورك، بل في الولايات المتحدة كلها، للأمراض النفسية." ولما خابرتُ ذلك المستشفى قيل لي ان العلاج يكلف ٢٥٠ دولاراً يومياً. ومن حسن الحظ ان سام يفيد من تأمين طبي، حكومي وخاص، من شأنه تغطية النفقات جميعاً. وكان علينا استئجار سيارة اسعاف خاصة لان المستشفى لا يتكفل بنقل المَرضى. ولدى بلوغ استير المستشفى، يجب ان توقع بنفسها معاملات دخولها، للبرهان على ان ذلك يتم بارادتها.

ووضع سام يده برفق على كتف استير، فوقفت وهي ترتجف. ولمستُ وجهها بأصابعي ثم أمسكتها بيديها وأنا أخبرها أننا سنأخذها الى المستشفى.

وابتسمت أمي بفرح اذ ادركت انها ستُعْتَق من سجنها. وأخذت تغني.

في العاشرة تماماً وصلت سيارة

(★) أسماء المستشفيات ومراكز العلاج والاطباء والمعالجين والمرضى الآخرين أُبدلت كلها بأسماء مستعارة. كما تمت استعادة بعض الاحاديث من الذاكرة.

لاسعاف. وتبعتنا أستير بحماسة خارج المنزل وهي ترتدي أفضل معطف وأحسن قبعة لديها وتحمل حقيبة يدها المحببة. وأسرعت لسيارة بنا، وأمي لم تنقطع عن الغناء طوال الطريق.

في المستشفى كانت المسؤولة عن استقبال المرضى، السيدة غريفيث، في انتظارنا. وبادرت سام بسؤاله عن سبب ادخال استير المستشفى. ثم نظرت الى أمي وقالت لها بصوت حازم: "الآن، أخبريني أنتِ عن سبب مجيئك الى المستشفى."

وتقلصت عضلات وجه استير وهي تسعى الى جواب. وما لبثت ان قالت: "أنا بنت حرام. ولقد دخلتُ المستشفى للحصول على وثيقة ميلاد."

والواقع ان ميلاد استير لم يسجل في حينه بسبب هفوة ارتكبها طبيب متقدم في السن آنذاك. وهي لم تحصل على وثيقة ميلاد الا عند بدئها الدراسة. وما انفك ذووها وأصدقاء العائلة يصفونها بالولادة غير الشرعية.

وأكبّت استير على قسيمة الدخول وكتبت: "أنا بنت حرام." ونظرت الى سام وأخذت تبكي. وقالت له: "ما كان ينبغي ان تتزوج بنت حرام. لقد اخبرتُك أن ذلك سوف يجرّ عليك المتاعب."

ولما سمع سام ذلك اغرورقت عيناه بالدموع. أما أنا فأشحتُ نظري عنه سريعاً.

وبعد توقيع اسمها قالت امي للسيدة غريفيث: "لم أذكر عائلة زوجي لأني لم أكن زوجة وأماً صالحة." وبعد انهاء المعاملة ابتسمت وقالت للمسؤولة: "اني لا اعرف السعادة الا في المستشفيات. هذه المرة السابعة التي أدخل المستشفى. ولقد كنتُ سعيدة في المرات السابقة جميعاً."

وصعدنا السلم برفقة ممرض شاب. وما أن خرجنا من المصعد حتى وجدنا أنفسنا قبالة بوابة حديد ضخمة. ووقف حارس يحدّق الينا من ثقب البوابة. ولم يَدُر في خلدي ان استير ستسجن خلف بوابة مقفلة. ودخلنا الجناح ورأينا في الممر عدداً من المرضى يذرعون المكان وقد غاب التعبير من أعينهم وهم يحدّقون كما الى اللاشيء، وبعضهم يتمتم.

وذهبتُ وسام الى مركز التمريض في ذلك الجناح بينما كانت استير تفك أمتعتها وتخلع ثيابها بمساعدة ممرضة شابة اسمها روزا. وتولت السيدة ستانتون، مديرة القسم، تعريفنا على طبيب استير، وهو شاب يدعى جوناتان كونراد. وكان المرضى يحيطونه وبعضهم يدعوه باسمه، فيما يحاول آخرون الاقتراب منه ولمسه.

وقال لنا قبل ان ينصرف: "سيكون لنا لقاء."

لكني تبعته لأسأله: "متى؟"

— لا ادري. عليّ أولا ان أدرس حالها. خابرني غداً.

وشاء سام ان يرى استير قبل ان يغادر المكان. وسمعها تغني وهي في سريرها الجديد: "ديزي، ديزي، اعطيني جوابك أعطينيه". ولما قلنا لها "وداعاً" تجاهلتنا.

وتركنا الجناح بعد تدقيق الحارس في هويتينا خوفاً من فرار المرضى. وفي الخارج قال لي سام: "لا أصدق ان هذا يحدث لنا نحن". كذلك لم أصدق أنا.

وفي الصباح التالي خابرني الدكتور كونراد قائلا: "ثمة نبأ مزعج. لقد سقطت امك الليلة الماضية وكُسر رسغ قدمها في ثلاثة مواضع."

وبدا ذلك غريباً. وسألته بغضب: "لماذا لم يعتنوا بها؟ ألم تعرف أننا أدخلناها المستشفى لأنها تغادر المنزل ليلا؟"

– اننا نفعل غاية جهدنا. لكن المرء لا يستطيع التنبوء بما يمكن ان يقدم عليه المرضى العقليون.

وذهبنا الى المستشفى سريعاً، فوجدنا استير مشدودة باحكام الى سريرها وقد وُضعت رجلها في قالب جص من القدم حتى الفخذ. ودعوناها باسمها، فلم تُجب لأنها أعطيت مسكناً قوياً. ولما طبع سام قبلة على جبينها، أخذت تحدّق أمامها وهي لا تفقه شيئاً.

وتبين أن الممرضة المسؤولة لم تكن في الجناح لدى حصول الحادث. كما كان الدكتور كونراد غائباً. ولم يمكن احداً ان يفيدنا. وأخيراً تركنا رسالة للطبيب وانصرفنا. وبدأت أدرك ان أستير، بالنسبة الى المستشفى، ليست أستير، وانما هي مريضة أخرى أو عدد يضاف الى الأعداد السابقة.

عندما بدأت محنة أمي قبل أيام، كانت وأبي يستعدان للانتقال الى شقة جديدة وجَداها في سيدرهيرست، نيويورك. وتم تأجير الشقة القديمة وهي في المستشفى، فتعين على أبي ان ينتقل وحده الى المسكن الجديد.

ذلك المساء بدأنا نحزم الأمتعة. وأمضينا الأيام الثلاثة التالية ونحن ننقلها الى البيت الجديد. ولدى تعليق الصورة الأخيرة على الجدار، جلس سام وهو يتساءل عن وقت عودة امي الى المنزل – ان كانت ستعود على الاطلاق – كي تراه.

الصدْمة الكهربائية

لم أعرف ان ما حدث لأمي كان امراً شائعاً. ذلك ان نسبة المتقدمين في السن الذين يعانون أزمات عقلية تراوح بين ١٥ و٢٥ في المئة. وقد قال لي طبيب نفسي خابرتُه من برمودا: "معظم الحالات الحادة تعود الى اضطراب متعلق بالجهاز العصبي. وعندما يتقدم بعضهم في السن، تظهر لديه



أمراض مزمنة كالتهاب المفاصل. وتظهر لدى بعضهم أمراض في الدماغ تستحيل معالجتها معظم الأحيان، فيما تتضاءل قدرتهم على مواجهة المتطلبات اليومية."

وكرر الدكتور كونراد هذا الرأي عندما عثرتُ عليه أخيراً في المستشفى. وأضاف ان عليه أولا معرفة ما اذا كان مرض أمي عضوياً (جسدياً) أو وظيفياً (ذهنياً أو نفسياً). وقبل ان يسرع في طريقه، قال: "علينا ان نُجري فحوصاً كثيرة لهذه الغاية، وهي تأخذ وقتاً. وبعد حصولي على تقرير كامل للفحوص الجسدية، أُصدِرُ قراري وأحيطك علماً به."

وجلستُ في غرفة أستير بعضاً من الوقت وأنا أنظر اليها تحدّق الى اللاشيء. وفي طريقي الى غرفة الاستراحة صادفتُ الممرضة روزا وسألتها أن تخبرني كيف كسرت أمي رسغها. فقالت: "كانت تذرع الممر وتتنصت الى الجدران عندما زلت قدمها. والغريب في الأمر أنها لم تحس أي ألم ولم تصرخ."

وأضافت روزا ان أستير كانت أُعطيت حقنة كبيرة من الكلوربرومازين. وتذكرتُ كيف أن الجرعة الصغيرة من هذا العقار أفقدتها الوعي ذلك المساء وهي في المنزل. وخامرني الشك. أيعقل ان تكون أستير أعطيت جرعة كبيرة من المسكّن وتُركت من غير مراقبة؟ وحاولت طرد شكوكي واقناع نفسي بأن أمي في أيد أمينة. وأقصيتُ عن ذهني فكرة رداءة المستشفى، على رغم انه كان مكاناً غير ودي على الاطلاق.

أما أستير فكان ذهنها مضطرباً أكثر من أي وقت مضى، ولم تعرف أين هي أو لماذا هي هناك. وغالباً ما كان الدكتور كونراد يطرح عليها أسئلة كالآتية: "أين أنت الآن؟ في أيّ يوم من الاسبوع نحن؟ كم هو عمركِ؟ ما اسم رئيس الولايات المتحدة؟"

وكانت أستير تمقته وتكره الاجابة عن اسئلته. وكنا، أنا وسام، نزورها يومياً ونحمل اليها المجلات والحلوى وأدوات الزينة التي كانت تتجاهلها كلها. وكانت عادة تأمرنا بأن نترك الغرفة أو تتظاهر بالنوم.

وتساءلت عن سبب تكبيلها بالسرير. وحين قلنا لها ان ذلك كان بسبب الكسور في رسغها رمتنا بالكذب وقالت انها تبغضنا نحن الاثنين. وخُيّل اليها أن ثمة دافعاً يجعلنا نكذب عليها، فنستر عنها حقيقة اصابتها بالسرطان ووشوك اجراء جراحة لها.

وبعد ثلاثة أسابيع استدعانا الدكتور كونراد قائلا ان الفحوص التي خضعت لها استير، بما فيها تخطيط الرأس واختبارات الاشعة، أظهرت أنها في وضع طبيعي اجمالا. وهذا يشير الى ان مرضها عقلي أو نفسي وليس جسدياً. لكن هذا لا يعني غياب الاضطرابات الجسدية تماماً. فالنوعان من الاختلال يترافقان.

وكان كونراد يعالجها بعقار اسمه هالوبيريدول. وهذا أزال كثيراً من

اضطرابها الذهني، وان يكن خلّف لديها انحطاطاً جسدياً شديداً. وأضاف كونراد: "ينبغي الآن ان نكتشف سبب هذا الانحطاط الجسدي عبر معالجتها." وخاطبني قائلا: "علينا ان نبدأ، انا وأبوك وأمك، سلسلة لقاءات عائلية اسبوعية لمساعدة والدتك على ادراك المسائل التي تجعلها تعاني ما تعانيه."

وأجبته أنني أشك في جدوى الاجتماع مرة واحدة في الاسبوع. وتنهد كونراد ونظر كمن أصابه ارهاق شديد.

وتابع: "ان أمك مبتلية بداء لا يقل عن السرطان خطراً وخبثاً. والتصدي لهذا الداء يستغرق وقتاً. انه مسألة يومية علينا، في نهايتها، ان نجد العلاج الناجع."

وخاطب سام قائلا: "سنبدأ لقاءاتنا بعد اسبوع." ثم تناول أوراقه بسرعة وهرع نحو الباب.

وتوالت الأيام من غير نتيجة مجدية، الى ان سألني كونراد أن أحضر لقاء يغيب عنه سام.

وبادرني قائلا: "ان حال أمك تسوء باطراد، مما لا يساعدها على بدء العلاج. واذا بقيت هكذا خلال الاسبوع المقبل، فأرجو الحصول على اذنك لاجراء علاج كهربائي لها."

وأكد لي كونراد أن الصدمة الكهربائية ستجرى تحت أثر المخدّر، وأن أمي لن تتذكر شيئاً من ذلك. وأضاف ان هذا النوع من العلاج يؤتي ثماره لدى ٨٠ الى ٩٠ في المئة من المرضى. وراح يصف الحسنات والسيئات. ولكن بدا لي ان الصدمة الكهربائية لا يجوز اعطاؤها الا بعد افلاس جميع الوسائل الأخرى. وقلت للطبيب: "آسف، اذ لا تمكنني الموافقة على اقتراحك في هذه الظروف."

وهنا تدخلت مارغريت كار، وهي مرشدة اجتماعية مسؤولة عن أمي، بقولها: "اذا لم تسمح لنا بالعلاج الكهربائي، فلا بدّ من ارسال والدتك الى دار للعواجز."

وقاطعتُها: "لا أظن أن الاقامة الدائمة في دار العواجز هي العلاج الملائم لأمي."

الا ان الآنسة كار تابعت كأنها لم تسمع ما قلتُ: "اذا بقيت أمك على حالها، مشلولة في سريرها وسط انحطاط جسدي بالغ، فلا سبيل الى ابلالها واطلاقها. ولا بد، والحال هذه، من ان تضطر أنت ووالدك الى ملازمتها طوال النهار والليل. وسوف تدركان، في المدى الطويل، أنه كان أجدى وضعها في المكان الملائم حيث تنال العناية اللازمة، ولكن من غير ان يعود وضعها كما كان لأن هذا مستحيل."

ونهضتُ وقطعتُ الممر الى غرفة استير. ودخلتُ عليها قائلا: "أنا هنري." وشددتُ يدها. أما هي فقبعت هناك دونما حراك ولم تتفوه بكلمة. ووددت ان أهزها بعنف علها تصحو وترجع كما كانت.

ولما أخبرتُ سام ذلك المساء ما حصل، قال: "هذا مستحيل، لا يمكن ان نرضخ لما يقولون."

وبعد تأمل قصير، قال: "أتعرف ماذا؟ عوضاً عن ارسالها الى دار

العواجز، سأعود بها الى البيت. عليّ أن أحاول ذلك."

- اذا كان هذا ما تريده حقاً، فيا لها من فكرة رائعة. وكن على ثقة من تأييدي لما تقول.

وهكذا تمّ اتفاقنا على رفض العلاج بالصدمة الكهربائية. ووضعنا حداً أقصى لبقاء امي في مستشفى تشلسي: فان لم تتحسن حالها بعد شهرين، علينا تأمين مكان آخر وعلاج آخر من شأنه ان يُجدي.

خوف وخيبة

بعد أربعة أسابيع أُبدل قالب الجصّ الكبير في رجل أمي بقالب أصغر. وكانت الممرضات يأخذنها مرتين يومياً للمشي في الممر. وفي الأسبوع الخامس أصبح في امكانها المشاركة مع سام في الاجتماع العائلي الأول.

وقال لها الدكتور كونراد: "اذا عرفنا مشاكلكِ، ففي امكاننا ابتكار طرق لجعل حياتك أسهل وأبهج. أخبريني الآن، يا أستير، ما الذي يزعجك؟"

وفتحت امي عينيها على سعتهما وهي لا تقول شيئاً. وألحّ عليها الطبيب أن تتكلم، فقالت: "انهم يرفضون تزويد سريري بوعاء تبويل."

وسألها كونراد: "وماذا غير ذلك؟ هل أزعجكِ سام حين صرخ في وجهك؟"

ولم تقل شيئاً، فعاد يسألها: "هل ضايقك بعد تقاعُدِه؟"

وهزّت أستير رأسها على مهل. وأخيراً قالت: "أريد العودة الى السرير." وأغمضت عينيها. وبعد ثوان نامت في مقعدها النقال.

وخلال الاسبوع اللاحق جاءتها هنيهات من صفاء الذهن، لكنها لم تَدم طويلا. وظلت تلازم سريرها ساعات طويلة من غير ان تظهر رغبة في شيء مما يحدث حولها.

وذات يوم فقدت طبعها الهادىء وأخذت تصيح وغرزت اظفارها في يد احدى الممرضات. وبللت الفراش وأخذت تتذمر بلا انقطاع لأنهم لم يعطوها وعاء التبويل الذي طلبته. الا أن الممرضات أنكرن رفض طلبها.

وفي اللقاء العائلي الثالث بدأت أستير تتكلم. ولما سألها كونراد عن أسباب انزعاجها، قالت انها كانت تخاف نفاد مدّخرات سام وحاجتهما الى المال. وطرح عليها السؤال مرة اخرى، فقالت انها كانت تخشى انتقالهما الى شقة جديدة. لكنها صمتت بعد السؤال الثالث.

وأخيراً قالت من غير تفكير: "لقد فقدتُ وزناً كثيراً. فأنا مصابة بالسرطان وليس في مقدوري فعل شيء سوى الانتظار في هذا السرير."

وفجأة وقفت وأضافت: "ان سام لن يتبدّل. فهو لا ينفك يغلق الابواب بقوة كلما ضايقه شيء. انه لن يتحملني البتة."

وغادرت غرفة الاجتماع وهي تتهادى نحو غرفتها. وهناك صعدت الى السرير. وتبعها سام، لكنها رفضت التحدث اليه.

وبعدما أمضت استير ثمانية أسابيع في المستشفى، شاركت

خلالها في أربعة لقاءات، فقدت هدوءها وباتت لا تقوى على الجلوس. وأوضح كونراد أن ذلك من أعراض مرضها وأنه قد يتلاشى مع الوقت.

وبينما هي تذرع المكان سألها الطبيب: "ما رأيك في تمضية نهار في منزلك؟" ونظرت اليه استير نظرة شك وسألت بحدة: "متى؟"

ـ الأربعاء، أي بعد غد. سيأخذك زوجك في العاشرة ويعيدك قبل العشاء.

ثم قال الطبيب على مسمع سام ومسمعي: "اذا سار كل شيء كما يرام يوم الأربعاء، ففي امكانها الذهاب الى البيت في نهاية الاسبوع أيضاً. وبعد أسبوع من ذلك التاريخ، يمكن ان تغادر المستشفى. وسوف نحيلكما على وكالة محلية للمساعدة. وفي امكانكما استقدام ممرضة بيتية.

"لقد وصفتُ لها جرعة وقائية من الهالوبيريدول لابعاد الأخيلة عن رأسها. وليس لدينا ما نستطيعه فوق ذلك في هذا المكان."

كانت استير تنتظرنا لدى وصولنا الأربعاء. وكانت ممرضة أعانتها على تصفيف شعرها وتجميل وجهها. الا ان شيئاً لم يكن ليخفي تلك النظرة الزجاجية التي لازمتها منذ اليوم الأول لتناولها العقاقير.

وانطلقنا في السيارة الى سيدرهيرست. وهناك ساعدها سام على النزول وقادها الى البناية ثم فتح باب الشقة. وكان نسق قطع الأثاث وجميع مقتنيات أستير المحببة كما كانت في البيت السابق. وكان أثر ذلك عظيماً في نفسها.

وقالت بهدوء والدمع يملأ عينيها: "هذا جميل."

وجلسنا بينما وقف سام يحضر القهوة. ولاحظتُ أن يدي أستير ترتجفان، كذلك عنقها وان على نحو اقل، وكانت من وقت الى آخر تنهض وتذرع الغرفة وهي غير قادرة على تركيز أفكارها أو الهدوء في مكانها.

وقالت: "لنذهب ونتنزه."

وقادنا سام وسط الحي التجاري. لكن استير التي طالما اغراها الوقوف أمام النوافذ لم تُبدِ اكتراثاً لأي من المحلات. ومن الطبيعي ان تكون حركتها الدائمة سببت لها ارهاقاً. وأخيراً أعلنت أنها جائعة. وفيما نحن ننتظر تقديم الطعام في أقرب مطعم مررنا به، وقفت وأخذت تذرع المكان. وحدّق الناس اليها ثم راحوا يتهامسون.

وعندما قُدّم الطعام كانت يدا استير ترتجفان بحيث اضطر سام الى تقطيعه لها. وتناولت بضع لقمات ثم دفعت الصحن وباشرت ذرع المكان. وبعد ذلك عادت لتطلب قطعة حلوى كبيرة سرعان ما التهمتها.

وعدنا الى المنزل حيث استأنفت استير حركتها حول المكان. وفجأة قالت: "أظن ان الوقت حان كي نعود." ويبدو ان حريتها أخافتها، فشاءت الرجوع الى القيد. وذلك اقلق سام كثيراً.

وخابرتني أستير ذلك المساء وقالت: "لقد أمضيتُ نهاية اسبوع ممتعة في منزلي."

ـ لكنه الأربعاء. واليوم الذي تقصدينه يأتي بعد غد.

"اني لـن أذهـب. فـأنا خائفـة.
بالحق ان ثمة خطأ في الأمر، وان
احداً لم يفعل شيئاً لمساعدتي."

"ان حالي تسوء"

تمت زيارة نهاية الاسبوع كما كان مقرراً، بحيث أمضت استير الوقت كله مع سام بناء على مشورة الطبيب. الا انها كانت مضطربة ودائمة الحراك كسابق عهدها. وما أن عادت الى المستشفى حتى غطت في نوم عميق. وبدا عليها الارهاق أكثر من أي وقت مضى، الأمر الذي استدعى ابقاءها في المستشفى مدة أطول.

وانقضى أسبوع وهي لا تقوى الا على التلوي في سريرها كمن أصابته حمى قوية. وجلس سام على السرير بجانبها. ونهضت فجأة وصاحت فيه: "أنت لا تحبني."

وقال سام: "هذا ليس صحيحاً."

عندئذ انفجرت أستير غاضبة: "اخرج من هنا! اني لا أريد ان أرى بجانبي شخصاً يسعى الى التخلص مني." وبدت منفعلة الى حد جعل سام يرضخ لطلبها.

وفي وقت متقدم من عصر ذلك اليوم ظهرت أستير في غرفة الممرضات والدمع يسيل فوق خديها. وهناك ذكرت ما قالته لزوجها.

وأجابتها روزا: "لماذا لا تخابرينه وتعتذرين؟" وأخذتها الى الهاتف وطلبت لها الرقم لأن ارتعاش يديها منعها من ذلك.

واذ سمعت زوجها على الخط الآخر، قالت أمي: "أنا أستير. اني متأسفة. لقد كنتُ على خطأ حين قلتُ انك تسعى الى التخلص مني. أعرف أن ذلك ليس صحيحاً. أتقبل اعتذاري؟"

ـ أجل. اني أحبك.

"أنا أحبك كذلك."

ـ لكم يسعدني انكِ ستأتين الى البيت.

"هذا يُسعدني كثيراً."

قالت أستير ذلك وأنهت مخابرتها، ثم نظرت الى روزا وقالت: "انه يحبني."

وبعد أربعة أيام أُخرجت من المستشفى.

ومع عودة استير الى البيت واستقرارها هناك، وجدتُ أنّ في امكاني العودة الى لوس أنجلس لوضع اللمسات الاخيرة على نص "سارجنت بيبر." ومن هناك كنتُ أخابر سام لا أقل من أربع مرات يومياً. ويبدو ان حال أمي الجسدية لم تتحسن. وكان عليه ان يساعدها في غسل وجهها وارتداء ملابسها. ولدى مواجهتها أقل صعوبة، كانت تلوذ بالسرير.

وفي عيد الشكر طرتُ الى منزلنا لتمضية تلك الأيام من أواخر نوفمبر (تشرين الثاني) بالقرب من والديّ. وعندما خرجت أستير من غرفة نومها، وجدتُ أن الرعشة ازدادت في يديها، بل انتشرت في جسمها كله. وقالت لي: "ان حالي ليست حسنة اطلاقاً."

وحين خرج سام ليشتري طعاماً جاهزاً للعشاء، جلستُ وإياها الى طاولة الطعام. وأمسكتها من يديها، فاذا بهما يابستان. وقالت: "ان حالي تسوء. ماذا أفعل لو مات أبوك قبلي؟"

وأجبتها برفق: "سأكون أنا هنا وأعتني بك."

– يؤسفني أن أكون مريضة الى هذا الحد. لكن مرضي النفسي القاهر ليس في يدي.

وعندئذ وقفت وراحت تذرع الغرفة على نحو دائري. وعرفت أنه ليس في امكانها وقف ذلك الحراك. ولكن يجب وضع حد للمسألة سريعاً، اذ لا يمكن لأي منا أن يحتمل هذا الامر طويلا.

وعاد سام ووضع الطعام على الطاولة التي جُهّزت بأفضل آنية وأجمل غطاء. ورفعت أستير الشوكة والسكين، ولكنها ما لبثت ان أعادتهما الى الطاولة لارتجاف يديها. ويبدو ان ذلك زادها غيظاً، فوقفت في مكانها وقالت: "ماذا سيحدث لي اذا مت قبلي؟"

وأوقفنا أكلنا. وأحضر سام صندوقاً مليئاً بالأوراق ووضع محتوياته على الطاولة أمامه. وراح يقرأ وصيته وصكوك التأمين وما يتعلق بمراسم الدفن، وأرانا أسهمه في الشركات وعوائد الشيخوخة الحكومية ونظام التقاعد. وكان كلما عرض وثيقة، شرح القوانين المتعلقة بها.

ونظرت أستير اليّ وقالت: "عدني ان تعتني بي اذا حصل اي سوء لوالدك." ولما وعدتها تابعت: "هذا لن يكون بالأمر السهل. فليس في وسعي ارتداء ثيابي أو نزعها. ولا يمكنني أن أتذكر شيئاً. ان حالي سيئة. انظر الى يدي. لماذا ترتجفان هكذا؟ ما العلة بي؟"

وكانت ادارة مستشفى تشلسي نصحت سام باستشارة مركز مابل هيل للأمراض العقلية، وهو قريب من سكن والديّ، اذا اقتضى الأمر. واذ وجد أن أمي لم تستعد ذاكرتها، أخذ موعداً لمقابلة مدير المركز الدكتور بنجامين سدهالتر. وطرتُ لحضور المقابلة.

وأحببتُ سدهالتر على الفور، وهو شخص حساس شرح قضية أستير بلغة أمكننا أن نفهمها. وبعد اجتماعه بأمي على انفراد سألنا أن ننضم اليهما. وقال لأبي: "ان بعض أعراض زوجتك الحالية ليس نتيجة لاضطراب عقلي، بل نتيجة جانبية لعقار الهالوبيريدول." ثم قال لأمي: "أظن ان هذا الدواء هو سبب الارتجاف والحركة الدائمة. والكثير منه يؤدي الى تغشية البصر وسرعة التأثر والارهاق الجسدي. كم من الوقت تناولت هذا الدواء؟"

وأجاب سام: "لقد اخذته طوال اثني عشر اسبوعاً، أمضت عشرة منها في المستشفى."

ونظر سدهالتر الى استير وقال: "عليّ أولا سحب الملف الخاص بك من مستشفى تشلسي، لكني على يقين من أن العلاج الجديد سيكون مفيداً."

شارع في عزّ الظهيرة

أظهرت الاوراق التي أرسلتها ادارة تشلسي أن الأطباء هناك، خلافاً لما قالوه لنا، كانوا على قناعة بأن مرض استير جسدي أولا. ودعانا الدكتور سدهالتر الى اجتماع وقال: "لن نعطيها الهالوبيريدول بعد اليوم.

وينبغي أن نعيد وضعها الجسدي الى ما كان قبل تناول العقاقير لتشخيص المرض من جديد."

وذُعر سام لدى سماعه هذا الكلام. وتذكر مغادرة أستير البيت ليلا والصعوبات التي عاناها لابقاء عينه عليها. لكن الدكتور سدهالتر أخبره أن الرعشة في يديها، مع الأعراض الاخرى، قد تصبح دائمة اذا هي ثابرت على تناول ذلك الدواء.

والواقع ان أستير استعادت بعضاً من نشاطها ومعنوياتها. وبعد اسبوعين فارقها الارتجاف، ولكن عاودها الانحطاط الجسدي وعادت تسمع أصواتاً وهمية وطرقاً على الباب. ووصف لها سدهالتر جرعات قليلة من الكلوربرومازين، الا أن ذلك لم يكن ناجعاً. وقرر الطبيب، على مضض، أنه يجب ادخالها مستشفى من شأنه تأمين مراقبة دائمة لاكتشاف العلاج الفعّال:

"سنبدأ باعطائها جرعات خفيفة من عقّار اسمه اميتريبتيلين، وهو مزيل للارهاق ومسكّن في آن، وقد برهن عن فعاليته في حالات كثيرة. وازالة الاعراض في الغالب تعني عودة الذهن الى حاله الطبيعية.

"وعلى رغم ضآلة الجرعات التي سنعطيها اياها، الا ان العقار قوي". ونظراً الى أن السيدة كاز تعاني الربو وارتفاع ضغط الدم، فمن الأفضل ان تتم معالجتها في مستشفى حيث تكون محاطة بجميع التسهيلات الضرورية."

أما انا وأبي فكنا نشك في جدوى المستشفيات نظراً الى خبرتنا في تشلسي. واذ أعربنا عن رأينا قال الدكتور سدهالتر:

"إن تشلسي مستشفى تعليمي يدرّب الأطباء على طريقة التحليل النفسي. الا ان هذه الطريقة لا تلائم بالضرورة بعض المرضى المتقدمين في السن. أما أمك فتحتاج الى طبيب نفسي مختص بالمسنين من ناحيتي العلاج والدواء."

وتجدر الاشارة الى أن مستشفى مابل هيل في نيويورك، حيث يعمل الدكتور سدهالتر، هو من أبرز المؤسسات الطبية في المدينة. وقد اضاف الطبيب:

"هناك ستوضع امك في قسم يعمل وفق طريقة علاجية تعتبر المريض كفرد، وكواحد من جماعة. لذلك نجمع المرضى والممرضين كلهم في جلسات علاجية خلال ساعة أو اثنتين اسبوعياً. وفي تلك اللقاءات نصغي الى اقتراحات المرضى كما لو كانوا هم الأطباء. وأظن ان وضع والدتك سيتحسن هناك."

وفي صباح اليوم المحدد لذهابها، فضّلت أستير البقاء في البيت وأخذت تبكي وتقول: "أنتم الاثنين تريدان التخلص مني وارسالي بعيداً. فهذه هي طريقتكما في التخلي عني نهائياً."

وقلتُ لها: "ان ادخالك المستشفى يكسر قلوبنا نحن الثلاثة جميعاً. ولكن ينبغي ان تذهبي."

وحملتُ حقائبها وشققتُ الطريق خارجاً. وفي السيارة سرّحت أستير أنظارها في البعيد، رافضة أن تنظر الى سام أو اليّ.

وعندما رأينا بوابة الحديد الموصدة في احدى طبقات المستشفى العليا، أيقنتُ أن هذا المكان لن يكون خيراً من تشلسي. غير أن المرضى داخل الجناح كانوا يمشون في الممرات، وكان بعضهم جالساً أمام جهاز راديو وأحدهم يعزف الغيتار وآخرون يغنون. وبدا المكان مثل شارع في عزّ الظهيرة، يعج بالحركات والأصوات. وهو كان ممتلئاً بأناس من مختلف الأعمار والأعراق. وكان الصوت والحركة كبيرين، لكني لاحظتُ الاطباء والممرضات يطوفون بين المرضى على نحو طبيعي.

المريضة المعجزة

كانت غرفة استير شبه الخصوصية تحوي أربعة أسرّة. وأخذ سام يفرغ الحقائب وهي تنظر الى الخارج. ولاحظتُ هناك، في الردهة، عازف الغيتار وفتاة سوداء في الخامسة عشرة على بعض خشونة في المظهر وشاباً أكبر منها يتخلل رأسه شعر أشقر. وعادت امي الى الغرفة لتقول: "لا أريد البقاء هنا."

أما أنا فقلت لأبي: "أظن أنه يحسن بنا أن ننصرف."

وتبعتنا أستير الى الردهة وهي تصرخ: "لا، لن أبقى هنا. أرجوكما أن تأخذاني الى البيت."

ووصلنا الى الباب، وفتح لنا الحارس. لكن أستير ما انفكت تستغيث قائلة: "خذاني الى البيت." وسمعنا بكاءها عندما أغلق الحارس الباب.

وقال لي سام: "ان الأمر يتفاقم ومهما فعلنا، فالمسألة تزداد سوءاً."

وكلما زرتُ أستير خلال الأسبوع الاول، كنتُ أراها أقلّ هيجاناً. لكنها ظلت منطوية على نفسها. وبدأ مزاجها يتحسن في الاسبوع الثاني. غير أن شيئاً لم يمهد للمخابرة الهاتفية التي تلقيتها آخر ذلك الاسبوع.

"لقد استعادت نفسها القديمة،" قال سام بحبور، "كما طلت وجهها بالمساحيق وصففت شعرها. وهي لا تزرع الغرفة الآن، بل تتذكر الماضي. أجل، ان أستير عادت الينا من عالمها الآخر."

وهرعتُ الى مابل هيل حيث رأيتُ أستير تجلس بهدوء في مقعدها وهي تطالع مجلة. وبادرتني بقولها: "أهلا يا حبيبي،" وطبعت قبلة على خدي.

ولبرهة ظننتني أحلم. وسألتها: "كيف حالك؟"

- جيدة جداً. هذا مستشفى رائع، قابلتُ فيه أناساً طيبين أخبروني قصصاً شائقة. ولكن ماذا عن قصتك أنتَ؟ متى تذهب الى لوس أنجلس بخصوص الشريط الذي تعمل عليه؟

وأدهشني حديثها المنطقي، وقلتُ: "في آخر الشهر."

وأجابت وهي تطفح سروراً: "انني فخورة بكَ."

وبعد قليل أضافت: "لا أتذكر سوى القليل عن مستشفى تشلسي وعن عودتي الى البيت قبل مجيئي الى هنا. غير أني لست أذكر شيئاً عما حصل قبل ذلك. ويُخيّل اليّ أنّ سنة كاملة من حياتي باتت طيّ النسيان."

وقال لها الطبيب المشرف على الجناح، الدكتور موريس بول: "أما شرحتُ لكِ أن هذا ليس امراً غريباً بالنسبة الى مرضك؟ وكلما تحسنت حالك ستستعيدين ذاكرتكِ اكثر."

وتابعت: "لكن هذا غريب. أعرف ان ثمة أناساً ظنوا أني سأصبح معاقة مدى الحياة. الا اني طوال ذلك الوقت كنتُ مقتنعة بغير ذلك، كما كنتُ أدري جيداً أن ابني وزوجي يترَيان ما أراه. أليس جميلا ان يثق بك محبوك؟"

وهزّ بول رأسه ايجاباً.

ومدّت أستير يدها الي وقالت: "دعنا نذهب في نزهة. فأنا أريد ان تقابل أصدقائي الجدد."

بين شركاء استير في الغرفة كانت فتاة في التاسعة عشرة اسمها مارلين كارتر، وهي مصابة بالمخاوف والأوهام. وقد دخلت مستشفيات عقلية كثيرة منذ حداثتها. وأينما ذهبت لاحقتها الوحشة



والمتاعب والهواجس. وبقيت ترتدي كنزات الصوف واحدة فوق اخرى لأن الشعور بالبرد لا يبارحها. ولم تكن تكف عن الكلام، مما دفع المرضى الآخرين الى تجنّبها. لكن أستير رأت ذلك خطأ وقررت ان تدير أذناً صاغية الى مارلين.

وكانت الفتاة تستهل كلامها بالآتي: "عندما أغادر هذا المكان أراهن على أني سأكون مثل أي شخص آخر. وسوف احصل بلا ريب على وظيفة. ومن يدري؟ فقد أجد صديقاً أيضاً."

وتصمت الفتاة لتتنفس، فتقول لها أستير: "لو كنتُ صبية اليوم، لعقدت العزم على ما أريده. أجل، لكنتُ دخلتُ المدرسة لتعلم الديكور الداخلي لأني أهوى ترتيب قطع الأثاث واضافة أشياء تلائمها. ولكن في صباي لم اكن افكر الا في الزواج. أما أنتِ فصغيرة، ولديك حلم. ومن المهم جداً أن يكون لدى المرء حلم. فهذا يعني أنّ لديه طريقاً لتحقيقه."

وتجيبها مارلين: "كلما تحدّثت اليك أحسستُ أني أفضل حالا."

وكانت لأمي شريكة اخرى في الغرفة هي نيل دوفال. هذه كانت في أواسط العشرينات وتعاني فقداناً للشهية وارهاقاً جسدياً. وفي الوقت نفسه، كانت يداها ترتجفان على غرار استير. وكان العديد من المرضى يزعجونها باستمرار. وقالت استير للجميع: "ان نيل رائعة حقاً. فهي أصغر مني سناً وأضعف جسماً وأقوى مرضاً، غير ان اليأس لا يعرف اليها

سبيلا." وأعطيت نيل لقب "المريضة المعجزة،" وهو لقب لم يفارقها.

وذات يوم وجدت أستير ان شريكة اخرى أدخلت الغرفة، وهي كارين بيشوب. وقد رأتها مضطجعة على السرير وهي تبكي، فقالت لها: "لا يجوز أن تضطربي هكذا. فهذا المستشفى مكان جميل حقاً."

- انها المرة الخامسة أدخل مستشفى. ولم يتحسن وضعي ابداً. ثمة شيء في داخلي يحملني على الانتحار. ولقد حاولت ثلاثاً وأخفقت فيها جميعاً. فأنا عاجزة حتى عن هذا الأمر.

قالت امي: "أنا هنا بسبب ذاكرتي. فليس في امكاني أن أتذكر اسم رئيس الولايات المتحدة أسمعت عن بلد تسجنين فيه ما لم تتذكري اسم رئيسه؟"

ولم تستطع كارين ان تتمالك نفسها عن الضحك. وضحكت أستير كذلك. وأخذت يد كارين وقالت: "تعالي لنأخذ طعاماً خفيفاً. الطعام الخفيف يحسن حالي على الدوام."

والواقع ان العلاج الجماعي أبقى استير منشغلة طوال الوقت. وهي شاركت في ثلاثة لقاءات اسبوعية مخصصة لبحث مشاكل المرضى النفسية. وشجّع الجميع - المرضى والموظفون - على تقديم آرائهم ومقترحاتهم. وعُقد لقاء اسبوعي رابع لبحث مشاكل المرضى الاجتماعية. وانضمت استير الى اجتماعات اخرى بحسب السن والجنس ونوع المرض. وكان ذلك يحصل مرتين اسبوعياً.

وهكذا عجّ المستشفى باللقاءات التي كانت تنتج منها ضروب المعالجة بالعمل والتسلية فضلا عن الدواء. وكان المرضى والموظفون يتغدون معاً كلّ يوم ثلثاء. كما كانت تعرض افلام سينمائية مساء كل جمعة، وتقام حفلة عصر الأحد يُدعى اليها الأهل والأصحاب.

وعلى رغم هذا التقدم الهائل الا ان أستير بقيت تعاني بعضاً من فقد الذاكرة. وقالت: "أخشى ألا يخرجوني من هنا لأني لا أحفظ رقم هاتفنا الجديد وعنوان المنزل وأموراً اخرى لا أستطيع تذكّرها."

وقررت شريكاتها في الغرفة كتابة الأجوبة وفحصها فيها من وقت الى آخر طوال الأسبوع.

وفي الخامسة بعد ظهر يوم جمعة استعدّت أستير لمقابلة الدكتور بول. لكنها رجعت مكتئبة وهي تقول: "اللحظة التي دخلت مكتبه نسيت كل شيء."

في الخزانة

إن أصعب المرضى في ذلك الجناح كان بول بنسكي. وهو شاب مسعور، طويل الشعر، يتوهم أنه من عظام نجوم الروك. وكان يعزف القيثار دونما انقطاع، مع اغنيات من تأليفه ينقصها الجرس الموسيقي وتدور على حرب النجوم وجرائم محطات القطار والعزوبية والغرام وأمور أخرى. وكانت كلّ اغنية تدوم نحواً من عشرين دقيقة. أما حال بنسكي النفسية فكانت مزيجاً من الهوس والكآبة. وهو كان أحياناً ينزع الى

الانتحار، وأحياناً اخرى تبلغ هجوميّته حدّ العنف. وطالما أعلن أن علاجه الوحيد هو الاستماع الى بوب ديلان نفسه يغني.

وكان بنسكي في حضور الرجال يثير مناقشات تؤدي الى المشادة اليدوية. أما الفتيات فكنّ يَمْقُتْنَه لاسماعهن بذيء الكلام ومحاولته إمساكهن بقوة كلما تَسَنّى له ذلك. غير أن أستير، من جهتها، كانت تظن أنه "يحتاج الى من يكترث له." واذا شاء مقابلة بوب ديلان، فينبغي أن يقابله.

ومرة قالت له: "اسمع يا بول! إنّ ابني يعمل ناقداً لموسيقى الروك. وهو قابل فرقة رولينغ ستونز، فضلا عن ليد زيبيلين والتون جون. ويحسن بك أن تعزف الغيتار أمامه. فهو يعرف عدداً كبيراً من الاشخاص النافذين."

وما أن سمع بنسكي تلك الاسماء حتى تفوه بكلام سفيه وقال: "إني أفضل من اولئك مجتمعين."

وأجابته أستير: "إني لا أعرف شيئاً عنهم. والوحيد الذي أحبه بينهم هو أليس كوبر، لانني أعتبره ذا مستوى."

وسألها بنسكي وهو لا يصدق اقتراحها: "أصحيح أن ابنك سيُصْغي إليّ؟"

– وكيف له أن يرفض طلب ام مضطربة عقلياً؟

بعد ذلك مشى بنسكي الى غرفته وأوصد الباب وراءه. وسرعان ما سمعته أستير يغني. وللحال أدركت أن كلامها لم يبقَ بلا أثر.

وخابرتني امي لتخبرني ما حصل ووعَدْتُها بتحقيق طلبها.

ووصلت الى مابل هيل في الوقت المحدد. وابتسمت استير بفرح اذ شاهدتني هناك. وكان بنسكي ارتدى سروالا مكوياً وقميصاً نظيفاً، وكان شعره مغسولا وممشطاً ووجهه حليقاً، وأمضى أياماً وليالي يتمرن على أغانيه.

وتناول غيتاره وباشر العزف، وكانت اثنتان من اغنياته رديئتين، أما الثالثة فكانت معقولة. وفرغ من وصلته بعد ساعة وراح يحدق إليّ، وقلت له: "هذا شائق جداً." وانبرت استير قائلة: "انه سيساعدك. يكفي ان يقول لك ان غناءك شائق. وهذا يعني أنك ستغادر هذا المكان قريباً."

وأخبرتُ بول انه، عندما تتحسن أحواله، سآخذه الى شركة موسيقية لتسجيل أغانيه. وهناك يمكنه الحصول على مشورة مهنية. وسألني: "أتعني ما تقول؟" فأكدت له ذلك.

ولم يبقَ أحد في الجناح الا صفق بحماسة.

وللحال أعلنت أستير: "لقد حان وقت الطعام." وسارت من غرفة الاجتماع النهارية، فيما تبعها الآخرون.

وكان في طرف الردهة خزانة لوضع المكانس، تفتحها المسؤولة عن التنظيف في الثامنة صباحاً لتأخذ منها العدة وتعمل بها طوال الساعتين اللاحقتين.

وذات صباح تسللت مارلين وبنسكي الى الخزانة وأقفلا بابها. وصادف

مرور ممرضة من هناك، فجمدت أوصالها الاصوات المتصاعدة من الداخل. وفتحت الباب على الفور وأخذت بنسكي ومارلين الى الدكتور بول.

وعلى رغم الغضب الذي ووجه به الامر، الا أن تلك الخبرة كانت رائعة بالنسبة الى الاثنين. ومنذ ذلك الحين بدأت مارلين تُعْنى بنظافتها وهندامها، كذلك بنسكي.

وأخبرتنا استير عن تلك المسألة. وشدت يد سام وقالت: "أما وقد دخلا الخزانة، فقدت تحسنت حالهما كثيراً."

وضحك الجميع لذلك.

وتابعت أمي: "في تشلسي لا أحد يفكر في دخول خزانة. فالكل هناك من الارهاق بحيث يبقى مقيّداً الى سريره."

وفي شهر فبراير (شباط) قرر الدكتور بول انه يمكن اخراج استير من المستشفى.

ولما ذَهَبْت مع سام لاخذها، كانت في غرفتها القديمة تودع كارين ونيل وتقول لهما: "أنتما ستخرجان قريباً أيضاً. واذا استطعتُ أنا تذكر عنوان بيتي، ففي امكانكما فعل أي شيء."

وقالت لها نيل: "الاحرى أن تكوني أنت المريضة المعجزة." وتعانقت الاثنتان واتفقتا على الاتصال.

وبعد ذلك ذهبت استير الى بنسكي وأمسكته من ذراعه وأخذت تمشي واياه في الرواق. وقالت له: "ارفع سماعة الهاتف وخابرني كلما شئت ذلك. وأعلمني عن موعد مغادرتك المستشفى، ولا تنسَ الشريط الذي ستسجله لابني هنري."

ـ لا، لن انسى أيتها العمة أستير.

وقَبَّلَتْ بنسكي على خده ثم سارت الى الغرفة النهارية لوداع الآخرين. وانطلقت الاصوات تقول: "أعطينا خطاباً."

وقالت استير بحماسة: "لقد أمضيت وقتاً رائعاً في هذا المكان. والحق أنه أفضل مستشفى بين المستشفيات الكثيرة التي اختبرتها."

وحملنا أمتعتها الى الباب. وعندما فتح وغادرت، ظهرت على وجهها ابتسامة كبيرة وسط الدموع التي سالت من عينيها.

عزيزتي السيدة غوردي

توجهت استير لتوها الى السرير لدى بلوغها المنزل. ولما أفاقت كانت لا تزال متعبة. وكان يرهقها الجلوس مع الزوار والقيام بأدنى نشاط، فتعود الى سريرها. وقلقتُ كثيراً لهذا الارهاق المستجد. ترى أيكون انتكاساً بعد شهر من الراحة في المستشفى؟

وطمأننا الدكتور سدهالتر بقوله: "ان بعض المرضى الذين يتناولون العقاقير يبدون أحسن حالا في المستشفى وهم مع آخرين يعانون الاعراض نفسها. وما أن يعود أحدهم الى البيت، حيث الآخرون لا يعانون خللا عصبياً مماثلا، حتى يشعر ببعض الاضطراب. والتكيُّفُ مع المحيط الجديد يستغرق وقتاً ربما امتد بضعة أشهر."

ووجد سام نفسه مرة أخرى مضطراً

لى أداء دور الممرضة. وكنت عدت لى لوس أنجلس، فخابرته وحثثته على طلب مساعدة. ورفض طلبي أول الامر، ظناً منه أن أحداً سواه لا يخدم ستير على النحو اللائق. لكنه أخيراً وعدني باستشارة وكالة محلية وطلب ممرضة منزلية.

وبعد يومين طلبت الوكالة الى سام ان يقابل امرأة اسمها مينا غوردي في محطة القطار. وكان عليه التفتيش عن امرأة سوداء قصيرة القامة ترتدي زيّ ممرضة. ولم يجد سام أي صعوبة في معرفة تلك المرأة ذات الجسد الناحل والشعر الرمادي. لكنه لم يكن يتوقع أن تكون هرمة وضعيفة الى ذلك الحد.

وكانت السيدة غوردي في منتهى اللياقة والتهذيب. وكان صوتها الناعم أقرب الى الهمس ومع بعض صفير في تَنَفّسها. وبدت أضعف صحة من أستير، الأمر الذي جعل سام يقلق ويشك في امكانها تأدية عملها.

ولدى بلوغهما المنزل خرجت استير من غرفتها، ووقفت السيدة غوردي لتحيتها. وامكن أستير ان تسمع صوت التكسُّر في مفاصل تلك المرأة المبتلية، وللحال شعرت بالشفقة حيالها. وفكرت أنها لو لم تكن تحتاج الى المال لكانت هي الاخرى طريحة الفراش.

وبعد تعارف المرأتين راحت الواحدة تحدث الاخرى عن طفولتها وأحلامها ومشكلاتها وقلقها بالنسبة الى المستقبل. وبذلت كل منهما جهدها لتتحلى بالشجاعة والصبر.

وكانت السيدة غوردي انتقلت، في



أعقاب وفاة زوجها قبل عشر سنين، الى منزل ابن أخيها جيم وزوجته سالي. وعاشوا معاً في وئام الى أن توفي جيم قبل ثلاث سنوات وتزوجت سالي رجلا آخر. غير أن ويلي، الزوج الجديد، كان يغار من زوج سالي السابق وكل ما يمتّ اليه بصلة، ولا سيما السيدة غوردي. ولم يمكنه تحمّل القليل القليل الذي تستهلكه من طعام ومكان وكهرباء.

هذا كله جعل السيدة غوردي تشعر بالغربة في ذلك المكان. وكانت، في الثالثة والستين، تعاني تضخّماً في القلب والتهاباً في المفاصل. إلا أنها أرغمت نفسها على العمل لتحصيل بعض المال، علها تتخلص من ذلك الجحيم.

وسألتها أستير لماذا لم تبحث مشاكلها مع اصدقاء العائلة. فأجابت: "لكل شخص مشكلاته يا سيدتي، ومعظم المصاعب الاخرى أسوأ مما أعانيه أنا."

وكانت السيدة غوردي، قبل

مغادرتها منزلنا يومياً، تعد أمي بالصلاة من أجل شفائها. وهي كانت تبر بوعدها كل يوم.

ومرة قالت أستير لابي: "أظن أن توظيف السيدة غوردي كان فكرة رائعة. انها امرأة فاضلة حقاً."

وأجابها سام: "هذا رأيي أيضاً." لكنه هزّ كتفيه... صحيح أن وجود تلك المرأة في المنزل مكنه من الخروج بضع ساعات يومياً لممارسة كرة المضرب أو الغولف أو كرة اليد، الا انه بات يدرك أن لديه الآن مريضتين، لا مريضة واحدة.

لكن نظاماً يومياً نشأ في البيت. فكان سام يستيقظ أولا ويتناول فطوره، ثم يخرج لدى وصول السيدة غوردي في التاسعة. وعند العاشرة كانت الممرضة توقظ أستير وتساعدها في غسيلها ولبسها وأكلها. ثم في الحادية عشرة والنصف كانت الاثنتان تخرجان معاً.

وتتكىء الواحدة على الاخرى وهما شابكتان ذراعاً بذراع وسائرتان في خطى وئيدة ومتوقفتان من حين الى آخر لالتقاط الانفاس. وأخيراً تبلغان الحديقة العامة وترتميان على مقعد وقد أعياهما التعب، لكنهما، على ذلك، كانتا مَرِحَتَيْن لا تصدقان أنهما قطعتا تلك المسافة. ومع الوقت اصبحت المرأتان تقطعان مسافة أطول، فتصلان الى الوسط التجاري حيث تتوقفان أمام الواجهات ثم تدخلان الاروقة التي تباع فيها الحلوى والمثلجات والفطائر والمآكل الغريبة. وهناك تتحدثان مطولا ثم تعودان الى البيت لتناول غداء خفيف أحضره سام. وبعد ذلك تشاهدان التلفزيون. وفي الثانية تغادر السيدة غوردي المنزل، فيما تخلد استير الى النوم.

حبوب عملاقة

انقضت ثلاثة أشهر وأستير لما تزل فاترة الهمة. وكان لارهاقها المستمر أثر في اضعاف معنوياتها. ومرة قال لي سام عبر الهاتف: "إنها قريبة جداً الى الشفاء، غير أنها لا تفعل شيئاً سوى المكوث في السرير. وعلينا أن نجد سبيلا لاعادتها الى حياتها الطبيعية."

وكان لي أصدقاء في كاليفورنيا سبق أن جربوا ما يسمى "العلاج الحديث" الذي استهلته حركة "علم النفس الانساني" والذي يقوم على معالجة الجسد والعقل في الوقت نفسه. وتوصلت عبر اولئك الاصدقاء الى أن أُعَرّف سام على شابة مختصة بمعالجة المسنين وفق هذه الطريقة، واسمها ماري نورتون. وكان سام يشك في ذلك كله، لكني ثابرت على اقناعه. وقلت له: "إني لا أقل تشكيكاً عنك. ولكن بعد اختبارنا الوسائل التقليدية دعنا نختبر الجديد، عل فيه خيراً أكبر."

كانت ماري نورتون قريبة الى القلب ومنفتحة في علاقاتها مع الآخرين. ونشأ بينها وبين استير اعجاب متبادل. وهي كانت تجلس على حصيرة كبيرة في شقتها المشمسة الملأى بالنباتات الجميلة، وتجلس استير بمشقة، لكنها تقهقه لفرط ما تبذل من جهد. ثم تقوم

الاثنتان بتمارين للتنفس. وسرعان ما أخذت أستير تتنفس على نحو أعمق وتشعر بالاسترخاء.

بعد ذلك باشرت ماري علاجاً آخر يدعى "مراجعة الماضي." وكانت أستير، وقد راقها توجيه الاهتمام اليها شخصياً، تجلس وتسرد ذكريات من أيامها الخوالي، تدور قصصها في الغالب على طفولة سعيدة خالية من الهموم. وقالت انها تلقت مقداراً من العلم أقل مما تلقاه أخوها واختها، وذلك يؤسفها لانه أفقدها وظيفة لائقة. لكنها في آخر المطاف ليست نادمة أو حزينة. فهي تحب زوجها وابنها. ولقد كانت حياتها معهما سعيدة طيبة.

وراحت ماري تركز على الامور الايجابية وتحث أستير على وضع لائحة تمتد عبر السنوات والاشخاص. وطلبت اليها بعد ذلك ان تسترجع المشاعر الحسنة التي رافقت تلك الايام واولئك الاشخاص.

وركزت أستير جهدها على ذلك الفرض ثم ضحكت وقالت: "الحق أن نفسي ملأى بالمشاعر الطيبة والذكريات الجميلة. واني أكاد أنفجر سعادة."

وفي نهاية اللقاء الاول تحدثت ماري على انفراد مع سام وسألته كيف يتصرف حيال زوجته. فقال انه يحاول حمايتها وتغطية أخطائها أمام الناس. لكن ماري أوضحت له أن "أستير يجب أن تستعيد الثقة بنفسها في علاقاتها بالناس."

وكجزء من ذلك البرنامج العلاجي الجديد، ذهبنا الى مركز لونغ آيلند الطبي للعلاج الغذائي، الذي يعتمد طريقة نفسية - غذائية. وبعد تحليل شامل لتاريخ استير الغذائي، وصف لها علاج لمعالجة نقص السكر والفيتامين والمعادن.

ووصف لها الطبيب النفسي الدكتور فردريك جونسون وجبة غنية بالبروتيين، ومنع عنها السكر والدقيق الابيض والحلويات والمثلجات. ووصف لها اثنين من مستحضرات المركز القوية بالفيتامين، مع حبوب الكلسيوم والمغنيسيوم.

ولدى عودتها الى البيت وضعت استير تلك الحبوب أمامها على الطولة، وهي حقاً ضخمة، وقالت بقرف: "يا لها من حجار كبيرة. انها صخور." وراحت هي والسيدة غوردي تنظران الى تلك الحبوب ولا تصدقان أنها عقاقير.

وكان على أستير ان تصارع تلك "الصخور" في الصباح والمساء. وكانت تدعو سام وتقول: "إنني أحسها في معدتي. وكلما خطوت تحركت من الشمال الى اليمين."

ترى أيكون لتلك الادوية العملاقة فعل ايجابي؟ من يدري؟

وفي صبيحة أحد الايام قال سام: "ثمة ريح قوية خارجاً. والافضل أن تبقيا في المنزل اليوم."

غير أن أستير كانت فخورة بنزهاتها اليومية. وظنت أنها، اذا هي تخلفت عنها يوماً واحداً، فلن تقوى على الخروج بعد ذلك. ولهذا انتظرت أن يغادر سام، ثم خرجت هي والسيدة غوردي.

وعصفت الريح. ولما بلغتا حدود الحديقة أصبحت أقوى، ولاذت المرأتان إحداهما بالاخرى. وبذلتا غاية جهدهما للتقدم، ولكن من غير جدوى.

وتضرعت السيدة غوردي قائلة: "يا إلهي! لا تجعل ذلك اعصاراً."

وقالت استير بكل ما فيها من مرح: "لا، لن تهزمنا العاصفة." وما كادت ان تنهي كلامها حتى هبت ريح قوية أوقعتها أرضاً ومعها السيدة غوردي.

ولم تصب المرأتان بأذى، لكنهما خافتا كثيراً. ولم تكن لاحداهما القوة على النهوض. وأخذتا تتحركان يميناً ويساراً، ظناً منهما أن تلك الحركة من شأنها أن تعطيهما القوة على الوقوف. غير أن ذلك لم يجد، وأدركتا ان سام كان على حق. ولم يكن في الحديقة شخص لينقذهما.

وأخذت الاثنتان تبكيان. ثم صلت السيدة غوردي قائلة: "يا إلهي، ارفع هذه الكأس عنا. لقد كنت انا الممرضة، واللوم يقع علي. ولكن لا يجوز أن نقضي بهذه الطريقة."

وبقيت المرأتان هناك خائفتين ومرتبكتين ولا تستطيعان حراكاً، وإحداهما تحاول تعزية الاخرى.

وفجأة فارق الخوف أستير وقالت: "يكفي هذا! واذا لم يكن هناك أحد لمساعدتنا، فلا بد من اعتمادنا على نفسنا."

وأخذت تزحف على يديها وركبتيها والريح تعصف من كل جانب. وامتلأت عيناها دمعاً لكنها لم تستسلم. وحاولت تصوّر منظرها وهي تدب على العشب، وحملها ذلك على الضحك عالياً. وأخيراً وصلت الى مقعد وتمسكت به ووقفت على قدميها. وإذ ذاك شعرت بنشوة النصر، وصرخت: "ها أنا مؤهلة لدخول الالعاب الاولمبية."

وسارت الى حيث السيدة غوردي ومدت يدها نحوها. وبذلت كل قوتها لتساعدها في النهوض.

ولم تكف الريح عن الهبوب، لكنهما لم تكترثا لها. وسارتا الى رواق الحلويات في الوسط التجاري وطلبتا قطعتين من الحلوى الساخنة.

وعندما أخبر سام بتلك المغامرة، أدهشه ان استير وجدتها مسلية. وعلق بقوله: "كان ممكناً أن يصيبك أذى. أرأيت ماذا يحدث عندما لا تعيرين أذناً صاغية لكلامي؟"

وضحكت المرأتان أكثر. وقالت استير: "لقد أحببت كل ثانية من تلك المغامرة."

من غير مساعدة

بعد شهر من بدء علاجها الجديد اصبح منظر استير أفضل من قبل وباتت تتكلم أكثر وتؤجل موعد نومها قليلا وتخرج مع سام مرّات متكررة، على رغم تعبها السّريع. وإذ لم تتقيد بنظام الحمية الجديد كما ينبغي، أرسلتها ماري نورتون الى معالج نفسي مختص والى مدرّب يتبع طريقة تسمى "تمارين فلدنكرايس." وكانت الغاية أن تتحسن نظرة استير الى الأمور لدى ازدياد وعيها لها.

وانسحب المعالج النفسي من الساحة بعدما زاد وزن استير

كيلوغرامين ونصف كيلوغرام في خمسة أسابيع. ألا أن التمارين الاخرى أكسبتها مرونة. وكانت كل يوم تقول: "لقد حان وقت التمرين." ثم تتوجه مع السيدة غوردي الى حصيرة الدار، حيث ينضم إليهما سام الذي كان متحمساً لتلك التمارين. وبعد انقضاء الدقائق العشر الاولى، كان سام وحده يبقى على الأرض فيما تراقبه أستير ومينا وهما تعدّان النقاط بصوت مرتفع. وتبرر أستير انسحابها بالآتي: "التمارين التي لا أُمارسها على الأرض أُنفذها في ذهني. لقد انقضت سنوات لم أستعمل ذلك المكان فوق على الإطلاق."

وذات أُمسية خابرتُ منزلنا الوالدي من لوس أنجلس. وقالت لي أستير بصوت ملؤه التأمّل: "أظنّ أني لن أتحسن بعد اليوم، وأني بذلت ذروة جهدي."

- ما الذي يجعلكِ تقولين هذا؟

"إني أبذل طاقتي كلها ولا أصل الى مكان. لقد كنتُ عبئاً عليكما نحواً من سنة. وما يحدث لي يحزنني كثيراً، لكن العذاب الذي تعانيه أنت وسام من أجلي يحزنني أكثر. ومن الأهمية بمكان أن تنجز عملك على خير وجه في لوس أنجلس من غير أن تقلق على حالي. وكن على ثقة من أنّ وضعي هذه الأيام لا يحسنه سوى أخبارك الطيبة."

غير أن سام وصف تلك المرحلة بأنها "جميلة جداً، لأن أستير تحسنت بمقدار النصف. فقبل سنة لم يكن هناك أستير. أما اليوم فلدينا أكثر من نصف أستير. وأني أشكر الله على ذلك وأُريد التمتع بكل لحظة من هذا الشعور البهيج."

وقصدت السيدة غوردي الشقة ذات صباح وعيناها متورّمتان من فرط البكاء. وأدخلها سام ثم توجه نحو أستير وهمس في اذنها: "ثمة مشكلة في حياة هذه المرأة."

- اذهب أنت الى حقل الغولف ودعني أتولى الأمر بنفسي.

ولم تصدق أستير ما تسمعه وهي تصغي الى السيدة غوردي تصف ما حصل بينها وبين ويلي. فقد اتهمها بأنها تحاول تأليب زوجته ضده. وفي فورة غضب حظّر على سالي والاولاد التعاطي مع مينا. وصاح قائلا: "على هذه العجوز الشمطاء أن تغادر المكان خلال اسبوعين." ثم اقتحم غرفة مينا وهو يصرخ: "اخرجي من هنا يا عجوز الشؤم."

وأخذت السيدة غوردي تنتحب وتقول: "أني امرأة متقدمة في السنّ، وليس لي مكان أذهب إليه." وهدّأت أستير من روعها وقالت: "عندما يعود سام سنخرج للتفتيش عن شقة تلائم دخلك."

وأمضت الاثنتان أياماً تبحثان عن شقة. وأخيراً عثرتا، بمساعدة وكالة محلية، على مكان صغير في مبنى يخص المواطنين المتقدمين في السن. وسرّت السيدة غوردي لأنّ ذلك كان في حدود امكاناتها المالية.

وفي أواخر اغسطس (آب) ١٩٧٧ بدأ تصوير فيلم "سارجنت بيبر." وخلال الأشهر الاربعة التالية كثرت أعمالي بحيث لم يبقَ لدي وقت

للتفكير، وكان علي إدخال تعديلات على النص كلما برزت مشكلة. وفي نهاية المطاف أصبح لدينا شريط من ثلاث ساعات، وبدأنا نستعد لتعيين موعد الافتتاح.

وتقرر عرض الفيلم في لوس أنجلس مساء ٢١ يوليو (تموز) ١٩٧٨، وبعد يومين يطير المنتج روبرت ستيغوود وسائر المشتركين، بمن فيهم اعضاء فرقة الـ"بي دجيز" وجورج بيرنز وأليس كوبر و"ايرث، ويند، فاير،" الى نيويورك لحضور العرض الاول للفيلم في الساحل الشرقي للولايات المتحدة.

كما تقرر أن يتم العرض الاول في نيويورك في قاعة "راديو سيتي" وحُدد ثمن بطاقة الدخول بمئة دولار وأن يتلو عرض الشريط عشاء عند منتصف الليل وحفلة راقصة من الثانية فجراً حتى الصباح. وأردتُ أن تكون أستير وسام هناك ليلة الافتتاح. وكانت استير قالت لي انها تتمنى حضور حفلة من ذلك النوع. غير أنها كانت مضطربة. وأعلنت على مسمع سام ما يأتي: "أعرف أن عليّ الاعتماد على نفسي من غير مساعدة. لكن ثمة اموراً لا تُحصى أخشى مواجهتها." وهكذا جلست هي وسام الى طاولة الطعام ووضعا لائحة بالهواجس والمشكلات مع خطة للتصدي لها.

وظلت استير طوال اسبوع تنهض في الثامنة والنصف صباحاً ولا تعود الى سريرها الا في الليل. ولكن متى شعرت بالارهاق كانت تخلد الى الراحة ساعة فقط. وكانت كل ليلتين تسهر لتسمع أخبار الحادية عشرة على التلفزيون. وباتت ترافق سام أكثر من السابق، محاولة التغلّب على ارتباكها بين الناس. وبعد ذلك باتا يدعوان واحداً أو اثنين من أصدقائهما عصر كل أحد.

ومرة قالت أستير: "اذا كان علينا أن نرقص في تلك الحفلة، فيجب الاستعداد لذلك بأخذ دروس في موسيقى الديسكو."

وسألها سام على الفور: "أتحبين البدء غداً؟"

- يا لك من رقيب لا يرحم!

كان ذلك في شهر مارس (آذار)، أي قبل أربعة أشهر من موعد الحفلة.

"لنذهب الى المجهول"

دقّ منبه الساعة تمام الثامنة والنصف صباحاً، فقامت استير وانحنت على سام توقظه: "ماذا تفعل في السرير؟ انهض لمواجهة مشاكل هذا اليوم."

ونزلت من سريرها وتهادت الى المطبخ. وهناك حضرت الفطور بنفسها للمرة الاولى في عشرين شهراً. واغتسلت وارتدت ثيابها وطلت وجهها بمساحيق التجميل.

ولما وصلت السيدة غوردي قالت وهي لا تصدّق ما ترى: "ماذا تفعلين؟".

- أتمرن على الحياة الطبيعية.

ويبدو ان تصميم أستير على حضور ليلة الافتتاح أمدّها بالقوة وجعلها ترسم مخططاً وتعمل على تحقيقه. وها هي الآن في صباح يوم جديد ينبغي أن تملأه عملاً.



كانت أستير حققت بنود برنامجها كلها، في ما عدا دعوة الاصدقاء الى العشاء.

ومرة قالت: "لنذهب الى المجهول." ودعت جميع الاصدقاء والمعارف الى البيت الجديد، وتعجب أصدقاؤها القدامى لرؤيتها تعافت، بعدما زارها العديد منهم في مستشفى تشلسي وظنوا أنها لن تعود كما كانت على الاطلاق. وأمضى الجميع وقتاً ممتعاً. وفي آخر السهرة غنوا بصوت واحد: "يا لهما من زوجين ودودَيْن."

وبعد أسابيع استأنفت الذهاب الى أسواق الأسهم المالية ومعارض السّلع القديمة. ومع الوقت استعادت قوتها على تركيز أفكارها، وبات في أمكانها سماع الموسيقى والقراءة من جديد. وكانت قوتها تزيد بازدياد اهتماماتها. وباسترداد قوتها أخذت تستعيد ذاتها القديمة.

وبعد شهر من اعتماد أستير على نفسها انضمت مع سام الى ناد اجتماعي محلي. وبعد ذلك أصبحا يشاركان مجموعة من الناس في السهر خارجاً مساء كل سبت، لتناول العشاء في مطعم أو لحضور أمسية موسيقية. وبعد ذلك يذهب الجميع الى منزل أحدهم لتناول القهوة والحلوى. وفي نهاية الاشهر الثلاثة

ووقفت أستير قائلة: "شكراً لكم جميعاً: لأولئك الذين عرفوني قبل مرضي والذين عرفوني بعده. كل ما يمكنني قوله لكم هو أني لن أسقط في هُوّة المرض بعد الآن."

وبُعيد ذلك الاحتفال المنزلي البهيج ارتأت أستير أنها لم تعد في حاجة الى السيدة غوردي.

الصّعود من الهُوّة

خابرتني أستير قبل ثلاثة أسابيع من ليلة افتتاح "سارجنت بيبر" لتقول أنها أمضت الشهرين الاخيرين متحررة تماماً من أعراضها السابقة، وأن الدكتور سدهالتر راقه ذلك وخفّف لها جرعة الدواء. وأضافت: "لا يمكنني الانتظار كي أراك".

وعاد المرح الى صوتها، ذلك المرح الذي خشيت ألا ألمسه بعد محنتها.

وحان اليوم الموعود، يوم وصول فرقة "سارجنت بيبر" الى نيويورك. وتردد سام واستير في البداية ظناً منهما أنه سيكون يوماً محموماً. لكن أمي غيَّرت رأيها وأعلنت الآتي: "أود أن أرى هنري فور وُصوله. دعنا نذهب الى المطار."

وهناك توجها الى منطقة الشحن حيث كانت طائرتنا مزمعة على الهبوط. وكان مُنتظراً أن يعج المكان بأنصار الرّوك من الشباب. لذلك انتشر رجال الامن في أرجاء القاعة وهم يحملون أجهزة الارسال والاستقبال. وقالت أستير وهما يدنوان من البوابة: "دع الكلام لي."

وعلى الفور سألهما أحد الحرّاس: "أين أوراقكما؟".

وأجابته أ ُمي: "ليست في حوزتي أوراق من أي نوع. لكني على لائحة الضيوف. والواقع أن هذا الاحتفال كله ما كان ليقوم بدوني. فأنا والدة المؤلف."

ونظر الحارس اليهما وهو يقول لنفسه: "هب أنهما يحتالان عليّ. أفلا تكفي حماستهما للروك، وهما في هذه السن المتقدمة، لادخالهما دونما تشدد؟" وقال لهما: "هيا ادخلا الى مكان هبوط الطائرة."

وأسرع الاثنان الى المنصة التي كان يعتليها خمسون شخصاً على اهبة الاستعداد لقرع الطبول والأبواق لدى نزول أفراد الفرقة من الطائرة. وكان السيد فرنسيس بليمبتون، ممثل المحافظ لشؤون التشريفات، واقفاً هناك وفي يده مفتاح المدينة الذي يُعطي للضيوف المرموقين. كما وقف مصورو التلفزيون ورجال الاذاعة والصحافة ينتظرون وصول الطائرة وحولهم مئات المدعوين.

وأخيراً نزلت طائرتنا، ونظر روبرت ستيغوود من النافذة وقال: "هذا مفتاح المدينة." ونظرتُ أنا أيضاً وشاهدتُ بليمبتون وسط الجموع.

وبعد هنيهة سمعتُني أقول مندهشاً: "يا إلهي! أن والديَّ يقفان بجانبه."

وفي اليوم التالي حملت سيارةُ الليموزين سام واستير الى فندق بلازا. وكانت امي تطفح فرحا وهي ترتدي تنورة طويلة من الحرير وقميصاً أبيض وقد استعادت بشرتها نضارتها المعهودة وأشرقت عيناها. ووقف الوف المتحمسين على طول الطريق المؤدية الى قاعة الاحتفالات الموسيقية "راديو سيتي." وشققنا طريقنا وسط الحشود بمساعدة رجال الشرطة.

وبعد عرض الفيلم أخذتنا السيارة الى روزلند للعشاء. ودخلنا القاعة وسط موسيقى آسرة. وهناك تعرّفت استير وسام على جورج بيرنز الذي أحباه قبل أن يعرفاه، والتُقطت لهما صورة مع أليس كوبر.

وكان سروري لمشاهدة استير وسام على تلك الحال من الجذل لا يعادله سرور آخر في حياتي. وبعد العشاء توجّهنا الى الحفلة الراقصة. وفي الرابعة فجراً أقلت سيارة الليموزين سام وأستير الى منزلهما.

وعندما دخلتُ عليهما في وقت متقدم عصرَ اليوم التالي، قالت استير: "أننا لا نزال نعيش نشوة الليلة الماضية. لقد كانت من أسعد أوقات حياتنا."

وسألتني أستير وهي تُحضر الطاولة: "كيف تراني الآن؟"

وأجبتُها وأنا أعني كل كلمة أقولها: "أنكِ أفضل حتى مما أخبرتني."

ـ شكراً لكَ! لقد فقدتُ السيطرة على نفسي قبل سنتين. وبعد ذلك باتت هذه السيطرة وقفاً على العقاقير التي وُصفت لي: على مقاديرها وأنواعها. إلا أن سيطرتي على نفسي عادت اليّ تدريجاً. وهذا يجعلني أتذوّق كلّ خطوة أقوم بها. صدّق أو لا تصدق: إنني، عندما أُرتب الطاولة، أفعل ذلك عن وعي تامّ لحركاتي وأُعْجب بذلك إذ كنتُ محرومة منه قبل سنة واحدة.

وبعد وضعها الشوكة الأخيرة في مكانها على الطاولة، تقدمت استير مني وطوقتني بذراعيها.

وفيما هي تُنهي إحضار العشاء، خرجتُ مع سام لشراء قالب حلوى خاص. وما انفك يخبرني عن فرحه باستعادة استير عافيتها ونشاطها، وقال: "نحن نمشي على ثلج رقيق كل يوم من حياتنا. واذا خشينا متابعة الطريق لئلا ننزلق، فان ذلك يدفعنا الى الجنون ويجعلنا نزلّ فعلا. وهذا ما حصل بالنسبة الى استير. لكننا تعلّقنا بها نحن الاثنين. وعلى رغم أن الصعود من الهوة ليس ممكناً على الدوام، ألا أننا صعدنا. وراح واحدنا يساعد الآخر على الصعود. واني سأبقى شاكراً ما فعلناه طوال حياتي."

وبعد عودتنا الى المنزل بقيت كلمات سام ترن في أُذني: "...الصعود من الهوة ليس ممكناً على الدوام، ألا أننا صعدنا."

كان كل شيء رائعاً تلك الأُمسية ـ الطعام، الحديث، الجوّ. وكان طبيعياً وعادياً. أجل، تلك كانت الوقعة الطبيعية الاولى التي نتناولها نحن الثلاثة معاً خلال سنتين.

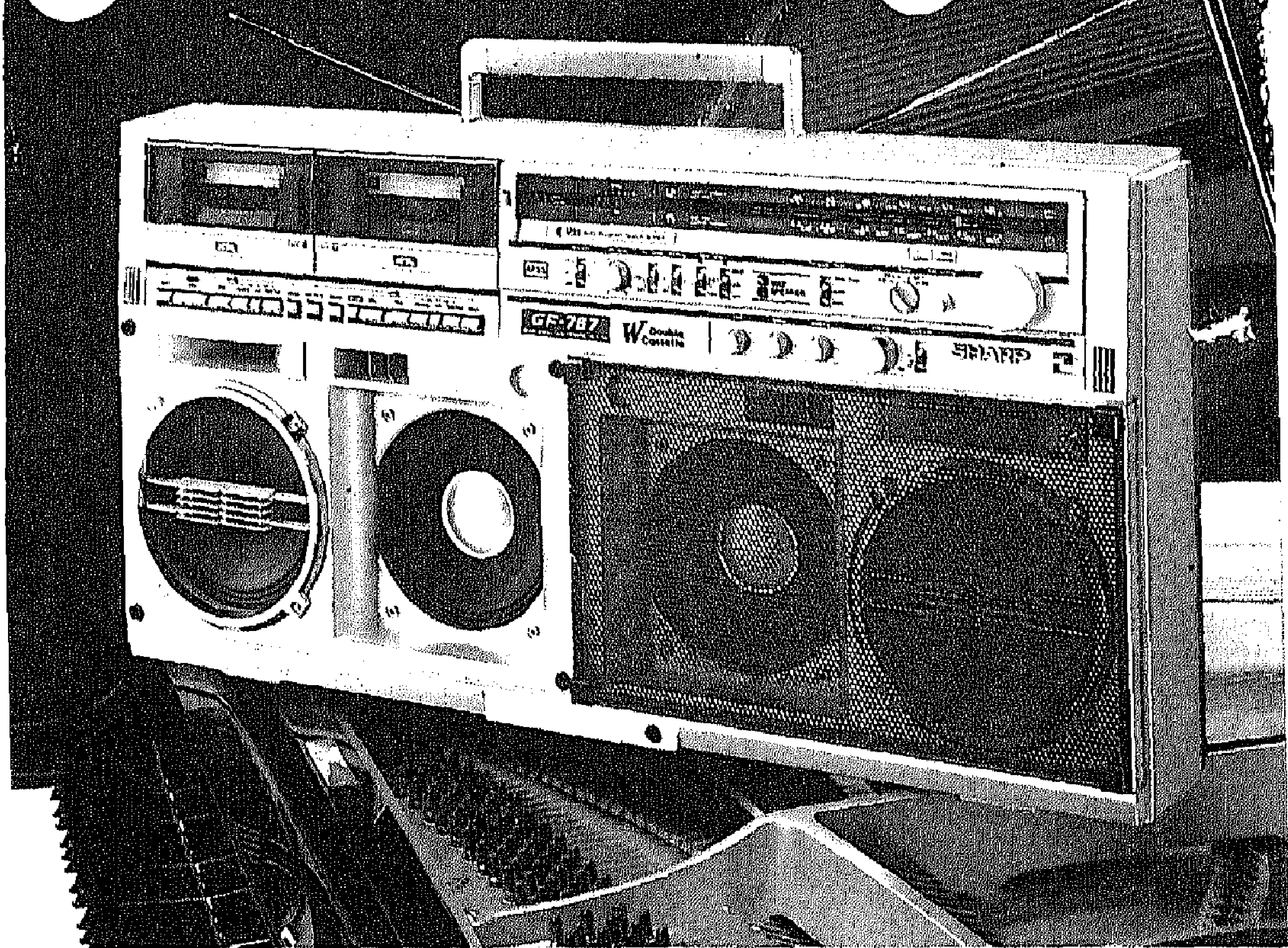
ولقد اكتسى العادي الآن لون الدهشة. وشعرتُ بالشكران، كما شعر به أبي أيضاً.

■ هنري ادواردز

الاخلاق العائلية

الفكرة القائلة بأن ما يفعله البالغون في السر يخصهم وحدهم هي فكرة خاطئة. فما نفعله سراً يؤثر في كياننا، وكياننا يؤثر في الآخرين. من هنا كان لما نفعله داخل بيوتنا أثره المحتوم ليس في سلوكنا تجاه ذواتنا فحسب، بل في سلوكنا تجاه الآخرين أيضاً. وان أي تبدل في نظام حياة العائلة يترك أثره في المجتمع الاوسع.

هـ.ف.



الصوت المدهش




Bibliotheca Alexandrina
0536815
